

فهرس

المجلد الاول

مطبعة المعاهد الدينية الاسلامية

١٣٤٩ هـ — ١٩٣١ م

فهرس موضوعات المجلد الاول

(ا)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

وقع أثناء الطبع بعض أغلاط مطبعية فى أجزاء المجلة العشرة نذكرها هنا ليستدركها حضرات القراء :

اغلاط الجزء الاول

ص	س	خطأ	صواب
١	٢	أدع	اُدع
١	٢	أحسنْ	أحسنُ
٤	٧	الصادرة	الصادة
٥	٢٠	السياسية	السياسة
٩	١١	المتوكلْون	المتوكلُون
١١	٢٧	الحكيم	الحكيم به
١٢	١٢	المسلمون	المسلمين
١٢	١٦	الناس	للناس
١٣	٢	المسلمون	المسلمين
١٣	١١	ورسله	ورسوله
١٤	١٠	برزا	برزوا
١٤	١٥	إثارة	أثارة
١٨	١	يدل عدم	يدل على عدم
٢١	٩	تأتى معها	تأتى به معها
٢١	٢٤	يكون اذا	يكون الحال اذا
٢٢	٨	بأوردة	بالأوردة
٢٥	١٦	به	بها
٢٧	٢٧	مثبوتة	مبثوثة

ص	س	خطأ	صواب
٣٢	٢٨	وعين	وهو عين
٣٢	٢٨	تروها	ترودها
٣٤	٤	تجاتهم	تجارتهم
٣٤	٦	ويرضيان	ويرضيا
٣٤	١٧	إدفع	ادفع
٣٥	١٤	وعظمة	وعظة
٣٦	٢٠	أتوا	أوتوا
٣٩	٥	يرون	يروون
٣٩	٢٦	الخفظ	الخفض
٤٤	٢١	العلياء	العليا
٤٨	٨	لعامه	لعمله
٤٨	١٠	واورع	وأروع
٤٩	٥	الامبورطية	الامبراطورية
٥٠	١٨	ويومئذ يفرح المؤمنين	ويومئذ يفرح المؤمنون
٥٢	١٦	رُميت	رَميت
٥٣	١٢	ومن عنده أم الكتاب	ومن عنده علم الكتاب
٥٣	٢٢	بينهما	بينها
٥٥	٤	معرفون	معروفون

ص	س	خطا	صواب
٥٦	١٨	المسلمون	المسلمين
٥٦	٢٦	محمد	محمدا
٥٧	٨	معكم	منكم
٥٨	١٦	عاصمة	عاصمه
٥٨	٢١	الغُلاب	الغَلاب
٦٥	٣	العادية ما آذن	العادية الى ما آذن
٦٥	١٢	بالامانى	للامانى
٦٥	١٣	الموضوعة	الموضونة
٦٦	٢٣	اختبار	أخبار
٦٧	٧	ورق	رق
٦٧	١٥	منها	فيها
٦٩	٤	أنه	ان
٦٩	٩	تير نجير	بير نجير
٦٩	١٤	الى العرب ماندين به	ما تدين به الى العرب
٧٠	٤	ذروة	الى ذروة
٧٢	٧	بأن	أن
٧٣	٢٠	أتينا	آتينا
٧٣	٢١	شكر	يشكر
٧٦	٢٣	كل	كلا
٧٨	٤	العلاقات	من العلاقات
٨٠	٢	الدين والعقل	الدين والنفس والعقل
٨٠	٢٣	والقصاص	قصاص

الجزء الثانى

ص	س	خطا	صواب
٨٤	٥	وقوم	وتقوم
٨٤	٦	له به الدين	له بالدين
٨٩	١١	ذكاء	زكاة
٩٠	١٦	إن ربى بما تعلمون محيط	إن ربى بما تعملون محيط
٩٠	١٧	سوف تعملون	سوف تعلمون
٩٨	١٩	جوستافلبون	جوستاف لوبون
٩٩	٢٣	اشعاعا	شعاعا
١٠٠	١٩	تربوا	ترتبوا
١٠٣	٤	الأكثر ذرات	الأكترونات
١٠٣	١٥	نظرياتم	نظرياتهم
١٠٣	١٥	ان ثم	ان تم
١٠٧	٥	من أجهل	من أجهل الجهل
١٠٧	٢٢	آبائنا	آباءنا
١٠٨	١٥	ويتوسم	ويترسم
١١١	٤	التفضى	التفصى
١١١	٧	النبى	للنبى
١٢٣	١٨	وفقهم	وفقههم
١٢٩	١٧	اذا	إذ
١٣٢	٥	المعينان	المعنيان
١٣٣	١١	مشبوتة	مبثوثة
١٣٣	١٥	ولكن سياق	ولكن لما كان سياق

ص	س	خطأ	صواب
١٣٥	٥	العلم كله على ما فيه	العالم كله عن قدرة واحدة على ما فيه
١٣٨	١٨	روح	ردح
١٤٣	١٢	إذ لو تغير عما كان عليه الوحي	اذ لو تغير عما كان عليه زمن الوحي
		الجزء الثالث	
١٧٣	هامش	بهذا أن هذا	بهذا تعلم أن هذا
١٧٣	«	فى تعلم المكيال	فى المكيال
١٧٧	٧	لهم فيها ما يشاؤون	لهم ما يشاؤون فيها
١٨٨	٢	القيمْ	القيمُ
١٨٩	٥	فائدة	فائده
١٩٤	١٠	والمستعبد	والمستبعد
		الجزء الرابع	
٢٥٢	٢١	وهدى ورحمة لقوم يؤمنون	وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين
٢٩٣	٧	نفز	نفر
		الجزء الخامس	
٣٢٣	١٦	تمحيها	تمحيصها
٣٤٤	٢٠	سن الآخر إلى	من الآخر أظهر
٣٤٦	١٠	تتطلع	قد تتطلع
٣٤٦	١٣	اذا	إلا اذا
٣٤٦	٢٣	يصح	يحتاج
٣٤٧	١٢	الشقاء	الشقاق
٣٤٧	١٨	أباج	أبيض أباج
٣٤٧	٢٣	تقذف	تغدق
٣٤٩	٢	البر بالانفاق	الانفاق
٣٤٩	١٨	حينما	بينما
٣٥٠	١٠	الشيء	الشر
٣٥١	٤	فلو اشترطنا	فلو تمسكنا
٣٥١	١١	القرض	القراض
٣٥١	١٦	الكافلين	المتكافلين
٣٥١	١٧	فقلي	فقل لى
٣٥٢	١	ربى	رب
٣٥٢	١	تهدى	نور تهدى
		الجزء السادس	
٤٠٦	٧	يخفف	يخف
٤٠٦	٨	وتدبير	وتدبر
٤٣٥	٨	وما يفتح الله للناس	ما يفتح الله للناس
٤٣٧	١٨	ثمت	ثمة
٤٣٧	٢٠	تستطيع	تسطيع
٤٣٧	٢١	وأن تعالى	وأنه تعالى
٤٥٧	١٨	تلف	تلفا

الجزء السابع

ص	س	خطا	صواب
٤٣٥	١٢	ومن يهد الله	و (من يهد الله
٤٩٧	١٣	وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه	وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه
٥٠١	٢	وقال الذي عنده علم من الكتاب	قال الذي عنده علم من الكتاب
٥٠٢	٨	وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه	وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه
٥٠٨	٢٠	قل يا أيها الناس	يأيها الناس
٥٠٩	١١	ولله الأمر من قبل ومن بعد	و [لله الأمر من قبل ومن بعد
٥٢٤	٢	قالوا بل وجدنا	قالوا بل نتبع ماألفينا

الجزء الثامن

ص	س	خطا	صواب
٥٩٨	٦	ولهن مثل الذي عليهن وللرجال	ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال
٦٠٠	١٤	بنت	بتت
٦٠١	٢٤	لمنع	بالمنع
٦٠٢	١٠	وصيةً من الله والله عليم حكيم	وصيةً من الله والله عليم حليم

الجزء التاسع

ص	س	خطا	صواب
٦٦٥	١	ياأيها الذين	يأيها الذين
٦٦٥	٢١	والتمرات	والثمرات
٦٦٦	٩	وألئك	وأولئك
٦٦٦	١٦	ورحمة	ورحمةٌ
٦٦٦	١٧	وأولئك هم المهتدن	وأولئك هم المهتدون
٦٨٧	١	بلال بن بردة	بلال بن أبي بردة
٦٨٧	٦	بلال بن بردة	بلال بن أبي بردة
٦٩٦	١٤	وأنى لظلام	وإنى لظلام
٧١٩	٢١	ثلاثة وعشرون سنة	ثلاث وعشرون سنة
٧٢٠	١	ثلاثعشر سنة يدعوا	ثلاث عشرة سنة يدعو

الجزء العاشر

ص	س	خطا	صواب
٧٢٥	٢	خمس سنوات	أربع سنوات
٧٣١	٢٠	لمن يرائى فى الناس	لمن يرائى الناس
٧٣٩	٩	ولنعد صدر	ولنعد إلى صدر
٧٤١	١٦	إن خيراً فخيراً وإن شرا فشراً	إن خيرا فخير وإن شرا فشر
٧٤٢	٤	فقل لو	فقال لو
٧٤٩	١٢	ألاعراب أشد كفراً	الاعراب أشد كفرا
٧٥١	١٦	بيـاناً	بيـاتاً

ووقع أيضا خطأ مطبعى فى رقم الجزء السادس والصواب أن يبتدىء بـ ٤٠١ حيث يفتتح الجزء السابع بـ ٤٨١

كما وقع خطأ فى رقم الملزمتين الاوليين من الجزء الثانى والسابع .

(مطبعة المعاهد الدينية الاسلامية ١٠٠٠٠/٥/١٩٣١)



المرجو من القارىء الكريم تصحيح الكلمات الآتية

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١	٢	أدع	ادع
١	٢	أحسنْ	أحسنُ
٤	٧	الصادرة	الصادة
٥	٢٠	السياسية	السياسة
٩	١١	المتوكئون	المتوكلون
١١	٢٧	الحكيم	الحكيم به
١٢	١٢	المسلمون	المسلمين
١٢	١٦	الناس	للناس
١٣	٢	المسلمون	المسلمين
١٣	١١	ورسله	ورسوله
١٤	١٠	برزا	برزوا
١٤	١٥	إثارة	أثارة
١٨	١	يدل عدم	يدل على عدم
٢١	٩	تأتى معها	تأتى به معها
٢١	٢٤	يكون اذا	يكون الحال اذا
٢٢	٨	بأوردة	بالأوردة
٢٥	١٦	به	بها
٢٧	٢٧	مثبوتة	مبثوثة
٣٢	٢٨	وعين	وهو عين
٣٢	٢٨	تروها	ترودها
٣٤	٤	تجاتهم	تجارتهم
٣٤	٦	ويرضيان	ويرضيا
٣٤	١٧	إدفع	ادفع
٣٥	١٤	وعظامة	وعظة
٣٦	٢٠	أتوا	أوتوا
٣٩	٥	يرون	يروون
٣٩	٢٦	الحفظ	الخفض
٤٤	٢١	العلياء	العليا
٤٨	٨	لعلمه	لعمله
٤٨	١٠	واورع	وأروع
٤٩	٥	الامبورطية	الامبراطورية
٥٢	١٦	رُميت	رَميت
٥٣	٢٢	بينهما	بينها
٥٥	٤	معرفون	معروفون
٥٦	١٨	المسلمون	المسلمين
٥٦	٢٦	محمد	محمدا
٥٧	٨	معكم	منكم
٥٨	١٦	عاصمة	عاصمه
٥٨	٢١	الثلاّب	الدَلاب
٦٥	٣	العادية مآذن	العادية الى مآذن
٦٥	١٢	بالامانى	للامانى
٦٥	١٣	الموضوعة	الموضونة
٦٦	٢٣	اختبار	أخبار
٦٧	٧	ورق	رق
٦٧	١٥	منها	فيها
٦٩	٤	أنه	ان
٦٩	٩	تير بحير	بير نجير
٦٩	١٤	الى العرب ما تدين به	ما تدين به الى العرب
٧٠	٤	ذروة	الى ذروة
٧٢	٧	بأن	أن
٧٣	٢٠	أتينا	آتينا
٧٣	٢١	شكر	يشكر
٧٦	٢٣	كل	كلا
٧٨	٤	العلاقات	من العلاقات
٨٠	٢	الدين والعقل	الدين والنفس والعقل
٨٠	٢٣	والقصاص	قصاص

العدد الاول ــ المجلد الاول　　　　المحرم سنة ١٣٤٩

قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام
ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم *

نور الإسلام

مجلة دينية علمية أخلاقية تاريخية حكمية

تصدرها مشيخة الأزهر الشريف

أول كل شهر عربي

مدير ادارة المجلة　:　عبد العزيز محمد　من أعضاء مجلس الازهر الاعلى

رئيس التحرير　:　السيد محمد الخضر حسين　من علماء الازهر

مكتب المجلة بالادارة العامة للمعاهد الدينية بشارع فهمى رقم ١٩

« تليفون : بستان ٣٥٠٧ »

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

قيمة الاشتراك السنوى		قرش
	داخل القطر المصرى	٤٠
	لطلبة المعاهد والمدارس.	٢٠
	خارج القطر المصرى.	٥٠

المطبعة الحديثة بشارع خيرت بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنْ ﴾
(قرآن كريم)

الحمد لله الذى أخرجنا من الظلمات إلى النور ، وأنزل القرآن حكمة بالغة وشفاء لما فى الصدور ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، المؤيد بآيات تنفى عن النفوس قذى الريب والجحود وتملؤها بقرارة اليقين ، وعلى آله الذين اقتدوا به فأقاموا صروح التقوى على أثبت أساس ، وصحابته الذين دعوا الى سبيل الحق بالحجة فكانوا خير أمة أخرجت للناس ، ورحم الله من نبذ الأهواء والأوهام ، وقال: ربى الله ثم استقام

أما بعد فالاسلام هداية خالصة ، ومطلع حياة زاهرة ، ما نزل بأرض إلا خرجت من جهالة إلى علم ، ومن غواية إلى رشد ، ومن خمول الى نباهة قدر ، ومن هوان إلى عزة جانب ، واذا شهد التاريخ على جماعة من المسلمين بجهالة أو خلاعة أو بطالة أو احتمال مهانة ، فما ذاك إلا أنهم لم يكونوا من تعاليم الاسلام على بينة ، أو لأن أفئدتهم فى غطاء من الشهوات فلم يكن لهم فى العمل على هذه التعاليم من نصيب

وما زال الاسلام على جلاء حقائقه وروعة حكمته يبتلى بطوائف يصدون عن سبيله فى لون من المداجاة والرياء ، وآخرين يناصبونه العداوة فى جهل وغرور ، وكان أهل العلم فيما سلف على يقظة مما يعمل هؤلاء وهؤلاء ، فيقعدون لهم كل مرصد ، ويزيحون شبهم ، ويرفعون الغطاء عن سرائرهم وما تكنّ أقوالهم ، فيذهب باطلهم زاهقاً وتبقى كلمة الحق هى العليا

ولم يكن للجاهلين على الاسلام قبل اليوم طريق يهاجمونه منه غير حديث يناجى به الرجل بعض النفوس التى يجدها على شفا حفرة من الغواية ، أو تأليف بعض الكتب كما فعل ابن الراوندي وفريق من الباطنية ، وكان أهل العلم يأخذون في دفاعهم هذه الطريقة نفسها ، فيؤلفون الرسائل والكتب ويقطعون بها حبل إغوائهم ، ويحفظون الأمة من عدوى أمراضهم

أما اليوم فقد تهيأت لخصوم الدين الحنيف طرق أخرى ينفذون منها الى ما يبتغون من إشاعة قول باطل ، أو تزيين عمل خاسر ، ومن أشد هذه الطرق خطراً الكتابة فى المجلات السيارة ، فقد يسبق الى بعض قرائها أنها لا تنطق برأى إلا أن يكون موزونا ، ولا تدعو الى عمل إلا أن يكون مرضيا

أجل، فى المجلات خير كثير ، وفيها مع هذا الخير صحف لا تتحرى مواطن النصيحة فيكون لبعض ما تنشره أثر فى افساد القلوب غير يسير

واذا كانت المؤلفات الصادرة عن الصراط السوىّ فيما سلف انما تقع فى أيدى أفراد من الناس غير كثير ، فقد تهيأ لها اليوم بوسيلة المطابع أن تنزل فى كل واد ، وتقذف بوساوسها فى كل ناد ، فأصبح لهذه المؤلفات من الأثر ، أكثر مما كان لها يوم كانت تخط بالقلم ويقرؤها نفر قليل فى معزل من الناس

ولما كان الأزهر الشريف هو المعهد الذى حمل لواء العلوم الاسلامية أحقابا ، ونهض بها فى نشاط وقوة حتى صار الينبوع الذى تستمد منه سائر الأقطار علما ورشداً ، وجب ان يكون نصيبه فى الارشاد والذود عن حمى الشريعة فوق كل نصيب ، فحقيق بالأزهر ان يكون له فى الدعاء الى الخير صوت ينفذ الى جوانب الأرض يمينا ويساراً ، وحقيق به أن يأخذ فى النداء الى الحق بأبعد الوسائل مدى وأبلغها فى النفوس أثراً .

وهذا ما جعل الناس يتشوفون الى أن يروا مشيخة الازهر مَعْنية باصدار صحيفة تقرر حقائق الدين على وجهها الصحيح ، وتدعو الى الفلاح بالتى هى أرفق وأدعى الى القبول

أحسّ الناس شدة الحاجة الى هذه الصحيفة ووثقوا بأن سيكون لها فى انارة السبيل والذب عن حوزة الدين موقف خطير ، وهذا الاحساس الشريف هو الذى بعث حضرة صاحب العزة عبد العزيز محمد بك مدير هذه المجلة أن اقترح على المجلس الأعلى للمعاهد الدينية فى جلسته المنعقدة فى ٣ جمادي الثانيـــة سنة ١٣٤٥ الموافق ٨ ديسمبر سنة ١٩٢٦ أن يدرج فى ميزانية المعاهد مبلغا يقوم بانشاء مجلة اسلامية ، فعهد اليه المجلس بوضع تقرير فى مشروع هذه المجلة على أن يعرضه عليه فى جلسته المقبلة ، وفى ٨ محرم سنة ١٣٤٦ — الموافق ٢٧ يوليو سنة ١٩٢٧ عرض حضرته هذا التقرير على المجلس فكان من المجلس أن قرر تأليف لجنة من حضرات أصحاب الفضيلة الأساتذة : المدير العام للمعاهد الدينية المرحوم الشيخ احمد هارون ، وشيخ معهد الاسكندرية

لذلك العهد الشيخ محمد عبد اللطيف الفحام وكيل الجامع الازهر ، وشيخ معهد طنطا المرحوم الشيخ عبد الغنى محمود ، وعهد اليها ببحث ما احتواه التقرير من الاقتراحات فنظرت اللجنة فى التقرير وقدمت نتيجة بحثها الى المجلس ، وحينما أخذ ينظر فى ميزانية سنة ١٩٢٩ ادرج فيها مبلغا للانفاق على هذه المجلة ، اذ وثق بأنها عمل صالح وفاتحة نهضة مباركة

ولما أسندت مشيخة الازهر الى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الأحمدي الظواهرى كان من أول ما توجهت اليه عنايته مشروعُ هذه المجلة ، فأخذ يدبره بجد وحكمة حتى لانت صعابه ، وتهيأت بتأييد الله أسبابه

وفضل هذا المشروع الاسلامى الجليل عائد فى الحقيقة الى حضرة صاحب الجلالة مولانا ملك مصر المعظم احمد فؤاد الأول حرسه الله ، فان جلالته سار على سنن أسلافه الأماجد ، فأقبل يرفع صروح العلم ويحوط العلماء بالرعاية حتى نال الأزهر الشريف وعلماؤه من هذه الرعاية أوفر نصيب

فاقبال جلالته على هذا المعهد الاسلامى بعناية ضافية قد وطد في نفوس رجال العلم الأمل في أن تكون دعوتهم الى سبيل الخير ناجحة ، وجعل الأزهر بمكان القادر على أن يصرع كل ضلالة وينهض بكل صالحة

خرجت هذه المجلة وهى تحمل سريرة طيبة ، لا تنوى أن تهاجم دينا بالطعن ، ولا أن تتعرض لرجال الأديان بمكروه من القول ، اذ لايعزب عنها ما يحدث عن مثل هذا القصد من الفتن وبواعث التفرقة بين سكان الوطن الواحد وهم فى حاجة الى السكينة والتعاون على المصالح فردية كانت أو اجتماعية

خرجت هذه المجلة بعد أن رسمت لنفسها خطة لاتمس السياسية في شأن ، وقصارى مجهودها أن تعمل على نشر آداب الاسلام واظهار حقائقه نقية من كل لبس ، وتكشف عما ألصق بالدين من بدع ومحدثات ، وتنبه على ما دس في السنة من أحاديث موضوعة وتدفع الشبه التى يحوم بها مرضى القلوب على أصل من أصول الشريعة ، وتعنى بعد هذا بسير العظماء من رجال الاسلام ، وإن فى سيرهم لتذكرة لقوم يفقهون ، ويضاف الى هذا ما تدعو فائدته الى نشره من المباحث القيمة علمية كانت أو ادبية ، وسترى هذه المقاصد ان شاء الله مودعة في الأبواب المفصلة على ما يأتى :—

التفسير ، السنة ، السيرة النبوية ، أصول الدين ، دفع الشبه ، أصول الفقه ، الفتاوي والأحكام ، العلوم والآداب ، آراء الباحثين ، التاريخ ، السير والتراجم ، أنباء العالم الاسلامى ، الطرف والملح

تتناول المجلة من مباحث هذه العلوم والفنون ما يدعو الحال الى نشره ، ولا تحكى رأيا خارجا عن نهج الصواب الا أن تقرنه بما يكشف عن كنهه ، وستتحرى بتوفيق الله تعالى الطريقة التى تتجلى بها سماحة الدين فى بهاء طلعتها وصفاء ديباجتها ، وتراعى في تحريرها الأساليب التى تألفها أذواق القراء ، ويجتلون فيها صور المعانى ماثلة أمامهم لا لبس فيها ولا التواء

تناقش المجلة الأشخاص أو الجماعات الذين يقولون فى الدين غير الحق ، مقتدية في مناقشتها بأدب قوله تعالى (أُدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) وإذا كان هذا أدبها مع قوم هم عن الحق غافلون ، فأحرى بها أن تأخذ به في مناقشة آراء العلماء اذا رأت في بعضها انحرافا عما تقتضيه نصوص الشريعة أو أصولها الثابتة الواضحة ، نذكر هذا ليلحظه الذين يرغبون في مراسلة المجلة ببعض منشآتهم الموافقة لمنهجها

ومن أجل أن يكون جهاد هذه المجلة متصلا بالحركة الفكرية فى البلاد الاوربية أنشئ في ادارة المجلة قسم لترجمة ما يجئ فى الصحف الأجنبية من مباحث علمية او مقالات يتحدث فيها عن الاسلام ، غير اننا لا نضع أمام القراء مقالة فى الاسلام صدرت من غير منصف الا أن نصلها بما يستبين به خطأ كاتبها ناقلا كان او مدعيا

هذا غرض المجلة وهو بلا ريب غرض نبيل ، وهذه خطتها وهى كما عرفت خطة من يمشى على سواء السبيل ، وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل ؟

محمد الخضر حسين





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين
قال الله تعالى . وهو أصدق القائلين . حكاية عن سيدنا ابراهيم . عليه الصلاة والسلام والمؤمنين به . رضى الله عنهم

(ربَّنا عليك توكَّلْنا (١) واليك أنَبْنا (٢) واليك المصيرُ)

هذه الآية الكريمة . هى الآية الرابعة . من السورة الستين . سورة الممتحَنةِ .
قد أرشدنا الله جل ثناؤه . قبل هذه الآية . إلى أن لنا أسوةً حسنةً . وقدوة محمودةً . في سيدنا ابراهيم عليه السلام . وكذلك في قومه الذين آمنوا به . واتَّبعوا النورَ الذى أنزل معه — لجعلهم جميعاً إماماً متبعاً . نستن بهم . ونهتدى بهديهم . ونستقيم على طريقتهم . لننصر دين الله الذى شرعه لنا ، حتى ينجز لنا ما وعدنا من استخلافه لنا فى الارض . كما استخلف الذين من قبلنا . وحتى يمكن لنا ديننا الذي ارتضاه لنا . فضلا منه سبحانه ونعمة
أرشدنا أولا الى هذا . ثم بين لنا في هذه الآية . دعاءهم له سبحانه وضراعتهم ولجأهم إليه . وأنه هو وحده الذى عليه يعتمدون . واليه دون سواه يفوضون ما استعصى عليهم . ويستمدون المعونة فيما عجزت عنه قُدَرهم . وأنه سبحانه مولاهم الذى ينيبون اليه . يرجون رحمته . ويخافون عذابه . وأنهم اليه وحده راجعون .
نادى سيدنا ابراهيم وقومه ربهم . جل وعلا . وناجوه بأنهم عليه توكلوا . وإليه فوضوا أمورهم . فوجب علينا اذن . (وقد أُمرنا بالتأسى بهم . والاستنان بسنتهم) أن نرجع الى ما قصه الله تعالى علينا في كتابه من قصصهم . وبينه من أخبارهم وأحوالهم . ومحاجتهم لقومهم .

---

(١) اعتمدنا فيما عجزت عنه قدرتنا (٢) رجعنا بالتوبة الصحيحة التى ترضاها .

إذا رجعنا إلى ذلك . علمنا أنه عليه السلام . وكذلك قومه المؤمنون به . الذين استقاموا على سنته واتبعوا هديه . قد بذلوا فى سبيل الله وتبليغ دينه ونصرته . ما استطاعوا من قوة فبينوا لقومهم وحى الله تعالى . وشرحوا لهم دينه القويم . ووعظوهم ونصحوهم . وأيقظوا من نفوسهم اليه . ووجهوا من عقولهم نحوه . مثبتين لهم صدقه بالدليل الصادق الصادع . منيرين لهم طريق الوصول اليه بالبرهان النير الساطع . حتى لم تبق لمتحير شبهة . ولا لمكابر منفذ . ولا لمادى وهم أو خيال . هذا الى عدم مبالاتهم . بما توعد به أعداؤهم من الرجم والقتل والتحريق . لا يبتغون بذلك إلا امتثال أمر الله . ونصرة الحق على الباطل . ورضا الله تعالى عنهم فى الدنيا والآخرة .

رجعنا إلى قصصهم فى القرآن العظيم . فتبين لنا ما ذكرناه لك . وعرفنا انهم بذلوا ما استطاعوا . وسخوا بما وصلت اليه قُدَرهم . ثم انهم بعد ذلك . لجأوا إلى الله القادر الكريم . واستعانوه أن يتولى أمورهم . وأنابوه سبحانه عنهم فيما عجزوا عنه . لأنه وحده القادر عليه . المتفضل به . وهذا هو ما حكاه سبحانه عنهم . من قولهم : (ربَّنا عليك توكلنا)

من هذا كله يتبين لنا نحن المسلمين أن التوكل الذي أمرنا به ربنا جل وعلا . ليس كما رمانا به غيرنا . وقلدهم فيه الجهلة من المسلمين . فزعموا أن التوكل الذى جاء به الاسلام . هو السبب الذى أدى الى تهاون المسلمين . وكسلهم وتفريطهم . وتثاقلهم الى الارض . وميلهم الى الدعة والراحة . وكراهيتهم لتحمل المتاعب والمشاق . في مزاولة الاعمال والتقلب في البلاد . والضرب في الارض بالاسفار برا وبحرا . الى غير ذلك مما تقوم عليه المصالح . وتستقيم به الحياة .

زعموا هذا وقلدهم فيه المقلدون . فكانوا فى حكمهم بهذا على الاسلام وأهله من القاسطين الظالمين .

ولو أنصفوا لسلكوا للحق سبيله . فتعرفوا حقيقة التوكل الذى أوجبه الله تعالى على عباده فى دين الاسلام — وإذ ذاك تتضح لهم حقيقته . ظاهرة جلية . قد أوجبتها العقول الانسانية السليمة المنصفة . كما أوجبها دين الاسلام الحنيف .

ذلك أن التوكل الذى فرضه الله جلت قدرته ، هو كما قدمناه لك فى دعاء سيدنا ابراهيم وقومه . أن يعتمد العبد على ربه القادر على كل شئ . ويكتفى به سبحانه في تولى شؤونه التى تعاصت عليه وسائلها . ويفوض اليه أموره التى قصرت قدرته دون أسبابها . ولكن بعد أن يكون قد استنفد جميع ما عنده من قوة وأفرغ جهده فيما قدر

عليه من تفكير وتدبر ، وأتى على جميع ما اهتدى اليه من الاسباب . وزاول ما امكنه من الوسائل التى وفقه الله تعالى لها

فاذا ما نفدت الوسائل التى يمكن أن تتناولها قدرته الانسانية . وبقى الشطر الثانى وهى الوسائل التى تفردت بها القدرة العظمى الالهية التى لا يعجزها مقدور، لم يكن هناك مفر من أن يلجأ ذلك العبد العاجز إلى الله القادر . مستعينا به على ما عجزت عنه قدرته متوكلا عليه فيما وقفت عنده استطاعته . عسى أن يتم عليه نعمته . ويحقق له طلبته فيسهل له ما تعسر عليه أو تعذر .

قلنا إن توكل العباد على ربهم فيما عجزوا عنه حكم قضى به سبحانه فيما شرعه في الدين الاسلامى . بل انه كذلك فى كل دين سبقه — فمن ذلك ما ختم به سيدنا يعقوب عليه السلام وصيته لأولاده . إذ يقول : (وَمَا أُغْنِى عَنكُمْ مِنَ الله مِنْ شيء . إن الحُكمُ الا لله عَلَيْهِ تَوَكَّلتُ وعليهِ فَلْيَتَوكلِ المتَوكِّلونَ) .

وقول سيدنا موسى عليه السلام لقومه . يثبت من قلوبهم . ويهون عليهم من أذى فرعون وقومه (يا قَوْمِ إنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بالله فعليْه تَوكلوا إنْ كُنْتُمْ مُسلمين)

حكم الله سبحانه بذلك في كل دين شرعه . ثم حكم به كذلك العقول السليمة والفطر الزكية . فكان أمرا لزاما . لا مندوحة منه ولا مفر

على هذا جرَت سنة الله العليم الحكيم . أنه لا يَشرعُ لعباده إلا ما يكون فيه صلاحهم وخيرهم . وتعقله العقول الراجحة . وتتقبله النفوس الكاملة المتدبرة .

من هنا يتضح لك أن العقل الصحيح والدين أخوان شقيقان . بينهما كالُ الاتصال وتمامُ الاتفاق . لا تتفرق سبلهما . ولا تتنافر نتائجهما وثمراتهما .

قالوا : إن الدين والعقل عدوّان . ونقيضان لا يجتمعان — قلنا : صدقتم اذا أردتم دينا ما أنزل اللهُ به من سلطان . أو عقلا عَلِمَ علما ناقصا . لم يُؤتَ الناسُ منهُ إلا قليلا . فعلموا منه شيئاً . وغاب عنهم منه اشياء

أما الدين السماوي الألهى . والعقلُ الكامل السليم . فانهما الشقيقان اللذان جعلهما الله تعالى . الأساس المتين لسعادة النوع الانسانى . فى الدنيا والآخرة

لا تعجب من قول الذين جهلوا الاسلام . (إن التوكل هو السبب فى انحطاط المسلمين وجعلهم فى أخريات الامم) - بل اعجب كل العجب من فعلهم . فانك تراهم يبرمون ما ينقضون . ويفعلون ما لا يقولون

ترى التاجر منهم مثلا . يرسل تجارته بحرا من قطر الى قطر . بعـــد أن يأخذ العـدة لحفظها . ويتمم كل الوسائل لسلامتها وصيانتها . ولكنك لو اطلعت على ما فى نفسه . لوجدتها وجـلة تخشى أن تصيب تجارتها جائحة أو كارثة . من حرق أو غرق أو ضياع . أو غير ذلك مما لا قبل لها به — ولوجدتها أيضا متوجهة مستنجدة بقدرة عظمى لا تحيط هى بحقيقتها . ولا تدرى كنهها ، تستنزل منها الحفظ والصيانة لتجارتها . وتسألها كل وسائل السلامة التى عجزت هى عنها .

اليس الأمر فى الواقع كذلك ايها العقلاء المنصفون ؟ بلى

إذنْ (فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا)

وأنفقوا من مواهب عقولكم ومداركم فى تفهم الاحكام وما شرعه الله العليم الحكيم . لسعادة عباده واستقامة دينهم ودنياهم . (واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم)

ارشد الله عز وجل . ان نتأسى بسيدنا ابراهيم عليه السلام . وبالمؤمنين به . وان نأتم بهم فيما كانوا عليه . وبين لنا انهم توكلوا عليه فيما عجزوا عن ادراكه . بعد ان سلكوا من سبل صلاح احوالهم ما استطاعوا

فهل نحن المسلمون الآن . قد ائتمرنا بهذا الأمر . وتأسينا بهذه الأسوة الحسنة . أم هل نبذنا أمر الله ظهريا . واستثقلنا أخف الأعمال . وعادينا الأسباب حتى حرمنا من المسببات . وفرطنا فى الوسائل المقدور عليها حتى جهلناها . وصرنا كمن قال الله تعالى فيهم (وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا . وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا)

حقا لقد كنا من هذا الفريق الاخير . الذى قال الله تعالى فيه ما قال . (وَمَن أصدَقُ مِنَ الله قِيْلاً)

ليت العاقبةَ السُوءى لأعمالنا واهمالنا . كانت مقصورة علينا نحن لم تتناول ديننا الحنيف — لكنها النقمةُ لا تختص بالجانى . بل عادت بالسُمعة السيئة على الاسلام الذى هو الدين عنـد الله . وهو الذى امتنّ الله العليم الحكيم به علينـا فى قوله : (اليومَ اكملتُ لكم دينَكم . وأتممتُ عليكم نعمتى . ورَضيتُ لكم الاسلامَ دينا) تناولته حتى عابه غيرُنا وطعنوا فيه . واتهموه باقبح القبائح وأفحش المثالب زعما منهم أن ما رأوه فى بعض من ينتسب الى الاسلام من الصفات الذميمة . والكسل والخمول والخمود . انما هو نتيجة من نتائج الاسلام . وأثر من آثار تعاليمه .

لكن . ألم يكن الجدير بهم . أن يجتهدوا فى الوقوف على حقيقة الدين الاسلامى . حتى يتبين لهم الرشد من الغى . ويعلموا أن الاسلام برىء مما أتهمه به من جهلوه . وأن المستحق للذم والتعييب إنما هم الذين فرطوا فيه . وخالفوا نواهيه . حتى شوهوا محاسنه واضاعوه . ولكن (لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً)

واعجبا ! قالوا إن عندهم محاكم العدل . لانها لا تحكم في الاقضية إلا بعد التمحيص والتحقيق والوصول الى خفاياها واسرارها . وربما طال عليها الأمد سنين . حتى يسأم القضاة والمتقاضون .

قلنا : نعم ما أنتم عليه . حتى يتميز الخبيث من الطيب . والحق من الباطل — ولكن ألم يكن حكمكم على الاسلام هو الاولى والأحق بهذه العناية وذلك التحري حتى لا يكون الحكم عليه حكم الجهالة ظلما وعدوانا ؟

ألم تعلموا أن هذا الدين الذى حكمتم عليه حكمكم هذا قد حذر المؤمنين به أن يحكموا مثل هذا الحكم الجائر . إذ يقول الله تعالى فى قرآنه : (يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) هذا ثم أردف عليه السلام . هو والذين آمنوا معه دعاءهم الاول بدعاء ثان فقالوا : (واليك أنبنا) .

اظهروا عجزهم أولا . وشكوا ضعفهم عن نيل مرادهم من نصرة الحق ونشره . إلا بتيسير الله القوى المتين . ومزيد توفيقه وتأييده لهم . ثم توسلوا اليه سبحانه . بانهم أنابوا اليه . ورجعوا إلى عفوه ورحمته . وعادوا إلى واسع فضله واحسانه . عسى أن يمدهم بروح منه . وهو القريب المجيب . فيزدادوا قوة على قوتهم . ويتضاعف عددهم . ويضعف عدوهم . ويعلو الحق وانصاره . ويسفل الباطل واشياعه

لقد سار سيدنا ابراهيم عليه السلام . هو واتباعه . هذه السيرة المرضية . وهى إنابتهم الى الله القادر على نصرهم . واتبعوا فيها القانون الالهى العقلى . وهو تقرب المحتاج الى القادر المتفضل . بما يكون به راضيا عنه . مرجوء الاجابة — وذلك انما يكون بالتوبة مما قد يكون هفوة من أمثاله . مع صدق العزيمة وخلوص النية . والاسف واليقظة والحذر من الوقوع فى مثل ذلك مرة ثانية . كل ذلك انتصارا للحق . وإبتغاء رضا الله تعالى وحسن مثوبته .

هذا هو القانون العدل الذى لا يقبل العقل غيره . ولهذا قضى الله الحكيم . (والله يقضى بالحق)

قد عرفت أن الله سبحانه . قص علينا فى هذه الآية ما حصل من سيدنا ابراهيم عليه السلام ومن أتباعه المؤمنين . وأمرنا ان نأتم بهم ونتأسى . وقد عرفت تفصيل ذلك كله فيما قدمناه لك .

عرفت أنهم فعلوا ما استطاعوا . وبذلوا ما قدروا عليه . ثم دعوا الله عز وجل أن يكون وكيلا عنهم فيما عجزوا عنه — ثم توسلوا بعد ذلك بالتوبة النصوح . والانابة الخالصة . الى الله تعالى . استزادة للقرب من عفوه وفضله . واستجلابا للمزيد من رضاه ورحمته . (إنَّ رحمة الله قريبٌ من المحسنينَ .)

سمع الله القريب المجيب دعاءهم . وحقق رجاءهم . وقواهم بعد ضعف . ونصرهم على أعدائهم . ونجاهم من كيدهم . وبارك على رسوله سيدنا ابراهيم عليه السلام . وجعل فى ذريته النبوةَ والكتابَ وآتاه أجرَه في الدنيا . وجعلَ له لسان صدق في الآخرين . وإنه فى الآخرة لمن الصالحين .

ان المسلمون الآن . فى مشارق الأرض ومغاربها . لا يخفى سوء أحوالهم على أحد فقد صار دينهم في دياره ضائعا محاربا فيما بينهم . لا معين له ولا ناصر . ولا حافظ له ولا حارس . ولا مدافع عنه ولا مناضل

على أن المصيبة فيه لم تقف عند هذا الحد . بل صار الذم فيه والطعن في محاسنه والاستهزاء به والزراية عليه — بل الحاد فيه وتحويل الناس عنه . في كتابة الكتاب . وخطب الخطباء . فى المحافل والمجامع على رؤس الأشهاد . صار كل ذلك منتشرا فاشيا . يكاد لا يجد منكرا ولا رادعا — وتراه كل آن في ازدياد . ولا يدرى إلا الله ماذا يكون المآل (ولله عاقبة الأمور)

كما صار المسلمون في هذه الحال السيئة فى دينهم . كذلك صاروا في مثلها في دنياهم فصاروا فى عبودية بعد سيادة . ورِق بعد حرية . وتقييد بعد اطلاق . وجهل بعد علم . وضعف بعد قوة . وفقر بعد غنى وذل بعد عز . وضيق بعد سَعة . وسوء بعد حسن

الى ذلك صاروا وهم به يعلمون . ومنه يألمون — وتراهم مع ذلك يسمعون قولَ الله تعالى : (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبتْ أيديكم) وقوله : (ظهر الفسادُ فى البر والبحر بما كسبتْ أيدي الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون) وقوله (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى (١) دون العذاب الأكبر (٢) لعلهم يرجعون)

---

(١) أى الاقرب . وهو عذاب الدنيا . (٢) هو عذاب الاخرة . وزمنه بعد زمن عذاب الدنيا .

ولكنهم لا يرجعون . بل انهم على ما هم فيه عاكفون . ومنه مستكثرون مستزيدون

ماذا على المسلمون . هداهم الله ووفقهم . لو استيقظوا من سُباتهم وأفاقوا من غمرتهم . وأصلحوا من شأنهم ورأبوا من صدعهم . واستشفوا من أمراضهم ؟

لا ريب أنهم يعودون في عزة وصلاح فى دينهم ودنياهم كما كان اسلافهم الصالحون من قبلهم ـ وما ذلك على الله بعزيز ـ اذا استنوا بسنتهم . واستقاموا على طريقتهم . ولعلهم يفعلون .

ذلك بأن الله تعالى . قص علينا قصص سيدنا ابراهيم عليه السلام والذين آمنوا به ثم أرشدنا الى الاقتداء بهم فيما فعلوا . فكان ذلك منه سبحانه بيانا وتعليما لنا كيف نداوى ادواءنا . ونعالجُ امراضنا . ونصلحُ ديننا ودنيانا (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله . إن الله خبير بما تعملون) (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسله والمؤمنون . وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)

ثم إنه عليه الصلاة والسلام والذين آمنوا به ختموا ضراعتهم وابتهالهم الى الله تعالى بقولهم : (واليك المصير) إقراراً منهم بأنه رب العالمين . وأنهم سيرجعون اليه وحده (يومَ تأتِى كل نفسٍ تجادلُ عن نفسها . وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون)

حسن منصور
وكيل دار العلوم العليا

الطُرف والمُلح

قال سيدنا على رضى الله عنه : أَجموا (١) هذه القلوب . والتمسوا لها طرق الحكمة . فانها تمل كما تمل الابدان . والنفس مؤثرة للهوى . آخذة بالهوينا . جانحة الى اللهو . أمارة بالسوء . مستوطنة بالعجز . طالبة للراحة . نافرة عن العمل . فان اكرهتها انضيتها . وان أهملتها أرديتها .

وقال سيدنا عمر رضى الله عنه : عليكم بطرائف الاخبار . فانها من علم الملوك والسادة . وبها تنال المنزلة والحظوة منهم .

---

(١) روضوها واريحوها

أصول الدين

الإيمان بالله

علم الطبيعة برئ مما نسبوه اليه وافتروه عليه

أدلة وجود الله

منينا في هذه العصور التى يجدر بنا أن نسميها عصور الزور والاثم والفجور بقوم ينسبون إلى العلم ما يتبرأ منه العلم، فيعارضون كل شئ جاءت به الديانات بحجة أن العلم يأباه وقد وثق بهم كثير من الناس لما بهرهم من آثار ذلك العلم المادى التى تسبى الانظار وتدهش الأفكار فظنوا أن كل ما يقولون من جنس هذه المنظورات وأن لهم من التجديد فى المعقولات ما لهم من التجديد فى المخترعات ولكن فاتهم أن هؤلاء المتفيهقين المتحاملين على الأديان إنما برزا فى المحسوسات لا فى المعقولات وفي علوم الطبيعة لا فيما وراء الطبيعة، ولما لم يمكنهم أن يكذبوا على علم الطبيعة في المحسوس كذبوا عليه فى المعقول فكانوا كالمدلس الذي لا ضمير له أو لا منطق له فهو يخلط الحق بالباطل والصحيح بالعاطل فخانوا العلم وغشوا الناس جهلا بالدين وبغضاً فيه وتحاملا عليه مع ملاحظة أنهم ليسوا أهل منطق ولا استدلال وليس لديهم غير ذلك التمويه الباطل وتلك الثرثرة الفارغة التى ليس فيها ظل من برهان ولا إثارة من علم، وكثيرا ما يشتبه عليهم القياس الفاسد بالقياس الصحيح والتخمين باليقين والاستحسان بالبرهان وكثيرا ما تكون المسائل هناك في محل الفرض أو الأخذ والرد فيحسبونها علماً وهى في أول مرحلة من مراحل البحث العلمى. وطالما تناقضوا (والمبطل لا بد أن يتناقض) فبينما هم يقررون أنهم متمسكون بالمحسوس ولا يقولون بغير ما وقع عليه العيان إذ تراهم يخبطون خبط عشواء فى ظلمات الأوهام متخطين تلك الحدود التى رسموها لأنفسهم إلى حضيض الخيال والتظنن والتخرص، على أن الملحدين عندنا أجهل وأقل من أن يقال أن لهم شيئاً

يتقدم به العلم المحسوس أو المعقول ، وأصغر من أن يكون لهم فيه ظن أو استحسان وإنما هم أذيال لأولئك الماديين المتعصبين الجاهلين كالمنافق الغُمر الذى يقول سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته فهؤلاء لا يعدون من رجال العلم وإنما يعدون من صبية ملاحدة الغرب اللذين يصفقون لهم كلما سمعوا شيئاً من الترهات أو الخرافات (والمصفق يصم الآذان ولا يعرف البرهان) ولنسق إليك بيان علم الطبيعة وحدوده التى يقف عندها ولا يخرج عنها لتعلم أن هؤلاء كما مرقوا من الدين مرقوا من العلم وكما برئوا من الصدق برئوا من المنطق وكما قتلوا ضمائرهم أرادوا أن يقتلوا الحق أيضاً فنقول :

إن علم الطبيعة علم تعرف به علاقات الأشياء بعضها ببعض ولا بحث له عما وراء ذلك فاذا سألته عن حقيقة الأشياء أو عن أوائلها ومصيرها أجابك : ذلك خارج من حدودى وليس من اختصاصى .

فالطبيعى إنما يبحث عن الطبيعة وظواهرها بعد وجودها وتحققها لا قبل وجودها وظهور مقتضياتها كما لا بحث له عمن أوجدها ولا لماذا أوجدت فيها تلك الظواهر ولا كيف أودعت فيها تلك الخواص .

فعلم الطبيعة يعرفنا مثلا أن جزءاً من الاوكسيجين وجزءين من الادروجين تكون ماء ولكن كيف كون هذان العنصران ماء مع أن الاوكسيجين عنصر محرق متى لقيه شئ قابل للالتهاب التهب والادروجين عنصر لا يعيش فيه الحيوان وكذا الأزوت الداخل في تركيب الهواء بنسبة ٧٩ ٪ فكيف كونا ماء أو هواء تكون به الحياة واحدهما محرق والآخر مميت اذا سألته هذا السؤال أجابك أنه عاجز عن تعليل ذلك وإن هو إلا علم تجربة فقط فما أدت اليه التجربة العملية جعله قانونا من قوانينه وإن كان لا يعرف لماذا كان ولا كيف كان فضلا عن أن يعرف أول الأشياء وآخرها أو كنهها وحقيقتها . ولديك هذا الغذاء تعرف من أحواله أنه يهضم فى الفم هضما أول ثم يهضم فى المعدة هضما ثانيا وتعرف أن في المعدة عصارة تساعد على الهضم ثم يخرج منها إلى الامعاء الدقاق فيهضم فيها هضما ثالثا ويساعد على ذلك العصارة البنكرياسية التى أوجد لها الحكيم العليم تلك الغدّة التى تفرزها ويساعد عليها أيضاً الصفراء التى تفرزها الكبد إلى آخر ما هو معروف ولكن كيف تمثل ذلك الغذاء عيناً وفماً ويداً ورجلا ومخاً مدركاً الخ . أو تقول كيف تمثلت تلك الاصناف التى تأكلها من البقول والخضروات والفواكه الخ انساناً سميعاً بصيراً عالماً متكلما ؟ إذا قلت للطبيعى كيف صارت هذه

الاشياء انساناً ؟ ولو حدثنا أحد بذلك ما صدقناه لولا أننا نرى الأمر عياناً فى كل وقت أو قلت له : كيف انقلب هـذا التراب زرعا وزيتونا ونخيـلا وأعنابا وثمرات مختلفـة الأشكال والطعوم والألوان ؟ لو سألته مثل هذه الأسئلة لأجابك انى لا أعرف لذلك سراً ولا أفهم له معنى ولـكنى أقرر لك ما أثبتته المشاهدة وأوصلتنى إليه التجربة فاما ما وراء ذلك فليس من علمى ولا هو داخـل تحت اختصاصى ولذلك قال سبنسر الفيلسوف الانجليزي الـكبير «ليس الغرض من تعلم علم الطبيعة معرفة هـذه الظواهر التى يعرفها تلامذة المدارس وإنما الغرض الاسمى أن نقف على ذلك السر الباهر من وراء تلك الحدود التى ينتهى اليها علم الطبيعة » وقال باكون وهو أستاذ أساتذة علم الطبيعة : « من أخذ عـلم الطبيعة رشفاً بالشفاه كان ملحداً ومن شربه عباً أوصله إلى الخالق » .

وفى (سبيل السعادة) نقلا عن (مجلة الحياة) هذه العبارة الطريفة « جاء فى أعداد المجلة الطبية الباريسية هذه الجملة (ليست الفكرة الواحدة إلا اتحاداً يشبه اتحاد حمض الفسفوريك والتفكر نفسه ناتج من الفسفور الذى هو فى تركيب المخ) فرد عليها العلامة الطبيعى الشهير كاميـل فلامريون قائلا : « من أخـبركم بذلك يا حضرات المحررين ؟ إن الناس يتوهمون أن معلميكم يعلمونكم هذه الهذيانات مع أن الأمر بخلاف ذلك لأن هذه الادعاءات ليست أمام النظر العلمى إلا هباء منثوراً على أنى لا أدري أى الأمرين يستحق أن تتعجب منه أكثر ، أمن الجسارة الصادرة من هؤلاء الممثلين العجيبين للعـلم أم من سخافة ادعاءاتهم ، ان (نيوتن) كان يقول (يظهر لى) (وديكارت) كان يقول (إنى استنزل حلمكم في هذه الفروض) ولـكن هؤلاء يقولون : نحن نثبت . نحن ننكر . هذا موجود هذا غير موجود . العلم قد حكم . العلم قد أقر . العـلم قد أدحض . مع أنه ليس فيما يقولون ظل من البرهان العلمى إلى أن قال : إنـكم تتجاسرون أن تعزوا إلى العلم هذا العبء الثقيل ولئن سمعكم العلم أيها السادة (ويجب أن يسمعكم لانكم من أبنائه) لضحك استهزاءاً من غرورکم انـكم تقولون : العلم يثبت . العلم ينفى . العلم يأمر . العلم ينهى . وبذلك فأنتم تضعون على شفتى هـذا العلم المسكين هذه الـكلمات الضخمة وتدخلون إلى فؤاده هزة الـكبر والعجب » اه كلامه . فأنت ترى مكان تلك الطنطنة الفارغة أمام الفلسفة الصحيحة والعلوم الحقة التى يعرفهـا (كاميل فلامريون وأمثاله) وقال البحاثة الـكبير (توماس كارليل) فى هؤلاء المتشدقين الذين ضغطوا على وجـدانهم حتى قتلوه وعلى عقولهم حتى أزهقوها ثم دفنوها فى مقبرة المحسوسات .

قال إنهم يحصرون هذا الكون وما به من شتى المناظر والاشكال والاصوات والحركات العديمة العدد والنجوم والغيوم والقفار والبحار فى اسم مركب من بضعة احرف (طبيعة) فيطوون جلاله العظيم فى أثناء لفظ حقير. إن للكون لروعة في القلب أى روعة وموقعا أى موقع لو ظهر عاريا من تلك الحجب التى غطت جماله ورونقه إلى ان قال: « أما ظاهر الكون فقد عرف العالم عنه شيئا، وأما الباطن فهو سر عميق لا ينفع معه علم عالم ولا تجربة كيماوي انما اولى بالمرء فى هذا المقام الاذعان والخشوع، وللجهل هنا افيد من العلم وما يستفيده المتوحش الجاهل من جمال الطبيعة بشعوره اكثر مما يكتسبه المتمدين العالم بمنظاره وكيميائه » إلى ان قال « صنع العلماء فى اسرار الكون الرائع الذى يتضاءل العلم فى حضرته ويذل لعزته وعظمته ويطفو على موجة المتلاطم كريشة في مهب الريح » الى ان قال « ان هذا الكون على رغم العلم ودعواه لا يزال عجيبة العجائب ومعجزة المعجزات » ثم قال « أليس أقصى ما نستطيع ان نعلم عنه انه قوة مركبة من الف الف قوة وانه شئ ونحن شئ آخر فهذا كل ما يمكننا معرفته، الكون شئ ونحن شئ غيره قوة فى قوة فى قوة فحيثما القيت البصر الفيت قوة ونحن بين هذه القوى المختلفة قوة مجهولة خفية » ثم يقول: لا أخال أنه يجتمع الالحاد والتفكير في هذه القوى الفعالة الذاتية المحدقة بنا والتى لا تكل ولا تنى ولا تفتر ولا نعرف لها اولا ولا آخرا ولا مبدأ ولا نهاية (فقضى على الملحدين انهم غير مفكرين) الى ان قال: ثم يجئ العلم بمنظاره وآلاته فيجعل يقلبها ويديرها كأنما هى جثة ميتة توضع فى الزجاجات وتباع في الحوانيت. إلى آخر ما قال. وقال العلامة الطبيعى الانجليزى (ميلين ادوارد) يجب ان يدهش الانسان حينما يرى ان امام هذه المشاهدات الناطقة المتكررة رجالا يدعون لك ان كل هذه العجائب الكونية ليست إلا نتائج المصادفة او بعبارة اخرى نتائج الخواص العامة للمادة واثرا لتلك الطبيعة التى تكون مادة الخشب ومادة الاحجار وان الهامات النمل بل اسمى مدركات القوة الانسانية ليست الا نتيجة عمل القوى الطبيعية او الكيمائية ان هذه الفروض الباطلة او بالاحرى هذه الاضاليل العقلية التى يسترونها باسم العلم الحسى قد ادحضها العلم الصحيح ادحاضا فان الطبيعى لا يستطيع ان يعتقدها ابدا وإذا أطل الانسان على وكر من اوكار بعض الحشرات الضعيفة يسمع بغاية الجلاء والوضوح صوت العناية الآلهية ترشد مخلوقاتها الى اصول اعمالها اليومية »، ثم نقول

لهم بعد ذلك على سبيل التنازل هل عدم الدليل يدل عدم المدلول وهل عدم العلم بالشيء يوجب العلم بعدم الشيء اما كنا نجهل الميكروبات والكهرباء ومكثنا على ذلك الوف السنين فهل نستنتج من ذلك عدمهما في الواقع ، وكذلك الراديوم مثلا لم يعرف الا منذ عهد قريب فهل كان معدوما قبل ان تستكشفه تلك السيدة التى ابرزته الى عالم الظهور ، واي فرق اذن بينكم وبين زنوج افريقية المتوحشين الذين ينكرون مرقم الخطاب الجوى (التلغراف اللاسلكى) مثلا لعدم علمهم به وتصورهم اياه اللهم انا نرفع الصوت عاليا بأنكم في انكار الأشياء حتى تروها بأعينكم مثل أولئك الزنوج لا فرق بينكم وبينهم فأن حجتكم هى حجتهم وما تستندون اليه عين ما يستندون اليه وكان ينبغى أن تربأوا بأنفسكم عن تلك المخجلات وترتفعوا بها عن ذلك المستوى الذى فيه أولئك الهمجيون المتوحشون ، بل نقول لهم أكثر من هذا ولا نخشى فى الحق لومة لائم إن الوقوف مع الحس وعدم تخطيه انما هو شأن البهائم التى لا تعرف غير المحسوس ولا يمكنها أن ترتقى إلى ما فوقه فهذه فلسفة بهيمية لا انسانية ، ثم نقول بعد ذلك إن العلم الذى يستندون اليه كثيرا ما ينقض اليوم ما قرره بالامس فقل لى بعيشك أى ثقة تبقى لهذا العلم بعد ذلك وأى علم هو ذلك الذى يوجب هذا التبجح وتلك الكبرياء التى جعلتهم يحكمون على السموات والارض ويخرجون على الله ورسوله وينفون جازمين ويثبتون موقنين وكلما عرتهم مشكلة فى الكون حلوها بعبارة فارغة لا معنى لها عند من لا يقدسهم ولا يهابهم . وما اجدرنا أن نقول لمن يتفلسف ذلك التفلسف الفارغ الذى عرفت قيمته ما قال بعض الفضلاء

يا من تفلسف كى يؤيد كفره	مع أنه لم يدر كنه وجوده
خسرتْ بسوق الفضل صفقةُ جاهل	تخذ العلوم ذريعة لجحوده

ولنذكر لك بعد هذا شيئا من الادلة الواضحة القريبة التى يطرب بها أهل الوجدان ويشهد لها أرباب صناعة البرهان فنقول

﴿ أدلة واضحة ﴾

كان ينبغى ألا يختلف الناس فى هذه العقيدة لأن دلالة الأثر على المؤثر والنظام على المنظم والفعل المحكم على الحكيم بدهية بل قالوا إن ذلك مما يدركه الحيوان فضلا عن الانسان فأنك إذا ضربت الحمار مثلا التفت ليرى من ضربه لأنه مركوز في فطرته أن الأثر لا يكون بلا مؤثر والفعل لا يكون بلا فاعل . فأذا رأيت كلمة مركبة من ثلاثة

احرف لم تشك في أن كاتبا كتبها وإن رأيت ساعة تشير إلى الاوقات ايقنت أن لها صانعا رتب أجزاءها وأعدها لتلك الغاية ، وما مثل من ينكر الخالق وهو أظهر من الشمس (لأن وجود الأثر فى نظر العقول ليس أقوى ولا أجلى من وجود المؤثر) الا كمن رأى خزان اسوان بالقطر المصرى أو برج إيفل بفرنسا فقال : ان ذلك على فخامته وضخامته لا يحتاج الى مهندس ولا صانع ، أو كمن رأى كتابا بديعا فى مبانيه بليغا في معانيه وفيه من الفلسفة العالية والافكار السياسية ما يفوق افكار افلاطون وفلسفة أرسطو ومن الأدب الرائع والشعر البارع ما يسمو على شعر المتنبى وادب ابى العلاء ، فلما نظر فيه عبس وبسر وفكر وقدر ثم قال : ما هذا الكتاب إلا اوراق كانت في صندوق وكان معها شيء من حروف الطباعة ثم هز الصندوق هزات متوالية فعملت حروف الطباعة فى الأوراق عملها فوجد ذلك الكتاب على ما ترون ، فهل ترى صاحب تلك الفلسفة بالجنون ، واذا كنت لا تسلم ان ساعة توجد بلا صانع وان باخرة توجد بلا مهندس بل لا تسلم أن كلمة صغيرة توجد بلا كاتب فكيف تسلم ان هذا الكون العظيم الذى يبهر العقول ويحير الالباب قد وجد بلا موجد ونظم بلا منظم وكان كل مافيه من نجوم وغيوم وقفار وبحار وليل ونهار وظلمات وانوار واشجار وازهار وشموس واقمار الى انواع لايحصيها العد ولا يأتى عليها الحصر ، قد وجدت بلا موجد يخرجها من العدم وينوعها الى مالا يحصى من الانواع ويمتعها بما شاء من الخصائص المختلفة والمزايا المتباينة والصفات المتقابلة علما منه بما يترتب على ذلك من الغايات وماله من جليل الثمرات ثم يحفظها بما أودع فيها وما هيأ لها وما أوجد بينها وبين غيرها من العلاقات والروابط التى ربطت العالم العلوى بالعالم السفلى وجعلتهما جميعا يؤلفان نظاما واحدا يرمى إلى غاية واحدة فكأن العوالم كلها في ترابطها وتضامنها أو نقول في تجاذبها وتضافرها على مقصد واحد تؤلف بيتا احكمه بانيه . فلست ترى شيئا صغيراً أو كبيرا الا لغرض سام وحكمة جليلة ، أو كأنها جسم واحد قد تعاونت اعضاؤه وتضافرت أجزاؤه واذا نظرت الى كل جزء من أجزائه بهرك ما فيه من حكم واسرار وما نيط به من منافع وآثار فاذا نظرت الى ما بين تلك الاجزاء من العلاقات وما فيها من الدقائق الخفيات والمناسبات المدهشات ورأيتها متآخذة يمسك كل منها بحجزة الآخر وهى مسوقة للسير الدائم لا تفتر ولا تنى ولا تعرف الهدوء ولا السكون ، علمت أن لها مدبرا دبرها ومقدرا قدرها وحكيما سيرها وقيوما يكلؤها بعينه التى لا تنام وقدرته التى لا ترام

وقد قال بعض الفلاسفة يكفيني من الدلالة على الله وجود الانثى بجانب الذكر فهل علمت الطبيعة أن النوع لا يبقى ولا يحفظ إلا بوجود المرأة فاوجدتها وغايرت بينها وبين الرجل واعدتها لما يراد منها فخلقت لها الرحم والمهبل ومتعتها بما يجذب الرجل اليها من صفات الجمال حتى فى صوتها ومنحتها ما يحتاج اليه طفلها الصغير . هذا معنى ما قال وهو يشبه ما قال افلاطون « يكفينا ما في العين من التدبير الذى جعلها في مكان من الحجاج وجعل لها الحاجب ليقيها من العرق أن يتساقط فيها والهدب ليقيها الغبار ولا يمنعها الضوء » وقد قال (فولتير) وهو من اكبر الفرنسيين : من قال إن طبقات العين العجيبة التى تدل كل واحدة منها على حكمة سامية قد وجدت بالمصادفة كان مصابا بافظع أنواع الجنون التى تلم بنوع الانسان وقال بعض فلاسفة اليونان لرجل يقول انى معجب بفلان المصور الذى يخرج لنا تلك الصور البديعة قال له ذلك الفيلسوف (واظنه افلاطون) من الذي يستحق الاعجاب اكثر ؟ من يصور صورة لا روح فيها أم من يصور صورة فيها روح ، وإن شئت بعد ذلك فانظر إلى الانسان وما فيه من العجائب فنظرك فيه يكفيك « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » ولسنا ننهج بك نهج الفلاسفة الذين يقولون ان كل شئ ممكن وكل ممكن لاشئ له من ذاته فلا بد من مرجح يرجح وجوده على عدمه ويعطيه مقداره الخاص به الذي كان يجوز أن يكون أصغر منه أو أكبر ويمنحه كل الصفات القائمة به التى تجوز عليه هى ومقابلاتها حيث ان الجميع جائز عليه فلا بد من مرجح يجعله متمتعاً بتلك الصفات المخصوصة دون غيرها وواقفا عند ذلك الحد منها دون ما فوقه وما دونه ، ولكن نسلك بك طريقاً أوضح ومهيعاً أوسع ونريك الأمر مفصلا ودقائق الصنع واضحة جلية حتى تكون لمس اليد ورأى العين فنقول قبل كل شئ : ان المادة ليس فيها حياة ولا ادراك ومن البدهى أن فاقد الشئ لا يعطيه فلا يمكنها أن تعطى عبدها ما ليس عندها ، وقد أحسوا ذلك فاعترفوا بأنهم عاجزون عن تعليل الحياة بالتعاليل الطبيعية أما المكابرون منهم فيقولون : إنها فلتة من فلتات الطبيعة ولا ندرى ما معنى ذلك وكيف يعقلونه وهل فلتة الطبيعة تجوز أن يوجد معلول بلا علة ومسبب بلا سبب اللهم ان ذلك غير معقول فالحياة وحدها كافية فى افحامهم فضلا عن الادراك السامى والعلم الواسع اللذين لا تملكهما المادة لنفسها على أن المادة وخصائصها لايعقل أن تكون إلا من غيرها لا منها (أم خُلِقوا من غير شئ أم هم الخالقون) على أن المادة لا يظهر عنها إلا مقتضاها ، أما اجتماعها مع غيرها واتفاقها هى وسواها على أن توجد أشياء مرتبة وأموراً مدبرة منظمة تشتمل على

حِكم كبيرة وترمى إلى غايات بعيدة فما لا يعقل فيها بوجه من الوجوه، وهل يعقل ان العناصر التى تتألف منها اليد والرجل والمعدة والامعاء والقلب والكبد والمخ أرسل بعضها إلى بعض من أجل ان تجتمع ثم توزع العمل فيؤلف بعضها قلباً وبعضها كبداً وبعضها عيناً وبعضها فى المرأة رحماً الخ وهل علمت بيضة الصقر انه يتغدى باللحوم فهيأته لذلك بخلاف بيضة العصفور والدجاجة مثلا فاذا قلنا ان المادة تفعل مقتضاها على حسب ما أودع الله فيها من الخصائص فهل يمكنها أن تنتج كائناً حياً سميعاً بصيراً ؟ وهل يمكنها أن تدبر الأشياء تدبيرا حكيما بحيث يكون في موضعه اللائق به ولغايته المقصودة منه ؟ واذا كان لها سلطان على نفسها وظواهر من ذاتها فكيف يكون لها السلطان على غيرها حتى تأتى معها وتنوطه بعمل خاص لغرض خاص اللهم ان ذلك غير معقول ولا مفهوم فهل علمت المادة أنه لابد لك من عين تبصر بها وأنه لابد لها من طبقات مختلفة فى الشكل والتركيب وأنه لابد لها من صيانها لما فيها من مزيد الرقة واللطافة فجعلتها فى حجاج العين وحاطتها بتلك العظام الصلبة وهذا الغطاء الذى يشتمل على الجفن والهدب وعلى ذلك الحاجب الأعلى إلى آخر ما لا يمكننا شرحه ولا الخوض فيه . وماذا يكون الحال لو كانت هذه العين في الرِّجل أو تحت الابط مثلا ، ثم نقول هل علمت الطبيعة أنه لابد لك من أكل وشرب فصنعت لك الفم وجعلت فيه الاسنان والأضراس مشكلة بأشكال مختلفة لحكم جليلة ، ثم جعلت له غطاء من الشفتين والأشداق ثم علمت أن الغذاء لا يمكنك بلعه إلا بسائل تسيغه به فخلقت لك الريق وركبته من تلك العناصر التى تفيد في هضم الطعام . ثم جعلت لك منفذين : منفذاً للنفس ومنفذاً للطعام والشراب ثم احتاطت فجعلت لك غطاء يغطى به مجرى النفس عند البلع خوفا من أن تدخله اللقمة فتموت ، ثم جعلت لك ذلك اللسان الذى لا تحصى عجائبه ولا تعد فوائده ، ثم جعلت لك معدة مركبة تركيباً خاصاً لكى تفرز تلك العصارة المعدية . ثم جعلت لك أمعاء يتم فيها الهضم الثالث ودبرت لذلك تدبيرا حكيما فاعانتها بالعصارة البنكرياسية وبالصفراء التى تفرزها الكبد ثم ترسلها اليها عند الحاجة ثم خلقت لك الكلى التى تفرز البول وهيأت له السبيل ، فقل لى بعيشك كيف يكون اذا لم يدبر للغذاء سبيل الخروج كما دبر له سبيل الدخول ، وكيف يكون الحال اذا لم توجد فيك تلك المفاصل وماذا كنت تصنع عند القيام أو الرقاد أو الجلوس ، والى أى حد من المشقة والضيق كنت تصل اذا لم يخلق لك ذلك الأنف الذى تتنفس منه وتستنشق منه الهواء صافيا خاليا من التراب والغبار

بواسطة ما أودع الله فيه من تلك المصفاة العجيبة البديعة وماذا كنت صانعا لو خلقت بلا يدين أو خلقت اليد بلا مفاصل تمكنها من الحركات المختلفة الى الجهات المختلفة أو خلقت اليد بلا كف ولا أصابع أو خلقت الأصابع بلا أنامل ولا أظافر الى آخر ما يطول الكلام فيه ، ولا نستطيع أن نصل الى باطنه وخوافيه غير أن نقول بالاجمال : إن الذي وضع فيك الرئتين لاصلاح الدم ووضع فيك القلب بشكله المخصوص وتقسيمه الى الأذين الأيمن والأذين الأيسر والبطين الأيمن والبطين الأيسر وما دبر لذلك من تلك المجارى التى تحمل الدم الصالح المسماة بالشرايين وهاتيك المجارى الأخرى التى تحمل الدم الفاسد المسماة بأوردة . وأوجد تلك الصمامات المختلفة الى آخر ما أدهش علماء الفزيولوجيا ، ان الذى فعل ذلك واضعافه واضعاف اضعافه لجدير ان يعرف ولا ينكر ويشكر ولا يكفر .

ان الطبيعة لا يمكنها التفنن فى العمل ولا أن تلاحظ المقاصد والغايات فتدبرها تدبيراً وتقدر وسائلها تقديرا ولكننا نرى فى الجسم الانسانى من الأشكال والألوان والصنائع والتدبيرات افانين وأعاجيب فنجد نصفه الاعلى يغاير نصفه الاسفل ، ورأسه يغاير بدنه وكل عضوفيه يباين الآخر وما من عظم صغير أو كبير ولا عصب ولا وريد ولا شريان الا قد وجد لحكمة كبرى ، ولو زاد عن مقداره الذي هو عليه أو نقص عنه أو تغير موضعه لاختل نظام الجسم حتى الشرايين الشعرية التى هى كالشعرأو أدق منه بكثير كل واحد منها لحكمة كبرى . ولو زال عن محله أو زاد عن مقداره لفسدت الصحة واختل مزاج البدن . ولتعلم أن الاشياء الطبيعية لا يعجز عنها الانسان بعد ما عرف ظواهر الطبيعة ومقتضياتها وتحليل المادة وعناصرها وقوانين المزج والاتحاد ، وأحكام الجوامد والسوائل والغازات ولذلك تراهم يخترعون لنا من الآلات على مقتضى تلك الظواهر ما نشاهده كل يوم ، ولكن ليس في امكان الطبيعة أن تنظم وتدبر ولا فى امكان الطبيعيين (وقد عرفوا عناصر الاحياء) أن يوجدوا لنا انسانا حيا أو عضوا حيا مع أن الامر لو كان طبيعيا لم يتوقف الا على عناصره التى يعرفونها ويمكنهم أن يركبوه تركيبا طبيعيا على مقتضى قوانينهم . ومن نظر في مقدار حبة خردل من الجسم الانسانى كفته فى الدلالة على الله ، فان فى تلك الذرة الصغيرة من جسمك عصبا للحس وعصبا للحركة ومجرى للدم الشريانى ومجرى آخر للدم الوريدى الى غير ذلك مما لا يحصره العد ولا يأتى عليه القول وبالجملة ان انكر الطبيعيون ما في الانسان من الاعمال المدهشة والاسرار

الغريبة التى أثبتت فى كل ذراته بحيث لو أخذنا منها شريانا شعريا لتعطلت وظيفته، لو أنكروا ذلك كانوا مجانين وكذبهم علماء الفزيولوجيا تكذيبا مخجلا، وإن اعترفوا بأن كل شئ فيه لحكمة لا فرق بين مادق منه وماجل كما يقرره العلماء وكما هو مشاهد ثم نسبوا ذلك لتلك المادة الصماء العمياء كانوا أشد جنونا من المجانين وأفظع جهلا من الحيوان الاعجم فأين يذهبون ولعلنا ننظر نظرة أخرى فى بقية العوالم وما اشتملت عليه من الحكم والاسرار فى انفسها وما وضع بينها من العلاقات والروابط وما نيط بها على وجه التضافر والمعاونة من الغايات والمقاصد ان شاء الله.

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

الطرف والملح

قيل للمأمون: ما ألذ الاشياء قال التنزه في عقول الناس. يعنى قراءة اقوالهم.

قال النويري في باب النوادر والفكاهات والملح: هذا الباب مما تنجذب النفوس اليه. وتشتمل الخواطر عليه. فان فيه راحة للنفوس اذا تعبت وكلت. ونشاطا للخواطر اذا سئمت وملت. لان النفوس لا تستطيع ملازمة الاعمال. بل ترتاح الى تنقل الاحوال. فاذا عاهدتها بالنوادر فى بعض الاحيان. ولاطفتها بالفكاهات في احد الازمان. عادت الى العمل الجد بنشطة جديدة. وراحة فى طلب العلوم مديدة.

وقال ابن عبد ربه: الملح نزهة النفس وربيع القلب. ومرتع السمع. ومجاب الراحة ومعدن السرور.

وقال على بن هذيل: ان في الحكايات والاخبار سلوة للنفوس، وآدابا نافعة للرئيس والمرءوس. والقلوب ترتاح اليها من شجونها، والآذان تصغى لسماع طرفها وفنونها. الوحيد يأنس بمطالعتها، والجليس ينبسط بمذاكرتها ومحاضرتها والطباع تجم[1] بها من مللها ويذهب عنها قلة نشاطها. وكثرة كسلها. والملوك يتحفون بها. وينال الجاه والرفعة منهم بسببها.

---

(١) تراجع وتنشط

أصول الدين

الاسـلام دين الفطرة

قال الله تعالى في كتابه العزيز مخاطبا لرسوله صلى الله عليه وسلم (فأَقِمْ وجْهَكَ للدينِ حنيفا فطرةَ الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون) وقال تعالى (وما أرسلناك إلاّ رحمةً للعالمين)

ولقد اردنا بسوق هاتين الآيتين الكريمتين أن نجلو مظهرا من مظاهر عموم الرحمة فى رسالته صلى الله عليه وسلم وأنها شاملة لجميع العالمين وذلك ببيان أن الهداية التى أتت بها هذه الرسالة العظمى مسايرة للغريزة الانسانية موافقة للفطرة السليمة فطرة الله التى فطر الناس عليها مستمدة من مواهب الخلقة منتزعة من قرارة النفس ليس حكمها بناب عن مقتضى العقل ولا فهمها مرهقا للتصور وأى أبواب الرحمة أوسع واشمل وأى مناهج الهدى أوضح من أن يكون رشادك مستمدا من فطرتك ودليلك كامنا فى خلقتك فيوجه نظرك اليه فتلمسه من نفسك وتشعر به فى وجدانك ثم كلما زدته نظرا واعتبارا ازددت فيه يقينا واستبصارا إذ كان مع هذا ادلته ناصعة وبراهينه قاطعة وحججه دامغة وآياته بالغة ، فهدى هذه صفته وتلك محجته هل يفوت إلا على نفس غلبتها شقوتها واستولت عليها شهوتها فانحرفت فى مزاجها والتوت عن سبل استنتاجها فكانت جنايتها على نفسها شرا من جناية غيرها عليها ؟ لا شك أن هدى على هذا الوجه تشعر النفس بأساسه وتقبل العقول فهم تفاصيله وتحيط بالمرء أدلته وبراهينه وتطلع أمامه الآيات البينات ثم تكون احكامه جماع المصالح العامة والخاصة ومستقر النظام لحياة الفرد والمجموع لهو هدى يقبله العقل وتقر عنده النفس ويطمئن له القلب وينشرح له الصدر

وإذا حلت الهداية قلبا نشطت للعبادة الاعضاء

الاسلام فى جملته — جاء الدين الاسلامى مشتملا فى جملته على طائفتين عظيمتين من المسائل ، الاولى العقائد الدينية والثانية الاحكام العملية ولكل منهما تفاصيل كثيرة ومباحث واسعة ، وقد افرد لكل من الطائفتين من العلوم ما وفى بالحاجة وزاد ففتح

أمام الفكر كل مسلك يمكن أن يخطر بالبال . وانما الذى يعنينا فى هذا المقال وفيما سيتبعه على سننه ان شاء الله — هو بيان ان كلا من هذين القسمين : العقائد والاحكام تهدى الفطرة السليمة إلى أصوله ويقبل العقل والغريزة فهم تفاصيله بلا ارهاق للنفس ولا اعنات فى التصور ولا قهر للعقل على ما لا يستطيع فهمه أو الاذعان لما يناقض حكمه . وان العقائد قد جاءت مقرونة ببراهينها القاطعة وادلتها الساطعة لا تدع للشك لدى النفس مجالا ، ولا للريب عند العقل مدخلا ، وان الاحكام جاءت متضمنة من المصالح العامة والخاصة ما يكفل تهذيب النفوس وتكميلها واصلاح حال المجتمع وتنظيم علاقاته فى كل اطواره سواء المجتمع المنزلى أو المدنى أو الانسانى العام على حالة سهلة القبول واضحة النهج نيرة المسلك لا تعقيد فيها ولا مواربة

ولقد جاء الاسلام مخاطبا العقل مستنهضا الفكر يحث النفس على النظر فيما حولها والتفكر فيما يحيط بها ، يرشدها الى ان هذا كله قد خلق لها لتستوفى منه حاجتها ولتهتدى بالنظر فيه الى طريق سعادتها ، فقبيح بها اذاً ان تفوت على نفسها الانتفاع بذلك وهى فى أشد الحاجة اليه من الناحيتين : ناحية استخدامه في نيل أغراضها بقدر ما تسمح به قوتها ، وناحية الاسترشاد بالنظر فيه بعقلها وبصيرتها

ولما كانت مسالك التفكير وطرق البحث العقلى مما تتشعب امام النفس وقد تخضع لظروف واحوال قد تحيد به عن الجادة وربما طوحت بها الى مهاوى الضلالة أخذ الدين بيدها ليرشدها من ناحية غريزتها التى ركبت فيها ويعصمها بمقتضى سليقتها الكامنة فى قرارتها حتى يصل بها الى مستوى سعادتها ويرقيها الى أوج سيادتها فاذا ما أشرق عليها هذا النور الذى هى مطلعه وعليها مداره تفتحت له عيونها وأقبلت عليه بكليتها فجنت ثمرته واستمرأت مذاقه ووجدت حلاوة الايمان به وحينئذ تتمسك به وتحرص عليه بأقصى قوتها حتى تحوز بذلك السعادتين : سعادة هذه الحياة الحاضرة والسعادة العظمى الخالدة التى هيئت لها وهى بها جديرة

وهنا يحق لنا أن نشرع فى تفصيل ما أجملنا وتوضيح ما ذكرنا نبين ما فى كلتا الطائفتين : العقائد والاحكام من مظاهر عموم الرحمة بمسايرة الفطرة ليظهر أن من حرم نفسه من الانتفاع بها واجتناء ثمارها فهو كمن (يموت ظمآن وفي البحر فمه)

العقائد — هذا القسم من الدين الحنيف يتضمن نوعين عظيمين الأول العقائد الالهية ويبين فيه ما يوجب الدين اعتقاده فى حق الآله جل جلاله من صفات الكمال

والتنزيه عما لا يليق بمقام الآله جل شأنه ومستند ذلك وأدلته من العقل الصحيح والنقل الصريح ووجه مجاراته لمقتضى الفطرة الانسانية وكيف اتفق الدين والعقل في هذا الباب

والثانى العقائد النبوية ـ ويشرح فيه معنى النبوة والوحى وإمكانه وكيفيته ومن هم الانبياء وما حججهم وآياتهم الدالة على وجوب صدقهم في أنهم مبلغون عن ربهم وأنهم تجب طاعتهم فيما يأمرون ويجب تصديقهم في كل ما يخبرون به وأنه حقيقة ثابتة (وهذا قسم السمعيات) ومن أول ما يجب تحققه فيما يخبرون الا يناقض صريح حكم العقل ولا يكابر يقينا ثابتا ، فمحال أن يأتوا بما يناقض صريح حكم العقل فانهم بالعقل عرفوا وعرفت نبوتهم فكان العقل أساس وجوب التصديق بهم والاذعان لحكمهم فلا يصح أن يهدموا أساسا بنى عليه أمرهم وإلا كانوا هادمين لبنائهم فانه متى اختل الاساس تقوض البناء

العقائد الالهية — يدعو الدين الاسلامى الى اعتقاد أن لهذا العالم خالقا واحدا وهو واجب الوجود ولا يقبل العدم ولا يحتاج الى شيء وليس كمثله شيء منزه عن كل نقص متصف بصفات الكمال التام والجلال العام فهو حى عليم قدير مدبر حكيم سميع بصير متكلم بكلامه القديم أرسل الرسل بالهدى ودين الحق ليرشد الناس ويخرجهم من الظلمات الى النور

ولقد ترى جلياً ان الاعتقاد بوجود إله لهذا العالم مهيمن عليه عليم بما يجرى فيه قدير على تصريفه حسب مشيئته غالب على أمره يصح أن يأمر فيجب طاعته وينهى فلا تجوز مخالفته ، هذا الاعتقاد يجب أن يكون سابقاً على النظر فى شريعة بعينها أصحيحة هى فيذعن لها أم غير صحيحة فيهمل أمرها . أجل إنه لو لم يسبق إلى نفسك الشعور بأن لك خالقا خلقك فسواك وأنعم عليك ورباك، ثم تقوم الأدلة على أن هذا الذى تشعر به حقيقة لاشك فيها وأمر ثابت لامناص منه ولا مفر وانه إذ قدر على الانعام عليك فهو قادر على السلب منك ، واذا أنعم بالفضل فلا يؤمن منه البطش وانك بين نعمته وبطشه عبد له وهو سيدك يصح أن يأمرك فيجب عليك أن تطيعه وينهاك فلا يجوز أن تخالفه وانك بطاعته تستحق رضاه وبمعصيته تتعرض لغضبه وانه مطلع على ما يكون منك وانه بكل شيء عليم ، نقول لو لم يسبق إلى نفسك هذا الشعور يتلوه الاعتقاد الجازم الذى تتجلى معالمه وتظهر دلائله ما كان لك أن تفكر في شريعة تجب

طاعتها ودين يلزم الاذعان له فما كان لنفس أن تذعن إلا لمن تعلم أنه غامرها بنعمته وقاهرها بقدرته فترجو رحمته وتخاف عذابه

من أجل هذا كانت الدعوة إلى الشريعة مسبوقة أو مبدوءة بتوجيه النفوس إلى الاعتراف بخالقها الذى تشعر به في وجدانها وتقرير هذه العقيدة بدليلها وبرهانها

ومن أجل ذلك نرى الكلام في اثبات وجود خالق العالم وبيان استناده إلى ما فى الفطرة الانسانية فطرة الله التى فطر الناس عليها أمراً واجب التقديم على الكلام في مفصلات الشريعة من عقائد وأحكام وان كان سيتجلى لك أن الأصول العامة في الجميع تساير الفطرة السليمة وتعانق العقل الصحيح

استقرار الأدلة في فطرة الانسان — إن الانسان بما ركب فيه من غريزة العقل وقوة التفكير لا يكاد يتجاوز درجات التميز الأولى ويستعد للنظر الصحيح فيما يحيط به ويجري أمامه من العوالم الثابتة والشؤون المتجددة حتى يجد نفسه منساقا إلى التساؤل فيما بينه وبين نفسه: ما أصل الوجود الذى أراه؟ وما منشأ هذا العالم الذى أنا منه؟ وما مصدر هذه التحولات والتقلبات؟ شمس وقمر يجريان بحسبان. كواكب وافلاك لا يختل لها ميزان. جبال ووهاد. بحار وانهار. نبات وحيوان. وما منها إلا له نظام معلوم وقانون محكم لا يختل ولا يتحول. فهل هذه العوالم المختلفة والكائنات المتباينة التى استوفى كل منها أعظم درجات كماله الخاص به فى نظرنا واتسمت فى مجموعها بهذا النظام البديع فتباينت فى أوضاعها وارتبطت في جملتها. هل هذا كله وجد من نفسه فلا صانع أوجده ولا يد أحكمت تدبيره؟ أم هل هنالك قوة أثرت فيه وأبرزته بعد أن دبرته وأحكمته؟ فما هى هذه القوة وكيف اهتدى لمعرفتها. ولقد تذكو هذه الفكرة في النفس حينا وتخمد أحيانا ولكن المرء بما هو عرضة له من مفاجأة آلامه ومشاهدة حوادث جسام تدهشه وتبهره يرى نفسه مضطراً إلى معاودة الفكرة وارجاع النظرة والعود إلى تلك المسألة: ما أصل هذا الوجود وما منشا هذه الخليقة وما مصدر هذا العالم وهكذا لا يزال هذا التساؤل ديدن النفس حينا بعد حين لا فرق بين الفرد والمجموع حتى يرى هذا البحث لبعض النفوس لزاما ويصير شغلها الشاغل فلا تهدأ ولا تطمئن إلا إذا تجلى لها الأمر واتضح أمامها سبيل الحق.

ومن هنا يتضح أنه كما ان العقل الذى يفكر به الانسان مركوز فى فطرته كذلك لدواعى التى تحفزه إلى البحث والنظر مثبوتة فيما يحيط به مستمدة من تأثر نفسه بما

يتصل بها وله علاقة بوجودها فالامران معا: العقل الذى به التفكير والبواعث التى تدعو الى النظر مركزان فى فطرتها متصلان اتم اتصال بوجودها. فاذا ما استعملت عقلها فى النظر على الوجه الصحيح السليم من الشوائب فتسير حيث يضىء لها السبيل وتقف حيث يزجرها العقل كانت بذلك متبعة لفطرتها مسايرة لغريزتها، أما اذا لعبت بها الاهواء وتفرقت بها السبل فانحرف مزاجها والتوى منهاجها وفسد استنتاجها فانها تكون فاسدة الفطرة قد غلبتها شقوتها واستولت عليها شهوتها وذلك شر جناية منها على نفسها. ولنعد إلى ذلك التساؤل لنصل إلى جواب يطمئن له القلب وتذعن له النفس: ها هى أشياء امامنا نراها وجدت بعد أن لم تكن ثم يلحقها الفناء والعدم كاشخاص النبات والحيوان، وأشياء أخرى لم نشاهد أول نشاتها ولم نر حالة عدمها كالكواكب والافلاك، فما منشأ هذا كله ؟

ولنبدأ بما شاهدنا حدوثه بعد ان لم يكن نبحث حاله لنتبين منشأ وجوده أمن نفسه وجدام وجوده من غيره، ثم نعود إلى القسم الثانى نبحث عما بينه وبين الاول من وجوه المشاركة والمخالفة لنرى امشتركة كلها في أنها محتاجة فى وجودها إلى سواها أم يصح لها أو لشىء منها أن يعطى نفسه الوجود، فنقول هذا الذى وجد بعد أن لم يكن قد وجد على أدق صنع وأبدع وجه فاشتمل على ما يكفل نموه ويحفظ شخصه من غوائل وعواد وعلى ما يحفظ نوعه بتجديد مواليده ولكل من هذه الاعمال التى يحتاج اليها فى حفظ شخصه ونوعه أجهزة هى غاية فى الاتقان تؤدى أعمالها بلا شعور منه ولا ارادة بل ولا دراية له بها حتى إذا كان من أهل الدراية كشخص الانسان فهو يبحث عن تفاصيلها فلا يصل بعد الجهد الا لمعرفة القليل منها وكلما ازداد تأملا فيها ازداد اعجابا بها واكبارا لها: فبديهة العقل قاضية في مثل هذا أنها ليست من صنعه اذ كيف يصنع مالا دراية له به بعد وجوده وكيف وقد كان عدما صرفا فكيف يقدر حال عدمه على إيجاد ما لا يستطيع استبقاءه بعد وجوده، والاستبقاء أسهل من الايجاد وهو بعد الوجود أقوى بالبداهة منه حال العدم وكذلك لا يقبل العقل أن هذا النظام والاحكام والاتقان الذى لا يختل له ميزان يكون قد وجد فى تلك الكائنات بلا موجد مع أن وجودها ليس مقتضى ذاتها والالم يفارقها فلم يسبقه عدم ولم يلحقه عدم والمشاهد خلافه. والعقل يأبى كل الاباء أن يكون الوجود والمتقن المحكم نتيجة المصادفة الصرفة التى لم تسبق بعلم وارادة وتدبير. فمحال أن تدخل في عقل ساذج ان هذا القطار البخارى مثلا الذى يشاهد عجائب أثاره قد وجد من نفسه بلا إيجاد ولا تأثير فكيف بهذه العوالم الحية النامية

واذا بطل أنه وجد اتفاقا ومصادفة وبطل أنه حين كان معدوما منح نفسه هذا الوجود تعين بالبداهة أن وجوده قد جاءه من مؤثر له من القدرة على الابراز والايجاد ومن العلم والحكمة والتدبير ما تشهد به آثاره وينطق به إحكام صنعته وهنا يجد المرء نفسه مضطرا إلى الاذعان والاعتراف بان لهذا الموجود خالقا أبرزه بعد أن أحكم تدبيره واختار له أدق الانظمة وأبدع الكمالات التي تناسبه عن علم واسع الاحاطة وارادة كاملة. هذا طريق واضح المسالك نير الاعلام لا تجد النفس حيرة اذا سلكته ولا تعترضها عقبة يتعذر أو يتعسر اجتيازها ولكن النفس البشرية واسعة المجال فى التفكير لا تترك فرضا محتملا الا نظرت فيه حتى تجد ما يصدها عنه ويرجعها إلى النهج القويم والطريقة المثلى. وإن لكل فئة من الناس مسلكا في التفكير يخضع لما يحيط بها ويغلب على مشاعرها فنها المعوج ومنها المستقيم. لذلك كان العقل البشري على ما فيه من هذا الشعور العام الذى شرحناه مختلف المشارب فى تحديد وفهم معنى الخالق الذى يشعر به ولا يراه ولكنه مهما اختلف فانه يغلب عليه مبدأ واحد وهو ارجاعه هذه القوة العظمى إلى أعظم وأقوى ما يقع عليه حسه ومشاهدته خضوعا منه للحس الذى كان أول مغذ لمداركه فترى فئة تتمثل هذه القوة فى الكواكب وفئة تزعمها فى حيوان هو أقوي أو أعظم أو أنفع ما رأت، وفئة تنصب لها تمثالا من صنع يدها تتمثل فيه جلالها والكل يحاول أمرا واحداً هو أن يقرب إلى فهمه تلك القوة التى يذعن لها الاذعان الخفى فهو يحاول رؤيتها ولمسها لتطمئن نفسه من حيرتها. وترى من الناس فريقا يقول: إن هذه القوة التى نشأ عنها هذا الكون ليست سوى استعدادات كامنة فى مادة الاشياء التى لا تفنى ولا تنعدم

وقد نسى الفريق الاول ما في تلك الكائنات التى ظنها المثل الاعلى فى القوة من مظاهر النقص ودلائل الحدوث وعلامات الحدوث وعلامات الاحتياج والتعرض للفناء وذهل الفريق الثانى عن أن المادة التى دعمها مركز القوة لا شعور لها ولا إدراك حتى تنظم وتحكم ولا قدرة لها حتى تؤثر وتضع فهى منفعلة متأثرة دائما أبدا لا فاعلة ولا مؤثرة ثم هى متشابهة الاجزاء فى أصلها قابلة لكل صورة تفاض عليها فلا بد لهذا التقسيم والتصوير من مهيمن ذى سلطان قوي واسع وحكمة بالغة وقد قدمنا لك أن العقل لا يقبل ان يكون الصنع المتقن نتيجة المصادفة التى لم تسبق بعلم ولا تدبير هذا اذا نظرنا الى الاشياء التى شاهدنا حدوثها بعد عدمها، فاذا انتقلنا الى الاشياء التى لم نشاهد حدوثها كالكواكب والافلاك وكالمادة التى قالوا فيها: انها لا تفنى ولا تنعدم على ما زعموا.

نجدها تشارك تلك الاشياء التي شوهد حدوثها فى دليل الحدوث ذلك أنها متحيزة فى احيازها تنتقل منها الى احياز أخرى بحركة متتالية ، والحركة لا شك فى حدوثها فهى وضع مسبوق بوضع آخر ، والاوضاع التى كل واحد منها حادث هى حادثة بالضرورة ، واذا كانت تلك الكائنات متلبسة دائما بحركة حادثة مسبوقة بالعدم ولا يمكن أن تخلو عن الحادث المسبوق بالعدم فهى مسبوقة بالعدم البتة فهى حادثة ضرورة ، واذا فرض أن شيئا منها ساكن أى مختص بحيز لا يفارقه فأنه بلا شك قابل لان يأخذ حيزا اخر ويتحرك اليه إذ لا فرق بين حيز وحيز ، وما أمكن زواله استحال أن يكون قديما فالكل حادث فلا بد له من موجد ليس من جنس هذا العالم وليس كمثله شيء

وهناك طريق آخر لا بأس بالالمام به بايجاز وهو يحتاج إلى مقدمة بسيطة اصطلحوا على أن يبدأوا بها هذه المباحث وهى أن العقل اذا نظر الى أى شيء يتصوره ويخطر بباله ونسب الوجود اليه فانه لا يعدو أن يكون واحدا من ثلاثة أشياء : الواجب والجائز والمستحيل ، فالواجب هو ما لا يقبل العدم فى نظر العقل ، والمستحيل ما لا يقبل الوجود والجائز ما يصح عند العقل أن يوجد ويصح أن يعدم وقد يسمى الجائز بالممكن فيقال الواجب ما كان وجوده مقتضى ذاته لازما لها لا ينفك عنها ولا تحتاج الذات في وجودها الى غيرها ، والمستحيل ما كان عدمه مقتضى ذاته كذلك ، والممكن ما لا تقتضى ذاته وجودا ولا عدما فهو اذا وجد فوجوده من غيره ، واذا عدم فلان غيره لم يوجده . فاما المستحيل فلا صلة له بالوجود ولا سبيل له اليه ، واما الممكن فها هو ذا نراه ونعلم امكانه إما بتعاقب الوجود والعدم عليه ، وإما باحتياجه إلى حيز يحويه أو يتنقل فيه والى قوة تحركه أو تبقيه والى ما يخصصه بحدوده ونهاياته واشكاله وأوضاعه ، ولما كان الممكن لا وجود له من ذاته وهو محتاج في وجوده الى غيره ليفيض عليه الوجود وما يتبع الوجود من كمال كان وجود تلك الممكنات دليلا على ان هناك موجودا لا يحتاج الى شيء ويحتاج اليه كل شيء فوجوده من ذاته وهو يفيض الوجود على غيره وذلك هو واجب الوجود وبه تنقطع سلسلة الاحتياج الشاملة لجميع الممكنات ويجب ان يكون من صفاته الغنى المطلق عن كل شيء واستيفاء الكمال في جميع صفات الوجود فيجب أن يكون هو الحى العليم القدير الحكيم

هذا وقد يخطر بالبال أن هذه النبذة وما سبقها نبذة فنية ، وسياق الكلام فى تقرير ان هذا دين الفطرة ، والفطرة امر عام لا يختص باهل فن وعلم فنقول : نعم حق ما تقول وماجرنا

اليها الا تتبع نزغات لبعض النفوس ونزوات للاهواء لنقضى عليها بلسانها ونردها الى رشدها ونرجعها الى فطرتها ببيان أن ما تطوحت اليه وتورطت فيه طريق مسدود ومسلك لا يوصّل وان الجادة المثلى هى في الرجوع الى أبسط قضايا العقل وتأييد الشعور الصادق في النفس وضبطها عن الهوج والهرج وردها الى طريق ليس بذى عوج ذلك هو ما سلكه القرآن الكريم ودعا اليه النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم

فقد دعا الناس الى النظر السليم بالفكر النير يقرب البعيد ويضىء المظلم ويحل المشكل وأرشده الى أدلة ناصعة وبراهين قاطعة تضىء السبيل وتشفى الغليل لا يحتاج الناظر فيها الى التبحر فى صناعة علمية أو ثقافة أدبية بل يكفيه أن يكون من أهل العقل والتمييز فهى كالشمس يستضىء بها العالم والجاهل وكالهواء النقى ينتفع باستنشاقه السليم والمريض وكالماء الزلال يروى كل غلة وكالدواء الشافي يبرى كل علة ، اذا سمعه الساذج استفاد منه ، واذا تأمله الحكيم اهتدى بنوره فزالت عنه كل شبهة وانقذ من كل ضلالة وحيرة مع سهولة فهم وقرب متناول . يؤيد الشعور الصادق ويقرر الحق الواضح ويزيل الزيغ والريب حتى يبقى اليقين نقيا صافيا ، ولنسق لك بعض آيات الكتاب الكريم فى ذلك قال تعالى (وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم أفلا تبصرون ، وفي السماء رزقكم وما توعدون) (أَفَرَأَيْتُمْ مَاتُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الخَالِقُونَ) لو كنتم تخلقونه لعلمتم تركيبه وتفصيل أجزائه ووظائف اعضائه ومسالك أعصابه بل لتخيرتم لنسلكم أبدع ما يكون ، أو على الأقل لتخيرتم ما تحبون من أن يكون النسل ذكرا أو أنثى (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) فهل تعلمون كيفية امتصاصه غذاءه ومسالك الحياة وطرق النماء فيه (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ المَاءَ إِلَى الأَرْضِ الجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ) (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) (وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ) وهل يوجد أدل على رد مزاعم الماديين مما اشتملت عليه هذه الآية على وضوح دلالتها وقرب تناولها للفهم وكذلك قوله جل شأنه (فَلْيَنظُرِ الانسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا المَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَباً وَقَضْباً وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً وَحَدَائِقَ غُلْباً وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ) ويقول فى شرح اطوار خلق الانسان (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الانْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ

علَقة فخلقنا العلَقة مُضغة فخلقنا المضغة عِظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خَلقاً آخر فتبارك الله أحسنُ الخالقين) فأى هدى وارشاد هو أصدق وأثبت مما تنتزعه من قرارة نفسك وتأخذه من متناول حسك ويحيط بك من كل نواحى وجودك ولقد أشار القرآن الكريم الى أن هذا شعور كامن فى النفس بقوله تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنَّ خلَقهنَّ العزيز العليم) ومن هنا ترى أن الدعوة الى الشريعة جاءت من ناحية الشعور الصادق تعززه وتهذبه والوجدان الكامن تثيره ثم تشرحه وتوضحه ، وتقيم البراهين مما تعرفه النفس ويناله الحس ، ثم تزيل الشبه وتنزه عن النقائص حتى يستقر الايمان فى النفس وتذوق حلاوته ، ثم تدعو الى عبادة وتمجيد من له العظمة والقدرة ، وكل ذلك في آيات بينة وحجج واضحة كان من حق العقل لولا ما يحيط به من عوامل وظروف ويؤثر فيه من نزغات ونزوات أن يهتدى اليها بفطرته ويستجليها بقريحته ، وفعلا كان ذلك لبعض من استنارت بصائرهم وصفت ضمائرهم أما العامة فهم بحاجة الى هاد منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم

افليس في هذا مقنع بأن الدين الاسلامى جاء في باب اثبات الخالق بما يوافق الفطرة السليمة ويقرر ما يقتضيه النظر الصحيح ويهدى العقل إذا ضل حتى تذعن النفس ويطمئن القلب (إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) ولنقف فى هذا المقال عند هذا الحد راجين أن نعرض في المقالات التالية إن شاء الله لبيان مسايرة الدين للفطرة في باقى مباحث العقائد الالهية ، وكذلك في باب النبوات والسمعيات ثم فى العبادات والمعاملات ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حى عن بينة وان الله لسميع عليم ، والله المستعان وهو ولى التوفيق ؟

ابراهيم الجبالى
مدرس بقسم التخصص بالازهر

الملح والطرف

قال اياس بن معاوية : خرجت فى سفر ومعى رجل من الاعراب ، فلما كان في بعض المناهل(١) لقيه ابن عم له . فتعاتبا . والى جانبهما شيخ من الحى فقال لهما الشيخ : انعما عيشا (٢) إن المعاتبة تبعث التجنى (٣) . والتجنى يبعث المخاصمة . والمخاصمة تبعث العداوة . ولا خير فى شيء ثمرته العداوة ـ فقلت للشيخ : من انت ؟ فقال انا ابن تجربة الدهر . فقلت : ما افادك الدهر ؟ قال : العلم به . قلت : فأيه احمد ؟ قال : أن يبقى المرء أحدوثته حسنة بعده .

(١) جمع منهل وعين ماء ترودها الابل (٢) دعاء لهما بطيب الحياة ورفاهيتها (٣) تجر الى ان يدعى احدهما على الاخر ذنبا لم يفعله



حديثان كلاهما حكمة بالغة

الحديث الاول فى الارشاد الى التعارف والائتلاف :

عن أبى أيوبَ . رضى الله عنه . أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال :
لا يحِلُ للمسلم أن يهجُر أخاه فوق ثلاثٍ . يلتقيانِ فيُعْرِض هذا ويعرض هذا . وخيرهما الذى يبدأ بالسلام (١)

خلق الله . جلت حكمته . الناس من جنس واحد . للتعارف لا للتناكر . وللتواصل لا للتقاطع . وللاجتماع لا للافتراق . وللتعاون لا للتخاذل — قال سبحانه : (يا أيها الناسُ إنا خلقناكم من ذكر وأنثى . وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا)

لهذا علّمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . أن الله سبحانه . حرّم علينا أن يهجُر أحدنا أخاه المسلم . فانه تربطه به رابطتان . إحداهما رابطة الانسانية وثانيتهما رابطة الديانة الاسلامية . التى لا تطاولها رابطة أخرى . ولا تدانيها صلة سواها .

حرّم علينا ذلك الهجر لما فيه من قطع الصلة بين المؤمنين . وتفكيك عروة الاسلام الوثقى التى بينهم . وذلك مؤدٍ إلى ضعفهم وخذلانهم . وتعطيل أحكام دينهم القويم . وتمكين أعدائهم منهم وتسليطهم عليهم . حتى يصبحوا أذلاء بعد العزة . فقراء بعد الغنى . جهالا بعد العلم . عبيداً بعد السيادة . ويصير دينهم الحنيف معطلا بعد نفاذه . معيبا بعد سلامته وطهارته . مضغة في أفواه أعدائه والجاهلين به . والذين لا يألون به خبالا . ولا سعياً في طمسه ومحوه .

(يُريدون أن يُطفئوا نورَ اللهِ بأفواههم . ويأبى اللهُ ألا أن يتمَّ نورَه ولو كرِه الكافرون)

---

(١) رواه البخارى ومسلم

زدْ على ذلك . الأضرار العديدة الدنيوية . من تمكن العداوة في نفوسهم ، ورسوخ البغضاء فى قلوبهم . حتى يحملهم ذلك على التشاحن والتطاحن . ويجر بعضهم بعضاً إلى القضاء . حتى تكتظ بهم دياره . ويسأمهم الحكام والقضاء — واذ ذاك تتعطل مصالحهم وتكسد تجارتهم . وتهلك مزارعهم . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فسّر صلى الله عليه وسلم الهجر . فبيّنه أنه الإعراض عند الالتقاء . فيتولى كل منهما بوجهه عن أخيه . ليشفيا بذلك أنفسهما . ويرضيان شياطينهما . وغاب عنهما أنه تمزيق لشملهما . وتقطيع لأوصالها . وإغضاب لربهما . واستنزال لمقته وسخطه .

بيّن هذا كما بين أن باب التوبة مفتوح . وأن الله الكريم العفو يقبل من رجع منهما اليه . وأن أفضلهما عند الله وأقربهما إلى عفوه ورحمته . هو أسرعهما إلى التوبة والإنابة . والتسامح والمصافاة . والبدء بالتحية والسلام .

وصفوة هذا التعليم النبوى المطاع . إرشاد المؤمن أنه إذا غفل فاخطأ وهفا . تذكر فأناب وعفا . (إن الذين اتقوا إذا مسّهم طائفٌ من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) .

فاستمع بعد هذا ما نقصه عليك . فان فيه عظة وذكرى لقوم يفقهون — اختلف عالمان فى مسألة . فلما اشتد الجدال بينهما . قال أحدهما للآخر : إننى أعرف أنك كلك شرٌ طول حياتك — فأجابه الآخر : وإننى أعرف أنك كلك خير طول حياتك — فبهت الذي اعتدي . ولم يسعه إلا أن اعتذر . ثم تصالحا وتصافيا .

ذلك هو مصداق قول الله تعالى : (إدفع بالتى هى أحسن . فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولىٌ حميمٌ) (١) .

أما الهجر فيما دون الثلاث فانه معفوٌ عنه لا محذور فيه — والحكمة الآلهية البالغة في ذلك أن الانسان فى اليوم الأول يسكن غضبه . وفي الثانى يراجع نفسه . وفى الثالث يعتذر لأخيه . وما زاد على ذلك فانه يكون قطعا لرابطة الاخوة التى ربط الله تعالى بها المؤمنين . هداهم الله وأصلح بالهم . وأعز بهم دينهم ودنياهم .

الحديث الثانى فى الارشاد الى شكر النعمة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنظروا إلى من هو أسفل منكم . ولا تنظروا إلى من هو فوقكم . فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم (٢) .)

(١) فيصير عدوك كالصديق القريب فى محبته اذا فعلت ذلك . (٢) رواه البخارى ومسلم .

هذا تعليم من تعاليم النبوة المحمدية . وتطبيب ناجع من طب الاسلام الحنيف . عالج به النفوس لتنتبه لنعم الله تعالى عليها . وتقدرها حق قدرها . وتؤدي ما وجب عليها لله من شكرها . ليحفظ لها تلك النعم . ثم يتفضل عليها بزيادتها وتكثيرها . كما وعد بذلك فى قوله سبحانه : (لئن شكرتم لأزيدنّكم)

أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . أن ننظر إلى من هو أسفل منا فى أمور هذه الحياة الدنيوية وشؤونها . ونهانا أن ننظر إلى من هو فوقنا فيها .

أرشدنا إلى أن ننظر إلى المبتلى بالأسقام . ثم ننتقل منه إلى ما تفضل الله تعالى به علينا من العافية التى هى أصل كل إنعام .

كذلك ننظر إلى من فى خلقته نقص كعمى أو صمم أو بكم . ثم ننتقل إلى ما نحن فيه من السلامة من تلك العاهات التى هى مجلبة الغم والهمّ .

وكذلك ننظر إلى من ابتُلِيَ بالفقر المُدْقِع . أو بالدَّين المذل لأعناق الرجال ثم نلتفتَ إلى نجاتنا منها .

على أنه ما من مبتلىً بشىء مما فى هذه الحياة الا وهناك من هو أعظمُ منه بلاءً وعناء . فاذا نظر الانسان اليه كان له فيه سلوة وعظمة ، ووجب عليه أن يسارعَ إلى شكر الله تعالى على ما أنعم به عليه وتفضل .

أما من كان فوقه فى الدين والعلم الصحيح والفضل وعمَلِ الصالحات . فأن النظر اليه مطلوب ومحبوب . لأنه يعلم به أنه من المفرطين . اذ لولا تفريطه لكان مثله أو أعظم منه

وصفوة هذه الحكمة النبوية البالغة أنَّ نظرَ المرءِ إلى من هو دونه في الأحوال الدنيوية . يجلب له السرورَ والاغتباطَ بما هو فيه . ويوقظه لشكر الله على نعمه التى أسْبَغَها عليه — وأن النظر الى من هو أعلى منه فى الخير والطاعات . يحمله على الحياء من الله عز وجل . وينهض به إلى المسارعة والمبادرة فى عمل الصالحات . وفنون البر على اختلافها وكثرتها — قال الله تعالى :

(لمثل هذا فليعمل العاملون) (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون)

حسن منصور
وكيل دار العلوم العليا



أصول الفقه

لمحمد عزيز

الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان

يقع فى وهم من لايدرى ما الاسلام أن شريعته لاتوافق حال العصر الحاضر ، ويبنى توهمه هذا على أن القوانين إنما تقوم على رعاية المصالح ، ومصالح العصور تختلف اختلافا كثيرا ، فالدعوة الى بقاء أحكامها نافذة هى فى نظره دعوة الى خطة غير صالحة

ذلك ما نقصد فى هذا المقال الى تفنيده وتفصيل القول في دفع شبهته ، حتى يثبت بالدليل المرأى رأى العين أن الشريعة الغراء تساير كل عصر ، وتحفظ مصالح كل جيل

ولما كان التشريع الاسلامى يعتمد فى معظم أحكامه على الاجتهاد استدعى البحث أن نصدره بكلمة فى الاجتهاد ، وفى هذه الكلمة ترى شيئا من عظمة علماء الشريعة ، ولا أخالك إلا أن تقرأ البحث بدقة فلا تأتى على آخره حتى تشهد بأنهم كانوا هداة مصلحين . ونأخذ بعد بحث الاجتهاد فى تقرير الاصول التى جعلت الشريعة تسع مقتضيات العصور على اختلافها ، وتقوم بحاجات الشعوب على تباعد ما بينها ، ونسوق لك الشواهد على هذا من عمل القضاة ورجال الفتوى حتى لايبقى فى صدرك حرج من مزاعم أولئك الذين يكتبون أويخطبون فيما لا يعلمون

﴿ الاجتهاد فى أحكام الشريعة ﴾

شريعة الاسلام عامة فلا يختص بها قبيل من البشر دون قبيل ، ودائمة فلا يختص بها جيل دون جيل ، وأفعال البشر على اختلاف أجناسهم وتعاقب عصورهم لاتنتهى الى حد ، ولا تدخل تحت حصر ، ومن أجل هذا لم تنزل أحكامها في نسق واحد من التفصيل والبيان ، بل أرشدت الشريعة الى بعضها بدلائل خاصة ، وقررت بقيتها فى أصول كلية ليستنبطها الذين أتوا العلم عند الحاجة اليها

يتمكن العالم من استنباط الاحكام بمعرفة أمرين

(أحدهما) الادلة السمعية التى تنتزع منها القواعد والاحكام

(ثانيهما) وجود دلالة اللفظ المعتد بها فى لسان العرب واستعمال البلغاء

ويرجع النظر فى الادلة السمعية الى الكتاب والسنة والاجماع ، ويتصل بهذه الادلة أصول اختلفت فيها انظار الأئمة ، كمذهب الصحابى ، وعمل أهل المدينة ، وشرع من قبلنا الذي لم يرد فى شريعتنا ما ينسخه ، فان الأخذ بهذه الأصول يرجع الى التمسك بدليل منقول لايدخل فيه العقل الا على وجه التفهم كما يدخل فى غيره من نصوص الكتاب والسنة

ويرجع النظر في وجوه الدلالات الى دلالة بالمنطوق ، ودلالة بالمفهوم ، ودلالة بالمعقول ومن متناول دلالة المعقول ذلك الاصل الكبير الذى يسمونه القياس ، ويضارع القياس فى هذه الدلالة أنواع جرى فيها الخلاف بين أهل العلم ، مثل الاستصحاب ، والمصالح المرسلة ، ومراعاة العرف ، وسد الذرائع

ثم إن الأدلة قد تتزاحم فى نظر المجتهد ويراها واردة على قضية واحدة ، وكل منها يقتضى من الحكم غير ما يقتضيه الآخر . فيحتاج الى أن ينقب عن الوجوه التى يترجح بها جانب أحدها ليعتمد عليه فى تقرير الحكم

فدخل فى الاركان التى يقوم عليها الاجتهاد القدرة على الموازنة بين الادلة وترجيح أقواها على ما هو دونه عند تعارضها ، فمن كان على بصيرة من الأدلة السمعية ووجوه دلالتها وطرق الترجيح بين الأدلة عند تعارضها ، فقد قبض على زمام الاستنباط ، واستعد لأن يجلس على منصة الاجتهاد

فالاجتهاد بذل الفقيه الوسع لاستخراج الأحكام العملية من أدلتها التفصيلية

شرائط الاجتهاد

قلنا : إن الاجتهاد يدور على معرفة الادلة السمعية ، ووجوه دلالتها ، وطرق الترجيح عند تعارضها

أما معرفة الادلة السمعية فتتحقق بمعرفة الكتاب والسنة والاحكام المشتركة بينهما كالعلم بالناسخ والمنسوخ والاحكام الخاصة بالكتاب ، كالعلم بوجوه القرآات والاحكام الخاصة بالسنة كالعلم باصول الحديث وأحوال الرواة .

وأما معرفة وجوه الدلالات فتتحقق بالفرق بين المنطوق والمفهوم ، والمجمل والمبين والنص والظاهر ، والعام والخاص ، والمطلق والمقيد ، والحقيقة والمجاز ، والمحكم والمتشابه ،

والصريح والكناية ، والمعانى التى يدل عليها الكلام بنفسه، والمعانى التى يراعيها البلغاء، ويسميها علماء البيان بمستتبعات التراكيب

فمن شروط الاجتهاد العلم باللغة والنحو والمعانى والبيان ، ومجمل القول أن يكون عارفا باللسان العربى ووجوه تصرفات ألفاظه ومعانيه معرفة ترفعه بين علماء اللغة وبلغائها مكانا عاليا .

أما طرق الترجيح فمنها ما يعرف بالنظر فى علوم الشريعة كتقديم ما يتلى في الكتاب الكريم على ما يروى على أنه حديث ، ومنها ما يعرف بالبحث عن حال الراوة كتقديم ما يرويه البخارى على ما يرويه غيره ، ومنها ما يعرف بالنظر في علوم اللغة كتقديم النص على الظاهر والمنطوق على المفهوم

الكتاب :

ذكرنا فى شروط الاجتهاد العلم بالقرآن الكريم ولا سيما آيات الاحكام التى قدرها الغزالى وابن العربى بخمسمائة آية . واقتصرا في تقديرها على هذا العدد لانهم رأو مقاتل ابن سليمان وهو أول من أفرد آيات الاحكام فى تصنيف ـ قد جعلها خمسمائة آية ، وقد نازعهم ابن دقيق العيد فى هذا التقدير ، وقال مقدار آيات الاحكام لا ينحصر فى هذا العدد ، بل هو يختلف باختلاف القرائح والاذهان ، وما يفتحه الله من وجوه الاستنباط . والراسخ في علوم الشريعة يعرف أن من أصولها أو أحكامها ما يؤخذ من موارد متعددة حتى الآيات الواردة فى القصص والأمثال .

وقد عنى طائفة من العلماء بآيات الاحكام بعد مقاتل فألفوا فى تفسيرها خاصة كما فعل منذر بن سعيد البلوطى قاضى قرطبة المتوفي سنة ٣٥٥ وأبو بكر احمد بن على الرازى الجصاص المتوفى سنة ٣٧٠ وأبو بكر بن العربى المتوفي سنة ٤٦٨ وعبد المنعم بن محمد المعروف بابن الفرس المتوفى سنة ٥٩٩

السنة :

أوردنا فى شروط الاجتهاد العلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد اختلف أهل العلم في القدر الذى فيه كفاية ، فقال ابو بكر بن العربى في كتاب المحصول : هى ثلاثة آلاف حديث ، ونقل عن أحمد بن حنبل أن الأصول التى يدور عليها العلم ينبغى أن

تكون ألفا ومائتين ويذهب ابن القيم الى أن الأصول التى تدور عليها الأحكام خمسمائة حديث ، وهى مفصلة في نحو أربعة آلاف حديث

والحق في جانب من يقول : إنه لايحق الاجتهاد الا لمن كان عالما بما اشتملت عليه مجاميع السنة كالأمهات الست وما يلحق بها من الكتب التى التزم مصنفوها الصحة فيما يرون ، إذ من المحتمل أن يوجـــد فيها ما يدل على الحكم صراحة ويأتى الاستنباط بما يخالفها ، وكان أهل العلم فيما سلف انما يرجعون بالواقعة الى الاستنباط بعد أن يبحثوا جهد استطاعتهم فلا يظفروا بآية أو سنة تنص على حكمها . في كتاب القضاء لأبى عبيد ان ابا بكر الصديق كان اذا ورد عليه حكم نظر فى كتاب الله تعالى فان وجد فيه ما يقضى به قضى به ، وإن لم يجد فى كتاب الله نظر فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان وجد فيها ما يقضى به قضى به ، فان أعياه ذلك سأل الناس هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فيه بقضاء؟ فربما قام اليه القوم فيقولون قضى فيه بكذا وكذا ، فان لم يجد سنة سنها النبى صلى الله عليه وسلم جمع رؤساء الناس فاستشارهم ، فاذا اجتمع رأيهم على شئ قضى به ، وكان عمر يفعل ذلك .

والحديث الذى يرويه أحد الأئمة ويصله بما ينبئ عن صحته ، يسوغ للفقيه متى عرف مذهب الراوى فى التعديل أن يعتمد على تصحيحه ، ومن هذا القبيل ما يرويه البخاري ومسلم في صحيحيهما . وأما ما يروي فى الكتب التى لا تخلو من الضعيف ، فلا بد له من النظر فى سند الحديث والبحث عن سيرة من يجهل حاله حتى يكون على بينة من أمره

علوم اللغة العربية

أخذنا فى شروط المجتهد أن يكون قائما على علوم اللغة العربية ، بحيث يبلغ في فهم الكلام العربى مبلغ العرب الناشئين فى الجاهلية أو في صدر الاسلام ، قال ابو اسحاق الشاطبي « لا غنى للمجتهد في الشريعة عن بلوغ درجة الاجتهاد فى كلام العرب بحث يصير فهم خطابها طبعا غير متكلف »

وقد يقع فى خاطرك أن شرط الاجتهاد في اللسان العربى يجعل رتبة الاجتهاد فى الشريعة بمنزلة المتعذر ، فانه يقتضى أن يسلك الفقيه في البحث عن معانى الالفاظ وأحكامها ووجوه بلاغتها الطرق التى سلكها أئمة تلك العلوم ، ولا يكفيه أن يأخذ من القاموس أن النكاح مثلا يطلق على الوطء والعقد ، ومن كتاب سيبويه أن الخفض يكون بالجوار ، ومن دلائل الاعجاز أن تقديم المعمول أو تعريف المسند يفيد القصر ، حتى يتتبع كلام

العرب بنفسه ، ويقف على صحة اطلاق النكاح على الوطء والعقد ، ويظفر بشواهد كثيرة يحقق بها قاعدة الخفض بالجوار ، وشواهد أخرى يعلم بها أن تقديم المعمول أو تعريف الطرفين يفيد الحصر ، وتكليفه بأن يبلغ فى علوم اللغة هذه الغاية يشبه التكليف بما لا تسعه الطاقة

وجواب هذا :

ان المجتهد في الشريعة لا بد له له من أن يرسخ في علوم اللغة رسوخ البالغين درجة الاجتهاد ، وله أن يرجع في أحكام الالفاظ ومعانيها الى رواية الثقة وما يقوله الأئمة ، واذا وقع نزاع فى معنى أو حكم توقف عليه فهم نص شرعى تعين عليه حينئذ بذل الوسع فى معرفة الحق بين ذلك الاختلاف ، ولا يسوغ له أن يعمل على أحد المذاهب النحوية أو البيانية فى تقرير حكم الا أن يستبين له رجحانه بدليل

فالمجتهد في أحكام الشريعة وان ساغ له التقليد فى العلوم التى هى وسائل الاستنباط يجب عليه أن يكون في معرفتها بمكانة سامية ، حتى اذا جرى اختلاف في رتبة حديث أو قاعدة عربية احتاج الى تطبيقها ، جرد نظره لاجتلاء الحقيقة دون أن يقف وقفة الحائر أو يتمسك بأحد الآراء على غير بينة .

أصول الفقه

مسائل علم الأصول منها ما يستمد من النظر في الكتاب والسنة ، ومنها مايستمد من النظر في علوم اللغة العربية فيمكن من تضلع من موارد الشريعة ، ورسخ في فهم لسان العرب أن يدرك هذه الأصول بنفسه كما أدركها الأئمة الذين نهضوا بالاجتهاد قبل أن يدون علم الأصول ، ولكن الوصول إلى مسائل الأصول وهى مدونة أسهل على الطالب من أن يبذل جهده في استقرائها ويرسل فكره فى اقتناصها ، باحثا عنها فى أبواب متفرقة ، وموارد متشعبة ، وعلى أى حال كان طالب الاجتهاد في الأحكام لا يستقيم له هذا المنصب إلا أن ينظر في الأصول نظر الباحث المستقل بحيث لا يبنى فى الاستنباط على الاستصحاب أو سد الذرائع مثلا ، ولا يقرر الحكم اعتماداً على عمل أهل المدنية أو مذهب الصحابى ، متابعة لمن يقول بحجتيها ، فالاجتهاد في الأصول بمنزلة الأساس للاجتهاد فى الاحكام ، فلا يدخل فى قبيل المجتهد المطلق من يبنى في تقرير الاحكام على أصول قررها إمامه وتلقاها منه بتقليد .

فالحق مع من لم يرض لمدعى الاجتهاد إلا أن يرسخ فى أصول الفقه ويبحث مسائله بنظر قائم بنفسه ، حتى لا يعتمد فى الاستنباط إلا على أصل رأى كيف تشهد به البينة وتقوم عليه الحجة

الفقـــه :

يظهر فى بادئ الرأى أن ليس من شروط الاجتهاد المطلق معرفة الاحكام التى استنبطها الفقهاء من دلائل الشريعة ، ذلك لأنهـا صادرة عن اجتهاد ، فيجب أن يكون الاجتهاد متقدما عليها فى الوجود ، فهو مستقل عنها ، وجائز أن يتحقق بدونها ، ولو قدرنا ناشئا درس علوم اللغة حتى أصبح في ذوقه وفهمه لدقائق العربية كالعربى الخالص ، ثم أقبل على التفقه فى الكتاب والسنة حتى عرف مقاصد الشريعة لأمكنه استنباط الاحكام من دلائلها كما استنبطها العلماء من قبـل أن تدون المذاهب والآراء . والتحقيق أن معرفة المذاهب ودرس أحكام الفقه مربوطة بأصولها مما يخطو بالعالم فى سبيل الاجتهاد خطوات سريعـة لولا دراسة الفقه على هـذا الوجه لأنفق في بلوغها مجهوداً كبيراً وزمنا طويلا . ثم إنه يأمن العثار والخطأ فى الفتوى أكثر مما اذا لم يدرس أقوال الائمة من قبله ، وهذا ما يراه طائفة من الاصوليين كأبى حامد الغزالى إذ قال : « إنما يحصل الاجتهاد فى زماننا بممارسـة الفقه فهو طريق تحصيل الدربة في هذا الزمان »

وهذا محمل ما ينقل عن السلف من حث الفقهاء على معرفة اختلاف أهل العلم من قبلهم ، قال هشام بن عبدالله الرازي : من لم يعرف اختلاف الفقهاء فليس بفقيه ، وقال عطاء : لا ينبغى لأحد أن يفتى الناس حتى يكون عالما باختلاف الناس ، فانه ان لم يكن كذلك ردّ من العلم ما هو أوثق من الذي في يديه ، وقال سفيان بن عيينه : أجرأ الناس على الفتوى أقلهم علما باختلاف العلماء ، وقال سعيد بن أبى عروبة : من لم يسمع الاختلاف فلا تعده عالما .

ولا يقصدون بهذا حفظ مجرد الخلاف ، بل القصد أن يعرف أقوال السلف ومداركها

مواقع الاجماع :

يذكر الاصوليون فى شرط المجتهد أن يكون عارفا بمواقع الاجماع ، وهذا في الواقع شرط لصحة الاجتهاد بالفعل ، وليس بشرط في بلوغ رتبة الاجتهاد . وإنما أخذوا هذا شرطا لصحته لئـلا يقرر الفقيه حـكما يخرج به عن الاجمـاع ، إذ كل فتوى يخرق بها صاحبها الاجماع هى فى نظر أئمة الدين باطلة ، وقد خفف الامام الغزالى فى هذا الشرط فقال : ليس من واجبه أن يحفظ المسائل التى وقع عليها الاجماع ، فالواقعة التى علم انها كانت موضع اختلاف ، والحادثة التى يعرف من حالها أنها وليدة عصره ولم يقع لها

مثيل فى العصور المتقدمة ، له أن يجتهد ويفتى فيهما بما قام الدليل على رجحانه وان لم يكن ملما بالمسائل التى انعقد عليها الاجماع .

فان وقعت الواقعة و لم يكن قد بلغه أنه جرى فيها اختلاف ، ولم يثق بأنها وليدة عصره ، بحث ما استطاع ، فان لم يقف على أنها مسألة مجمع عليها ، تناولها بالاجتهاد وفصّل لها حكما مطابقا

القيـــاس :

هل يعد فى شروط المجتهد أن يكون ممن يقول باصل القياس ؟

هذا ماراه ابو اسحاق الاسفرائيني وعزا الى الجمهور أنهم قالوا : ان نفاة القياس لا يبلغون درجة الاجتهاد ، وأخذ به امام الحرمين وقال : علماء الشافعية لايقيمون لأهل الظاهر وزنا

ومن أهل العلم من لم يتمسك بهذا الشرط وعدّ الظاهريّ الذى تحققت فيه الشروط الآنفة في قبيل أهل الاجتهاد ، وينبني على هذا أن يكون خلافهم معتداً به ، فلا إجماع فيما خالفوا فيه من الاحكام ، وهذا ما ذكر الاستاذ ابو منصور البغدادى أنه الصحيح من مذهب الشافعية ، وقال ابن الصلاح إنه الذى استقر عليه الأمر

وسنسوق في مقام آخر الأدلة على أن القياس أصل من أصول الشريعة الغراء

العدالة والاستقامة :

ليست العدالة شرطا لتحقق وصف الاجتهاد فى نفسه ، وانما هى شرط في قبول فتوى المجتهد ، إذ الفتوى من قبيل الاخبار ، والنفس لا تركن الى خبر الفاسق ، ومن يعمل سوءاً يسهل عليه أن يقول زوراً ، والتقوى هى التى تحمل المجتهد على التروى في تفصيل الحكم ، فلا يلفظ بالفتوى إلا بعد النظر فى الواقعة وما يترتب عليها من مصالح أو مفاسد ، ثم يعود الى قواعد الشريعة فيفصل لها حكما يطابقها ، قال مالك ابن أنس : ربما وردت عليّ المسألة فتمنعنى من الطعام والشراب والنوم ، فقيل له : يا أبا عبد الله ! والله ما كلامك عند الناس إلا نقر في حجر ، ما تقول شيئاً إلا تلقوه منك ، قال : فمن أحق أن يكون هكذا إلا من كان هكذا ، وقال : ربما وردت عليّ المسألة فأفكر فيها ليالىَ وكان اذا سئل عن المسألة يقول للسائل : انصرف حتى انظر فيها ، فينصرف السائل ويجعل مالك يردد النظر في المسألة ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنى أخاف أن يكون لى من المسائل يوم وأيُّ يوم ! وكذلك كان السلف من الصحابة والتابعين ، يكرهون التسرع فى الفتوي ، ويود كل واحد منهم أن يكون غيره قد كفاه أمرها ، حتى اذا رآها قد تعينت عليه بذل جهده في تعرُّف حكمها ثم أفتى .

يتبع

محمد الخضر حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

نبوته صلى الله عليه وسلم

الكلام فى النبوة في مقامين :

« المقام الأول »

امكان النبوة وتصوير كيفية الوحى وأنه لا بعد فيه وبيان انهم الآن في أوربة اصبحوا يعترفون به أو بما هو من جنسه

« المقام الثانى »

ثبوت نبوته (صلى الله عليه وسلم) بالبراهين القاطعة .

(امكان النبوة)

تعلم أن فى كل شئ من الاشياء وصنعة من الصنائع وعلم من العلوم وخلق من الاخلاق مثلا أعلى ، لأن الناس فى كل ذلك متفاوتون وليس هناك تفاوت يشبه تفاوت أفراد نوع الانسان حتى أن من في الدرجة الدنيا يجهل علوم من فى الدرجة العليا تمام الجهل فلا يعرف ذلك إلا بالتوقيف . وربما كان البعد بينهما شاسعا فلا يعرفه بالتوقيف أيضاً ، واذا كان ذلك معقولا في العلوم والصنائع والسياسات فهو فى باب الفضائل والكمالات وطهارة النفوس وعلو الفطرة ورفعة الاستعداد أوضح وأظهر حتى أنك لتجد في هذا النوع الرجل الغبي الذى لا يفرق بين الحق والباطل ولا يكاد يعرف الضار من النافع ولا المهلك من المنجى ، أو تجده شريراً قد تناهى شره فلا يلذ له الا النقائص والموبقات وهؤلاء الشريرون هم عقارب نوع الانسان ، و منهم من ينقدح فى نفسه الامور على غير وجهها ولا يكاد يحكم فيها حكما صحيحاً ، ومنهم الذكى الذي ينظر في الأمر نظرة صادقة فيعرف بواطنه وخفاياه ويعلم ما سيكون له من أثر وما يترتب عليه من غاية ويتفرس فلا تخطئ فراسته وكأنه يرى من وراء حجب الغيب ما قد خفى على غيره كما قيل

الالمعى الذى يظن بك الظن   كأن قد رأى وقد سمعا

فهذا هو المحدَّث والملهَم أو الذكى والأولى أن تقول هو الطاهر النفس الصافي الذهن

الرفيع الاستعداد القوى الحدس ، فهذه الصفة أو المميزة أو الدرجة التى تعرفونها في بعض الناس قد تترقى حتى يكون صاحبها مستعدا للتلقى من الملأ الأعلى ، وأهل أوربة لا ينكرون الأخذ عن الأرواح الآن (وسنفيض القول في ذلك بعد) فمثل هذا باستعداده الشريف يكاد يعرف جلية الأمر قبل أن ينزل عليه الوحى فنفسه الطاهرة كشجرة مباركة يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار فاذا جاءه الوحى كان نورا على نور والوحى لا ينزل الا على صاحب الاستعداد الرفيع الذى يحب الفضائل حبا جما ويبغض النقائص بغضا شديداً لأنه يباينها وتباينه فتراه يمقت الظلم والشرك والفساد ويكرهها كراهة ذاتية ، وبالاختصار يحب الحق حبا بالغا من اعماق قلبه ويكره الباطل كرها بليغا من اعماق قلبه كذلك . فعدله ذاتى وشفقته على خلق الله ذاتية ومحبته لمكارم الاخلاق ذاتية ومعرفته بالله آخذة بكل قلبه ومستولية على جميع مشاعره لا يشغله عن ذلك شئ ولا يخالجه فيه شك ولا وهم ولا يعتريه انهزام ولا تردد ولو انفردت سالفته (١) فليس كل انسان صالحا للرسالة ولا مستعداً للنبوة وانما المستعد لها هو الفرد الكامل والمثل الاعلى من ذلك النوع كما قال عز وجل (الله أعلم حيثُ يجعل رسالته)

أما الوحى الذى يجهله كثير من الناس أو لا يكاد يصدق به لعدم تصوره اياه حتى قال لى بعض الكبراء : لو انحلت مشكلة الوحى لزالت عقبات كثيرة تعترضنا في سبيل التصديق بالنبوة فانه لا يمكننا أو لا يمكن ابناء هذا العصر الحاضر أن يصدقوا بما لم يفهموا . نقول أما الوحى الذي بلغ من الصعوبة فى بعض العقول هذا المبلغ فأمره واضح الا عند من يقف مع ما ألف ولا يؤمن إلا بما عرف فأن الوحى عبارة عن القاء الملك فى الرُّوع (٢) شيئا من الاشياء. ومن ذا ينكر الالهام الذى يقع في القلوب المستعدة بغير نظر وفكر في كل الطبقات من أفراد هذا النوع حتى الطبقات الدنيا منها فيما هو مستعد له ، فضلا عن العلياء ، وقد اثبت ذلك المناطقة وسموه حدسا ، وقالوا إن الحدس ليس فيه ترتيب أمور معلومة ليتوصل بها إلى أمر مجهول كما هو شأن النظريات ، ثم نقول من ذا الذى يجعل المعارف الانسانية كلها قصرا على ما ينتجه الفكر والنظر بعد ما أثبت علماء التنويم المغناطيسى بالادلة المحسوسة التى يمكن كل انسان أن يشاهدها أن المنوم بعد أن يبطل

---

(١) السالفة أعلى العنق أو صفحته وهما سالفتان وكنى بانفرادها عن الموت لانها لا تنفرد عما يليها الا بالموت وفى الحديث (لا قاتلنهم على أمرى حتى تنفرد سالفتى)

(٢) الروع القلب

حسه وتتخدر اعصابه تخدراً تاما فلا يمكنه أن ينظر أو يفكر حتى أنه لا يسمع أصوات المدافع ولا يتأثر بشيء من الاشياء ، يأتى فى هذا الحال بما لا يصل اليه فكر ولا نظر وقد أصبح الجدال فى ذلك جدالا فى المحسوس فلا حاجة للاطالة فيه والاستدلال عليه بل نقول : من ذا الذى ينكر الرؤيا الصادقة وقد وجدت فى كل أمة وأثبتها علماء كل ملة بعد التجربة والمعاينة ، والمقام لا يحتمل كثرة الاستشهاد وليس غرضنا فى هذه العجالة أن نلم بكل ما يتطلبه الموضوع في كل نقطة من نقطه فان ذلك يحتاج إلى مقالات عديدة ولعلنا نوفيها حقها على ما نحب وتحب ان شاء الله، على أن من لا ينفعه القليل لا يفيده الكثير ولا بأس أن نقول للمؤمنين بالقرآن إن سورة يوسف فيها من الرؤيا الصادقة (رؤيا يوسف عليه السلام ورؤيا الملك) وإن شئت فقل رؤيا صاحبي السجن ، وعلماء الأرواح الآن يثبتون ما هو أكثر من هذا (وإن شئت افردنا ذلك بمقال ضاف)

أما الملك الذى ينزل بالوحى ويكلم الأرواح فلا معنى لانكاره والحكم بعدم وجوده فان الحجة في ذلك الانكار انما هو كون العلم يثبته (كما يقولون) وهل كل ما لم يصل اليه العلم غير موجود (اللهم إن العلم يكذب ذلك) فقد كنا نجهل الميكروبات منذ زمان قريب أفكان جهلنا بها موجبا لعدم وجودها ! أم كانت موجودة فى الواقع على الرغم من هذا الجهل ، وأي معنى للبحث والتنقيب الذى يتقدم به العلم يوما فيوما اذا كان الأمر على ما ظنوا

ومن ذلك الجاهل الذي يزعم أنه أحاط بكل العوالم وعرف ما في الوجود .

ألم يقرر العلماء والفلاسفة أن عدم الدليل ليس دليلا على عدم المدلول ، على أن علماء الاسبرتزم (استحضار الارواح) الذين اشتغلوا بالمسائل الروحية أثبتوا بالمشاهدات المتكررة والحوادث المتواترة أن هناك عالما وراء عالم الطبيعة قد خرق لهم كل نواميس المادة وما قرروه من ذلك وقد أصبح ذلك عندهم لمس اليد ورأى العين (وستعرف أن علم الطبيعة برىء مما نسبوه اليه وافتروه عليه) وسنبين أن له دائرة خاصة لا يتعداها وانه هو نفسه يكذب هؤلاء المتفيهقين الجاهلين . فاذا كان ذلك معقولا بل محسوسا فى غير الانبياء فما بالك بالأنبياء وهم المثل الأعلى لذلك النوع

هذا وقد ذكر علماؤنا للوحى كيفيات كثيرة ولكن نقتصر منها على كيفيتين ذكرهما الحديث الصحيح الذى رواه الامام البخارى ، وهما فى غاية الوضوح لكل من يريد الحق لا التعصب والعناد . أحدهما أن يرتفع النبى (صلى الله عليه وسلم) عن المستوى البشري الى

المستوى الملكى (وروحه الشريفة مستعدة لذلك تمام الاستعداد فان علاقتها بالملأ الاعلى أكثر وأتم من علاقتها بعالم المحسوسات) والروح في أصل خلقتها مناسبة لخلقة الملك وربما كانت ارفع منه قدرا وأعظم منه سرا والملك إذ ذاك يكون على حالته الملكية ولكن يصح أن يراه الرسول وهو على هذا الحال لأنه إنما ينظر اليه ببصر الروح عند تجرده عن الغواشى البدنية ومفارقته للعوالم المادية ، وأما جلساؤه فلا يرونه لأنهم لم يتجردوا من ملابسهم الطبيعية ومحيطاتهم الكونية ويقرب هذا بعض التقريب ما نشاهده من أحوال المنوم تنويما مغناطيسيا فانه يرى ما لا يراه الحاضرون لأن السلطان فيه للروح فهو يرى بحواسها لا بحواس البدن ، وأما حاضروه فالمستولى عليهم هو سلطان الجسم لا سلطان الروح ، ونقربه من وجه آخر فنقول : لا بدع في تغير الاحكام بتغير الأطوار والاحوال حتى تصل إلى حد التباين فان الثلج اذا كان جامدا كان له حكم الجامدات فاذا اذبناه بقليل من الحرارة كان له حكم السوائل فاذا صيرناه غازا كان له حكم الغازات . واذاً فما الذى يستنكر من تغير الاحكام بتغير الاحوال ويكفى هذا لمن انصف ولم يتعسف .

أما الكيفية الثانية للوحى فهى أن يتنزل الملك من سماء الملكية الى أرض البشرية فيتمثل رجلا فيكلم النبى بلسان الاشباح لا بلسان الأرواح ، وفى هذه الحال يراه كل من حضر ويكون النبى على حالته العادية وصفاته البشرية (كما في حديث الاسلام والأيمان والأحسان) (١)

وقد أعطى الملك القدرة على هذا التمثل ولا معنى لأن تنكر ذلك قياسا على ما تعلمه من نفسك فانك لا تعرف إلا أحكام عالمك ، ومن الغلط البين أو الجهل الشائن أن تحكم باحكام عالم على عالم آخر . ويحسن بنا أن نقتصر اليوم من هذا المقام على ما ذكرناه لننتقل للمقام الثانى

« ثبوت النبوة »

لنا في اثبات النبوة طرق كثيرة وهى فى اجمالها ترجع الى ثلاثة أشياء

١ — ما جاء عنه (صلى الله عليه وسلم) من المعجزات

٢ — النظر فى حياته عليه السلام ودراسة سيرته الشريفة وآثاره الجليلة

---

(١) محصل ذلك الحديث أن سيدنا جبريل جاء فى صورة اعرابى فجلس أمام النبى (صلى الله عليه وسلم) فسأله عن الاسلام والايمان والاحسان وعن الساعة وآماراتها فاجابه عن كل ذلك

٣ — القرآن

وكل واحد من هذه الطرق الثلاثة مترامى الاطراف بعيد الاكناف يحتاج الى عدة مقالات ولكن رأينا أن نمر بك اليوم على جميعها لتحيط خبرا باجمالها ومناحى القول فيها

« المعجزات »

ان المعجزات ثابتة بالتواتر وان لم يعرفها الجاهلون أو لم يعترف بها الملحدون وقد تعلم أن أرباب كل فن وصنعة قد يكون عندهم من الأمور المتفق عليها فيما بينهم والتى لا يمكن الشك فيها وقد التحمت عندهم بالبدهيات ما لا يعرفه غيرهم. وقد تعرف الامة من أحوال بعض رجالها ما يجهله سواها . وقد يحتف بالرجل أو الخبر قرائن لا تدع للشك في صدقه مجالا فمن عرف مالكا أو الشافعى أو ابا حنيفة أو ابن حنبل أو البخارى فانه لا يشك فى صدقهم ولا فيما يروونه فما بالك اذا اجتمع من أمثالهم العدد العديد وبلغ الأمر مبلغ التواتر في آحاد المعجزات أو جملتها وبالاختصار فأخباره صلى الله عليه وسلم وما ظهر على يديه أظهر عندنا وأثبت من أخبار (ارسطو) (وافلاطون) (وجالينوس) (وأقليدس) (وهوميروس) (ولويس الرابع عشر) (ونابليون) (وجان دارك) (ورينان) (واناتول فرنس) . ونقلة الأخبار الاسلاميون أظهر وأكمل واكثر من نقلة الأخبار عن هؤلاء ، ومن يردها فهو جاهل أو معاند . ولا فرق بين ما يحدثه التواتر من اليقين في النفوس وبين ما يحدثه الحس من ذلك فان وجود امريكا (وان لم نرها) مساو عندنا لأكبر ما نحس به ، اللهم إلا أن تضل العقول أو تفسد الفطر ، وقد قال الشاعر العربى الذى لم تفسد فطرته ولا انعكست فكرته

تأوبنى هم من الليل ناصب وجاء من الاخبار مالا يكذب

تظاهرن حتى لم يكن لى ريبة ولم يك فيها للنهى متعصّب

ومع هذا فلا نسير بك في هذا الطريق وان كان لنا فيه مجال واسع (فقد قال الامام النووى ان المعجزات ألف ومائتان)

ولكن عندنا ما يغنى عنه ولعلك أعرف به من هذا ولكل قوم طريق هو عليهم أقرب ولهم أجذب ، فنقول

﴿ الطريق الثانى ﴾

ان حال الصادق لا يشبه بحال الكاذب فى الأمور الصغيرة فكيف يشبه في الامور الكبيرة . الكاذب لا يكون الا جبانا والجبان لا يأتى بجلائل الأعمال وعظائم الأمور

الكاذب يظهر فى قوله وفعله وحركاته وسكناته ومعاملاته ومن الأمثال قولهم (تخبر عن مجهوله مرآته (١)) أي يخبر ظاهره عن باطنه ومما سار سير الأمثال قول القائل (ضمائر قلب المرء تبدو بوجهه) ويقول الشاعر الجاهلى

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

فمن عرف الرسول وصدقه ووفاءه ومطابقة قوله لعلمه وما كان عليه في جميع أحواله وسيرته طوال حياته وما أحدثه من الانقلاب الهائل فى العالم كله لم يشك فى أمره

ولا أجد في هذا المقام ابلغ وأورع مما قاله ذلك الرجل الكبير لا مارتين الفرنسى الطائر الصيت الغنى عن التعريف قال (٢) (اترون محمدا كان اخا خداع وتدليس وصاحب باطل ومين كلا بعد ما وعينا تاريخه ودرسنا حياته فان الخداع والتدليس والباطل والمين ! كل أولئك من نفاق العقيدة وليس للنفاق قوة العقيدة كما أن ليس للكذب قوة الصدق ، واذا كانت قوة الصعود والمرمى فى علم الطبيعة والحركات الآلية هى المقياس الصحيح لقوة المصدر الذى تنفذ منه الرمية ويظهر فى الأفق من القذيفة فان العمل والفعل الذى يحدثه المحدث فى علم التاريخ وسجل الخلود وكتاب الانسانية هو المقياس الصحيح لمقدار الوحى وقوة القلب والوجدان والفكرة السامية العالية التى تنفذ الى مكان بعيد وتبقى زمنا طويلا . وتمشى فى الحياة ابدا رخية . وهى لا ريب فكرة قوية . صدرت من جنان قوى . ولكى تكون تلك الفكرة قوية ينبغى أن يكون ظاهرها وباطنها الاخلاص . وعلمها الأكبر الحق والصدق . وتروح معقولة يقبلها اللب . ويعتمدها الذهن ولا ريب أن ذلك ينطبق على محمد ورسالته . والوحى الذى تنزل عليه . فان حياته وقوة تأمله وتفكيره وجهاده ووثبته على خرافات امته . وجاهلية شعبه . وخزعبلات قبيلته وشهامته وجرأته وبأسه فى لقاء ما لقيه من عبدة الأوثان . وثباته وبقاءه ثلاثة عشر عاما يدعو دعوته فى وسط أعدائه وبهرة خصومه

---

(١) المرأى والمرآة المنظر يقال فلان حسن فى مرآه وفى مرآته اى منظره

(٢) نقل ذلك صاحب مجلة البيان فى عددها الثالث من السنة السابعة صحيفة رقم ١٤٠

فى قلب مكة ونواديها ومجامع اهلها . وتقبله سخرية الساخرين . وهزءه بهزء الهازئين وحميته فى نشر رسالته . وثباته وتوفره عليها . وحروبه التى كان جيشه فيها اقل نفيرا من عدوه . ووثوقه بالنجاح . وايمانه بالظفر واعلاء كلمتـه . واطمئنانه ورباطة جأشه فى الهزائم . واناته وصبره حتى يحرز النصر . وطماعيته وتطلعه الى اعلاء الكلمة وتأسيس العقيـدة لا فتح الدول وانشاء الأمبورطيـة واقامة القيصرية . ونجواه التى لا تنقطع مع الله وقبض الله اياه الى جواره ونجاح دينه بعد موته . كل اولئك أدلة على أنه لم يكن يضمر خداعا أو يعيش على باطل ومين . بل كان وراءها عقيدة صادقة ويقين مضىء فى قلبه . وهذا اليقين الذى ملأ روحه هو الذى وهبه القوة على أن يرد الى الحياة فكرة عظيمة . وحجة قائمة . ومبدأ مزدوجا . وهو وحدانية الله وتجرد ذاته عن المادة .

الأولى : تدل على من هو الله

والثانية : تنفى ما الصق الوثنيون به

والأولى حطمت آلهة كاذبة . ونكست معبودات باطلة

والأخرى فتحت طريقا جديدا الى الفكر . ومهدت سبيلا طريفة للنظر . فالفيلسوف والخطيب والرسول والمشرع والقائد ومسعر الحرب وفاتح أقطار الفكر . ورواد الانسان الى العقل وناشر العقائد المعقولة الموافقة للذهن واللب ومؤسس دين لا وثنية فيه ولا صور ولا رقيات ، ومنشىء عشرين دولة في الأرض . وفاتح دولة واحـدة في السماء من ناحية الروح والفؤاد فذلكم هو محمد . فأى رجل لعمركم قيس بجميع هذه المقاييس التى وضعت لوزن العظمة الانسانية كان أعظم منه وأى انسان صعد هذه المراقى كلها فكان عظيما فى جميعها غير هذا الرجل .

انتهى كلام ذلك الرجل العظيم الذى لم يأكل الحقد قلبه ولا الجهل عقـــله وحقا (ليس يدرى العظيم غير العظيم)

ولنقتصر اليوم من هذا الطريق على هـذا ولو شئنا لذكرنا من شمائله ورفيع دلائله ما يلتحق بمدركات الحس ويخضع له أساطين علماء النفس ولنا اليه عودة ان شاء الله فلننتقل بك الى القرآن .

﴿ الطريق الثالث ﴾

القرآن

وما أدراك ما القرآن! وليت شعري أنعده معجزة واحدة أم نتجاوز به كل عد ونتخطى به كل حد فلو نظرت الى ما فيه من العلوم والمعارف وما اشتمل عليه من الحقائق والدقائق لعرفت أنه المعجزة الكبرى والآية العظمى وقد قال سديو الفرنسى «لو وجدنا القرآن فى فلاة ولم نعرف من جاء به لعلمنا أنه من عند الله» وقال الكونت هنرى دي كسترى ما هو مثل هذا أو أعظم منه وربما نقلنا كلامه فى غير هذه العجالة ولو نظرت الى ما فيه من الشرائع التى تطهر النفوس وتأخذ الناس الى السعادة من كل باب وتطلعهم على عظمة الله وجلاله بابلغ ما يكون واقصى ما يتصور وتسن لهم السنن التى عجز عنها أرسطو وأفلاطون لعرفت أنها الآية الباهرة والحجة القاهرة خصوصاً من مثل ذلك الأمى الذى لم يتل كتابا ولا خطه بيمينه. ولو نظرت الى فصاحته وبلاغته لاستولى عليك الدهش ولم تستطع أن تكيف ما خالج ضميرك وملأ قلبك، روح غير معروفة لأنها من السماء لا من الارض، وأسلوب أعجز الفصحاء من العرب العرباء فلم يستطيعوا منفردين ولا مجتمعين أن يعارضوه أو يأتوا بسورة من مثله. ولندع ذلك كله ونتحدث معك اليوم في ناحية من نواحى اعجازه غير ما سمعت، وهى اخباره بالمغيبات التى وقعت على نحو ما أخبر ولم يتخلف منها شيء فمن ذلك قوله (غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنين بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده) وانى استحلفك بحق العلم وشرف الانصاف أن تنظر فى هذه الآيات نظرة صادقة لترى كيف ذكر ذلك الوعد على سبيل الجزم وكيف أكده بتلك العبارة البالغة حيث يقول (وعد الله لا يخلف الله وعده) وكيف ذكر أنه يكون في بضع سنين، وهل يستطيع الذى يقول من عند نفسه أن يؤكد ويحدد، وهو اخبار عن أمتين عظيمتين بعيدتين لا يدرى حالها ومآلها إلا الله تعالى خصوصا في مثل ذلك العصر وهل ذلك ألا تعرض للخطر والقاء بالنفس الى التهلكة لولا وثوقه بالله عن الله، ولقد كان في غنى عن ذلك وأنه لا حزم من أن يخاطر بمستقبله بالاخبار عن مستقبل غيره بهذا التحديد والتأكيد

حتى جعله فى بضع سنين ثم قال (وعد الله لايخلف الله وعده) ولننتقل بك الى آيات المغيبات الأخرى ولا نطيل القول فيها

يقول الله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض) وهم يومئذ قليلون ذليلون مستضعفون يخافون أن يتخطفهم الناس فكانوا بعد ذلك خلفاء وعظماء وصدق الله ورسوله (سيُهزَم الجمعُ ويولونَ الدُّبُر) فهزموا وولوا ويقول فى حق اليهود (لن يضرُّوكم إلاّ أذى وان يُقاتلوكم يُولوكم الأدبار ثم لاينصرون ضربت عليهم الذّلة أينما ثُقفوا) وفي هذا أخبار بثلاثة مغيبات (١) (وإذ يَعِدكم اللهُ إحْدَى الطائفتَين أنّها لكم) فكانت لهم يوم بدر (اذا جاء نصرُ الله والفتح ورأيتَ النّاس يَدْخُلون فى دين الله أفواجا) فكان كل ذلك (وقد عبّر باذا التى للتحقق كما هو معروف) (لتدخلن المسجدَ الحرامَ إن شاء الله آمنين) (قاتلوهم يُعَذّبْهم الله بأيديكم ويُخزهم وينصُرْكم عليهم ويشفِ صُدُورَ قَوم مُؤمنين) (ولن تَفعلوا) . فما فعلوا . ويقول (وعدكم الله مغانمَ كثيرة تأخذونها وأخرى لم تَقدروا عليها قد أحاطَ الله بها) ويقول (وأُخرَى تحبُّونها نصر من الله وفتح قريب) ويقول (قل للذين كفروا ستُغلبون) فغلبوا كما أخبر ويقول (والله يَعْصِمك من الناس) ولو لم يكن هذا كلاما إلهيا لكان ذكره سفهاً موقعاً له فى الورطات والهلكات ، وقد جاءه اعرابى وهو نائم فاخترط سيفه وقال من ينجيك منى فقال الله ، فوقع السيف من يد الاعرابى وقد كان يوم حنين على بغلة لا تصلح للطلب ولا تنفع فى الهرب وقد فرّ عنه أصحابه وهو ينادي بأعلى صوته (أنا النبى لاكذب) (أنا ابن عبد المطلب)

وقبائل هوازن إذ ذاك بقضّها وقضيضها فهل يتصور مثل هذا من غير من تكفل الله له بالعصمة من الناس فوثق بكفالته فلم يبال بأحد سواه

ويقول (سَنلقِي في قلوب الذين كفَروا الرُّعب) ويقول (انا نحن نَزّلنا الذّكرَ وانا له لَحافظون) ويقول (ان الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) فرده الى مكة عام الفتح .

ومن ذلك اخباره بما كان للانبياء السابقين وهو أمىّ نشأ بين أميين كما قال بعد قصة نوح عليه السلام (تلكَ من أنباء الغَيْبِ نُوحيها اليك ما كنت تعلمها أنتَ ولا قومُك من قبل هذا)

---

(١) الاول لا يضرونهم الا اذى باللسان فقط والثانى انهم يهزمونهم اذا قاتلوهم والثالث انهم يكونون اذلاء تحت سلطان غيرهم .

وقال بعد قصة مريم عليها السلام (وما كنت لديهم اذ يُلقُون أقلامهم أيُّهم يكفُلُ مريمَ وما كنتَ لديهم إذ يختصمُون) وقال في قصة موسى صلى الله عليه وسلم (وما كنتَ بجانب الغربيّ اذ قضَينا إلى موسى الأمرَ وما كنتَ منَ الشاهدين) وما كنتَ ثاوياً فى أهلِ مَدْيَنَ تتلو عليهم آياتنا ولكنَّا كنا مُرْسِلِين وما كنتَ بجانبِ الطُّور إذ نادينا ولكنْ رحمة منْ ربك)

وقال بعد قصة سيدنا يوسف واخوته (ذلك من أنباء الغيب نُوحيه اليك وما كنتَ لديهمْ إذ أجمعوا أمرَهم وهم يمكُرون)

ولم يمكن أهل الكتاب أن يكذبوه فى شيء من ذلك وكانوا احرص الناس على تكذيبه وكانت هذه الاخبار عندهم مكتومة يتواصون فيما بينهم بكتمانها ولذلك يقول لهم الله تعالى (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) وينعى عليهم كتمانهم ما في كتبهم .

كما قال (ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البيّنات والهُدى من بعد ما بيّناه للناس فى الكتاب اولئك يَلعَنُهم الله ويلعنُهم اللاعنون)

وكثيراً ما تحدوه بتلك المغيبات فسألوه عن أهل الكهف وعن ذى القرنين الى آخر ما يعرفه العلماء وقد سمعه الجهلاء . مما يناسب ذلك أن القرآن وهو المتواتر الذى لا شك فى تواتره ذكر معجزات أخرى مثل قوله (وما رُميتَ إذ رُميتَ ولكن الله رمى) (سبحان الذى اسرى بعبدهِ ليلا منَ المسجدِ الحرام الى المسجدِ الاقصى)

وقد امتحنوه صبيحة ليلة الاسراء امتحان المتعنتين ، فلم تهن عزيمته ولا دحضت حجته الى غير ذلك مما يطول فيه القول ولا يأتى عليه البيان) وقد قال له الله وهو العليم بحال خلقه (قل لئن اجتَمَعَتِ الأنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتونَ بمثله ولو كانَ بعضُهم لبَعضٍ ظهيرا) ولعلك تلحظ بذهنك الثاقب ما فى هذه الآية من تحدى الجن والأنس ومناوأة الجميع وما تشير اليه من يقينه البالغ الذي يستحيل ان يكون من كاذب فيما يدعيه أو مرتاب فيما يقوله ، وما تحتويه من الثقة بالله التى لا يبالى صاحبها بجن ولا إنس الى آخر ما يمليه عليك ذوقك السليم وطبعك المستقيم ولنسق لك دليلا آخر لا يمارى فيه إلا الجاهلون ولا يتصلب أمام حجته الناصعة إلا الجامدون . ذلك الدليل القاطع والبرهان الساطع هو قوله تعالى (يَجِدُونه مكتوبا عندَهم فى التَّوراة والأنجيل) أفتراه وهو من أعقل العقلاء وأسوس العالم باتفاق الجميع

وشهادة آثاره التى بهرت العالم يأتى الى أمره المحتمل فيفضحه والى بنائه الذى كاد يكمله فينقضه حيث يعمد الى كتبهم التى فى بيوتهم وهم يضنون بها كل الضن على غيرهم فيخاطب جميعهم قائلا لهم إنكم تجدوننى فيها بنعتى ونعت أصحابى بل بذكر اسمى وأمتى كما قال (ذلك مَثَلُهمْ فى التّوراة ومَثَلُهمْ فى الانجيل كزَرع أخرج شَطْأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سُوقه) ويقول على لسان المسيح (ومبشّرا برسول يأتى من بعدي اسمُه احمد) فلم يستطع أهل الكتابين أن يكذّبوه وكان من السهل أن يجمعوا الخاصة والعامة ويقفوهم على ما يهدم دعواه هذه الصريحة التى لا تحتمل ولا يستطيع أن يدافع عنها لو كان كاذبا فيها .

فقل لى بعيشك هل يخاطر عاقل يعلم من نفسه الكذب مهما كان أمره هذه المخاطرة التى لا معنى لها ولا داعى اليها ثم يسكت اليهود بعد ذلك وهم من ألد أعدائه بل يؤمن الكثير منهم مثل عبد الله بن سلام واضرابه حتى قال تعالى (قل كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ومن عنده أم الكتاب)

ويقول فى حق قوم من النصارى (واذا سمعوا ما أُنزل الى الرّسول ترَى أعينَهم تَفيض من الدّمع ممّا عرَفوا من الحقّ) ويطابهم للمباهلة فيمتنعون ويقبلون الجزية ولا يباهلون ويذكر عنهم جميعاً أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ويكرر ذلك بدون خوف ولا وجل اللهم إن ذلك غير مقبول ولا معقول ولنختم مقالنا هذا بقول الله تعالى (مُحمّد رَسولُ اللهِ والذينَ مَعهُ أشدّاء على الكفّار رُحماء بَينهمْ تَراهم رُكّعاً سُجّدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سِيماهم فى وُجوههمْ من أثر السُّجود ذلك مثلهم فى التوراة) ولعلك تلحظ ما فى هذه الآية الكريمة التى تعطيك مقاصد الشريعة المحمدية اجمالا فقد بينت للأمّة ما يجب عليها مع الخارجين عنها من أعدائها فقالت (أشداء على الكفار) وما يجب عليها فى داخليتها مع أبنائها فقالت (رحماء بينهم) وما يجب عليها فيما بينها وبين الله تعالى فقال (تراهم ركّعا سجّدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا) ولنقهر القلم على ترك الجولان فى هذا الميدان فأنه عميق الغور بعيد المدى وليس ذلك إلا اجمالا يطول تفصيله ويدق تحليله ولعلنا نحلى بعض مقالاتنا المقبلة بشذور من فضائله ونماذج من شمائله ان شاء الله .

ما إن مدحتُ محمّدا بمقالتى لكن مدحتُ مقالتى بمحمّد

يوسف الدجوى
من هيأة كبار العلماء

السيرة النبوية

الهجرة النبوية

يذكرنا هلال المحرم ومفتتح العام الهجرى بحادث عظيم الشأن كان له في تاريخ البشر اعظم أثر . ذلك هو هجرة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة المشرفة الى المدينة المنورة ، فبها استهل الدين الحنيف ظاهرا باهرا بعد ما مكث ردحا من الزمان ببطن مكة مستكنا كامنا وبها بزغت شمسه ساطعة فملأت الكون ضياء ونورا بعد ما ترقرق فجره فى بطاحها يظهر حينا وتغالبه القوة أحيانا . فاهاب بالناس اجمعين ، وأضاء لجميع العالمين فنهم من آمن فاهتدى واحرز كل السعادة ، ومنهم من نكص عنه ففوت على نفسه الخير الكامل ولكن لم يفته نفعه العام الذى شمل جميع العالم بما بث من مبادىء العدل بين الناس وبما نظم من علائق المجتمع في المعاملة والمعاشرة حتى سرت مبادئه وتعاليمه في الدول والامم حتى التى لم ترتضه دينا وذلك بحكم المجاورة واختيار الأفضل الذى يرغب فيه كل فرد وهيئة .

يذكرنا هلال المحرم ومفتتح العام الهجري بذلك الحادث الجليل الذى اعتز به الدين واهتز له العالم . فقد ظهر ضوء الدين عاليا ، وسمع نداء الحق واضحا ، وأخذت الدعوة مكانها الذى يجدر بها وينبغى لها ، وأمكن من يريد الهدى أن يدخل فيه آمنا مطمئنا بعد أن كان عرضة للتعذيب فى حياته ومصالحه كلها

يذكرنا هلال المحرم ومفتتح العام الهجرى بهذا الدرس العظيم والمبدأ السامى الذى يجب أن يستشعره كل من ينتهض لنصرة حق يقين والقيام باصلاح خطير وهو أنه لا بد ملاق من أهله وعشيرته وجيرانه معارضة ومصادرة ومصادمة ومكابرة ولا يزال الحق والباطل يتصارعان حتى يفوز الحق ويصرع الباطل متى ثبت صاحبه عليه ولم ينهزم امام المصادمات القاهرة وإن الثبات على المعتقد الحق ودوام الاستمساك باليقين مهما كلف صاحبه

من حمل الشدائد ولو أن ينخلع المرء من أخيه وبنيه وعشيرته التى تؤويه واصلٌ بصاحبه لا محالة الى الفوز فى النهاية فلن يعدم الحق أنصاراً.

نشأ صلى الله عليه وسلم في مكة وتربى في ربوعها، وترعرع فى أعظم ارومة فيهاأهل لرأي والسيادة في الحرم المقدس وأهل العصبية والرياسة بين العرب، قوم معرفون وسادة نابهون تعرف خصال أبنائهم من صغرهم وفى كل أدوار أعمارهم فلا يستطيع ناشئ أن يخفى خلته ولا أن يوارب في خليقته فابناء النبهاء دائما تعرف خصالهم وتراقب احوالهم

فكان عليه الصلاة والسلام من أول نشأته معروفا بين قومه باكمل ما يعرف به ناشئ من صفات الخير وكرم الخلق والتنزه عن الهنات والنقائص وما زال هكذا حتى عرف فيهم بلقب الصادق الامين وحتى كانوا يرتضونه حكما بينهم على صغر سنه وامتلاء نفوسهم بالنعرة والحمية حمية الجاهلية يرتضونه حكما فى أمر هو مدار فخرهم (وكل حياتهم مبنية على الفخر) وأساس مجدهم (وكانوا يريقون الدماء ويزهقون الارواح في سبيل المجد) يرتضونه حكما في أعظم القضايا فى نظرهم وينزلون على حكمه فيغمدون سيوفا كانوا استلوها ويسكتون شقاشق ألسن كانوا أحدوها وما أمر اختلافهم فى وضع الحجر الاسود فى مكانه من الكعبة بخفى (١) عرف بينهم من صغره بالصدق والامانة حتى رغب في مصاهرته والاتصال به ذوات المال والحسب الرفيع. وما زال محبوبا موموقا من الجميع مرموقا بعين التجلة والتعظيم، وما زال هذا شأنه حتى اختاره ربه، والله أعلم حيث يجعل رسالته فاصطفاه ليهدى قومه فيهدى بهم الناس اجمعين، وكلفه أن يدعوهم ليؤمنوا به ويهتدوا بهديه ليخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم اليه صراطا مستقيما.

وكان هذا النور فاجأ أبصاراً ألفت الظلام فعشت عن أن تبصر به وتستضئ بضوئه فقام الكثير منهم بل جمهورهم يناوئونه ويعارضونه بل يحاربونه ويؤذونه وهو يقابل اذاهم بالعطف عليهم وشدتهم عليه باللين لهم وإعراضهم عنه بالاقبال نحوهم واذا اشتدوا فى اذاهم قال (اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون) ولما لم يستطيعوا أن ينالوا من أذاه ما يبتغون اتجهوا إلى من اتبعه فلم يدعوا أذى يقدرون عليه إلا أوقعوه بهم فكانت القبيلة تعمد الى من أسلم من مستضعفيها يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ومنهم من يطرح على ظهره فى فضاء مكة اذا اشتدت الهاجرة وحميت الظهيرة ويوضع

---

(١) لما جددت قريش بناء الكعبة ووصلوا فى البناء الى محل وضع الحجر الاسود اختلفوا فيمن يضعه فى مكانه حتى لجاوا الى السيوف ثم ارتضوا حكم من يحكم بينهم الخ.

على صدره الصخرة العظيمة، ويقال له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد. فاذا كان الرجل قد أسلم وله شرف ومنعة فلم يستطيعوا ضربه وتعذيبه أنّبوه ووبّخوه وقالوا له تركت دين ابيك وهو خير منك، لنسفهن حلمك، ولنقبحن رأيك ولنضعن شرفك فان كان تاجرا هددوه بكساد تجارته واهلاك ماله، كل هذا والنبى صلى الله عليه وسلم يقابلهم باللين ويعاملهم بالرحمة ويقرعهم بالحجة ويبين لهم الهدى ويدعوهم الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ومع هذا لم يتركوا بابا من أبواب الأذى يقدرون عليه الا ولجوه ليوقعوا به وبمن معه حتى اضطر صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على القبائل فى موسم الحج فيبلغهم أنه رسول الله ويعرض عليهم الاسلام ويسألهم أن يحموه من أذي قومه، فكان منهم من يعتذر ويرد ردا حسنا، ومنهم من يرد ردا سيئا، ومنهم من يشترطون عليه أن يكون لهم الامر من بعده فيقول لهم: الامر لله يجعله حيث يشاء

وما زال هكذا حتى أراد الله اظهار أمره وانجاز موعده له فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موسم الحج فلقى نفرا من الخزرج فعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فشرح الله صدورهم له وقد كانوا يسمعون من أهل الكتاب نبأه وأنه سيرسل فيؤمنون به فيغلبون به المشركين، فقال بعضهم لبعض هذا الذي توعدكم به اليهود فلا يسبقنكم اليه فأجابوه لما دعاهم وقالوا له: لقد تركنا قومنا من ورائنا ولا قوم بينهم من الشر ما بينهم فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعزمنك، فلما رجعوا الى المدينة ذكروا لقومهم ما رأوا ودعوهم فأجابهم كثير وفشا الاسلام فى المدينة فلما كان العام المقبل وافى الموسم من أهل المدينة أثنا عشر رجلا من المسلمون فبايعوه صلى الله عليه وسلم على ألا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصوه في معروف، وتسمى البيعة الاولى، وانصرفوا الى المدينة وأرسل معهم صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير يؤمهم ويقرئهم القرآن ويفقههم فى الدين فزاد فشو الاسلام فى المدينة حتى كان الموسم الذى يليه قدم كثير ممن أسلم فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوافوه بالعقبة ليلا خفية وكان ذلك وسط أيام التشريق فاجتمع به منهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان وكان قد خرج اليهم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب، وكان ذلك قبل أن يسلم ولكنه صحب ابن أخيه ليحضر أمره ويتوثق له فكان هو أول متكلم، قال لهم: أن محمد منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا من هو على مثل رأينا فيه فهو في عز من قومه ومنعة في

بلده وأنه قد أبى إلا الانحياز اليكم واللحاق بكم ، فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن فدعوه فقالوا : قد سمعنا ما قلت فتلكم يا رسول الله ، فخذ لنفسك ولربك ما احببت ، فتلا عليهم القرآن ودعا الى الله فرغب في الاسلام ثم قال أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأولادكم فبايعوه على هذا ، وتسمى البيعة الثانية وفشا الخبر فى قريش فجاءوا الى أهل المدينة وقالوا : بلغنا انكم قد جئتم الى صاحبنا هذا لتخرجوه من بين أظهرنا وتبايعوه على حربنا وانه والله ما من حى من العرب أبغض الينا ان تنشب الحرب بيننا وبينهم معكم ، فانبعث منهم من لم يحضروا البيعة ولم يعلم امرها ممن بقى على دينه يحلفون بالله ما كان من هذا شئ وما لهم به من علم

وقال قائل منهم : إن هذا الأمر جسيم ما كان قومنا ليفوتوا علينا بمثله ، وما علمناه كان . فانصرفوا عنهم . فلما نفر الناس من منى تحسس القوم الخبر فوجدوه صحيحا فخرجوا في أثرهم فادركوا منهم اثنين فاتهم أحدهما وأمسكوا الآخر وهو سعيد بن عبادة فرجعوا به الى مكة يضربونه ويجذبونه من شعره حتى استجار برجلين منهم وهما جبير بن مطعم ابن عدى والحرث بن حرب بن أمية ، وكان يجير لهما تجارتهما ويمنعهما ممن يريد ظلمهما ببلده فلما هتف باسمهما وسمعا بذلك جاءا وخلصاه من أيديهم فانطلق راجعاً الى المدينة

على هذا الوجه كان اهتمام قريش بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وايغالهم فى أذاه وأذى من اتبعه وتضييقهم الخناق عليه وعليهم وحذرهم أن يفات من أيديهم شعورا منهم بأن ذلك وبال عليهم وأنه سيقهرهم . بعد هذا أمر الرسول أصحابه أن يهاجروا الى المدينة فكانوا يخرجون ارسالا خفية وكان قد هاجر منهم جماعة قبل ذلك الى الحبشة ومكث صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أمر ربه له بالخروج ، فلما رأت قريش ذلك وخشيت أن يستفحل أمره عليهم فيوقع بهم كما أوقعوا به رأوا أن يفعلوا في ذلك أمراً حاسماً فاجتمعوا في دار الندوة وهى دار قصى بن كلاب كانت قريش تجتمع بها للتشاور فلا تقضى أمراً إلا فيها ، فقال بعضهم لبعض : ان هذا الرجل قد كان من أمره ما رأيتم ولا نأمنه على الوثوب علينا فيمن اتبعه من غيرنا فاجمعوا فيه أمراً فقال بعضهم احبسوه فى الحديد واغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب غيره من ريب المنون . فقال قائل : والله ما هذا لكم برأي لئن حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الى أصحابه

فلاوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم وقال بعضهم نخرجه من بيننا فننفيه من بلادنا فما نبالى أين ذهب ولا حيث وقع اذا غاب عنا وفرغنا منه فاصلحنا أمرنا وإلفتنا كما كانت. فرد عليه القائل الاول بقوله: ألم تروا الى حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حى من العرب فيغلب عليهم بذلك فيتابعوه ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم فى بلادكم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد وقال أبو جهل: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى جليدا نسيبا ثم نعطى كل فتى سيفا صارما فيعمدوا اليه يضربونه ضربة رجل واحد، فيقتلوه ويتفرق دمه في القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فيرضوا بالعقل فعقلناه لهم جميعا فانحط رأيهم على هذا. هكذا كان شأن القوم يحاولون قتل من يريد لهم الحياة الطيبة كما قال القائل «أريد حياته ويريد قتلى» ويبغون اهانة من يبغى لهم الكرامة، ونفيَ من يدعوهم ليكونوا خير أمة أخرجت للناس وهم مع هذا يرون انفسهم سادة العرب وقادتها وذوي الرأى الأصيل والعقل الراجح فيها، ويعرف لهم العرب قدرهم ويجلونهم ويعظمونهم ويرون فيهم حماة حرمهم الذى يحجون اليه كل عام من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويسمون أنفسهم الحُمْس لشدة تحمسهم فى دينهم، حقا ان أشد العدوات وافظعها عداوة المرء لنفسه.

وقد أوحى الله الى نبيه واطلعه على ما بيتوا له من الأمر ووعده انه عاصمة منهم وامره بالخروج مهاجرا الى ربه، وان يتوجه الى المدينة المنورة وكان خروجه فى الليلة التى أزمعوا تنفيذ نيتهم الخبيثة فيها، فامر على بن أبى طالب كرم الله وجهه أن يبيت فى مكانه وان يرتدى بردائه واخبره أن لن يخلص اليه شيء يكرهه منهم، وخرج عليه السلام يخترق الفتية الذين رصدوه ليوقعوا به فأخذ الله بأبصارهم فلم يروه وهو خارج من بينهم وحثا على رؤوسهم التراب ارغاما لهم واهانة (وليُغلَبنّ مُغالبُ الغلاّب) وكان صلى الله عليه وسلم يتلو حين خروجه «يس» الى قوله «فاغشيناهم فهم لا يبصرون» فلما أصبحوا التمسوه فرأوا عليا نائما فى فراشه مرتديا ببرده صلى الله عليه وسلم فظنوه إياه حتى اذا قام عليّ وعرفوه تبين لهم فشلهم وسُقِط فى أيديهم، وقد اشارت الآية الكريمة الى شيء من ذلك في قوله تعالى (واذ يمكُر بك الذين كفروا ليُثبِتوك أو يَقتُلوك أو يُخرجوك ويَمكُرون ويَمكُر اللهُ واللهُ خيرُ الماكرين) خرج صلى الله عليه وسلم الى بيت ابى بكر وكان ذا مال وكان يطمع أن يكون في صحبته عليه السلام لانه كان استأذنه فى

الهجرة فقال له لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا فاعد راحلتين دفعهما الى رجل يعرف الطريق ليكونا عنده الى وقت الحاجة وليكون دليلا لهما ، فلما أخبره أنه قد اذن له في الخروج سأله الصحبة فاجابه اليها ، فاخبره بما أعد لذلك ثم خرجا خفية الى غار بجبل ثور بأسفل مكة فاقاما فيه ثلاث ليال وكانت قريش قد أهمها الامر ، فجعلت لمن يدل عليهما مائة ناقة وتفرقوا فى السبل علّهم يدركونهما وكان مما مروا به ذلك الغار فصرف الله أبصارهم عنهما فلما سكن الناس عنهما اتاهما الدليل الذي استأجراه بالراحلتين واسمه عبد الله بن ارقط فركبا وسارا على بركة الله وقد سمع بمسيرهما رجل يسمى سراقة ابن مالك فركب فرسه ولبس لامته يريد الظفر بهما طمعا في المائة الناقة التى جعلتها قريش على ذلك ، فلما اقترب منهما عثر به فرسه وسقط عنه ثلاث مرات وساخت يدا فرسه فى جلَد من الارض بدعائه صلى الله عليه وسلم عليه فاستجار بهما وعاهدهما أن يرد عنهما الطلب فدعا له صلى الله عليه وسلم فقام من كبوته ووفى بما تعهد به ، وقد علم أنه لن يصل اليهما فناداهما انى لا أريد بكما شرا وانما ابغى منكما كتابا يكون آية ما بينى وبينكما فكتبه له أبو بكر باذنه صلى الله عليه وسلم وحفظه سراقة عنده حتى كان يوم فتح مكة فقدم به على النبى صلى الله عليه وسلم وأسلم وحسن اسلامه . ولما سمع أهل المدينة بخروجه اليهم غلبهم الفرح والشوق الى رؤيته بينهم فكانو يخرجون كل يوم يرقبونه خارج المدينة حتى يشتد الحر فيعودوا الى دورهم حتى كان اليوم الذى وصل فيه صلى الله عليه وسلم كان أول من رآه رجل من يهود فصاح بأعلى صوته هذا جدكم الذى تنتظرون قد جاءكم - يريد بالجد الحظ - فاقبلوا عليه مرحبين وأخذ البنات يغنين .

طلع البدر علينا   من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا   ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا   جئت بالامر المطاع

الطرف والملح

قال ابن فارس : لو اقتصر الناس على كتب القدماء . لضاع علم كثير . ولذهب أدب غزير . ولضلت افهام ثاقبة . ولكلت ألسنة لسِنة . ولمجت الاسماع كل مردّد . ولفَظَت القلوب كلّ مرجع .



كلمة لمدير المجلة

لقد كان من الأماني التي تجول في خاطر كل مؤمن خالص الايمان أن تصدر عن الأزهر الشريف الذى هو مشرق أنوار العلوم الدينية ، مجلة تكون ميدانا تتنافس فيه الأفكار ، ومُستبقا تتبارى فيه العقول ، ومثابة للمسلمين وأمناً يلجأون اليها اذا نجمت بينهم نواجم الشبهات ، وثارت عليهم أعاصير الفتن ، تهديهم سُبُل السلام وتَقِفُهُمْ على محجة الهدى ، وتزيل غواشي الباطل عن وجه الحق فيبدو ساطعاً يهتدى به الضال ويضوى اليه المعتسف .

ومن سنن الله تعالى المشهودة في مجارى الحياة أن النيات الصالحات الصادرات عن الاخلاص والنصح المجرد لا بد أن تتحقق آثارها وتؤتى ثمارها .

لحقيق بكل مسلم أن يشكر لله سبحانه نعمة صدور « مجلة نور الاسلام » ويعرف لصاحب الجلالة مليكنا المعظم « فؤاد الأول » حرس الله ملكه ولرجال دولته الأماثل ما لهم من الفضل في هذا العمل المبرور ، ويرجو لها تحقيق تلك المقاصد الشريفة .
وجدير بالمستنيرين من المسلمين الخُلّص الناصحين لدينهم فى جميع أقطار العالم الاسلامى أن يتقبلوها بقبول حسن ، وأن يمدوها بثمار أفكارهم ونتائج قرائحهم ، وأن يعتبروها وصلة معنوية توثق بينهم عروة الاخاء التى لا رابطة لهم أقوى منها « إنما المؤمنون إخوة » « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا »

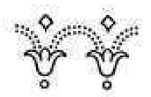
أغراض المجلة دينية خلقية علمية بحتة ، فلا تتعرض للسياسة بحال ، ولا تتدخل في أمور الناس إلا فى حدود قوله تعالى « خذ العفوَ وامر بالعُرف وأعرض عن الجاهلين »

تُعنى المجلة أشد العناية ببيان ما في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من أصول الأخلاق الفاضلة ، وقواعد الآداب الكريمة التى ينبغى لكل مسلم أن يقتفيها ويسير على سننها في حياته وبشرح ما تضمناه من العظات والعبر التى يجب على المؤمن أن يتخذها قواما لسيرته ونبراسا لسريرته وتشير الى ما احتويا من مبادئ التربية الصحيحة

التي لا تكمل الانسانية إلا بها ، وتهيب بالنادّين عن جادة الاسلام من ابنائه الذين تغذوا بلبانه ، وترعرعوا فى حجره إهابة الأم الرؤوم بأولادها أن هلموا إلى حظيرتكم المقدسة وحصنكم المنيع واعملوا مع اخوتكم على تعزيز أركان الاسلام وتقوية بنائه ، وابذلوا ما وهبكم الله من قوة التفكير والبيان فى دراسة علومه وتفهّم أصوله ومقاصده ، لتعلموا أنه هو الوسيلة الوحيدة لسعادة البشر ولا يغرنكم تلبيس الماديين وتمويه دعاة حرية الفكر من الغربيين وتسأل الله لها ولهم الهداية الى سواء السبيل .

وترجو المجلة من كل مسلم غيور على دينه أن يوافيها بكل ما يعن له من طرق الاصلاح في التعليم الدينى سواء أكان متعلقا بوسائله أم بمقاصده وما يطلع عليه في المجلات أو الجرائد السيارة من المقالات التى لها مساس بالدين ، وتحض طلبة العلم كافة سواء بالمعاهد الدينية أم بدار العلوم والكليات والمدارس أن يواظبوا على مطالعتها بجد واهتمام . و يبعثوا اليها بما يجول فى خواطرهم من الآراء والأفكار فى شأن المواضيع التى تنشر فيها . ترجو من القراء كل ذلك ليعينوها على القيام بأعباء ما احتملته من إعلاء كلمة الحق ونشر الفضيلة . « رَبَّنا آتِنَا مِن لدُنْك رَحمةً وَهيِّءْ لنَا مِن أمْرِنا رَشَداً » ؟

عبد العزيز محمد



السيرة النبوية

ترجمة الفصل العاشر من كتاب السيرة النبوية

للسيدين . ا دينية

وسليمان بن ابراهيم الجزائرى

لصاحب التوقيع

وقفت على كتاب جليل فى السيرة النبوية وضعه كل من المسيو ا. دينيه والشيخ سليمان بن ابراهيم الجزائري . والاول منهما رجل فرنسى اقام فى الجزائر نحو ثلاثين عاما درس فى خلالها أحوال الاسلام والمسلمين وحبب اليه هذا الدين فأسلم والف هذا الكتاب هو والشيخ سليمان المذكور فأحببت أن أترجم منه بعض فصوله لمجلة نور الاسلام لما فيه من الحقائق التى يجحدها المفتونون بالحضارة الغربية ويموهون على الناس بأن لا فضل في وجودها لغير الأوربيين .

« الفصل العاشر من الكتاب »

لما لحق مؤسس الدين الاسلامى العبقري بالرفيق الأعلى كان قد فرغ من تنظيمه تنظيما دقيقا محكما شمل أقل الاعمال فيه.

وكانت جنود الله قد دوخت بلاد العرب كلها وأنشأت تغير على الشام وعلى مملكة القياصرة العظيمة وقد عرضت فترة اضطراب كان تجنبها غير مقدور عليه بعد وفاة ذلك المرشد الموحَى اليه فسببت بعض الفتن ولكن الاسلام كان من قوة بنائه وشدة تحمس الناس له بحيث إنه كان لابد له أن يدهش العالم بنهضته الساحقة التى قد تكون معدومة النظير فى سجلات التاريخ

اندفع العرب الأعزاء لأول مرة خارج بلادهم المحرومة من مواهب النعم تثيرهم معجزة

الايمان فاستولوا فى أقل من مائة سنة على ما كان بهم من قلة مفرطة فى عددهم على معظم بلاد الدنيا القديمة المتمدنة من الهند إلى الاندلس

وقد شغلت هذه الفتوح المتوالية كثيرا بال اعجب رجل فى عصرنا اعنى نابليون الذى كان دائما يبدي للاسلام عظيم اهتمامه الصادر عن عطف ومودة . فقد قال في خطبة له شهيرة القاها فى مصر هذين اللفظين : مؤمنون . وموحدون . (انظر كتاب بونابرت والاسلام للمسيو شرفيس) وكان في أخريات أيامه يتحدث عن الاسلام أيضا فمن قوله فيه : يظهر لى أنه بقطع النظر عن الاحوال العرضية التى تجلب العجائب لابد أن في تأسيس الأسلام شيئا نجهله وأن العالم المسيحى قد انتقص انتقاصا بلغ الغاية بنتائج سبب أولى بقى مستورا وأنه ربما كان لهذه الشعوب التى برزت فجأة من أعماق الصحارى حروب أهلية طويلة نشأت لهم في خلالها اخلاق كريمة ومواهب عظيمة ودوافع لا تقاوم أو بعض الأسباب الأخرى التى من هذا النوع.

(انظر ذكرى سنت هيلين — الجزء الثالث صفحة ٨٣ للمسيو لاسكساس) ولكونه كان يتنبأ بأن سيكون للاسلام وهو في غفوته حال تدهوره ذخيرة من القوة لا نظير لها سعى عدة مرات فى أن يتحالف معه محالفة كان يعتقد أنه لو نجح فيها لكان أهلا لايقاظه ولتغيير وجه الارض بمعونته.

ولم يكن نابليون واهما في ذلك لأن الحروب الاهلية التى كانت تنشب بين العرب قد رفعت في نفوسهم صفات البطولة ولكنها صيرت كل تنظيم لهم وكل تقدم مستحيلا

ولو لم يبعث بينهم محمد لظل هؤلاء الجنود الشجعان باقين في حدود صحاريهم إلى الآن مستغرقين فى الاهتمام بمعاركهم الموروثة.

ولما محا الاسلام من نفوسهم نخوة الاعتزاز بالقبيلة وبالنسب والجنس وجعل جميع المؤمنين اخوة ونفخ فيهم روح المساواة والدين وسمو الفكر صاروا ذوى نفوس تتقد حمية وقلوب لا تخضع للضيم أنفة جديرين بحمل اعباء جميع الغزوات والحروب . ولم تكن ذخائر هذه القوة التى تراكمت فى نفوسهم خلال قرون قضوها فى الحروب الأهلية هى وحدها الوسائل التى قلبوا بها كيان كثير من الشعوب المغايرة لهم مغايرة عظيمة والمتفوقة عليهم تفوقا كبيرا فى ذلك العصر بمعلوماتها العامة ، بل هم قد جمعوا أيضا في أخيلتهم نفائس من المنى والاحلام خلال عدة قرون صرفوها فى التأمل فى جلال الصحراء وعظمة الفضاء. وهذه المنى والأحلام المدخرة فى هذه الأمة التى وأن لم تكن مثقفة كانت فتية ، قد فرضتها فرضا على جميع تلك الشعوب التى كانت على ثقافتها شائخة منهوكة.

ونحن ننصح لمن قد يستريبون فى ذكاء العرب ونبوغهم أن يتصفحوا مجموعة من الرسوم المنقوشة التى تمثل الابنية المنتشرة فى البلاد الخاضعة لسلطانهم فلا شئ يدهش فيها كاتحادها في النمط الذي يميز هـذه الآثار عن غيرها من جميع آثار الدنيا. ومع تشابه هذه المبانى فيما بينها تراها قائمة في الهند وتركستان وفارس والشام وبلاد التُرك ومصر والبربر وأسبانية وغيرها . اعنى في بلاد متغايرة تغايرا مطلقا، ومتمايزة تمايزا كثيرا فى مواهبها الخاصة حتى إن مواهب اليونان والرومان لم تستطع فى وقت ما أن تغير منها شيئا يعتد به.

اقتبس العرب اشياء كثيرة من الامم المغلوبة لهم كما انتفعوا في كثير من الاحيان بمواهبهم وبسواعدهم ايضا فى تشييد قصورهم ومساجدهم.

ولكن هذه الاعمال كانت دائما خواطر في احلام العرب واخيلتهم برزت الى الوجود.

ومحل الغرابة الشاذة في النمط العربى هو أن المرشد المتحكم فيه هو فن ولد مع الاسلام فى وقت واحد ولم يسبق له نظائر. وهذا الفن يهدى الينا إن صح لنا التعبير بذلك صورة مجسمة في تمجيد كلمات الله اعنى آيات القرآن فن الخط العربى هـذا حتى لو اقتصر على طرقه وحدها يصح أن يقال فيه بلا مبالغة: إن فيه روحا لأنه كلفظ الانسان يعبر عما فى النفس من الفكر وهو بعدم اقتباسه شيئا من العالم الخارجى حتى ولا من اشده عناية بتنميقه يمت الى الموسيقى بسبب، فكأنه رموز مقتضبة لاخفى حركات القلب.

انظر الى هذه الخطوط التى تنهض من اليمين الى اليسار على هيئة منحنيات مطمئنة أو ثائرة ثم تنتصب لتقف عن الحركة ثم ترسم فجأة على هيئة أعمدة شامخة ثم تعود عما قليل سيرتها الاولى الى مجراها المطلق وتبسط ما اشتبك منها، ويتغير تناسقها على ما يشاء الهوى المحبوب.

وليس من الضروري أن يكون المرء عالما بالعربية منقطعا لها متضلعا فيها أو ماهرا دقيقا فى الخط ليتتبع آثار الكلام الذى خط بهذه الحروف ويتمتع بمحض تميز اشكالها أو بالانفعال الشديد الذى يجده في منحنياته فكل متفنن ستنفذ روحه في أسرار نفس هذه الحروف بلا عناء.

وبعد أن عبَّر الخطُّ العربى تعبيرا تاما عن المثل الاعلى لامته اذل لسلطانه الذى يكاد يكون دينيا كل ما كان معدا لأن يحمله او يكون اطارا له. اعنى بذلك فنَّ البناء وطرق الزخرف الاخرى بالجائها الى مزاوجة نمط أشكاله — وقد دانت لهذا السلطان

قبة بزنطية الثقيلة التى على صورة نصف كرة بأن اختير لها شكل خوذة للجندى المسلم وقد تحولت منحنيات بواكيها المبتذلة الى منحنيات العقد الستين الجميـل ، أو الى قوس شامخ متجاوز الحد فى علوه وتغـيرت ابراجها العادية ماآذن شـيقة تذهب صعدا الى ذرى ما يأخذ بالعقل فيذهب باللب .

ثم طريقة الزخرفة الوحيدة التى هى كالخط لم تقتبس شيئا من الفطرة واعنى بها الزينة الهندسية التى لم يستمد منها اليونانيون واللاتينيون الا آثارا غاية فى الحقارة والسماجة قد انتعشت عنـد العرب بروح حقيقية ، ومن ثم سميت هـذه الزينة باسم ذى معنى وهو الزخرف العربى وعملت على اثارة استحسان الفـكر متأسية بمثالها وذلك باضـلاله بين اعسر المتشابكات تعقدا وابعد الاستحالات توقعا .

واها لك أيتها المبـدعات النفيسة للفن الاسلامى ان عشاق الطرف من الاوربيين يتنافسون اليـوم في شراء بقاياك بالذهب عسى ان يدخلوا بك في بيئاتهم المظلمة بعض الاشعة المنعكسة بالامانى التى استمدها من روح الالهام صانعوك . اليست الواح الزجاج المشعة والاقداح الزجاجية المختلفة والنسائج الموضوعة والحرابر المتعددة الالوان والنحاس المرصع ومصغرات الصور الفاخرة هى مفخرة الاسلام التى تتغنون بها في مسا كنكم انهم قد أنشاوا يفضلون من جميع نفائسك النفائس الخطية المنعشة بنقلها الآيات الالهية أى النقوش القرآنية أو نفائس القيشانى المتلالئة الطلاء وهم بذلك يحتـذون مثال أمراء المسلمين فى عصر الحضارة العظمى للاسلام الذين كانوا يرتـكبون من اجل اقتناء صحيفـة واحدة من خط خطه أحد مشاهير الخطاطين حماقات كالتى نرى ارتـكابها الآن من أجل اقتناء طرف التصوير . ولـكن أنت أيتها النقوش المقدسة التى تقفين ما لـكيك الجـدد خافقة قلوبهم اعجابا بانيق اشـكالك . ألا تـكشفين لهم يوما النقاب عن جمـال روحك الاسلامية الاسمى .

لقد كانت أوربة حتى فى وقت أشد عدائها للاسلام مبهورة من كل هذه البدائع فقد اقتبست أشياء لاعد لها من آثار نبوغ العرب في الزخرف والبناء وقد يدل الاستقصاء في البحث على انها مدينة لهذا النبوغ بأكثر مما تدين به للنابغين من قدماء اليونانين واللاتينين

ومثل هذا البحث قد يبعد بنا كثيرا عن موضوع الـكتاب ، وحسبنا ان نذكر هنا على سبيل الاستغراب أننا اذا اخذنا بقول المؤرخ دولور يكون بعض مهندسى البناء من العرب قد استخدموا فى بناء كنيسة نتردام دوباري .

ولم يكن نفوذ المسلمين فى ميدان العلم بأقل من ذلك خصبا ولكى نعطيك فكرة منه لا نرى احسن من أن نلخص لك الرأي الذى ابداه الدكتور جوستاف لوبون في كتابه المشهور حضارة العرب اذ قال : (علينا أولا ان نعترف بأن العرب هم الذين يرجع اليهم الفضل كله في الاستعاضة عن ولاية الاستاذ بالتجربة والملاحظة اللتين هما اساس الطرق العلمية الحديثة لا الى باكون الذى ينسب اليه ذلك فى الجملة)

وبعد أن أثبت العالم الشهير هنبلط إن أعلى درجة فى العلم تنحصر فى استدعاء المرء نفسه وباختياره للظواهر الكونية وحثها على الظهور قال : ان العرب قد بلغوا هذه الدرجة التى تكاد تكون مجهولة للقدماء .

ودراسة الرياضيات كانت منتشرة جدا عندهم والزيادات التى اضافوها الى علم الجبر صيرت هذا العلم الى غاية نسبوا اليهم بها انهم هم الذين اخترعوه ويرجع الفضل اليهم كذلك فى التطبيقات الاولى للجبر على الهندسة وفى ادخال خطوط التماس فى حساب المثلثات

وقد كان علم الهيئة يدرس بشغف فى مدارسهم ببغداد ودمشق وسمرقند والقاهرة وفاس وطليطلة وقرطبة وغيرها .

ويمكن تلخيص ما استكشفوه فى هذا العلم فيما يلى من العدد وهى :

ادخال خطوط التماس في الحسابات الفلكية ، ووضع جداول لحركة الكواكب وتحديد سمت الشمس تحديدا دقيقا وتدرجه فى النقص وتقدير تقدم الاعتدالين تقديرا مضبوطا وأول تحديد مضبوط لمدة السنة

ثم اننا مدينون لهم ايضا باثبات ما فى اكبر خط عرض للقمر من ضروب عدم الانتظام واستكشاف عدم التساوي القمرى الثالث المعبر عنه اليوم بالتغير

وقد ادلى هؤلاء الجوالون الجريئون فى علم تقويم البلدان بالقدح المعلى

وكانت لهم من الوجهة العلمية هذه التحديدات الفلكية المضبوطة التى هى أول أساس للخرائت ، وقد صححوا الاغلاط الجسيمة التى ارتكبها اليونانيون في أوضاع البلدان . ومن جهة جوب الاقطار قد نشروا اختبار رحلات لهم عرفت الناس أجزاء مختلفة للعالم قل من توهموا وجودها قبلهم ، ولم يسبق للاوربيين ان طرقوها فقد بينت على خريتة رسمها الادريسى يرجع تاريخها الى سنة الف ومابة وستين بيانا كاملا منابع نهر النيل مخترقة البحيرات الاستوائية الكبرى التى لم يكتشفها الاوربيون الا في النصف الثانى للقرن التاسع عشر

وفي العلوم الطبيعية يزيد عدد اكتشافاتهم عن ذلك أيضا ، يدلك على علو شأنها تعدادها فيما يلي . فمنها معلومات عالية في نظريات علم الطبيعة خصوصا فى نظرية البصر ومنها اختراع اجهزة آلية من ابدع ما يكون ، واكتشاف أعلق الاجسام باصل علم الكيمياء مثل الكحول والحامض الآزوتى والحامض الكبريتى ، وأهم الاعمال الاساسية في هذا العلم مثل التقطير وتطبيق علم الكيمياء على فن الصيدلة وعلى الصناعة خصوصا صناعة استخراج المعادن وصنع الفولاذ والصباغة وغيرها وصنع الورق من الخرق والاستعاضة به عن ورق الغزال والبردى وورق الحرير الصينى ، ومن المحتمل انهم طبقوا بيت الابرة (البصلة) على الملاحة ومن المحقق انهم ادخلوا هذا الاختراع الاساسى في اوربة

ثم ان من ذلك اكتشافهم للاسلحة النارية ففى سنة ١٢٠٥ كان الامير يعقوب يستعمل المدافع فى حصاره مهدرة

وفى سنة ١٢٧٣ استعملها السلطان ابو يوسف فى حصار سجلماسة

وفي سنة ١٣٤٢ كان الكونتان الانجليزيان دربى وسالسبرى يشهدان حصار الجزيرة والعرب يدافعون عنها بالمدافع ، ولما عاينا استعمال البارود نقلا هذا الاكتشاف الى بلادهما ولهذا السبب استعمله الانجليز بعد ذلك باربع سنين في حصار مدينة « كريسى »

وفى العلوم الطبية استمد العرب اولا معلوماتهم من كتب اليونان ثم حصلوا منها زيادات أعلى ما يكون شأنا فمعظم علوم اوربة الطبية فى عصر تجددها أخذت عنهم وأشهر الزيادات التى اضافوها الى العلوم الطبية هى في التشريح ووصف الامراض والمادة الطبية والصيدلة . وقد اخترعوا عدة طرق علاجية بعضها كاستعمال الماء البارد فى الحمى التيفودية (١) قد استؤنف استعماله في العهد الاخير بعد أن نسى قرونا طويلة

والمادة الطبية مدينة لهم بكثير من الأدوية مثل خيار شنبر والسنا المكى والراوند والتمر الهندى والكافور والكحول والقلى وغيرها .

وقد كانوا هم المنشئين الحقيقيين لفن الصيدلة ويرجع اليهم الفضل في أغلب المستحضرات المستعملة الى اليوم مثل الأشربة وصنوف اللعوق واللزق والمراهم والادهان والماء المقطر وغيرها

وفن التشريح مدين أيضاً للعرب بزيادات أساسية وقد استعملت كتبهم فيه أساساً للتعليم فى كليات الطب بأوربة الى عهد قريب جداً ، وفى القرن الحادى عشر من التاريخ المسيحى

---

(١) وقد ورد فى هذا قوله عليه الصلاة والسلام ، الحمى من فيح جهنم فاطفئوها بالماء ، وفى رواية فابردوها رواه البخارى فى كتاب الطب

كانوا يعرفون علاج الماء الذى ينصب في العين « الكتاركتا » بالتحويل أو استخراج البلورية ، وتفتيت الحصاة وعلاج النزيف بصب الماء البارد واستعمال الكاويات والأخزمة والكى بالنار ، ان التخدير الذى يرى الناس الآن ان اكتشافه الأساسى حديث العهد يظهر إنه لم يكن مجهولا لديهم فانهم كانوا يوصون باستعمال الزوان(١) لتنويم المريض قبل البدء في الأعمال المؤلمة حتى يفقد ادراكه واحساسه .

وكانت لهم ايضا ثقة عظمى بعلم تدبير الصحة من جهة علاج الأمراض فكانوا يعتمدون كثيرا على الوسائل الفطرية والطب الانتظارى الذى يظهر أنه هو كلمة العلم الحديث الأخيرة لا يجرى في استدلاله على ما يخالف ذلك

(انتهى من كتاب الدكتور جوستاف لوبون — حضارة العرب)

وفي مجال المعانى والافكار كان لنفوذ المسلمين نتائج ربما كانت أنفس من ذلك أيضا . فاذا كان المسيح قد أوصى قومه بالمساواة والأخاء فقد سعد محمد بتحصيلها وتحقيقها للمؤمنين به فى حياته .

وقد يكون من السخافة أن يزعم زاعم أن الثورة الفرنسية قد استطاعت أن تقتدى بقدوته مباشرة في عملها لأنها كانت تجهل معظم عمله فى تأسيس قاعدة المساواة — على أن المحاولات الاولى لتحرير الفكر هذا الذى كان لابد أن ينظم المجتمع الحديث على أسس جديدة يمكننا أن نثبت أنه كان النتيجة المنطقية لشريعته ، فان شرف ادخال حرية الفكر (التى لا ينبغى خلطها بالالحاد) لأول مرة في أوربة يرجع الى الحكيم المسلم ابن رشد الذى كان يعيش فى اسبانية من سنة ١١٢٠ الى سنة ١١٩٨

عارض ابن رشد بعقيدة الايمان بالله وحده فى الاسلام مذهب وحدة الوجود الخرافي عند اليونان ومذهب التجسيم عند المسيحيين

وقد هاج شراح كتابه الذى ألفه في ارسطو رغما من اصطباغهم شديداً بالصبغة الاسلامية كل العقول المستقلة فى القرون الوسطى بأوربة . ومذهب ابن رشد الذى نشأ من هذا التحمس يصح اعتباره بحق ليس بشيرا للاصلاح فحسب بل أبا للحكمة العقلية الحديثة

ثم إن تأثير أخلاق المسلمين فى الاخلاق الاوربية لم يكن أقل من ذلك نفعا فان العرب مع ما كان فيهم من التسامح الدينى المتناهى (الذى سنتكلم عنه فيما بعد) كانت لهم أخلاق كلها شهامة ومروءة

---

(١) الزوان نبات فيه خاصة التخدير

وقد صرح الكاتب الاسبانيولى الشهير بلاسكو ايبانيز فى قصته المعنونة « فى ظل الكنيسة الكبرى » بأن روح الشهامة إنما ولد بين العرب الاسبانيين وإن كان غزاة الشمال من المسيحيين قد ادعوه لأنفسهم زاعمين أنه صفة من صفات الامم المسيحية

ولنذكر أيضا فى هذا الموضوع ملاحظات الدكتور لوبون اذ يقول إنه « للشهامة العربية قانونها كالشهامة المسيحية التى جاءت بعدها فانه لم يكن جديرا بوصف الشهامة إلا من كان حائزاً للخصال العشر التالية وهى سلامة القلب والبسالة وخفة الروح وملكة الشعر والبلاغة والقوة وحذق ركوب الخيل وادارة الرمح والسيف والقوس »

لما حاصر والى قرطبة في سنة ١١٣٩ مدينة طليطلة التى كانت في حوزة المسيحيين ارسلت اليه الملكة تيرنجير التى كانت محصورة في هذه المدينة مناديا يؤذنه بأنه لا يليق بفارس شهم ظريف كريم ان يهاجم امرأة فما لبث القائد العربى أن عاد ادراجه غير طالب جزاء على انصرافه عنها الا شرف التسليم عليها .

وتواريخ عرب اسبانية غاصة بالحكايات التى هى من هـذا النوع الدالة على مبلغ انتشار صفات الشهامة هذه بينهم ، وقد حقق العالم الشديد الاستمساك بدينه برتلمى سان هيلير تحقيقا التزم فيه الامانة الى العرب — ما تدين به الاخلاق الاوربية اذ قال في كتابه الذى الفه فى القرآن ما نصه « ان اشراف القرون الوسطى القساة قد لانت عوائدهم الجافية بمخالطتهم العرب ومتابعتهم لهم ، وأهل النخوة منهم عرفوا بهذه المخالطة عواطف أرق من عواطفهم وأشرف وأليق بالانسانية بدون أن يضيع عليهم شيء من شجاعتهم » ربما تساءل القاريء والاحوال كما ذكر — لماذا صار نفوذ العرب وتأثيرهم منكرا اليوم جد الانكار من بعض العلماء الذين يظهر أن عقولهم تنبو عن الاوهام الدينية ؟

سبب ذلك أن استقلال الآراء هو في الواقع اعلق بالظاهر منه بالحقيقة واننا فى بعض المواضع لسنا أحرارا فى فكرنا مطلقا كما نحب ، فالاوهام الموروثة التى ندين بها جند الاسلام واتباعه قد تراكمت في نفوسنا خلال قرون بلغت من الكثرة حدا يبعد فيه أن لا تندمج فى تركيبنا .

واذا أضفنا الى ذلك هذا الوهم الآخر الموروث أيضا الذى ينمو على تعاقب الاجيال بتربيتنا الممقوتة على المذاهب القديمة وهو أن جميع علوم الماضى وآدابه لم تأتنا الا من اليونانيين واللاتينيين سهل علينا أن نفهم سر جحود الاوربيين فى الجملة ما كان للعرب من الأثر العظيم فى التاريخ والحضارة الاوربية فانه سيبدو دائما لبعض العقول انه من

الذل والمهانة أن يعترف للمسلمين باخراج أوربة المسيحية من ظلمات البربرية والتوحش «من كتاب الدكتور جوستاف لوبون — حضارة العرب — ما هى الاسباب التى دعت الى تدهور الاسلام تدهورا غاية فى السرعة وهو فى ثمانية قرون تسلط فيها على اسبانية قد رفع هذه البلاد ذروة الحضارة الغربية ولم يكن سناه أقل سطوعا فى البلاد الممتدة من دلهى وبخارى الى القسطنطينية والى فارس.

أول سبب ينبغى تلمسه لذلك هو عدم اتباع قواعد المساواة التى جاهد النبى كثيرا فى سنها فى حياته والتى كانت هى السبب فى نجاحه ونجاح الخلفاء الاولين من بعده، ولنضرب لك مثلا نبين فيه مبلغ التشدد في تطبيق هذه القواعد أول الامر: كان جبلة (ابن الايهم) ملكا من ملوك العرب ذوى السلطان والانفة يطوف بالكعبة فى أول عهده بالاسلام فاصطدم به بدوى حقير بلا قصد منه فلطمه جبلة على وجهه لطمة شديدة فلما رفع الامر الى الخليفة عمر بن الخطاب لم يأبه بمكانة المذنب ولا أنه يجر الى نفسه عداوته بالاقتصاص منه وهو في مثل هذه المكانة، بل رأى أنه لرفعة الاسلام ومستقبله ينبغى أن تُسقط المساواة أمام العدالة كلَّ اعتبار فحكم على الملك جبلة بأن يحتمل قصاصا مماثلا لجريمته من يد البدوى الحقير الذى ضربه

بمثل هذه القواعد التى لا هوادة فيها ما كان يستطيع أحد أن يستفيد إلا من أعماله الخاصة وقد ولد التنافس في خير الاسلام امورا مدهشة ولم يختر للرآسة فيه الا من كانوا يستحقونها، وكان الرؤساء يطاعون ابلغ الطاعة لانهم محل الاعجاب والتوقير الخالصين من الرعايا»

عبد العزيز محمد

الطرف والملح

اهدى سيدنا نعمان بن عمرو رضى الله عنه. (وهو ممن شهد غزوة بدر). الى النبى صلى الله عليه وسلم - جرة عسل اشتراها من اعرابى. واتى بالاعرابى الى باب النبى صلى الله عليه وسلم. فقال: خذ الثمن من هاهنا. فلما قسمها النبى صلى الله عليه وسلم نادى الأعرابى: ألا أعطى ثمن عسلى؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم: إحدي هنات نعمان. وسأله. لمَ فعلت هذا؟ فقال: اردت برَّك يا رسول الله. ولم يكن معى شىء فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم. وأعطى الاعرابى حقه.

أنباء العالم الاسلامي

حركة التبشير المسيحي في العالم الاسلامي

﴿ المبشرون يدبّرون الخطط لمضاعفة الجهود في التبشير في ارجاء الاقطار الاسلامية ﴾

نشرت مجلة العالم الاسلامي « The Moslem World » التي يحررها القس زويمر في عدد ابريل الماضي مقالة افتتاحية تحت عنوان « المساحات التي لم تحتل بعد » نقتطف منها ما يأتي :

« ان الاقاليم التي لم يزرها المبشرون للآن يجب أن تكون موضع اهتمام الكنيسة وميدان جهادها . ولا ينبغي أن يبقى في هذا القرن العشرين للتاريخ المسيحي مكان على وجه الأرض لا تطأه قدم المبشر . وإنا نجد أن غالب البلاد التي لم يحتلها المبشرون إنما تقع في دائرة العالم الاسلامي . ولا يراد بذلك فقط شمال افريقيا وغرب آسيا بل الصين أيضاً . إذ أن في هذه الأقطار الشاسعة ولايتا قنصوه وسِنْكيانْغ وهما يشتملان على السواد الأعظم من مجموع المسلمين في الصين . ومع ذلك فان عمل التبشير لم يتناول خمس المساحة العامة لهاتين الولايتين .

كذلك يوجد في الهند الصينية الفرنسية وسيام ما يقرب من مليون مسلم لا يزالون بعيدين عن حركة التبشير . وأما بلاد الأفغان ففيها من المسلمين ما يقرب من ثمانية ملايين . وفضلا عن أنها خالية من المرسلين فهي مقفلة في وجوههم من زمن قديم ولا تزال كذلك للآن .

وأما في فارس فالجهات التي لم يسمع فيها صوت الدين المسيحي هي الواقعة في الشمال الشرقي من اذربيجان وكذلك بلاد الأكراد المتاخمة للحدود التركية . وهناك جهات أخرى كالولايات الواقعة على طول الحدود الغربية للعراق وغيرها . ونجد جنوب خط عرض ٣٠ شمالا ان بلاد العرب ولا سيما الأجزاء الداخلية منها لا تزال أرضاً عذراء . ويقدر سكانها بنحو خمسة ملايين نسمة . فالحجاز واليمن وحضرموت وسلطنة نجد كلها لم يرها المبشرون

واما فى الهند فانا اذا تأملنا خريطة توزيع مراكز التبشير بالنسبة لكل مليون من سكان المديريات وجدنا أن عدد تلك المراكز ضئيل جداً فى الأقاليم التى توجد فيها أكثرية مسلمة . فمثلا فى البنغال والشمال الغربى للهند توجد أقاليم كل سكانها أو جلهم مسلمون . ومع ذلك لا نرى فيها مبشراً واحداً . كذلك الحال فى برما وبلاد الملايو

واذا نظرنا للاسلام في جنوب أوربة وجدنا أن في الولايات البلقانية ما يقرب من ثلاثة ملايين ونصف من المسلمين لا يبعدون عن لندن بأكثر من ثمان وأربعين ساعة بقطار السكة الحديدية . وبالرغم من هذا فانه يدهشنا جداً بان نسمع أن تلك الجهات خالية من التبشير . وفى روسية يبلغ عدد المسلمين طبقا للأحصاء الأخير حوالى سبعة عشر مليونا ولا يوجد بينهم هيأة منظمة تعمل على نشر الدين المسيحى

ولنعد ثانيا الى الكلام عن افريقية فنقول : إن المسلمين فى جزيرة مدغشقر يبلغون نحو ٦٧٠ الفا مهملين من وجهة التبشير . وأما أقاليم غرب أفريقية الفرنسية فان الغالب فيها العنصر الاسلامى وتعد من أوسع أقطار العالم التى نسميها فى اصطلاحنا غير محتلة . ولقد ورد في تقرير السكرتير العام لأرساليات السودان المتحدة أن الامارات الاسلامية الواقعة شمال نيجيريا (غرب أفريقية) لم تصلها دعوة المبشرين لأن حكومة تلك المستعمرة ظلت مدة طويلة تمنع المرسلين من التجول داخل الاقاليم الاسلامية حيث أنها كانت تعهدت لحكام تلك الامارات بألا تتدخل فى شئونهم الدينية

وأما شمال أفريقية فلا يصح أن نعتبره قطرا غير محتل . نعم إن هناك أجزاء يصح أن نعتبرها كذلك . فمثلا فى ولاية طرابلس لا يوجد في العاصمة كلها إلا مبشر واحد . ولكن فى تونس والجزائر ومراكش توجد عدة هيئات منظمة تعمل على التبشير . إلا أنه كلما توغلنا فى الداخل تضاءلت حركة التبشير . ومن المستطاع التغلب على هذه الصعوبة بالالتجاء إلى الوسائل المعروفة كالمتاجرة مع الاهالى وفتح المدارس لأبنائهم وما ماثل ذلك

ويظهر أن السودان قد قدر له أن يكون فتحه وتقدمه وتمدينه من طريق الصحراء لا من طريق السواحل التى نظرا لمناخها القتال تحول دون تجول المبشرين . لذلك سيصير السودان قاعدة للتبشير ومنها يكون الزحف إلى قلب أفريقية . كما أنه يصلح لأعداد طائفة من الأهالى تتولى الدعوة إلى المسيحية . بينما في نفس الوقت يمكن صد القوى الاسلامية فى شمال أفريقية واجبارها على اتخاذ خطة الدفاع . »

هذه خلاصة ما جاء بتلك المقالة الممضاة باسم زويمر نفسه . ونرجو أن نكون بنقلها إلى اللغة العربية قد أدينا واجبا نحو اخواننا المسلمين فى تلك البلاد حتى يأخذوا حذرهم ممن يبيتون لهم ما يبيّتون . « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون »

محمد الحسينى رضا
مفتش الآداب بالمعاهد الدينية

الطرف والملح

قال بعض العلماء : في حِكم الحكماء . وفى كلام الألباء العقلاء . من أئمة السلف وصالحى الخلف الذين امتثلوا في افعالهم وأقوالهم آداب التنزيل . ومعانى سنن الرسول ونوادر العرب وأمثالها وأجوبتها . ومقاطعها ومبادئها وفصولها . إلى ما حَوَوه من حكم العجم وسائر الأمم . وتقييد أخبارهم . وحفظ أمثالهم وأشعارهم . التى هى صَوْغ البابهم . وثمار آدابهم . ما يبعث على امتثال طرقهم واحتذائها. واتباع آثارهم واقتفائها قال الشعبىّ : لو أن رجلا سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ليسمع كلمة واحدة ينتفع بها فيما يستقبل من عمره ، ما رأيت أن سفره قد ضاع .

وقال بعض الحكماء : من تفرد بالعلم لم توحشه خلوة . ومن تسلى بالكتب لم تفته سلوة . وإن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان . فابتغوا لها طرائف الحكمة . والحكمة شجرة تنبت فى القلب . وتثمر فى اللسان . وهي موقظة للقلوب من سنة الغفلة . وللبصائر من سكرة الحيرة . ومحيية لها من موت الجهالة . ومستخرجة لها من ضيق الضلالة . وقد أثنى الله سبحانه على الحكمة فقال : (ومَن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ووصف بها لقمان فقال عز من قائل : (ولقد أتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله . ومن شكر فانما يشكر لنفسه . ومن كفر فان الله غنى حميد) — وقال لقمان : إن القلب ليحيا بالكلمة من الحكمة كما تحيا الأرض بوابل المطر .

العلوم والآداب

مقتطفات علمية (١)

« كيف يميز اللؤلؤ الطبيعى من الصناعى »

قد أصبح الآن من السهل التفرقة بين اللؤلؤ الطبيعى واللؤلؤ الصناعى والفضل فى ذلك يرجع الى اكتشاف أحد العلماء الانجليز المسمى هوبكنس . إذ وجد أن الطبقات القشرية التى تتركب منها صدفة اللؤلؤ الحقيقية يمكن تميزها من غيرها عند عكسها لاشعة تسلط عليها بآلة خاصة داخلها زئبق

« احتواء القلب على معدنى الفضة والألمنيوم »

اعتدنا أن نعبر عن صفاء القلب ونقاوته بأنه من الذهب وعن شدة البطش لدى الافراد بأن لهم يدا من حديد . واذا ما أردنا أن نصف انسانا بالبطء والتثاقل قلنا إن له قدما من رصاص وهكذا . وقد اثبت الفحص العلمى الحديث أن هذه الاستعارات لا تخلو من حقيقة . اذ قد دلت أبحاث عالمين من علماء الكيمياء بفرنسة على أن القلب والرئتين يحتويان على معادن النحاس والألمنيوم والفضة . وان الكبد فيه نحاس ورصاص وفضة . ويوجد بالبنكرياس (٢) نيكل ورصاص . وفى الكليتين المنيوم وفضة ونحاس . وفى الطحال فضة وقصدير . واما المخ فهو غنى بمعدن القصدير

« صنع اللحوم من بزور القطن »

اكتشف أحد أطباء ولاية نيوجرسى بالولايات المتحدة بأمريكا طريقة توصل بها الى صنع مادة من بزور القطن تشبه اللحم تماما . وذلك بان تطحن البذور جيدا

---

(١) هذه المقتطفات منقولة من اللغة الانجليزية عن مجلتى Popular Science & Scientific American . الصادرتين فى شهر يونيو سنة ١٩٣٠

(٢) غدة فى القسم السفلى للبطن وظيفتها تفرز فى المعى سائلا لا لون له غرائيا يؤثر فى الشحوم

و يضاف اليها شيء من الشحم والماء بمقادير معينة فتتكون عجينة لا تختلف مطلقا عن مادة اللحم بل تفضله فى رخص الثمن لأن الرطل منها لا يزيد ثمنه عن قرش صاغ . فضلا عن أن تلك المادة الجديدة تحتوي على الخواص الغذائية التى توجد في اللحوم الحيوانية حيث أن بها من البروتين ما يقرب من ٥٠ ٪

« البحر الميت يصبح مركزا حيويا للصناعة »

لقد تألفت في لندن شركة كيميائية يبلغ رأس ما لها نحو مليونين من الجنيهات لاستغلال الأملاح الموجودة فى مياه البحر الميت بفلسطين . والمنظور أن تتمكن هـذه الشركة من ستخراج نحو ٥٠ الف طن سنويا من كولورات البوتسايوم

« الجراثيم تفوق الانسان فى استخراج زيت جوز الهند »

ربما يصبح للجراثيم أهمية عظيمة للصناعـة فى المستقبل . لأنه قد اتضح ان احدى فصائل المكروبات المسماة بشلس دِلْبُروكِيا يمكنها أن تفصل زيت جوز الهند عن المادة الأصلية بطريقة أسهل وأرخص مما هو معروف لدى رجال الصناعة للآن . وبيان ذلك أن هذه الجراثيم تستطيع أن تلتهم خلايا جُدران الثمرة وتفصل عنها الزيت . وما يبقى بعد ذلك من الفضلات يصلح لأن يكون غذاء للماشية

« اختراع أحذية من الصلب للمساجين »

اخترع اثنان من رجال الشرطة السرية الألمانية حذاء من الصلب يرتكز على كعب شكله كالكرة بحيث إن اللابس له لا يستطيع السير إلا اذا عمـل على حفظ توازنه . وقد بُطّن من الداخل باللباد حتى لا يؤذى القدم . ويقول المخترعان : إن السجين لا يمكنه مطلقا أن يحاول الهرب لأنه اذا أقدم على الجرى سقط لا محالة . وهذا الحـذاء يُربط بالقدم و يقفل بقفل خاص . والمقصود به أن يحل في المستقبل محل الأغلال التى توضع فى الأيدي .

مقتطفات جغرافية [1]

غرائب الحاصلات

ريش النعام :

يربى طير النعام بكثرة في جنوب افريقية داخل حظائر واسعة . ويُتَّبَع في تفريخ البيض الطريقةُ الصناعية المتبعة في تفريخ الدّجاج . الا أن جانبا عظيما من بيض النعام تسطو عليه الغربان بطريقة تدل على كثير من المكر والدهاء . ولما كانت مناقيرها لاتعمل فى البيض لصلابة قشوره فهى تعمد الى قطع من الاحجار وتحلق بها في الجو الى أن تحاذى مكان البيض ثم تُسقط عليه الحجارة فتهشم كثيرا منه ثم تَنْقَضُّ عليه فتلتهمه ويُرَبَّى النعام لاتخاذ ريشه فى الزينة والأثاث وقد يبلغ قيمة ما يباع سنويا من ريش الطير الواحد ١٥ جنيها

مدينة الماس :

كمبرلى — احدى مدن مستعمرة الرأس في جنوب افريقية — هى أغنى بلاد العالم بمناجم الماس . وتبلغ تلك المناجم من الاتساع والعمق درجة عظيمة بحيث لو القيت فيها اهرام الجيزة الثلاثة لوسعتها

السمك المحفوظ فى العلب :

في كلمْبية أحد اقاليم كندة الغربية نهر يسمى بهذا الاسم يشتهر بكثرة الاسماك التى يزاحم بعضها بعضا فتُقْطعُ ذيولها وزعانفها وتسيل منها الدماء فتغير لون الماء . ولذلك انشأت الحكومة مصانع على شاطىء هذا النهر لحفظ السمك فى العلب . ويقال إن مقدار ما يصنع منها فى اليوم الواحد تبلغ زنته ٢٥ طنا .

الذرة فى الولايات المتحدة :

الولايات المتحدة أغنى اقطار العالم فى مختلف الحاصلات الزراعية والحيوانية والمعدنية ومن أهم حاصلاتها الزراعية الذرة ويَنْتُجُ منه سنويا مقادير تفوق الحصر بحيث لوشحنت فى مركبات يجر كل منها حصانان لتَكوّن منها خط يبلغ طوله طول محيط الكرة الأرضية

---

(١) منقولة عن كتب المطالعة فى تقويم البلدان الحديث للمستر كولنس «Collin's New Geography Readers»

البلد الذى يركب فيه الشحاذ الخيل :

اشتهرت بلاد الأرجنتين أو الجمهورية الفضية فى أمريكة الجنوبية باتساع مراعيها التى تربى فيها الخيول بكثرة هائلة . وهى أهم وسيلة للانتقال من مكان الى آخر وثمن الواحد منها لا يزيد على ثلاثين شلنا . لذلك تجد الشحاذين انفُسَهُمْ يركبون الخيل في تجوالهم من قرية الى أخرى ؟

محمد الحسينى رضا

مفتش الآداب بالمعاهد الدينية

الطرف والملح

قال الجاحظ : إن عمرو بن سعيد دخل بعد موت أبيه على سيدنا معاوية : رضى الله عنه . وعمرو يومئذ غلام . فقال له سيدنا معاوية : إلى من أوصى بك أبوك يا عمرو ؟ قال : إن ابى أوصى إلى ولم يوص بى . قال : وبأى شئ أوصاك ؟ قال : أوصانى ألا يفقد إخوانه منه الا شخصه . فقال سيدنا معاوية لاصحابه : إن ابن سعيد هذا لاشرف .

قيل للامام الشافعى رضى الله عنه . كيف اصبحت ؟ قال : أصبحت تطلبنى ثمانية . الله تعالى بالفرض . ورسوله عليه الصلاة والسلام بالسنة . والدهر بصروفه . والعيال بقوتهم . والحفظة بما ينطق به لسانى ، والشيطان بالمعاصى . والنفس بالشهوات . وملك الموت بقبض روحى .



علاقة الاخلاق

بالشريعة الأسلامية والقانون الوضعى

تمتاز الشريعة الاسلامية عن الشرائع الوضعية بتناول أصولها وقواعدها علاقة الانسان بخالقه وعلاقته بنفسه فوق تناولها لما تعرضت له القوانين العلاقات الاجتماعية الخاصة والعامة ـ

فعلاقة الأنسان بخالقه ينظمها ما وردت به الشريعة الاسلامية من العبادات والعقائد كاعتقاد الوحدانية والقدرة والكمال والتنزه عن النقائص لله سبحانه وتعالى وكالرضاء بالقضاء والقدر والأيمان بالله ورسله وملائكته وكتبه وغير ذلك ، وقد جمع أصول العقائد الدينية وألم بأبحاثها علم العقائد ، ويسمى علم التوحيد وعلم الكلام

أما العبادات العملية (من الصلاة والزكاة والحج وترك المحرمات ونحو ذلك فقد تعرضت لبيانها وتفصيل جزئياتها كتب الفقه الاسلامى وجعلت لها قسما خاصا بها يسمى العبادات

وعلاقة الأنسان بنفسه ينظمها ما وردت به شرعة الدين من الحث على الفضائل الخلقية والكمالات النفسية التى تؤدب النفوس وتكملها وتخلصها من رجس المفاسد وتستنقذها من أدران النقائص من الصدق والاحسان وطلاقة الوجه وكف الأذى وبذل المعروف والحياء والاحسان إلى الوالدين وتنفيس كربة المسلم وأن يحب المرء للأنسان ما يحب لنفسه وصلة الرحم والاحسان للجار وبذل المعونة وستر عيوب الناس وعيادة المريض والصدقة على الفقير وبذل النصيحة عن إخلاص وإطعام الطعام وإفشاء السلام وترك الكذب والغيبة والنميمة والحسد والفجور وإيذاء الناس الى غير ذلك مما هو موضوع الاخلاق والآداب — وإنما سمينا هذه العلاقة بعلاقة الأنسان بنفسه وإن كانت من العبادات والقربات التى يثاب عليها المؤمن ويتقرب بها إلى الله — جريا على اصطلاح القانون فى تسميتها ولأنها أمور ترجع الى تهذيب النفس وتربيتها بالآداب ومحاسن الاخلاق .

— وانما لم تتعرض القوانين الوضعية لهاتين العلاقتين لأنها لا تتصدي إلا الى ما هو ضرورى لحياة المجتمع البشري وصيانته وترقيته ويرى مشرعوها أن العبادات

الدينية لا دخل لها فى ذلك — أما العلاقة الاخرى فيرونها من الآداب التى ليست ضرورية لحياة المجتمع وله منها بد وعن تنظيم القانون إياها مندوحة

— فليس للقانون أن يرتب على مخالفتها جزاء قانونيا ولكن عقاب المخالف لها أدنى كزراية الناس واحتقارهم لمن يخالف العادات والآداب المألوفة — اللهم إلا ما صار من هذه الآداب والمسالك ضروريا للمجتمع فان القانون خليق حينئذ أن يتناوله بأحكامه ونصوصه أما من طريق العادة أو التشريع — فلا ينبغى للقانون أن يحتم على الناس أن يُصدقوا أو يَصدُقوا أو يتركوا الحسد والكذب - ولو فشت خصلة من هذه الخصال أو عدمت فى أمة من الأمم ما كان ذلك مؤثرا فى كيانها وإن كانت مكارم الاخلاق تكسبها كمالا أدبيا ورذائل الخصال اذا فشت تحدث نقصا فى آدابها وغضاضة في كرامتها ولكن حياتها مع ذلك تبقى موفورة وكيانها الاجتماعى يستمر محميا بالقانون والتشريع

هذا ما يقول أهل القانون فى علاقة الاخلاق بالقانون الوضعى فهم يرون أن كلا منهما فى ناحية وليس بأحدهما حاجة الى الآخر والواقع الملموس أن القانون والأخلاق يتعاونان على حفظ كيان المجتمع البشرى ويتساندان فى توفير السعادة والرفاهة له واليك بيان ذلك : (فصل فى أن الآداب والاخلاق تخدم الضروريات للحياة الاجتماعية فهى مثلها فى حاجة المجتمع اليها).

لم نقل تمتاز الشريعة الاسلامية بتنظيمها هاتين العلاقتين عبثا من القول ولكن لما هو أوضح من الشمس فى رائعة النهار من ظهور آثارها فى تقويم النفوس وتحضير بداوة الطباع وتنقية القلوب من جفائها وجلاء الضمائر والذمم من أصدائها ولها أيضا آثارها في آداب السلوك العامة، ولا أظن مجتمعا مهما ارتقى به التشريع واحيط بسياج من القانون يخلو من هذه الشمائل والفضائل إلا انحط الى درك الضعف والاستكانة وتقنع بالحقارة والمهانة يدل على ذلك أنه قد أصبح رقى الأمم يقاس برقى آرائها واخلاقها والتاريخ يشهد أن أسباب عظمة الأمم ترجع الى الاخلاق والتقاليد التى تكوّن عظمتها وتبنى سيادتها قال (جوستاف لوبون) في كتابه (سر تطور الامم) : (لقد بدأت عوامل انحطاط الأمة الرومانية فى الوقت الذى ازدهرت فيه العلوم وكثُرت الشعراء والفلاسفة بها فيه لأن أخلاقها وتقاليدها التى كانت تبنى عليها عظمتها بدأت فى الانحلال).

ومن أجل ذلك عنيت الشريعة الاسلامية بالآداب والاخلاق التى كان لها الاثر الاكبر فى عظمة الامة العربية والدول الاسلامية التى كانت معتصمة بحبلها مستمسكة بعراها

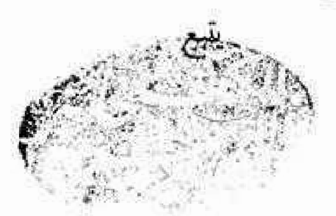
ومن المعلوم أن القوانين الوضعية قد سايرت الشريعة الاسلامية فى المحافظة على ماهو ضرورى للمجتمع وجعلت الشريعة الضروريات التى يجب المحافظة عليها خمساً (الدين والعقل والمال والنسل) والقوانين الوضعية تساير الشريعة فى المحافظة على هذه الأمور الخمسة غير أنها قد تخالف الشريعة فى نوع الفكرة دون جنسها أو في طريقة المحافظة .

فالمحافظة على الدين في القانون معناها تمتع كل انسان بحرية الاعتقاد فله أن يعتقد ما شاء ويدين بأى دين شاء أما المحافظة على الدين في الشريعة الاسلامية فهى ألا يترك الدين الاسلامى من دخل فيه بالارتداد والا استوجب العقاب الشرعى ، فالقانون يحافظ على مطلق الدين الذى يدين له الانسان — والشريعة تحافظ على دين معين لا نرى فى سواه السعادة الحقة وتترك للانسان حرية الدخول في الاسلام (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى) والمحافظة على الدين في الشريعة هو الأصل فى وجوب قتل المرتد وقتال المرتدين والخوارج على الدين الاسلامى

فهنا اتفاق بين الشريعة والقانون في جنس الفكرة دون نوعها — ويرجع هذا الخلاف الى الخلاف بينهما فى مبدأ حد الحرية الشخصية فالشريعة ترى أن حد الحرية الشخصية ألا يضر الانسان بنفسه ولا بغيره لأن القاء النفس الى التهلكة والضرر والضرار محرمة في الشريعة بالنصوص القطعية — والقانون يرى أن حد الحرية الشخصية ألا يضر الانسان غيره فقط — ولما كان الارتداد عن الدين الاسلامى فيه إضرار بالنفس والقاء بها فى الشقاء الأبدى بعد أن تبينت نور الاسلام ووقفت على مزاياه واقتنعت بأنه سبيل السعادة الحقة كان هذا من باب إلقاء النفس الى التهلكة ولم يكن داخلا فى دائرة الحرية الشخصية التى تخير من لم يدخل الاسلام وتمنحه الحرية في ألا يدخله لأنه لم يتذوق بعدُ حلاوته ولم تشرب نفسه الاعتقاد بأنه حق وسعادة جنّبهما نفسه بترك الدخول فيه .

(ب) والمحافظة على النفس فى القانون ينظمها قانون العقوبات وقانون تحقيق الجنايات — والمحافظة على العرض داخلة فى النفس — أما المحافظة على النفس فى الشريعة فبالقصاص والديات وسائر العقوبات الجنائية الداخلة فى قوله تعالى (والجروح والقصاص) وبالحدود الشرعية وتحريم الانتحار وإباحة أكل الميتة للمضطر — والمحافظة على العرض بعقوبة القذف الى غير ذلك — واختلاف نصوص العقوبات فى الشريعة والقانون يرجع الى اختلافهما فى طريقة المحافظة

عبد الله صيام
متخصص فى الشريعة ومحام شرعى



العدد الثانى — المجلد الاول

صفر سنة ١٣٤٩

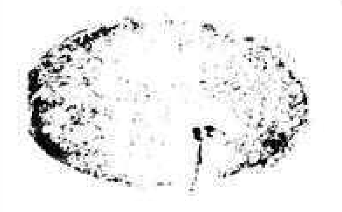
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم

نور الإسلام

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها مشيخة الأزهر الشريف

أول كل شهر عربي



مدير ادارة المجلة :  عبد العزيز محمد بك المستشار بمحكمة الاستئناف سابقا ومن أعضاء مجلس الازهر الأعلى

رئيس التحرير : السيد محمد الخضر حسين من علماء الازهر

مكتب المجلة بالأدارة العامة للمعاهد الدينية بشارع فهمى رقم ١٩

« تليفون : بستان ٣٥٠٧ »

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

قيمة الاشتراك السنوى

		صـ
قيمة الاشتراك السنوى	داخل القطر المصرى	٤٠
	لطلبة المعاهد والمدارس	٢٠
	خارج القطر المصرى	٥٠

يعامل أئمة المساجد والمأذونون ومعلمو المدارس الأولية معاملة الطلاب .

وثمن الجزء الواحد ٣ صاغ داخل القطر و ٤ خارجه

بسم الله الرحمن الرحيم

الانحراف عن الدين

علله ، آثاره ، دواؤه

بين أيدينا حكم رائعات ، وعظات بالغات وتاريخ عظمائنا مملوء بالهمم الكبيرة، والمساعى الخطيرة،وقد أتى علينا مع هذا النور الساطع والتاريخ المجيد حين من الدهر ونحن عن طرق السعادة والمنعة غافلون ، وعن العمل للحياة الصالحة نائمون ، جهل بعد علم ، تقاطع بعد ائتلاف ، بطالة بعد نشاط ، صغار بعد شمم ، خمول بعد نباهة شأن ، كذلك كنا حتى جاءنا من صروف الليالى ما نبهنا من سباتنا ، فنهضنا نبحث عن وسائل تقدمنا ، ونجارى الأمم العاملة والأمل يملأ ما بين جوانحنا ، نهضة مباركة ، ولكن نفوسا خالطها من الانحراف عن سبيل الرشد ما خالطها ، فأصبحنا في حاجة الى أن نشغل جانبا من أوقاتنا في تقويمها.

حق علينا أن نبحث عن علل انحراف هذه النفوس حتى نعرف طريق علاجها، فنزيح أو نخفف مرضا لو خلينا سبيله لسرى الى نفوس كثيرة، وعاقنا أن نسير الى السعادة كيف نشاء

علل الانحراف

النواحى التى يأتى من قبلها هذا الانحراف كثيرة ، وجماعها الجهل والدعايات الباطلة ، واليك البيان :

ينحرف الناشىء عن الدين متى شب على الجهل بحقائقه ، وفريق من ابنائنا غير قليل لايتعرفون الاسلام من وجهه الصحيح ، وانما ينتزعون صورته من مظاهر يرون عليها طوائف من المسلمين ، ولم تكن هذه المظاهر من الاسلام في كثير

ولا قليل ، فليس ببعيد أن يشهد الشاب شيئا من البدع المزرية كضرب الدفوف في المساجد أو تحت رايات يحملها أحداث باسم الدين لهوا ولعبا ، فيخالها من تعاليم الاسلام ، ويسوء اعتقاده في هدايته ، ونحن نعلم أن بعض البلاد الداخلة تحت سلطان غير اسلامى قد تقام فيه حفلات مشهودة يكلف فيها بعض الجهلة من المنتمين الى طرق المتصوفة ان يحضروها بأزيائهم الخاصة ، وقوم كل طائفة باعمال يتمازون بها عمن سواهم ، وقد يكون في هذه الازياء والاعمال مالا صلة له به بالدين ولا بما ترضى عنه العقول السليمة ، فتتناولهم من أجل هذه المظاهر الألسن بالازدراء ، ولا شك أن شباننا كبعض المخالفين الذين يشهدون هذه الحفلات ، قد يسبق الى أذهانهم أن نسبة ما يعمل باسم الدين الى الدين صحيحة ، فيتجافون عنه وهو منه براء،فمظاهر البدع والمحدثات من وسائل اضعاف العقيدة في نفوس أبنائنا ، ومن أصعب العقبات التى تحول بين المخالفين وبين قبولهم للدين الحق بسهولة

واذا كان في المتجافين عن الدين من قرأوا جانبا من الـكتب المعزوة اليه فعلة انحرافهم فيما يظهر انهم لم يدرسوا تعاليمه خالصة مما أضيف اليها من مزاعم وآراء ، ولم يبلغوا من قوة العلم أن يفرقوا بين الشرع الخالص وما يوضع بجانبه من أشياء لاتدخل في الصميم ، ونحن نعلم أن في كثير من المؤلفات احاديث موضوعة وقصصا مزعومة وآراء لاتستند الى أصول معقولة ، ومن الذى ينكر أن في بعض الكتب أحاديث مصنوعة وقصصا مختلقة ، وان في مؤلفات بعض أصحاب الاهواء والمستضعفين في العلم آراء سقيمة وأقيسة عقيمة

كان لهذه الكتب أثر سيىء في نفوس بعض نشئنا ، وقد اتخذ بعض من خف في العلم وزنهم من هذه الكتب وسيلة الى الطعن في علماء الاسلام فذهبوا يلتقطون هذه الآراء السخيفة ولا يتقون الله في نسبتها الى علماء الشريعة ليضعوا من شأنهم، مع أن أهل العلم من قبلهم ، قد نقدوها بانظار راجحة وطرحوها من حساب الشريعة بالحجة الساطعة ، وجعلوا تبعتها على أصحابها وحدهم ، وأى طائفة من

طوائف أهل العلم لا يوجد بينهم ذو رأى ضعيف أو ذوق عليل بل العالم الراسخ قد تصدر عنه آراء تدفعها أصول العلم الذى رسخت فيه قدمه ، ويردها عليه من هو أقل منه نباهة وأدنى في العلم منزلة

أما الفريق الذين ينكرون أشياء من صميم الدين ، فلم يجئهم الجحود من ناحية البحث الدقيق والنظر القائم على قوانين المنطق الصحيح ، وانما سبقت اليهم في التعليم أو في الجلوس ببعض النوادى آراء فتقبلوها ، وتراءت لهم شبه فاعتنقوها ، والاراء الفاسدة والشبه المغوية تربى في النفوس الضعيفة أذواقا سقيمة ويكون لهذه الاذواق الحكم العاجل ، حتى اذا انكرت حقا خيل الى اصحابها أن انكارهم صادف محزا وظلوا في جهالتهم يتخبطون ، فقطع يد السارق أو السارقة مثلا ـ قد تنازع في حكمته بعض الاذواق الخاصة ، ولكن الاحكام انما يراعى فيها المصالح العامة ، وفي قطع يد هذا الصنف من المجرمين مصلحة سنأتى على بيانها في مقام غير هذا .

ولا ننسى بعد هذا أن ما بلغه الغربيون من التقدم في العلوم والفنون قد جعل لهم في القلوب اكبارا وبلغ هذا الاكبار في بعض النفوس الصغيرة أن يفوه أحد الغربيين بكلمة يطعن بها في حقيقة من حقائق الاسلام فيتلقوها منه بمتابعة ، ويحسبوها طعنا صائبا ، ولا سيما الكلمات التى تصدر من طائفة يخرجون في زى الكتاب أو الفلاسفة، اذ يقع في أوهام الغافلين انه نتيجة نظر لايعرف غير البحث والدليل ، ويفوتهم أن في هؤلاء الكتاب من لايزال في أسر تقاليده وعواطفه ، وفيهم من يكون بارعا في ناحية من العلم قاصر النظر في ناحية أخرى ، وها نحن أولاء نقرأ نتائج ابحاثهم في موضوعات الاهية أو تاريخية أو اجتماعية أو لغوية ، فنرى فيهم من يتبع الظن الذى لايغنى من الحق شيئا، وكان على نشئنا أن يعتبروا بالمناقشات التى تدور بين علمائهم انفسهم ، فانها شاهد صدق على أن من علمائهم أو فلاسفتهم من يعتمد الرأى لمجرد الشبهة، ولا يبالى أن يسميه علما وهو لايرتبط بعد بالحجة أو ما يشبه أن يكون حجة

ومن الطرق المضلة عن السبيل أن بعض الداعين الى غير الاسلام قد وجدوا من موسريهم خزائن مفتحة الابواب ، وأيديا تفيض عليهم الاموال بغير حساب ومن الميسور أن يتصل هؤلاء الدعاة ببعض البائسين من نشئنا الذين لم ينفذ الايمان الى سويداء قلوبهم ، فيشتروا ضمائرهم أو ألسنتهم بشيء من حطام هذه الحياة ، وربما أتوهم من ناحية الشهوات ففتحوا لهم أبوابها ، وجعلوا ثمن تمكينهم منها الانسلاخ عن الدين فلا يبالون أن ينسلخوا منه ، اذ لم يدخل بعد في قلوبهم حتى يكون أعز عليهم من كل ما تهوى أنفسهم .

ومن الذى لايعلم أن معاهد تقام في أوطاننا باسم العلم أو العطف على الانسانية والغاية منها صدف النفوس عن صراط الله السوى ، دل على هذا كتب يدرسونها في هذه المعاهد وهى كما قرأنا نبذا منها محشوة بالطعن في الاسلام والحط من شأن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم،وهذا القس زويمر نفسه ينبهنا على أن المدارس التى يقوم بها جماعات التبشير انما تجعل وسيلة الى تحويل المسلمين عن دينهم القويم فقال في مقال تحت عنوان (حركة التبشير في العالم الاسلامى[1]) بعد أن ذكر ما يعترضهم من المصاعب في داخل أفريقية « ومن المستطاع التغلب على هذه الصعوبة بالالتجاء الى الوسائل المعروفة كالمتاجرة مع الاهالى وفتح المدارس لابنائهم وما ماثل ذلك »

وقد رأينا لهذه المدارس التى تفتح في سورية ومصر وغيرها من البلاد آثارا محزنة .

فكم من فتى مسلم بُعث به اليها فتخرج منها وهو يحمل من التنكر لقومه وشريعتهم مثل مايحمله خصومهم المحاربون .

ثم ان بعض الناشئين في مهد اسلامى قد أصيبوا بما يشوه فطرهم وأرادوا ألا يكون هذا التشويه مقصورا على أنفسهم فاجتهدوا في أن ينقلب الناس منقلبهم ويعملوا على شاكلتهم ، فكان لهم في الاستخفاف بالعقائد الصحيحة والشريعة

---

(١) انظر مجلة نور الاسلام ص ٧٢ ج ١

الحكيمة حركات طائشة ، ولولا هداية القرآن ووقوف فريق من أهل العلم في وجوههم لاستدرجوا خلقا كثيرا .

ونذكر بمنتهى الأسف أن من هذا الصنف من يقضي نصيبا من حياته في الدفاع عن الاسلام حتى يتبوأ مقعد الدعاة المصلحين ، ثم لايلبث أن يرى بضاعة الازدراء بالدين نافقة ، فيثور عليها مع الثائرين ، ويسرع الى لمز الرجال الذين رفعوا لواءه وقد كان يطنب في تمجيدهم ، وفي أمثال من يكون على هذا النعت خطر على النشء كبير اذ الثقة التى أحرزها من قبل قد تجعلهم يسيغون أقواله بما تحمل من أقذاء وسموم ، فيبلغ مأربه دون أن يفقد مكانته ، ثم ان انحرافه عن الدين بعد أن كان من انصاره قد يلقى في نفوس المستضعفين ان هذا الذى قضى زمنا في مظاهرة الدين لم يتجاف عنه الا بعد أن بصر بالحجة واستبان له أنه كان على غير هدى ، وصغار العقول لا يشعرون بان في الناس من يطوى في نفسه حاجة يستطيع أن يلبس لها ثوب الرياء أمدا غير قصير ، حتى اذا رأى قضاءها في ذم ما كان يحمد ومحاربة ما كان ينصر وجد في استعداده ما يساعده على أن يظهر في أى لباس شاء .

آثار الانحراف

دلت المشاهدة على أن الناشيء الذى يصاب بمرض الريب أو الجحود لايمكث أن ينحط في المآثم وينبذ الادب الرفيع والعمل الرشيد وراء ظهره ، واذا رأيناه يتجنب اثما فبالمقدار الذى يتقى به لومة لائم أو طائلة قانون، واذا عمل حسنا فلينال مدحا واطراء ، أو ليصل الى عاجل من المنافع المادية أكبر ، وان ناشئا يعتقد أنه متى استتر عن أعين الناس لم يبق له فيما يفعل من رقيب ولا يناله على ما يأتى من جزاء ، لايتحامى في غالب أمره أن يعتدى على نفس أو عرض أو نسب أو مال الاعتداء الذى يشين وجه المدنية ويحدث في نظام الجماعة وهنا .

ودلت التجارب على أن زائغ العقيدة متى ملك جاها أو سلطة فتن الأمة في دينها ، وانتهك حرمات شريعتها ، ولم يخلص النظر في اصلاح أمرها ، ولاقى منه

المؤمنون اضطهاذا ، والجاحدون وأصحاب الأهواء مناصرة واقبالا ، فيكون داعيا عمليا الى الخروج على الدين فتموت الفضيلة والغيرة على الحقوق العامة ، ويتقطع حبل اتحاد الامة اربا .

دواء الانحراف

حتم علينا أن نسعى الى أن يكون التعليم الدينى شاملا ، فما من ناشىء الايتلق منه مقدارا يكفى لانارة عقله وطمأنينة نفسه ، ونقبل بعد هذا على كتب الدراسة فنتخير منها ما هو حسن الوضع ، نقى من كل ما ليس بشرع ، وبهذا نأمن من أن يكون في نشئنا من ينحرف عن الدين جهلا بحقائقه .

واذا نحن سرنا في تقرير أصول الدين واحكامه على طريقة اقامة الحجة وبيان الحكمة خففنا شر الصنف الذى ينكر امورا من الدين بعلة انها لاتوافق المعقول أولا تتحقق بها المصلحة

وانما يستعان على جعل التعليم عاما بعناية أولى الأمر ونصحهم في تدبير شئون الامة حيث يقررونه في سائر المدارس ويقومون عليه كما يقومون على سائر العلوم ومما يسر الامة أن ترى من ولاة أمورها العناية بتعليم الدين الذى هو ملاك سعادة أبنائها في الدنيا قبل الآخرة .

ومن واجب أهل العلم بعد هذا أن يرقبوا حركة الثائرين على الدين ويكونوا على بصيرة مما يكتبونه في الصحف ، أو يحاضرون به في النوادى ، ليُقَوِّمُوا أوده وينبهوا على خطره ، حتى يستبين أمره ، وتتضح أمام الناشئين طريقة قرع الشبهة بالحجة ، وصرع الباطل بقوة الحق وكذلك يفعل العلماء الراسخون ، والكتاب المخلصون

وحق على من يبغى السعادة لابنه أو لقريب وكل اليه أمره ألا يلقى به الا حيث يأمن على ايمانه وطهارة نفسه ، ولا يذهب به الطمع في متاع الدنيا الى الاستهانة بامر العقيدة ، فانها الاساس الذى تقوم عليه الحياة الطيبة والشرف الأصيل

فاذا اشتدت عناية أولى الأمر بالتعليم الدينى في المدارس على اختلاف أقسامها وفنونها ، وأرهف أهل العلم أقلامهم في حماية الشريعة ممن يتساقطون على الطعن فيها أو المكر في تأويلها ، وأخذ الآباء بهدى الله فصانوا أبناءهم عن المدارس المنشأة للصد عن السبيل ، خسرت تجارة الرهط الذين يجهلون على الحق والفضيلة ، وتهيأت لنا أسباب نهضة علمية اجتماعية نجنى ثمرا لذيذا من نتائجها ، وتحمد الاجيال القابلة عاقبتها

محمد الخضر حسين

الطُرَف والمُلَح

ان لكل فضل زكاةً . وان زكاة المال الصدقةُ على الفقير المحتاج . وان زكاة القوة المدافعةُ عن الضعيف المظلوم . وان زكاة البلاغة القيامُ بحجة من قد عجز عن حجته . وان زكاة الجاه أن يُعادَ به على من لا جاه له . وان زكاء العلم التعليمُ لمن قصر عامه .

ان الفاسق اذا كان حَسَنَ الخُلُق . عاش بخُلقه وخفَّ على الناس وأحبُّوه — وان العابد اذا كان سيِّء الخُلُقِ ثَقُلَ على الناس وملُّوه .

قال شاعر حكيم

ما استقامت قناةُ رأيَ إلا — بعد أن عَوَّج المشيبُ قناتى

وقال الأشعث بن قيس يوما لقومه : انما أنا رجل منكم . ليس لى فضل عليكم . لكننى أَبسُطُ لكم وجهى . وأَبذُلُ لكم مالى . وأَقضى حقوقكم . وأَحُوطُ حريمكم . فمن فعل مثل فعلى فهو مثلى . ومن زاد على فهو خير منى . ومن زدت عليه فانا خير منه — قيل له : يا أبا محمد . ما يدعوك الى هذا الكلام . قال حَضُّهم على مكارم الأخلاق .



بسم الله الرحمن الرحيم

قصة شعيب عليه السلام

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين

وإلى مَدْيَنَ أخاهم شعيباً . قال يٰقوم اعبُدُوا اللهَ . مالكم من اله غيرُه . ولا تَنقُصوا المكيالَ والميزانَ . إنى أرٰكم بخير وإنى أخافُ عليكم عذابَ يوم محيط ٨٤ ويٰقوم أَوفُوا المكيالَ والميزانَ بالقسط . ولا تَبخَسُوا الناسَ أشياءهم . ولا تَعْثَوْا فى الأرض مفسدين ٨٥ بَقِيَّتُ الله خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ ٨٦ قالوا يٰشعيبُ أصلوٰتُك تأمُرك أن نترك ما يعبدُ ءاباؤنا أو أَنْ نفعلَ فى أموالنا ما نشؤا . أنك لأَنت الحليمُ الرشيدُ ٨٧ قال يٰقوم أرءيتم إنْ كنتُ على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسَنا . وما أُريدُ أَنْ أُخالفَكم الى ما أَنهاكم عنه . إنْ أُريدُ الا الأصلٰح ما استطعتُ . وما توفيقى الا بالله . عليه توكلتَ . واليه أُنيبُ ٨٨ ويٰقوم لا يجْرِ مَنَّكم شِقاقى أَنْ يُصيبَكم مِثْلُ ما أصاب قومَ نوح أو قومَ هود أو قومَ صلٰح . وما قومُ لوط منكم ببعيد ٨٩ واستغفروا ربَّكم ثم توبوا اليه . إن ربى رحيمٌ ودودٌ ٩٠ قالوا يا شعيبُ ما نَفْقَه كثيراً مما تقولُ . وإنا لنرٰك فينا ضعيفا ولولا رَهطُك لرَجمْنٰك . وما أنت علينا بعزيز ٩١ قال يٰقوم أَرهطِى أعزُّ عليكم من الله واتَّخذْتموه وراءكم ظِهْرِيًّا . إنَّ ربى بما تعلمون محيطٌ ٩٢ ويٰقوم اعمَلوا على مكانتكم . إنى عملٌ . سوف تعلمون مَنْ يأتيه عذابٌ يُخْزِيه ومن هو كٰذبٌ وارتقبُوا . إنى معكم رقيبٌ ٩٣ ولما جاء أمرُنا نجَّيْنَا شعيبا والذين ءامنوا معه برحمة منا .

وأخذت الذين ظلموا الصيحةُ فأصبحوا في ديارهم جاثمين ٩٤ كأن لم يغنوا فيها ألا بُعدًا لمدين كما بعدت ثمودُ ٩٥ ﴾

السورة ١١ — سورة هود عليه السلام .

كلمة تسبق التفسير

هذه الآيات الكريمة من السورة الحادية عشرة . سورةِ هودٍ عليه السلام. افتتح الله عز وجل . هذه السورةَ الكريمةَ . ببيان قدر ذلك الكتاب الذى جاء به رسولُه سيدُنا محمدٌ صلى الله عليه وسلم فبيّن أنه كتابٌ قد أُحكمت آياتُه وأُتقنت فصولُه، وأُبدعت جملُه ، واختيرت كلماتُه ، وعلا أسلوبُه ، واتفقت مبانيه ، وائتلفت معانيه ، فلا ترى فيه عوجًا (١) ولا أمتًا (٢) ، و (لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ)

ثم بيّن لنا منشأ ذلك الكمال الفائق ، ببيان المصدرَ الأعظمِ الذى أنزلَ الكتابَ المبينَ ، وهو الله الحكيم الخبير، ثم أردفَ ذلك ببعض ما تضمنه ذلك الكتابُ وهو توحيدُ الله سبحانه وارشاد الناس الى عبادته وحدَه فان ذلك هو عِمادُ دين الله تعالى على ألسنة رسله الكرام .

ثم تلا ذلك بيانُ المهمةِ التى لاجلها أرسلَ رسولَه محمدا صلى الله عليه وسلم وهى بشارةُ الموحدين الطائعين ونذارةُ المشركين العاصين .

كما بيّن لهم أنه سبحانه يقبلُ المستغفرين من ذنوبهم ويتوبُ على التائبين من اشراكهم وعصيانهم وأنه تعالى يكافىء المحسنين باحسانهم والمسيئين باساءتهم جزاءً وِفاقًا فى يومٍ يَرْجعون فيه اليه وحدَه . (يومَ يقومُ الناسُ لرب العالمين) .

ثم أعلمهم بعد ذلك أنه سبحانه على كل شىء قديرٌ لا يُعجِزُه شىءٌ فى الأرض ولا فى السماء فلا جرَمَ إذًا أن يعيدَهم اليه بالبعث ثم يُنفِذَ فيهم قضاءه فضلا وعدلا ، ثوابا وعقابا .

---

(١) اعوجاجا واختلافا (٢) تناقضا وتباينا ما .

بعد ذلك قص علينا سبحانه. سوء معاملتهم لرسوله الذي جاءهم بخيري الدنيا والآخرة وازورارهم واعراضهم واستخفاءهم منه. كأنهم يظنون أن ذلك يخفى على الله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

ثم بين لهم سبحانه بعد هذا أنه تام العلم بما يعملون في السر والعلانية، محيط بكل شيء، فانه جل وعلا رازق كل دابة، عليم تمام العلم بمستقرها ومستودعها، يمدها برزقها اينما كانت، وحيثما حلت فلا ريب إذاً أنه يعلم ما تكسبه كل نفس من خير أو شر

ثم انه جلت قدرته لفت العقول الى أن رجوع العباد اليه سبحانه بالبعث أمر هين عليه تعالى فانه هو الذي خلق هذا العالم، وأبدعه هذا الإبداع كما قال: (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده . وهو أهون عليه)

كذلك بين سبحانه الحكمة العالية التي لأجلها خلقهم وهي معاملته لهم معاملة المتحن المختبر. ليظهر لهم ولسائر العباد المحسن والمسيء ويتميز البر من الفاجر ويتبين التقي والأتقى والحسن والأحسن. كما قال تعالى في آخر هذه السورة: (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة . ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك . ولذلك خلقهم)

ولكن مع وضوح هذه الآيات التي نصبها الله عز وجل في الأنفس والآفاق اختلف الناس فيما جاءهم من الهدى عن ربهم في ذلك الكتاب العزيز المحكم فنهم من آمن وعمل صالحاً ومنهم من أبى واستكبر وجادل في الله بغير علم واتخذ آيات الله ورسله هزواً

ألا إن الناس قد أساءوا كل الأساءة اذ قابلوا هذا الرسول الاكرم الناصح المخلص هذه المقابلة السوءى ولقد جنوا على أنفسهم جناية لا يغفرها الا انتهاؤهم عن كفرهم واستهزائهم . ولا يمحوها الا ايمانهم وتعظيمهم لله تعالى ولرسوله .

لا ريب أن هذه المعاملة السوءى كانت تحزن الرسول صلى الله عليه وسلم وكان يضيق لها صدره الشريف ولكن الله اللطيف برسوله قد جرت سنته انه يثبت فؤاده

ويُسكِّن من نفسه ويُطَمْئِن من قلبه بما يوحيه اليه من مثل قوله تعالى : (ولقد نَعْلَمُ أنك يَضيقُ صدرُك بما يقولون . فسبِّحْ بحمد ربك وكُن من السجدين . واعبُدْ ربَّك حتى يأتيَك اليقينُ)

وقولِه في آخر هذه السورة: (وكلاًّ نَقُصُّ عليك من أنباء الرُّسلِ ما نثبِّتُ به فؤادَك) وقوله : (لقد كان في قَصَصِهم عِبْرَةٌ لأُولى الألباب .)

ان هذه الآياتِ الكريمةَ التي تلوناها عليك قد فقّهتْ أولى الألباب ففقهوا حكمة اللهِ الحكيم في ذكر قَصَصِ الأوائل في الكتاب المبين، كما فقهُوا كذلك الحكمةَ في تكرير القصة الواحدة فيه

ولعلنا نَخُصُّ (قصص القرآن الشريف) بمقال فيما بعد بتوفيق الله تعالى .

واجمال القول في ذلك أن اللهَ تعالى قص على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى أمته أخبارَ المرسلين الأولين مع أممهم وذلك لحكم جليلة بالغة .

فمنها تخفيفُ الشدائدِ والمتاعب التي كان يلاقيها الرسولُ وأصحابُه في سبيل الدعوة الى الدين وحمايتهِ فان مَن كان قبلهم من الرسل الكرام واصحابهم قد لاَقوْا من اممهم مثلَ مالاقوْا

ومنها تثبيتُ افئدتهم وتسكينُ قلوبِهم وطمأنينتُها ، حتى لا يملكها عليهم فزعٌ أو قلقٌ أو ضجَر

ومنها تحبيب الصبر على احتمال المكاره والكوارث اقتداءً بالأوائل من الرسل والمؤمنين وابتغاءً لاداء ما كُلِّفوه من الدعوة الى الله عز وجل

ومنها الاعتبارُ والاتعاظُ بما جرى على الأمم الأولى الذين جحدوا بآيات ربهم وعَصَوا رسلَه فكانت عاقبةُ أمرهم خُسْرًا

ومنها عِظَمُ الوثوق بصدق وعْدِ الله لهم بأنه سيخذُلُ أعداءَهم ويعاقبُهم على عصيانهم وتكذيبهم وبأنه سينصرُهم عليهم ويُورِثُهم ارضَهم وديارَهم وأموالَهم ويمكّنُ لهم دينَهم

الذى ارتَضَى لهم كما قال : (ثم نُنَجِّى رسلَنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا نُنْجِ المؤمنين)

كان من جملة السور القرآنية التى جاء فيها قَصَصُ الأممِ السالفة هـذه السورة سورةُ هودٍ عليه السلام

أنزل الله تعالى فيها سبع قصصٍ لسبعةٍ من رسله الكرام فكان منهم سيدنا شعيب خطيبُ الانبياءِ عليهم السلام

أرسله الى مدين كما قال سبحانه : (والى مَدْيَنَ أخاهم شعيباً) الآيات المتقدمة

التفسير

مدينُ : هو أحدُ أولادِ سيدِنا ابراهيمَ عليه السلام ويُطلَقُ تارةً على ذريته الذين منهم سيدنا شعيب عليه السلام وتارة على الأرض التى استوطنها هو وذريتُه من بعده على بحر القُلْزُمِ [1] والمراد بمدين فى الآية المعنى الثانى وهو ذريته

أهلُ مدين هم احدى الأمم القديمة فى الأيام الخالية كانوا فى عيشة راضية وحياةٍ طيبة ولـكنهم فَسَقُوا وعاثُوا فى الأرض فساداً فأرسل الله تعالى إليهم رسولا منهم تَصِلُه بهم صلةُ الأخوة النسبيَّة وهو سيدنا شعيب عليه السلام ليبلِّغَهم عنه دينه القويم حتى اذا ما آمنوا وأصلحوا متَّعهم متاعا حسناً الى أجل مسمى ثم ردهم اليه يوم القيامة موفياً لـكل ذى حقٍّ حقَّه

فانظر اذاً الى حكمة الله البالغة أنْ جَعَلَ رسولَهم منهم لا من غيرهم

ذلك لأنهم أعرفُ الناس به وأدْراهم بأحواله وسِيرَته وأخلاقه وسائر شؤونه وأفْهَمُهم لـكلامه وأسبقُهم الى ادراك مقاصده وأغراضه وأوْلاهم باتِّباعه وأحقُهم باقتفاء آثاره

اضطلع سيدُنا شعيب عليه السلام بالرسالة فَصَدَع بأمر ربه . مُعَطِّفا لقلوبهم عليه مناديا لهم بما بينه وبينهم من صلة القومية والقرابة حتى لا يتَّهمونه بأنه يَكْذِبُهم أو يريدُ

---

(١) وهو البحر الاحمر

بهم شراً فطلب اليهم عدة أشياء ونصح لهم أن يتَّبعوها فان فى اتباعها صلاحَهم وفلاحَهم

أمرهم عليه السلام بستة أشياء ونهاهم عن أربعة، أمرهم أوّلا أن يعبُدوا الله ويخصّوه بالعبادة وحده لا يشركون به شيئاً ولا يجعلون معه الها آخر من انسان أو مَلَك أو كوكب أو شجر . أو تمثال من ذهب أو حجر .

ثم ان عبادة الله تعالى هى الخضوع الكامل لعظمته سبحانه وخشوعُ القلب خشوعا تاما لقدرته وهيبته مع ملاحظة النفس أن الله الذى تعبُدُه قد أحاط علمهُ بما ظهر منها وما بطن، وان قدرته نافذة فيها لا يُعجزها شىء فى السموات ولا فى الأرض ولا تقدِر النفسُ أن تدركَ حقيقة ذلك المعبود الأعظم ولن تستطيع الى محاولة ذلك سبيلا .

والعلامة التى تدل على أن النفس قد عَبَدَت الله تعالى تلك العبادةَ هى الأعمال البدنية الظاهرة وهى أداء العابد حقوقَ الله تعالى وأداء حقوق العباد وأداء حقوق نفسه الى نفسه.

هذه هى العبادة التى أمر سيدُنا شعيب عليه السلام قومَه بها ثم بيّن لهم السببَ الذى لأجله وجب عليهم أن يعبُدوا اللهَ وحده هذه العبادةَ وهو أنه ليس لهم الهٌ غيرُه فهو وحده الهُهُم الذى خلقهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً وهو دون سواه ربُّهم الذى يُرَبِّى نفوسَهم بالدين الحق والعلم الصحيح ويؤدّبُهم بالعقوبات الدنيوية لينكفوا عن المعاصى ومخالفةِ الأوامر الألهية كما أنه كذلك يربى أبدانَهم ويُنمّيها بما أخرج لهم من الطيبات من الرزق .

فلا ريب إذاً أن يكون اللهُ عز وجل هو الهُهُم الواحدَ لا ندَّ له ولا شريك .

إن المتدبر فى معنى العبادة الذى شرحناه يتبين له أنها جُمَّاعُ كلِّ خيرٍ وأنها الوسيلةُ العظمى التى تقرِّبُ العابدَ الى الله زلفى وأنها تتضمن جميع التكاليف الألهيةِ من مأمورات ومنهيات مما رتَّب اللهُ الحكيم عليه صلاحَ أحوالِ البشر فى الدنيا والآخرة .

فمن عَبَدَ اللهَ تعالى هذه العبادةَ فانه لا يفرِّطُ فى أداء حق وجب عليه لله أو لعباده أو لنفسه كذلك لا يُقْدِم على ارتكاب منهىٍّ أيا كان من اشراك أو نقص مكيال أو ميزان أو غير ذلك .

ثم ان هذه العبادةَ التى أُمر بها سيدنا شعيب عليه السلام قومَه هى التى كلَّفَ الله تعالى سائرَ الرسلِ أن يبلِّغوها أممَهم ومنهم سيدُنا رسولُ الله محمدٌ صلى الله عليه وسلم فى مثل قوله سبحانه : (يأيها الناس اعبُدُوا ربَّكم) وقوله : (فأياى فاعبُدونِ) وقوله : (واُعبُدوا الله ولا تُشرِكوا به شيئاً) .

ان الواجب على هذه الأمة المحمدية حينئذ أن تَجْمَعَ ما تفرّق من أحوالها وشؤونها فى الأقطار الأسلامية سواء فى ذلك ما يتعلق بالحياة الدنيا أم بالحياة الآخرة . ثم تَزِنَ ذلك كلَّه بهذا القِسطاسِ المستقيم الذى وضعه الله تعالى وجعله معيارا صادقا لصلاح أحوال العباد فى الحياتين . وذلك هو ميزان العبادة الألهية .

فمن ثَقُلَتْ موازينُه . وَجَبَ عليه المثابرةُ والمصابرةُ والاستزادةُ مما هو فيه من هذه العبادة الصحيحة وكان ممن يُرْجَى له عند الله تعالى المغفرةُ وحسنُ المآب .

ومن خَفَّتْ موازينُه وجب عليه أن يتحسّر على ما فرّطَ فى جَنْبِ الله وعلى ما أضاعه على نفسه من خير عاجل أو آجل . ولزِمه أن يُسارعَ الى اصلاح ما أفسده من أمور دينه ودنياه . عسى اللهُ أَنْ يتوبَ عليه . (إِنَ اللهَ يُحِبُّ التوّابين ويُحِب المتطهّرين) .

حسن منصور
وكيل دار العلوم سابقاً

يتبع

الطرف والملح

أَوْصَى رجل ابنَه فقال له : يابُنَيّ . اذا كنت فى قوم . فدار بينهم تدبيرٌ . فلا تعجلْ بالجواب قبل أن تعرف ما عندهم . ولا تتكبر عن متابعتهم اذا ظهر لك الحق . فان المتابعة على الصواب . أحسن من الابتداء بالخطأ — واعلم يا بنى أن اصابتك الرأيَ بعد خطأ القوم . أحمد لك من اصابتك قبل كلامهم . فانه لا يُعرفُ فضلُ رأيك على غيره . إلا بعد المعرفة بما عندهم . فعند ذلك يستبين القولُ السديدُ من السفيه . والرأيُ الرشيدُ من الكريه — ومن استقبل وجوهَ الآراء . علِمَ مواضعَ الخطأ .

أصول الدين

الايمان بالله . ومناقشة الطبعيين

عجبا للطبيعيين يبحثون لكل شيء يحدث في الوجود عن سبب ولو كان صغيرا وحقيرا فاذا وصلوا الى سبب الاسباب وما لايعقل شيء الا به انكروه وقد قال بعض الفلاسفة « ان انكار السبب الأول للأشياء بمنزلة عدم الأسباب بالكلية فليس بمعقول أن الحلقة من السلسلة تحتاج الى ما يمسكها من الحلقات الاخرى والسلسلة كلها لاتحتاج الى ممسك » وقال آخر : لايمكننا أن نعقل شيئا ولا أن نعرف سرا في هذا الوجود مالم نعترف بوجود الخالق والا تعذر علينا تعليل الاشياء تعليلا مفهوما.ثم نقول : من تأمل في الحكم المودعة في تركيب المركبات خصوصا الحيوان والانسان وما نيط بكل جزء من اجزائها وكيف تعاونت الاجزاء كلها على مقصود واحد ثم نظر بعد ذلك في ارتباط مجموع العالم بعضه ببعض وما أودع فيه من غريب الصنع ودقيق الحكمة حتى انك لاتجد ذرة في جسم الانسان أو في جسم العالم كله الا لحكمة سامية . عرفها من عرفها وجهلها من جهلها

من تأمل هذا كله يبهره ذلك العلم الذى وسع كل شيء واتقن كل شيء ودبر كل شيء وحفظ كل شيء وقام على كل شيء وما تَسابُقُ العلماء في ميدان البحث ولا تبريزهم في مجال العلم الا لاستطلاع هذه الحكم ، واستكشاف تلك الاسرار التى ابان علم التشريح منها شيئا كثيرا أو قليلا . وكذاك علم الفلك وكل العلوم التى تدور حول ذلك المحور ، وتشيد صرح عظمة الله تعالى كما قال بعض الفلاسفة وستسمع ما قال .

وما هذه الكتب المتراكمة في علم النبات والحيوان والانسان والمعادن والارض

والسماء والنجوم والافلاك وكل ما كتب فيه العالم من أوله الى آخره الا نقطة صغيرة من علم الله تعالى الذى دبر هذا العالم لانها تفصيل لبعض ما اودعه من الاسرار في ارضه وسمائه ولسنا في الوجود الا شيئا ضئيلا . ولعل ما عند غيرنا من العوالم يفوق ماعندنا أضعافا مضاعفة . فليست أرضنا هذه الا كحبة رمل صغيرة في جانب غيرها من العوالم

وقال العلامة الشهير (هرشل) « كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أزلى لاحد لقدرته ولا نهاية ، فعلماء طبقات الارض والرياضيون والطبعيون قد تعاونوا وتضافروا على تشييد صرح العلم وهو صرح عظمة الله وحده »

ثم لو فرضنا أنهم عرفوا نواميس هذه الارض كلها مع أن ذلك محال لما كان ينبغى لهم أن يتبجحوا هذا التبجح فان الارض بجانب غيرها من العوالم ليست الا شيئا ضئيلا جدا كما قلنا .

ولعل فيها مالم يصلوا الى معرفته ولم يحلموا بشيء من نواميسه

هذا ولنقل لهم بعد ذلك: هل حافظتم على مبدئكم ومقتضى مذهبكم فلم تقولوا الا بالمحسوس عند ماقلتم ببقاء القوة والمادة وانها لاتزيد ولا تنقص ولا تفنى ؟ فهل سبرتم العالم كله ووزنتم مافيه من مادة وقوة فعرفتم مقدارها حتى قلتم بذلك ؟

لايستطيع أحد منكم أن يدعى هذا ، وهل وصلتم من الوسائل والآلات الى حد لايمكن الزيادة عليه حتى قلتم بعدم فناء المادة

الم يبلغكم ما قرره (جوستافلوبون) وغيره . : (ان المادة تفنى وسواء أصح هذا الرأى أم لم يصح فقد قلتم بغير المحسوس وعارضه هذا العلامة بالمحسوس الذى قام عليه البرهان الحسى عنده . فقد رجعتم من العيان الى البرهان وكل نظرية لايشهد لها العيان بوقوعها تحت الحس وامتحانها بالتجربة فليست عندكم من العلم في شيء

وهذا ما يتبجحون به ولكنهم يضطرون الى نقضه في مسائل كثيرة كما سمعت

وكما تسمع . فان قولهم : ان دقائق المادة تتجاذب وتتدافع لايمكنهم أن يثبتوه ثبوتا علميا ، بل يكاد يعجز العقل عن ادراكه والتسليم به . فاننا لانعقل كيف أن دقيقة من دقائق المادة تجذب أخرى في حين انها تدفعها ومع ذلك هم قائلون به من غير أن يعلموه أو يفهموه . فأين أساسهم الذى أسسوه .

وما اعتراضهم بعد ذلك على أصحاب الايمان وارباب البرهان . وما قيمة قولهم اننا لانؤمن الا بما رأينا ولا نرضى لانفسنا أن نقول بالخرافات أو الخيالات ، لا ياحضرات الفلاسفة ، اننا ندعوكم أن تقولوا بما توجبه العقول ويقوم عليه البرهان كما هو شأن أنواع الانسان. ولذلك نراكم تلجئون الى النظر والاستدلال في كثير من المسائل لانكم من نوع الانسان الذى فطر على ذلك على كل حال .

ثم نقول لكم بعد ذلك ماذا استكشفتم من النواميس حتى تحكموا على السماء والارض وعلى المنظور وغير المنظور . لم تكشفوا الا بضعة نواميس قليلة لاتسمن ولا تغنى من جوع . فليست هذه الارض في جانب العوالم الا كحجرة صغيرة للحيوانات الدنيا في جانب قصر كبير . وقد حيركم مااودع فيها من الاسرار والخواص . وما جهلتموه منها اكثر مما علمتموه باعتراف المنصفين منكم ، ثم نقول انكم ما أخذتم علمكم الا عن الحواس وهى في خداجها وخداعها على ما بينه العلماء فما هذا التبجح الذى لا اساس له ياالخواننا في الانسانية .

ولست ادرى كيف ينكرون ما وراء الحس ويتبجحون بانهم لايقولون الا بالمحسوس . وقد تركوا لغيرهم الخرافات والاوهام . ساخرين منهم هازئين بهم مع اننا نراهم اثبتوا الأثير وبنوا عليه كثيرا من قواعدهم . ولم يروه ولا احسوا به . فان قالوا : أثبتناه بالادلة الكثيرة فقد نقضوا أصلهم ورجعوا الى الاستدلال واى فرق اذا بينهم وبين من يستدل على الله بآثاره وباهر انواره وعلى الروح بظواهرها التى يستحيل لدى العقل الصحيح أن تكون أثرا لذبذبات المادة أو اشعاعا لفسفور المخ الى آخر ما يتخيلون . وهل هذا الا عدول عن المعقول المقبول الى التخيلات الفارغة والتعليلات السقيمة فضلا عن كونهم هدموا بذلك ما اصلوه

من القول بالمحسوس ومجافاة غير المحسوس على أنه يمكننا أن نطعن على الحس اكثر مما طعنوا على العقل فنقول .

ان ادراك هذا العالم المحسوس الخارج عنا انما هو بوساطة الحس فلو فقدنا ابصر لم يكن للمبصرات وجود عندنا ولو فقدنا السمع لم يكن للمسموعات وجود كذلك الى آخره . فالذى يصلنا بالعالم الخارجى انما هو حواسنا فهل الحس مأمون (اللهم لا) وقد بينوا ذلك في كتب الفلسفة القديمة وذكروا أن هناك فرقة لاتقول بشهادة الحس الذى يغلط كثيرا فاننا نرى حبة العنب مثلا في الماء كبيرة ونرى مافي البر يجرى اذا كنا في البحر وها هو ذا كوكبنا الارضى يسير بنا اسرع من كل سريع عندنا ولا نحس به ونتوهمه ثابتا ساكنا

فما الذى يؤمننا أن نكون مخطئين فيما نحس به وها هى ذى الالوان تستند الى ذبذبات معينة في الأثير حتى تتصل بابصارنا ويتغير الحكم لدينا بقلة عدد الذبذبات وكثرتها ، وكذلك الاصوات في سمعنا على ماقرروه فكيف نحكم على الاشياء بانها في الواقع على ماهى عليه عندنا والحواس على ما سمعت على اننا لو تنزلنا وقبلنا احكام الحواس على علاتها وكثرة ما يكون فيها من الخطأ فما الذى يؤمننا بعد ذلك أن تكون هناك أشياء لاتدرك الا بحالة أخرى لم تخلق فينا وقد اثبت بعضهم للنحل حاسة ليست في الانسان وكذلك لغير النحل كالحمام والكلاب ، وقد ذكروا أن القطاط ترى في الظلام الى آخره ، وعلى كل حال فالابصار لايكون الا على حد محدود من الذبذبات في الأثير ولا يمكن فيما دون ذلك . وكذلك السمع ومما لاشك فيه أن الحيوانات مختلفة في ذلك اختلافا كثيرا فاى ثقة بالحس حتى تربوا عليه ذلك كله ؟

افلا يجوز أن تكون الاشياء في الواقع على غير ما ادركناه بحسنا . اللهم ان ذلك جائز وواقع . فيجب اذا أن يكون التعويل على العقل لا على الحس والثقة بالبرهان لا بالعيان وان رأيتم أن ذلك افراط (فليس دواء الافراط الا الافراط) والعقل أولى أن يكون ذا السلطان ومرجع الانسان ويعجبنى قول العلامة (كروزيار)

في هذا المقام اذا كنت لااقول الا بالمحسوس فكيف يمكنني أن أعرف أن صديقي الذى يماشيني يحوز شيئا أدعوه العقل . انى لا استطيع أن أراه أو أحس به أو اتناوله بتجربة اتخذ مجهر الطبيب أو مشرط الجراح أو مجهزات الكيماوى اداة لها فلو كان معتقدى في عقل صاحبي يعود الى مقدار ما استطيع أن أعرف منه علميا (أى بالحس) لم استطع أن أعتقد بوجوده مطلقا مع أن مفخرة العلم الحاضر ادعاؤه بأن كل مستنتجاته من المستطاع أن توضع تحت حكم الحواس فاذا وجود العقل في صاحبي كوجود (واجب الوجود) كلاهما اعتقاد الزامى لانستطيع أن نعرفه من طريق الحس وفي الوقت نفسه نحن ملزومون بالاعتقاد به ثم قال كيف ندرك أن العقل متفوق على المادة وان العواطف العقلية أزكى طبيعة من العواطف الحسية كيف ندرك أن الشجاعة وكرامة الاخلاق وتضحية النفس أصفى طبيعة من حب الملاذ والخشونة واشرف من الحسيات بضروبها ان خلايا المخ هى التى تنشىء من نشاطها وحركتها تلك الانفعالات . ولكن نعرف من جهة أخرى وبقدر ما يسمح لنا به العلم الطبعى أن هذه الخلايا متشابهة في المرتبة والقدر فكيف وقع الفرق في المرتبة بين الانفعالات المتشاكلة ولولا هذا الاعتقاد لاصبحت العلوم والمجادلات الأدبية برمتها سخرية وتضليلا ، وهناك تتعطل المصالح العظمى في حياة الانسان ويبطل التفريق بين درجات الفضيلة والرذيلة والمدح والذم والشرف والاسفاف وتصبح هذه الاشياء غير واقعية ولا حقيقية وهو ما ينافي العقل ويصادم البديهة. انتهى كلام هذا المفكر الكبير، ثم نقول لهم بعد ذلك هل يعقل انكم تطلبون لكل شىءسببا ثم لاتطلبون للكون كله سببا؟ثم نكرر ماقلناه ببسط وتوسع.هل يعقل أن كل حلقة من حلقات العالم تحتاج الى حلقة تمسكها أو تنشأ عنها أو تعتمد عليها أو قل ما شئت ولا تحتاج السلسلة كلها الى ممسك يمسكها ومبدأ تعتمد عليه . وهل اذا وجدنا مدفعا كبيرا ذا صنع دقيق ولمقذوفاته الأثر الكبير . وقد عرفنا سر صنعته وترتيب أجزائه واتصال حلقاته الى أن يترتب عليه أثره في الوجود .

فهل يغنينا ذلك عن الفاعل الذى صنعه . والعقل الذى دبره والارادة التى ارادته؟
اللهم ان الامر جلى واضح حتى على مقتضى قوانينهم التى تطلب لكل شيء سببا
وتبحث لكل معلول عن علة . ولا أدرى كيف يبحثون في الاشياء الجزئية عن عللها
ثم لايبحثون للمجموع عن علته ؛ ثم نقول من وجه آخر . اذا عرفت أطوار البذر
ودرجات نموه حتى يثمر فهل يعد ذلك معرفة للبذرة نفسها ولما أودع فيها من السر
الذى أوجب هذا النمو وذلك الاثمار . على أن معرفتهم للاشياء التى يدعونها ليست
ناشئة الا عن رؤيتهم تواليها وحدوث بعضها عقب بعض فما الذى ادراهم أن الحلقة
السابقة هى الفاعلة في الحلقة اللاحقة بل ماالذى أدراهم انها سبب حقيقى في حدوث
ما بعدها وهم لم يشاهدوا الا وجود هذا عقب ذاك لاغير . وهل هذا يفيد السببية
الحقيقية أو يقتضى الفاعلية المؤثرة أم ذلك ظن وتخمين لاشهود عيان كما يزعمون
وقد ينطقون بالصواب في بعض الاحيان من حيث يشعرون اولا يشعرون فيقولون
سنة الكون فاذن الاسباب هى السنن والسببية هى العادة الجارية بحدوث هذا
عقب ذاك أما التأثير أو الفاعلية أو السببية الحقيقية فامر وراء ذلك . فان القوانين
التى تضعها والخطط التى ترسمها والاعمال التى ترتبها على نظام خاص لاتدل على
تأثير بعضها في بعض ولا ايجاد بعضها لبعض وانما هى قوانين اقتضتها ارادة المقنن.
وانظمة استدعتها حكمة المنظم فهذا هو كل ما تعطينا المشاهدة التى ظلموها فنسبوا
اليها ماهى بريئة منه ، على اننا نستطيع أن نقول انهم لم يعرفوا حقيقة شيء على
الاطلاق وانما هى ظواهر يعرفونها عند ظهورها أما مهايا الاشياء فلم يصلوا اليها
ولم يعثروا عليها . أما كلمة قوة ومادة التى يعتبرونها من الاوليات الضرورية وانها
كذلك من حيث ظاهراتها المحسوسة فلا تؤدى الى العقل كما قال بعض المحققين
الامعانى خفية غامضة مجملة لاتفيد شيئا من معرفة الماهية والحقيقة . ويكفى أن
ما يذكرونه في أمثال ذلك لايخرج عن كونه جنسا عاليا أو عرضا عاما وقد ذكر
المنطقيون أن التعريف بالجنس لايفيد وان التعريف بالخاصة رسم ناقص والرسم
لايبين الكنه ولا يشرح الحقيقة . وكذلك الحياة والادراك والتذكر والتخيل

لايمكنهم أن يعللوه تعليلا ماديا فضلا عن أن يعرفوا الحقيقة والماهية . ومن أظهر الاشياء أن المادة التى حللوها كل التحليل وقلبوها على كل وجه وفعلوا بها الافاعيل (أو فعلت بهم الافاعيل) لم يعرفوا حقيقتها حتى الا ن فبعد أن قالوا : انها جواهر فرديه واستمروا على ذلك قرونا كثيرة رجعوا فاثبتوا مذهب الا كثر ذرات وما فيه من تخمين أو يقين . واثبتوا ذلك الدوران السريع الذى يوجب دوران الدماغ في تلك المنظومات التى تشبه المنظومات الشمسية على ما يقـولون ولا داعى للتوسع ولعلك رأيته وقرأته . ومن أغرب ما قالوه فيها وهو من أحدث الآراء انها الحركة وليت شعرى هل الحركة تقوم بغير متحرك وهل العرض يقوم بنفسه ولكن مالنا ولهذا وانما نريد أن نقول:انهم عجزوا عن ادراك حقائق الاشياء حتى المادة التى عبدوها ولم يعرفوا شيئا سواها وهكذا شأنهم في كل أدوارهم يتبجحون من غير علم ويحسبون انهم على شىء وما هم على شىء . فقد قالوا انتصرت المادة وارتفع لواؤها عند ما استكشف (غليليو) دوران الارض وقالوا مثل ذلك عند ما كشف (نيوتن) الجاذبية وقالوا مثل ذلك عند ما قال (درون) بالنشوء والارتقاء . وقالو ذلك عند ما وضع (لابلاس) قاعدة نظام العالم على مايزعم وقد جاءهم (اينشتين) أخيرا فهدم لهم نظرياتم الاولى واتاهم بشىء جديد ؟ أن ثم هدم كل قواعدهم ومقرراتهم وهكذا لايزالون يتبجحون تبجح الاطفال عند مايظفرون بشىء ضئيل ويصفقون تصفيق الجهـال للشىء العليل والنزر القليل وقـد كانوا يظنون في كل دور من تلك الادوار انهم اكملوا ما لديهم من نقص وسددوا مافي مذاهبهم من فراغ ثم تبين لهم أن النقص لازم لهم والاستدراك قضاء عليهم ولا يزالون كذلك حتى يرث الله الارض ومن عليها . ولا يفوتنا أن ننصح لهم أن الوقوف مع الحس هو شأن الحيوان لا الانسان والنظر الى الاسباب الاخيرة دون المسبب الاول يشبه ما يقع من الحيوانات التى تعرف سائسهـا الذى يقدم اليهـا ماتأكله دون ربها أو الحيوانات التى اذا ضربت بالحجر عضته لاعتقادها انه هو الذى ضربها أو الحيوانات الدنيا التى ترى المداد يسود القرطاس . فتعتقد انه من القلم لكونها لاترى الكاتب لقصر نظرها

ومع هذا فربما كان الماديون معذورين بقصرهم انفسهم على دراسة المادة التى وجدوا البارىء قد وضع فيها من الاسرار مايدهش العقول ويحير الافكار . وجعل لها نواميس ثابتة . فلم تقو ابصارهم على استطلاع شمس الالوهية من وراء تلك الحجب فقالوا ما قالوا ، ولو نزلوا من عروش كبريائهم الى الانصاف وحسن التفاهم لعلموا أن ما درسوه لايخرج عن كونه سننا وقوانين وضعها الخالق في خليقته وانظمة أبدعها الحكيم بحكمته وليس لذلك كله شيء من الفاعلية . بل هو أدل على القابلية من الفاعلية وكان يجب أن يكونوا اكثر الناس ايمانا لأن من عرف سر الصنعة كان أعلم بالصانع فكان يلزم من علمهم بذلك النظام العجيب أن تكون معرفتهم بالحكيم الذى أتقنه بحكمته التى تدهش الالباب وقدرته التى لاحد لها أعظم من معرفة غيرهم وايمانهم أشد وأثبت ولكن الانسان هو الانسان

« كلمة انصاف عن الدينيين والطبعيين »

رأينا أن نختم مقالنا هذا بكلمة انصاف تقرب بين الفريقين وتشرح وجهة النظرين . ولعلها تزيل ما بينهما من خلاف أو تقلل ما مرنوا عليه من اعتساف فنقول

يظهر أن المتدينين انكروا الاسباب الظاهرية التى تستند اليها مسبباتها دفاعا عما يعتقدون من التوحيد فيما يظنون فصادموا المحسوس وجنوا بذلك جناية كبرى على الدين ولكن تطرف الطبعيون أيضا عند ما كشفوا الاسباب الموجبة للمسببات على مقتضى السنن التى وضعها الله في العالم . فقالوا : ليس هناك تدخل لغير هذه الاسباب في ايجاد شيء من الاشياء ولا ايجاد انفسها . ولكن لو عرف الطبعيون أن هذا قانون وضعه الله في العالم لانه حكيم فتأبى حكمته أن يكون العالم فوضى بلا قانون ولا نظام . واعترف لهم أهل الدين بذلك كما يفعل مفكروهم وفلاسفتهم وعرف الطبعيون أن هذه النواميس ليست مؤثرة ولا فاعلة وعلمهم نفسه لايثبت التأثير ولا يدل على الفاعلية وانما وظيفة العلم الطبعى أن يبين العلاقات والترتب والنظام والارتباط بين الاشياء . وليس عندهم ما يدل على السببية الحقيقية كما قلنا ولذلك يعبر كثير منهم بالسنن وهى كلمة لاتفيد غير القانون والنظام بل هم

معترفون انها ليست سببية حقيقية . ومصرحون بان العلم الطبعى لايدل على ذلك لو عرفوا ذلك كله وعرفوا بعد هذا أن ما استكشفوه ليس الا نزرا يسيرا لايقام له وزن بجانب هذا الكون العظيم ثم ضموا الى ذلك تلك الحقيقة الناصعة التى لامراء فيها وهى أن الكون بعد كل تنزل محتاج في مجموعه ووحدة نظامه وأصل وجوده الى علة ولا يمكن أن يكون كل جزء فيه محتاجا الى علة ومجموعه غير محتاج اليها وليس في قدرة العالم الطبعى الذى يبحث عن علل الجزئيات المعينة والحلقات المتوالية أن يستكشف علة المجموع في أصل وجوده ولا أن يعرف كيف تمت له هذه الوحدة ولا ماهو الاصل الذى أعطاه ذلك النظام بوساطة علمه الطبعى بل نقول لايمكنه أن يعرف كيف اختص كل جزء فيه بخاصته المعينة . ولا لماذا وقفت العناصر الاصلية عند ذلك الحد الذى وصلت اليه من نحو ثمانين عنصرا على ما يقولون ولا لماذا كان بعضها في هذا الوجود اكثر من بعض (كالاكسوجين) مثلا مع (الراديوم) أو غيره من العناصر العزيزة الوجود لو عرف الطبعيون ذلك وعرف الدينيون أن الاعتراف بالاسباب والمسببات والقوانين والانظمة لاتمس الالوهية بشىء بل على العكس من ذلك تثبت حكمة الله وعلمه الذى لايتناهى . لو تم ذلك لما كان هناك نزاع بين الفريقين ولتم الصلح بينهما ولست أظن أن هناك نزاعا بين المحققين من الدينيين والراسخين من الطبعيين .

ولكن ماذا نصنع وقد جمد كل فريق على ما اداه اليه علمه الناقص ونظره القاصر . فكان شرا مستطيرا على نفسه وعلى الناس .

وقد علمنا الله تعالى أن هناك قوما من أرباب الجهل المركب ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

وقد قال (كل حزب بما لديهم فرحون) وقال (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لايؤمنون ولو جاءتهم كل آية) وبعد (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ،

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء بالازهر
ورئيس جمعية النهضة الدينية الاسلامية



البعث

بسم الله الرحمن الرحيم

نكتب اليوم في البعث وهو من أصعب ماجاءت به الشرائع السماوية حتى أن كثيرا من الناس ليعده من الخرافات أو المحال ولنقدم قبل ذلك كلمة وجيزة عن الانسان فنقول

مقدمه

الانسان من أعجب الكائنات وأغرب المخلوقات جمع بين المتضادات واستعد لأكبر السعادات وأعظم الشقاوات لأن فيه قابلية لاتحد وجهات ضعف وقوة لاتعد أما قوته فأنت غنى عنها وممتلىء منها . وأما ضعفه فمن وجوه كثيرة فمنها انه متى ألف شيئا الفا تاما واعتاده اعتيادا متكررا لم يكد يقبل غيره. أو يصدق بشيء سواه ولو كان من أوضح الواضحات أو أول المبرهنات فأنه لايستمد الا من مألوفه ولا يرجع الا الى معروفه وما عدا ذلك فهو عنده خيال أو محال ، ثم يأخذ وهمه في الاستدلال عليه ولكل قوم أدلة يقتنعون بها ويعتمدون عليها لأنها تناسب حالهم وتروق خيالهم وان كانت من عمل الشيطان وعلى نقيض البرهان . ومن ذلك ماقاله المشركون في رد التوحيد

«أجعل الآلهة الها واحدا أن هذا لشيء عجاب» وفي رد النبوة «أبشرا مناواحدا نتبعه انا اذا لفى ضلال وسعر اءلقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر » ومن ضعف الانسان أنه اذا نظر في موضوع فقلما ينظر فيه الا من بعض نواحيه ثم يكون الباقى عنده في عالم المجهول أو غير المعقول لأن البصيرة كالبصر متى اشتغل

برؤية شيء حجب عن غيره وان كان أقرب الاشياء اليه وأدناها منه . وكيف تنظره البصيرة وهى لم تتوجه اليه ولم تلتفت له . ومادامت تجهله فهى تنكره ولا تكاد تتصوره . ومن جهل شيئا عاداه وقد قال الله تعالى في مثل هؤلاء (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) وهو بعد ذلك مستعد للتقليد في أى شيء من الأشياء ولو كان من أجهل وأبطل الباطل بمقتضى تلك القابلية التى لاحد لها فانه يتأثر بكل شيء يراه أو يحس به أو يتلقاه من أبيه أو استاذه أو رجل كبير في نفسه خصوصا ما مرن عليه بين بيئة مردت على الجهل والتقليد . أو يقرأ في كتاب من الكتب أو جريدة من الجرائد أو مجلة من المجلات مادام لايقرأ ما يعارضه .وقد قالو قديما (من يسمع يخل) والنفس الانسانية مستعدة لكل ماينقش فيها خيرا كان أو شرا والغذاء المعنوى بمنزلة الغذاء الحسى لابد أن يؤثر أثره في صاحبه ضارا كان أو نافعا حتى اذا تمكنت تلك النقوش من النفس ، واصبحت راسخة فيها تعسر زوالها وربما تعذر وكأنها صارت جزءا من تكوينها وعنصرا من عناصرها . ومعروف أن الشيء اذا صبغ بأى صبغ وتمكن منه ذلك لم يقبل صبغا آخرا الا بتحليل كبير وعناء كثير . فمثل هذا الرجل لايبتغى غير ماعنده بديلا ولا يجد الى ذوق الحقائق سبيلا لأنه لايرى له أثرا في وجدانه ولا يقع له على ظل في زوايا قلبه . والانسان ليس الا قلبه . والقلب ليس الا تلك المعلومات التى غذيته بها . ولا النفس الا تلك النقوش التى نقشتها فيها وصبغتها بها . ولذلك يقول الله في حق هذا الفريق (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهى الى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لايبصرون) وهؤلاء يرون تقليد الآباء من أول الواجبات وقولهم من أكبر الأدلة وقد قلنا ان لكل قوم أدلة تناسب طفولتهم وتوافق جهالتهم وهؤلاء هم الذين يقولون

(انا وجدنا آبائنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) وعزيز على أن أقول ان اباء اكثر الناس الآن هم الأوربيون وأساتذتهم هم الماديون والملحدون وذلك

بفضل التعليم المدنى وجهلنا بكل شيء عندنا حتى أوليات ديننا وتاريخ اسلافنا،ولنرجع الى ماكنا فيه فنقول

ومن أكبر الضعف أنه يظن الشبهة الباطلة دليلا ساطعا والحجة الداحضة برهانا نيرا والانسان مستعد أن يتسفل الى أسفل الدرجات أو يترقى الى أعلى الدرجات ولقد وصل من الجهل الى حد أنه كان يعمل الصنم بيده ثم يعبده بل الى حد أنه كان يعمله من عجوة ثم يأكله،ومن أظهر وجوه ضعفه وأعمقها في نوعه تأثير الشهوات التى تختلف ضروبها وتتنوع مراميها حتى تقتل عقله وتميت احساسه أو تفسد انسانيته فتجعله غير انسان ومن أظهر وجوه الضعف فيه أننا نرى بعض أفراده من أقوى الاقوياء ثم نراه من أضعف الضعفاء وقد يكون فيلسوفا سارت الركبان بحديث نظرياته ثم لا يلبث أن يتهوس في بعض البدهيات ويتخبط في أوائل الضروريات . وعندى أن من أكبر ضعفه جهله بضعفه ولو عرف ضعفه ولم يجهل جهله لكان ذلك أدنى الى قوته وأقرب الى سلامته . وقد تؤمن بهذا كله عند ما ترى أن كل ضال ومبطل وشرير وجاهل يجد له من هذا النوع اتباعا يقولون بترهاته ويدينون بخرافاته وليس المدار في وجود من يتبعك ويقول بقولك ويتوسم جميع خطواتك في هذا العالم مهما كان قولك وعملك ونحلتك ونزعتك الا أن تتقن وسائل دعوتك فأن نوع الانسان مستعد لصنوف الهذيان وجميع الالوان. وقابل لضروب الحق والبهتان . وسبيل الكفر والايمان . وانواع السفسطة والبرهان. وبعد فالانسان هو الانسان وما احكم قول المتنبي .

وصرت أشك فيمن أصطفيه ... لعلمى انه بعض الأنام

أو نقول

غلب المين منـذ كان على الخلـ ... ـق وماتت بغيظها الحكماء

ولنقتصر من هذه المقدمة على هذا

« المقصود »

أنى أعجب ولا أخفى عليك ممن ينكر البعث وهـو فيما أراه من أوضح الواضحات فان البعث ليس الا خلقا جديدا ليس بينه وبين الخلق الأول الذى نشاهده كل وقت وكل ساعة أدنى فرق يصح أن يكون شبهة للمنكر أو تكأة للمرتاب

وقد قال المعلم الثانى أبو نصر الفارابى وهو من اكبر فلاسفة العالم (كنت أشتهى أن يطلع أرسطاليس على ذلك القياس الجلى) الذى يشير اليـه قوله تعـالى (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) أما القياس الذى اشار اليه فهو أن الله انشأ الخلق أول مرة وكل من انشأ شيئا كان قادرا على اعادته هذا هو القياس . بل نقول ان الاعادة أسهل في العقول من البدء وقد أشار الله الى ذلك بقوله (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) وهذا مسلم يعرفه كل أحد من نفسه فأن العمل كلما تكرر كان أخف وأهون وما نشأ ذلك التوقف الا من جهـل الانسان الذى قاس قدرة الله التى لا تحد على قدرته التى لاقدر لها فوجد أنه لايستطيع أن يحى الموتى (فالله كذلك) فهو جاهل بالله من جهة وواقف عند حسه من جهة أخرى فلا يصدق الا بما رآه ببصره (وهو لم ير البعث) وهذا هو شأن البهائم التى لاتصدق الا بالمحسوس . على أن ذلك محسوس لكل أحد .

ولكن الانسان مستعد بجهله أن ينكر المحسوس ولا يفكر في المشاهد فان القادر على أن يخلق من النطفة وهى فضلة من الفضلات انسانا عاقلا مفكرا مدبرا فصيحا بليغا مخترعا متفننا عالما فيلسوفا الى آخره . كيف يعجزه أن يعيد أجزاءه الى ما كانت عليه ثم ينفخ فيها الروح مرة أخرى ولعلها مهيأة للخلق واقرب اليه مما كانت وهل هناك الا انك رأيت الرجل يخلق من النطفة ولم تر ذلك في الاموات ويعجبنى قول بعض الفلاسفة الاسلاميين : لو حدثنا أن رجلا سميعا بصيرا خرج من قطرة ماء لم نصدقه ولهزأنا به وقلنا أنه يهزأ بنا ولكنا رأينا ذلك ووجدنا فيه ومنه فصدقناه وصرنا لانفكر فيه وكل شيء تكررت رؤيته لم يكن له وقع في النفوس فالشمس اكبر آية وكذا الكواكب البديعة الأشكال العزيزة المثال . لانلتفت

اليها لكثرة رؤيتنا اياها والفنا لها (وقد كنا نحدق في الطيارات يوم ظهورها لدينا وقد أصبحنا لانتظر اليها ولا نهتم بها وكنا نستهجن السفور أيام انتصار العادات الشرقية الاسلامية على العادات الغربية الأوربية فأصبحنا لانمتعض من التهتك ولا ننفعل له ولا ننكر عليه وها نحن أولاء يدهمنا الليل بظلمته الحالكة كل يوم مرة فلا تهتز له أعصابنا اهتزازها لكسوف الشمس ولو جزئيا . فهكذا شأن الانسان وعلى هذا جبل وقد قال الله في تقرير هذا الدليل (ايحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحي الموتى) . ثم اذا نظرت في هذا التراب وجدته ينقلب تفاحا ورمانا وموزا ولوزا ووردا الى آخره وتشاهد ذلك في كل عام من الاعوام بل في كل فصل من الفصول وكل يوم من الايام فما الذى تستنكره بعد ذلك . اليس جهل الانسان كبيرا حيث لايعرف قدرة ربه التى لاتحد ولا يستعمل عقله وفكره ولا يلتفت الى نفسه وابناء جنسه ولا الى مزروعاته وجميع محيطاته ويصادم المعقول والمحسوس على أنه اذا لم ير شيئا من ذلك لم يصح له أن ينكر البعث فانه لايدرى من نواميس الوجود الا أقلها ولم ينل من بحر العلم الا قطرات يسيرة شرق بها أو نقول تبجح بسببها فزادته جهلا على جهله وكان مصيبة على الدين وعلى العلم وعلى نفسه وعلى ابناء جنسه الا من وصل من الفلسفة الى لبها ومن الحقائق الى صميمها وقليل ماهم واني لاادرى كيف ينكرون البعث الآن وقد قرروا أن العالم كله يرجع الى شيء واحد في أصله هو الأثير أو الكهرباء أو ما الى ذلك ثم تغير هذه التغيرات واستحال تلك الاستحالات حتى صار الى تلك الأجناس التى لايحصيها عد ثم تنوعت الى تلك الأنواع التى لايحيط بها علم فما معنى انكار البعث بعد ذلك وليس هو الا شيئا مما هنالك ولكن لاعجب فالانسان مجمع العجائب والغرائب ومحل المتضادات والمتناقضات على أننا نسائلهم هل ينكرون الانسان الأول أو الحيوان الأول (على مذهب درون) فأن انكروه وقالوا انه ذاهب الى غير نهاية (وهم لايقولون ذلك) ابطلنا قولهم هذا بأنه يلزم عليه التسلسل المحال

الذى لايقولون به أيضا وان اعترفوا (ولا بد أن يعترفوا) بأنه خلق من الارض وهو من أحدث المخلوقات عندهم فقد قامت عليهم الحجة ولزمهم العجز واحاط بهم الافحام فان هذا هو اخراج الحى من الميت الذى لم يشم رائحة الحياة أصلا وليس البعث الا هـذ أو أقرب منه ولا يمكنهم التفضى عن ذلك مهما حرفوا أو خرفوا! ولهذا كله ترى القرآن يعجب من انكارهم البعث اشارة الى انه في غاية الجلاء ونهاية الوضوح فيقول (وان تعجب فعجب قولهم آءذا كنا ترابا أءنا لفى خلق جديد) ويقول النبي (بل عجبت ويسخرون) فكانوا يعجبون منه ويستهزئون به وكان يعجب من انكارهم واستهزائهم حتى قال لهم (كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة) وانت تعلم أنه لايبعد استحالة الحجارة الى الحى فانك تراها تستحيل ثم يزرع فيها ثم تنقلب نباتا حيا ثم ينقلب النبات نطفا ثم تنقلب النطف حيوانا وانسانا أليس ذلك كله اخراجا للحى من الميت وقدرة الله بعد ذلك لايحيط بها محيط وما ابدع ماقال الله تعالى في الاستدلال على البعث (يأيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فأنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة) الى أن قال (ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم) ثم قال في آخر هذه الآيات مشيرا الى دليل آخر (وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) ثم ذكر النتيجة بعد تلك الأدلة الواضحات فقال (ذلك بأن الله هو الحق وانه يحى الموتى وانه على كل شيء قدير)(وان الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من في القبور) ولا بأس أن نتلو عليك الآية التى بعد هذه (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله) وقد قال الله قبـل ذلك وهـو العليم بخلقه (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد) الى آخر ما جاء في القرآن من الآيات البينات والحجج الواضحات وعلى كل حال فمن تأمل وجد أمر البعث واضحا جليا للغاية فانه لافرق بين الخلق الاول والخلق الثانى كما قلنا ونحن نشاهد هذا الخلق كل وقت وساعة فكلما رأيت طفلا رأيت خلقا

جديدا . واذا رأيت عصفورا في روض رأيت خلقا جديدا وكلما رأيت نباتا في حقل فقد رأيت خلقا جديدا فى بيتك وفي سوقك وفي حقلك وفي نفسك وفي البر وفي البحر وفي الارض وفي الجو كلما القيت ببصرك رأيت دلائل البعث تحيط بك من كل جانب ، ومن الغريب أن بعض أهل الجاهلية واظنه عبد المطلب كان يرى البعث حقا ويستدل عليه عقلا فيقول . ان هذه الدار ممتلئة ظلما وجورا فلا بد من دار يقام فيها العدل ويقتص فيها من الظالم للمظلوم وهذا هو مقتضى قواعد المعتزلة الذين وسموا أنفسهم باهل العدل والتوحيد فلا يجوزون عدم البعث عقلا ولعلنا نجد في كتاب الله تعالى ما يشير الى ذلك مثل قوله تعالى (أم نجعل الذين أمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار) فان عدم التسوية بينهما في الآخرة لافي الدنيا .

فقد تجد حظ الفجار في هذه الدار أعظم من حظ المتقين فيها ويشير أيضا قوله تعالى (انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) ويقول (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون) ولك أن تقول لو تساوى الظالم والمظلوم والصالح والطالح مع ماكان بينهما من الفرق العظيم في الدنيا لكان ذلك قادحا في عدل الله تعالى لكن ذلك لايجوز فلا بد أن يذيق الظالم كأس النكال على ماكان منه وتقر عين المظلوم على عظيم صبره واذا يهون علينا مانلاقيه في هذه الحياة انتظارا لما في تلك الحياة (أيحسب الانسان أن يترك سدى) (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون فتعالى الله الملك الحق) عن ذلك العبث (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين) ولك أن تقول لو لم يكن هناك بعث لكان الانسان أخس من الحيوان الذى لايحزن ولا يخاف ولا يترقب الحوادث .

ومن الأدلة الطريفة قول بعضهم ان الانسان يحس من نفسه بعدم النهاية في شعوره وفي مطالبه وفي شوقه الى عالم لايتناهى وكلما وصل الى شيء طلب غيره لأنه يجده

غير محقق لما تتوق اليه نفسه من صفاء لاغاية له وملك لايعتريه زوال،وسعادة ليس فيها شقاء ونعيم كنعيم أهل الجنة فهو يحس بأنه مستعد لهذا ولكنه يطلبه من هذا العالم جهلا منه فان هذا الشعور لم يخلق فيه عبثا ولا جزافا فليس من سنة الله العبث أو الجزاف وايضا فكل شيء في الوجود خلق لغاية ولو لم يكن للانسان غاية أخرى غير مافي هذه الحياة لكان وجوده عبثا فان غيره في هذه الارض مخلوق لاجله فلابد أن يكون هو مخلوقا لغاية سامية فانه لم يحصّل هنا الا الهموم والاحـزان وهو متخبط في هذه الحيـاة لايعيش فيهـا عيشا صالحا بوجه ما الا بالتعلة أو الامل أو الخيال ولهذا يقول القائل

طبعت على كدر وانت تريدها صفوا من الاقذار والاكدار

ومكلف الايام ضد طباعهـــا متطلب فى المـــاء جذوة نار

أما الظلم ههنا ورفعة الجاهل وانحطاط الفاضل ووضع الامور في غير موضعها فحدث عنه ولا حرج حتى مع أرقى القوانين وأعظم الدساتير فانهم يؤولونها على ما شاءوا ويطبقونها على ما ارادوا

لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت حواشيه حتى صار ظلما منظما

(وان شئت فسمه ظلما قانونيا أو دستوريا)

هذا والقرآن يذكر في هذا الموضوع الذى نحن فيه أدلة واضحة للغاية فيقول (أوليس الذى خلق السموات والارض بقدر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) ويقول (ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى احياها لمحى الموتى انه على كل شيء قدير) ويقول (لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ويقول (أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) وانى استلفت نظرك الى مافي هذه الآية الشريفة مما يملؤك روعة فبعد ان قاس الاعادة على البدء وهو قياس أولوى كما عرفت قال (وهو بكل خلق

عليم) كانه اراد أن يقف النفوس عند حدها ويقلل من هواجسها او يقضى على وساوسها التى تجول في تلك الشبه ولعلك رأيتها أو سمعت بها فقال لهم دعوا عنكم تلك الوساوس وهاتيك الهواجس (فانه بكل خلق عليم) وكيفية خلقه وجميع أفعاله لايحيط بها محيط (فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لاتعلمون) وانى اكرر عجبي البالغ من انكار أولئك الماديين الذين يقولون ان أصل الاشياء هو الأثير قد استحال استحالات كثيرة حتى كون المعادن والنبات والحيوان والانسان فكيف ينكرون البعث بعد اعترافهم بهذا وبعد كثرة ما يشاهدونه الآن من استحالات المادة التى لاتقف عند حد والتى تأتى بالمتباينات والمتناقضات

أما مارأيت من الشبه التى تذكر في بعض الكتب وقد أشرنا اليها فلا نريد أن نزج بك في ظلماتها أو نعرضك لآفاتها أو نعرض عليك مافيها من خيال وخبال ولكن نقول لك ان الانسان على الحقيقة هو الروح الحافظة لشخصيتها في أى ثوب تلبسه وأى مظهر تظهر به والجسم الانسانى له شيء أصلى بمنزلة البـذر الصغير للاشجار الكبيرة

تلك البذرة الاولى هى ماكان عند نفخ الروح أو تلك الذرة التى وجدت يوم (الست بربكم) أو نحو ذلك ولعلك ممن يكتفى بايجاز الاشارة عن أطناب العبارة ولا يمكننا أن نتوسع اكثر من هـذا فلا نحمل البيئـة فوق ما تطيق ولا الظرف اكثر مما يسمح به ولنختم مقالنا هذا بما يروى عن بعض العلماء انه جاءه ملحد ينكر البعث فلم يطل معه الجدال ولا اكثر له القيل والقال بل عدل عن كل ذلك وجاء من ناحية أخرى لعلها أعظم أثرا في وجدانه واقرب سبيلا الى ايمانه فقال ان كان عدم البعث حقا نجوت انا وانت والا نجوت انا وهلكت انت ومن ذلك قول القائل

قال المنجم والطبيب كلاهما لاتبعث الاموات قلت اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولى فالخسار عليكما

فنحن اذا أعقل منهم على كل حال ، وهـذا على سبيل التنزل أو المداعبة والا

فالبراهين واضحة لايمارى فيها الا من قال الله فيهم (افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون)

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء ورئيس جمعية
النهضة الدينية الاسلامية

الطرف والملح

حكى عن عليّ بن الهَيْثَم : أنه كان مُغْرَما برواية اللغة . وحفظ الغريب والحُوشيّ منها والتكلم به مع من لا يفهمه

فحكى عنه : أنه مرّ به رجل فارسيّ . قد ركب أتانا خلفها جحش . وبيده عذْقٌ قد ذهب بُسْرُه الا قليلا . يقود به بقرة يتبعها عجل لها .

فناداه عليُّ بنُ الهيثم : ياصاحبَ البَيْدانةِ القمْراء . يتلوها توْلَبٌ . بيده شُمْلولٌ . يَطَّبِي به خَزُومةً يقفُوها عجل . أتُقابِضُ بعجلك جُحْجُحاً زَهِماً ؟

فالتفت اليه الفارسي وقال : يابابا . فارسيّ هم ندا نم .(١)

البَيْدانةُ . الأتانُ — والقَمْراء . البيضاء الوجهِ — والتَّوْلَبُ . ولد الحمار — والشُّمْلولُ . العذْقُ — ويَطَّبِي . يدعو — والخَزُومَةُ . البقرة الوحشيةُ — والجُحْجُح . الكبشُ — والزَّهِمُ . السمينُ .

قيل لسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : كان الرجل يُظلَمُ فى الجاهلية فيدعو على من ظلمه فيجابُ عاجلا ولا يُرَى ذلك فى الأسلام . فقال : هذا حاجز بينهم وبين الظلم . وإن موعدَكم الآن الساعةُ . والساعةُ أدهى وأمَرُّ .

---

(١) يا أبى أنا فارسى لا أعرف

الفتاوى والأحكام

الزكاة

هى الدواء الشافي لاخطر أمراض المجتمع الانسانى

حقيق بنا ونحن في مستهل عام جديد من حياتنا أن ننظر الى نعم الله تعالى علينا نذكرها ونشكرها لنحوطها من الزوال ، ونصونها من الاضمحلال ، أجل ان قطع مرحلة من العمر واستئناف مرحلة أخرى وطى صحيفة من صحائف الحياة ونشر صحيفة غيرها ينبغى أن يكون موقظا من سنة الغفلة وباعثا من رقدة الخمول، والانسان مفطور على النسيان حتى يذكره جديد الحدثان ومر الزمان ، وحبذا الذكرى يبعثها الرخاء والتقلب في السراء ، ولاحبذا من لايفيق الا بالشقاء وعوامل الضراء

لقد قضت حكمة العزيز الحكيم أن يجعل هذا العالم متفاوت المراتب متشعب المسالك ففضل بعض الناس على بعض في الرزق، وفاوت بينهم في القوة والضعف، وجعل لكل قبيل جهة قوة يمتاز بها وقدر له ناحية من الضعف يحتاج بسببها حتى يتم ترابطهم ولا ينتهى تعاونهم . ولقد كان من أعظم ما تفاوت فيه الناس أمر الرزق ، فلقد رزقهم ربهم جميعا ولكن منهم من بسط له الرزق ووسع له فيه فاغنى واقنى، ومنهم من ابتلاه فقدر عليه رزقه وكل ذلك لحكمة منه جل شأنه ليبلو أعمالهم وليتبين من شكر ممن كفر ، وليظهر من جزع ومن صبر ، وقد قرن جل شأنه الشكر بالمزيد ، ووعد الصابرين بالفرج القريب

ذلك انهم خلقوا على ان يعيشوا معا يتعاونون ويتساعدون في سبيل الحياة ، ويقوم كل فريق للبقية بسد حاجة من حاجاته في نظير ما يستوفي منهم من سائر مقومات حياته ، فاحتاج بعضهم الى بعض واستفاد بعضهم من بعض فجمعتهم الحاجة

وألفت بينهم المنفعة فاضطروا فيما بينهم الى اجراء المعاملات والمبادلات فيما بين حاجياتهم التى يستوفونها وفوائدهم التى ينتجونها

ولكن لايتم أئتلاف الجميع ولا يكمل بينهم النفع الا اذا عمتهم المحبة والمودة وشملهم التعاطف والتراحم، وشعر كل فريق بانه مع احتياجه الى اخوانه وانتفاعه من بنى جنسه قد قربت الرحمة بين قلوبهم ووثقت المحبة عرى عشرتهم ، فاصبح كل منهم يرى أن ينعم بما ينعم به اخوانه ويتألم مما يتألمون ، واصبحوا جميعا كالجسد الواحد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى ، وان السبيل المؤدى الى هذه الحياة السعيدة هو سبيل الاحسان والسخاء .

فكل امرىء يولى الجميل محبب   وكل مكان ينبت العز طيب

ولقد جبلت النفوس على حب من أحسن اليها ، والانسان عبد الاحسان

ولما كان من أعظم ماتفاوت فيه الناس أمر الرزق الذى عليه مدار حياتهم وبه قوام وجودهم وهو الذى في سبيله كدوا وكدحوا ، ومن أجله تعبوا في هذه الحياة ونصبوا ، كان باب العطف والرحمة مفتوحا بما يجرونه بينهم من الاحسان والسخاء ، فبه ترتبط قلوبهم برباط المحبة وتأتلف نفوسهم بأواصر المودة فيكونون يدا واحدة ويحيون حياة سعيدة

وليس النفع والصلة بمقصورين على العطاء والنوال الواصل من الغنى الى المحتاج بل قدينتفع المعطى في بعض أوقات محنه ممن أحسن اليه بما يربو أضعافامضاعفة على ماوصله منه من مال ورزق، فربماكانت نجاة بعض المحسنين من الخطر وانقاذحياته من العطب على يد فقير مسكين أو معوز من أبناء السبيل وصله وقتا ما بالنزر القليل فتعود المبادلة والمعاملة بينهم من حيث لايشعرون وما ربك بغافل عما يعملون

ولقد دلت التجارب المتكررة على انه لاسبيل لتطهير القلوب من أحقادها وانقاذ النفوس من ضغائنها أعظم واسرع وانفع وانجع من تبادل الاحسان بين الناس ولا شىء يوجب البغضاء ويملأ النفوس غلا وحقدا ويجعل حياة بعضهم أمام

بعض بغيضة ممقوتةمثل الشح وقبض اليدعن الاحسان.هذا وهواحسان وفضل فمابالك اذا كان الشح ظلما وحرمان ذى الحق من حقه افلا يتضاعف البغض وتشتد الكراهيه ويتربص كل باخيه الدوائر ، ويكون بعضهم حربا لبعض فتسوء الحياة بينهم ويصبح أمرهم نكرا ؟ وليت شعرى ما هذا الداء الوبيل وما هذا الخطر الاصفر والموت الاحمر الذى أفزع الحكومات والامم واصبح الجميع منه خائفا يترقب ! أليس هو غول البلشفية الشنيع الخلقة البغيض الطلعة الذى يهدد حياة المجتمع الانسانى عامة بالخراب والدمار كما يهدد كل فرد بحرمانه مما رزقه الله ! وهل كان له سبب سوى امساك الاغنياء وقبض ايديهم عن الفقراء فلم يجودوا عليهم بشيء مما انعم به عليهم ربهم بل منعوهم حقهم الذى فرضه الله لهم ففى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم واى شيء هو اشد ايلاما للنفس من ان ترى أمامها من غرق في النعم وملكه النهم حتى أهلكته التخمة بينما أخوه وعشيره تقتله المخمصة،ولو أنه رد عليه نزرا ممازاد عن حاجته وفضلا مما جاوز حد كفايته لسلم كلاهما هذا من تخمته وذاك من مخمصته

وهب ان الفقير كبح جماح نفسه واعتصم بحصن عفته فماذا عساه يصنع اذا نظر الى اطفاله فوجدهم يتطلعون ولا يجدون، فيتحسرون أو يبكون، ورأى دموعا تتساقط وزفرات تتصعد ولا قبل له بقدعهم وتصبيرهم على لأوائهم اليست تذوب مرارته وتشتعل حميته وتستعر نار الحقد ويخطر شيطان الشر ويجد به الجد ؟ أليس ينظر الى من وجد ولم يجد نظرة المقت والغضب فيتربص به الدائرة ويتمنى لو أمكنته منه الفرصة ؟ وكانك بالغنى وقد شعر من ناحيته بما يضمره له الفقير

والعين تعرف من عيني محدثها ان كان من حزبها أو من أعاديها

فيبادله الكراهية ويساجله البغضاء فيسوء المنقلب وتكون الحياة على الجميع جحيما وسعيرا ، والعشرة بينهم شرا مستطيرا ، وقد كانوا وهم اخوان يتساندون ويتعاضدون ويتصافون ويتصافحون وكان الامر بينهم في أوله حاجة يغنيها فضل من نوال أو خلة يسدها لقمة من زاد أو ظمأ يطفئه كوبة ماء ولكن قد يترك الحرق فيتسع وتهمل الشرارة فتشتعل ، ومعظم النار من مستصغر الشرر : —

على ان الذى يحول بين المرء وفضيلة العطاء ويحرمه ما تصبو اليه نفسه من التحلى بحلية السخاء ليس سوى حبه الغريزى للاستزادة من النعمة وميله الفطرى الى الاستكثار من الخير . فما القول اذا كان السخاء هو باب المزيد فانه شكر وعد الله عليه بالزيادة فقال جل شأنه (لئن شكرتم لازيدنكم) وسميت هذه العبادة زكاة في لسان الشارع الحكيم والزكاة النماء والزيادة

وليس ببدع في الرأى أن يكون النقص مفتاح الزيادة ، ترى البستانى يعمد الى شجره يقلم اغصانه وينقى ادرانه طلبا لزيادته ونمائه ، والزراع يقتلعون بعض نباتهم لينمو الباقى نموا حسنا ، وترى الانسان يزيل عن بدنه بعض زوائد جسده من شعر وظفر ليستكمل نموه المطلوب له ، وهل ما يطلب اخراجه زكاة من مال الغنى يزيد على فضلات لاتكاد تقاس بباقيه ، فاذا خرجت عنه طهرته ونمته وعادت على المعطى والعاطى بسعادة الحياة بما عطفت من قلوبهم نحو بعضهم البعض وبما غرست في نفوسهم من المحبة والرحمة ، وبما استلت من بين جوانحهم من الحقد والضغينة ، وان المرء ليحب صنيعته وربيب نعمته كما يحب من أحسن اليه وقد سأل بعضهم أحد الملوك ان يحب ابنه ، فقال له كيف تسألنى أن أحبه وليس ذلك في مقدورى ؟ فقال له : تحسن اليه فيحبك فتحبه

وبعد فالمرء واحد من اثنين كريم نتركه لأريحيته فله منها مايهزه للعطاء ويحببه في السخاء . وبخيل لنا معه كلمة .

بالله لماذا رضيت لنفسك صفة البخيل وانت تتوارى اذا عرفت به ؟ واطمأننت لسبة الشح مع انك تغضب ممن نسبك اليه ؟ فامر هذا رأيك فيه ووصف هذا حكمك عليه، لماذا لم تقلع عنه وتطهر نفسك منه؟ وكيف قبلته من سماتك وخلالك وانت تنتقصه الى هذا الحد ، فاذا أصغيت الى جوابه الذى يكتمه عنك وتعرفت دخيلة نفسه التى يسترها دونك وجدته كائنا يردد هذه الكلمة (مال ورثته عن أبى وجدى أو أحرزته بجهدى فكنت مالكه وحدى فمن العدل أن أنتفع به وحدى)

وهنا يحق لنا ان نجاهره في مصارحة ، ماعليك من بأس لقد نطقت بعقل ،

واقتربت من قضية العدل فتعال بنا نحدد هذه المنفعة ونتحاكم لتلك القاعدة فما هى منفعتك من مالك الذى أردت أن تستأثر به ؟ ان الجواب على هذا السؤال يبدو متشعب المسالك مشتت النواحى ولكن الحق الصريح والجواب الصادق انه ليس لك من مالك الا ماأكلت فافنيت أو لبست فابليت أو قدمت فابقيت

وعلى هذه القاعدة الصحيحة نسير معك فاما ماتحتاجه في مطعمك وفي ملبسك وما يتصل بذلك من مسكن ومركب وامثالها من متع الحياة التى أحلها الله لك وناسبت مركزك فلا نتعرض لك فيه ولا نحرمك منه (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق) ولكن نعمة الله عليك زادت عما احتجت اليه في حياتك هذه وانت أحق بالانتفاع بها على قاعدة بخلك الذى قررته بعقلك وهى انك تملكه وحدك فمن العدل أن تنتفع به وحدك ولم يبق لك بعد استيفاء متع حياتك سوى الباب الثالث باب «قدمت فابقيت» فانك أولى بمالك أن تنتفع به وحدك ولو فاتك هذا لدخلت في باب «كنزت فاكتويت» فليس من العقل والعدل أن تكنزه فيصيبك ضرره ويحرقك شرره ، ثم تحرم منفعته بينما غيرك يتمتع به ويستفيده . هذا هو البخيل بعقل ان كنت تحتج له بقضية العدل . أما البخل الذى يؤدى الى حرمانك مما انت أحق بالانتفاع به فهو كبخل الاطفال البله فقد تنال يد الطفل بيضة الدجاجة فتحسب أمه أنه يشتهيها فتحاول أخذها منه لتردها اليه ناضجة مطهية فيبخل بها ويحرص عليها حتى تكسر في يده فتلوث ثيابه وربما ضربته أمه فجمع بين الاذى والحرمان على نفسه فهذا بخل البله السفهاء وانت تزعم انك من العقلاء

هذا ولو تحققت أن ماتدفعه اليوم هو قرض تستوفيه غدا وان موعد الدفع هو أشد أيام احتياجك اليه (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا. وماعملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) وانه قرض مضمون وثيقته كتاب الله الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وشهوده الله وملائكته ، وانه قرض مستثمر الى أوسع حد حتى لو قال قائل ان مائة بسبعين الفا أو تزيد لم يبعد عن

الحقيقة (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء)

لو تحققت ذلك لعلمت انك بعطائك تجلب أعظم النفع الى نفسك من حيث تخيلت انك بشحك وبخلك قد نفعتها ويا ليت الامر وقف عند حد الحرمان من النفع بل هو باب للتهلكة والعذاب الاليم . قال تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) فاى حمق وبلاهة وغباوة فوق أن ينعم عليك ربك بنعمة نافعة فتحولها الى نقمة ضارة وبدل أن تستفيدها . لك تسلطها أذى عليك وهل يصح أن يقال لهذا سوى (ان الاحمق عدو نفسه)

ولقد سمينا هذا عطاء وبذلا وسخاء ولكنا لو تأملنا قليلا لوجدناه اعطاء ذى الحق حقه وايفاء الشريك حصته ونصيبه فقد جعل الله للفقراء حقا وشركة في مال الاغنياء على التقدير الذى قررته الشريعة الغراء وفصله الفقهاء ، ففى زكاة المال وعروض التجارة مثلا يستحق الفقير جزءا مقدرا هو ربع العشر فاختزانه دون مستحقه وحرمانه من نصيبه خيانة من أحد الشريكين لشريكه ، وكيف يرضى لك حياؤك ومروءتك أن تعاقب عاملا فقيرا عندك على خيانته في دانق ربما دفعته الى اختلاسه منك الحاجة والعوز بينما انت أيها الغنى تخون شريكك الفقير فلا تعطيه حصته ولا توفيه حسابه

أما بعد فان الزكاة من أى ناحية نظرت اليها ومن أى جهة واجهتها فانها جمال كلها فهى مطهرة للمال مهذبة للنفس بتعويدها البذل والسخاء مؤلفة للقلوب مسعدة للحياة مرضية للرب مقربة من الجنة مبعدة من النار نسأل الله أن يوفق أغنياءنا لشكر نعم الله عليهم ، وان يملأ قلوبنا بالتراحم والتعاطف والاقرار بفضله ويوفقنا لطاعته

ابراهيم الجبالى
المدرس بقسم التخصص بالازهر الشريف



روابط الاخاء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

حقٌ المسلمِ على المسلم سِتٌ ١ إذا لقيتَه فسلِّمْ عليه ٢ واذا دعاك فأجِبْه ٣ وإذا استنصحَك فانصحْه ٤ وإذا عَطَس فحمِد اللهَ فشمِّتْه ٥ وإذا مرِض فعُدْه ٦ وإذا مات فاتَّبِعْه . (١)

الحق هو الامر الثابت الذى ينبغى مراعاته والاهتمام بشأنه أى مايستحقه كل مسلم على أخيه المسلم ستُ خصالٍ .

ثم اعلم أولاً أن حقوق المسلم على المسلم ليست محصورةً فى هذا العدد فقط بل هى أكثرُ من ذلك وانما السبب فى الاقتصار على هذا العدد فى الحديث الشريف هو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حكيما فى كلامه وتبليغه وتعليمه الناسَ لايتكلمُ إلا فيما تدعو اليه الحاجة ولا يُبلِّغُ الا مايصلُح له الزمانُ والمكانُ ولا يُعلِّم إلا ما كان المتعلمون أحوجَ اليه من غيره وأكثرَ استعداداً له .

فاقتصاره صلى الله عليه وسلم على هذه الخصال الست حينما كان يحدِّثُ (وكثيراً ما كان يفعلُ ذلك) لأنه رآى انهم أحوجُ اليها من سواها وأن الحال يقضى بالمبادرة الى تعليمها وبتأخير ما عداها الى وقت آخر يكون استعدادُهم فيه أتمَّ والحاجة فيه أشدَّ .

هذا بعض من الأسباب التى كان صلى الله عليه وسلم يُعلِّمُ الناسَ على مقتضاها فنِعْمت الطريقةُ طريقتُه صلى الله عليه وسلم فى تبليغه عن ربه . ونِعْمَ الأُسلوبُ اسلوبُه فى تعليم الناس وهدايتهم فهو بتعليمهم على هذا النحو يُعلِّمُهم كيف يُعلِّمون ويرشدهم

(١) رواه مسلم عن أبى هريرة

الى قاعدة صحيحة فى التربية وهى أن أمهر المعلمين من يَزِنُ قُوَى المتعلم وحاجتَه ثم يغذّيه بالعلوم المناسبة له سالكا به سبيلَ التدرج والترقى درجة درجة فان ذلك أَيْسَرُ فى الأفادة على المعلّم وانفعُ فى الاستفادة للمتعلّم .

شرح الخصال

١ (إذا لقيتَه فسلِّمْ عليه) . اللقاء هو الاجتماع بعد الافتراق كما أن الافتراق هو المُتارَكةُ بعد الاجتماع .

إياك أن تفهم أن السلام مطلوب عند اللقاء فقط بل هو مطلوب أيضاً عند التفرق كما جاء فى حديث آخر

وأما السلام فهو الأمان والسلامة من كل آفة ومكروه ظاهراً وباطناً فقول المُسْلِم لأخيه المُسْلِم (السلام عليكم) معناه أنه أخوه تَربِطُه به أَمْتَنُ رابطةٍ وأَوثَقُها . وهى رابطة الدين واخوة الإسلام وأنه محتفظ بها مُوَفٍّ بحقوقها وهى الحرص على سلامة أخيه المُسْلِم وتأمينُه من كل مكروه والتباعدُ عن الغدر والخيانة له

قد عَرَفَ المسلمون هذه التحية الدينية الاسلامية وفهِموا معناها فحَرَصوا على صيغتها العربية التى تعلموها من الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يعدلوا عنها إلى غيرها من أى لغة أخرى . لأنه لايساويها بل لايُدانيها فيما قُصِد منها حتى إنك لَتسمعُ المسْلمَ غيرَ العربى انما يحيّ أهلَ لغته بهذه التحية العربية الاسلامية فكان ذلك من جملة الأسباب التى رَبَطتْ المسلمين فيما مضى بعضَهم ببعض ووَقَتْهم شرَّ الوقوع فى التفكك وجهالةِ بعضِهم لبعض أصلح الله أحوالهم وفقّهم فى دينهم

٢ (وإذا دعاك فأَجِبْه) . الدعاء يأتى فى اللسان العربى لمعان — منها النداء والسؤال والاستغاثة وكلُّها مرادةٌ فى الحديث الشريف

فالنداء كأن يقول يا فلان واجابتُه كأن يقولَ لَبَّيْكَ أو نَعَمْ .

والسؤال كأن يَسْتَفْسِرَه عن شىء وإجابتُه أن يفسرَه له أو كأن يطلب اليه أن يُعطيَه

شيئاً هبةً أو غيرَها أو أن يطلبَ أن يَحْضُرَ اليـه فى أمر مباح كوليمة أو ائتناس واجابته تـكونُ باعطائه ما طلب أو بالحضور اليه .

والاستغاثة أن يستجير به ليدفع عنه ضرراً يخشى الوقوع فيه أو ليرفع عنه أذى نزل به واجابتُه أن يبادر ببذل ما يستطيعه بنفسه وحده أو مع غيره ليكشف عن أخيه المسلم ما قد يجوز أن يصيبه هو أيضاً وحينئذ يستغيث فيُقَيِّض الله تعالى له من يعطِفُ عليـه ويُنجدُه « جزاءً وفاقا »

٣ (وإذا استنصحك فانْصَحْه) . الاستنصاح طلب النصيحة . والنصيحة أن ترشد غيرك الى الخير وتُبعدَه عن الشر وتدلَّه على الاقوال والافعال والمعتقدات التى تصلح بها أحوالُه وتستقيمُ شؤونُه كذلك تبين له كلَّ ما تَعْوَجُّ به اموره وتتكدر له حياته وتسوء به عاقبته مع الجد منك فى ذلك والاخلاص وحب الخير والنفع له كما تحبه لنفسك

ثم اعلم أن بذل النصيحة أمر حَثَّ عليه الدين الاسلامىّ فى كل حال سواء أطَلَبَه أخوك أم لم يطلبه ولـكنه يتأكد متى طلبه ولذلك أرشد النبى صلى الله عليه وسلم الى هذه الحالة واقتصر عليها تنبيهاً على أنها أعظم الحالات وأحوجُها الى بذل النصيحة والعناية بها

وفى الحـديث الشريف الآخر . (ان الدين النصيحةُ لله ولرسوله ولـكتابه ولأئمة المسلمين وعامَّتِهم) [1]

فمعنى النصيحة لله صحة الاعتقاد فى نعوته وكمالاته واخلاصُ النية فى عبادته

ومعنى النصيحة لـكتاب الله التصديقُ به والعملُ بما فيه .

ومعنى النصيحة لرسوله التصديقُ بنبوته ورسالته والانقيادُ لما أمر به والوقوفُ عما نهى عنه .

٤ (واذا عَطَسَ فحمد اللهَ فشمِّتْه) — العُطَاسُ هو خروج الأبخرة المحتقنة المحبوسة فى الدماغ ولو بقيتْ فيه لأحدثتْ ادواءً عَسِرَةً وخروجُها كما تَعْلَمُ يُحدِثُ اضطراباً فى

(١) رواه مسلم عن تميم الدارى

الجسم ولا سيما الرأسُ والوجهُ والعنقُ فيُخرِجُه عن سَمْته وهيئته وتركيبه الطبيعى فلا جرم أن يطلب الشارع الى العاطس أن يحمد الله شكراً له على خروج تلك المواد المؤذية وعلى سلامته من الاضطراب الذى عرض له

— وحمدُ الله تعالى هو شكرهُ والثناء عليه ووصفهُ بجميل الصفات التى يستحقُّها وتليق بجلاله وكماله .

ومعنى التشميت الدعاء للعاطس بالسلامة من ضرر يلحقهُ بالعُطاس كاعوجاج العنق أو تشويه الوجه حتى لا يَشْمت به أعداؤه

ويقال فيه التسميتُ أيضاً ومعناه الدعاء له بأن يعود له سَمْته الأولُ الذى كان عليه قبل العُطاس

فلما كان العاطس قد حصل له بالعُطاس نعمةٌ ومنفعةٌ بخروج الأبخرة الضارة كما علمتَ شرع له حمدُ الله تعالى على هذه النعمة مع بقاء اعضائه سالمةً على هيئتها ونظامها بعد هذه الزلزلة العارضة لها بالعطاس

وقد جاءت كيفيةُ الحمد وكيفيةُ التشميت وكيفيةُ جواب العاطس للمشمّت فى هذا الحديث الشريف (اذا عَطَسَ أحدُكم فَلْيَقُلْ : الحمد لله وليقلْ له أخوه : يرحَمُكَ الله . وليقل هو : يهديكم الله ويُصْلِحُ بالكم) أى حالكم وشأنكم [1]

٥ (واذا مَرِضَ فعُدْه) — عيادة المريض زيارتُه والحكمة الشرعية التى لأجلها أرشدنا النبى صلى الله عليه وسلم الى كيفية معاملة الأصحاء للمرضى هى :

١ الوفاء بحقوق الأخوة الأنسانية العامة المشار اليها بقوله تعالى : (يأيها الناسُ انّا خلقناكم من ذكرٍ وأُنثى وجعلناكم شُعوباً وقبائلَ لِتعارَفُوا)

٢ القيام بحقوق الأخوة الاسلامية الخاصة التى بيّنها الله تعالى فى قوله (انما المؤمنون إخْوَة) وقوله : (واعْتَصِمُوا بحبل اللهِ جميعاً ولا تفرّقُوا واذْكروا نعمةَ اللهِ عليكم إذ كنتم أعداءً فألّفَ بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً)

---

(١) رواه البخارى عن أبى هريره

٣ ادخالُ السرور على المريض وانشراحُ صدره برؤية اخوانه المسلمين وخاصةً أقاربه وأصدقاءه وجيرانه فان عيادتهم له عنوانٌ على ما فى قلوبهم له من الصلة القوية والمحبة الصادقة والاهتمام بشأنه وحب الاطمئنان عليه

ولاشك أن هذه معاملةٌ حسنةٌ تخففُ عن المريض كثيراً مما هو فيه من شدة المرض وعنائه وقد يكون ذلك مقدمةً قريبةً من الشفاء الكامل ان شاء الله تعالى

٤ مساعدةُ المريض واعانته وتخفيفُ ما هو فيه إما ببذل المال إن دلت قرائنُ أحواله على ذلك واما بارشاده الى الدواء النافع ان كان العائد من العارفين أو بارشاده الى الطبيب الماهر الذى دلت التجربةُ على حذقه وعنايته وإما بالمحادثة الحسنةِ التى تنفّس عن المريض وتخففُ عنه ثِقَلَ المرض وتلطّف شدته فان هذه المحادثة مما يُسرّى عن المريض خصوصاً إذا اشتملت على ما يذكره بحسن عاقبة الصبر واحتمال المشقات وما يذكّره بسنّة الله تعالى فى خلقه من أنه يمحو السيئة بالحسنة والضيقَ بالسعة والمرضَ بالشفاء الكامل (فانّ مع العسرِ يسْراً إنّ مع العسرِ يسراً)

٦ (واذا مات فاتْبَعْه) تبِعَه واتّبَعَه اقتفى أثرَه ومشى خلفَه علَّم النبىُّ صلى الله عليه وسلم المسلمين فى هذا الحديث الشريف أنّ تشييعهم لجنازة أخيهم المسلم أمر مطلوب فى الدين الحنيف كما علّمهم أن تشييعهم هذا يكون بمشيهم خلفَ الجنازة إلى أن يوارى أخوهم فى مقر المغفرة والرحمة ان شاء الله تعالى

أَمرَنا صلى الله عليه وسلم أن نسيرَ خلفَ جنازة الميت ليكون برأى منا فتكون قلوبُنا وعيونُنا ممتلئةً برؤيته بل تكون جميعُ حواسّنا متصلةً به منصرفةً إلى العظة بمصيبة الموت معتبرةً بغيبة أحد الأخوة المسلمين وقد كان حياً سليما مثلهم قائماً على مصالحه الخاصة به عاملا على مصالح عشيرته واخوانه المسلمين

كذلك يفكّرون فى قدومه الآنَ على ربه الذى يعلم من أحواله وأعماله ما ظهر وما بَطَنَ راجين له أن يكون من الذين رضى الله عنهم ورضُوا عنه وفيهم يقول سبحانه :

(أولئك الذين نتقبلُ عنهم أحسَنَ ما عَمِلوا ونتجاوزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِم فى أصحاب الجنة وَعْدَ الصدق الذى كانوا يُوعَدون)

هذه هى السنة المحمدية الاسلامية التى بيَّنها النبى صلى الله عليه وسلم وأمَرَ المسلمين أن يتّبعوها فى تشييع جنائزهم وأن يتدبَّرُوا ما فيها من الحِكَم البالغة . لينتفعوا بها وهم أحياءٌ أصِحَّاء . ولينفعوا بها كذلك أخاهم الذى سَبَقَهم الى الآخرة عسى أن يكون تضرعُهم ودعاؤُهم له حسنةً يَقْدَمُ بها على ربه الكريم الذى يقول : (من جاء بالحسنة فله خيرٌ منها وهم من فَزَعٍ يومئذٍ آمنون)

فعلى المسلمين أن يعرفوا ماجاءهم عن ربهم فى دينهم . وأن يَفْقَهُوا الحِكَمَ الجليلة التى بيَّنها لهم الرسولُ الأمين صلى الله عليه وسلم وأن يتركوا ماعداها مما يفرق وحدتهم ويمزق شملهم ويباعد بين قلوبهم من مظاهر التعاظم والمفاخرة وان يتدبّروا قول الله تعالى : (والباقياتُ الصالحاتُ خيرٌ عند ربك ثوابًا وخيرٌ أملاً) . حسن منصور

وكيل دار العلوم سابقا

الطرف والملح

اجتمع رؤساء بنى سعد الى أَكْثَمَ بنِ صَيْفِيٍّ . يستشيرونه فيما دَهَمَهم يومَ الكُلاب [1] . فقال : ان وهنَ الكِبَرِ قد فشا فى بدنى . وليس معى من حدّةَ الذهن ما أبتدئ به الرأىَ . ولكن اجتمِعوا وقولوا . فانى اذا مرَّ بى الصوابُ عرَفتُه .

وقال الصابى :

وللسِّر فيما بين جنبيَّ مَكْمَنٌ ... خفىٌّ قصىٌّ عن مدارج أنفاسى

اضِنّ به ضَنِّى بموضع حفظِه ... فأحميه عن أحساس غيرى وأحساسى

فقد صار كالمعدوم لا يستطيعُه ... يقينٌ ولا ظنٌّ لخلق من الناس

كأنّىَ من فرط احتياطى أضعتُه ... فبعضى له واعٍ وبعضى له ناسى

---

(١) موضع وقعت فيه حرب بين بنى سعد وأعدائهم

أصول الدين

الاسلام دين الفطرة

قال الله تعالى «وما أرسلنك الا رحمة للعالمين» وقال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)

بينا في مقالنا السابق ان الانسان مفطور على التفكير في نفسه وفيما يحيط به ويتصل بوجوده من العالم وفيما يجد له وامامه من الشؤون والحوادث وان ذلك منه لما أودع فيه من العقل الغريزى ولما ينتابه من التأثر بما يحيط به وان نفسه نزاعة بما أودع فيه من العقل الى تعرف كل شيء يقع عليه بصره وتعرف منشأ كل شيء يحيط به وان هذا النزوع ان هدأ في أوقات السراء والرخاء أثارته الشدة وهاجته الضراء (واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما) وبينا كذلك ان هذه النزعة التى تلازم وجوده والتى تذكو حينا وتخبو حينا لاتستقر النفس أمامها ولا يطمئن الخاطر حتى تصل الى معرفة منشأ هذا الوجود ومبدأ هذا العالم ومعرفة القوة المهيمنة عليه المنظمة له المدبرة لاحكامه المتصرفة في شؤونه . تلك القوة التى يشعر بها ويعترف بوجودها من أعماق وجدانه وقرارة نفسه وان جهل كنهها وماهيتها . وان الناس في ذلك الشعور يكادون يكونون متساوين ولا خلاف بينهم الا في تحديدها وتعرف صفاتها وقلنا كذلك ان النفس اذا خلت من المؤثرات والتخيلات ولم تسرف في الاوهام وتتطوح في الاحكام ليس أمامها سوى الاعتراف بان هذه القوة المهيمنة المتصرفة المدبرة المحكمة المنظمة يجب أن يكون لها من الصفات ما تشهد به آثارها . فواجب أولا أن تكون ذاتا لها وجود قائم بنفسه لايستند الى شيء يقومه ويقوم به. فهذه القوة بالضرورة صفة لقوى هو صاحب هذه الآثار وهو الفاعل لكل ماظهر لنا اذ كانت القوة التى هى صفة لابد لها من

موصوف تقوم به وهذا القوى الفاعل يجب أن يكون وجوده مستمدا من نفسه أى أن ذاته تقتضى وجوده أو بعبارة أخرى وجوده لازم لذاته وهو مايسمى في لسان المتكلمين (واجب الوجود) ذلك ان هذه الاشياء التى نراها باعيننا توجد ثم تعدمأو تتحرك أو تسكن فتشغل حيزا هى محتاجة اليه في وجودها لايمكن أن يكونوجودها مقتضى ذاتها أى لايعقل أن تكون واجبة الوجود فلوكان وجودها واجبا لاستحال عليها العدموهاهى ذىتوجد بعد عدمها وتعدم بعدوجودها فوجودها وعدمها كلاهما ممكن فلا يحصل الا بمؤثر مغاير لها وكذلك مارأيناه من الاشياء موجودا ولم نشاهد حال عدمه كالكواكب والافلاك قد احتاجت في وجودها الى حيز يحويها وحيز تتحرك فيه ولازمتها الحركة التى هى متالفة من حالة تقضت وحالة جدت وكلتاهما حادثة فالمتالف منهما حادث البتة فالملازم لهذا الحادث الذى لايوجد الا معه يكون البتة حادثا مثله ومتى كان حادثا كان وجوده غير واجب أى يكون ممكنا فلا وجود له من نفسه فوجب أن يكون وجوده من غيره وذلك الغير هو الواجب الوجود .

وبعبارة أقرب انا نشاهد موجودات كانت معدومة ثم وجدت ويلحقها العدم بعد وجودها فلا شك في امكانها وان وجودها مستفاد من غيرها فهـذا الغير ان كان ممكنا مثلها فحكمه حكمهاووجوده من غيره وهكذا ولايمكن أن تذهب سلسلة الممكنات الى غير نهاية فلا بد من انتهائها الى موجود يكون وجوده من ذاته وليس مستفيد الوجود من غيره وبه تنتهى السلسلة اذا كان التسلسل لا الى نهاية محالا ومتى وصلنا الى أنه لابد من موجود يكون وجوده من ذاته وهو واجب الوجود فليكن الجميع مستندا في وجوده اليه ذلك ان الموجود الذى وجوده مقتضى ذاته يكون جميع صفات الكمال الوجودى له من ذاته فهو غنى في وجوده وفي كماله الذاتى عن جميع الاغيار فالواجب في نظر العقل حينئذ أن يكون هناك موجود واجب الوجود مستوف جميع الكمالات، له من صفات التأثير مايمكن به ايجاد هذه الكائنات المحكمة النظام المدبرة على ابدع الوجوه واكملها

احكام واجب الوجود :

بعد أن ثبت بالبرهان ان واجب الوجودموجود أوبعبارة أخرى لابد أن يكون هناك واجب الوجود وان وجود الممكن المشاهد يستلزم قطعا وجود الواجب وانه لايمكن وجود شيء من الممكنات الا اذا كان الواجب موجودا . بعد أن ثبت هذا نقول ان واجب الوجود لابد أن تكون صفاته الكمالية متحققة بالفعل ولا بد أن تكون صفات النقص بعيدة عنه كل البعد بل يجب أن تكون مستحيلة بالنسبة اليه فانه لو فرض صفة كمال تليق به ولم تتحقق له لكان في حاجة الى من يحققها له فلا تكون ذاته مقتضية لوجوده ولو فرض ان صفة من صفات النقص قد لحقته أو امكن أن تلحقه لكان بحاجة الى من يزيلها عنه أو ينزهه عن قبولها فلم يكن مستغنيا عن غيره في وجوده وكماله اما تحديد هذه الصفات وتفصيلها فقد لايستطيع العقل ان يستقل بمعرفتها الا بمرشد ومعلم يقوم البرهان على الثقة به والطمأنينة اليه

نعم هناك صفات يستطيع العقل البشرى أن يجزم بها ولا يقبل شكا ولا ترددا فيها تلك هى صفات التأثير وما تتوقف عليه وهى الحياة والعلم والقدرة والارادة فهذه الصفات الاربع يقضى بها وجود هذه الآثار البديعة والنظام المحكم والعوالم المتقنة وكلما اطلعت العقول على مافي الكون من حكم واسرار ووجوه اتقان زادت استمساكا في يقينها بان مبدعها ومنشئها يجب أن يكون متصفا من هذه الصفات باكمل معانيها ، اما القدرة فامرها بين فبديهة العقل قاضية بان من أوجد هذا الكون الذى كلما اتسعت دائرة العلم الانسانى بدقائقه تبين عجزه عن الاحاطة بجميعها-يجب أن يكون له من القدرة مايقوم بهذا الايجاد . واما الارادة والمشيئة فكذلك فانهذا التدبير والتنظيم وايتاء كل شيء كماله لايمكن أن يكون ناشئا عن المصادفة حيثما كان بل هو ناطق بانه سبق وجوده ارادة خصصته بهذه الحالة التى تناسب، والعلم لايقل عنهما وضوحا فان الذى اختار اكمل الوجوه واليقها بكل عالم على حياله لابد أن يكون عالما بها قبل اختيارها وعالما بالوجوه الممكنة غيرها حتى اختار هـذا الوجه الانسب من بينها ، واما الحياة فلان هذه الصفات المذكورة لاتقوم الا بمن اتصف بالحياة

بقي بعد ذلك من الصفات التى قرر علماء الكلام وجوب اعتقاد أن الخالق متصف بها ثلاث صفات وهى الكلام والسمع والبصر — وهذا في غير صفات التنزيه وسيجيء الكلام عليها — فاما صفة الكلام فانا قد عرفنا مما سبق ان النفوس كثيرا ماتخضع في تفكيرها الى مؤثرات تستولى عليها وظروف تحيط بها فكثيرا ماتصرفها عن الجادة وربما كان من الناس من له من قوة اللسن مايروج به أى خاطر يخطر بباله دون أن ينضجه بحثا وتفكيرا فيضل ويضل ومن الناس من تراه في تفكيره ضعيفا قصير النظر يحتاج الى من يبصره بالهدى ويرشده الى الحق ومن الناس من أحرز قوة التفكير الصحيح يهتدى به الى الصواب ولعل في عبارته قصورا عن قوة الاقناع وقد يحوز الشخص قوتى التفكير والابانة ولكن لايكون له من قوة النفوذ مايلزم غيره باتباعه وهكذا ولايزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم ولقد شهدنا من آثار الموجد الاعظم مايدلنا على ان الرحمة متجلية في كل خلقه فهل من هذه آثار رحمته يمكن أن يتجرد عن صفة الهداية يهدى بها الناس وينقذهم من حيرتهم وضلالهم ويردهم الى الحق والرشاد في احكامهم وهل تجيء الهداية الا بالافهام وهل الافهام الا بالكلام يوصله الى الناس بالطريق الذى يختاره لهم وهنا ينبغى أن نشرح معنى صفة الكلام بما يقربه للافهام فنقول تستعمل هذه المادة (الكلام) على ثلاثة أوجه فتقول تارة فلان جلس يتكلم مع فلان تريد به هذه المحادثة اللفظية ذات الحروف والاصوات وتارة تقول انت في نفسك كلام أو هذا الذى تقوله غير الكلام الذى في نفسك أو انا فاهم الكلام الذى في نفسك كل هذا لايراد به تلك الالفاظ المسموعة ذات الحروف والاصوات وانما يراد به تلك المعانى التى تصورها النفس مرتبة معدة للتفهيم والكلام هنا معنى نفسى قائم بنفس المتكلم اذا اطلعت عليه وادركته باى طريق من طرق الادراك فهمت مدلوله بواسطته ويسمى الكلام النفسى وهو الذى يشير اليه البيت المشهود

ان الكلام لفى الفؤاد وانما   جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وتارة تقول فلان رجل متكلم وفلان متكلم اكثر منه أو أعظم منه أو أقوى

في الكلام منه تريد بذلك صفة في النفس بها الاقتدار على صوغ الكلام حسبما يراد فهى من الملكات الثابتة وهى صفة واحدة تنشأ عنها آثار متعددة بحسب المقامات والاحوال

فاما الكلام بالمعنى الاول الحروف والاصوات المسموعة فلا يقوم بذاته تعالى اذ كانت تلك الاصوات حادثة لاتقوم بالذات القديمة ، واما المعنيان الاخيران فلا مانع من قيامهما بذاته تعالى فالمعنى الاول يشبه قيام علم المعلومات المتكثرة بذاته تعالى أو كتعلقات العلم ، والمعنى الثانى شأنه شأن بقية الصفات من القدرة والارادة

وانما تعرضنا لهذه النبذة وان كانت من غير ما كلامنا فيه اذ كنا بصدد ماتهدى اليه الفطرة في نسبة مايليق بذاته تعالى لان هذا الموضوع مما كثر فيه الكلام بين علماء هذا الفن حتى قالوا من أجلها سمى علم التوحيد كله علم الكلام لكثرة ماوقع في هذه المسألة من الكلام

ولنعد لما كنا بصدده فنقول ان الذى خلق الخلق بحكمته وشملهم برحمته وتداركهم بلطفه يقضى العقل السليم بان يكون منه ماينقذهم من حيرة هم لها متعرضون ويخرجهم من ظلمات الجهالة والشكوك الى نور العلم واليقين وذلك بان يفهمهم الحق ويهديهم الى الصواب وينير لهم سبل الرشاد وان من أعظم أبواب الرحمة رحمة الهداية واخراج النفوس من الظلمات الى النور وذلك أثر صفة الكلام ولما كانت نفوس البشر لاتقوى على فهم الكلام الا بالكيفية التى الفوها من حروف وأصوات وكان قيام هذا بذاته تعالى محالا على ماعرفت اصطفى من خلقه من آتاه قوة هذا الفهم ليفهم عنه ويفهم الناس رحمة ولطفا واحسانا فاصطفى من الملائكة رسلا الى الانبياء واصطفى من الناس رسلا الى سائر الخلق فتارة يكلمهم وتارة يلهمهم وتارة يرسل اليهم الملك (وماكان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا)

واما السمع والبصر فهما من صفات الكمال التى يحكم العقل بوجوبها للخالق العظيم وان توقف في تحديدهما وهل هما راجعتان لصفة العلم أو يحصل بهما انكشاف مغاير للانكشاف الحاصل به

موقف الدين في هذه المقامات — يصح لنا بعد هذا أن نتسائل عن موقف الدين بالنسبة لهذه المقامات وما احكامه فيها وما أثره اذ كانت هذه الاحكام مما تقضى به الفطرة

والجواب اما موقفه بالنسبة اليها واحكامه فيها فقد قررها وبسطها وبرهن عليها وبين مظاهرها وتجلياتها في هذا الكون بما يزيدها رسوخا في النفس ويجعل النفس مطمئنة لها متمسكة بها مستيقنة لها وقد نوع الاساليب في التعبير عنها لزيادة تقريرها وتمكينها في النفس (الله لااله الا هو الحى القيوم) (وسع كل شىء علما) (وهو بكل شىء عليم) (ان الله على كل شىء قدير) (وربك يخلق مايشاء ويختار) (وكلم الله موسى تكليما) (وهو السميع البصير) والآيات في هذه الصفات اكثر من أن تحصى واظهر من أن تخفى ولا تكاد تتلو بضع آيات من الكتاب الحكيم الا وجدت صفات التمجيد مثبوتة فيها تتلألأ بين ثناياها لكل مناسبة اقتضتها اذ كان التمجيد الالهى اكبر مايقصد من الدين

صفات التنزيه

قد جرت عادة الكثيرين من المتكلمين في العقائد الالهية أن يقدموا الكلام في صفات التنزيه على الكلام في صفات التمجيد ولكن سياق كلامنا مع مايفيده النظر الصحيح في هذا الكون والتدرج مع العقل من أول مانيظر الى آخر ماينتهى به الفكر وكان أول النظر في الكون انما يعطى صفات التأثير وما تتوقف عليه من العلم والقدرة والارادة ، والحياة كان حقا علينا أن نقرر تلك الصفات وباقى صفات المعانى أولا ثم ننتقل الى صفات التنزيه وهى خمس صفات القدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية وهذه هى الصفات التى تعرض لها علماء التوحيد تفصيلا ولكن الواجب اعتقاد تنزيه الخالق عن كل مالا يليق به

فاما الصفات الاربع الاولى فهى من مقتضيات وجوب الوجود الذى برهنا عليه فيما سبق أو متى كان وجود خالق العالم واجبا أى لايقبل العقل أن يكون

معدوما أى يستحيل أن ينتفى كان قديما البتة ومعنى كونه قديما أنه لا أول لوجوده أى لم يسبق وجوده عدم ومعنى البقاء أنه لايلحق وجوده عدم فمعنى هاتين الصفتين أنه لم يكن معدوما قبل وجوده ولا يلحقه عدم بعد وجوده فهو الاول والآخر

والبرهنة على وجوب الوجود أى استحالة العدم كافية في اثبات صفتى القدم والبقاء واما المخالفة للحوادث فمعناها انه لايشبه شيأ من المخلوقات فليس بجسم ولا عرض ولا يجوز عليه الحلول ولا الاتحاد ولا يحيط به مكان ولا حدود ولا نهايات والعقل وان صعب عليه في أول الامر تصور موجود ليس بجسم ولا حال فيه ولا متصل به ولا يحيط به حدود ولا يتحيز في مكان فانما ذلك لتقيده بالمالوف والا فحين يدقق النظر ويعلم ان هذه سمات الحدوث وخصائص الممكنات وان مكونها يجب الا يكون مماثلا لها والا احتاج احتياجها وافتقر الى من يحدده ويشكله وافتقر الى المكان الذى يحويه ويتحيز فيه فلم يكن له عليها فضل الايجاد ولم يتميز عنها تميز الغنى المطلق نقول حين يدقق النظر ويعلم ان الوجود لم يتقيد بهذه القيود الا للوقوف عند المشاهد المالوف يذعن لامحالة للاعتراف بانه خالق تلك المحدثات لايشبهها ولا يتسم بسمة خلقه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) واما قيامه بنفسه فمعناه انه لايحتاج الى ذات يقوم بها كما تحتاج الاعراض والصفات والقوى الى ماتقوم به وهذه الصفة كما ترى كالمتممة للصفات الثلاث السابقة

الوحدانية — أما هذه الصفة فقد عنيت الشرائع بتقريرها اتم عناية اذ قد اخطأ فيها الانسان في جميع ادواره واطواره ودخل على العقول أمر الشرك من مسالك شتى منها ماهو خفى ومنها ماهو ظاهر ولعل السر في ذلك أمران الاول : ولوع النفس بالركون الى ماتشاهده بابصارها وصعوبة الاقتناع بوجود شيء ليس من جنس ما الفته من الاجسام والمتحيزات والامر الثانى تباعد الآثار التى صدرت عن القادر الخالق حتى تعاصى على الافهام القاصرة أن تكون كلها على اختلافها وتباينها راجعة الى قادر واحد فاما اصحاب الغلطة الاولى فهم الوثنيون على اختلاف نحلهم فمنهم من عبد الكواكب ومنهم من عبد الحيوانات ومنهم من عبد

الاصنام ومنهم ومنهم الخ. ومرجع الكل أن يكون امام النفس محسوس مرئى تقتنع بوجوده فتتمثل فيـه تلك القوة التى ملأت جوانحهـا واذعنت لوجودها وعجزت عن تحديدها فاخذت تتمثلها في الكائنات التى مثلتها لها نفسها فاما ابتداء بالعبادة لها واما تقريبا للتصور في أول الامر ثم انقلابا في الحال الى عبادتها على توالى الازمان

واما أصحاب الغلطة الثانية فهم الذين استبعدوا أن يصدر العلم كله على مافيه من اختلاف في نظرهم القاصر اذ كان يحوى مايرونه خيرا وما يرونه شرا بحسب زعمهم فقالوا لابد أن يكون هناك قوتان هما مصدر الوجود واحدة للخير كمنح الحياة والخلق والرزق واخرى للشر كجلب الامراض والموت والفناء والعجيب في أمرهم أن يقولوا ان مصدر الخير فكر مرة في الشر فنشأ عنها اله الشر فكان منه ماكان ثم هم يزعمون مع ذلك ان مصدر الخير لايكون مصدرا للشر وفاتهم انه متى كان هو الذى فكر فنبت من فكرته مصدر كل هذا الشر على زعمهم فكيف لايكون هو المصدر ولكن المتناقضات عند امثال هؤلاء ليست مما يستغرب ولا مما يتعجب منه

وعلى الجملة فالشرك في أمر الالهية قد دخل على الجماهير من عدة نواح ومنها الشرك الخفى وهو الارتباط بالاسباب المباشرة والغفلة عن مبدعها ورابط أحكامها ومدبر نظامها

وما أجمل قول بعضهم مثل الواقف عند الاسباب المباشرة مثل من يغتاظ من القلم الذى كتب به أمير أمر عقوبته فيكسر ذلك القلم اذ كان هو الذى خط ذلك الامر ولو ارتقى بنظره قليلا لقال لاذنب للقلم وانما الذنب للانامل التى حركته ولو ارتقى فوق ذلك لقال وما للانامل انما يملى على الجوارح ذلك من القلب الذى حرك تلك الانامل واملى عليها ما اراد

هذا شأن الشرك وهذه بلواه وهذا عمومها ولذلك كانت العناية بازالته في نظر الشرائع وتكرار التنبيـه على الوحدانية تزيد على ماعداها وانا نبـدأ في برهان الوحدانية بما قرره علماء الكلام ثم نثنى ببعض ماورد من الآيات البينات في الذكر الحكيم دليلا عليها

برهان وجوب الوحدانية

الدعوى واجب الوجود الصانع للعالم يجب أن يكون واحدا

وذلك انه لو أمكن وجود الهين لامكن أن يتمانعا أى لامكن أن يريد أحدهما شيئا ويريد الآخر ضده بان يريد أحدهما وجود كوكب معين مثلا ويريد الآخر عدمه وذلك لان الارادة لاتتوقف الا على شيئين الامكان من جهة المراد وذات الواجب من جهة المريد ووجود الكوكب وعدمه كلاهما ممكن وذات الواجب متحققه فيهما على الفرض المذكور وهو التعدد فلو أمكن الهانواجبا الوجود لكل منهما من القدرة والارادة والعلم مايستدعيه وجوب وجوده لامكن أن يريد كل منهما شيئا ويريد الآخر ضده وهذا معنى قولنا لامكن بينهما التمانع لكن امكان التمانع باطل فما ادى اليه وهو امكان تعدد الاله باطل فثبت وجوب الوحدة وانما كان امكان التمانع باطلا لان التمانع مستحيل وامكان المستحيل مستحيل ووجه استحالة التمانع أنه لو فرض وقوعه لزم المحال فانه لو فرض انهما تمانعا فاما ان ينفذ مرادهما معا فيلزم اجتماع الضدين أو يتعطل مرادهما معا فيلزم عجز واجبي الوجود وهو محال اذ وجوب الوجود يقتضى كل صفات الكمال اللائقة بالفعل أويتعطل مراد أحدهما فيلزم عجز الآخر وهو واجب الوجودكما فرض وذلك محال والآخر مثله اذا تعطل أيضا فان فرض ان أحدهما ينفذ مراده باطراد فهو المنفرد بالالهية ووجوب الوجود ويبطل الآخر وهو واجب الوجود كذلك وذلك محال واذاكان التمانع يؤدى وقوعه الى أحد ثلاثة أشياء كل منهما مستحيل كان التمانع مستحيلا واذا كان التمانع مستحيلا كان امكانه باطلا واذا بطل امكان التمانع بطل ما ادى اليه وهو امكان التعدد واذا بطل امكان التعددكان التعدد مستحيلا فكانت الوحدة واجبة وهو المطلوب

وانما سقنا هذا البرهان بخصوصه على الطريقة الكلامية والاسلوب المنطقى مع أن الكلام مسوق للجمهور ولعل فيهم من لم يدرس الصناعة الكلامية — لان هذا البرهان بهذه الطريقة من الوضوح بحيث لايتعاصى فهمه ولانه كثر ايراد

التشكيكات على الوجوه التى قرروها وهو بهذا سالم من كل الايرادات فانه لايقال عليه يجوز أن يتفقا لانا لم نجعل اللازم الباطل انهما يختلفان بل جعلناه جواز الاختلاف ولاشك أن جواز اتفاقهما لايمنع جوازاختلافهما وهو ما ابطلناه ولا يقال عليه أيضا يجوز أن أحدطرفي الممكن وان كان ممكنا في ذاته ولكن تعلق ارادة أحدهما منعت تعلق ارادة الآخر وذلك لانهما متى كانا الهين واجبي الوجود فكل حال تفرض فيها أنه يجوز تعلق ارادة أحدهما يجوز فيها تعلق ارادة الآخر وليس لاحدهما خصوصية السبق فان كان أحدهما مختصا بالسبق فافرضه الها وادفع الآخر وان تشابها عجز كل منهما وايضا فان كلا منهما يكون قد امتنعت ارادته لوقوف الآخر في سبيله وهذا هو التعجيز والعجز وهومحال على الاله فالدليل بهذا الاسلوب واضح لاغبار عليه

واما أدلة ذلك من آى الذكر الحكيم فما اكثرها وما أظهرها قال تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) (اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) (ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) (أفمن يخلق كمن لايخلق) وهكذا مما لايحصى كثرة .

واذا شئت أن يزيد اطمئنانك بنظرك المجرد فاطل التأمل في هذا العالم ودقق النظر فيما حوى من دقة نظام ومتانة واحكام وكيف ارتبطت أجزاؤه بعضها ببعض حتى كونت على تباعدها وتباينها وحدة كاملة دقق النظر تجدها صادرة عن تدبير واحد وعلم واحد وصانع واحد

وفي كل شيء له آية   تدل على انه الواحد

بعد هذا البيان تجد العقيدة الاسلامية في شأن الاله أوضح مايمكن فهى لاتخرج عن اعتقاد أن لهذا العالم الممكن موجدا واجب الوجود وهو حى عليم قدير مريد متكلم بكلام نفسى سميع بصير وهو واحد لاشريك له قديم لا أول له باق لا آخر له قائم بنفسه لاحاجة به الى غيره (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

(هو الله الذى لااله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لااله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارىء المصور له الاسماء الحسنى يسبح له مافي السموات والارض وهو العزيز الحكيم) .

ابراهيم الجبالى
المدرس بقسم التخصص بالازهر الشريف

الطرف والملح

وفَدَ عبدُ الله بنُ جُدْعانَ على كسرى . فأكل عنده الفالوذَ . فسأل عنه فقيل له : هذا الفالوذُ . قال : وبِم يُصنع ؟ قيل : لُباب البرِّ يُلْبَكُ مع عسل النحل . قال : أبْغُونِي غلاما يصنعه : فأتوه بغلام يصنعه . فابتاعه . ثم قدِم به مكة . فأمره أن يصنع الفالوذ ففعل . ثم وضع الموائد من الأبطح [1] الى باب المسجد . ثم نادى مناديه : ألا من أراد الفالوذ فليحضر . فحضره الناس . وكان فيمن حضر أُميَّةُ بن أبى الصَّلْت . فقال :

ومالى لا احيِّيه وعندى ... مَوَاهبُ قد طلعن من النِّجاد [2]
لِأَبيض من بنى عمرو بن تَيْم ... وهم كالمشْرَفيَّات [3] الحِداد
لكل قبيلةٍ هادٍ [4] ورأسٌ [5] ... وانت الرأسُ تَقَدُّم كلِّ هاد
عِمادُ الخَيْف [6] قد علمت معدٌّ ... وان البيت [7] يُرْفَع بالعِماد [8]
له داعٍ بمكةَ مُشْمَعِلٌّ [9] ... وآخرُ فوق دارته [10] ينادى
الى رُوحٍ [11] من الشِّيزَى [12] مِلاءٍ [13] ... لُبابَ البُرِّ يُلْبَكُ بالشِّهاد

هذا — وابنُ جُدْعانَ هذا . ممن تركَ شربَ الخمر فى الجاهلية .

---

(١) موضع بمكة . وهو المحصب (٢) جمع نجد . وهو المكان المرتفع من الارض . ومراده ان خلق الكرم قد ورثه الممدوح من آبائه الاولين (٣) السيوف القاطعة (٤) عنق . والمراد به التابع (٥) المراد به المتبوع (٦) موضع بمنى (٧) الخيمة (٨) العمود (٩) نشيط ظريف (١٠) قبيلته وقومه (١١) جمع ردحة . وهى الجفنة (١٢) خشب اسود وتتخذ منه الجفان (١٣) جمع ملآى . أى مملوءة لباب البر المعجون بعسل النحل

اصول الفقه

الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان

بناؤها على حفظ المصالح ودرء المفاسد

القوانين العادلة هى التى تقوم على رعاية حفظ المصالح ودرء المفاسد،ولايختلف علماء الاسلام في أن أحكام الشريعة قائمة على رعاية هذين الاصلين ، واذا كانت المصالح والمفاسد قد تخفى في بعض ما يشرع على انه عبادة فان الاحكام المشروعة لغير العبادات من آداب الاجتماع ونظم المعاملات والجنايات لاتقصر العقول السليمة عن ادراك أسرارها ، ومن الميسور تقريرها على وجه يظهر به فضل الشريعة السماوية على القوانين الوضعية

يقرر الباحثون عن حكمة التشريع من علمائنا أن المصالح أربعة أنواع : اللذات واسبابها، والافراح واسبابها ، وأن المفاسد أربعة أنواع: الآلام واسبابها ، والغموم واسبابها ، ويسمون اللذات والافراح بالمصالح الحقيقية ، وأسبابها المصالح المجازية، كما يسمون الآلام والغموم المفاسد الحقيقية،واسبابها المفاسد المجازية. ويذكرون أن المصالح المحضة كالمفاسد المحضة نادرة الوجود ، واكثر الوقائع ماتجتمع فيه المصلحة والمفسدة، فما كان مصلحة محضة فحكمه الاذن قطعا ، وما كان مفسدة محضة فحكمه النهى بلا مراء، فاما مايكون مصلحة من ناحية ومفسدة من ناحية أخرى ، فالشارع الحكيم ينظر الى الارجح منهما ويفصل الحكم على قدر الأرجحية ، فما رجحت مصلحته على مفسدته اذن فيه على وجه الاباحة أو الندب أو الوجوب ، وما رجحت مفسدته على مصلحته نهى عنه على وجه الكراهة أو التحريم

التفقه في الادلة السمعية : ذكرنا فيما سلف ان من احكام الشريعة مايدل عليه

آية أو سنة صريحة كتحريم الجمع بين الاختين والقضاء للذكر في الارث بمثل حظ الانثيين، والقصاص، وقطع يد السارق والسارقة، وهذا النوع من الاحكام لايختلف أئمة الدين في أنه شريعة عامة باقية ، ولا يجوز لولى الامر اهماله ولا أن يستبدل به غيره

وربما دعت الضرورة الى ارجاء اقامة الحد كما أخر الامام على رضى الله عنه القصاص من قتلة عثمان مرتقبا وقتا يتمكن فيه منهم وهو آمن من عصبيتهم، وفي سنن أبى داود أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن تقطع الايدى في الغزو ، وروى أن عمر ابن الخطاب كتب الى الناس : أن لا يجلدنّ أمير جيش ولاسريةولا رجل من المسلمين حدا وهو غاز حتى يقطع الدّرب قافلا لئلا تلحقه حمية الشيطان فيلحق بالعدو .

وقد تطرأ حال عامة تجعل ولى الامر في ريب من أن تكون واقعة أخذ المال خفية من قبيل السرقة المفروض فيها حد القطع ، فيكف يده عن اجرائه ، وقد روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أسقط قطع يد السارق في عام المجاعة لان الحاجة كانت غالبة ، فمن المحتمل القريب وقتئذ أن يكون الدافع الى السرقة اضطراره الى مايسد رمقه وينقذه من التهلكة

ولا يلحق بمثل هذا الحال أن تعتل اذواق قوم وتساورهم شهوات طائشة فيقيموا هذه الاذواق مقام العقل، وتلك الشهوات مقام المصلحة، فينكروا مافرض الاسلام على الزانى أو شارب الخمر من عقوبة . وعلى حكماء الامة أن يعالجوا هذه الاذواق حتى تسلم من مرضها ، ويقوموا تلك الشهوات حتى تعود الى حال اعتدالها

يدخل الاجتهاد الادلة السمعية على النحو الذى ذكرنا ، ويدخلها من جهة الاطلاق والتقييد ، اما الاطلاق فكما قال تعالى (يايها الذين آمنوا لاتأكلوا الربو أضعافا مضاعفة) فاطلق الائمة في تحريم الربا وعدوا قوله تعالى «أضعافا مضاعفة» من قبيل ماروعى فيه حال ماكانوا يفعلون وقت نزول الآية ، ومن أدلة هذا الاطلاق قوله تعالى (وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم) فهو صريح في حرمة الربا كثيره وقليله

ومن أمثلة هذا أن الله تعالى حرم على الرجل نكاح ربيبته فقال (وربائبكم اللاتى في حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن) وظاهر الآية أن المحرمة بنت الزوجة التى تكون في حجر الزوج ، ولكن الائمة تفقهوا في هذا الوصف فلم يظهر فيه أثر للتحريم فأولوه على أنه من قبيل الأوصاف التى ترد في الكلام البليغ من جهة أنها الحال الغالبة في الموصوف،وافتوا بتحريم الربيبة على زوج امها وان لم تكن في حجره

واما التقييد فكحديث النهى عن بيع الماء فقد خصصه الامام مالك بآبار الصحراء التى تتخذ في الارضين غير المتملكة فيكون صاحبها الذى حفرها أولى بها ، فاذا قضى منها وطره ورويت ماشيته ترك الفضل للناس من غير ثمن ، واستند الامام في هذا التخصيص وصرف النهى عن بيع الماء في الارض المملوكة الى الاصل الذى ورد به السمع وانعقد عليه الاجماع وهو أنه لايحل مال أحد الا بطيب نفس منه. ومن أمثلة هذا الباب حديث (شاهداك أو يمينه)

فظاهر الحديث أن اليمين حق على كل منكر ولكن الامام مالكا قيده بحال ما اذا كان بين المتقاضيين خلطة ، وانما قيده بقاعدة درء المفاسد ، اذ أخذ الحديث على اطلاقه يجرىء السفهاء على أهل الفضل فيستطيعون أن يوجهوا عليهم متى شاءوا دعاوى ويقفوهم للحلف ايلاما وامتهانا

يقيد المجتهد النصوص أو يطلقها على ما تقتضيه الادلة السمعية والاصول الشرعية،ولا يصرف نظره عن النص جملة الا أن يثبت لديه أنه منسوخ،أو يعارضه ماهو أقوى سندا أو دلالة ، أو يكون الحكم مربوطا بشىء على أنه علة مشروعيته ، وتزول هذه العلة فيتبعها الحكم وتدخل الواقعة في نص آخر أو تحتاج الى حكم من المجتهد يطابقها

ومثال هذا أن النبى صلى الله عليه وسلم ترك صلاة التراويح في جماعة وقال في وجه تركها (ولم يمنعنى من الخروج اليكم الا أنى خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها) وقد زالت بوفاته عليه الصلاة والسلام الخشية من أن تفرض عليهم ، ولهذا أقامها عمر بن الخطاب بعد وقال « نعم البدعة هذه »

وقصر الحكم على حال وجود العلة متى كان منصوصا عليها أمر واضح لاشبهة فيه ، وقد يجيء الحكم مجردا من ذكر العلة فيقررها المجتهد استنباطا ويجعل الحكم مقصورا على حال هذه العلة المستنبطة ، ومن هذا القبيل أن المؤلفة قلوبهم قد ذكروا في آية مصارف الزكاة (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم) الآية .

فرأى بعض الائمة أن علة جعلهم في مصارف الزكاة الحاجة في بداية الاسلام الى تكثير أنصاره أما حين قويت شوكته ، وكثر اتباعه وحماته ، فقد زالت الحاجة الى تأليف المخالفين وسقطوا من مصارف الزكاة

ومن أقوال الرسول عليه الصلاة والسلام مايحمله المجتهد على أنه صادر منه بصفة الامامة لالأنه حكم عام كسائرأحكام الشريعةالتى يرادبها التبليغ،ومثال هذاقوله صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين (من قتل قتيلا فله سلبه) فان من الائمة من يذهب في هذا الى أنه تصرف من جهة الامامة وأنه منظور فيه الى مااقتضته المصلحة في تلك الغزوة،فلقائد الجيوش من بعده أن لايجعل سلب القتيل للقاتل حيث لم تدع الى ذلك مصلحة.ولهذا النوع من أقواله عليه الصلاة والسلام ناحية يرجع بها الى التشريع وهى أنه يجوز لولى الامر أن يجتهد ويقول «من قتل قتيلا فله سلبه» أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يرده عن هذا القول أن السلب من الغنيمة ، والغنيمة في أصلها ملك للمجاهدين ، أو أن هذه المنحة تنقص الاخلاص وتجعل بعض الجند يقاتل للسلب لا لأعلاء كلمة الله

هذه الوجوه التي يدخل منها الاجتهاد الصحيح عند التفقه في الادلة السمعية ، وههنا قد تزل أقدام بعض الناظرين في عجل، أو يفتضح بعض من يكيدون للشريعة من طريق التأويل،حيث يعمدون الى بعض النصوص الشرعية ويذهبون في تفسيرها مذهبا يخرجون به عن مقاصد الشريعة أو ينقضون به أصلا من أصولها

وجمهور أهل العلم على أن الاحكام المقررة بطريق السمع وليس للمجتهد أن يتعداها هى ماجاء في كتاب أو سنة أو اجماع ، وقول الصحابى فيما لايقال بالرأى

هو من قبيل المرفوع فهو داخل في السنة ، أما قوله الذى يمكن أن يكون اجتهادا فليس بحجة تقطع غيره عن الاجتهـاد ، لان الصحابى غير معصوم عن الخطأ ولأن الصحابة كانوا يختلفون فيما بينهم من غير انكار ، وما يقع في موطا مالك من ذكر قول الصحابى في مقام الاحتجاج انما يأتى بهالامام في معنىالتأييد لاجتهاده أو للترجيح بين الاخبار عند اختلافها ، قال القاضى أبو بكر بن العربى في شرح حديث (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين) من سنن الترمذى ، أمر بالرجوع الى سنة الخلفاء وهو يكون على أمرين : الأول التقليد لمن عجز عن النظر ، والثانى الترجيح عند اختلاف الصحابة ، فيقدم فيه الخلفاء الأربعة أو أبو بكر وعمر ، والى هذه النزعة كان ينزع مالك ، ونبه عليه في الموطا ،

واعتماد الامام مالك على عمل أهل المدينـة فيما لامجال للرأى فيه أو فيما كان طريقه النقل المستفيض كالصاع والمد والاذان والاقامة يرجع الى الاحتجاج بالسنة فان العادة تقتضى أن يكون عملهم هذا من زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، اذلو تغير تغير عما كان عليه الوحى لعلموه ، واذا قدم عمل أهل المدينة الذى هو في معنى السنة على خبر الاحاد فانما قدم على خبر الاحاد سنة يراها أمتن سندا وأقوى،وانكر بعض أصحابه أن يكون قد وقع منه تقديم عمل أهل المدينة على الحديث الصحيح ، قال أبو بكر بن العربى في كتاب العارضة ، ومن لاتحصيل له من أصحابنا يظن أن مالكا يقدم عمل أهل المدينة على الحديث الصحيح ، ولم يفعل ذلك قط ، ولا ترك مالك قط حديثا لاجل مخالفة أهل المدينة له بعملهم وفتواهم ،

لايدخل الاجتهاد في النصوص المحكمة الا بنحو الاطلاق أو التقييد على مقتضى الأصول الصادقة ، وهذا واضح بنفسه فيما اذا كان النص قرانا أو سنة متواترة ، أما خبرالآحادفان لميره المجتهد معارضالأصل آخر وجبالعمل به عندأئمة الدين بلا مراء،كما أخذ عمر بن الخطاب رضى الله عنه بخبر عبد الرحمن بن عوف في أخذ الجزية من المجوس ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم (سنوا بهم سنة أهل الكتاب[1])

---

(١) في صحيح البخارى

أما اذا وردخبر الاحاد وكان فيمايظهر معارضا لقاعدة أوقياس صحيحفهذا موضع نظر أهل العلم واختلاف آرائهم ، فنهم من يقدم الحديث على الاقيسة والقواعد يظهر هذا من قول الامام الشافعي : اذا صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضربوا بقولي الحائط ، وقوله : اذا صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح الاسناد به فهو المنتهى ، وقال محمد بن اسحاق بن خزيمة : لاقول لاحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صح الخبر .

ونجد آثارا كثيرة عن الصحابة تدل على انهم كانوا يتركون القياس لخبر الواحد كما ترك عمر بن الخطاب القياس في الجنين لخبر حمل بن مالك في ايجاب غرة عبد أوأمة وقال لولا هذا لقضينا فيه برأينا[١] ، وروى انه ترك القياس في تفريق دية الاصابع على قدر منافعها حين روى له حديث (في كل أصبع عشر من الابل)

ويقول بعض المتمسكين بالحديث في كل حال : انه لايوجد حديث ثابت على خلاف القياس الصحيح ، وحيث جاءت الشريعة باختصاص بعض الاصناف بحكم يفارق به نظائره ، فلا بد أن يختص ذلك الصنف بوصف يوجب اختصاصه بالحكم ويمنع مساواته لتلك النظائر ، لكن الوصف الذى اختص به الصنف قد يظهر لبعض الناس ويخفى على بعض ، فن رأى شيئا من الشريعة مخالفا للقياس فانما هو مخالف للقياس الذى انعقد في نفسه لا للقياس الصحيح الثابت في نفس الامر،وقد جاء هؤلاء الى كل ماجاءت به السنة من أحكام كالمساقاة والمزارعة وبيع العرايا[٢] ، وبسطوا في بيان الفرق بينها وبين أفراد القياس الذى ادعى أنها جاءت على خلافه

والواقع أن الذين يسمون مثل المساقاة والسلم والمصراة[٣] خارجة عن القياس يعترفون بانه انضم الى هذه الابواب ماجعلها تخالف سائر أفراد القاعدة التى يبدو لأول النظر أنها من مشمولاتها ، وهذا عز الدين بن عبد السلام يقول في قواعد المصالح « أمر الله تعالى باقامة مصالح متجانسة واخرج بعضها عن الامر اما لمشقة

---

(١) رواه ابو داود (٢) أن يهب الرجل لآخر النخلة ثم يتاذى بدخوله لها فيخرص ثمرها ويشتريه منها بتمر

(٣) المصراة هي التى صرى لبنها أى حبس وجمع فلم يحلب أياما ، وقد جاء في الحديث الشريف أن مشتريها متى احتلبها يكون بخير النظرين : اما أن يمسكها أو يردها وصاع تمر

ملابستها واما لمفسدة تعارضها ، وزجر عن مفاسد متماثلة وأخرج بعضها عن الزجر أما لمشقة اجتنابها ، واما لمصلحة تعارضها »

ومن أهل العلم من يقدم القاعدة والقياس الذى تكون مقدماته قاطعة على خبر الواحد ، وقد تردد أصحاب الامام مالك في مذهبه فروى عنه أصحابه العراقيون تقديم القياس على الخبر ، وروى عنه المدنيون والمغاربة تقديم الخبر على القياس . والتحقيق أن للامام في كل حديث يتعارض مع القياس نظرا خاصا ، فيقدم مثلا — الحديث الذى تعضده قاعدة أخرى كحديث العرايا عارضته قاعدة الربا وعضدته قاعدة المعروف

فقد أريناك أيها القارىء النبيه كيف كان علماء الاسلام يرعون عند التفقه في الكتاب والسنة قاعدة حفظ المصالح ودرء المفاسد ، وأن ما جاء به القرآن والسنة من الاحكام المفصلة كفيل بحفظ مصالح الوقائع أو درء مفاسدها، وفي استطاعة الراسخين في العلم أن يبينوا ماحفظته من المصالح أو درأته من المفاسد بيانا كافيا

واذا كان من لازم الاحكام العادلة حفظ المصالح أو درء المفاسد ، فليس من شرط كل حكم أن يتغير باختلاف العصور أو المواطن ، فان الواقعة قد تشتمل بطبيعتها على مصلحة أو على مفسدة لايختلف حالها باختلاف العصور والمواطن ، فيكون لها حكم واحد لايتغير الا أن يتغير حال الواقعة نفسها ، ومن الذى يعقل أن يكون القصاص مثلا زاجرا عن القتل مقللا لوقائعه في عصر أو موطن دون آخر ،

والحقيقة أن حكم الواقعة انما يتجدد عند ما تتغير طبيعة الواقعة ، وان الحكم المشروع للواقعة بحق قد يبقى حكمها العادل ولو مضت عليه احقاب ، حتى يعرض لها من الاحوال مايستدعى تفصيل حكم غير ماشرع لها أولا ، ومن تيسر له أن يدرس مافصلته الشريعة من أحكام محكمة ـ وهى فيما يُرى أقل مما شرعته في ضمن أصول وقواعد ـ عز أن يجد فيها حكما يتعلق بواقعة يختلف حالها باختلاف الزمان والمكان، واذا وجد العالم الراسخ في فهم مقاصد الشريعة واقعة علق عليها الشارع حكما، ثم تغير حالها بعد الى حال تقتضى تغير الحكم اقتضاء ظاهرا، كان له أن يرجع بها الى أصول الشريعة

القاطعة ويقتبس لها من هذه الاصول حكما يطابقها، ومثال هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن منع النساء من الخروج الى المساجد، فاذا نظر المجتهد الى علة النهى عن منعهن وجدها المحافظة على مصلحة المرأة من سعيها الى المسجد وحضورها صلاة الجماعة وانتفاعها بما تسمع من قرآن أو خطبة، ولم يكن في خروجها لعهده عليه الصلاة والسلام مفسدة تستدعى المنع ، فاذا جاء عهد يكثر فيه تعرض السفلة من الرجال للنساء ، وحدثت وقائع تدل على أن سلطان الدين أصبح ضعيف الأثر في نفوس هؤلاء وهؤلاء فقد أخذت واقعة خروج المرأة الى المسجد حالا غير الحال التى كانت عليه في زمن النبوة وانضم الى مصلحة خروجها مفسدة ، فللمجتهد أن ينظر في هذه المفسدة ويقيسها بالمصلحة ليعلم أيهما أرجح وزنا ثم يرجع بالواقعة الى أصول الشريعة ويستنبط لها حكما يراعى فيه حالتها الطارئة .

وربما نظر الفقيه في مثل هذا نظرة مستعجل فيخطىء المرمى ، وهذا ماجرى لمروان بن الحكم حين قدم خطبة العيد على الصلاة نظرا الى أن الناس كانوا في عهد النبوة والخلافة الرشيدة يجلسون بعد صلاة العيد لسماع الخطبة ، فلم يكن فى تقديم الصلاة على الخطبة من بأس ولكنهم صاروا بعد ذلك العهد يكتفون بالصلاة ويدعون سماع الخطبة، كما قال مروان معتذرا لابى سعيد الخدرى «ان الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة » وقد خالفه الصحابة والائمة من بعدهم في ترك هذه السنة لانهم رأوا ان هذا تصرف في أمر من قبيل العبادات التى يجب أن تقام كما وردت عن الشارع ، على أن مفسدة خروج الناس قبل سماع الخطبة يمكن درؤها بوعظهم وارشادهم الى البقاء بالمسجد حتى انتهائها، وقد حضرت صلاة العيد في السنة الماضية باحد المساجد الكبيرة في القاهرة فوقف الامام قبل الصلاة وذكر الحاضرين بعدم الخروج قبل انقضاء الخطبة ، فامتثلوا .

فالتفقه في الكتاب والسنة على النحو الذى يحفظ الحقوق ويسير بالامة في أهدى سبل المدنية انما يستطيعه من امتلأ بعلوم القرآن والحديث ، وخاض في حكمة التشريع وعرف مقاصد الشارع ، وقدر المصالح والمفاسد بميزانها الصحيح

(يتبع) محمد الخضر حسين

السيرة النبوية

ترجمة الفصل العاشر من كتاب السيرة النبوية

للسيدين أتيين دينيه وسليمان بن ابراهيم الجزائرى

لصاحب التوقيع

— ٢ —

ومن نكد الطالع أن معنى المساواة هذا الذى كان متمكنا من نفس النبي لم تطل مدة رعايته رعاية كاملة ففى عهد الخليفة عثمان ثالث الخلفاء انشأت أوهام التعزز بالانساب تستأنف تأثيرها السيء ولم يفد قول النبي لابنته المحبوبة فاطمة الزهراء : يافاطمة بنت محمدا لا اغنى عنك من الله شيئا فكان ابناء البيوتات التى هى دون بيت الرسول يحقرون اخوانهم المسلمين الذين هم أحط منهم أصلا مفاخرين بشرف محتدهم ويعتقدون انهم معفون من العمل معانه لانجاح للمرء بدونه وقد جر التنافس فوق ذلك بين من يعتزون بانسابهم اكثر مما يعتزون باعمالهم الى حروب أخوية لاتنطفىء جذوتها كالتى كانت في الماضى وجر معها الانحلال والفوضى العامين اللذين كانا السبب في تعطيل تقدم العرب في القرون التى قبل الاسلام ولما فقد المسلمون ميلهم لدراسة العلوم وتفرقوا شيعا وانهكت قواهم الحروب الداخلية المتواصلة انتهز المسيحيون فرصة انقسامهم وتألبوا عليهم واخذوا يمنون أنفسهم بالثأر منهم فلم يستطيعوا أن يقاوموهم الا مقاومة ضعيفة .

كان في مكنة المسلمين فيما مضى كما هو في مكنتهم الآن أن يتحاموا معظم مصائبهم لو انهم كانوا دائما مستظهرين لآخر موعظة للنبي وعظهم بها في الخطبة التى القاها في حجة الوداع اذ قال « أيها الناس انما المؤمنون أخوة »

والسبب الثانى لتأخر المسلمين نشأ من اهمال احدى صفات الاسلام الاولية ذلك ان مطابقة مبدئه الاساسى الذى يكاد يكون مجردا بالكلية مما يتجاوز القوى الفطرية ـ مطابقة هذا المبدأ لمقتضيات العقل كان لها في أول الامر فوائد لا تقدر بالنسبة للعلم فانه مضى في تقدمه غير معوق بشيء من الترهات والاباطيل وحسبك هذا بيانا لسبب نهضة حضارته السريعة غير أن الفكر الاسلامى استسلم تدريجا الى الغفوة مكتفيا بالنتائج الرائعة التى أحرزها في الخمسة القرون الاولى من الهجرة وصار من ثم عرضة لتأثير شهوة عبادة البشر وعبادة الاوثان التى كانت في بعض البلاد الحديثة العهد بالفتح فقامت عبادة الاولياء والوسطاء والمرابطين المأخوذة عن المسيحيين والمحرمة في القرآن تحريما صريحا مقام الاشتغال بالعلم ووقفت كل تقدم فيه بما فيها من الاوهام والعقائد الباطلة المرذولة وقد حاول مقاومتها بعض علماء الاسلام كابن رشد ولكن بعد فوات الوقت فقد كانت جذور العلة تأصلت في الأمة فرمت هؤلاء العلماء بالكفر واوجبت اسقاط حرمتهم .

وهذان السببان من أسباب سقوط الاسلام قديمان وهما يتعارضان مع شريعة القرآن الحقيقية

والسبب الثالث[1] ....

هذه في رأينا هى الأسباب الثلاثة الغالبة لتأخر المسلمين لحصناها عجالة ولسنا نظن أن هذا التأخر معدوم العلاج وانه قضى على الثلثمائة مليون من المسلمين المنتشرين على وجه الارض أن يبقوا دائما في هذه الحال المحزنة التى قدر لهم فيها أن يكونوا بعيدين عن الحضارة الحديثة .

فعلاج السببين الاولين بسيط وهو الرجوع الى العمل بالاصول الصحيحة التى وضعها النبي ثم ان الجروح التى انتابت المسلمين منذ قرن قد أيقظتهم من سباتهم والهزائم التى توالت عليهم نفسها قد نبهتهم لضرورة اختيار الوسائل العلمية التى

---

(١) وهنا ذكر المؤلفان سبباً آخر لتأخر المسلمين وهو حظر الربا على اطلاقه والمجلة لا توافقهما على هذا الرأى وستحقق هذا البحث فى أجزائها الآتية

استعملها غالبوهم في قهرهم فذكروا قول النبي « اطلبوا العلم ولو بالصين »[1] العلم خير من العبادة — يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء[2] وقد أرشد المسلمين الى الطريق بعض المجددين من ابنائه النابغين كالشيخ محمد عبده الشهير باثباتهم مطابقة هدى محمد لما تهدى اليه الحضارة الحديثة[3] فبادر عدد من الشبان في جميع البلاد الاسلامية الى التعلم على المنهج الاوربى بسهولة مدهشة بدون أن يخسروا شيئا من مميزاتهم الوطنية ولن يمضى كبير زمن حتى يأخذ عدد عديد من المسلمين مكانتهم في الدنيا الجديدة دون أن يخشوا اية منافسة .

هل معنى هذا أن مملكة الاسلام باحتذائها مثال المملكة اليابانية ستستعيد مكانتها بين الدول السياسية العظمى ؟ ان التخرص بذلك يكون دائما من قبيل الدعوى وحسن ظن المرء بنفسه . على أن السلطان السياسى هو أقصر جميع ضروب السلطان أجلا فتكفى بضعة أشهر لتقويض دعائم أعتى الممالك وهذا السلطان لا يُثبت بوجه من الوجوه قابلية الدين للحياة فهو ليس ضروريا مطلقا في الموضوع الذى نحن بصدده فان ثمة فتوحا تخالف فتوح الجيوش فملكة الاسرائيليين قد زالت من قرون كثيرة ولم تختطّ مطلقا خطة للرجوع ومع ذلك قل من الشعوب من له اليوم سلطان الشعب اليهودى وقد كان اضطهاد الامم له أعظم مرب فقد أصبح اليهود يشغلون المقام الاول بين جميع أمم أوربة وأمريكة بفضل نشاطهم وذكائهم فلماذا لاتحصل عند المسلمين الذين معظمهم بنوعم لليهود ولهم عليهم مزية وفرة عددهم نفس تلك النتيجة الناجمة عن السبب عينه أعنى الاضطهاد .

وجهت اعتراضات على امكان هذا التجدد الاسلامى من ناحية اشتمال الاسلام

---

(١) الحديث الاول بزيادة فيه هي : فان طلب العلم فريضة على كل مسلم ، روى عن أنس مرفوعا وهو ضعيف بل قال ابن حبان لاأصل له وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وفى الجامع الصغير وانه رواه ابن عدى فى الكامل والبيهقى فى شعب الايمان والعقيلى فى كتاب الضعفاء اسكن عليه علامة الضعف ورواه ابن عبد البر فى كتاب العلم عن أنس بزيادة فيه

(٢) هذا الحديث أخرجه الشيرازي عن أنس المرهبي عن عمران ابن حصين وابن عبد البر فى العلم وعن أبى الدرداء وابن الجوزى فى العلل عن النعمان ابن بشير وكلهم يرويه مرفوعا والله تعالى أعلم

(٣) هذا القول غير صحيح على اطلاقه فكثير مما تهدى اليه الحضارة الحديثة مخالف لهدى محمد صلى الله عليه وسلم، وستعنى المجلة ان شاء الله ببيان ذلك .

على عقيدة القضاء والقدر والتعصب وتعدد الزوجات فلنبحث في هذه الامور بحثا موجزا :

١ — اذا كان ثمة وجه لبعض الانتقادات الواردة على كيفية فهم عقيدة القضاء والقدر عند بعض اتباع المرابطين فليس لهذه العقيدة من الشأن مانسب لها فليس الاسلام بأكثر تشبثا بها من الفلاسفة القائلين بانكار فعل العزيمة الشخصية ونسبة كل الامور الى الاسباب الخارجية وهو في ذلك أيضا أقل من المسيحية التى تقضى باتباع النصوص الانجيلية حرفيا (لذلك أقول لكم لاتشغلوا أنفسكم بالجهة التى تجدون فيها ماتأكلون وما تشربون لاستبقاء حياتكم ولا بالجهة التى تحصّلون منها الثياب لتغطية أجسادكم (انجيل متى عدد ٥ - ١٨ - ٦ - ٢٥) .

كيف تتهم عقيدة القضاء والقدر بتعطيل كل مجهود عند المسلمين وقد كان محمد انشط من عرفوا على وجه الارض الى الآن في العمل وادومهم عليه واقواهم، والدين الاسلامى هو الدين الوحيد الذى تلا تأسيسه مباشرة سلسلة عجيبة من الاعمال المجيدة والحضارة الزاهرة . ان كلمة الاسلام معناها الخضوع والاستسلام لاوامر الله أعنى لما لايستطيع أى مجهود انسانى منعه لا لما يكاد يبدو من الميسور التغلب عليه بالقوة والشجاعة (وياقوم اعملوا على مكانتكم[1]) السورة ١١ الآية ١٣٤ ،ومثل هذا الاستسلام يبعد أن يكون سببا للضعف وانما يصير للمؤمنين منشأ لقوة معنوية لانظير لها تشد أزرهم في المحن والشدائد .

٢ — ان المسلمين يجدون انفسهم في علاقاتهم مع المتمدنين التابعين لديانات أخرى قد وقفوا عن التقدم بسبب تعصب هؤلاء المتمدنين الشديد الذى لايقبل التخفيف والذى هم يرمون به المسلمين وكل مافي الامر يرجع الى معرفة ما اذا كان هذا التعصب ليس من ضمن الاساطير المخترعة عليهم في القرون الوسطى ولكى يتيسر على

---

(١) الآية مسوقة مساق التهديد وأظهر منها فى الدلالة قوله تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)

القارىء أن يرتأى لنفسه رأيا في ذلك نقدم اليه بعض الاسانيد التى اخترناها من عدد عظيم من نوعها :

قال ابن جرير نقلا عن ابن عباس أن رجلا من بنى سالم ابن عوف اسمه الحصين كان له ولدان مسيحيان وكان هو مسلما فقال يارسول الله الا الزم ولدى الدخول في الاسلام فانهما يأبيان كل دين سوى المسيحية فاوحى الله جل جلاله الى رسوله هذه الآية ردا على سؤال هذا الرجل وهى (لا اكراه في الدين)(السورة ٢ الآية ٢٥٧)

ولما حضر وفد نجران المسيحيون الى المدينة يطلبون مقابلة النبى خصص لهم نصف مسجده لتأدية صلاتهم. وفي ذات يوم قام لجنازة فلما أخبر انها جنازة يهودى أجاب بقوله : اليست هى نسمة . وقد قال أيضا (من آذى يهوديا أو نصرانيا كنت خصمه يوم القيامة ، قد يدوم الملك على الكفر ولا يدوم على الظلم)

ولم يستعمل المسلمون القوة خارج الحجاز أعنى الارض المقـدسة وما يجاورها مباشرة لرد الناس عن دينهم خلافا لما ذكر في الحكايات المختلقة ولم يكن مسيحيو اسبانية على تخوف في أمر دينهم مدة الثمانية القرون التى كانوا فيها تحت سلطان العرب بل أن بعضهم كان يشغل أعلى المناصب في حاشية خلفاء قرطبة وعلى العكس من ذلك كان حال المسيحيين فانهم بمجرد أن أصبحت الغلبة لهم هنالك أهلكوا جميع المسلمين واهلكوا معهم اليهود الذين كانوا يعيشون بسلام في حكم العرب وقد اعترف بهذه الحقيقة القسيس ميشون في سياحته الدينية التى ساحها في بلاد الشرق اذ صرح قائلا: مما يحزن الامم المسيحية انهم تعلموا من المسلمين التسامح الدينى الذى هو الناموس الاكبر للرحمة والاحسان بين الامم (نقله عن الكونت دى كسترى في كتابه الذى الفه في الاسلام)

يقول المعارضون وما قولكم في مذابح أرمينية فاجيبهم بأن كل المذابح التى لم تدع اليهـا ثورات أو مؤامرات يمقتها المسلمون الحقيقيون كما يمقت اليوم المسيحيون الحقيقيون مذبحة جميع المسلمين في اسبانية .

على أن هذه المذابح التى وقعت في أرمينية ماكانت قط لاسباب دينية لان اتباع

محمد مافكروا يوما ما في الاقتداء بتركادا [1] في مذابحه وفي تخيير الارمن بين ترك دينهم وبين احراقهم . على أن المسلمين لايأنسون في أنفسهم أى ميل لرد الناس عن دينهم وليس لهم مبشرون حقيقيون واذا كان دينهم هو الدين الذى يجذب اليه اليوم أكثر الداخلين فيه بافريقية وآسية فما ذلك كما لاحظه ملاحظة في غاية الاصابة المسيو (بردو) الا بنوع من الامتصاص المعنوى (انظر كتابه المعنون ـ العرب في أفريقية الوسطى)

الاسوة الحسنة التى لاتقارنها اية محاولة للردة تحدث في النفوس المتدينة أثرا قويا غير الذى يكون من تعليم معلم أصول العقائد من المضايقات وقد اضطر العالم دوزى الى أن يعترف رغما من تحيزه الدال على عدائه للاسلام بانه من الثابت أن كثيرا من المسيحيين في اسبانية دخلوا في الاسلام للاقتناع بصحته .

والقاعدة التى يجرى عليها المسلم في معاملته لاتباع الديانات الاخرى قد حددتها هذه الكلمات من القرآن (لكم دينكم ولى دين) (السورة ١٠٩ الآية ٦) وكيف يكون المسلم غير متسامح وهو يحترم الانبياء المحترمين عند اليهود والنصارى سواسية فموسى كليم الله وعيسى روح الله يجب في نظره احترامهما الاحترام الواجب لمحمد حبيب الله (لانفرق بين أحد من رسله) (السورة ٢ الآية ٢٨٥)

ولن يجرأ أى مسلم أن يفوه باقل بادرة في حق عيسى وهو لن يحتمل أن يفوه بها أحد أمامه حتى ولو كان من المسيحيين الاصليين الذين يلقون عليه تبعة الاغلاط الكهنوتية،فسب المسيح يعتبر سبا للقرآن الذى يأمر باحترامه،وقد اتيح لنا أن نشهد منظرا قليل الوقوع وهو حكم قاض مسيحى على مسلم لضربه يهوديا بدت منه أمامه أفكار مهينة بشأن ولادة المسيح .

ولنقارن الآن بين موقف الاحترام الذى للمسيحيين ازاء عيسى بالطرق التى يستعملها الأوربيون في حق محمد ففى القرون الوسطى كان الرهبان والشعراء المتجولون

---

(١) تركادا هو احد اعضاء محكمة التفتيش في اسبانية

يمثلونه[1] ....

ولو أردنا أن نذكر كلما ولدته فيما سبق مخيلة اعداء محمد الكثيرة الاختراع مافرغنا منه.ولم يكن المستشرقون الاولون قط باقل اهانة له من هؤلاء فقد تكلم عنه العالم غانييه في القرن الثامن عشر بعد أن لام القسيس مراشي والدكتور بريدو على اهانتهما الثائرة[2] ....

يقول ذلك وهو يزعم أنه وقف في وصفه موقف الاعتدال

ولم يكن نصيب أصحاب محمد الاولين من الاذى باقل من نصيبه فيه فقد اخترع بعض الناس القصة الشهيرة المنسوبة للخليفة عمر بن الخطاب وهي احراقه لدور الكتب في الاسكندرية شاهدين على انفسهم بكل مالديهم من الاستخفاف بالتاريخ لينسوا الناس الوحشية التي بها أحرق الكردينال ريمناس دور الكتب البديعة التي كانت للمسلمين في اسبانية فانه كان قد مضى على تلك الدور عدة قرون قبل أن يوحى الاسلام الى العالم،فاولاها وهي دارالكتب التي كانت في بروخيوم وكانت تحتوى على أربعمائة الف مجلد كانت أحرقت أثناء الحرب التي نشبت بين القيصر والاسكندريين والثانية وهي مكتبة سرابيوم التي كان فيهامائتا الف مجلدواوصى بها أنطوان كانت نهبت كلها في عهد القيصر تيودور—وقد انشأت هذه القصص السخيفة تتلاشى في أيامنا هذه . على أننا نفضل مافيها من التعصب الصادر عن سلامة الطوية على الدسائس الخفية التي يسترها بعض الكتاب الذين لاتزال قلوبهم مشربة بشهوات القرون الوسطى بستار العلم المشرقي ويسعون في اذاعتها عن رجل من الرجال الذين يشرفون اكثر من غيرهم تاريخ الانسانية نفسه .

لسائل أن يسأل : هل يؤول أمر المسلمين بعد أن اختاروا لانفسهم حضارة المسيحيين الحديثة الى أن يختاروا دينهم ؟ حسبنا في الاجابة عن هذا السؤال أن

(١) هنا نقل المؤلفان عن بعض اعداء الرسول صلوات الله عليه تمثيلا له فى غاية البشاعة والقبح يدل على بلوغهم فى الحمق والسفاهة الغاية القصوى .
لم تر المجلة نشره من اللائق بمقامه الذى هو فوق مقام كل مخلوق

(٢) وهنا نقل المؤلفان وصفا شنيعا تنزه المجلة عنه الاقلام والاسماع

نذكر رأى مؤلف هو مع كونه مسيحيا متشددا يعترف بالوقائع بامانة فقد كتب في بحث له شهير في الاسلام مايلي :

« الاسلام هو الدين الوحيد الذى ليس فيه مرتدون ومن الصعب جدا بل من المستحيل تصور فكرة صحيحة للحالة النفسية التى عسى أن تكون لمسلم رده مسيحى الى دين الانجيل . ربما لايحصل في الذهن لهذه الحالة الا صورة تقريبية اذا تصورنا مسيحيا ذى عواطف مستنيرة يحاول رده عن دينه وثنى الى أباطيله وأوهامه المرذولة (انظر كتاب الكونت هنرى دوكسترى في الاسلام) .

٣—ليت شعرى ماعسى أن يكون منشأ البغض الذى يضمره المسيحيون للاسلام وهو مع عدم قابليته للتغير يقدم لهم كثيرا من الادلة على احترامه لعيسى،هذا البغض الذى استمر في عصرنا هذا عصر التسامح الدينى ان لم تقل عصر عدم المبالاة بالدين ؟ الكون نشأته آسيوية ؟ ولكن الم تكن المسيحية آسيوية في جوهرها قبل تخليصها من اليهودية بواسطة بولس الرسول ؟ فقد قال عيسى نفسه (انى لم أرسل الا لنعاج بنى اسرائيل الذين هلكوا) (انظر انجيل متى ١٥ — ٢٤) أم من شريعته ؟ ولكن شريعة الاسلام تكاد تكون مطابقة لمذهب بعض أشياع المذهب البروتستنتى [1] أم من ذكرى الحروب الصليبية؟ نعم ان هذه الذكرى رغما من تقادم الزمن لاتزال تفعل فعلها المشئوم في نفوس كثير من الجهلاء . ولكنها لاتكفى وحدها في تعليل حكم الاعدام الذى قضى به على الاسلام في أوربة فلا بد اذن من تلمس سبب آخر وسيعرف هذا السبب في المثل الذى تؤديه لنا الديانة الوحيدة المحتقرة احتقارا حقيقيا والمضطهدة في أوربة كالاسلام .

توجد شيعة من البروتستنتيين وهم المرمونيون بعد أن أبدوا العجائب من قوة العزيمة والدأب في العمل قد حولوا بلادا كانت أشد البلدان كآبة وصحراء من الارض الملحة قطرا زاهرا وكان على أوربة وامريكة بالاجماع أن يبدوا استحسانهم لعملهم المؤدى الى الحضارة والعمارة فبدلا من هذا نسيت جميع شيع المسيحية مابينها

---

(١) هذا القول على اطلاقه غير صحيح فان في المذهب البروتستنتي تقاليد وعقائد كثيرة تخالف الاسلام .

من ضروب الشقاق الخاصة وتألبوا على المورمونيين يجمعهم شعور واحد بالكره الشديد لهم وليت شعرى أى جريمة اقترفوها ؟ انهم لاذنب لهم الا انهم كالمسلمين يستحلون فيما بينهم تعدد الزوجات،هذا هو اللغز وفيه انذار للمسلمين انهم لاينالون حق الانتظام في سلك المتمدنين الا اذا تنازلوا عن تعدد الزوجات .

اننا لانجازف في مباشرة الدفاع عن عادة بلغت من المقت والكراهة الشديدة هذا المبلغ بل نقتصر على ابداء بعض ملاحظات في هذا الصدد . الواقع انه لاجدال في أن تعدد الزوجات عام وسيبقى كذلك مادامت الدنيا ومهما كانت القوانين وانما المسألة الوحيدة هى معرفة ما اذاكان الافضل الاعتراف به وتحديده أو تركه يجرى خفية والى غير حد فقد حقق جميع السائحين ومن بينهم جيرار دونير فال والادبية مرجانة أن تعدد الزوجات عندالمسلمين المتزوجين باكثر من واحدة هوفي الجملة أقل انتشارا منه عند المسيحيين المقول باقتصارهم على زوجة واحدة واى شيء أقرب الى الفطرة من هذا ؟ اليس فيه لهؤلاء غواية الثمرة المحرمة [1] ولكن هل الاهتمام بتعدد الزوجات هو أمر حتم؟أن حاجات المعيشة الحديثة تجعله في المدن الكبرى غير معمول به وهذا بدون أن ندخل في اعتبارات أخرى وانه سيزول عند المسلمين المتحضرين قبل مضى زمن طويل واذا بقى حكمه فلن يعمل به الا في قلب البادية حيث تدعو اليه الضرورة اللازبة .

وهل يكون في ذلك ربح للاخلاق ؟ هذا مايبقى محلا للريب فستمد العهارة التى هى نادرة جدا في معظم البلاد الاسلامية رواق افسادها وتدميرها وستظهر فيها مصيبة مجهولة لها بالكلية وهى عزوبة النساء التى تخرب البلاد المقصورالزواج فيها على واحدة ومن بين هذه البلاد خصوصا بعد الحرب العظمى مابلغت فيه العزوبة نسبة مهلكة .

قال شارل ديماس في بحث له في مستقبل المستعمرات الفرنسية عند كلامه

---

(١) يشير بذلك الى قصة سيدنا آدم فى اكله من الشجرة التى نهى عن الاكل منها

عن المسلمين مانصه: لايتحرر جنس من الرق اذا قضى على نصفه (يعنى النساء بالرق الابدى [١]..

ولكننا اذا توقفنا في الحكم على ضروب الاصلاح التى قد بسطناها نعترف بعكس ذلك وبدون قيد بان تعليم المرأة هو ضرورة لازبة لمستقبل الاسلام بلا شرط

ولا دخل للتعليم بشيء في العادات المتقدم ذكرها بل هو موافق لجميع أصول الدين وقد كان في عصر سطوع نور الاسلام يفاض فيضا على المسلمات اللاتى كانت معلوماتهن العامة أرقى من معلومات الاوربيات في ذلك العهد .

على أن تعليم المرأة في الشرق لم يزُل بالكلية الا في بعض بلاد المغرب فكثير من النساء المسلمات يشغلن من بضع سنين أوقات فراغهن بالتعليم في خدورهن وقد انشأت نهضتهن العقلية تنتشر فان من التعليم وحده ينبغى أن ينشأ ارتقاء الاخلاق حيث يكون ضروريا وبالمقدار والمعنى اللذين يكونان أقل اخلالا بداخلية الاسر .

ان مسألتى تعدد الزوجات وحرية المرأة (وهما المسألتان الوحيدتان اللتان تجعلان لنقد الناقدين من اعداء الاسلام ظاهرا من الحق) متى فصل فيهما ظهر الاسلام على حقيقته : أى دين موافق في جوهره لاحدث حاجات البشر وافكارهم الى حد أن رجلا انجليزيا يدعى أوصلد ويرث قد استطاع أن يكتب هذه الكلمة : قد تبينت يوما أنى مسلم من غير أن أشعر بذلك كما تبين النثر في كلامه الموسيو جردين [٢] والى حد أن غوث [٣] بعد أن درس الاسلام صرح قائلا :

اذا كان الاسلام هكذا افلا نكون كلنا عائشين في الاسلام ؟

وعما قليل سيستطيع الاسلام في نهاية الامر أن يطالب بحق الانتظام في الحضارة

---

(١) وهناك تكلم المؤلفان عن حجاب المرأة الاسلامية كلاما وتقلا فيه اقوالا لاتوافقهما عليها الجلة وستعنى بتحقيق هذه المسألة فى مقال خاص .

(٢) جردين هو احد الممثلين فى رواية تمثيلية للروائى الفرنسى المشهور موليير . وشأنه انه عشق امرأة جليلة المقام ورجا من استاذه فى الفلسفة ان يكتب على لسانه اليها كلمة قال انه سيلقيها بين قدميها فدهش لما أخبره هذا العالم انه ليس للتعبير عما فى النفس الا طريقتان النثر والشعر وقال له بذمتى ان لى اكثر من أربعين سنة أقول النثر ولا أعرف منه شيئا وانى اكثر من فى الارض شكرا لك على ان علمتنى ذلك .

(٣) اكتب كتاب الالمان

الحديثة لانه لم يبق أحد يجرأ على التسليم بالاساطير الصبيانية المفتراة عليه التى استمر توارثها من عهد الحروب الصليبية الى الآن .

وبينما نحن نفرغ من كتابة هذه الكلمات اذا بأوربة ترى فجأة انفجار أعظم حرب عرفها التاريخ في قلبها وتشاهد الوفا من الجنود المسلمين من سلالة غزاة مدينة بواتييه [١] قد أغاروا من جديد على فرانسة كلها .

لم يأتوا في هذه المرة فاتحين بل جاءوا أصدقاء واخوان سلام دعاهم الحلفاء للاشتراك في هذا الجهاد الهائل الذى يتوقف عليه مصير الحضارة فاثارت بسالتهم الموروثة اعجاب الجميع وقد غرسوا الاسلام الى الابد في قلب أوربة بأشرف وامجد طريقة وهى الألوف المؤلفة من قبورهم التى تغطى أرض فرنسة .

تحوى أوربة اليوم في أرضها مدد من اتباع النبي وهم بعدأن أدوا اليها مثل هذه الخدمات الكبيرة يشق عليهم أن تحرمهم من حق الانتظام في سلك الحضارة الذى طلبناه لهم آنفا .

وليس من المعقول أن أسوتهم الحسنة التى انتهت بقشع كثير من الآراء السقيمة التى كانت للناس فيهم فيما مضى وعرفتهم يسر الاسلام وبساطته البديعة — لاتحدث في بعض نفوس الأوربيين أفكارا كلها جديدة .

يسعى كثير من ذوى العقول المستنيرة بعد أن أفاقت من غفلتها وبعد أن عرفت اخفاق مذهب استقلال العقل بالمعرفة — يسعى لتعرف طريق الهداية وان مذهب الحدس الذى يتهافتون عليه خلف حامل لوائه المسيو برجسون الشهير هو عبارة عن رد فعل واضح لمذهب استقلال العقل بالمعرفة أووهو الاصح ردفعل لعجز هذا المذهب فقد جدد هذا المفكر في قلوب الناس النهمين في الايمان آمالا كان يظهر انها ضاعت ضياعا نهائيا فهو يأذن لهم بأن يأملوا في خلود الروح ويقول لهم ان الدنيا ليست مشتبكا عظيما لقوى عمياء وان العقل ليس هو الطريقة الوحيدة للمعرفة .

ومع تأكيد هذا الحكيم الشهير كل هذه الامور لم يزد على أن بعث أفكارا كانت

---

(١) بواتييه مدينة فى فرنسة كان قد بلغ اليها الفتح الاسلامى فى عهد الاندلسيين .

قد هجرت فابرزها بطريقة يسهل بها فهمها واختار لها الوقت الذى يساعدها على أن تهيء عناصر دين جديد يشعر كثير من الناس بانهم في حاجة اليه .

(انظر كتاب حياة الحقائق لجوستاف لوبون) وحركة كهذه لاتقاوم خصوصا بعد فتن سفكت فيها دماء كثيرة فستشهد اذن مجهود الديانات القديمة والحديثة وهى تسعى لاحتكار هذه الحركة لفائدتها ولكن مذهب استقلال العقل بالمعرفة حتى في حال انهزامه لن يكون أقل ثمارا وسيقيم عقبة كاداء بين العقل وبين العقائد التى تتصادم معه تصادما عنيفا ثم انه ينبغى من جهة أخرى أن لايعزب عن الذهن ماللارواح من ضروب التطلع الى العالم الروحانى فانها أساس كل دين .... [1]

وحينئذ يكون الاسلام اذا تجرد من الزبد الذى طغى عليه خلال جريانه قد توافرت فيه شروط ذلك الدين الحنيف الذى يتوقون اليه . وقد نشأت جماعات صغيرة من الأوربيين الداخلين في الاسلام في انجلترة وأمريكة احداها وهى التى يديرها المستر كويلم تقيم من عدة سنين في ليفربول واشتهرت بهذا الامر وهو أن معظم من دخلو الاسلام فيها من النساء ، وقد كان لاسلام عضو من المجلس الاعلى في انجلترة وهو اللورد هدلى الذى تبعه في الاسلام بعض أعيان لوندرة وقع في النفوس وتنشر الجماعة الاسلامية التى أسسها هذا الرجل العالى القدر مجلة شهرية تدعى(المجلة الاسلامية) نقتبس لك منها هذه العبارة ذات المغزى : « لماذا صار بعض الانكليز وغيرهم من الاوربيين مسلمين ؟ »

«ذلك لانهم أولا كانوا يتلمسون عقيدة سهلة معقولة عملية في جوهرها لاننا معاشر الانجليز نتبجح — باننا اكثر أهل الارض تشبثا بالعمل ـ عقيدة تكون ملائمة لاحوال جميع الشعوب وعاداتهم واعمالهم ، عقيدة دينية صحيحة يقف بها المخلوق أمام الخالق بدون أن يكون بينهما وسيط (شلد راك) »

هذا هوالذى وجدته هذه العقول العملية فيالاسلام الذى لاحاجة له بالقسوس لخلوه من الاسرار وعبادة القديسين وقد يستغنى عند الضرورة عن الهياكل والمعابد

---

(١) وهنا ذكر المؤلفان كلاما عن المذهب البروتستنتى لانرى الحاجة رأيهما فيه

فاذا كان الله يملأ العالم وجوده أفلا تكون الارض مسجدا عظيما له ؟

وفوق ذلك قد يجد بعض أهل مذهب الاعتقاد بالله دون غيره من العصريين الذين هم في الجملة متحيرون في التعبير عما يخالج نفوسهم من التطلع ـ قد يجدون في الاسلام المذهب النقى للاعتقاد بالله فيجدون فيه أبدع أعمال العبادة واسمى مايمكن أن يتخيله مِفَنٌّ[1] من الفاظ الدعاء ثم نزيدك شاهدا آخر وهو قول شرفيس :

(الاسلام يحقق أبلغ معنى لفضيلة الايثار على النفس باقل بحث فيها من الوجهة النظرية). وقد حصل في فرنسة وفي بلاد أخرى من أوربة وأفريقية وآسية دخول أشخاص في الاسلام فرادى وربما كان ذلك مصداقا لهذا الحديث النبوى الذى معناه « قد يؤيد الله هذا الدين بالغرباء منه »[2]

ومن مميزات الاسلام الاصلية أنه ملائم لجميع الاجناس البشرية فلم يكن من ضمن اتباع محمد الاولين العرب الذين هم اكثر القبائل اختلافا وحدهم بل كان بعضهم من الفرس كسلمان الفارسى وبعضهم من النصارى كورقة[3] وبعضهم من الاحباش كبلال وبعضهم من اليهود كمخيريق وعبد الله بن سلام وغيرهم وجاء في القرآن (وما ارسلنك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا (السورة ٣٤ الآية ٢٧)

فدين محمد قد اكد اذن من الساعة الاولى لظهوره وفي حياة النبى أنه دين عام فاذا كان صالحا لكل جنس كان صالحا بالضرورة لكل عقل ولكل درجة من درجات الحضارة وهو على مافيه من البساطة المتناهية بالنظر لمذهب المعتزلة والتشدد بالنظر لمذهب الصوفية يؤدى للعالم الأوربى من غير أن يعوق حرية فكره المطلقة كما يؤدى للزنجى السودانى الذى ينتشله من عبادة الاوثان الباطلة هداية وتأييدا .

وهو يرفع نفس التاجر الانكليزى الذى يرى حياته في العمل ويعتبر الوقت من ذهب بمقدار مايرفع نفس الحكيم المتصوف والشرقى المتأمل في بدائع الصنع كما يرفع

---

(١) المفن من يأتى بالعجائب

(٢) لايعرف حديث بهذا المعنى بل الاسلام صلة ولحمة بين جميع المسلمين مهما اختلفت أجناسهم وتباعدت اوطانهم (انما المؤمنون اخوة)

(٣) ورقة لم يدرك عهد الرسالة وان ادرك اول وحى النبوة

نفس الغربي المأخوذ بسحر الفن والخيال بل هو يفتن الطبيب العصري أيضا بما فيه من الطهارات المتكررة وتناسق الركوع والسجود اللذين هما ليسا في افادتهما الجسم نماء باقل من افادتهما النفس صحة وسلامة .

فليس من الجرأة اذن أن نظن أنه اذا هدأت الزوبعة المروعة القائمة ضد الاسلام وضمن هو الاحترام لكل الشعوب والديانات أنه سيرى مستقبلا حاشدا باعظم الآمال واعلاها شأنا .

ولدخوله في الحضارة الأوربية بفضل اشتراكه العظيم في الحوادث التى تقلبها ظهرا على عقب سيظهر في نهاية الامر بسناه الحقيق وستتنافس الامم المختلفة في تلمس محالفته لانهم يكونون قد خبروا قيمته وعرفوا ما يستكن فيه من وسائل القوة التى لانفاد لها.

واذا نهض اتباع محمد من سباتهم الوقتي تبوءوا مكانهم السنى في العالم ان شاء الله.

(عَسَى اللّٰهُ اَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللّٰهُ قَدِيرٌ وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

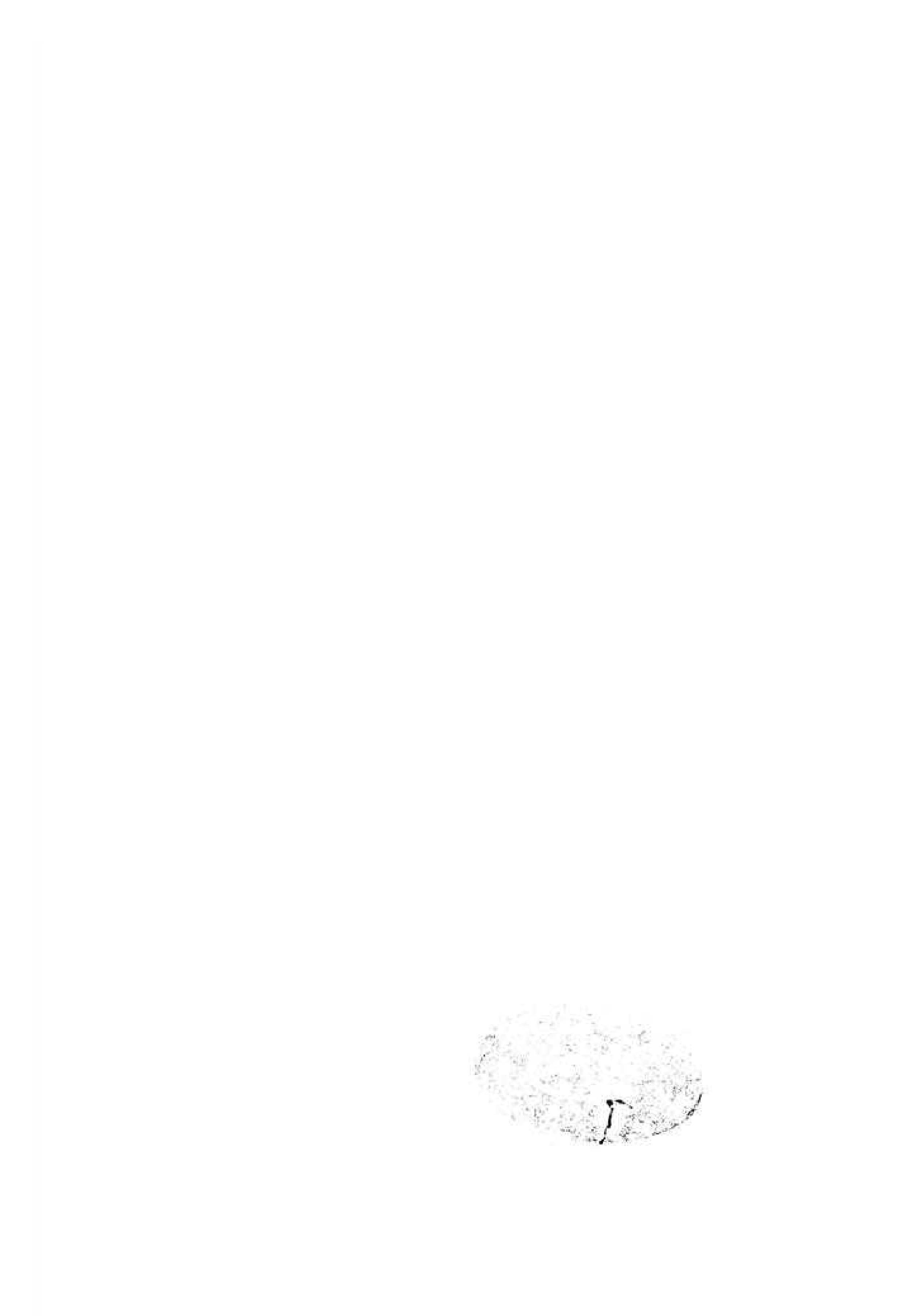
فرغ من تأليف هذا الكتاب في بلدة «بو سعادة» لسبعة وعشرين يوما خلت من شهر رمضان سنة ١٣٣٤ هجرية (٢٨ يوليه سنة ١٩١٦) مسيحية اللهم اغفر لمؤلفيه وسامحهما في جرأتهما الطائشة التى دفعتهما رغبة في الخير الى مباشرة التأليف في موضوع واسع كهذا على قلة معلوماتهما واغفر لهما ياعليم ماعسى أن يكونا وقعا فيه عن جهالة من الاغلاط في سيرة كسيرة رسولك مولانا محمد خاتم النبيين صلوات الله وبركاته عليه وعلى آله وصحبه آمين ، أتيين دينيه : سليمان ابراهيم

عبد العزيز محمد

نرجو من القارىء الكريم تصحيح هذا الخطأ المطبعي

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٨٤	٥	وقوم	وتقوم
٨٤	٦	له به بالدين	له بالدين
٨٩	١١	زكاء	زكاة
٩٨	١٩	جوستا فلبون	جوستاف لو بون
٩٩	٢٣	اشعاعا	شعاعا
١٠٠	١٩	تربوا	ترتبوا
١٠٣	٤	الاكثرذرات	الاكترونات
١٠٣	١٥	نظرياتم	نظرياتهم
١٠٣	١٥	ان ثم	ان تم
١٠٧	٥	من أجهل	من اجهل الجهل
١٠٧	٢٢	آبائنا	أباءنا
١٠٨	١٥	ويتوسم	ويترسم
١١١	٤	التففى	التفصى
١١١	٧	النبى	للنبى
١٢٣	١٨	وفقهم	وفقههم
١٢٩	١٧	اذا	اذ
١٣٢	٥	المعينان	المعنيان
١٣٣	١١	مثبوتة	مبثوثة
١٣٣	١٥	ولكن سياق	ولكن لما كان سياق
١٣٥	٥	العلم كله على ما فيه	العالم كله عن قدرة واحدة على ما فيه
١٣٨	١٨	روح	ردح
١٤٣	١٢	اذ لو تغير تغير عما كان عليه الوحى	اذ لو تغير عما كان عليه زمن الوحى

تنبيه : وقع فى ترقيم الملزمتين الاولى والثانية من هذا الجزء خطأ مطبعى حيث لم يوضع فيهما متسلسلا مع الجزء الأول فنرجو ملاحظة ذلك



العدد الثالث — المجلد الاول ربيع الأول سنة ١٣٤٩

قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ •

نور الإسلام

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها مشيخة الأزهر الشريف

أول كل شهر عربي

مدير ادارة المجلة :  المستشار بمحكمة الاستئناف سابقاً ومن أعضاء مجلس الازهر الأعلى

رئيس التحرير : السيد محمد الخضر حسين من علماء الازهر

مكتب المجلة بالادارة العامة للمعاهد الدينية بشارع فهمى رقم ١٩

« تليفون : بستان ٣٥٠٧ »

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

قيمة الاشتراك السنوى

	قرش
داخل القطر المصرى	٤٠
لطلبة المعاهد والمدارس	٢٠
خارج القطر المصرى	٥٠
لطلبة المعاهد والمدارس	٣٠

يعامل أئمة المساجد والمأذونون ومعلمو المدارس الأولية معاملة الطلاب .

وثمن الجزء الواحد ٣ صاغ داخل القطر و ٤ خارجه

بسم الله الرحمن الرحيم

العلماء والاصلاح

نود من صميم قلوبنا أن تكون نهضتنا المدنية راسخة البناء رائعة الطلاء محمودة العاقبة، ولا يرسخ بناؤها ويروع طلاؤها وتحمد عاقبتها الاأن تكون موصولة بنُظُم الدين مصبوغة بآدابه والوسيلة الى أن يجرى فيها روح من الدين يجعلها رشيدة في وجهتها ، بالغة غايتها ، أن يزداد الذين درسوا علوم الشريعة عناية بالقيام على ما استحفظوا من هداية ، فلا يذروا شيئا يشعرون بانه موكول الى أمانتهم الا أحسنوا أداءه.

ينظر أهل العلم في حال الناس من جهة ما يتقربون به الى الخالق ، ويزنون أعمالهم ليميزوا البدعة من السنة،ويرشدوهم الى أن يعملوا صالحا،ومن الذى لايدرك أن البدع تقف كقطع من الليل المظلم فتغطى جانبا من محاسن الشريعة الغراء ، وهى بعد هذا ضلالات تهوى بأصحابها في ندامة وخسران .

ينظرون فيأحوال الناس منجهة مايدور بينهم من المزاعم الباطلة والأحاديث المصنوعة ، وينفون خبثها نفى النار لخبث الحديد ، يفعلون هذا ليكون الناشىء المسلم نقى الفكر صافي البصيرة ، لايحمل في نفسه الا عقائد خالصة وحقائق ناصعة .

ينظرون في أحوال الناس من جهة ما يجرى بينهم من المعاملات ، فيصلحون ماكان فاسدا ويصلون ماكان متقطعا ، وما شاعت المعاملات التى نهى عنها الدين في غير هوادة كالربا والميسر الا حيث قلّ من يعظ الناس في ارتكابها ويبسط القول في شؤم عاقبتها .

ينظرون في أحوال الناس من جهة مايمسهم من السراء والضراء ، ويسعون مااستطاعوا في كشف الضر عنهم ولو بعرض حالهم على أولى الشأن واثارة دواعيهم الى أن يعالجوا العسر حتى ينقلب بفضل تدبيرهم يسرا ، يحدثنا الكاتبون في تاريخ

الاندلس أن العلماء المقيمين في ضواحى قرطبة كانوا يأتون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة ويطالعونه بأحوال بلدهم، وقال أحد علمائهم.

وأتعب ان لم يمنح الناس راحة   وغيرى ان لم يتعب الناس يتعب

ينظر أهل العلم بعين الاحتراس الى كل من يدعو الى مذهب باسم الدين. ويتخذون الوسائل الى الاطلاع على حقيقة قصده، ومن أسباب وهن حبل الاسلام وتقطع أوصاله مذاهب يبتدعها ملاحدة يمكرون، أو جهال لايفقهون، أفلم يكن المذهب البهائى يعمل لهدم قواعد الاسلام واستهواء أبنائه من خلف ستار، وقد أحس بعض اتباعه اليوم بقوة فصاروا يخطبون على منابر بعض النوادى ويجهرون بشىء من مزاعمه، وعرف بعض خصوم الاسلام قصدهم فقاموا يشدون أزرهم ويرددون الثناء على مذهبهم.

نحن نعلم أن في كل أمة فئة يفتحون صدورهم لقبول كل دعوة توافق أهواءهم أو تأتيهم في طلاء يلائم أذواقهم، ولكن نهوض العلماء بعزم وحكمة ان لم يسحق آراء زعماء هذه الفئة سحقا، فانه يكشف عما فيها من سوء، فلا يسكن اليها الا من هم الى الحيوان الاعجم أقرب منهم الى الانسان.

يرقب أهل العلم كل حركة تقوم بها جماعة من الامة، فينقدونها بالنظر الخالص، ويصدعون فيها بآرائهم مدعومة بالادلة المقنعة، ولا تعد هذه المراقبة وهذا النقد خارجين عن خطة العالم الاسلامى، بل هما واجبان في عنقه كواجب التعليم والافتاء، واذا قص علينا التاريخ أن فريقا من أهل العلم قضوا حياتهم في بحث المسائل العلمية البحتة، فقد قص علينا أن أمة من عظمائهم كانوا ينظرون في الشؤون العامة ويمثلون السيرة التى تكسو صاحبها جلالة وترفع له بين الخلائق ذكرا.

كان أهل العلم يوجهون هممهم الى الوسائل التى تقى الامة ممن يبغونها الاذى، فهذا ابو بكر بن العربى قاضى أشبيلية رأى ناحية من سور أشبيلية محتاجة الى اصلاح ولم يكن في الخزانة مال موفر يقوم بسدادها، ففرض على الناس جلود ضحاياهم وكان ذلك في عيد أضحى فأحضروها وصرفت أثمانها في إصلاح تلك الناحية المتهدمة،

وكان محمد بن عبد الله بن يحيى الليثى قاضى قرطبة كثيرا ما كان يخرج الى الثغور ويتصرف في اصلاح ما وهى منها حتى مات في بعض الحصون المجاورة لطليطلة .

وظهور العلماء في أمثال هذه المواقف يغرس لهم في نفوس الامة ودا واحتراما، ويورثهم في رأى أولى الامر مقاما كريما ، أفلا نذكر أيام كان أمراء الاسلام يعرفون في طائفة من العلماء رجاحة الرأى وصراحة العزم وخلوص السريرة فيلقون اليهم بقيادة الجيوش فيكُفُّون بأس اعدائهم الاشداء ، وما كان أسد بن الفرات قائد الجيش الذى فتح صقلية الا أحد الفقهاء الذين أخذوا عن مالك بالمدينة ومحمد بن الحسن فى بغداد وعبد الرحمن بن القاسم في القاهرة.

ينظر أهل العلم الى ماغرق فيه بعض شباننا من التشبه بالمخالفين وتقليدهم في عادات لاتغنى من الرق شيئا ، وقد يرى بعضهم انحطاط كثير من ابنائنا في هذا التشبه والتقليد، فيعده قضاء مبرما، ويملكه خاطر اليأس حتى ينتكث من التعرض للشؤون العامة ومعالجتها ، ولكن الذى يعرف علة هذا التسرع ويكون قد قرأ التاريخ ليعتبر، يرى الامر أهون من أن يصل بالنفوس الى التردد في نجاح الدعوة . بله اليأس من نجاحها .

وأذكر بهذا أن كاتبا كتب في احدى المجلات مقالا تحت عنوان «وحدة العالم» يدعو فيه الى مسايرة أوربة في السفور ونحوه، وقال في علة الدعوة الى هذه المسايرة : ليخرج الشرق والغرب في مدنية واحدة ، وأشار على دعاة الاصلاح في الشرق بان لايقفو في سبيل هذه المدنية زاعما انهم لايستطيعون مقاومتها ، ولا يزيدون على أن يجعلوا سيرها بطيئا ، ورغب اليهم أن يحثوا الناس على المسارعة الى قبولها .

والذين ينظرون الى مدنية أوربة باعتبار، يبصرون فيها على البداهة مالا يرتضيه العقل ولا يقبله الشرع ، واختلاف الامم بالحق خير من اتحادها على باطل ، ولا يفوت الحكمة أن تجد نفوسا مهذبة وعقولا سليمة فتقبلها ، فحقيق على العلماء أن يتبسموا لهذا الرأى تبسم الازدراء ولا يقيموا لمثله وزنا الا أن يكشفوا سريرته ويعرضوا على الانظار سوء مغبته ، والعالم بحق من يتدرع بالايمان البالغ والثقة بما

وعد الله به الداعى الى الحق من الظهور على أشياع الباطل وان أوتوا زخرفا من القول وسعة من المال وكانوا أكثر قبيلا .

لاينبغى لاهل العلم أن يغفلوا عن سيرأرباب المناصب والولايات ، فمن واجبهم أن يكونوا على بينة من أمرهم ، حتى اذا أبصروا عوجا نصحوا لهم بان يستقيموا ، أو رأوا حقا مهملا لفتوا اليه أنظارهم وأعانوهم على اقامته . أمر السلطان سليم بقتل مائة وخمسين رجلا من حفاظ الخزائن، فبلغ هذا النبأ الاستاذ علاء الدين الجمالى وكان متوليا أمر الفتوى فذهب الى السلطان وقال له: وظيفة أرباب الفتوى أن يحافظوا على آخرة السلطان، وهؤلاء الرجال لايجوز قتلهم شرعا، فعليك بالعفو عنهم، فغضب السلطان سليم ، وقال له : انك تتعرض لأمر السلطنة وليس ذلك من وظيفتك ، فقال الاستاذ علاء الدين : لا : بل أتعرض لأمر آخرتك ، وانه من وظيفتى ، فان عفوت فلك النجاة ، والا فعليك عقاب عظيم ، فانكسرت سورة غضب السلطان وعفا عن الجميع . ومتى كان في ولاة الامور شيء من العدل ، وكان في الداعى الى الاصلاح حكمة واخلاص ، نجحت الدعوة في سعيها ، وبلغت بتأييد الله مأربها .

يكون العالم رفيقا في خطابه لينا في ارشاده ، أما اذا أراده ذو قوة على أن يقول ماليس بحق أو يأتى ماليس بمصلحة، أخذ بالتى هى أرضى للخالق، وكان مثالاللاستقامة صالحا . أذكر أن احمد بن طولون دعا القاضى بكار بن قتيبة الى خلع الموفق من ولاية العهد فأبى ، فحبسه وكرر عليه القول فأصر على الاباءة ، وبقى في السجن حتى ثقل ابن طولون في مرض الوفاة ، فبعث الى القاضى بكار يقول له : أردك الى منزلتك أو أحسن منها ، فقال بكار للرسول قل له : شيخ فان ، والملتقى قريب ، والقاضى الله عز وجل ، فابلغ الرسول ابن طولون ذلك فاطرق ساعة ثم قال شيخ فان ، والملتقى قريب ، والقاضى الله عز وجل ، وأمر بنقله من السجن الى دار اكتريت له .

وانما يقوم العالم باسداء النصحية الى ذى قوة أو لايوافقه فيما يخدش أمانته وتقواه ، متى قدر مقامه العلمى قدره وكان شأن العلم أسمى في نظره من كل شأن ، وهذا الشعور هو الذى يهيؤه بعد داعية الغيرة لان يجاهد في سبيل الحق

مستهينا بكل مايعترضه من أذى .

ومن أدب العلماء أن ينصحوا للأمة فيما يقولون أو يفعلون ، ويحتملوا ماينالهم في سبيل النصيحة من مكروه ، وكم من عالم قام في وجه الباطل فأوذي فتجلد للاذى ، وأجاب داعي التقوى متأسيا بقوله صلى الله عليه وسلم (اللهم اغفر لقومي فانهم لايعلمون)وممن جرى على هذا الخلق المتين أبو بكر بن العربي يوم كان قاضيا باشبيلية، قال في كتاب القواصم والعواصم «حكمت بين الناس فالزمتهم الصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لم يك يرى في الارض منكر ، واشتد الخطب على أهل الغصب ، وعظم على الفسقة الكرب ، فتألبوا وألبوا ، وثاروا على فاستسلمت لامر الله وأمرت كل من حولي الا يدفعوا عن داري ، وخرجت على السطوح بنفسي ، فعاثوا على حتى أمسيت سليب الدار ، ولولا ماسبق من حسن الاقدار ، لكنت قتيل الدار» يعني بقتيل الدار عثمان رضي الله عنه .

ولا يستحق لقب عالم أو مصلح ذلك الذي يدعو الناس الى العمل الصالح ويقبض عنه يده ، أو ينهاهم عن العمل السيء ولا يصرف عنه وجهه ، فمن أدب العلماء أن يسابقوا الامة الى اجتناب ما يؤاخذ به ، وعمل مايحمد عليه ، كان ينفقوا في وجوه البر والمشروعات الصالحات ما ينفقه أمثالهم من المكثرين أو المقلين ، فان ذلك أدل على اخلاصهم وأدعى الى توقيرهم وقبول نصائحهم .

واذا كان العدد القليل فيما سلف يكفي لحراسة الدين وارشاد من ينحرف عنه حتى يعود اليه ، فلأن سلطان الاسلام يومئذ غالب، وصوت الجهل عليه خافت، أما اليوم فالحال ماترون وما تسمعون، فلا يمكن للدعوى أن تأتي بفائدتها الا أن تضم المعاهد الاسلامية بين جدرانها طوائف كثيرة من أولي الغيرة والعزم . يصرفون جهدهم في الدفاع عن الدين والدعوة الى الخير ويعيدون الدعوة مرة بعد أخرى .

وستنبت المعاهد الاسلامية ان شاءالله كثيرا من العلماء القوامين على نحو ماوصفناه ولا سيما حين يأخذ التعليم بالازهر الشريف نظامه الاسمى ويجرى مثل هذا النظام في غيره من المعاهد الاسلامية كجامع الزيتونة في تونس، وجامع القرويين في فاس، ويقوى

الامل في أن تؤتى هذه المعاهد الثمرة الغزيرة الطيبة متى نظر اليها أولو الامر برعاية، وعاملوا النشء المتخرجين منها بما يدل على أنهم يحترمون الشريعة ويقدرون ماتبثه في الامة من رشد واصلاح . محمد الخضر حسين

الطُرف والمُلح

لما تُوُفِّيَ عبد الله بنُ طاهر . صلى عليه ابنُه طاهر بن عبد الله . ودفنه واعتق عند كل زاوية من زوايا قبره : رقبة من غلمانه — وفعل ذلك اخوته . ودفع كل رجل منهم الى كل غلام خمسمائة درهم — وكان عبد الله بن طاهر قد خلّف أربعين ولداً ذكراً . فقال أبو العَمَيْثَل الأعرابيُّ الشاعر . لِمُصْعَب بن عبدالله . وكان ابو العميثل يختص بطاهر وينادمه : أَلاَ أَدلُّك على شيء تفعله فتتقدم به سائرَ اخوتك عند الامير طاهر ؟ قال بلى . فانشده هذه الأبيات . وقال اكتب بها الى الأمير .

يامن يحاول أن تكون خلالُه … لخلال عبد الله أنصِتْ واسمعِ
فلأَقصدنَّك بالنصيحة والذى (١) … حجَّ الحجيجُ اليه فاقبلْ أَوْدَعِ
ان كنتَ تطمع أن تحُلَّ مَحَلَّه … فى المجد والشرف الأَتَمِّ الأَرفعِ
فاصدُق وعفَّ وبَرَّ وانصر واحتمل … واحلُم ودار وكافِ واصبر واخشعِ
والطُفْ ولِنْ وتأنَّ وارفُق واتَّئد … واحزُم وجِدَّ وحامِ واجمِل وادفعِ
هـذا الطريق الى المكارم مَهْيَعاً (٢) … فاْبصِرْ فقد أَسْلَكْتَ قَصْدَ المَهْيَعِ (٣)

فاستحسن طاهرٌ الأبياتَ وقال : والله لقد أفَدْتَنى بما يجب به شكرُكَ علىّ . فقلده نيْسابور وأعمالَها ثلاث سنين وأكسبَه الفَ الفِ درهم .

قال أبو الحسن على بن هذيل : وقد جمعتْ هذه الأبياتُ خِلالَ المكارم. وموجباتِ السُّودَدِ . وتفاريقَ المرُوءة .

---

(١) أى وحق الله الذى الخ (٢) طريقا بينا واضحا (٣) المهيع القاصد المستقيم



تفسير قصة شعيب عليه السلام

٢

بسم الله الرحمن الرحيم

قد بينا في المقال السابق معنى العبادة كما بينا انها واجبة على العبد في جميع الأحوال. سواء في ذلك حقوق الله تعالى وحقوق العبد على نفسه وحقوق غيره عليه .

ولما كان أهل مدين قد اعتادوا نقص المكيال والميزان ، ومرنوا على بخس الناس أشياءهم ، ومردوا على العثيان في الأرض مفسدين ، خص عليه السلام نهيهم عن ذلك بالذكر بعد شمول الأمر بالعبادة له — وهكذا كانت عادة الأنبياء عليهم السلام اذا رأوا قومهم مقبلين على نوع من أنواع المفاسد اقبالا أشد من اقبالهم على سائر أنواعها بدءوا بمنعهم من ذلك النوع لكثرة شره وعموم ضرره .

فكأنه عليه السلام قال لهم : اعبدوا الله لأنه لا اله لكم غيره ، فراقبوه في جميع شؤونكم ، ولا تعصوا أوامره ، ولا تتخطوا نواهيه ، ولا سيما ما أغرمتم به وشغفتم . من نقص المكيال والميزان ، وبخس الناس أشياءهم ، والعثي (١) في الأرض مفسدين .

ثم ان نقص المكيال والميزان ، هو جعل هاتين الآلتين بمقدار أقل من المقدار الذي تواضع عليه الناس ، فاذا كالوا للناس كالوا لهم بهما ، متوسلين بنقصهما الى الزيادة في أرباحهم وأموالهم وان عاد ذلك بالغبن والنقص على غيرهم .

وعلى هذا يكون المنهيون عن نقص المكيال والميزان هم الموفون كالبائعين مثلا . وسيأتي الكلام في نقص المستوفين لهما كالمشترين مثلا في تفسير قوله تعالى : (وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) .

---

(١) عثي في الارض يعثى عثيا وعثيا وعثيانا أفسد فيها أشد الافساد وأقبحه .

ولما كان النهى انما يُمتثل فى الغالب اذا قُرِن بالسبب الذى اقتضاه اردف عليه السلام ذلك النهىَ بسببين : بيّن لهم بالأول خطأهم فيما قصدوه من نقص المكيال والميزان فذكّرهم بما هم فيه من الخير الذى يتقلبون فيه من الصحة والعافية والأمن والثروة وسَعة العيش وطيب الحياة والخصب وكثرة النسل الى غير ذلك مما يتناوله الخير الذى هو كل ما يرغبه النّاس جميعاً فى كلّ حال .

فاذا كان هؤلاء القوم مغمورين فى هذه النعم الكثيرة الغزيرة لزمهم أن يستغنوا بها عن ارتكاب هذه الرذيلة ، رذيلة غبن الناس بنقص المكيال والميزان ، كما يجب عليهم أيضاً أن يشكروا الله الذى أنعم عليهم بها، فيؤدوا حقها من التسامح فيها والتفضل على المحتاجين والمُعْوِزين .

ثم بيّن لهم بالسبب الثانى سوء العاقبة اذا استمروا عاكفين على ما هم فيه من سوء معاملة الخلق ، وكفران نعمة الخالق .

حذرهم شر ذلك اليوم العصيب الذى لا ينفعهم فيه مال ولا بنون ، ولا شفيع ولا ولىّ حميم ، وما هو منهم ببعيد — ولكنه تحذير ممزوج بشفقته عليهم وتقرُّبه اليهم ، ورجائه أن يزدجروا ويُقلعوا عما هم فيه ، ويقبلوا وعظه واخلاصه لهم .

ألا تراه عليه السلام يقول لهم : (إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ) ،وأنت تعلم انالخائف على غيره انما هو من يحب لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لها .

كذلك تعبيره عليه السلام لهم بخوفه عليهم يشعر بأنه لم يكن على يقين بانهم سيصرون على طغيانهم حتى يحيط بهم ذلك اليوم لا مَحالةَ ، بل كان يرجو أن وعظه لهم وتذكيرهم بنعم الله عليهم ، مع علمهم من قبلُ بانه من أخوتهم ، ومع معرفتهم بخلاله الكريمة وسيرته الحسنة ، كل ذلك كان يُطمِعُه أنهم سيفيقون من غفلتهم ، ويخلُصون من غَمْرتهم ، ولكن (إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ) .

من هذا يتضح لك أنه عليه السلام ، لم يَألُ جُهداً فى التحبب اليهم ، وفى اثبات صحة ما يدعوهم اليه ، وفى ترغيبهم فى الأيمان به والعمل على مقتضاه .

كذلك لم يأل جهـدا فى زجرهم عما وقعوا فيه وتخويفهم من سوء عواقبه وتحزيرهم من العناد والاصرار على عكوفهم عليه .

الم تر أنه عليـه السلام ، قد وصف لهم ذلك اليوم بانه محيط بهم ، كما يحيط العدو الـكثير العَدَدِ والعُدَدِ بعـدوه الذى لايدانيه مَنَعَةً ولا عُدَّةً ولاعددا ـــ فهـل تظن أن تثبت اقدامهم امام هذا العدو المحيط بهم ، أم هل يفلت منهم أحد، أم (هَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ؟) .

على أن التخويف من سوء العاقبة وشر المصير لم يقف عند هذا الحد، بل أنه تجاوزه الى ماهو ادهى وأمرّ : ذلك أن الذى سيحيط بهم ويبـاشرهم أثرُه هو العـذاب الواقع ، الذى ليس له من دافع ـــ ومن الواضح أن هذا العذاب سيحصل فى زمان يحيط به ويشتمل عليه ، فيكون القوم حينئذ محصورين فى داخل محيطين منيعين ، هما العذاب وزمانه ـــ ولا ريب أن واحدا منهما لايمكن تسوّره ، ولا يستطاع اختراقه ، ولا يُقبَلُ فيه عَدْل . ولاتنفع فيه شفاعة .

فهل يفلتُ أحد من أهـل مدين اذا جاءهم بأسُ الله بياتاً وهم نائمون ، أو اذا أتاهم ضُحاً وهم يلعبون ؟ بلى (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ . مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ) .

بقى أن هـذا اليوم المحيط قد ذكر فى الآية الـكريمة مطلقا لم يقيـد بوصف يعيّنه ويبين أىُّ يومٍ هو ؟ ـــ فوجب اذاً أن يَبْقَى على اطلاقه ليصلُحَ لأىّ يوم من أيام الله التى يُنْزِلُ فيها عقابَه على من استحقوه سواء اكان ذلك اليوم من أيام الدنيا أم من أيام الآخرة .

هذا اليوم الذى خوّفهم عليـه السلام بانه سيحيط بهم فى الدنيا هو ذلك اليوم الذى ذكره الله تعالى فى آية اخرى بقوله : (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ . إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) .

واما الذى سيحيط بهم فى الآخرة فهو اليوم الذى يقول الله تعالى فيه لهم ولاشياعهم: (هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ . فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ . وَيْلٌ

يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ . هَـٰذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)

ثم انه عليه السلام بعد أن بين لهم ما حرمه ربهم عليهم ـ وهو نقص آلتى الكيل والوزن ـ بين لهم ما أوجبه عليهم فقال مذكرا لهم برابطة أُخُوَّة النسب ، تليينا لقلوبهم وكسراً لشكيمتهم ، وترغيباً فى الاستماع اليه: (وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ) .

أمرهم أن يُوفُوهما بالعدل ، فيجعلوهما على القدر الذى جرى عليه العرف بين الناس ـ وايفاؤهما يعمّ عدمَ نقصهما . وقد تقدم النهى عنه صريحاً فى قوله : (وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ) فيكون اعادته مرة ثانية فى ضمن الايفاء توكيدا وتقريراً له كما هو الشأن فى الأمر بالشىء بعد النهى عن ضده. وفى النهى عنه بعد الأمر بضده . ومنه قوله تعالى:(وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَالَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ)—وقد جاء الاستعمالان معا فى قوله تعالى: (فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَاتِ اللهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ . وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهاً ءَاخَرَ) .

كَمَا يعمُّ ايفاؤهما عدمَ نقصهما كما عرفت ، كذلك يعمُّ عدمَ زيادتهما على القدر المصطلح عليه فيهما — فالذى يفهم حينئذ من نهيه عليه السلام لهم عن نقص آلتى الكيل والوزن ، ثم أمْرِه لهم بايفائهما . أن القوم كانوا قد اتخذوا لانفسهم مكاييل وموازين متفاوتةً بعضُها ناقص وبعضُها زائد — ومن البيّن أن الناقص منها انما كانوا يستعملونه فى الكيل أو الوزن لغيرهم . وان الزائد انما اتخذوه ليتزنوا به أو يكتالوا لانفسهم من غيرهم .

هذا : ولا يخفى عليك أن وجوب ايفاء آلتى الكيل والوزن بالقسط والعدل بدون نقص ولا زيادة فيهما لا ينافى أن زيادة المُوفِى كالبائع مثلا فى الكيل والوزن أنفسهما أمر مندوب اليه ، لأنها من قبيل التفضل ومكارم الأخلاق. والبِرّ بالمستوفِين كالمشترى مثلا .

فجملة ما بلّغهم عليه السلام من الاحكام، ورغّبهم فى العمل به ، ورهّبهم من مخالفته ، حكان : تحريم نقص المكيال والميزان ، ووجوب ايفائهما بالقسط .

ثم أنه عليه السلام بعد أن نهاهم وأمرهم نهيا وأمرا خاصين بالنقص والأيفاء نهاهم نهيا عاما ينتظم سائرَ أنواعِ ظلم الناس والتعدى على حقوقهم فقال : (وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ) ، أى لا تنقصوهم حقوقهم ، ولا تسلبوهموها باى نوع من أنواع التعدى ، كالنصب والسرقة وأخذ الرشوة وقطع الطريق وانتزاع الأموال بأى أسلوب من أساليب التغرير والاحتيال .

فيدخل حينئذ فى عموم تحريم البخس بأى وجه من وجوه التغرير والاحتيال ما يفعله المُوفُون كالبائعين ، والمستوفون كالمشترين من بخس ذات المكيل والموزون ، مع كون آلتى الكيل والوزن وافيتين غير ناقصتين (١) .

وتوضيح ذلك : أن النقص فى المكيل والموزون تارة يكون فى الأيفاء ، ومرتكبه هو المُوفى كالبائع مثلا : فيحتال لذلك بوضع شىء فى المكيال ، أو بالصاق شىء ثقيل فى كفّة الموزون ، ويكون الغبن فى هذه الحالة لاحقا بالمستوفى كالمشترى مثلا — وتارة يكون فى الاستيفاء ، ومرتكبه هو المستوفى كالمشترى: فيتحيل لذلك بتحريك المكيال أو كبس المكيل ، أو بتثقيل كِفّة الصَّنْجة — وحينئذ يظهر فى رأى العين نقصُ المكيل والموزون — ويكون الغبن فى هذه الحالة عائدا على المُوفى كالبائع مثلا ، وفى كلتا الحالتين قد لزم نقص حق صاحب الحق .

ثم ان هاتين الحالتين هما المذكورتان فى قول الله تعالى : (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الّذينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ) .

ثم انه عليه السلام أَتْبَعَ هذا النهىَ العام، وهو نهيهم عن بخس الناس أشياءهم، بنهى أعمّ ، وهو نهيهم عن العَثَيَانِ فى الأرض مفسدين .

هذا : ثم اسْتَمِعْ أوّلا أن نهيك فلانًا عن شىء لا يستلزم أن فلانًا هذا قد تلبس بهذا الشىء وباشره بالفعل . بل كما يجوز أن يكون قد باشره ، يجوز أنه لم يكن باشره ، وانما

(١) بهذا أن هذا غير مكرر مع ما سبق . لان ما هنا فى المكيل والموزون . وما هناك فى قلم المكيال والميزان .

قصدت من نهيك اياه أن تباعد بينه وبين الوقوع فيه بالفعل .

مثال الأول . قول علماء بنى اسرائيل لقارون . (وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِى الأَرْضِ) فان قارون كان قد بغى بالفعل كما قال الله تعالى: (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ) - ومثال الثانى قول لقمان لابنه وهو يعظه : (يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللهِ) فان ابنه كان مؤمنا موحدا . ولم يقصد لقمان الا حثه على الاستمرار على التوحيد ، وتحذيره من الوقوع فى الشرك .

فلما كان شأن النهى كما سمعت كان قول سيدنا شعيب عليه السلام لقومه : (وَلاَ تَعْثَوْا فِى الأَرْضِ) ليس نصا فى أنهم قد تلبسوا بالعثيان بالفعل ، مع أن الواقع أنهم قد ارتكبوه وأمعنوا فيه وعكفوا عليه فعلا .

لهذا أتبع عليه السلام نهيهم عن العثى فى الأرض قوله : (مُفْسِدِينَ) تنصيصاً على أن ما نهاهم عنه كانوا قد وقعوا فيه بالفعل . وهم الآن عليه مقيمون [١] .

فكأنه عليه السلام قال لهم : انى أنهاكم عن العثيان الذى ارتكبتموه ولا تزالون عاكفين عليه [٢] .

ثم انظر بعد ذلك الى اقتداره عليه السلام على أفحامهم باقامة الحجة عليهم - ذلك أنه قال : (مُفْسِدِينَ) دون أن يقول (عاثين) . لأنه أراد أن يُسجِّلَ عليهم العثيان الذى هو أخص كما عرفت . فأثبته لهم بأنهم الآن متصفون بجنسه الذى يشمل جميع أنواع الفساد خاصًّا وعامًّا لا يشذ منه نوع — فعلى هذا يكون وصفه عليه السلام لهم بالفساد العام بعد وصفهم بالفساد الخاص من قبيل ايراد الدليل بعد المدلول عليه .

وانما بدأ عليه السلام بنهيهم عن العثيان الذى هو الخاص . دون الأفساد الذى يشمله ويشمل غيره . لأن العثيان شرُّه مستطير . وضررُه أعظم .

وأثرُه أنكى وأعم . وعاقبتُه أسوأُ وَأَوْخَمُ — وأما غيره فانه ليس كذلك . بل هو قد يحتمل فى الجملة .

---

(١) منشأ هذا أن اسم الفاعل كالمفسدين هنا حقيقة فى الموصوف بالحدث بالفعل الآن

(٢) فهو حال مؤسسة لا مؤكدة .

زد على ذلك أنه اذا نهاهم أوّلا عن الفساد الأعم فقد يخيل اليهم أن اقلاعهم عن الافساد الضعيف منه كاف فى الازدجار وامتثال النهى . ثم لا يزالون بعد ذلك مقيمين على أشد أنواع الأفساد وأضرّه وهو العثَيَان .

قلنا فيما سبق : أن نهيهم عن العثىّ فى الأرض مفسدين أعمُّ من نهيهم عن بخس الناس أشياءهم — ووجه ذلك أنه يشمل الأموال والأعراض والنفوس والأخلاق والآداب والمعتقَدات وكلّ ما يوجب مَفْسدةً دنيوية أو دينية .

ومما يفسر لك مقالتَه عليه السلام هنا . ما قصه الله تعالى عنه عليه السلام فى سورة الأعراف من قوله لقومه : (وَلاَ تُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا . ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ . وَلاَ تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً . وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ) .

ثم أنه عليه السلام قفَّى على جميع ما دعاهم اليه . من عبادة الله تعالى وحده ، ومن عدم نقص المكيال والميزان ، ومن إيفاء المكيال والميزان بالقسط ، ومن عدم بخس الناس أشياءهم ، ومن عدم العثِىّ فى الارض مفسدين ، قفى على جميع ذلك بقوله : (بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ[1] لَكُمْ) .

البقية من الشىء . هى بعضه الموجود منه بعد ذَهاب بعضه الآخر . خيراً كانت أو شراً — والمراد بها فى الآية الكريمة المعنى الأول بدلالة اضافتها الى الله تعالى والأخبار عنها بانها خير .

أما الشىء الذى بعضه بقية الله هـذه فهو الجزاء الحسن الذى تفضل الله تعالى به على من آمن به وأطاع أوامره واجتنب نواهيه، فبعض هذا الجزاء دنيوى يناله المؤمنون فى الدنيا ويزول بزوالها ، كالسلامة من الآفات والصحة والأمن والعزة والغنى وتمكين الله لهم دينهم فى الأرض ونصرهم على من يناوئهم .

---

(١) اسم تفضيل بمعنى أعظم وأجل .

وبعضه الآخر (وهو بقيته) أخروى دائم مدخر لهم عند الله سبحانه، قد أعده لهم ليحيوا به فى دار كرامته الحياة الطيبة الخالدة .

ولعظم هذه البقية وجلال قدرها زاد الله تعالى شرفها باضافتها اليه فى قوله : (بَقِيَّتُ اللهِ) . ونظيرها فى ذلك قوله تعالى : (ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا)

وقد أرشدنا سبحانه الى ذلك بقوله (وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا . إِنَّمَا عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ . وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ .)

وانما قلنا أن بقية الله بعض من الجزاء الحسن الذى جازى الله تعالى به المؤمنين فى مقابلة إيمانهم وتوحيدهم وطاعتهم . لان هذا هو الذى يدل عليه تبليغ سيدنا شعيب عليه السلام لقومه — ألا ترى أنه عليه السلام دعا قومه الى عبادة الله تعالى ذكره، ثم نهاهم وأمرهم، ثم ختم كل هذا التبليغ بقوله : (بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ) . وقد عرفت من معنى البقية أن لها معادلا يقابلها وهو هنا الجزاء الدنيوى الفانى، فدل نظم كلامه عليه السلام فى دعوة قومه على أن هذا الجزاء الذى بقية الله بعضه راجع الى جميع ما جاء فى تبليغه وليس خاصا بالنقص والبخس .

وانما كانت بقية الله خيرا لانها أعظم وأجل من جملة وجوه : فى مقاديرها — قال تعالى : (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ . فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ . وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ . وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ . وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى)

وفى كثرة صنوفها واشتمالها على ما يتنعم به — كما قال سبحانه : (وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ) وقال : (لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ) .

وفى كيفياتها — كما قال عز اسمه : (فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ . فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ . قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ .) وقال : (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ . بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ . لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ . وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ . كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) الى غير ذلك، ككون ماء الجنة غير آسن وعدم تغير طعم لبن أنهارها وتصفية عسل أنهارها .

وفى دوامها وعدم منعها . كما قال سبحانه (وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لاَ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ) وقال : (إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَالَهُ مِنْ نَفَادٍ) .

وفى حسن عاقبتها وسلامتها من الآفات . وتفويض التنعم بها الى مشيئتهم . وذلك قوله جل ثناؤه حكاية عن أهل الجنة: (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ. إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ. الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ. لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ) وقوله:(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ. فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) وقوله . (لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ . وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) .

وجملة المعنى . أنه عليه السلام يقول لهم . أن البقية المدخرة لكم عند الله تعالى فى الآخرة . التى هى بعض من الجزاء الحسن الذى يكافئكم الله تعالى به اذا آمنتم وعملتم الصالحات . هى خير من بعضه الآخر المعجّل لكم فى الدنيا وأجلُّ منه قدرا وكمّا وكيفا

ومن الجلى الواضح أنها تكون خيراً مما يجنونه من النقص والبخس بالطريق الأولى. بل لا يكاد يصح تفضيلها عليه ، لانه تفضيل للأفضل الأكمل على الخسيس الناقص .

ثم ان بعض هذا الجزاء الحسن الذى يناله المؤمنون الطائعون من قوم سيدنا شعيب فى الدنيا لم يُذكرْ فى الآية هنا صريحا بل بطريق الاشعار والاشارة فى التعبير بالبقية كما قدمناه لك . ولكنه قد ذكر صريحا بعبارة تشمله وتشمل البعض الثانى الأخروى الذى هو البقية فى قوله عليه السلام فى آية الأعراف : (فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا. ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ) — فقد رأيت أن هذا الأطلاق فى قوله عليه السلام : (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ) شامل لما ينالونه فى الدنيا من الجزاء الحسن النافد . ولما ينالونه من الجزاء الحسن الخالد المدَّخَر لهم عند ربهم سبحانه .

بعد هذا بين لهم عليه السلام أن هذه البقية انما تكون خيراً ثابتاً مستحقاً لهم . أى جزاء أعظم وأكمل مَقْضِيًّا لهم به من الله تعالى ينالونه فى الآخرة ان كانوا مؤمنين مصدقين بما جاءهم به ممتثلين له عاملين به .

أما إذا لم يؤمنوا به فانهم يكونون قد حَرَموا أنفسَهم من ثواب المؤمنين الشامل للبقية وغيرها ، ولا تكون البقية خيرا محكوما لهم به من الله تعالى ، لأنهم حُرِمُوها بفعلهم . بل تكون خيرا قضى الله به لغيرهم ، وهم الذين آمنوا منهم بشعيب عليه السلام وعملوا صالحًا .[١]

ثم أنه عليه السلام بعد أن أمرهم ونهاهم ورغَّبهم ورهَّبهم وأَعْذَر اليهم بما أنذرهم به . أخذ يشرح لهم منزلته فيهم بقوله : (وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ) — الحفظ هنا هو تعهُّد الشيء والرِّقابة عليه والتسلّط والسيطرة ، فأخبرهم عليه السلام أنه ليس مُهَيْمِنا عليهم ، وليس من شأنه ولا من حدوده أن يسَيْطِر عليهم ، فيتفقَّدَ أمورهم وشؤونهم . ويتسلطَ عليها بالتصرف فيها بتغيير وتبديل أو محو واثبات

وذلك بان يُحصى عليهم أعمالَهم وأحوالَهم ثم يجازيهَم عليهـا ، أو بأن يَضْطرَّهم الى الاقلاع عما هم فيه من الكفر والمعاصى ويُكرِهَهم على قبول ما يدعوهم اليه من الأيمان والطاعات ، أو بان يُبْقِيَ عليهم ما هم فيه من النعم والخيرات وان أساءوا التصرف فيها ولم يشكروا الله تعالى عليها .

لا شيء من هـذا فى قدرته ولا من حدوده عليه السلام بل انمـا ذلك كلُّه الى الله وحـده القادرِ على كل شيء . وانما منزلته عليه السـلام فيهم أن يبلّغهم عن الله تعالى ما أمره بتبليغه ، فيأمرَهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ويُحِلَّ لهم الطيبات ويُحرِّمَ عليهم الخبـائثَ ويُقيمَ وجوهَهم للدين حُنَفاء لا يدعون مع الله الها آخر ويبشرَهم وينذرَهم ، ويَنصِبَ لهم الدلائل على صـدقه ونصحه فيما بلغهم ويقيمَ لهم البينات على صحة الدين الذى يدعوهم اليه ، حتى يتبينَ لهم الرشدُ من الغيّ ، ويدخلوا فى دين الله مقتنعين طائعين ، لا مقلّدين ولا مُكْرَهين .

---

(١) فقوله عليه السلام : (ان كنتم مؤمنين) شرط فيما تفيده اللام فى قوله (لكم) وهو استحقاقهم لهـذه البقية العظمى . وعلى ذلك حذف جواب الشرط لدلالة معنى السلام عليه . وتقديره هكذا ان كنتم مؤمنين استحققتم نيل هذه البقية الفضلى .

تلك هى معاملة الرسل لأممهم ، لا يُكرِهونهم على الأيمان ، ولا يَضطرونهم اليه ولا يُلجئونهم الى قبوله قسْراً وقهْراً ، بل وسيلتهم فى ذلك انما هى الأقناع القائم على الحجة والبرهان .

على هذه السنة كانت دعوة سيدنا شعيب لقومه ، وتلك هى سنة إخوانه من قبله ومن بعده ، فمن ذلك قولُ سيدِنا نوح عليه السلام لقومه : (يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ؟) وقوله عز شأنه فى شأن رسالة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) وقولُه : (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ؟) .

حسن منصور
وكيل دار العلوم العليا سابقا

يتبع

الطرف والملح

وقال بعضهم مهنئا بالعيد :

رأى العيدُ وجهَك عيدا له ... وان كنتَ زدتَ عليه جمالا
وكبّرَ حين رآكَ الهلالُ ... كفعلك حين رأيتَ الهلالا
رأى منك ما منه أبصرتَه ... هلالا أضاء ووجها تلألا

لما دخل المأمون بغداد بعد قتل الأمين دخلت عليه زُبيدةُ ابنة جعفر أمُّ الأمين . فجلستْ بين يديه وقالت : الحمد لله إنْ أُهنِّئك بالخلافة فقد هنأتُ بها نفسى قبل أن أراك . وإن كنتُ فقدتُ ابنا خليفةً فقد اعتضتُ ابنا خليفة . وما خسرَ من اعتاض مثلَك . ولا ثَكلتْ أمٌّ ملأتْ عينَها منك . وأنا أسأل الله أجراً على ما أخذَ . وإمتاعاً بما وَهَبَ . فقال المأمون : ما تَلِدُ النساء مثلَ هذه . ما تراها ابقتْ فى الكلام لبلغاء الرجال!

أصول الدين

الدين ضرورى للعمران

وأكبر مقومات الانسان من حيث هو انسان

خلق الله الانسان مركبا من شيئين ، روح وجسد ولكل منهما مطالب لايتم أمره ولا يصفو عيشه ولا تحصل راحته ولا بغيته التى هى من خصائص ذاته ومقتضى طبيعته الا بها ، فاذا فرط فى مطالب البدن عاش ذليلا عليلا ، وأسرع اليه الضرر من كل جانب ولم يمكنه أن يقاوم السنن الكونية التى تصرع كل من يغالبها ويخرج على أحكامها ، واذا أهمل مطالب الروح عاش عيشة البهائم ولم يكن له من الانسانية نصيب ، اللهم الا فى صورته الظاهرية . وتخاطيطه الجسمية ، بل نقول إن عيشه أسوأ من عيش البهائم لأن البهائم ليس فيها ذلك الشعور المغروس فى طبيعة الانسان الذى يريه الآلام صنوفا وألوانا ولا ذلك الخيال الذى لا يقف عند حد ، ولا ينتهى الى غاية ولا تلك الشهوات التي تبعد مراميها وتتسع نواحيها . ولا ضروب ذلك الانزعاج الذى يحصل مما يكون أو لايكون وليس فيها النظر الى المستقبل الذى فعل بنا الأفاعيل ولاتلك العواطف التي قد تهلك صاحبها فى سبيل ما تصبو اليه ، ولديك مصارع العشاق وأخبار من ماتوا شهداء فى سبيل الفضائل أو قتلوا مجرمين فى سبيل الرذائل مما لا نطيل القول فيه .

فأين هذا من الحيوان الذى يكون هادىء البال حتى يفجاه ما يفجؤه من الحوادث الوقتية التى ينتهى الألم بانتهائها من غير أن يحسب لها حسابا قبل هجومها عليه ولا يعتريه أسف الذكرى بعد مفارقتها ، فإذا لم ينظر الانسان فى المنهاج الذى يضعه لنفسه من الجهة الروحية والمطالب النفسية حتى يقفها على الصراط المستقيم ويهذبها بما يقيم اودها ويزيل أعوجاجها كان شراً من البهائم ، وأحط من كل ذى روح ، ـ هذا حاله فى نفسه ـ

أما حاله بالنسبة الى المجتمع العام فهو وبال عليه فإنه لا يلقى منه المجتمع الا صنوف البلاء وأنواع الشقاء ، فإن الرجل العارى من مكارم الأخلاق الذى لم تهذب عواطفه ولم

تصف معارفه فأصبح يتخبط فى دياجير الظلمات وأنواع الشرور والآفات هو وحش ضار يفتك بكل من قدر عليه وهو عقرب يلدغ كل من يلتصق به أو يقرب منه ، وهو بعد ذلك شيطان متفنن فى ضروب الشر وفنون الاحتيال لا يعرف الا نفسه المجرمة وشهوته الفاجرة ونزعته الحمقاء ، ولو هلكت الأمة وخرب العالم ، فهو من نفسه فى شقاء شديد . أصبح مضطرب الأحوال مختل الخيال مرتبكا كل الارتباك بين انسانيته وحيوانيته.
أما المجتمع فقد فقده ، أو نقول بعبارة أصح قد اعتاض منه ثعبانا ينفث السم ووحشا أقسى قلبا من وحوش الفلاة وأكبر روغانا من الثعلب وأعظم شرها من الخنزير ، وجدير به أن يكون كذلك ، فانه لا يؤمن بالجزاء على ما اقترف ولا بالحساب على ما جنى ، فهو لا يرغب فى جنة ولا يخاف من نار ، وكأن العالم فى نظره لعبة لاعب لا يكون الفوز فيها الا لمن كان أكثر تهويشا وأحذق شعوذة ولاحياة فى نظره غير هذه الحياة ،وهؤلاء هم الذين خاطبهم الله بقوله (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) وينبههم فى الآيات الكثيرة على خطئهم فيما ظنوا بمثل قوله (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ) فهذا ما يعانيه فى نفسه وما يعانى المجتمع منه فى الدنيا . أما ما أعدَّ الله له فى الآخرة فهو أشد وأخزى ، ولكن تعال ننظر فى حال المؤمن المتدين والى مايعود على الناس منه فصور لنفسك رجلا مؤمناً حق الايمان بقوله تعالى (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) وبقوله (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ) (وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) وبقوله عز وجل (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)

فانظر كيف تكون مراقبته لله تعالى وخوفه من الله ، وهو يعتقد أن الله يعلم السر وأخفى وأنه مسئول عن كل أحواله ومجزى بجميع أعماله . هل يمكنه أن يكون مع هذا الاعتقاد منتهكا للحرمات مغتصبا للأموال أو يكون سارقا أو قاتلا أو خداعا أو غشاشا أو مزوِّراً . . . . الخ ثم تراه بعد ذلك قد نظر فيما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فوجده يحث على مكارم الأخلاق وينهى عن مساويها ، وجده يأمر بالرحمة لكل أحد حيث يقول (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء) ثم لم يقتصر على رحمة الانسان العاقل بل أوجب الرحمة والشفقة على كل ذى روح ، وان شئت فانظر الى قوله عليه السلام (دخلت امرأة النار فى هرة حبستها لاهى أطعمتها ولاهى تركتها تأكل من خشاش الأرض) وقوله (لا تنزع الرحمة الا من قلب شقى .) إلى غير ذلك ثم نظر فوجده يحث على المحبة بين المؤمنين جميعاً علما منه عليه السلام ان المحبة رسول السلام والوئام ، وماحية الخصام والانقسام ومبعث الهناءة والصفاء . فأمرهم أن يكونوا اخوانا فقال (لا تَحاسدوا ولا تَباغضوا ولا تَدابروا وكونوا عباد الله اخوانا .) وجعل البغضاء هى الحالقة ونهى عن التفرق والتهاجر بابلغ ما يكون وأقصى ما يتصور حتى حرم الخصام فوق ثلاثة أيام ، ونهى عن الايذاء بكل أنواعه حتى جعل غيبتك لأخيك من أكبر الكبائر وشبهها بما تشمئز له كل نفس وينفر منه كل انسان ، وقال الله فى الكتاب العزيز (وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً) . وقد نهى قبل ذلك عن أن تظن السوء بأخيك كى يطهر نفسك ولسانك وظاهرك وباطنك فتكون خيرا محضا للناس ، لاتضمر لهم حقدا ولا تسوءهم بكلمة حتى فى مغيبهم فقال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً) يريد بذلك أن يجعلهم متحابين متآزرين حتى يكون بينهم التعاون والتآزر ، لا التهاجر والتفاجر والتخاصم والتشاتم وهل نجد شيئا أبلغ فى التآزر الذى يريد الدين أن يجعله بين أبنائه من قوله صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كالجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) ويقول (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) ويقول (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا) ويقول

(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ويقول فى التحذير من ايذاء بعضهم بعضا (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) ويقول (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) ويقول فى الترغيب فى عمل الخير بكل أنواعه والترغيب فيما يعود على الناس بالمنفعة صغيرة كانت أو كبيرة (لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تفرغ من دلوك فى دلو أخيك أو أن تلقى أخاك بوجه طلق) ويقول (اماطة الأذى عن الطريق صدقة) وقد جعلها شعبة من شعب الايمان فى الحديث الآخر ، فتراه قد حث كل انسان على فعل الخير وعرفه أنه قادر عليه مهما كان أمره حتى جعل الكلمة الطيبة صدقة ، وأن تعين الاخرق الذى لا يحسن العمل صدقه ، وأن تساعد الرجل فى الحمل على دابته صدقه وأخيرا جعل الكف عن الشر صدقه ، فطلب من كل انسان أن يعمل الخير ما استطاع وبين أن كلا مستطيع ، وقد ورد فى بعض الآثار أن كل مسلم على ثغر من ثغور الاسلام اما تحذيره من الظلم فحدث عنه ولا حرج ، حتى عرفنا أن كثيرا من العقوبات يؤجل للآخرة ولكن عقوبة الظلم معجلة فى الدنيا مع ما ادخر له فى الآخرة ، وأخبرنا أن الله يحاسب على الفتيل والنقير وان من أخذ شيئا ظلما فإنما اقتطع قطعة من نار ، وقد حذر الحكام أن يجوروا فى حكمهم بما لا يمكن الزيادة عليه حتى قال صلى الله عليه وسلم فيما ورد عنه « ما من أمير عشرة الا يجاء به يوم القيامة مغلولة يداه الى عنقه فلا يفكه الا العدل. » وانظر هل تجد أبلغ وأروع من قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا وقوله فى الآية الأخرى (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا)[1] فاذا كان هذا شأنهم مع أعدائهم الذين يبغضونهم فى الله ولله ، فكيف يكون حالهم مع غيرهم ؟ ومن ذلك القبيل قوله تعالى (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ)[2] . وعلى الجملة فانا نعجب كيف لا يظهر نور الاسلام فى هذا العصر

---

(١) أى لا يحملكم بغضكم لقوم أن تقعوا فى جريمة الظلم

(٢) أى اذا كان بينك وبين قوم عهد وتبينت من حالهم فيه خيانة العهد فانذرهم بطرح العهد الذى بينك وبينهم حتى تكونوا على سواء فى الحل من اختراق ذلك العهد

عصر العرفان ويقظة العقول، ونذكر هنا قول اللورد هدلى الانكليزى الذى اختار الاسلام دينا بعد أن وقف على ما فيه من خير وسعادة وتعاليم تروق العقول وتُبهج الأرواح.

« انى أعجب من الذين يبحثون عن أحسن مأكل ومشرب وملبس ومسكن ولا يبحثون عن أحسن دين فى الوجود » - انى أعجب كما يعجب أو فوق ما يعجب للأوربيين كيف يستكشفون ما كان غامضا من أسرار المادة التى أدهشوا بها العالم ولا يستكشفون أسرار هذا الدين وهى أعظم من كل ما استكشفوه، حتى يعرفوا ما انطوى عليه من الحكمة العلمية والعملية التى تفوق حكمة أفلاطون وارسطو وكان لها من الأثر ما لم يكن لهما ولا لغيرهما من كبار الحكماء، ويجدون فيه من البلسم الشافى للأدواء كلها ما يعجز عنه عصبة الأمم ومؤتمرات السلام، ومن وسائل المحبة والوئام ما يستأصل الشيوعية التى تهدد مدنيتهم وستقضى على كيانهم وتأتى على بنيانهم شاءوا أم أبوا كما أنذرهم بذلك كثير من عقلائهم ان لم يصلحوا مدنيتهم الفاسقة، ولا غرو فهى لا تدور الا على محور واحد يرجع كل شىء عندهم اليه وهو المادة التى أخذت كل عقولهم واستولت على جميع مشاعرهم واحساسهم، فملأوا الدنيا من أجلها شرًّا وشقاء وضرًّا وبلاء بحجة أنهم يريدون أن ينقذوا الانسانية المعذبة (وما عذبها غيرهم ولا قضى عليها سواهم)، ولو كانوا صادقين لرحبنا بهم وما نقمنا عليهم وقلنا ان الطبيب يفعل بالمريض ما يؤلم لكن بقصد أن يداويه، والأب يضرب ابنه لكن لقصد أن يربيه، أما أولئك الماديون فكاذبون فيما يدعون غشاشون مُموِّهون فيما يقولون، فليسوا يريدون من الأمم الا ما يريده رب الماشية من الماشية، ورب الضيعة من الضيعة، وقد أفسدوا علينا معشر الشرقيين (لا سامحهم الله) آدابنا وأخلاقنا وعقائدنا وجميع فضائلنا الا قليلا من عقلائنا يجاهدون فى ذلك السبيل، عسى الله أن ينصرهم ويكثر سوادهم بمنه وكرمه، على أن كثيرا من الأوربيين قد شهدوا للاسلام ونبىّ الاسلام أكبر شهادة كاللورد هدلى المتقدم ولامرتين الذى نقلنا شهادته فى العدد الأول. ومثل توماس كارليل والدكتور موريس وكاين تيلر وغيرهم ولو حسن التفاهم بين الناس وحل الانصاف محل الاعتساف واهتم العالم بغذاء أرواحهم كما اهتموا بغذاء أبدانهم لدخل الناس فى دين الله أفواجا طوعا ورغبة، فالاسلام

وحقك هو بغية الأرواح وطلبة الأشباح ومهبط السكينة ومستقر الطمأنينة وضالة العقول وخلاصة المعقول والمنقول وأمنية القلوب ورأس كل مطلوب ، وهل للناس مطلب غير أن يسعدوا فى ظاهرهم وباطنهم ودنياهم وأخراهم سعادة تدفع عنهم شرور الحياة ومكارهها ثم تفيض عليهم من أنواع السرور وشرح الصدور وبهجة الأسرار وصفاء الأنوار مالا يعلمه إلا الله تعالى ثم تسلمهم بعد ذلك إلى نعيم لا يشوبه كدر ولا يعتريه زوال وملك ليس فيه عناء ولا له انقضاء . ثم هو فوق هذا يدعو إلى الديمقراطية الحقة والمساواة الصحيحة فلا يرى فضلا لأحد على أحد إلا بالتقوى وقد أمر الناس بالتواضع فى أنفسهم وخشية الله من قلوبهم وأن يشارك غنيهم فقيرهم بالعشر أو نحوه فيما أعطاه الله تعالى حتى يطهر نفوس الأغنياء من البخل وقلوب الفقراء من الحقد عليهم فيتم بينهم المحبة والوئام ، أوصى الجار بالجار حتى قال (والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن : فقالوا من يا رسول الله فقال ، من لا يأمن جاره بوائقه) وقال (ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم) أوجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا فرق فى ذلك بين أمير ومأمور ورئيس ومرؤوس ، وقال جل شأنه فى حق قوم أصابتهم اللعنة (كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) فكيف تكون مكارم الأخلاق فى مثل هذه الأمة لو أخذت بتعاليم دينها به وهل يكون لانتهاك الحرمات وارتكاب المحرمات وخرق سياج الآداب سبيل الى أمة يكون بعضها رقيباً على بعض وقد سيطر عليها الدين الذى يجعلها خير أمة أخرجت للناس سيطرة تستولى على نفوسها ولا تفارقها فى خلوتها وجلوتها به أوجب أن تكون لها العزة والرفعة حتى أوجب عليها الهجرة من أرض الذل ضناً بكرامتها . واستبقاء لعظيم شرفها ، حتى قال (المؤمن لا يذل نفسه) وقال الله فى وصفهم (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ) وقال (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) . الى آخر مالا يسعنا الا التلميح به والاشارة اليه ، نعم هذه قواعده المتينة وقوانينه الرفيعة ، وان أمره فوق هذا ، فانه لما رأى الانسان كثيرا ما تلعب به الأهواء وتغلب عليه الشهوات وكان يمكنه أن يحافظ على ظاهر تلك القوانين ولا تقوم عليه حجة بعد المحافظة على أشباح هذه الرسوم مع ما له من القصد السىء فيما يأتى ويذر

فيكون ظالما يلبس ثياب العادلين ومتدنساً يتسم بسيمى المتطهرين

لما علم ذلك علمنا ان المحافظة على تلك الرسوم الظاهرة لا قيمة لها فى نظر الدين فقال فى الحديث (ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم : وقال انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى). وقد قال تعالى (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِى أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوه) وقال . (وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ) . وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الأشياء تتشابه فأمرنا بالاحتياط عند ذلك فقال (دع ما يريبك الى ما لا يريبك) وقال . (الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه) وقال تعالى (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) (وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى)

فأنت ترى وقد وضح الصبح لذى عينين ان الاسلام لا يريد من أبنائه الا الحق الصراح الذى لا يعتريه ريب والعدل الكامل الذى لا يشوبه ظلم ولا تبنى أموره الا على المصالح الحقيقية والحقائق الواقعية ، فما أدرى كيف صمت آذانهم عن سماع ندائه العالى وعميت أبصارهم عن رؤية شمسه المشرقة . ولنختم هذه الكلمة بمحادثة وجيزة جرت بينى وبين بعض العظماء تناسب هذا الموضوع . قال ان الأمة لا يزعها عن الشر الا أحد أمرين : الدين والفلسفة . وحيث ان الأمة لا تستطيع الفلسفة ولا يمكنها أن تكون من ذويها فلا بد لها من الدين فقلت له أشكرك على أن أحللت الدين ذلك المحل وأنصفته ذلك الانصاف ، ولكن يسمح لى معالى الباشا أن أقول :

ان هناك فروقا كبيرة بين الدين والفلسفة ، فالفلسفة تستمد من نظريات العقول التى تصيب وتخطىء ، وأمامنا السوفطائية التى تجافى فلسفتهم الحقائق على خط مستقيم ، وكثيرا ما يكون هناك نزعات خفية توحي للفيلسوف فلسفته من حيث يشعر أو لا يشعر ، والانسان أسير نزعاته وشهواته محصور فى الناحية التى تسيره فيها نزعته الخاصة أو شهوته الخفية ، وأمامنا فلسفة ابيقور واتباعه تلك الفلسفة التى لا ترى الخير الا فى

الملاذ الحسية وتقول ان ما وراء ذلك وهم أو خيال ، وقد يؤثر زخرفها الخلاب الموافق لاهواء النفوس وشهوات الطبيعة فى كثير من أطفال العقول واسراء الشهوات فيرون كل شيء مباحاً . وان الأموال والابضاع حق مشاع بين الناس . وان من الظلم استئثار بعض الناس بشيء ، فيجب فى شرعة الطبيعة أن لا يكون هناك استئثار بملك أو زوجة والا يكون هناك تحريم لأخت ولا بنت ولا أم ، وان من استطاع الوصول الى الاستمتاع بشيء من ذلك كله حل له أن يتمتع به لأنه استرداد لحقه المغتصب الى آخر تلك الفلسفة ومزخرفاتها

أما الدين فيستولى على النفوس من كل جهاتها فيقف بها عند ما حد لها من الحدود ثم يحاول أن تكون فاضلة كاملة حتى تؤثر على نفسها ولو كان بها خصاصة . وترى فى ذلك كل سعادتها وهناءتها ، وللقلوب سـعادة لا يحس بها ذووا الأموال ولا أرباب المناصب ، على حين أن فلسفة أبيقور تقول هازئة بهذه التعاليم (ما هى الفضائل وما هى الرذائل وما هى السعادة وما هى الشقاوة وما هو النقص وما هو الكمال) ما هذه الا ألفاظ فارغة وخيالات باطلة ، فهذه الفلسفة لا تلقن أبناءها الا الزور والفجور ولا تغذيهم الا بجراثيم الأوبئة الفتاكة المهلكة والأفكار المربكة ، ولكن المتدين يقول ما يقول الله عز وجل (إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ)الى آخر ماجاء بالكتاب والسنة وهو كثير فأنت ترى المتدين فاضلا خيرًا كاملا ، وترى ذلك الفيلسوف جاهلا ضالاً شريرا،فالفلسفة غير مأمونة ولا مقدسة لأنها من نتائج الأفكار البشرية،بل ضررها أقرب من نفعها . بخلاف الدين الذى هو تنزيل من رب العالمين ، وبالجملة فالاسلام عظيم أمره . كبير شأنه . ولكن ضيعه أمراؤه . وفرط فيه علماؤه . منذ زمان بعيد ، ولنقف هنا اليوم ولنا الى الموضوع عودة بعد عودة ان شاء الله ؟

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

أصول الدين

الاسلام دين الفطرة

قال تعالى (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) وقال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)

بينا في المقالين السابقين ، أن في فطرة الانسان مايهديه الى الاعتقاد بوجود خالق للعالم متصف بصفات الكمال منزه عن سمات النقص ، وبينا أن الانسان في تحديد صفات الكمال قد يتطوح به الفكر فيضل عن سواء السبيل ، وان العقل البشرى كثيرا ما يتأثر بما يحيط به ويألفه ، ولكل فئة مالوفاتها ولكل فرد ظروفه (وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) .

وكذلك بينا أن آثار الرحمة والحكمة التى تجلت في أفعال الخالق القادر (وهو الرءوف الرحيم) (العليم الحكيم) تشهد بانه لم يترك الناس حيارى يهيمون في كل واد ويتنازعون في كل ناد بل لابد أن يرشدهم من غيهم ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، لقد أعطى كل شيء كماله الذى هيأه له ، ولقد تعهد الجميع بالتربية التى أعد لها فكان رب العالمين حقا سواء في تربية الجسم أو تربية القوى المختلفة ، ولقد أودع في النوع الانسانى من القوى الروحية الكامنة مايهيئه لان يتبوأ أعلى مكان في الوجود ومايربو به اذا أحسنت تربيته من الله على مستوى الملائكة المقربين كما هو شأن الانبياء والمرسلين ، وحسبه أن جعله خليفة في الارض فمنحه بذلك أعظم لقب يطمع فيه مخلوق من الخالق ، لقب تطلعت اليه الملائكة حتى قالوا ما يحوج ظاهره الى تأويل (قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)

فمخلوق هذه صفته وتلك مكانته ، وكل ماهو فيه نعمة وفيض ورأفة ورحمة ، وقد قضت الحكمة ليحرز تلك المنزلة ، أما يكون تفكيره متنوع المسالك متفرق المشارب،وقد مكن له في الارض وخلق له مافيها جميعا وسلط عليه من القوى المختلفة ما يحفزه الى العمل على تثبيت مركزه في العالم واستغلال ثماره لمنفعته ، وجعل رائده في ذلك حبه لمصلحته وفائدة عقله وتفكيره وما يستنبطه من حيلة وما يبرزه من عمل كامل متقن .

مخلوق هذه صفته وتلك مكانته وهذه اثار الرحمة فيه وتلك مثارات الخلاف بين أفراده يقضي العقل السليم الا يترك فريسة للاختلاف الفكرى والاضطراب المذهبي والا يدع الحكيم الرحيم أمره العام المشترك خاضعا لعقله وحده المضطرب في حكمه عادة بما يؤثر فيه من تزاحم على المنافع واستئثار بالفوائد ، كذلك يحكم العقل الايكله في تعرف أساس حياته ومنشأ وجوده الى ضروب من التخمين ربما حادفيها عن الجادة وضل عن سواء السبيل،وقد تذهب ضروب التخمين في شتى المسالك فتتطاحن وتتشاحن وليس عقل باولى بالحكم على الغير من عقل آخر، ولا فكر أحق بالخضوع من فكر، والعقل القوى لايعدم نظيرا يعارضه ، فكان من الواجب في نظر الرأى السديد أن يتدارك الخالق الحكيم هذا النوع الذى كرمه والذى وهبه ماوهبه بما ينقذه من حيرته ويخرجه من جهالته وضلالته ذلك هو النور النبوى .

والكلام في ذلك يرجع الى عدة مقامات(١) تعريف النبوة والرسالة لمعرفة النبي والرسول(٢) بيان امكان حصولها(٣) بيان الحاجة اليها والاثار المترتبة عليها(٤) طريق اثباتها ودليل صحتها لمن يدعيها (٥) دليل نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولنتكلم عليها على هذا الترتيب .

١ — النبوة هى أن يوحى الله لبعض عباده الذين يصطفيهم وهو أعلم بهم بأحكام شرعية يكلفهم العمل بها ، أو معان اعتقادية يعلمهم بها ليعتقدوها ، سواء أكلفهم ابلاغ ذلك لغيرهم من الناس أو قصر علم ذلك والعمل به عليهم في خاصة انفسهم،والرسالة هي أن يوحى لبعض عباده باحكام أومعتقدات ليعملوا بها ويبلغوها

غيرهم ، فكل رسول نبي وقد يكون النبي غير الرسول وهذا ماعليه جمهور العلماء ، وعلى هذا فالنبي انسان أوحى اليه بشرع يعمل به سواء أمر بتبليغه أم لم يؤمر ، والرسول انسان أوحى اليه بشرع يعمل به وأمر بتبليغه .

٢ — امكان حصولها : لقد بسط فضيلة الاستاذ الشيخ الدجوى في العدد الاول من مجلة نور الاسلام هذا الموضوع بما يشرح الصدر ويجلو الكرب ويزيل الحيرة عن القلب ، ولكن هذا لايمنعنا أن نجمل القول في هذا الموضوع بما لايخرج عما قرره الاستاذ وحرره، فان تكرير القول في موضوع عظيم الخطر عظيم الاثر كهذا الموضوع ليس من التكرار الذى تسأمه النفس وتمله بل هو تكرير للتقرير وتأكيد للتأييد فنقول أتفق العقلاء من القدم على أن الانسان جسم وروح ولا اعتداد بقوم سموا أنفسهم الماديين يزعمون أنهم جد حريصين على الاحتياط في أحكامهم فلا يجزمون الا بما يشاهدون ويقولون شاهدنا الجسم فحكمنا بوجوده ولم نشاهد الروح فنحن ننكر وجودها ، وفاتهم أن استنباط العلم بعدم الشيء من عدم العلم بالشيء استنباط عقيم لايقبله الا الفهم السقيم ففرق بعيد بين عدم العلم بالشيء والعلم بعدمه

هذه الصفات والآثار التى لاعلاقة لها بالجسم ولاتتصل به كالذكاء والفطنة والشجاعة والكرم واضدادها وكالعزيمة والخور وكالحسد والرضا والغضب والحلم وامثالها . أتوا في تعليلها بما يضحك الثكلى ويبكى العقلاء ، فقالوا انها افرازات لغدة المخ كما تفرز غدد الفم اللعاب، وغدد الجلد العرق، ويا للعجب العجاب افرأى أولئك المحتاطون الذين لايصدرون في حكمهم الا عن مشاهدة وعيان ، أفرأوا غدة المخ وهى تفرز تلك الملكات والغرائز وصفات النفس والعقل حتى يكونوا التزموا حدودهم التى حدوها وترسموا خططهم التى زعموها ، كلا وايم الحق ما بالقوم من هذا شيء وانما هو تخبط المحتار الذى يأنف أن يعترف بحيرته فهو يهرف بما لايعرف ويتورط في قاعدة «خالف تعرف» اذ لولا هذه السخافات التى تشبثوا بها ما احس بهم العلم ولا العلماء

وليس كل خلاف جاء معتبرا   الا خلافا له حظ من النظر

نقول اتفق العقلاء من القديم على أن الانسان جسم وروح ، وان لكل منهما خصائص واثارا وان كلا منهما يتفاوت أفراده الى حد بعيد، بل لايكاد يذكر تفاوت الاجسام بجانب تفاوت الارواح ، فترى الشخص بين أترابه عظيم النفوذ قوى السلطان شديد التأثير له من المهابة في النفوس والروعة في القلوب مايشهد به كل من شاهده ، ولعله مع هذا ضعيف الجسم ضئيل البنية وربما كان في قل من المال والجاه : وهذا لاينكره الا مكابر،وناهيك بالتنويم المغناطيسي وهو قد يأتى من مجرد تسلط نظر على نظر ، وتحديق انسان في عين انسان ، فينهزم أحدهما ويخضع ويتغلب الآخر ويتسلط وما ذاك الا لتفاوت الروحين قوة وضعفا . وعلى الجملة فتفاوت النفوس في الملكات والمدارك والصفات والمواهب أوضح من أن يحتاج الى شرح .

واذا كان كلامنا في بيان امكان النبوة فما الذى يمنع العقل من أن يجوِّز أن بعض النفوس يصل من القوة الى درجة أن يفهم من الملأ الاعلى ، وان يتلق معانى من القوة العظمى،وما الذى يمنع العقل أن يجوز أن الخالق القادر واهب العقول والمدارك يهب بعض خلقه قوة أزيد من سائر الناس ، فيجعله يفهم عنه مايلقيه في روعه أو يرسل اليه بعض ملائكته أو يسمعه كلاما يفهمه لايفهمه غيره ؟ ستقول ان هذا غير مألوف فنقول نعم . وتقول لم تجربه العادة فنقول نعم . وتقول أنه مستحيل فنقول : لا : قف مكانك وافهم الفرق بين مستبعد ومستحيل والفرق بين لم تجربه العادة ولم يقبله العقل ، واعلم انك تلابس أشياء لو لم ترها كل يوم واخبرت بها لجزمت باستحالتها ، فلو قيل لك ان في العالم كائنا جبارا مدمرا يسمى النار لايدع شيئا أتى عليه الا جعله هباء ، وبجانبه كائن هين لين لطيف رقيق يلعب به الطفل وتمزقه الانملة الضعيفة يسمى الماء وانه لاشيء يهلك ذلك الجبار العاتى وهو النار الا هذا اللطيف الضعيف وهو الماء فلو لم تكن تشاهد ذلك كل يوم أفكنت مصدقه ؟ أم كنت تسخر ممن أخبرك خبره وتبادر بقولك مستحيل ، يجب أن تتأنى في كلمة المستحيل قبل أن تطلقها جزافا،ويجب أن تزن ماتحكم بها عليه بميزان العقل،لاميزان العادة والالف، فكم من أمر كان في نظر بعض الناس مستحيلا أصبح مألوفا وبخاصة

في عصرك هذا ، فاذا عذرنا من سبقنا في مسارعتهم الى الحكم بالاستحالة فلا عذر لنا أهل هذا العصر ونحن نشاهد المستحيل تتدهور استحالته أمامنا كل عام مرة أومرتين حتى أصبح لقب مستحيل في النزع الاخير، ولم يبق منه الا مالا يقبله العقل كاجتماع النقيضين أو ارتفاعهما أو اجتماع الضدين أو ماماثله ، والخلاصة أن العقل لايجد أمامه مطلقا مايمنعه من تجويز أن يكون لبعض النفوس من المواهب والقوى مابه يفهم عن اللطيف الخبير الحكيم العليم ، أو مابه يتلقى عن عالم روحى محض لانراه ، ولكننا لاننكره ولا نجد مستندا لنا في انكاره وهم الملائكة .

٣ — وجه الحاجة اليها والآثار المترتبة عليها : اذا تدبرت مقالينا السابقين ومقدمة هذا المقال أدركت معنا أن العقل البشرى وحده عاجز عن ادراك كل ماينبغى له ادراكه في تحديد صفات الخالق المهيمن على هذا العالم ، وانه أشد عجزا عن ايفائه حق شكره على ماانعم عليه به وانه كذلك عاجز بما يحيط به من الظروف المؤثرة في احكامه ، ومن منازعة قوى الشهوات والغضب وحب الاثرة عن أن يدرك مصالحه الحقة الثابتة الدائمة ، وان المنافسة والمغالبة على المنافع ومحاولة كل جلبها لنفسه واحتيازها عن غيره مؤدية به لامحالة الى التنابذ والتقاتل ، وان كل فرد أوكل فريق يحاول أن يرى الاشياء ويفهمها على مايوافق مصلحته والمصالح متعارضة والمنافع قد تقصر عن ايفاء رغبات الجميع ، فمن المحتم أن يكون هناك حكم له الهيمنة والنفوذ على الجميع ويخضع له كلهم على السواء ، وما ذلك الا حكم من اختص من بينهم بميزة لا وجود لها عند غيره ، فمتى ظهرت ميزته وتبين اصطفاء القوى القدير له وتمييزه على غيره بما لا يطمع أحد في مشاركته فيه ، فقد قضى الامر بينهم وكان له القول الفصل ويكون هو الميزان العادل بين الطبقات والهادى المرشد المنقذ من الضلالات ، فبه تعرف كل نفس حقها وواجبها ، وبه ينصف المظلوم من ظلمه وبه يتبين الرشد من الغى ، فيعرف الناس صفات ربهم ويعلمهم طريق شكره وتمجيده ويقيم عوجهم ويهديهم اليه صراطا مستقيما ، فمتى أمنوا به وصدقوه واتبعوا النور الذى أنزل معه ، انتظمت شؤنهم وسعدت معيشتهم وتهذبت نفوسهم واستقامت

أمورهم وتبدلوا بالفوضى ضبطا وبالتشاحن والتطاحن تساندا وتساعدا وانقلب شقاؤهم الى سعادة .

٤ — طريق ثبوتها : — ان أمرا هذا مكانه في الوجود جدير بان يدعيه كل من طمع فيه وما من أحد الا ويطمع فيه لو لم يقترن بما يميز صحيحه من باطله وغثه من سمينه ، وما ذاك الا أن يظهر على يد من يدعي هذه الدعوى وهى أنه يتلقى مايقوله عن الخلاق العظيم . العليم الحكيم ، وأنه اذا أمرهم فانما يبلغهم أمر ربهم ، فيجب عليهم أن يطيعوه ولا يجوز لواحد مهما كان عظيما أو حقيرا ملكا أو رعية أن يخالف له أمرا أو يتجاوز حدود مانهى عنه : يظهر على يد من يدعى هذه الدعوى العظمى أمر يميزه عن كافة البشر فلا تناله قدرة المخلوقين مهما كانت مواهبهم وقواهم ، ومهما اجتمعوا وتعاونوا ، وتلك هى المعجزة وهى أمر خارق للعادة يظهر على يد مدعى النبوة مع التحدى لكل من يعارض أو ينكر ، ومعنى التحدى طلب المعارضة أى الاتيان بمثل ما أتى به اذا كان هناك من ينكر عليه معجزته ، وقد جرت سنة الله مع أنبيائه أن يجعل معجزتهم من جنس ماتتجه اليه أفكار أهل عصرهم ويفوقون فيه غيرهم ، فجاءت معجزة موسى عليه الصلاة والسلام على وجه يكبت السحرة حتى كانوا من أول من آمن به وذلك أن السحر كان فاشيا فيهم فيخيلون للناس مايخيلون ويسترهبونهم ويأتون بسحر عظيم ، فكان من معجزاته انقلاب العصا حية تسعى وخروج يده بيضاء من غير سوء ، وفلق البحر وامثاله مما تكون معرفة الساحر به أقوى من معرفة غيره ، وجاءت معجزة عيسى عليه الصلاة والسلام على وجه يعجز الاطباء قبل سواهم فابرأ الاكمة والأبرص وأحيا الموتى باذن الله ، وذلك أن اكثر ماكان يشغل الناس في ذلك العهد أمر الطب وهكذا . من تتبع معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام ونقب عن تاريخ قومهم وما كان يسود عقولهم تبين له ذلك اتم تبين .

٥ — دلائل نبوة ورسالة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم :— جاءت شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع قبلها مقررة دينا واحدا لايقبل غيره (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ) (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ)

فكان من مقتضى الحكمة أن يؤيد من عند الله بمعجزات تضاهى كل معجزة تقدمت لنبي حتى لايمتاز المنسوخ على الناسخ بميزة تجعله أقوى منه ، فأيد صلى الله عليه وسلم بطائفة كبيرة من المعجزات المماثلة لمعجزات الانبياء السابقين نذكر منها على سبيل المثال في مقابلة احياء الموتى وقلب العصا حية ، حنين الجذع له صلى الله عليه وسلم ، وتسبيح الحصا في يده ولعلك ترى أن تسبيح الحصا أبلغ في الاعجاز من حركة العصا ، وان حنين الجذع فرع حلول الحياة بل الشعور في جسم هو أبعد عن الحياة من جسم الميت الذى هو انسان سبق له عهد بالحياة ، وفي مقابلة فلق البحر نبع الماء من بين أصابعه وهوأبلغ في تسخير الماء لارادته من انفلاق البحر ، وكذلك انشقاق القمر لاشك أنه أبلغ من انفلاق البحر،وهنا نذكرك لكيلا تنسى الفرق بين المستحيل والمستبعد وفي مقابلة ابراء الاكمه رد عين قتادة وقد جاء للنبي صلى الله عليه وسلم وعينه في يده وقد فقئت بسهم في غزاة فقال عيني يارسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم ان شئت رددتها لك وان شئت سألت الله أن يعوضك خيرا منها في الجنة، فقال يارسول الله انى رجل مبتلى بحب النساء واخاف أن يقلن أعور فارددها لى واسأل الله أن يؤتينى خيرا منها في الجنة ، فضحك صلى الله عليه وسلم وردها له ودعا له بما طلب ، وهكذا مما لايكاد يحصى لمن تتبع .

هذا ولما كانت الشريعة باقية الى يوم الدين ، وقد نعى جل شأنه على قوم أنهم أخذوا دينهم تقليدا لاسلافهم من غير دليل ولا مستند ، اقتضت حكمته جل شأنه أن يكون مع الشريعة معجزة باقية بذاتها باقية باعجازها لاتخلق جدتها ولا تبلى صفحتها ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين ، كتاب حكيم لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، أنزله جل شأنه على نبيه تأييدا له وتعجيزا لقومه وتعهد بحفظه فقال جل من قائل (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا له لَحَافِظُونَ)

ولقد كانت الامة العربية التى بعث صلى الله عليه وسلم من بينها أعظم الامم بلاغة وأشدهم لسنا وافصحهم مقالا وأعرفهم باساليب الكلام ورفعةشأنه وماظنك

بامة تجعل أهم مقاصدها في مؤتمراتها ومعارضها ومواسمها السنوية نقد الكلام وتهذيبه وانتقاء أجوده، فبه يفخر المفتخر وفيه يتنافس المتنافسون فلا غرو ان جاءت معجزته مما يخرس البلغاء ويعجز الفصحاء، ويقول قائلهم فيها وكان من أشد المعاندين له : والله أن له لحلاوة وان عليه لطلاوة وما هو من كلام البشر ، ويتحداهم أن يأتوا بمثله فلا يقدرون ، فيتحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فيخرسون ، فيتحداهم أن يأتوا بسورة فيبهتون فبأى حديث بعده يؤمنون .

ولعلك تقول ان الشريعة على ماذكرت دائمة وعامة للناس أجمعين ، ولا يقبل الله دينا غيرها من أى انسان ، وان الغرض من المعجزة الباقية اخراج المتمسك بها عن أن يكون مقلدا لغيره ولكن الاعجاز البلاغى لايدركه الا أهل البلاغة فهل يكون غيرهم مقلدا لهم وماذا فعلنا اذا ؟

فنقول أولا : معلوم أن الشيء متى أعجز صاحب الفن البارع فيه فقد أعجز غيره بالاولى ، فقامت الحجة على الجميع وثانيا : كان يصح منك هذا القول لو كان اعجازه محصورا في بلاغته أما ووجوه اعجازه لاتقف عند حد فلا يتجه هذا القول فكن أى رجل شئت تجد أمامك من وجوه اعجاز القرآن ما يبهرك بل يملأ صدرك حكمة وايمانا ، فكن من رجال القانون وانظر الى الامم التى تضع قوانينها بنفسها لنفسها تجدها أولا تختار فئة من أماثلها درسوا القوانين السابقة وعرفوا حالة أمتهم التى يخالطونها وفهموا مواضع الحاجة منها ، فيضعون مشروعا يفرغون فيه جهدهم متعاونين متساندين ثم يبرزونه لفئة أخرى تهذبه ثم أخرى تنتقده وهكذا تسلمه فئة الى فئة حتى يخرج وهو عصارة افكار قوم هم صفوة أمتهم، فيعتمدونه قانونا لهم فكم يمكث ؟ هل ترى قانونا يمضى عليه عشر سنين الا دب اليه سوس التغيير والتبديل ، وها انت ذا ترى قانونا جاء به فرد واحد لم يدرس قوانين أمم أخرى ، فقد كان أميا نشأ بين أميين منقطعين عن سائر الامم ، فجاء هذا القانون صالحا لكل أمة في كل زمان وكل مكان وكل طور من أطوار الحضارة والبداوة ، كما يعرفه من

قرأ هذا الموضوع في مجلة نور الاسلام لفضيلة رئيس التحرير ولابى اسحق الشاطبي في كتاب الموافقات فاذا كنت من رجال القانون فما رأيك في هذا القانون ؟ ابقى عندك شك في أنه معجزة قانونية ؟

كن من رجال الطب واقرأ قوله تعالى (بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَه) وانظر لماذا اختار البنان من بين سائر أعضاء الانسان ؟ اذا كنت عالما بالتشريح فانت أقدر منى على بيان عظام الانامل وتقسيمها وعضلات الانامل ودقتها وسهولة انزلاقها وضبطها حتى يزاول بها صاحبها أدق الصناعات وأصعبها، واعصاب الحس والحركة في الانامل وعظم شأنها بل في بشرتها وجلدتها وما طابع الابهام منك ببعيد .

لابل كن رجلا عاميا لم يتناول من أنواع العلوم مايلزمه نتائجها ، فماذا تقول يارعاك الله في رجل دعا قوما خصمين للحق فكذبوه فاقام لهم البرهان فبهتوه ومازالت الحجة تقرع الحجة حتى لم يبق الا مقارعة القوة بالقوة فاظهره الله عليهم ، واخذوا يتلمسون اليه منفذا يصلون منه الى غرض من أغراضهم ليظهروا عليه فلا يجدون، بينما الامر كذلك اذا به يعطيهم فرصة للنيل منه باهون السبل واقربها لم يكونوا ليحلموا بها فيقفون مكتوفي الايدى مسلوبى القوى ويعرضون أنفسهم للقتل وأموالهم للنهب ونساءهم للسبي، ولايجرءون على أن يغتنموا فرصة قدمت لهم لقمة سائغة: ماهى هذه وكيف كان ذلك؟ أرأيت قوله تعالى (قُلْ انْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللّٰهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) يقول الله تعالى بعدها (وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً) ياللعجب قل لى بربك هل تصدق أن بشرا يخاطب مثله ويكون كلامه من عند نفسه ويزعم أنه يحدث عن ربه ، يجروء على أن يقول لخصمه الذى يتمنى كبوته انا صادق في كل ماأقول واخبرك انك لاتستطيع أن تتمنى الموت ولن يقول قائل منكم ليتنى أموت فان قالها قائل لم اكن صادقا فيما أحدث عن ربى فيسمعونها وتعتقل السنتهم فلاينطق بها واحد منهم ولا بلسانه من غير أن يتمنى بقلبه ، وهل لو قالها أحد بلسانه كان يستطيع محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول انك انما تقول بلسانك ، فمن ذا كان يوافقه حينئذ ؟ وما الذى يقطع حجة خصمه اذا قال بل أقولها بقلبى ولسانى وانا أدرى بما في

قلبي ؟ وبعد فالحق أبلج والسماء صاحية ولكن بعض العيون بل بعض القلوب عمياء فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وان تعجب فعجب قولهم بعد ماوضح الصبح لذي عينين (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم) تعسا لهم وسحقا. هلا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا الى صراطك المستقيم ، ولنقف بالقلم عند هذا الحد مكتفين في أمر الالهيات والنبوات بهذا القدر وبعد ذلك سيكون كلامنا في الاحكام العملية وما فيها من مسايرة الفطرة السليمة ومظاهر الرحمة العامة وموعدنا العدد القادم ان شاء الله تعالى ،

ابراهيم الجبالي
مدرس بقسم التخصص

الطرف والملح

قال أبو المكارم بن عبد السلام مهنئاً بمولودة :

هذا شعيبٌ النبي بابنته صَفُوراء استأجر موسى كليمَ الله ، وهـذا سيد المرسلين أبْقَى الله بفاطمة ابنتِهِ نسلَه الى يوم الدين ، وهذه أمّ الكتاب سميت الفاتحة وهي لابواب مناجاة الرحمن فاتحة ، وهذه مُحكمات القرآن ، بها ثبتت شرائع الايمان ، وهـذه سورة النساء سميت بهن وهي من الطّوال ، ولا سورةَ من القِصار سمّيت بالرجال ، على أن الدنيا بأَسْرها مؤنثة والملوكُ من خدّامها ، والشمس مؤنثة والضياء والبهاء من تمامها ، والنفس تؤنث وبها فضل الناس ، والحياة تؤنث وهي أساس الحواس ، والعين تؤنث وبها يُتوسل الى علم الحقائق ، واليد تؤنث وهي المتصدّية لتحبير الاشياء ، والعضد تؤنث وبها استعانة سائر الأعضاء ، والسماء تؤنث وهي تُزْجِى الأمطار ، والأرض تؤنث وهي مَجْمَعُ أطايِبِ الثمار ، والجنة تؤنث وبها وُعِد الأبرار الأخيار ، والعين أغنى الذهبَ تؤنث وبها يُدفَعُ الهُلْك ، والقوس تؤنث وبها عز المُلْك .



صلة الرحم وغيرها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يدخل الجنةَ قاطعٌ — يَعْنِي قاطعَ رحمٍ [١]

الجنة هى دار الثواب العظيم الدائم . التى تفضل الله تعالى بها على الذين آمنوا به ايمانا يرضاه . وأطاعوا أوامره واجتنبوا نواهيه .

ثم أن الناس بالنسبة الى دخول الجنة أقسام ثلاثة .

قسم يدخلها بدون سابقة عقاب ، وهؤلاء هم المؤمنون الأخيار السابقون .

وقسم يدخلها بعد أن يعاقَب على ما جناه ، وهم المؤمنون الذين فرطوا فى الواجبات ولم يبالوا بارتكاب المحرمات ، فكان ذلك سبباً فى تأخر دخولهم الجنة تأخرا مناسبا لمدة عقابهم طولا وقِصَراً .

وقسم محروم من دخولها البتة ، وهم الذين لم يؤمنوا ولم يعملوا صالحا

ومن القسم الثانى ، الذين يقطعون الأرحام .

أما الرحِمُ ، فهى نوعان : عامة وخاصة .

فالعامة ، هى الرابطة الدينية الاسلامية التى تربِط جميعَ أفراد المسلمين بعضَهم ببعض فى جميع أقطار الأرض .

وهذه الرابطة هى النعمة التى أنعم الله تعالى بها على المسلمين حتى صاروا بها اخوةً كما قال سبحانه : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) وكما قال : (فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا)

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن جبير بن مطعم .

هذه الرحمُ العامة تجب صلتها بالتوادّ والتناصح والعدل والانصاف والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة والدفاع عنها فى الغيب والشهادة جُهْدَ الاستطاعة .

والخاصةُ هى القرابة التى تربط أفرادَ الأُسرةِ بعضَهم ببعض كالأبوة والبنوة والعمومة والخؤولة .

وهذه الرحمُ الخاصةُ تجب صلتُها بما تُوصَلُ به الرحمُ العامةُ وتزيد عليها بالانفاق على الأقارب ومزيد العناية بتفقد أحوالهم والتغافلِ عن زلّاتهم .

وجملة المعنى أنّ صلة الرحم بنوعيها تكون بايصال ما أمكن من الخير ودفعِ ما أمكن من الشر بحسب الطاقة والاستطاعة .

ثم أنه من المعلوم أن الأمة الاسلامية هى مجموع الأُسَرِ الاسلامية المؤلفة من أفرادها ، فاذا تواصلت الأُسَرُ وتواصلت أفراد الأُسَرِ كذلك على الوجه الذى بيناه لك فيما سبق كانت الأمة الأسلامية اذ ذاك أمةً مسلمةً حقيقةً قائمةً بما أمر الله واقفةً عند حدوده عزيزةَ الجانب مَهيبةً صالحةً لأن يَستخلفَها الله تعالى فى الأرض اهلا لأن يُمَكنَ لها دينَها الذى ارتضاه لها ، ويجعلَ لها السلطان وينصرَها على من يَكيدُ لها ، فكانت خيرَ أمة أُخرجتْ للناس ما أَمَرَتْ بالمعروف ونَهَتْ عَنِ المنكَر .

من هذا الذى شرحناه لك . تتضح الحكمةُ الالهية العادلة فى معاقبة الذين يقطعون الأرحام ولا يؤدّون ما وجب عليهم من الحقوق لأُسْرَتِهِم أو لأُمتهم ، ولا يبالون بما يترتب على قطعها من الضرر العام أو الخاص العائد على الأمة أو الأسرة . والله يوفق من شاء لما يشاء .

ثم ان تفسير القطع بقطع الرحِمِ ، انما هو تفسير من راوى الحديث رضى الله عنه وهو تفسير صحيح فى نفسه إلا انه خاص . وذلك أن معنى القطع كما يشمل قطعَ الأرحام كذلك يشمل قطعَ غيرِها من سائر ما أَمَرَ اللهُ عز وجل فى كتابه انْ يُوصَلَ ـ

وذلك قوله في شأن الفاسقين : (وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (١)

ومن البيِّن أن استحقاقهم للخسران انما هو حرمانهم من دخول الجنة المُعدَّة للمتقين الواصلين ما أمر الله به أن يُوصَلَ على ما ستعرف .

وقولُه أيضا في شأن أولئك الواصلين : (وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) الى قوله سبحانه : (أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ) .

فاذا كان معنى القطع في الحديث الشريف عاماً كما يقتضيه وَضْعُهُ اللُّغَوِيُّ وعَدَم تقييده في الحديث وعمومُ الآية الكريمة فانه يَجدُر بنا أن نُتْبِعَ ما سبق من شرحه بكلمات تتم شرحه بتوفيق الله تعالى ، فنقول :

ان المعنى الوضعى للقطع وعدمَ تقييده في الحديث والعمومَ الذى في الآية . كلُّ ذلك يدل دلالة قريبة على أن ما أمر الله به أن يوصل . يشمل كلَّ قطعٍ لا يَرْضَى اللهُ سبحانه وتعالى به . كقطع الرحم وتركِ موالاةِ المؤمنين . وكالتفرقة بين الأنبياء عليهم السلام والتفرقةِ بين الكتب السماويةِ في التصديق . وكترك الجماعات الواجبة وسائرِ ما فيه رفضُ خيرٍ أو تَعَاطِى شرٍّ . فانه يقطع ما بين الله تعالى والعبدِ من الوُصلة التى هى المقصودة بالذات من كل وصلٍ وفصلٍ (٢) .

فاذا كانت الوصلةُ بين الله عز وجل والعبدِ هى المقصودة بالذات من كل وصل وفصل وكان من المعلوم أيضا أن العبد لا ينالها الا بالوسائل التى بيَّنها الله تعالى وحثَّ عليها أمكنَ أن يقال : (٣) ان مما أمَرَ الله جل ذكرُه أن يُوصَلَ العقولَ والمداركَ والمشاعرَ والحواسَّ وسائرَ ما أنعم الله سبحانه به على الانسان من المواهب التى هى وسائل العلم والمعرفة .

---

(١) شرح الحديث وتفسير الآية الكريمة للامام ابن جرير وغيره .

(٢) تفسير أبى السعود

(٣) شرح الحديث وتفسير الآية الكريمة .

والذى تُوصَلُ به هذه الأشياء أمران : كَوْنىٌّ خِلْقىٌّ فِطرىٌّ وهو السُّنَنُ الكونية والنُّظُمُ الألهيةُ والآياتُ والدلائلُ التى نَصَبَها سبحانه فى الأنفس والآفاق ، وثانيهما دينى شرعى وهو ما أوحاه الله تعالى الى رسله وأَمَرَهم بتبليغه لعباده .

وأما وَصْلُها بما ذكر فهو استعمالُها فيه بالنظر والتفكر والبحث والاعتبار والتجربة والاختبار .

وأما قَطعُها عنه فهو اهمالها وتعطيلها وعدم استعمالها فيه .

فاذا ما استُعملتْ على هـذا الوجه الذى ذكرناه فانها تكون قد وَصَلت الأدلة بالمدلول عليـه ، وترتبت النتائجُ على مقدّماتها المسامـة ، وأَدَّتْ الأسبابُ الى مسبَّباتها وعُرِفت المنافعُ فى الأحكام العقليـة والشرعية بحسن غاياتها ، والمضارُّ بقبح نهاياتهـا واستحق الواصلون لها عند الله تعالى أن يُحْسِنَ جزاءهم وأن يثيبهم بدخولهم الجنة التى أعدَّها للمتقين الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل فكانوا من الذين يعرفون نعمةَ الله عليهم ثم يشكرونها باستعمالهم لها فيما خُلقتْ لأجله .

أما اذا عُطِّلَتْ وأُهملتْ فان ذلك يكون قطعا لها عما وجب وصلُها به ، واستحق القاطعون لها ما أعده الله الحَكَمُ العدلُ لهم من الحرمان من دخول الجنة حِرْمانا خالدا أو غير خالد .

من هـذا تعلم أن القاطع لما أمر الله به أن يوصل عام يشمل قاطعَ الرحمِ وغيرَه . فان كلاًّ منهما قد قطعَ الدليلين ، العقلى والشرعى أن يُفْضِيا الى ما دلاّ عليه من وجوب تحقق صلة الرحم وغيرها ، فكان كلٌّ من الدليلين بسبب هذا القطع عقيما لا نتيجة له ولا أثر .

قد عرفتَ مما أسلفناه لك ما ذلك الذى أَمَرَ اللهُ تعالى به أَنْ يُوصَلَ ؟ فاعلَمْ أنه هو الذى ذَكَرَه اللهُ جل ثناؤه فى قوله (أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ؟) بَلَى ، قد جعل جلَّتْ قدرتُه وحكمتُه للأنسان عينين يُبْصِرُ بهما فاذا

أَبْصَرَ فانما يبصر بإنعام الله عليه بهما ، ولسانا وشفتين يتكلم بهما ، فهو اذا تكلم فانما يتكلم بما تفضل سبحانه عليه به ، وهذا منه تعالى تذكير للأنسان بنعمة الحواسّ الظاهرة وتمامُها فى آيات أخرى .

ثم ذَكَّره بنعم أخرى باطنة أَوْدَعَهَا فى فطرته ، وهى العقل والادراك وسائر المشاعر والوجدانيات ليستعملَها ويَصِلَها بما جُعلتْ له ، ويُميّزَ بها بين الحق والباطل والخير والشر والنفع والضر لصلاح أحواله الدنيوية والأخروية . ولكنّ فريقاً من الناس حَسُنَ اختيارُهم فسلكوا للخير سبيلَه وشكروا نعمَ اللهِ عليهم فاستعملوها فيما خُلقتْ له (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهمُ اللهُ وأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ) وفريقاً حَقّتْ عليهم الضلالةُ بسوء اختيارِهم وقبيحِ تصرُّفهم فى مواهبهم فسلكوا للشر سبيلَه فضلوا وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل .

وذلك كلُّه قولُه عز وجل (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) أى عرّفْناه طريقَ الخيرِ والشرِ والهدى والضلال بما ركَّبْناه فى تكوينه من آلات العلم والعرفان التى ذكرناها فيما سلف حتى صار كلٌّ من الطريقين المذكورين ظاهراً جلياً واضحاً لمن أراد سلوكَه لا يحتاج بعد هداية الله تعالى الا الى مجاهدة الأنسان لنفسه وصبره على مواصلة السير فى طريق الخير ، وعلى مداومة الابتعاد عن طريق الشر فصار كلٌّ واحد من هذين الطريقين بعد هداية الله تعالى كالنَّجْدِ الذى هو الطريق المرتفع الشاخص لا يخفى على الأبصار .

فبعد تذكير الله جل ثناؤه الأنسانَ بهذه الهداية يكونُ (مَنَ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا) (وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً) .

حسن منصور
وكيل دار العلوم سابقا

للادب والتاريخ

أتيحت لنا مجلتكم الرشيدة الهادية . « نور الاسلام» فإذا هى قرة عين للعلم والدّين: بيد أنّى وقفت فيما انطوت عليه من « الطرف والملح » على كلمة محرفة . حسبتها فى بادئة الأمر مما طغى به التحريف المطبعىّ . فلمّا عدت الى بيان الأخطاء . لم أجدها فى جملته . هنالك علمت أنها من عمل السهو . وقد أفسد بها المعنى كله . والعصمة لله وحده.

أما الكلمة فهى تحت عنوان « طرف وملح » فى الصحيفة التى رقمها « ٧٧ »

قال الجاحظ : ان عمرو بن سعيد دخل بعد موت أبيه على سيدنا معاوية رضى الله عنه ٠ وعمر ويومئذ غلام .فقال له سيدنا معاوية : الى من أوصى بك أبوك ياعمرو ؟؟؟ ٠ قال : ان أبى أوصى إلىّ ٠ ولم يوصى بى . قال : وبأىّ شىء أوصاك ؟؟ : قال : أوصانى الاّ يفقد اخوانه منه الا شخصهُ:قال سيدنا معاوية لأصحابه : ان ابن سعيدٍ هذا لأشرف؟؟؟٠

الأشدق بالدال والقاف—لا الأشرف — لقب عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق الأموى ٠ أحد رجالات الدولة الأموية ٠ ونابٌ من أنياب قريش٠ وكان يدعى كذلك « لطيم الشيطان » قتله ابن عمه عبد الملك بن مروان ٠ فصفت له الخلافة بعده :

أما الأشدق ٠ فهو واسع الشدقين والفم ٠ الفصيح اللسن ٠ وسعة الفم عندهم من سماة الفصاحة والبيان : وقد كان عمرو بن سعيد هذا أشدق فصيحاً :

يقول معاوية :

ان ابن سعيد هذا لأشدق . يريد أنه فَصيح لسن . لما راعه منه من حلاوة لسانه ٠ وقوة جدله :

أما الأشرف ٠ فما لا نعرف له مغزى أليس كذلك ؟؟ : حسن القاياتى

« نور الاسلام »

تشكر فضيلة الاستاذ الاديب على هذا النقد المفيد ، والمجلة تتلقى كل نقد ادبى أو علمى يرد عليها فى حسن قصد ، وتنشره بارتياح وشكر

أصول الفقه

الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان

الأصول النظرية الشرعية

لم يختلف المسلمون فى أن الشريعة الاسلامية نزلت لتقرير أحكام الوقائع ، فلا واقعة الا لها حكم مدلول عليه بالنص أو بأصل من الأصول المستمدة من النصوص .

أما الأحكام المستفادة من النصوص ، فهى الأحكام المأخوذة من الكتاب والسنة كتحريم الميسر ، ومنع القاضى من أن يقضى وهو غضبان ، وجواز الشفعة للشريك وقد أريناك بوجه عام ان كل ما قرره الشارع من أحكام مفصلة هو دائر بين حفظ المصالح ودرء المفاسد . وستتناول المجلة باذن الله تعالى القول فى هذه الأحكام بتفصيل كلما اقتضى المقام بيانها .

وأما الأحكام المدلول عليها بأصول عامة فيستبين أمرها بالنظر فى هذه الأصول وهو ما أزمعنا البحث عنه منذ الآن . وسترى من هذه الأصول كيف تيسر للشريعة أن لا تدع واقعة من غير حكم ، وكيف تتحرى بالأمة أرشد طرق المدنية وأعدل نظم القضاء ، واحتواء الشريعة على أصول عامة ، وتناول الأصول لما لا يتناهى من الوقائع مما يزيدنا تفقها فى قوله عليه الصلاة والسلام « بعثت بجوامع الكلم » ويضع فى أيدينا معجزة ما زال كثير من الناس عنها فى غطاء ، وهى شريعة سمحة حكيمة تتناول كل مايمكن تصوره من الحوادث على تباعد المواطن واختلاف الأجيال . وما جاءت على هذا النحو الا لأن رسالة المبعوث بها عامة كما قال الله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً)

ونحن نعلم ان الألفاظ وضعت للدلالة على ما فى النفس فمتى أتى المتكلم بلفظ شأنه أن يدل على ما فى نفسه ويستبين منه المخاطَبون قصده وقف عنده سواء كانت دلالته بالمنطوق أو المفهوم أو بمقتضى المعنى أو بقرينة حال أو عادة مطردة. ويكفى فى الخطاب الموجه الى الناس كافة أن يفهمه القوم المستنيرون منهم، وهم الذين يبلغون سائر الطبقات ما فيه من أحكام وحكمة. واذا كان هذا شأن التكلم بلغة العرب بل شأن المتكلمين بألسنة غيرها فيما يظهر، فمن حكمة الشريعة العامة الخالدة أن تسلكه فى ارشادها وفيما تسنه من أحكام لا تنقضى وقائعها.

والأصول التى نريد البحث عنها فى هذا المقام هى القياس، والاستصحاب، ومراعاة العرف، وسد الذرائع، والمصالح المرسلة، والاستحسان.

﴿ القياس ﴾

حقق علماء الاسلام أن لكل حكم شرعى حكمة تلائم شرعه، ومرجع الحكمة الى رعاية المصالح والمفاسد، وقد قرر المحققون كأبى اسحاق الشاطبي وغيره أن أحكامه تعالى معللة بمصالح العباد، وهذا معروف باستقراء موارد الشريعة كقوله تعالى (وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِى الْأَلْبَابِ) وقوله تعالى (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِى أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا) وقوله صلى الله عليه وسلم فى وجه طهارة الهرة (انها من الطوافين عليكم والطوافات) وقوله فى وجه منع بيع الثمرة قبل بدو صلاحها (أرأيت إذا منع الله الثمرة بم يأخذ أحدكم مال أخيه).

واذا كانت الأحكام المنصوص عليها قائمة على رعاية المصالح، فاذا قرر الشارع للواقعة حكما ونبه فى الآية أو الحديث على وجه المصلحة المناسبة لتقريره، أو كان ذلك الوجه ظاهرا ظهورا لا تحوم عليه شبهة، صح للمجتهد أن يعمد الى كل واقعة تحقق فيها ذلك الوجه من المصلحة ويسوى بينها وبين الواقعة المنصوص عليها فيما علقه عليها الشارع من حكم، وذلك ما نسميه بالقياس.

فالقياس أن يعمد المجتهد الى حكم أمر معلوم فيثبته لأمر آخر لاشتراك الأمرين فى

علة الحكم . ومثال هـذا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا يتناجى اثنان دون واحد) وعلة هذا النهى أن الاثنين اذا تناجيا دون رفيقهما قد يقع فى نفسه أن حديثهما فى شأنه ويحدث له من الظنون ما يكدر صفو الأخاء بينهم . وللفقيه متى اطمأن الى هذه العلة أن يقرر حرمة محادثة اثنين بلسان لا يعرفه الثالث متى كانا يحسنان لسانا يعرفه رفيقهما . لأن علة النهى متحققة فى هذه الصورة تحققها فى المناجاة .

فأى عالم يتلو قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ) ولا يفهم أن علة الأمر بترك البيع عند النداء للصلاة كونه شاغلا عن أدائها ، وهذه العلة موجودة فى غير البيع نحو الاجارة بلا فارق ، فيصح الحاقها بالبيع فى منعها عند النداء لصلاة الجمعة .

وأى عالم يسمع قوله عليه الصلاة والسلام (لا يبيع بعضكم على بيع بعض) ولا يفهم أن علة النهى ما يحدثه هـذا البيع من التقاطع والعداء ، ثم ينتقل بوسيلة العلة الى حرمة استئجاره على اجارته .

وانما جعلنا القياس فى صـدر البحث من نوع دلالة اللفظ بالمعقول لان اللفظ اذا دل بمقتضى وضعه على حكم واقعة وعرفت علة الحكم ، فان العقل متى وجد هذه العلة متحققة فى واقعة أخرى ، أدرك أن حكمها حكم الأولى نظرا الى أن الشارع يسوى بين الواقعتين حيث اشتركتا فى الوصف المؤثر فى الحكم وتماثلتا فيه من كل وجه .

فالقياس أصل من أصول الشريعة وبه اتسع نطاقها ، وصارت تتناول من الوقائع ما لا يتناهى . قال الأمام احمـد بن حنبل : لا يستغنى احد عن القياس . وقال ابراهيم النخعى : ما كل شىء نُسأل عنه نحفظـه ، ولـكنا نعرف الشىء بالشىء ونقيس الشىء بالشىء . وقال الشعبى : انا نأخذ فى زكاة البقر فيما زاد على الأربعين بالمقاييس . وقال المزنى : الفقهاء من عصر رسول الله صلى الله عليـه وسلم الى يومنا استعملوا المقاييس فى الفقه فى جميع الأحكام فى أمر دينهـم ، قال : واجمعوا ان نظير الحق حق ونظير الباطل باطل ، وقال ابن عقيل الحنبلى : قد بلغ التواتر المعنوى عن الصحابة باستعمال القياس وهو

قطعي ، وحقق ابو اسحاق الشاطبي ان اصل العادات [1] الالتفات الى المعنى لى انها معقولة الحكمة ، واستدل على هـذا بامرين « احدهما » الاستقراء فقال : انا وجدنا الشارع قاصدا لمصالح العباد، والأحكام العادية تدور معها حيثمادارت ، فترى الشيء الواحد يمنع فى حال لا تكون فيه مصلحة ، فاذا كانت فيه مصلحة جاز « ثانيهما » ان الشارع توسع فى بيان العلل والحِكم فى تشريع باب العادات ، واكثر ما علل بالمناسب الذى إذا عرض على العقول تلقته بالقبول ، ثم قال : ففهمنا من ذلك ان الشارع قصد منها اتباع المعانى لا الوقوف على النصوص .

جرى العمل بالقياس لعهد الصحابة رضى الله عنهم ، ثم التابعين ، وظهر العمل عليه فى العراق لعهد الامام أبى حنيفة وأصحابه أكثر من ظهوره فى الحجاز فاستكثروا منه وبرعوا فيه ، وما زال الناس يأخذون بالقياس إذا لم يجدوا فى الواقعة نصا حتى جاء ابراهيم ابن سيار النَّظام المتوفى سنة ٢٢١ فاحدث القول بانكار القياس زاعما الاستغناء عنه بالنظر الى مايدعونه من وصف الفعل بالحسن أو القبح الذاتيين . قال أبو القاسم عبيد بن عمر فى كتاب القياس :ماعلمت أن أحدا من البصريين ولا غيرهم ممن له نباهة سبق ابراهيم ابن سيار النظام الى القول بنفى القياس والاجتهاد ، ولم يلتفت اليه الجمهور ، وممن خالفه فى ذلك فريق من زعماء المعتزلة كأبى الهذيل وبشر بن المعتمر وبشر المريسى .

وظهر بعدهذا داود بن على الأصبهانى المتوفى سنة ٢٧٠ ونشأ بظهوره مذهب الظاهرية وروى عنه أنه كان ينكر القياس الا أن يكون جلياً وهو ما يكون المقيس فيه أولى بالحكم من المقيس عليه كتحريم ضرب الوالدين قياساً على التأفيف الثابتة حرمته فى قوله تعالى (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ) أو مساويا كحرمة اتلاف مال اليتيم باللبس قياسا على أكله الثابتة حرمته بقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً)وهذان النوعان يسميهما الاصوليون مفهوم الموافقة. وأجاز بعضهم القياس الذى وقع النص على علته خاصة وأنكروا ما كانت علته مستنبطة .

وجاء بعد هؤلاء أبو محمد على بن حزم الاندلسى المتوفى سنة ٤٥٦هـ فوقف فى جمود

---

(١) يعنى بالعادات ما سوى العبادات

وأنكر أن تكون أحكام الشريعة معللة، وبنى على هذا الرأى الجامد انكار القياس جملة ولم يفرق بين جلى وخفى، وبين ما كانت علته منصوصة وما كانت علته مستنبطة قال فى كتابه الاحكام . ذهب أهل الظاهر الى ابطال القياس جملة وهو الذى ندين الله به والقول بالعلل باطل ، وقال لا يشرع الله شيأ من الأحكام لعلة أصلا ، فاذا نص الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم على أن أمر كذا لسبب كذا أو من أجل كذا أو لأنه كان كذا فعندى أنه جعل ذلك سببا للشىء فى ذلك الموضع خاصة ، ولا توجب تلك الأسباب شيئاً من تلك الأحكام فى غير تلك المواضع البتة ، وأغلظ القول على القائلين بالقياس وحمل عليهم حملة جافية، والناظر فى الشريعة بتدبر، القائم على سير الأئمة المجتهدين بيقظة يدرك أن ابن حزم سار فى غير سبيل واعتمد على غير دليل .

تحدث أبو بكر بن العربى فى كتاب العارضة عن طائفة الظاهرية وقال : وغُرَّ بهم رجل كان عندنا يقال له ابن حزم ، انتدب لأبطال النظر وسد سُبُل العِبَر ، ونسب نفسه الى الظاهر اقتداء بداود واشياعه ، واعتمد الرد على الحق نظما ونثرا ، ثم أورد القاضى أبو بكر أبياتا فى الرد عليه ومما يقول فى الأبيات

ان الظواهر معدود مواقعها ... فكيف تحصى بيان الحكم فى البشر
فالظاهرية فى بطلان قولهم ... كالباطنية غيرَ الفرق فى الصور
كلاهما هادم للدين من جهة ... والمقطع العدل موقوف على النظر
هذى الصحابة تَسْتَمرى خواطرَها ... ولا تخاف عليها غرَّة الخَطر
وتعمل الرأى مضبوطا مآخذُه ... وتخرج الحق محفوظاً من الأثر

بالغ ابن حزم فى انكار القياس وجحوده ان تكون أحكام الشريعة معللة ،وادعى أن نصوص الشريعة وافية بكل ما يحتاج اليه من أحكام ، وقد خرج بهذه النزعة عن طريقة السلف ، ولم يرتضها منه المحققون من الخلف، وجمهور أهل العلم يتمسكون باصل القياس وان كانوا يختلفون فى بعض ضروبه، وهؤلاء اختلفوا فى تقدير الأحكام المستفادة من النصوص ، فمنهم من يراها قليلة بالنسبة لما يؤخذ من طريق الأقيسة ، حتى قال إمام الحرمين : ان النصوص لا تفى بعشر معشار الشريعة، وسائرها مأخوذ من طريق القياس،

وقال قوم منهم ابن تيمية : ان النصوص وافية بمعظم أحكام العباد ، والبقية مشروعة على طريق القياس .

وقد يكون اختلافهم فى هذا التقدير راجعاً الى اختلافهم فى فهم النصوص وفيما تتناول من معان ، فبعضهم لا يتعدى فى تفسير اللفظ صورة واحدة ، وغيره يذهب فى تأويله الى معنى واسع ويجعله شاملا لصور شتى ، فالخمر المحرمة بالكتاب مثلا — يحملها بعضهم على عصير العنب خاصة ، وعليه فما لا يكون من عصير العنب من المسكرات يرجع فى حرمته الى دليل آخر كالقياس . ويذهب آخرون الى أن الخمر فى القرآن يتناول كل مسكر واستدلوا على هذا بحديث مسلم (كل مسكر خمر) فعلم من الحديث أن لفظ الخمر لم يكن عندهم مخصوصاً بعصير العنب . فيكون المسكر من غير عصير العنب محرما بنص الآية سواء أكان الحديث مبينا لمعنى الخمر لغة . أم مبينا له على مقتضى عرف الشارع . فان الشارع يتصرف فى اللغة . ومن تصرفاته فيها أن يستعمل اللفظ فيما هو أعم من معناه كما يستعمله فيما هو أخص منه .

ونحن لا ننكر ان من أنصار القياس من أوردوا فى الاستدلال على صحته ما يقصر عن ان يفيد علما او يكسب ظنا ، كما ان منكرى القياس ساقوا أيات وأثارا تعسفوا فى جعلها أدلة على بطلانه ، وانما يقصد بتلك الآيات والآثار الآراء التى لا تستند الى علم . والاقيسة التى تتكىء على غير أصل كقياس الذين قالوا (إنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا) واما القياس بمعنى الحكم على الشىء بحكم نظيره الموافق له فى المعنى المقتضى للحكم بدون فارق فذلك ما لا يختلف أولو الألباب فى صحته ، قال ابن قيم الجوزية : وهل يستريب عاقل فى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قال (لا يقضى القاضى بين اثنين وهو غضبان) انما كان ذلك لان الغضب يشوش عليه قلبه وذهنه ويمنعه من كمال الفهم ، ويحول بينه وبين انعام النظر . ويُعمّى عليه طريق العلم والقصد . فمن قصر النهى على الغضب وحده دون الهم المزعج ، والخوف المقلق ، والجوع ، والظمأ الشديد ، وشغل القلب المانع من الفهم ؛ فقد قل فقهه وفهمه .

فالقياس أصل فى الشريعة أصيل ، واذا تعرض له نفر بعقول غير راجحة او بقلوب

غير عامرة بالتقوى ، فابتغوه وسيلة الى أحكام تتبرأ منها الشريعة ، فقد بُليت النصوص — وهى حقائق كالصبح اذا أسفر — بامثال هؤلاء ، فخرجوا بها عن مقتضى الحكمة والبلاغة ، وجاؤا فى تأويلها بما يشاكل عقولهم ويرضى شهواتهم .

قال الأمام الشافعى رضى الله عنه « ولا يكون لأحد أن يقيس حتى يكون عالما بما مضى قبله من السنن واقاويل السلف واجماع الناس واختلافهم ، ولسان العرب، ويكون صحيح العقل حتى يفرق بين المشتبه ولا يعجل بالقول، ولا يمتنع من الاستماع ممن خالفه ، لان له فى ذلك تنبيها على غفلة ربما كانت منه،أو تنبيها على فضل ما أعتقد من الصواب »

يتبع محمد الخضر حسين

الطرف والملح

ما ينشر تحت هذا العنوان هو من مختارات فضيلة الاستاذ الشيخ حسن منصور

قال الشيخ احمدُ بنُ علىٍّ الرفاعىُّ صاحبُ الطريقة الصوفية المشهورة :

تعلق الناسُ اليومَ باهل الحَرْف والكِيْمِياء والوَحْدة (والشطح)والدعوى العريضة — اياك ومقاربةَ مثل هؤلاء الناس ، فانهم يقودون من اتبعهم الى النار وغضب الجبار ، ويُدْخِلون فى دين الله ما ليس منه ، وهم من جلْدَتنا [١] — اذا رأيتهم حسبتهم ساداتِ الدُّعاةِ الى الله تعالى . حسبُك [٢] اللهُ ؟ اذا رأيت أحدا منهم فقل : (يَالَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ) .

وقال الشاعر الحكيم

أَلَا أيها المستطرِفُ [٣] الذنبَ جاهدا	هو الله لا يَخفَى عليه السرائر
فان كنت لم تعرِفه حين عصيْتَه	فان الذى لا يعرِف اللهَ كافر
وان كنتَ عن علم ومعرفة به	عصيْتَ فأنت المستهين المُجاهر
فأيَّةَ حاليك اعتقدتَ فانه	عليم بما تُطْوَى عليه الضمائر

---

(١) من طائفة الشيوخ
(٢) دعاء لك بأن الله تعالى كافيك تغريرهم بالناس
(٣) المستحسن

ليست بمستشفيات ولا مدارس

ولـكنها معاهد تبشير

قرأت ماكتبه المربى الفاضل الحسينى بك رخا في مجلة نور الاسلام نقلا عن مجلة العالم الاسلامى التى يحررها القس (زويمر) ذلك المبشر المتعصب الذى لايوجد في مصر من يجهله. ولقد أسدى المترجم الكريم خدمة جليلة الى اخوانه المسلمين بهذا المقال الذى أماط اللثام عما ينويه المبشرون ازاء الدين الحنيف . وهأنذا أقفو أثره بهذه الكلمة لعل من ورائها تبصرة للجاهل ، وذكرى للغافل : —

يتذرع المبشرون لنفث سمومهم القاتلة في الصدور بعدة ذرائع أشدها خطرا وأقواها أثرا المستشفيات والمدارس التى غمروا بها الشرق الاسلامى من أقصاه الى أقصاه مستغلين في ذلك حاجة الناس الى الاستشفاء والتعلم ومستعينين بماتملكه جمعياتهم من أموال دثر تمكنهم من بناء أضخم المستشفيات وأفخم المـدارس مجهزة بما يبهر الألباب ويثنى اليه أعنة الأحداق من عدة وعتاد وقد نجحوا في ذلك نجاحا باهرا (والفضل ماشهدت به الاعداء) فأصبحت مستشفياتهم ومدارسهم قبلة المسلمين تموج بهم موجا من مرضى ومتعلمين وانفسح أمامهم مجـال التبشير فصالوا فيه وجالوا والمسلمون في غفلة ساهون وعن أمر دينهم لاهون. نعم لايطمع المبشرون في تنصيرهم بالفعل لأن الاسلام دين الفطرة ولكن حسبهم أن يشككوهم في دينهم أو يخرجوهم الى دائرة الالحاد وهم في كل حال الرابحون وسأكشف في مقالى هذا الستار عن أمور تجرى داخل هذه الاماكن تضر ولا تسر أمور هى حقائق مرة واقعية حدثت تحت ظل المشاهدة والعيان ليس للخيال والتهويل منها نصيب :

هناك في مدينة أسيوط مستشفى أمريكى يدعى مستشفى (هنرى) له في هذه البقعة من الصعيد صيت ذائع وشهرة طائرة فترى المرضى الريفيين يؤمونه من كل أوب وصوب لعقيدة وقرت في نفوسهم مصدرها الدعايات الحارة (من أن كل من

دخله لابد أن يبرأ ولو كانت علته مزمنة وداؤه عضالا) كأن ملك الموت لايعرف السبيل الى هذا المكان أو كأن من فيه علقوا من الحمام بذمام وحدث أن عرتني علة تحتم استوصاف الاطباء وكنت اذ ذاك أشارف الثالثة عشرة من عمرى فذهبت برفقة أبي الى هذا المستشفى وكيف نعدل عنه الى سواه ؟ وهو هو الذى تعالم الناس أخباره وتناقلوا آثاره . وكان أن قضيت بين جدرانه خمسة عشر يوما لم أدر أكنت خلالها بين أطباء نطس؟ أم بين رهبان وقسس؟ وهل هذا مستشفى تشفى فيه العلل أو كنيسة تدرس فيها العقائد والنحل؟ كان مرضى يقتضى عملية جراحية فاان نمت على المشرحة ووضع المخدر على أنفى وأخذت في غشية الغيبوبة (والفكر مشرد والعقل طائر والموت يطالعنى من كل مكان) حتى سمعت الطبيب يتمتم بكلمات تنثال على مسمعى في صورة دعاء ينافي العقيدة الاسلامية كل المنافاة . أقسم لقد ارتعش بدنى لهذه الكلمات واضطربت لها نفسى بين الجوانح وهممت أن أنطق بالشهادتين ردا عليها لولا أن المنوم اعتقل لسانى فانظر كيف يستغلون وجدان المريض في ساعة من أحرج ساعاته ساعة لايدرى أيصحو فيها من منامه أم يسلمه المنام الى الحمام ؟ ولو عقلوا لعلموا أن المسلم أصفى مايكون في هذه الحالة عقيدة وأرسخ ايمانا وأنها اللحظة التى يؤمن فيها الكافر ويتق الفاجر . أما ماشاهدته بعد ذلك فحوادث يعجز عن تصويرها القلم تحمل في ثناياها محاولات ثعلبية تضحك الثكالى وتسرى عن الحزين . كنت أقيم في غرفة يرافقنى فيها أربعة أحدهم قبطى فكان يطرق غرفتنا كل يوم غير مرة قس لايلبس اللباس الكهنوتى بل يرتدى حلة أفرنجية وهو رجل ثقيل الظل كريه المحضر تقرأ في أسرة وجهه أمارات الهوج والتسرع وان صدقتنى فراستى فهو (كامل منصور) فقد سألت عنه فقيل لى أنه كان مسلما فطاح بدينه بريق الذهب الوهاج وأصبح من أشد الناس على الاسلام . كان هذا القس كما أسلفت يلم بنا كثيرا فيصلى من أجلنا ويغرق في توسلاته وابتهالاته وكلها كما تعلم تقرير لأصول المسيحية فاذا فرغ مما هو فيه أخذ يخوض في الاديان فينافح عن معتقده ويجرح غيره ولا أدرى من كان يجاذب حبل الخصام ؟ وأمامه مرضى منهوكون لايستطيعون الكلام.أضجرتنا

تلك الزيارات المتكررة المرذولة وبرمنا بهذه الطلعة المنحوسة تقطع علينا سلك الراحة وتُقضّ مضاجعنا وتزيدنا سقما وشاركنا في ذلك زميلنا القبطى بل كان أشدنا انكارا (ولاتنس أنه أرثوذكسى العقيدة وصاحبنا بروتستنتى) حتى قال بصوت الحانق (نحن ماجئناهنا لنتلقى الدين ولكن جئنا للتداوى) ولقدسرى نبأهذا التألم والامتعاض الى ذلك الضيف الثقيل فقلل من زياراته وخفف من مناقشاته. ولعل من المضحكات أن أسوق اليك هذه النادرة لتعلم الى أى مهوى سحيق من التضليل والكذب ينحدر بعض المبشرين . يظهر أن هـذا القس كان يطمع كثيرا في افساد عقيدتى بنوع خاص أغراه بذلك صغر سنى وتوهمه أننى خالى الوفاض من التعاليم الدينية مع أنى اذ ذاك كنت أجيد حفظ القرآن الكريم وأعرف تفسير كثير من آيه متفقها على مذهب المالكية متشبعا بالنعرة الدينية شأن نابتة القرى فانتهز فرصة مرورى به وهو يحادث رجلا أمام باب الغرفة فقال بصوت أسمعه ما أعلم هذا الرجل وأعقله (يعنى شيخا كبير السن جليل القدر على مكانة من العلم جاء عندنا أخيرا مريضا بعرق النسا) فقال له صاحبه وكيف عرفت ذلك قال انه يقول (ان المسيح صلب حقيقة وأن المسيحية خير دين) ! ففعلت في نفسى هذه الكلمات أفاعيلها فذهبت توا الى الشيخ وقصصت عليه القصص بصوت خريد متهدج فهاج الشيخ وماج وأقسم بكل محرجة من الأيمان أنه لورأى هذا القس مرة أخرى بعد ذلك ليحطمن عكازته على أم ناصيته وكان هذا القسم فصل الخطاب فلم يطالعنا هذا الشبح البغيض في الغرفة من وقتها وأظلنا الهدوء والسكون ومما يجب التنويه اليه أنه كان لايمضى يوم حتى تزورنا طوائف مختلفة ينثرون علينا الورود والأزهار ويصلون أمامنا ويدعون بدعوات سداها ولحمتها التبشير. أما أيام الآحاد فكان المستشفى يستحيل الى كنيسة بأوسع معانى هذه الكلمة فيساق المرضى طوعا أو كرها على اختلاف مللهم ونحلهم وتباين أمراضهم وعللهم ولا يعفى من ذلك الا من قعد به المرض عن المشى الى مكان معد للصلاة بالطابق العلوى فيجلسون على مقاعد مصفوفة وتعطى لهم كتب تحوى ترانيم ومزامير لافرق بين قارىء وأمى فيصلى بهم القس السالف الذكر وهم وقوف ثم يعظهم وهو مطرق

الرأس مسبل الطرف يتقطع أسى وحرقة لصلب المسيح وآلامه ويقطع كلامه باشارة الى رجل من الحاضرين أفاهم أنت (ياعم محمد)؟ فيجيبه المخاطب بنعم وهل ينتظر غير ذلك من قروى ساذج يعد نفسه فريسة شراكهم ويتوقع المكروه في مخالفتهم وان نسيت لاأنس المعزف (اليانو) تجس أوتاره ببنان رخص غادة برزة رشيقة القد أسيلة الخد ساجية العينين رهوة الصوت فتتمتع العيون والآذان بشجى الالحان وصوت مرنان وجمال فتان — فاقض العجب أيها الانسان — كان لهذا المشهد أثر في نفسى عميق فما ان انفرط عقد الحضور حتى دلفت وراء (عم محمد) وأنكرت عليه ماسمعته منه فأجابنى بأنه (لايعتقد مايقوله الواعظ ولا يفقه شيئا من كلامه وأنه مسلم وموحد بالله) فرجعت قرير العين مثلوج الفؤاد . ومما لاحظته أنه معلق على الجدران فوق أسرة المرضى ألواح مكتوب فيها جمل وعظية مثل (آمن بالرب يسوع تسلم!) الى غير ذلك مما يخالفها لفظا ويطابقها معنى

هذه صورة لبعض ما رأيته بعينى رأسى رسمتها للقارىء الكريم في مستشفى من تلك المستشفيات التى لايحصيها العد وكلها لم تنشأ لدفع سقم ولاتخفيف ألم فقد كانت بلادهم بها أحق وابناء جلدتهم أولى وانما أقيمت لتفتن الناس في دينهم وتفسد عليهم عقائدهم فهل يتنبه المسلمون .

بقى أن أحدثك عن مدارسهم وبخاصة مدارس الأمريكان والفرير فهى أنكى فعلا وأشد ضررا اذ تبشر بالمسيحية علنا ولا تألوا جهدا في تنصير ابناء المسلمين بكل الوسائل الفعالة والحيل الممكنة ولهم في ذلك أفانين تشب عن طوق المردة والشياطين ومع ذلك لايتورع الآباء أن يزجوا بأبنائهم في هذا الطريق الشائك المفضى الى الجحيم كأن العقيدة الاسلامية لاتعد عندهم شيئا مذكورا فترى هؤلاء الصبية الابرياء الذين ولدوا على الفطرة النقية ينشئهم المرسلون الأجانب تنشئة كاثوليكية أو بروتستنتية وغصنهم رطيب ورداء حداثتهم قشيب فيشبون معادين للاسلام «ومن جهل شيئا عاداه» يحضر الطلبة المساكين دروس الدين بحجة أنها دروس أخلاق وأنوفهم راغمة فيتلقون أصول المسيحية ويلقنون عقائدها ويصلون في مفتتح الدراسة

صباحا مع المصلين فلا تعجب بعد هذا أن ترى هؤلاء التلاميذ يعرفون من تاريخ المسيح مالايعرفون من تاريخ سيدنا محمد ويحفظون من آى الانجيل مالا يحفظون من آى القرآن ويدرون من تاريخ الحواريين مالا يدرون من تاريخ الخلفاء الراشدين وقد درجوا في هذه المدارس على أن يسندوا دراسة التاريخ الى أناس متعصبين مغرضين يشوهون الحقائق ويقلبون الفضائل الاسلامية نقائص ورذائل ويصورون الرسول الكريم وصحبه الابرار في صورة السفاكين السلابين ويخلعون على المدنية العربية رداء الانحطاط والهمجية ــ وما آفة الأخبار الا رواتها . ولقد سألت مرة تلميذا مسلما في الفرير هل تمتحنون في الديانة المسيحية فقال نعم ولهذا الامتحان أثره في النجاح والسقوط والتقدم والتأخر فقلت هل لك أن تعرض على نموذجا من هذه الاسئلة فقال مثل . ما الذى ترتب على وقوع آدم في الخطيئة ؟ ولماذا رضى المسيح بالصلب ؟ ومن الذى يحرم من دخول ملكوت السموات ؟ وبأى قوة تغلب المسيح على الموت وقام من قبره ؟ ولقد كان من تلاميذى في الناصرية من قضى مدة في هذه المدارس فكنت تراهم في دروس الديانة الاسلامية ينهالون بأسئلة تفصح عن جهل مطبق وتكشف عن حيرة واضحة وشك مريب فيقولون أليس القرآن منقولا من أساطير الأولين ؟! وهل للنبي معجزات خارقة مثل معجزات موسى وعيسى؟! ولماذا تزوج بكثير من النساء وهل يجوز لنبي أن يقاتل الناس ؟! الى غير ذلك من الاسئلة التى ينفثها في روعهم شياطين المبشرين والتى يعرفون جوابها الصحيح كما يعرفون أبناءهم ولكنهم مكابرون معاندون ومن أغرب ماوقع لى أننى مرة كنت أدرس سيرة المسيح عليه السلام لتلاميذ السنة الأولى فما كدت ألفظ باسمه حتى ابتدرنى تلميذ صغير في سذاجة وبراءة (... مسكين. صلبوه.قتلوه.وضعوا على رأسه الشوك.دقوا في جسمه المسامير) فبهت لهذه الكلمات يلفظها تلميذ مسلم أبواه مسلمان ولم أربدا ازاء ذلك أن أقضى أسبوعا كاملا في دراسة سيرة المسيح على وجهها الاسلامى لأجتث من نفس هذا الطفل واخوانه ماعلق بها من غراس التبشير والامثلة في ذلك كثيرة ومن بدع هذه المدارس التى يستهوون بها قلوب الناس ويتغفلون بها المسلمين مايقيمونه كل عام من الحفلات المدرسية الشائقة

التى يوزعون فيها الشهادات والجوائز على الناجحين والسابقين ليظهروا مدارسهم في صورة رائعة من التقدم والرقى وحتى في هذه الفترة لاينسون التبشير فيفتتحون الحفلة بصلاة ابتهال يسقط فيها كثير من الألفاظ التى تجرح عواطف المسلمين وهم الكثرة الساحقة في المدعوين وكان لهم عنها مندوحة لو أرادوا المجاملة ولكن كيف يجاملون فتضيع عليهم الفرصة السانحة للتبشير في هذه الجموع الزاخرة.ألا ان المسلمين غافلون.

على الجندى
المدرس بمدرسة الناصرية الأميرية

الطرف والملح

قال خَلَّادٌ الأرقَط : حدثنى زميلُ عمرِو بن عُبَيْد . قال : سمعته فى الليلة التى مات فيها يقول : اللهم انك تعلم أنه لم يَعْرِض لى أمران قطُّ أحدُهما لك فيه رضا والآخر لى فيه هَوًى الا قدّمتُ رضاك على هواى . فاغفر لى — ومرَّ أبو جعفرٍ المنصورُ على قبره بِمَرّان . وهو موضع على أميال من مكة على طريق البصرة . فقال :

صلَى الأله عليك من متوسِّـد ... قبرا مررتُ به على مَرّانِ
قبرا تضمَّن مؤمنـا متخشعا ... عَبَدَ الألهَ ودان بالقرآن
فاذا الرجال تنازعوا فى شـبهة ... فَصَلَ الخطابَ بحكمة وبيان
فلو آن هذا الدهر أبقَى مؤمنا ... أبقَى لنـا عمرا أبا عثمان

قال شاعر حكيم :

ادفعْ بصبرك حادث الايام ... وترجَّ لطف الواحد العلام
لا تيأسن وان تضايق كربها ... ورماك ريب صُروفها بسهام
فله تعالى بين ذلك فَرْجَةٌ ... تَخفَى على الابصار والأوهام
كم من نَجِيٍّ[1] بين أطراف القنا ... وفريسة سامت من الضِّرغام

---

(١) مكروب يناجى ربه سبحانه

الأخلاقُ وَالعَاداتُ

علاقة الاخلاق

بالشريعة الاسلامية والقانون الوضعى

— ٢ —

(جـ) أما المحافظة على العقل فى الشريعــة فبتحريم المسكرات لأنها تضر بمن يتناولها بنقص العقل ـ والشريعة كما ذكرنا تحمى الانسان من اضرار نفسه بنفسه ـ أما الفكرة فى المحافظة على العقل فى القانون فليست لذات العقل ولا لأن المسكر يضر بعقل من يتعاطاه ولـكن لما ينشأ عن السكر من الاضرار بالغير فلم تعاقب عليه ألا مــع العربدة فى الطريق العام أو فى المحال العامة حيث يظن أن ينشأ عنه ضرر للغير

والشريعة الأسلامية راعت فى أصــل عقوبة السكران حماية العقل ودفع اضرار الأنسان نفسه ولاحظت فى تقدير العقوبة ضرر الغــير ومن أجل ذلك جعلت عقوبة السكر كعقوبة القذف لأن السكر مظنة له وقد قال على كرم الله وجهه لما سئل فى تقدير عقوبة الشارب :(أرى أنه إذا شرب سكر وإذا سكر هذى وإذا هذى افترى فعليه حد المفترى وهو ثمانون سوطا).

وقد أثبت الطب الحديث وجمعيات منع المسكرات أن ضرر المسكر لا يقتصر على العقل وحده بل يتعداه إلى اتلاف الأجسام وإفساد الأخلاق واضعاف النسل وقــد نشطت بعض الأمم المتمدينة إلى تحريمها كأمريكة (الولايات المتحدة) وبعضها إلى محاربتها وتضييق الخناق عليها ووضع القيود من دون أنتشارها كأيطالية وألمانية وغيرهما وإنا نعد هذا النشاط فى تحريم الخمر أو مطاردتها انتصارا للفكرة الأسلامية فيها ـ وبين فكرة الشرع وفكرة القانون هنا اتفاق فى جنس الفكرة ونوعها تقريباً واختلاف فى طريقة المحافظة لاختلافهما فى نص العقوبة .

(د) والمحافظة على المال فى الشريعة بمعاقبة السارق وتحريم الغصب والأمر برد المغصوب قائما وضمانه هالكا والأمر باداء الأمانة وتحريم أكل أموال الناس بالباطل وتعويض الضرر المالى وحقوق الملكية والوصاية والقوامة على عديمى الأهلية إلى غير ذلك وهذه الأمور ونحوها منها ما هو من موضوع قانون العقوبات كالسرقة ومنها ما هو من موضوع القانون المدنى والتجارى كالتعويض وحقوق الملكية ونحو ذلك ـ وقد اتفقت فيه الشريعة مع القانون فى جنس الفكرة ونوعها ـ واختلفا فى طريقة المحافظة لاختلاف النصوص فيهما .

(هـ) والمحافظة على النسل فى الشريعة الاسلامية بتشريع الزواج وتحريم الزنى والمخادنة ووجوب الأنفاق على الأبناء الفقراء واثبات الأنساب وغير ذلك مما يرجع إلى حفظ النسل من أحكام اللقيط وغيره ـ والمحافظة على النسل فى القانون بتشريع الزواج المدنى والمحافظة على شروطه ورسمياته والتشريع الخاص باللقطاء ومجهولى الآباء والمتشردين من ألاطفال ـ وقد اتفق مع الشريعة هنا فى أصل الفكرة ونوعها دون طريقة المحافظة . اهـ

ونحن بعد أن تبين لنا اتفاق الشريعة والقانون على وجوب المحافظة على هذه الضروريات نجد طائفة من الآداب والأخلاق تخدمها وتكون سنادا لها وعونا على صيانتها ـ بل من المعتقدات الدينية نفسها ما يخدم هذه الضروريات ـ أليس الأيمان بالله واليوم الآخر والرضاء بالقضاء والقدر مما يجعل النفس تطيب بالنازلة إذا نزلت والجائحة إذا ألمت فلا تضيق بها ذرعاً حتى تتلمس الخلاص من الحياة بالانتحار ـ فهذا مما يخدم المحافظة : على النفس ؟

أليس الصدق وطهارة الذمة مما يعتمد عليها القضاء فى أيصال الحقوق إلى أربابها وهما لازمان لعدل القاضى واستقامة الشاهد ـ فهذا مما يخدم الضروريات الخمس لأن القضاء وصلة إلى الحقوق التى ترجع إلى جميعها ـ والقضاء يلجأ عند العجز عن الأثبات إلى تحليف اليمين فيكل من يريد تحليفه إلى ضميره وذمته وخلقه فى النطق باليمين فان كان عف الضمير طاهر الخلق صدق بها أو نكل عنها وان كان سيء الخلق استحل بها الحقوق كذبا وظلما وكذلك قل عن اليمين المشروعة فى تحليف الشهود ـ

ولا نذهب بعيدا إذا قلنا ان القوانين الوضعية تقضى على القاضى إذا لم يجد نصا فى القانون أن يحكم بقواعد العدل والانصاف وهى مستمدة من ضمير القاضى وذمته وأنى له بذمة طاهرة وضمير ورع ما لم يكن له من الآداب والأخلاق الحظ الوفير - بل أى قيمة للقضاء وما قدر القوانين إذا فشت رذيلة الكذب مثلا فى مجتمع حتى شملت القضاء والشهود والمتقاضين بل كيف تعرف الحقوق وكيف يستطاع أيصالها إلى أربابها ؟

أليس الحياء مقلصا للنفوس عن الرذائل والمظالم وأن ليس ارتكاب الموبقات والجنايات ألا من حيث تخلت النفوس عن وجدانها وفارقها حياؤها ؟

أليس الكذب مدعاة للزور وفساد الذمم أساس التلفيق وضياع الحقوق ؟

أليس الحقد والضغينة بذر الجرائم والآثام المستنبت فى القلوب والأكباد ؟

أليست النميمة والسعى بالوقيعة بين الناس من رسل الشيطان وعوامل الفتن والجرائم ؟

أليست خطبة المرء على خطبة أخيه وسومه على سوم أخيه مما يبعث التذمر والحزازة فى النفوس - أليس كف الأذى وبذل المعروف وغض البصر عن المحرم وترك التسمع على حديث الناس والاحسان فى المعاملة إلى غير ذلك من آداب الدين ومكملات الأخلاق صقالا للنفوس وتهذيبا للطباع يبتعدان بها من الشرور والآثام ؟

أليس ضبط النفس عند الغضب حاقنا للدماء مانعا من الاعتداء ؟

أليست المخيلة والكبرياء مدعاة الى السرف والتبذير فى سبيل المظاهر والمفاخر فضياع الأموال فالفقر فالاجرام ؟

وقس على ماتقدم سائر آداب السلوك والأخلاق التى وردت الشريعة الغراء بالحث عليها فانها لا تخرج عن أن تكون خادمة لضروريات المجتمع - فعجيب أن يصفها القانونيون مع هذا بأنها من الآداب التى لايحتاج القانون الى تنظيمها فى حفظ كيان المجتمع وحمايته من الفوضى قال صاحب الموافقات : (ان كل حاجى أوتحسينى انما هوخادم للأصل الضرورى ومحسن لصورته الخاصة اما مقدمة له أو مقارنا أو تابعا وعلى كل تقدير فهو يدور بالخدمة حواليه فهو أحرى أن يتأدى به الضرورى على أحسن حالاته) اه

ولا يخفى أن مكارم الأخلاق عند الأصوليين من المحسّنات أى الأمور المستحسنة فى الشرع والمراد من خدمتها للضروريات أنها تخدمها بالكل لابالجزء فلا يتعين جزئى من هذه الكمالات الخلقية لخدمة الضروريات فى فرد معين من الأمة لأنه قد يتخلف عن خدمتها بالجزء فقد يأتى الاجرام أو مخالفة الضروريات من الأحكام الشرعية والقانونية ممن تحلى بمكارم الأخلاق وتهذب بمحامد الشيَم مدفوعا الى هذه المخالفة بظروف شاذة وانما المراد أن ذيوع هذه المكارم والمحامد فى أمة يقلل فيها من الجرائم ومخالفة النظام والقانون وأنها لازمة لكل مجتمع بطريق الكلية أيضا فلا يؤثر تخلى أفراد من الأمة عنها بل المؤثر فى هدم المجتمع واسلامه الى الفوضى خلو مجموعه من آداب السلوك وصواقل الاخلاق اهـ؟

عبد الله صيام
متخصص فى الشريعة الاسلامية
ومحام شرعى

الطرف والملح

قيل لسفيان بن عيينة : قد استنبطتَ من القرآن كلَّ شيء فأين المُروءة فيه ؟ فقال : فى قوله تعالى : (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) . ففيه المُروءة وحسنُ الأداب ومكارمُ الأخلاق . فجمعَ فى قوله : خُذِ الْعَفْوَ . صلةَ القاطعين . والعفوَ عن المذنبين والرفقَ بالمؤمنين وغيرَ ذلك من أخلاق المطيعين — ودخل فى قوله : وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ . صلةُ الأرحام . وتقوى الله فى الحلال والحرام . وغضُّ الأبصار . والاستعدادُ لدار القرار — ودخل فى قوله : وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ . الحضُّ على التخلق بالحِلم . والأعراضُ عن أهل الظلم . والتنزهُ عن منازعة السفهاء . ومساواة الجهلة والأغبياء . وغيرُ ذلك من الأخلاق الحميدة . والأفعال الرشيدة .

السيرة النبوية

مولده صلى الله عليه وسلم

ونسبه الشريف

فى العدد الأول من مجلة (نور الاسلام) قطفنا زهرة يانعة، بل جنينا ثمرة نافعة من بستان الكمال البشرى، والجمال الأنسانى، والجلال النبوى.

تلك كانت النبذة المتعلقة بهجرته صلى الله عليه وسلم من مكة المشرفة الى المدينة المنورة، اقتطفناها من سيرته صلى الله عليه وسلم الحافلة بانواع الكمال، وصنوف الفضائل، بل التى هى مظهر التجلى الالهى الأكمل على أفضل خلقه الذى اصطفاه هاديا ورسول رحمة للعالمين.

والآن نردفها بكلمة فى المولد الشريف، والنسب الطاهر، آملين أن نتدرج فى معارج هذا الافق المتلىء بنجوم الهدى من أخلاقه صلى الله عليه وسلم وشئونه، وأفعاله، وأقواله، فنجلو لعيون القارئين من سناها ما يضىء سبل السعادة والمجد.

وقد كان حقيقا بمن يتكلم فى السيرة النبوية أن يجرى مع ترتيبها فى الوجود، فيبدأ باولها وهو النسب، ثم المولد، وهلم جرا. ولكن لما صادف ظهور أول عدد من المجلة فى أول شهر من السنة الهجرية، وكان ذلك مدعاة للتكلم على الحادث الجليل الشأن الذى اختاره المسلمون مبدأ لتاريخهم اذ كان مبدأ ظهور نور الاسلام واضحاً جليا، وتبوء الدين الحنيف مكانا عليا، وهو هجرته صلى الله عليه وسلم التى أعز الله بها الاسلام والمسلمين. رأينا أن نبدأ مقالات السيرة النبوية بالهجرة الشريفة، وليس معنى هذا أن الهجرة كانت فى شهر المحرم، بل قد كانت فى ربيع الأول، كما كانت ولادته صلى الله عليه وسلم وانتقاله الى الرفيق الأعلى فى ربيع الأول.

وانما جعل شهر المحرم تذكارا للهجرة النبوية لانها لما جعلت مبدأ للتاريخ الاسلامى

وكان المحرم ولا زال معتبرا أول العام الهجرى ، كان تذكارها أبدا قرين أول السنة الهجرية.

ولقد اخترنا شهر ربيع الأول للكلام على مولده عليه الصلاة والسلام لانه الشهر الذى تشرف فيه الوجود بطلعته الزاهرة ، ووفاقا لما جرت به عادة المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ، من التنويه بفضل هذا الشهر ، واحياء لياليه بالعبادات وبث الصدقات على الفقراء ، شكرا لله تعالى على نعمة اشراق هذا النور الساطع الذى كان هدى للعالمين ورحمة للناس أجمعين

ويحسن قبل الكلام على المولد الشريف ، أن نبدأ بنبذة فى نسبه عليه الصلاة والسلام ليتبين أنه قد أختير من أفضل أرومة وأ كرم منبت .

وهل ينبت الخطى الا وشيجه(1) وتغرس الا فى منابتها النخل

نسبه صلى الله عيه وسلم

ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم)

وقد اتفق على أنه عليه الصلاة والسلام من ولد اسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمن صلى الله عليهم وعلى جميع إخوانهم الانبياء والمرسلين ، وورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (أنا ابن الذبيحين) وأن اعرابيا قال له (يا ابن الذبيحين) فتبسم ولم ينكر عليه . أما الذبيح الاول فهو اسماعيل عليه السلام ، فان الصحيح أنه هو الذبيح لا اسحق عليه السلام ودليله من القرآن الكريم أنه تعالى بعد أن قص قصة الذبيح فى سورة الصافات بقوله تعالى (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ) الخ الآية أردفها بقوله (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ) والظاهر المتبادر أنها بشارة أخرى بمولود آخر . وأما الذبيح الثانى فهو أبوه عبد الله وقصته مشهورة فى كتب السير .

هذا : والذى صح فى النسب الطاهر اتصاله بدوحة معد بن عدنان باتفاق النسابين، وعدنان فرع من نبعة اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام باجماع ، وما بين عدنان واسماعيل

---

(1) الخطى : الرمح نسبة الى الخط وهو مرفأ السفن بالبحرين لان الرماح تباع به، والوشيج شجر الرماح

فقــد اختلف فيه النسابون . وقد ورد فى بعض الآثار : أنه ما افترق الناس فرقتين الا كان صلى الله عليه وسلم فى أفضلهما . وورد أن نوره عليه السلام كان يرى متلالأ فى جبين آبائه الاكرمين، وما زال يتنقل بين أصلاب كريمة وأرحام طاهرة حتى خصت العناية الصمدانية به والده عبد الله فكان أجمل نساء العرب يتعرضن له وروى أن سيدة من بنى أسد بن عبد العزى عرضت نفسها عليه وجعلت له مائة من الابل ان هو أجابهـا فقال لهـا :

أما الحـرام فالممات دونـه — والحـل لا حـل فاستبينه

يحمى الكريم عرضه ودينه — فكيف بالامر الذى تبغينه

وقد روى أن الله نظر الى أبائه نظر تكريم فى الجاهلية ، فكانوا كلهم سادة قادة ، وتجمع فضلهم فى عبد المطلب جده عليه الصلاة والسلام وهو الذى حفر زمزم بعد أن طمت ، وكان له بذلك أرفع منزلة فى العرب قاطبة ، والذى ينظر فى سيرتهم ويتتبع تاريخهم لا يجد فيهم الا من كان سيدا نابها عظيما دون له التاريخ ما يحفظ الذكر الحسن والأحدوثة الطيبة ولنرجع الى مولده الشريف وما تقدمه من تزوج أبيه بأمه

تزوج أبيه عبد الله بأمه أمنة بنت وهب

روى أن عبد المطلب جده صلى الله عليه وسلم كان فى سفرة فمر براهب من أهل الكتاب فسأله الراهب . ممن الرجل ؟ قال من قريش ، قال من أيهم ؟ قال من بنى هاشم قال أتأذن لى أن أنظر بعض جسدك ؟ قال نعم ، ما لم يكن عورة ، ففتش فى منخريه ، وقال إن فيك ما يدل على الملك والنبوة وأنا نجد ذلك فى بنى زهرة ، فعمـد عبد المطلب الى بنى زهرة ومعه ابنه عبد الله وقد بلغ الثمان عشرة سنة ، فخطب اليهم لنفسه ولابنه ، وتزوج عبد الله أمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وعقد له عليها وبنى بها فحملت به صلى الله عليه وسلم ، وروى أنها لم تشك ثقلا لحمله ، وأنها أتاها آت فى المنام فقال لها انك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها ورأت فى منامها كأن قد خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام . وقد توفى أبوه وأمه حامل به ، كان قادما

مع قومه من تجارتهم بالشام فمرض بالمدينة ، فاقام عند أخواله بنى عدى بن النجار فلما قدم أصحابه مكة سألهم عنه عبد المطلب فقالوا خلفناه مريضا عنـــد أخواله ، فبعث اليه أحد اخوته ، فوجده قد توفى بالمدينة ودفن بها . .

وكان السر فى يتمه عليه الصلاة والسلام من صغره أن تظهر عناية الله به من أول أمره ، والا يُظن ان العز قاصر على ما يكتسب من الأباء ، ولـكيلا يكون عليه حق لسوى خالقه وليظهر مغزى قوله صلى الله عليه وسلم (أدبنى ربى فأحسن تأديبى) وروى أنه عليه الصلاة والسلام قال (ارحموا اليتامى وا كرموا الغرباء ، فانى كنت فى الصغر يتيما وفى الـكبر غريبا)

مولده صلى الله عليه وسلم

أشرق هـذا النور الذى هدى الله به من اتبع رضوانه سبل السلام فى فجر يوم الاثنين لثمان ليال مضت من ربيع الأول من عام الفيل ،وقيل لاثنتى عشرة ليلة خلت منه وقيل غير ذلك . فنزل صلى الله عليه وسلم مسرورا [1] مختونا نظيفا ، وروى أنه نزل على كفيه وركبتيه ساجـداً ثم رفع رأسه الى السماء ، شاخصا ببصره اليها ، قابضا أصابع يده باسطا سبابته كالمتضرع المبتهل وفى ذلك يقول البوصيرى

رافعـا رأسـه وفى ذلك الرفــــع الى كل سؤدد ايمـــاء
رامقا طرفه السماء ومرمى عين من شأنه العلو العلاء

وكان مولده صلى الله عليه وسلم فى دار عقيل بن أبى طالب عند الصفا ، وقد تلقته حين ولادته الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف ، وحضنته أم أيمن . وقد روى عن أمه أنه لما أخذها ما يأخذ النساء ، وأنها لوحيدة رأت من الآيات ما كان تقدمة لمقدمة وارهاصا لنبوته صلى الله عليه وسلم . ولما وضعته أرسلت لجـده عبد المطلب ورفعته اليه ، فاخذه ودخل به الـكعبة ، ثم عاد به اليها . وقد ظهرت لمولده آيات بينات واضحات وأخبر به من عنده علم من الـكتاب ، وتصدع لأجله ايوان كسرى ، وغاضت بحيرة ساوه ، وانطفأت نيران الفرس وقد جاء عليها حين من الدهر لم تخمد جذوتها ، فـكان هـذا وما

---

(١) مقطوع السرة

ماثله من الارهاصات التى تعد الاذهان لقبول ما بعدها من شأن خطير وأمر عظيم .

ولنكتف بهذا المقدار فى السيرة النبوية مذكرين بان رواية أصحاب السيرة ليست فى قوة رواية حفاظ الحديث فان المحدثين لكونهم يبلغون شرع الله وحلاله وحرامه يجب أن يكون احتياطهم بالغا الغاية القصوى

وقبل أن نختم هذه الكلمة نقرر أن ظهور هذا النور النبوى للعالم كان من أعظم آثار رحمة الله التى سعد بها الناس دنيا وأخرى وان السعادة الدنيوية لم تقف عند حد من آمن به بل قد اقتبست الأمم التى لم تسعد بالايمان من نظم العدالة وتهذيب النفوس ما ارتقت به حياتها وهذبت به نفوسها فحق على كل من يعرف حق الجميل وشكر النعمة أن يرى ما فى هذا الشهر العظيم من أفضل الذكريات فيشكر الله جلت قدرته بما قدر عليه من أنواع الزلفى اليه جل شأنه خصوصا صلة الأرحام وبث الصدقات على المحتاجين ففى الشكر زيادة النعم وتحصينها نسأل الله تعالى أن يمن على الأمة الاسلامية بمنة المعرفة لنعم الله عليها والتمسك بحفظها ويزيدها من دوام الشكر للمنعم واستعمال النعمة فى وجوهها الحقيقية والله المستعان وهو ولى التوفيق ؟

ابراهيم الجبالى
مدرس بقسم التخصص بالأزهر

الطرف والملح

قال بعض الشعراء :

عَجِبتْ لمّا رأتنى ... أندُب الرَّبع [1] المحُيلا [2]

واقفا فى الدار ابكى ... لا أرى الا الطلولا

كيف تبكى لأناس ... لا يَملُّون الذميلا [3]

كلما قلتُ اطمأنتْ ... دارُهم جدُّوا الرحيلا

(١) المحلة التى كانوا نازلين بها (٢) الذى مضى عليه حول بعد رحيلهم منه (٣) السير والانتقال من محلة الى أخرى

مثال من عناية الالمان

بتربية أولادهم

جاء فى كتاب المانى عنوانه « كيف نربى أولادنا » ما ترجمته

الموقف الحقيقى للمربى ازاء الطفل

اذا أراد المرء الاشتغال بامور التربية متعمقاً فى أصولها لا مقتصراً على قشورها وجب عليه اذن أن يتبين أولا ما التربية فى حقيقتها؟ وفيم تنحصر واجباتها؟ وما حدودها؟ لو أردت الاقتصار فى الجواب عن هذه الأسئلة على جملة موجزة أو على تعريف معنى كلمة تربية لكان ذلك قليل الغَناء فى الايضاح فلاجل الوصول الى فهم معناها فهما حقيقياً لا بد من اجالة العقل فيما يلى من مجارى الافكار والاعتبارات .

ليست التربية فى أصلها شيئاً آخر سوى التأثير الذى يحدثه الوالدان وغيرهما من الكبار قصداً فى نفس الصغير الذى لما يبلغ مبلغ الرجال ، أما امكان مثل هذا التأثير فما لا يحتاج الى اثبات لأن تجارب الحياة اليومية تدل على أن نمو الناشىء تابع لضروب من التأثير تختلف كثرة وقلة .

والذى أتكلم فيه هنا عن بينة تامة انما هو ضرب معين من التأثير . والتأثير يقتضى وجود ذات مستقلة عن المؤثر تنمو وتثبت وجودها لا يتأتى توجيهها وتكوينها إلا باتخاذ بعض الطرق . فالنهر يجرى فى مجراه ونحن معاشر البشر لا ندفعه فى جريانه ولا نمنعه منه وأقصى ما نستطيعه هو أن نسد مجراه الى حين أو نحوّل جريانه أو نوجهه الى جهة أخرى . والنبات يخرج من البذر وتتولى انماءه وبناءه وتصويره قوى غيبية خفية ولا يستطيع البستانى أن يعمل فى هذا إلا عملا تافها فهو لا يملك إلا وقايته من العاصفة أن تكسره ومن حرارة الشمس أن تجففه ومن الحشرات وأيدى العارمين [1] من الأطفال أن تتلفه .

---

(١) الطفل العارم — النزق المرح

والذى يحصل فى التربية شبيه بهذا . ولم يكن قط من باب المصادفة والاتفاق أن سمى الأستاذ فريدريك[1] فريبل — وهو أنبغ علماء التربية وأكثرهم عبقرية — المربين والمربيات بستانى الأطفال وبستانياتهم فادراكه العميق لنمو النفس البشرية من الناحية الجسدية وتحققه البليغ بفهم ماهية التربية تعبر عنهما هذه التسمية .

ولم يكن أمر التربية فى كل زمن مفهوما على هذا الوجه بل كان كثير من الناس فيما مضى يعتقدون فى التربية نوعا من القدرة على كل شىء على أنهم ما زالوا الى اليوم غير قليل، خذ لذلك مثلا أراسم الروتردامى[2] وهو العالم الضليع فى اللغات والآداب الذى كان معاصرا للدكتور مارتن لوتر[3] لا يزال يقول : « ان الفطرة (كذا) اذا وهبت لك ابنا فانما تسلمك كتلة فجة ومن شأنك أن تعطى هذه المادة القابلة للتهيئة والتشكل بكل شكل أحسن صورة تريدها فان أنت أهملتها حصّلت منها بهيمة وان عنيت بتربيتها حصلت منها — ان صح القول — ملكا كريما — وكذلك صرح الحكيم لاينتز[4] ذات مرة قائلا : آتونا التربية نغير لكم أخلاق أوربة فى أقل من قرن » أما الآن فقد صرنا أكثر قصداً واعتدالا ممن سبقونا فاصبحنا نعرف وجود الاعضاء فى كل موجود معرفة أجلى وأظهر من معرفة أهل القرون السالفة ونعرف اليوم أن كل مخلوق حى تستقر فيه بالفطرة من بدأ نشأته الشروط اللازمة لنموه وكل حى ينمو بقانون قاهر خفى وفقا لسنن أزلية مستقرة فيه . كذلك شأن الطفل .

وانما إياك أن تظن أن ليس فى كل فرد على حدته الا ضروب خاصة من الاستعداد والجراثيم تكون كلها مغايرة لما فى غيره ، بل توجد صفات معينة عامة فى كل نفس عادية.

ويرجع الفضل الأكبر للاستاذين بستالوتزى[5] وفريبل من علماء التربية فى أن وضعا بناء علم التربية على هذا الأساس الأزلى الذى هو القدر المشترك فى الخواص الانسانية.

---

(١) فريدريك فريبل — عالم المانى من علماء التربية ولد سنة ١٧٨٢ م ومات سنة ١٨٥٢ م وهو منشىء بساتين الاطفال .

(٢) نسبة الى رتردام مدينة فى جنوب هولاندة هى موطنه

(٣) كاهن يتبع اوغستان وهو رئيس الاصلاح الدينى فى المانية

(٤) واسمه جود فريد ولهلم وهو حكيم مشهور وعالم ألمانى ولد فى مدينة لايبزج

(٥) اسمه جان هنرى عالم سويسرى من علماء التربية ولد فى مدينة زوريخ ونال شهرة عظيمة باعماله التى قصد بها تربية أولاد الفقراء وتعليمهم ولد سنة ١٦٤٦ م ومات سنة ١٨٢٧ م

ما الانسان فى حقيقته ؟ أى الأنسان من حيث هو انسان سواء أكان ملكا أم سوقة ؟ هذه أكبر معضلة شغلت بستالوتزى وضايقته مدة عشرات من السنين . لا بد لى أن أعرف قبل كل شىء مم تتكون فطرة الانسان ؟ وما استعداده الحقيق ؟ وحينئذ فقط يمكننى أن أربيه أى اؤثر فى نفسه تأثيرا يكون من ورائه مساعدته على أن يعيش وفق استعداده وينمو ، كان فى امبلاج هـذه المعرفة فى نفس بستالوتزى بشارة بوقت ظهور علم التربية العصرى المبنى على الحكمة فمن ذلك الوقت لم تعد هـذه المسألة الى ما كانت عليه من الاغفال والسكوت عنها . ثم أقول مم يتكون هـذا القدر المشترك فى الخصائص الانسانية؟ليس من السهل الجواب عن ذلك ، على أنه مما يصح أن يقال فيه أن فى كل انسان عادى تكمن غرائز معينة هى واحدة فى الناس جميعاً وهذه الغرائز تظهر مثلا فى السرور بالعمل والتهيئة وفى ادراك العدل والظلم وفى الشوق الى معرفة الحق وفى الشعور بالائتلاف وحب الاجتماع وفى المهابة لكل ما هو علِّى وازلى وقد نشأ من هذه الغرائز كل ماهو عظيم وحسن فى الانسان وظهرت بواسطتها الخصائص الانسانية ونشأ من بلوغها الغاية فى تأثيرها المجالات الكبرى للحضارة وهى الفنون والعلوم والحقوق والآداب والاديان وهذا هو تقدم نموٍ قَوِيٍّ مستمرٍ غير أنه من نوع عقلى مجرد .

فحمل نفوس الأطفال على أن تخرج من أكمامها فى ضوء هـذه المجالات الواسعة للحضارة الانسانية هو الواجب الايجابى للتربية العملية ودعوة كل الناشئين الى الاشتراك فى هذه الحركة العقلية الكبرى ومساعدتهم على ذلك حتى ترسخ أقدامهم فى دوائر هذه الحضارة الانسانية القيمة هو معنى التربيـة والغاية القصوى لعمل كل مرب ، ولا يتأتى النجاح فى تربية الانسان والبلوغ فيها الى أعلى شأو الا بالسير بها على هـذا المنهج ، نعم أن هذه هى الناحية الايجابية الانشائية وحدها لعمل التربية وبجانب هذه الناحية يوجد أيضا واجب سلبى منعى للتربية ، وهذا الواجب ينشأ من الغرائز البشرية ، فان النفوس البشرية ليست مقصورة على أن تكون مستقرا لجراثيم كل شريف وكل صالح ، بل فيها أيضا مستودع لجراثيم كل مبتذل وخسيس كاللذات الجسدية والكسل والحسد والكذب والجبن ، وعلى الجملة جميع الرذائل التى تتولد من الأثرة الانسانية .

فغالبة هـذه الرذائل وقمعها هما الناحية السلبية للتربية العملية ، وذلك هو واجبها المنعى وهذا الواجب لا يقل شأنا عن الايجابى وكلاهما شرط فى الآخر لأن العالى لا يرتفع الا بقمع الدنىء وبالعكس لا يتأتى قهر الدنىء الا باستسلامه للعالى وحينئـذ فكل من واجبي التربية هذين ينبغى البـداءة به فى وقت واحد ولا يصح أن يتأخر أحدهما عن الآخر .

بذلك يمتاز الواجبان العامان لعمل التربية وفى تنفيذهما صعوبات ظاهرة وباطنة ينبغى التغلب عليها ولعمل التربية حدود محدودة باطنة وظاهرة أيضا .

فالحدود الباطنة تعينها الخواص الذاتية والأحوال الشخصية للطفل وأما الحـدود الظاهرة فتعينها البيئة التى يعيش فيها والمخالطة .

فواهب الطفل الباطنة يأتى بها الى الدنيا حال ولادته كما ذكرنا . وماله من الخصوصية هو نتيجة التوارث فليست نفس الطفل الحديث الولادة كما كان مزعوما فيما مضى عبارة عن لوح خال من الكتابة بل هى مجموع قوى كامنة تنمو فيه بدون دخل لعمل المربى بل كثيرا ما تنمو على خلاف ارادته ألاَ أن الطفل ليس ذاتا منفردة نشأت فجأة وانما هو مظهر جديد وناقل جديد للحياة الأزلية المتجددة على الدوام فكأنه غصن أو فرع لجذع دوحة عُمِّرت آلافا من السنين تنبض فيه ذات الحياة التى كانت تجرى فى عروق سالفيه ، وهذه الحياة الموروثة هى أهم شىء بالنسبة لنموه كله فهى تحدد وجهة الانسان وخصائصه الباطنة تحديدا جوهريا وهذا هو السبب فى أن كثيرا من الأُسر يرى فيها نَموذج بارز لأعضائها يكون بالدرجة التى نراه عليها من الظهور وان فى كثير من الأسر مواهب وكفاءات معينة قوية يتكرر ظهورها حينا بعد حين ولهذا يعد مثلا فى أسرة « باخ »[1] فوق الثلاثمائة من أعضائها ذوى قرائح موسيقية واضحة امتاز منهم على الأقل اثنان وعشرون فى المدة التى خلت بين سـنة ١٥٥٠ وسنة ١٨٠٠ كانوا موسيقيين ممن يشاد

---

(١) اسم لاسرة شهيرة من الموسيقيين الالمانيين . أشهرهم جان سيبستيان باخ ولد فى مدينة ارنستاد بالمانية . مؤلفاته الموسيقية الدينية بديعة معجب بها لما فيها من الالهام السامى وتوافق الالحان

بذكرهم ومثل هذه الوقائع توجد فى أسرة « هولباين »[١] وأسرة « كراناخ »[٢] وأسرة « شليجل »[٣] وغيرها .

نعم ان هـذا التوارث ليس ظهوره مقصورا على خلال الخير بل هو يشمل أيضا خصال الشر وتوجد لذلك أمثلة لا تحصى وأشهرها خزيا الأسرة « الجوكية » فى ولاية نيويورك وأصلها رجل سكير هولاندى من سكان البادية يدعى جوكة ولد فى سنة ١٧٣٠ ميلادية وكان يعيش عيشة وحشية فى برية صخرية تنسب اليه فى الأجيال الخمسة التى خلت من تاريخ ميلاده على ما تيسر لنا العلم به ٧٠٩ أشخاص كان منهم ١٨٠ شخصا يعيشون من الصدقات العـامة و٧٦ كانوا مجرمين و٥٢ ٪ من النساء أى فوق نصف عددهن أعنى ١٧٠ كن يعشن من العهارة .

لم يعرف حتى الآن على أى قانون يجرى التوارث فى المواهب النفسـية ولا عرف أيضا هل فى استطاعتنا بأى كيفية كانت أن نؤثر فى هـذه المواهب أو نضعفها فنحن لا نستطيع فى التربية أن نعمل شيئا سوى أن نحسُب حسابا لهـذه القوة الهائلة باعتبارها عاملا كبيرا موجودا وحدا يحدد عملنا . ولا ينبغى لنا أن ننسى مطلقا أنه ليس فى قدرتنا أن نحصِّل من كل طفل كل شىء نريده بل الذى فى وسعنا أن نعمله هو ما يؤدى اليه استعداده لا غير .

نعم ان هـذا أسهل فى القول منه فى الفعل وصعوبة ذلك ناشئة من أننا لا نعرف بحال بادىء ذى بدء ما المواهب الموجودة فى الطفل لأن كل طفل على حدته لا تتجـدد فيه خواص أسرة واحدة لا غير بل تتوارد على الجريان فى نفسه خواص كثيرة آتية له من أسر مختلفة،فليس لـكل انسان أب فقط بل له أم من أسرة أخرى ثم له جدان وجدتان من

---

(١) هولباين — اسمه هنس وهو مصور ولد فى اسبورج — مدينة من أعمال بافير احدى الولايات الالمانيـة سنة ١٤٩٠م وقضى معظم حياته فى انـكلتره حيث توفى سنة ١٥٤٣ م

(٢) اسم لاسره المانية شهيره .

(٣) اسم أسرة المانية . نبغ فيها جان الياس شليجل الشاعر الالمانى المولود فى مايسن من أعمال سكس سنة ١٧١٨م وتوفى فى سورو من أعمال الدانيمارك سنة ١٧٤٩م ومنها جان أولف شليجل الشاعر والواعظ الالمانى المولود فى مايسن سنة ١٧٢١ م والمتوفى فى هونوفر سنة ١٧٩٣ م وهو أخ لجان الياس السابق ذكره ووالد ليون وفريدريك شليجل ومنها أغسطس غليوم شليجل الـكاتب الالمانى ومنها شارلس غليوم العالم الشهير فى آداب اللغة الالمانية

أربع أسر ثم والدو أجداده وهم من ثمان أسر ثم أجداد أجداده وهم من ست عشرة أسرة وهلم جرا .

وعلى ذلك فضروب الامكان التى يتأتى بها امتزاج المواهب لا حدّ لها ومن ذلك يتضح أيضا الفرق الكبير الذى يوجد أحيانا بين الاخوة والاخوات وذلك الأمر الغريب وهو أن أطفالا يكادون يكونون من سن واحدة نشأوا من أصل واحد وكبروا فى أحوال واحدة كثيرا ما يختلف بعضهم عن بعض اختلافا جوهريا .

لو أن التوارث كان هو العامل الوحيد فى نمو الانسان لكادت التربية التى نحن بصددها تكون غير ممكنة على الجملة. ولكن بجانب هذا العامل نعرف من عهد لامرك[1] ما لعامل الملاءمة من الشأن العظيم فانه هو الذى يحدث التغيير والنمو والتقدم فى كل مكان وهو الذى من أجل ذلك أيضا يجعل التربية لا تحصل الا فى حدود معينة .

وعماد الملاءمة تأثير المخالطة فكل مخلوق مقدر له أن يكون نموه من نوع ما يخالطه ويوجد لذلك فى الخليقة آلاف من الأمثلة وهاك بعض الشواهد على ذلك : النبات المعروف بسن الأسد « تاراكاكم أوفيسينالا » ينبت بين نباتين عالين من نبات المروج بأوراق قائمة ، على حين أنه اذا نبت وحده هنالك نامت أوراقه الوردية الشكل على الأرض ويمكنك مشاهدة هذا الأمر نفسه فى كثير من أنواع النبات الأخرى كما يشاهد فى بعض أنواع الحسك والنبات المعروف بقدم ديك الماء « رانكولوس فلويتانس » فانه لا يكون له اذا نبت على الشاطىء الجاف الا أوراق ذات فلقتين فاذا نبت فى الماء نبتت له من أحد جانبيه أوراق عائمة عريضة ذات فلقتين تطفو على سطح الماء وفى جانبه الآخر أوراق دقيقة على شكل الخيوط تكون تحت الماء . وعلى ذلك يكون لضروب التأثير التى تجىء من الظاهر فى النمو العضوى الباطنى عمل بالتغيير والتحويل الى درجة محدوده كذلك نفس الطفل — نعم نفس الطفل على الأخص تكون تابعة فى نموها لمثل هذه الضروب من تأثير المخالطة ، من أجل ذلك يكون من الشأن بمكان عظيم أن تعرف أىُّ

---

(١) اسمه جان باتست بيير انطون — هو عالم فرنسي شهير ضليع فى التاريخ الطبيعي الف فيه دائرة معارف خاصة بعلم النبات وكتب أخرى اشتهر بها وأسس نظرية نشأ الانواع بعضها من بعض بملاءمة البيئة وبالوراثة

نوع من الناس ومن الأشياء ينبغى أن يربى بينهم الطفل ، فكل ما علا وكل ما سفل فى عصرنا يؤثر فى نفوس أولادنا تأثيرا يختلف كثرة وقلة ، وشر ما فى ذلك أننا معاشر المربين ليس فى مقدورنا أن نملك زمام هـذه الضروب من التأثير الذى يصدر من كل ما يخالط الأطفال ، فلا نستطيع اذن أن نفصل بعضها من بعض اذا اعتبرنا بعضها ضارا بهم لأنه ما الذى نعرفه مثلا من المحادثات العديدة التى تكون بين أولادنا وبين بعض رفاقهم فى المدرسة بين الجهر والمخافتة أثناء طريقهم اليها أو فى فنائها ، وكيف نبغى أن يبقى أولادنا محفوظين خصوصا فى المدن الكبرى من كل الأدناس التى تكون فى الاقوال والصور المعلنة على الأعمدة المخصصة للاعلان والمعروضة فى وجوه الحوانيت ؟ اننا نكاد دائما نكون عاجزين ازاء هذه المخالطة عن مقاومة تأثيرها .

اذن حسبنا حقا ما للتربية من الحدود الباطنة والظاهرة وما أعظم مافيها من المشاق. على أن هذا الأمر لا يُعفِى المربين والوالدين خصوصاً من شىء من تبعتهم بل هو إنما يريهم حيث يكون عملهم أقوى وتأثيرهم أفعل .

الوراثة والبيئة هما على الجملة خارجان عن دائرة قدرتهم ومراقبتهم ولكنهم بجانب البيئة أو معها يفعلون أيضاً فى نفس الطفل من حيث هم مربون فهم أيضا كأنهم من ضمن هـذه البيئة بل هم أقرب شىء فيها اليه من جهة نفسه وجسمه وهم أهم العوامل التى تخالطه ولذلك كان مما ينبغى العناية به عناية غير عادية أن يُعرف أىُّ صِنف من الناس يوكل اليهم تربية الطفل . فينبغى بل يجب أن يكونوا ممثلين عن علم عِدْلا [1] لما للبيئة من ضروب التأثير المختلفة الضارة والمخاطر المتنوعة التى تنشأ من أنواع الاستعداد الموروثة غير الصالحة ، وينبغى أن يستقر عمل التربية على هـذا الأساس قبل كل شىء ، وها هنا تقع التبعة الكبرى على الوالدين وبما أنهم من حيث أشخاصهم من البشر كانت تبعتهم كلها واقفة عند هـذا الحد ، فينبغى لكل والد ووالدة أن يتساءل دائما هل أحدث فى نفوس أولاده التأثير النافع الذى يمكن أن ينبعث من شخص ناضج مملوء قوة فاذا عمل

---

(١) العدل نصف الحمل يعادل النصف الآخر حتى يتزن على ظهر البعير والمراد به هنا قوة المقاومة لما تحدثه البيئة من الاثر السيىء فى النفس لمنع نفس الطفل من السقوط.

الوالدان كل ما فى وسعهما ليكون أولادهما مثلهما فى النضوج والقوة الكاملة والخلق الحسن والسلطان الحقيقى وان يكونوا ينبوعا للخير والحُسن مستمرا لا ينضب اذن يكونان قد عملا ما استطاعا فعله من حيث هما والدان بل هما على الأقل ان اقتصرا على المجاهدة بكل ما فى أنفسهما من قوة فى سبيل ذلك كانا قد أديا ما عليهما من الواجب من حيث كونهما مربيين لانه لا يمكن أن يطلب من بشر أكثر من أن يكون دائم العمل جاهدا فيه .

قلت آنفا ان الوالدين هما أهم العوامل فى مخالطة الطفل وان التأثير الذى يحدث منهما فى نفسه يكون من أجل ذلك أقوى ضروب التأثير، غير أن هذا لا يتأتى الا إذا خصصا لولدهما الوقت الضرورى لتربيته فبذلك وحده يَشب الوالدان والأولاد فى الواقع معا فى أحوالهم النفسية ومن الطرق الموصلة لهذا الغرض المحاورة الليلية التى تكون بين الأم وولدها فكم لهذه المحاورة من الاثر فى توثيق الرابطة بينهما ودونك مثلا واحداً لذلك من أمثال عدة : حكت امرأة فاضلة فى مدينة بريمن [1] ذات مرة هذه القصة :

قالت كانت أخت زوجى لا تقصر قط فى الصلاة مع ولدها من نعومة أظفاره وكانت ساعة هذه الصلاة لكليهما فى كل مرة ساعة مشهودة وكان الطفل يفضى بكل ما يتعاور قلبه فى النهار من ترح وفرح الى والدته و بذلك صارت الام خير صديق له ولما كبر الولد خُصِصَت كذلك آخر ساعة فى النهار للصلاة بالاشتراك مع والدته وكثيرا ما كانت تنتهى هذه الساعة بتبادل الحديث بينهما فى كل ما وقع أثناء النهار فاذا ألمّ بقلبه شيء من الغوايات والفتن اعترف به مساء لوالدته لأنها كانت تجد لها سبيلا الى كل نواحى قلبه.وكان ابن أخى ـ وقد أدى امتحان الضرورة [2] للشهادة الثانوية فى شهر أغسطس سنة ١٩١٤ ثم انطلق فى شهر سبتمبر الى ميدان الحرب ممتلىء القلب بمحبة وطنه المتقدة فيه ـ يوجه كل يوم حتى ساعة وداعه عند ما يُلقِى تحية المساء على جماعة أسرته يوجه هذا السؤال الى أمه قائلا أى أماه ألا تجيئين للصلاة معى ؟ وقد كان فوق ذلك شابا نشيطاً ذكى الفؤاد ينتمى بكليته الى الشباب العصرى ، وكان قد أنشأ يشتغل بالتأليف وهو لا

---

(١) ويقال لها بالفرنسية بريم — هى احدى المدن الثلاث الحرة فى شمال المانية

(٢) انما سمى امتحان الضرورة لانه امتحان غير عادى الجأت اليه ضرورة التجنيد للحرب العامة

يزال طالباً فى المدارس الثانوية فمن ذلك أنه كان قد التزم للجريدة المسماة همبورجر فرمدن بلات « جريدة الأجانب الهمبورجية » أن ينتقد لها الروايات التمثيلية التى كانت تمثل فى مدينة بريمن .

ثم انه لما جرح جرحا بليغا فى ميدان القتال وهو ضابط وعادالى أهله ليعنوا بعلاجه كان خلقه كما عهدناه لم يتغير منه شىء ، ولا أزال أذكر وأنا مكتئبة حديثا هادئا شهياً وقع بينى وبينه قبل رجوعه آخر مرة الى قتال العدو ولقاء الموت فى آن واحد، فمن قوله فى ذلك الحديث : اى عمتاه ما أعظم شكرى لوالدتى لأنها كانت كل ليلة تجد وقتاً لتصلى معى فيه .

الوالدان اللذان يصلان الى الظفر بمثل هذه العلاقة بينهما وبين الطفل ويصيران أحسن أصدقائه يكون لهما دائما أبقى تأثير فى نفسه لأننا نعلم بالتجربة أن الأنسان صغيرا كان أو كبيرا يتأتى لمن نال منه أعظم ثقة به أن يؤثر فى نفسه أسهل ما يكون . وبما أن التربية فى أصلها ليست شيئاً آخر سوى التأثير كما وصفناها فيما سبق فلا يستطيع المربى أن يعمل أحسن من أن يحظى ممن يربيه بثقته المطلقة به فان كسبها كفته أحيانا أشارة قصيرة من ناحيته فى التأثير فى نمو الطفل نمواً موافقا له كما تدل عليه الحادثة التالية التى روتها ذات مرة طالبة من جامعة لايبزيج [1] لاستاذها قالت :

من الأمور التى لا أنساها الطريقة التى بها فتحت أمى عينىَّ ذات مرة باشارة حاذقة لادرك ما هو عظيم فى حياة الانسان الخلقية وما هو حقير وما هو لذلك جوهرى وما هو غير جوهرى .

كان ذلك فى أول سنة لى بالمدرسة .

نسيت ذات يوم أسفنجة لوحى الاردوازى وسجل ذلك علىَّ فى دفتر المكتب وبما أننى كنت عادة مجتهدة ويقظة الوجدان ألمنى ذلك إيلاما بليغا فكنت أتسلل من الخجل وأتقى الحاظ والدتى المستفهمة كما لو كنت قد ارتكبت خطأ جسيما . ثم انه لما أقبل الليل لم أستطع الصبر على احتمال ذلك فلما جاءت والدتى للصلاة عند مضجعى اعترفت لها وأنا

---

(١) مدينة المانية من أعمال ولاية ساكس بها جامعة شهيرة

أنتحب بما يخامر قلبي من الغم والحزن فجلست حينئذ الىّ وقالت لى هذا القول الذى ملؤه المحبة والعطف: أتظنين ان نسيانك أسفنجة اللوح قد آسف ربك فأجبتها مترددة مستغربة قائلة لا. فقالت اذن لاموجب لأسفك انت أيضا فلو أنك كنت كذبت لكان لحزنك هذا موجب فحسبك فى مستقبلك أن تجتهدى فى أن لا تنسى مرة أخرى. هذه الكلمات خلصتنى من الوزر الذى كان يضايقنى وأحدثت فى نفسى أثرا كان من نفوذه فيها بحيث انى كنت اهتدى به فى مثل هذه الحالات وغنمت بذلك قاعدة أجرى عليها فى حكمى على الأخلاق. نمت البذرة التى بذرتها والدتى وآتت ثمرتها مضاعفة.

فى هذه الكلمة تسلية لنا: ذلك اننا نظن غالبا ان كل جهودنا ضائعة وان كلماتنا لا يلتفت اليها الطفل وأنها ستنسى ولكن من هذا المثل نرى ان كثيرا من البذر الذى نبذره ينمو فى قلوب الأطفال من غير أن نشعر به ولذلك لا ينبغى أن نبدى فى عملنا كلالا ونصبا.

وعلينا أيضا من هذه الجهة الخاصة بنا: أن لا نكف عن العمل ولا ينبغى لنا قط نحن معاشر الوالدين والمربين أن نكون ضعفاء ولا كسالى ولا غير مبالين فيما يتعلق بأحوالنا الانسانية وصفاتنا اللازمة للتربية ولن يستطيع أى والد ولا أية والدة أن يتخلى من حصر كل قوته فى هذا الأمر وفى تعرف صفة أحوال نفسه ومن اشتغاله على الدوام باصلاحها فتربية المرء نفسه واجب على كل فرد من شأنه أن يصير مربيا أن يمارسها فلا يصلح أمر التربية دون تضحية وتنازل أعنى بدون ترك كثير من محاب النفس وشهواتها من أجل اصلاح الطفل أو كما قال غوث [1] ذات مرة « من جد فى ارشاد غيره ارشادا حسنا عليه أن يستعد لحرمان نفسه من كثير من محابها »

وعلى ذلك تكون القوى التى تتضافر فى العمل على توجيه نمو الناشىء ثلاثا وهى:
أولا — ضروب الاستعداد الموروثة. وثانيا — المخالطة. وثالثا — ذات المربى فهذه العوامل الثلاثة تؤثر فيه مشتركة من أول يوم من حياته فصاعدا تأثيرا لا يكون بدرجة واحدة من القوة فتارة ترجح احداها وتارة ترجح أخرى ومن أجل هذا لا يمكن

---

(١) اكبر كتاب الالمان

تحميل الوالدين وحدهما تبعة مساوى الطفل كما انه يكون من الخطأ من جهة أخرى نسبة جميع المحاسن التى تكون له فيما بعد الى التربية وحدها فالمربى وحده لا يصيِّر المرء ما هو لأن للوراثة والمخالطة فى ذلك أيضا حظا وافرا .

عبد العزيز محمد

الطرف والملح

قال الأصمَعى : قال لى الرشيد أوّل يوم عزم فيه على تأنيسى: ياعبدالملك . انت أحفظ منا. ونحن أعقلُ منك . لاتعلِّمنا فى مِلاءٍ[1] . ولا تُسرعْ الى تذكيرنا فى خلاء . واتركنا حتى نبتدئك بالسؤال . فاذا بلغتَ من الجواب قدر استحقاق فلا تزد . واياك والبدارَ الى تصديقنا وشدة العَجَب بما يكون منا . وعَلِّمنا من العلم ما نحتاج اليه على عَتَبات المنابر وفى فواصل المخاطبات ، ودعْنا من رواية حُوشىِّ الكلام وغرائب الأشعار ، وإياك واطالةَ الحديث الا أن نستدعى ذلك منك . ومتى رأيتنا صادفين عن الحق فارجعنا اليه من غير تقريرٍ بالخطأ . ولا إضجار بطول التَّرداد . — قال الأصمَعى : فقلت له يا أمير المؤمنين : أنَا الى حفظ هذا الكلام أحوجُ منى الى كثير من البِرّ .

وقال أبو الحسن على بن هذيل : ومن الواجب على من عَرِىَ من الأدب . وتخلى عن المعرفة والفهم . ولم يتحلَّ بالعلم : أنْ يلزم الصمتَ ويأخذَ نفسَه به . فان ذلك حظ كبير من الأدب . ونصيب وافر من التوفيق . لأنه يأمَن من الغلط . ويعتصم من دواعى السقَط. فالأدب رأس كل حكمة ، والصمت جُمَّاعُ الحِكَم — قال الشاعر :

وفى الصمت سَتْرٌ للعَيِّ وانما ... صحيفة لُبِّ المرء أن يتكلما

وقال آخر : لسان المرء ينبىء عن حِجاه ... وعِىُّ المرء يستره السكوت

وقال بعض العلماء : اتق مصارع الدنيا بالتمسك بحبل المُروءة ، واتق مصارع الأخرى بالتعلق بحبل التقوى ، تفزْ بخير الدارين ، وتَحُلَّ أرفع المنزلتين ،

---

(١) جمع ملىء : وهم اشراف القوم ووجوههم ورؤساؤهم

المسلمون في روسية

ا — حالتهم من الوجهة الداخلية

(١) الأدوار التى مروا بها

سياسة الحكومة القديمة (١)

بدأ خضوع شعوب التتر المختلفة لدولة روسية باستيلاء الروس على قازان في سنة ١٥٥٢م وتم اخضاع تلك الشعوب لسلطانها في أواسط القرن التاسع عشر من الميلاد،حيث بلغ عدد رعاياها من المسلمين مايزيد على عشرين مليون نفس،وامتدت حدود ملكها الى يامير في الكنشك والارارات .

هذا ونستطيع أن نلخص فيما يلي المعاملة الخاصة التى عاملت بها الحكومة المركزية رعاياها المسلمين تبعا للادوار التى مروا بها :

الدور الاول—وهو عهد الردة القهرية الذى استمر حتى حكم كاترينا الكبرى حيث كانت ترغم الحكومة طبقة الملاك من التتر على التدين بالمذهب الارثوذكسى من الديانة المسيحية والا تصادر جميع أموالهم وتسلبهم كل امتيازاتهم ، وقد بلغت نسبة من ارتدوا عن عقيدة آبائهم نحو ثلاثة في المائة من طبقة الملاك من التتر ، واما الأغلبية الكبرى منهم فلم تذعن لتلك التهديدات ،

هذا : وزيادة على أنها اندمجت من الوجهة الاجتماعية في عامة الشعب فانها بقيت متمسكة بدينها محافظة على عقيدتها ، حتى أنه كثيرا كان يقع بينها وبين الطوائف الأخرى من المنازعات ماكانت تسيل بسببه الدماء الغزيرة في المجتمعات الدينية مما جعل حياة المسلمين مهددة بالخطر على الدوام ، واستمر التتر كذلك مضطهدين زمنا من جانب الحكومة التى كانت تكره كثيرا من القرى على أن تبقى قرى أرثوذكسية بأجمعها

(١) نقلا عن كتاب « البلشفية والاسلام » جوزف كاستانيه Joseph Castangné

الدور الثانى — بعد أن أمضت الحكومة المركزية مدة في اتباع سياسة الشدة وارغام المسلمين على ترك دينهم بالقوة وبجميع أساليب التهديد ، تلك السياسة التى لم تفلح فيتحقيق أغراضها منها — بعد ذلك — لجأت الى سلوك سياسة أشد خطورة على حياة التتر القومية ، وهى سياسة اللين التى كانت ترجو من ورائها قتل الروح الوطنية في نفوس التتر ، وصبغهم بالصبغة الروسية، وللوصول الى هذه الغاية عينت الحكومة فئة خاصة من مفتشى المدارس كان يطلق عليهم في أوساط التتر اسم « مضطهدى العلم » الذين كانت مهمتهم أن يراقبوا الكتب الدراسية ودور الكتب مراقبة شديدة يستحيل معها دراسة اللغة التترية ، الا أن التتر أفسدوا على الحكومة سياستها واتخذوا ازاءها خطة كان من نتيجتها عكس ماكانت ترمى اليه الحكومة. وقد كان رد الفعل عنيفا ، اذ أن تجاوز حدود السلطة لم يؤد الا الى ايقاظ الروح القومية وانعاشها . وكان في أوائل من جاهدوا في سبيل المحافظة على لغة التتر الاصلية ونشر التعليم بينهم اسماعيل بك جاسيرنسكى اكبر محرر في جريدة «ترجمان» التى كانت تحرر باللغتين التترية والروسية في بلاد القرم وكانت منتشرة بين التتر والروس انفسهم . واسحاقوف الشاعر الروائى الذائع الصيت ، وصدرى نظام أوغلى ، وكريموف وشاهتا ختنسكى مدير « شرق روس » وغيرهم

وقد بنى جميع هؤلاء النابهين دعايتهم الوطنية على فكرتين أصليتين جعلوهما كشرط أولى وأساس ضرورى لنجاحها :

أولاهما — المحافظة على قوميتهم على الرغم من كل المحاولات التى ترمى الى صبغها بالصبغة الروسية ، وذلك بالعمل دائما على ايقاظ الروح الوطنية

ثانيهما — السعى باستمرار الى نشر التعليم بين أفراد الشعب التترى والعمل على رقيه وسعادته حتى يصبح عضوا عاملا لرقى الانسانية بصفة عامة ، الا أن أولئك المتعلمين النابهين قدصادفوا كثيرا من العقبات فيسبيل نشر دعايتهم وتحقيق أغراضهم سواء أكان ذلك من جهة رجال الادارة باتهامهم بأنهم داعون الىالجامعة الاسلامية للخروج على الحكومة ، أم من جانب بعض مواطنيهم الذين كانوا يرون في دعوتهم

الى التعليم خروجا على الدين ، ومن هنا نشأ العراك بين انصار طريقة التعليم القديمة وأنصار الطريقة الجديدة في المدارس والكتاتيب وبدأت المنافسة بين «أصول القديم» و«أصول الجديد» الأن مما يجدر ذكره هنا أن الطريقة الحديثة المسماة «الصوتية[1] » هى التى انتصرت بسهولة على الطريقة القديمة في المقاطعات التركية التترية التى انضمت أخيرا لروسية ، وانه بفضل ما اظهره أولئك المتعلمون من الغيرة وثاقب الفكر أمكنهم أن ينشئوا أدبا تتريا كان سببا في نشر الاراء الوطنية بين الشباب ، وان يضعوا الكتب التى استطاع بها النشء التتريون تلقى الدروس بلغتهم الاصلية.

الدور الثالث — سهل هذه المهمة على رجال الحركة العلمية الادبية من التتر مأبداه من التشجيع والمساعدة لهم الموظفون المسلمون في «الرفتوس» (الادارة المحلية في المديريات والبلديات) الذين مالبثوا أن انضموا الى الصفوف المعارضة الشعبية فوحدوا جهودهم وأخذوا يقاومون ولايات الحكومة الادارية فصاروا يحتجون بشدة على نفى اساتذة المدارس والقبض عليهم بدون ذنب اللهم الابثهم روح الوطنية في نفوس النشء ، وعلى تقييد الكتب وجعلها تحت الرقابة الشديدة ، وعلى السياسة الاستبدادية التى كانت متبعة في المقاطعات الاسلامية لاسيما في الستب والكرغيز .

وقد ظهرت عقب ثورة سنة ١٩٠٥ عدة جرائد ومجلات قيمة وألف الكثير من الكتب باللغة التترية فساعدت على نشر الروح القومية كما أن مؤتمر مسلمى روسية الذى انعقد في ذلك الحين ببلدة «نجنى نوفوجرود» والسياسة التى اتبعهـا النواب المسلمون في مجلس «الدوما» بالاتفاق مع نواب الشعب الروسى قد ساعدا على تنمية الحركة الوطنية وزادا في قوتها وجعلا جهود الوطنيين اكثر انتاجا حتى تمكنوا من اصدار أول قانون انتخابى ينص على انتخاب ممثلين عن تركستان،وما كانوا ينتخبون قبل ذلك . وعلى ذلك اتفق جميع انصار الحرية في روسية ومن بينهم رجال السياسة من المسلمين — وتم هذا الاتفاق بثقة متبادلة — على أن يعملوا للتخلص من نير الحكم الاستبدادى

(١) سميت «صوتية» لأن الكتابة فيها تطابق النطق

وعلى أثر ثورة مارس سنة ١٩١٧ م التى اهتزت لها جميع أركان روسية عقد المسلمون مؤتمرا للنظر فيشئونهم السياسية والاجتماعية وقدظهر في ذلك المؤتمر تياران مختلفان يعبران عن رأى فئتين انقسم اليهما أعضاؤه الذين انفضوا على أن يتركوا البت في تقرير مصيرهم الى الجمعية التأسيسية حيث يتاح لجميع الشعوب المكونة منها الدولة الروسية التعبير عن امانيها القومية .

(يتبع)　　　　خليل مدكور

الطرف والملح

روى ان الرشيد قال يوما لابنه أبي عيسى وهو صبي : ليت جمالك لعبد الله . يعنى المأمون . فقال له : يا أمير المؤمنين على أن حظه منك لى . فعجب الرشيد من جوابه على صباه وضمه اليه وقبله .

خرج شَبيبُ بنُ يزيدَ الشَّيبانى الخارجىُّ على عبد الملك بن مَرْوَانَ فى خلافته وحاربه . والحجاج أمير العراق يومئذ . فخرج بالمَوْصِل وهزم عساكرَ الحجاج وحصره فى قصر الكوفة وضرب باب القصر بعمود فنقبه . وبقيت الضربة فيه الى أن خَرِبَ قصر الأمارة . وكانت زوجُهُ غَزالةُ نَذَرَتْ أن تصلى فى مسجد الكوفة ركعتين . تقرأ فيهما بسورة البقرة وآل عمران . ففعلتْ . وكانت شجيعة . قيل فيها :

وفَّتْ غزالةُ نذرَها　　　　يارب لا تغفر لها

وهرَب الحجاج فى بعض حروبه مع شبيب من غزالة . فعيَّره عِمران بنُ قحطان السَّدُوسىّ بقوله :

أسدٌ علىَّ وفى الحروب نعامةٌ　　　　فتْخاءُ[1] تنفر من صفير الصافر
هلاَّ كررتَ الى غزالةَ فى الوغى　　　　بل كان قلبك فى جناحَىْ طائر

---

(١) لينة الجناحين مسترخيتهما .

العدد الرابع — المجلد الاول   ربيع الثانى سنة ١٣٤٩

قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم •

نور الإسلام

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية
تصدرها مشيخة الأزهر الشريف

أول كل شهر عربى

مدير ادارة المجلة :



المستشار بمحكمة الاستئناف سابقاً
ومن أعضاء مجلس الازهر الأعلى

رئيس التحرير : السيد محمد الخضر حسين من علماء الازهر

مكتب المجلة بالادارة العامة للمعاهد الدينية بشارع فهمى رقم ١٩

« تليفون : بستان ٣٥٠٧ »

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

قيمة الاشتراك السنوى

	قرش
داخل القطر المصرى	٤٠
لطلبة المعاهد والمدارس	٢٠
خارج القطر المصرى	٥٠
لطلبة المعاهد والمدارس	٣٠

يعامل أئمة المساجد والمأذونون ومعلمو المدارس الأولية معاملة الطلاب

وثمن الجزء الواحد ٣ قرش صاغ داخل القطر و ٤ قرش خارجه

بسم الله الرحمن الرحيم

« المدنية الفاضلة فى الاسلام »

أخذ نبهاء الأمم الخاملة أو مهضومة الجانب يسعون الى أن تكون أممهم فى رقى وسعادة ، وخطوا فى هذا السبيل خطوات قصيرة أو واسعة ، ووضعوا أسسا متينة أو واهية ، والذى يعنينا فى هذا المقام أن نقول كلمة فى وسائل نهوض الشعوب الاسلامية ان كانت خاملة ، أو ظفرها بالحرية الصادقة ان كانت محرومة من التمتع بحقوقها التى أوصى بها دينها الحنيف .

لا نفتأ نذكر ذلك السلطان الكريم الذى بسطه خلفاء الاسلام الراشدون على المعمورة، فعلّم الناس كيف يعيشون أحرارا ، والملوك كيف يقيمون عروشهم على قواعد العدل والمساواة ، ورجال الدين كيف يدعون الى الحقيقة والفضيلة فى سماحة ووقار ، ولا نجحد مع هذه الذكرى أن الشعوب الاسلامية قد وقعت منذ عهد بعيد فى وهدة من الخمول ، وانقطعت الصلة بينها وبين الأمم فلم تدر ماذا يصنعون ، حتى تراءى لها ما نبهها من غفوتها وحثها أن تنهض من كبوتها ، فسلك بقيادتها فريق كانوا على بصيرة من هداية الاسلام ، وان شئت فقل : تقدم لقيادتها رجال مستنيرون من أبناء المعاهد الاسلامية وآخرون مهتدون من القائمين على جانب من العلوم الكونية ، فمن يتحدث عن النهضة المصرية — مثلا — لا يحيد عن ذكر رجال استنارت عقولهم بين جدران الجامعة الأزهرية، ومن يتحدث عن النهضة التونسية ذكر فى مقدمة رجالها فريقا تلقوا معارفهم بين جدران الجامعة الزيتونية .

ولو استمر العمل لرقينا المدنى بأيدى طوائف تجمع بين رجال الدين المصلحين ورجال العلم الحديث المهتدين ، لقطعنا فى سبيل السعادة شوطا أبعد مما قطعنا ، ولكنا أثبت

موقفا وأقرب الى أن يهابنا الذين يعملون لشقائنا ، ولـكن حركة تقدُّمنا لم تستمر على ما وصفنـا ، ومسها مرض اذا لم نبـادر الى انقاذها منه كان شرها أكبر من خيرهـا ، وخيبتها أقرب الينا من نجاحها .

بُليت نهضتنا المدنية بعلتين :

(اولاهما) ان بعض نشئنا المتخرجين من مدارس غير اسلامية قـد وقفوا موقف الدعوة الى الاصلاح ولم يصبروا أنفسهم على تعرف آداب الدين فحادوا عن طرق الاصلاح النقية ولم يبـالوا أن يجهلوا على الدين ويجحدوا أن يكون له فى الحياة المدنية سلطان كبير أو صغير .

(ثانيهما) ان كثيرا ممن درسوا العلوم الاسلامية تقاعدوا عن أن يخوضوا فى شئون الحياة المدنية ، فـكان انزواؤهم وزهدهم فى منصب الارشاد العـام فرصة لظهور الدعايات المنحرفة عن الطريق المستقيم .

ان الأمة التى تأخذ بنصائح الدين وتقتدى بآدابه فى السر والعلانية لهى الأمة التى يمكنها أن تتحد وتتآزر فى صفاء ،وهى التى تستطيع أن تبنى عظمة وتحوط أكنافها بمنعة، فلا تجد الأيدى العادية الى هضم حق من حقوقها منفذا .

سنواصل بتوفيق الله القول فى نصائح الدين التى تأخذ بيد الجماعة الى هضبة الشرف القصـوى ، ونقفّى على أثر النصيحة بأخرى حتى يستبين لك أن الاسلام صنع الله الذى أتقن كل شىء ، وانما أذكر فى هـذا المقام خصالا كالدعائم يقوم عليها صرح الحياة المدنية بهىّ المنظر شامخ البناء ، وما هذه الدعائم الا العلم الصحيح والعمل النافع والخلق الرفيع .

أما العلم فقد عُنى به الدين فيما عُنى، ونوه بذكره فيما نوه،فقال تعالى (قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ) ومن دلائل أن الاسلام ينظر الى العلم باقبال ويعده فى أكبر النعم التى يتقلب فيها الانسان انك ترى فى أول ما نزل به الروح الأمين قوله تعالى (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)

وقـد اندفع المسلمون الى اقتناء ما لغيرهم من العلوم برغبة حريصة وهمم كبيرة ،

وتناولوا بحثها بعقول راجحة علاوة على العلوم التى استمدوها من الكتاب والسنة كأحكام الفقه وأصوله ، أو العلوم اللغوية كالنحو والبيان .

فالاسلام ينصح لأوليائه أن يبتغوا العلوم أينما كانت ، ويحضهم على أن ينظموا شؤونهم الحيوية على مقتضى ما علموا ، ولم يجىء الاسلام فى عقائده أو أخباره بما يخالف العلم الصحيح ، ولم يجىء فى نصائحه بما ينقص الرغبة فى العلم على اختلاف فنونه ، فشأن الأمة التى تبتغيه دينا أن تكون أصفى الأمم بصائر ، وأغزرها معارف ، وأبعدها فى البحث نظرا .

واذا اضاف أحد على جهالة أو سوء قصد الى الدين شيأ لا يقبله العلم ، فالاسلام كله حقائق ، وهو من تبعة ما يلصقه به الجاهلون أو المفسدون براء ، واذا صدر من بعض المنتمين الى الدين كلمة تصرف الناس عن علم مادى أو أدبى فاقصى مصدر هذه الكلمة ذهن صاحبها ، وليس بينها وبين الدين من صلة ، بل شأن الدين أن لا يكون عنها راضيا .

ولم يبق اليوم بعد أن ظهر من نتائج العلوم الكونية من أمثال هذه الغواصات والطائرات والمقذوفات ووسائل المخابرات — من لا يرجع الى قوله تعالى (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) ويتفقه فيها أكثر مما كان يتفقه ، ويشهد بأن العلوم التى يسمونها الطبيعيات والرياضيات هى من فروض الكفايات التى يجب أن تقوم عليها طائفة من الأمة فان الله لا يرضى لها الا حياة العزة والكرامة ، وهى لا تحيى هذه الحياة الا أن تكون على بينة مما يعلم أو يصنع خصومها .

وأما الاخلاق الشريفة فان الاسلام لم يدع مكرمة الا نبه على مكانها وندب على التجمل بحليتها ، وقد عُنى بمزايا هى أساس رقى الأمة وانتظام حياتها الاجتماعية ، كالصدق والأمانة والعفاف والحلم والعفو والتراحم والعدل وعزة النفس والشجاعة وحرية الضمير والاقدام على قول الحق وبذل المال فى وجوه البر ، وسنبحث فى هذه المزايا ببسط القول واقامة الشواهد فى مقام آخر ان شاء الله .

وأما العمل النافع فان الدين يحث على العمل لهذه الحياة كما يحث على العمل للحياة

الأخرى ، وجعل لعمل الشخص فى هذه الحياة نصيبا من ثواب الآخرة فوق ماينال من منفعة عاجلة متى كان قصده من العمل خالصا .

ولِما نسميه أعمالا أخروية وهى العبادات الأثرُ الطيب فى الحياة الدنيا قبل الحياة الآخرة ، أليست الصلاة المقرونة بحضور القلب وعمارته بجلال الله تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتكف يد صاحبها عن أن يعمل سوءاً فتحميه من جرائم شأنها أن تجره الى عقوبات بدنية أو مالية ، وفيها بعد هذا غنى عن طائفة من الشُرَط والسجون ينفق عليها أولو الأمر أموالا طائلة .

أو ليس فى الصيام رياضة النفوس وتدريبها على احتمال المكاره والصبر عن الشهوات حتى لا تكون أسيرة فى ملاذها ، وفى النفوس التى اعتادت الصبر عما تشتهى وهو حاضر لديها قوة وجلادة لا تجدها فى النفوس التى لا تكف عن المشتهيات الا عند فقدانها ، فالصيام بحق يشفى النفوس من علة الانحطاط فى الشهوات كلما عرضت ، ويسبكها فى صورة النفوس القوية التى يسهل عليها أن تنصرف عن ملاذها ساعة ترى الخير فى الانصراف عنها .

أو ليس فى الحج فوائد اقتصادية واجتماعية لو وجه اليها زعماء الحجيج عنايتهم لعادوا الى أوطانهم بما ينفعهم فى الأولى بعد أن قدموا للآخرة من العمل الصالح ذخرا باقيا .

ولا أرى حاجة الى أن أذكر فى هذا النسق فريضة الزكاة فان أثرها فى سد حاجات كبيرة من حاجات الأمة ظاهر ظهور الشمس فى كبد السماء . وقد أتى مقال فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى المنشور فى الجزء الثانى على جانب من حكمها الاجتماعية والاقتصادية

ولم يشرع الدين من العبادات مايضيق به وقت العمل للحياة مقدار أنملة ، فنحن نرى الذين هم عن الآخرة غافلون يشغلون جانبا من أوقاتهم فى راحة ولهو ، أفلا يحق للمؤمن أن يقضى جزأ من وقت راحته فى الوقوف بين يدى الخالق وابتغاء رضوانه ، وهذا الجزء لايزيد على ساعة فى اليوم والليلة اذا شاء ، ليفعل هذا وليقس حياته بحياة من يصرف أوقاته فى جمع المال واذا انتقل عنه فالى راحة ولهو ، فانه يجد من طمأنينة القلب وارتياح النفس

ما يجعل عيشه أهنأ وحياته أطيب مصداق قوله تعالى (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

لا أدرى كيف حدث خاطر أن قلة أقبال المسلمين على العمل لجمع المال وتفشى الفقر فى شعوبهم آتيان من ناحية دينهم ، وهؤلاء علماؤنا يقررون أن كل صنعة تحتاج اليها الأمة فرض كفاية لاتخلص الأمة من واجبها حتى تقوم بها طائفة منهم ، وقالوا ان نحو التجارة هى مباحة بالنسبة للافراد أى يجوز للرجل أن يتخذها حرفة يستمر عليها، وله أن يختار غيرها فى بعض الأحيان ، ولو تركها الناس جميعا لأثموا بتركهم لما هو من الضروريات المأمور بها [1] . وهذا الزركشى يقول فى بحث فرض الكفاية من قواعده « الدنيوى كالحرف والصنائع وما به قوام المعاش كالبيع والشراء والحراثة وما لا بد منه حتى الحجامة والكنس » ثم قال : « ولو فرض امتناع الخلق منها أثموا »

والتوكل فى لسان الدين انما يراد به توجه القلب الى الخالق حال العمل واستمداد المعونة منه ، فلم يكن داعية الى البطالة والاقلال من العمل البتة ، بل كان للتوكل الأثر العظيم فى اقدام عظماء الرجال على الأعمال الجليلة التى يسبق الى ظنونهم أن استطاعتهم وما لديهم من الأسباب الحاضرة يقصران عن ادراكها ، واذا فسرته فئة غير عالمة بقبض اليد عن العمل وطرح الأسباب جملة، فذلك تفسير لا يقره الدين الذى يقول (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) ويقول (وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ)

فالشريعة الاسلامية تأمر بالعمل لهذه الحياة وتجعل السعى على العيال والعمل للتعفف عما فى ايدى الناس أو للانفاق فى سبيل الخير من قبيل العمل الذى يستحق صاحبه ثواب الله فى الاخرى ، وتكره للرجل ان يوصى بما فوق الثلث وتقول له (انك أن تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس فى أيديهم)

---

(١) انظر بحث «المباح بالجزء المطلوب بالكل» من موافقات الشاطبى

ان شريعة هذا شأنها لشريعة مدنية تجمع الى تهذيب النفوس الذى هو القوة المعنوية أسباب البسطة فى المال الذى هو القوة المادية ، واذا جمع قوم بين القوتين فقد أحرزوا الكفاية لان يعيشوا كما ولدتهم امهاتهم احرارا .

فالاسلام ينادى أممه الى ان يتعلقوا من العلم بكل فن ، وينوه بشأن الاخلاق أبلغ تنويه ، ويجعل كل ماتدعو اليه حاجة الجماعة من العمل النافع أمرا واجبا ، فما من أمة تريد ان تصعد الى أفق السيادة الاعلى الا وجدت فى مبادئه اجنحة تطير بها الى حيث تطمح همتها ، وعلى قدر ماتنفق من عزمها ، وكذلك قص علينا التاريخ الصادق ان الاسلام اخرج للناس أمة بهرت العالم بعلومها الزاخرة واخلاقها الزاهرة واعمالها الفاخرة ، واذا شاءت الشعوب الاسلامية ان تكون المثل الأعلى للمدنية الفاضلة ففى استطاعتها ان تتحرى نصائح الدين الحنيف ، وفى احترام رؤسائها وزعمائها لاحكام الدين ونصائحه أخذ بالسياسة الرشيدة وهى التصرف فى شؤون الامة على مقتضى ارادتها

محمد الخضر حسين

الطرف والملح

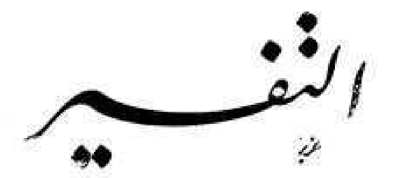
روى أن العماد الكاتب والقاضى الفاضل اجتمعا يوما فى مَوْكِب السلطان وقد انتشر من الغبار ما سدَّ الأفق . فأنشد العماد الكاتب :

أما الغبار فانه ... مما أثارته السنَّابك [١]
والجوّ منه مظلم ... لكن أنارَ به السَّنابك [٢]
يا دهرُ لى عبدُ الرحـ ... ـيم فَلَسْتُ أخشى مَسَّ نابِك [٣]

وهذا التجنيس فى غاية الحسن . توفى العماد فى مستهل رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة بدمَشق . ودفن بمقابر الصوفية — وتوفى القاضى الفاضل فى سابع شهر ربيع الثانى سنة سبع وتسعين وخمسمائة بالقاهرة . ودفن بتربة بسفح المقطم . وهو صاحب بستان الفاضل المسمى باسمه فى حىّ الناصرية . رحمهما الله تعالى .

---

(١) جمع سنبك طرف مقدم الحافر (٢) الضوء -- كناية عن صروفه وحوادثه .



تفسير قصة شعيب عليه السلام

٣

بسم الله الرحمن الرحيم

قد أسلفنا لك أن مما أَبْلَغَه سيدُنا شعيب عليه السلام قومَه نهيَهم عن نقص المكيال والميزان ، وأمرَهم بإيفائهما ، ونهيَهم عن البخس وعن أفحش الفساد الذى كانوا عليه مقيمين وأَنّ مما أبلغه إياهم أيضا خوفَه عليهم عذابَ يوم محيطبهم ،وأَنّ ذلك اليوم يومان ، يوم فى الآخرة ويوم فى الدنيا وأَنهم ان آمنوا وانتهَوْا عما نُهُوا عنه وائتمَرُوا بما أُمِرُوا به فان لهم أجرا احسنا يعجّل الله تعالى لهم بعضَه فى الدنيا ويدّخر لهم بعضَه الأكملَ الأوفى فى الآخرة ، وهو (بقية الله .) على ما بيناه فيما سبق .

فاما اليوم المحيط فى الآخرة فهو اليوم الذى فيه (يَفِرُّ المَرْءُ منْ أَخيهِ وأُمّه وأبيه . وصاحبَته وَبَنِيه . لِكُلِّ امْرِئٍ منهم يومئذ شأْنٌ يُغْنيه . وُجُوهٌ يَوْمَئذ مُسْفِرَةٌ ضاحكَةٌ مُسْتَبْشرَةٌ . وَوُجُوهٌ يَوْمَئذٍ عليها غَبَرَةٌ . تَرْهَقُها قَتَرَةٌ . أُولئكَ هُمُ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ .)

وأما اليومُ المحيط بهم فى الدنيا ، فهو اليوم الذى ينطبق عليهم فيه المَثَلُ الذى ضرب به الله تعالى لهم ولأَشياعهم ممن كانوا قبلَهم وممن سيكونون بَعْدَهم اذ يقول (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قريةً كانت ءامنَةً مطمئنَّةً يأتيها رزقُها رَغَداً من كل مكان فكَفرَتْ بأَنْعُمِ اللهِ فأذاقَها اللهُ لباسَ الجوعِ والخَوْفِ بمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ. وَلَقَدْ جَاءَهم رَسُولٌ مِنْهُم فَكَذَّبُوهُ فأَخَذَهُمُ العَذَابُ وَهُم ظَالِمُونَ . فَكُلُوا مِمّا رَزَقَكُم اللهُ حلالاً طيباً واشكروا نِعمتَ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيّاهُ تَعْبُدُونَ)

لقد كانت مدينُ كغيرها هـذه القرية . آمنةً مطمئنةً يأتيها رزقُها رَغَداً من كل مكان ، كما ذكَّرهم به رسولُهم شعيبٌ عليه السلام فى قوله (إِنِّى أَرَاكُم بِخَيْرٍ) وقوله (وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ) .

فارجِعِ البصيرةَ كرَّتَيْنِ إذاً فى ذلك الرزق الرغَد الذى كان يُجبَى الى القرية من كل مكان ، هل تحيط به كَيْفاً . أو تُحْصيه عدًّا ؟ ان الذى يحيط بذلك انما هو الله الذى أنعم به ، وهو علام الغيوب .

ان الرزق الرغَد الكثيرَ يُجْبَى من كل مكان عاقبتُه طيبُ الحياةِ الدنيا ونُعومةُ عيشها ، فان به تـكْثُرُ الاموالُ وتعظُمُ الثروة ، فاذا أحسنتِ الأمةُ تصرُّفَها فى ذلك الرزق فآمنتْ بالله الذى أنعم به عليها ، وشكرتْه سبحانه فوضَعَتْ كلَّ نعمة فيما وُهِبتْ لأجله ، فبشِّرْها بدوام ذلك الرزق وزيادته كما وَعَدَ سبحانه الشاكرين بذلك اذ يقول (لَئِنْ شَكَرتم لَأَزِيدَنَّكم) و (لاَ يُخْلِفُ اللهُ وعْدَه) .

اذ ذاك يَـكْثُرُ النسلُ ويعظُمُ عددُ الأمة ، وتعمُّها الصحةُ والسلامةُ من الآفات ، ويَقْوَى سلطانُها ويَعِزُّ جانبُها ، ويُجِلُّها من عداها ، ويتّقِى بَطشَها من عاداها ، ويُغرَسُ فيها العلم وينمو ، وتَعُمُّ المعرفة وتثمر ، فتكْثُر الصناعاتُ وتروجُ التجارات وتَعْمُرُ البُلْدانُ ويَجُوبُ أهلُها الأرضَ لجلب المنافع برا وبحرا ، فيعمّ الخِصب ويرغُدُ العيشُ وتتمتع الأمة متاعا حسنا الى أجل مسمى .

هذا هو الخير الذى رأى سيدنا شعيب عليه السلام قومَه فيه وهذه هى الكثرة التى ذكَّرهم بها ، ولذلك نهاهم عن نقص المكيال والميزان وأمرَهم بإيفائهما ووعَظَهم بما وعظهم لان ماهم فيه من ذلك الخير يُغنيهم عن تلك المعاملة الفاحشة التى زعموها مَجْلبةً للربح والغنى وغفلوا عن أنها مجلبة الفقر والخسران ونذير العذاب فى ذلك اليوم المحيط .

أَنْذَرَهم نزولَ العذاب فى ذلك اليوم المحيط بهم ، وأَخفُّه ما يصيبهم منه فى الدنيا وهو اذاقة الله تعالى لهم لباسَ الجوع والخوف بما كانوا يصنعون فيسلُبُهم النعمةَ الواسعةَ

الفضفاضةَ والأمنَ الشاملَ والقوةَ والمَهابةَ التى أسبَغها عليهم حتى شمِلتهم ، ويبدّلهم من كل تلك النعم اضدادَها ، فيعمّهم الجوع بذهاب الثروة ونَفاد الأموال وضعفِ القوة واندثارِ العلم والصناعة وخسارة التجارة وسائر ما كانوا يتقلبون فيه من الخير .

وحينئذ يصيرون أذلاّء بعد عزتهم أُسَراء لغيرهم بعد اطلاقهم أرقاء بعد حريتهم الى غير ذلك مما يطيب له الموت وتُكْرَه له الحياةُ .

هـذا بعض ما يصيبهم فى الحياة الدنيا من العذاب اذا عَصَوُا اللهَ فيما أمرهم به واجترحوا سيئاتٍ ما نُهُوا عنه (وَلَعَذَابُ الآخرةِ أشدُّ وأبقَى) .

كل هذا العذاب الكثير العظيم فى نفسه بعضٌ قليلٌ مما هو أكثرُ وأعظمُ منه فى الدنيا (وَلَعَذَابُ الآخِرةِ أكْبَرُ لو كَانُوا يَعْلَمُونَ) وما جرّه عليهم وأوقعهم فيه الا ما أرْكَسُوا فيه أنفسَهم من نقص المكيال والميزان وعدمِ استغنائهم بما اغناهم اللهُ تعالى به من صنوف النِّعم وضروبِ الخيرِ الذى أفاضه سبحانه عليهم .

هل يظن ظانٌّ أن هذا العقابَ الأليم وذلك العذابَ المُوجِعَ انما هو جزاء لأهل مدين خاصةً دون من سواهم ولو فعل كما فعلوا واساء كما اساءوا ؟

ان ظن ذلك احد فانه يكون من المخطئين الغافلين كما اخطأ وغفل اهلُ مدين من قبله لأنه ظن كما ظنوا أن ما يسْلَبُ بنقص المكيال والميزان وعدمِ ايفائِهما خيرٌ فى زعمه وهو نهايةُ الحُمْقِ والجهلِ بمعنى الخير والشر ، وذلك أن الخير الحقيقيّ انما هو ما كان حَسَنا محمودا فى كل العقول مرغوبا فيه عند جميع الناس فى كل حال من الأحوال ، وهو المسمّى بالخير المطلق ، وما عدا ذلك فهو شر ذميم وان زعمه بعض الناس خيرا ومنفعة لانه وافق شهوة باطلة فى نفسه .

اما الذى ظنه هذا الظان كأشياعه من قبل فانه الشرُّ كلُّ الشر كما علمت ولكنه لما وافق هوًى مُطاعا عندهم خدعتهم أنفسُهم فزينت لهم سوء اعمالِهم فرأوْه حَسَنًا فأقْدموا عليه اغترارا بهذه الخديعة وطمعا فى الغُنْم الذى هو بذور الخَسار والغُرْم ولم يكترثوا بما

يَلْحَق غيرهم من الغَبْن والضَّرِّ وضَياع الحقوق على مستحقيها ماداموا يتوهمون ان فيه خيرا لأنفسهم . كما انه كان هو واهلُ مدينَ من المخطئين فيما ظنوا ، كذلك غيرهم كانوا جميعا من الغافلين عن امورٍ إغفالها إثمٌ كبيرٌ .

تلك هى السُّنَنُ الألهيةُ والدلائلُ الكونيةُ التى نَصبها اللهُ الحكيم لعباده فى الآفاق ، وكذلك العقولُ والمَدارِكُ والوجدانياتُ التى ركَّبها الله القدير فى الفِطرة الآدمية التى كرَّمها، ومثلُها الآياتُ البيناتُ التى أتمّ بها النعمةَ على عباده فيما انزل اليهم على السنة رسله من كتبه السماوية .

كل ذلك كان نِعَما عظمى تفضّل بها سبحانه على العباد لتكون بها زكاةُ انفسهم وطهارتها من رذائل الأخلاق ، وليميِّزوا بها بين الحق والباطل والنافع والضار والحسن والقبيح ، ويُقيموا عليها مصالحَهم الدنيويةَ والأخرويةَ لتَحْسُنَ شؤونُهم الفرديةُ والاجتماعيةُ . أنعمَ عليهم سبحانه بتلك النعم ، ثم ارشدهم الى استعمالها والانتفاع بها ، كما قال تعالى : (سَبِّحِ اسْمَ ربِّكَ الاعلَى . الَّذى خلَقَ فَسَوى . والَّذى قَدَّرَ فهَدى .) وكما قال فيما حَكَى عن سيدنا موسى عليه السلام فيما قاله لفرعونِ مِصرَ (قَالَ رَبُّنَا الذى أعْطَى كُلَّ شىءٍ خلْقَه ثم هدَي .) ثم زاد سبحانه فى ارشادهم فأَمَرَهم بذلك فى شرائعه أمراً لا هَوَادةَ فيه وعلَّمَهم كيف يتصرفون فى تلك النعم والمواهب وينتفعون بها ، وذلك قولُه عز وجل (قُلِ انظُروا مَاذَا فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) وقولُه (إِنَّ فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَأَياتٍ لِلمُؤْمِنِينَ وَفِى خَلْقِكم وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ءاياتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ . وَاخْتِلاف اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيا بهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ ءاياتٌ لِقَوْمٍ يَعقِلُونَ . تِلْكَ ءاياتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بالْحَقِّ . فَبأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وءاياته يُؤْمِنون) وقولُه (وَفِى الأَرْضِ ءاياتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِى أنفُسِكم . أفلا تُبْصِرُون ؟) وقولُه (وَنَزَّلنا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيانًا لِكُلِّ شىءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) .

اهتـدى الذين قَدَروا تلك النعمَ حقَّ قدرِها ، فوصلوا بينها وبين ما خُلِقتْ له ،

فاستدلّوا بها على ما جُعِلت ادلةً عليه وربطوا الاسبابَ الصحيحةَ بمسبّباتِها والوسائلَ المشروعةَ بمقاصدِها وميّزوا الاشياءَ النافعةَ بغاياتها الحميدة وعرفوا الأمورَ الضارة بنهاياتها الذميمة فوقفُوا عند الحدود التى هداهم اليها العقلُ والشرعُ واستقاموا على الطريقة التى يصلون منها الى خيْرَي الدنيا والآخرةِ وتقرّبوا الى الله بامتثال اوامره واجتنابِ مناهيه شكرا له على نعمهِ وأدّوْا ما وجب عليهم من الحقوق لأربابها فوفّوْا المكيالَ والميزانَ بالقسط ولم ينقصوهما ولم يبخسُوا الناس اشياءهم ولم يعثَوْا فى الأرض مفسدين وتمتعوا متاعا حسنا بالخيرات الدنيوية التى عجّلها الله تعالى لهم واحتسبُوا عندَه عزّ اسمُه بقيةَ اجرِهم الحسنِ الذى ادّخرَه لهم فى الآخرة (والآخرةُ خيرٌ لِمَن اتّقَى)

امّا أهلُ مدينَ ومَنْ ظنّ مثلهم ظنّ السّوْء فانهم لم يقدروا هذه النعمَ حقّ قدرِها ، بل لم يقيموا لها وزنا ، فأهملوها ولم ينتفعوا بها ولم يَصِلُوا بينها وبين ما توَصّلُ اليه من الخيرات الدنيوية والأخروية . ولهذا وعظهم رسولُهم عليه السلام وخاف عليهم وحذّرهم عذابَ ذلك اليوم المحيط لأنهم بارتكابهم هذه الآثام العظامَ كانوا ممن قال الله عز وجل فيهم (وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدار) .

لعل فى ذلك الذى ذكرناه عِظةً وذِكْرَى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمعَ وهو شهيدٌ ، لِيعلمَ أنّ هذا العقابَ عامٌّ ، قضَى اللهُ عز وجل به على كل أمةٍ من أمم الأرض وقعتْ فى مآثمِ اللهِ ومعاصيه وعتتْ عن أمرِ ربِّها ورُسُلِه فانتهكتْ محارمَ اللهِ وزهدتْ فى حسن ثوابه واستخفّتْ بأليم عقابه وجنتْ على الفضائل وزيّنتْ الرذائلَ واستهانت بصيانة الأعراض واستحلّتْ الحقوقَ وأكلَ أموال الناس بالباطل وطففّت المكيالَ والميزانَ وبخستْ الناسَ أشياءهم ، وأفسدتْ فى الأرض بعد إصلاحِها وزعمتْ أن استقامةَ الحياةِ الدنيا ورفعتَها انما هى فى نبْذِ شرائع الله تعالى والقضاء عليها وفى عصيانِ ما تُرشِدُ اليه العقولُ السليمةُ وتجاربُ الأممِ التى عركتْها رحى الدهرِ ، كلُّ ذلك منهم

إعجابٌ بأنفسهم واغترارٌ بما زعموه علماً (وَإِذا جاءوكم قالوا ءامَنَّا وَقَدْ دَخلوا بالْكُفرِ وهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ واللهُ أعْلَمُ بما كانوا يَكْتُمُون) (وإِن تدْعُهُم الى الهُدى فلَنْ يَهْتَدوا إِذاً أبداً)

وبَعْدُ : فاننا نضرب صفحاً عن سَرْدِ أحوالٍ نحن الآنَ عليها عاكفون وفى المسارعة اليها والتنافُسِ فى ارتكابها والثناء عليها مُجدُّون وفى السخاء بالأعمار وبَذْلِ الأموالِ وتكذيبِ الوِجدانِ واستغضابِ الرحمنِ مُتسابقون .

نضرب عن هذا صفحاً الى أَجلٍ قريبٍ ثم نَسألُ : هل هذه المخازى التى خالفتْ بها مدينُ أَمْرَ ربِّها وعصَتْ رسلَه وفسَقتْ بها عن حُكمِ العقل والفِطرةِ السليمةِ حتى كانت ممن قال الله الحَكَمُ العدلُ فيهم (وَكَأَيِّنْ من قريةٍ عتَتْ عن أمْرِ ربِّها ورسُله فحاسَبْناها حساباً شديداً وعذَّبناها عذاباً نُكْراً فذاقتْ وَبالَ أمْرِها وكان عَاقِبَةُ أَمْرِها خُسْراً) هل هذه المنكَراتُ من التطفيف والبَخْس والأفسادِ فى الأرض بعد إصلاحِها قد تبيَّنَ لنا الآنَ نحن المسلمين غَيُّها وضررُها وقبحُها فَرَبأْنا بانفسِنا أَنْ نقعَ فيها كما وقع أهلُ مدينَ من قبلِنا حتى نأمنَ غضبَ اللهِ ان ينزلَ بنا ، فيسلبَنا نعمته التى أنعم بها ولم نَشكرْها بحسن التصرف فيها كما أعذَرَ الينا بذلك فى قوله (ذلكَ بأَنَّ اللهَ لم يكُ مُغيِّراً نِعمةً أَنعمَها عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّروا مَا بأنفُسِهِم .) وفى قوله (إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّروا ما بأنفُسِهِم . وإذا أرادَ اللهُ بِقَوم سُوءاً فلا مَرَدَّ له . وَمَا لَهمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ .) ؟

هذا سؤال لا يَخفَى الجوابُ الصحيحُ عنه على أحد من المسلمين الآنَ بل كلُّهم به عالمون وكلُّهم اجماعٌ على أنه جواب واحد لا يُخالفُ فيه منهم أحد ولا يُمارِى فيه ممارٍ مخالفٌ ولكن قد أَبى القلمُ أن يَبُوحَ به لا كتماناً للحق بعد ما تبيَّنَ ، بل طمعاً منه أَنْ نغير ما بأنفسنا من سُوءِ الحالِ ونتقى شرَّ المآلِ ليرفعَ اللهُ تعالى عنا نقمتَه ويُتمَّ علينا

نعمتَه فنسارِعَ اذ ذاك الى تبشير اخوانِنا المسلمين باستقامة الأمور وصلاح الشؤون ان شاء الله تعالى ، ونُثْنِي على الله المنعِم بما هو أهله .

لقد تبين للمستمع المتدبِّر فيما قدمناه أَنَّ جميعَ ما جاء في شريعة سيدِنا شعيبٍ عليه السلام هو بعينه ماجاء في الشريعة المحمدية لم يَتبدلْ منه شيء ولم يُنسخْ منه حُكْمٌ.

وتوضيح ذلك ، أَنها احكامٌ اتفقَ الشرعُ والعقلُ معًا على أنها خيرٌ دائما في كل زمان وفي كل حال محمودةٌ عند جميع العقلاء على وجْهِ الدهرِ ، ومن البَداهةِ ان كلَّ ما كان شأنُه ذلك فانه حكم لا يتغير ولا ينسخ ، ولهذا كان دين الله تعالى واحدا لا يعتريه تبديل ولا نسخ في الأحكام المتعلقة بالله تعالى كنعوته الألهية مثل القدرة والارادة وسائرِ كمالاته وكأحكام النبوات من الصدق والأمانة وتبليغ وحى الله تعالى وكالفضائل مثل الوفاء بالوعد والصدق في القول وأداء الأمانات الى أهلها والبر بالمحتاجين الى غير ذلك، فَدِينُ الله تعالى واحد لا تبديل فيه ولا نسخ كما قلنا في كل زمان ومكان لأى أمة من الأمم على لسان أى رسول من الرسل عليهم الصلاة والسلام .

نعم قد دخل النسخ بعض الاحكام الفرعية العملية ككيفيات الصلاة وكأكل ما له ظفُرٌ من الحيوان مثلا وكان مُحَرَّما على الذين هادوا ، أما الأحكام الأصلية العملية كنفس الصلاة والزكاة وكايفاء المكيال والميزان بالقسط وغيرِ ذلك فان النسخَ لا يلحقها، بل هى مقررةٌ محتمةٌ في كل شريعة الهية .

أما الفرعية فانها كما سلف تُنسَخُ فتُقَرَّرُ تارةً في بعض الأزمنة لبعض الأمم ثم تتبدلُ في بعض آخر ويَشْرَعُ الله الحكيمُ غيرَها ، لانه سبحانه علِمَ أَنَّ غيرها أوفقُ لهذا الزمان الأخير وأَصْلَحُ لأهله ، وهو سبحانه انما يريد بعباده اليُسْرَ . ولا يريدُ بهم العُسْرَ (يُريدُ اللهُ ان يُخَفِّفَ عنكم وَخُلِقَ الأنسانُ ضعيفاً)

قلنا ان ما أمر الله تعالى به رسولَه شعيباً هو ما أمر به رسولَه سيدَنا محمداً عليهما

الصلاة والسلام،وذلك هو قولُه سبحانه (وَأَوْفُوا الكيلَ اذا كِلْتم وَزِنُوا بالقِسطاسِ[1] المُسْتَقِيم . ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تأْوِيلًا[2]) .

ولقد يحسن هنا أن نقف على ما سبق بكلمات وجيزة تتجلَّى فيها بعض حِكَمِ ديننا الحنيفِ ومحاسنِ التشريع الألهى الحكيم مما تضمنته هذه الآية الكريمة فنقول :

أمر الله تعالى فى شريعتنا المحمدية بإيفاء المكيال فيما يكال وايفاء الميزان فيما يُوزَنُ كما أمر بذلك فى شرائع مَنْ قبلنا من الرسل ، والحكمة الألهية البالغة فى ذلك أنّ عدمَ ايفائهما اذا كان نقصا[3] ، هو من قبيل اتلاف المال واضاعته على الشخص الذى لأجله الكيل أو الوزن وهو المُسْتَوْفى كالمشترى — واذا كان زيادةً فهو من قبيل اتلاف المال وتفويته على المكتال منه وهو المُوفِى كالبائع . وأيضا هو خيانة ونَكْثٌ للعهد الذى تقتضيه المبادلة بين البائع والمشترى مثلا . وقد قال الله عزّتْ أسماؤه (إنّ العهدَ كَانَ مَسْئُولاً) .

ثم انه سبحانه أرشد عباده الى الحكمة الألهية التى لأجلها أوجب الأيفاء فى الكيل والوزن ، فاخبرهم أَنَّ ذلك لأمرين جليلين (الأول) أن ايفاءهما خيرٌ ، أى وصفٌ حميدٌ يرغبُه العقلاءُ أهلُ الفضائلِ والأمانةِ والمُرُوءةِ كافَّةً فى كل حالٍ وآنٍ (الثانى) أنه أحسنُ تأويلا ، وأَحْمَدُ مآلاً وأَطْيَبُ عاقبةً فى الدنيا والآخرة .

أما فى الدنيا فانه يُكْسِبُ صاحبَه الشهرةَ بين الناس بالأمانة وايتاء كلِّ ذى حقٍّ حقه ولا جدالَ أن ذلك يجعل له الذكرَ الجميلَ بين الناس ويُوجبُ الرغبةَ الصادقةَ فى معاملته ، ولا يخفى عليك ما يعود عليه من ذلك من الرواج والربح الحلال العظيم .

أَضِفْ الى هذه الفوائد الخاصة التى عادت عليه ، تلك الفائدةَ العامةَ التى تعود على الناس ، وهى عدمُ ضياعِ أموالِهم عليهم بنقص المكيال والميزان ، ثم اتخاذُهم له قدوةً

---

(١) بالميزان العدل السوى

(٢) مآلا وعاقبة

(٣) راجع ما سبق فى تفسير الآية المتقدمة .

يقتدون بها وجعله اما ما لهم يأتمون به فى هذا الفعل المشكور ليَرُوجوا كما راج ويستفيدوا كما استفاد .

وأما فى الآخرة التى هى خير وأبقى ، فانه يكون مرضياً عنه من الله تعالى الذى وَصفَ نفسهَ بانه لا يُضيعُ أجرَ مَن أحسنَ عملا ، وأنه سيَجْزِى العاملين للصالحات أجرَهم باحسن ما كانوا يعملون .

هذا : وانه ليَحْزُننا ما تكرَّرَ سماعُنا له من قول القائلين ، إن غيرَ المسلم عدْلٌ أمين لا يَغْدُرُكَ ولا يخونك فى معاملة من كيل أو وزن مثلا ،ولهذا كانت معاملتُه أفضلَ وان كانت بعوض أكثر .

أما المسلم فانه لا يعرف للأمانة قدرا ولا يُقيمُ للوفاء وَزْناً فهو اذا كال أو وزن طَفَّفَ واذا عاملك خانك الا ما دُمْتَ عليه قائما .

لم نحْزَنْ لهذا القولِ ضَنًّا منا على غير المسلم ان يكون امينا او حسدا له ان يكون ذا فضيلة ومُرُوءة ، فان ذلك إثمٌ حرَّمته على المسلمين شريعتُهم الحنيفية السمحةُ ، ألم تر ان الله تعالى قد أدَّب المسلمين وعلّمهم كيف يعاملون غيرهم اذ قال (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) لم نَحْزَنْ لهذا ، بل انما كان حزنُنا من ان المسلمين قد نبذوا قرآنَهم ظِهْرِياًّ ونَسُوا اللهَ بتركهم العمل بتعاليمه واحكامِهِ الحكيمةِ ، بل بتعطيلها وذمِّها والصدِّ عنها ، فكان من ذلك تطفيفُهم المكيال والميزانَ وخيانتُهم الأمانةَ ونكثُهم العهودَ ونقضُهم المواثيقَ استخفافا باوامر الدين ونواهيه وزُهدا فى الربح الحلال الذى يُثْمرُه امتثالُ ماأوجبه الله ، وتراهم بعد ذلك اذا تُليت عليهم آيات الله الآمرةُ الناهيةُ (لَوَّوْا رُءوسَهم ورأيتَهم يَصُدُّون وهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ)

ليت الأمرَ وقفَ عند هذا الحدّ ، وليت هذه الشرورَ والمذام حاقت بهم وحدهم

بل ان الأمر ادهى من ذلك وأمرُّ ، فان سيئاتِ ما كسبوا وجرائرَ ماعملوا ، قد طَوَّقَتْ بدين الله تعالى ، فزعم الجاهلون به أنه اصل جهلِ المسلمين ومَرجِعُ فسادِ احوالِهم وشؤونِهم الدنيويةِ ومنشأُ خمولِهم وخمودهم وجمودهم على ماهم فيه ، وأنه لارجاء فى تدارك ما فاتهم من صلاح احوالهم ولا طمع فى استقامة ماالْتَوَى من شؤونهم ماداموا يقاومون كلَّ اصلاح دنيوى بما يحتجُّون به من احكام دينهم الذى هو للدنيا عدوٌّ مبين.

هكذا ادَّعَى الجاهلون بحقيقة الاسلام واحتجوا على انه كما قالوا بأمرين (اولهما) أعمالُ اهله المؤمنين به فان أعمالهم شاهدة عليه بهذا ، فلو كانت حقيقتُه غيرَ ذلك لظهرتْ ثمرتُها فى اعمال الذين يدينون به (ثانيهما) انه دين كبقية الأديان لاسلطان له الا على الارواح يُذَكِّرها بالهها . اما الحياة الدنيا وشؤونُها من العلم بها والعملِ لها ومعرفةِ طرقِ اصلاحِها واساليبِ الانتفاعِ والتمتعِ بها وسائرِ وجوه النفع والانتفاع التى يقوم عليها صلاحُ المجتمع الانسانى على كثرتها وتنوع فنونها ، فان الاسلام كغيره لاشأن له بها ولاشىء من ذلك بمستفاد منه فكان لذلك دينا رُوحيا لااجتماعيا دنيويا ، هكذا زعموا وقلَّدهم منا المقلدون ، وكلُّهم جميعا مخطئون وخاطئون .[١]

نحن الآن بعد ما بسطنا ذلك فيما سلف لسنا فى حاجة الى الأفاضة فى بيان خطأ هؤلاء الزاعمين والذين شايعوهم فى زعمهم واتهامهم عمدا او جهلا دينَ الله تعالى بانه دين جُرُزٌ[٢] عقيمٌ ليس للحياة الدنيا وشؤونها فيه مَرْعًى صالحٌ ولا ماتقوم عليه نُظُمُها من أحكام دنيوية تناسبها وتسير الى جانبها الى غير ذلك مما يَرْمى به العدوُّ عدوَّه والصديقُ الجاهلُ صديقَه وجميعُهم قدضلوا عن سواء السبيل وقذفوا بالغيب دينَ الله تعالى من مكان بعيد. وان تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قولُهم : (اننا نؤمنُ بالله رب العالمين الذى له العظمة والكمال) ثم تراهم يُتْبِعُون مقالتَهم هذه بالطعن فى دينه ورميهِ بما ينافى ربوبيةَ الله العلى الكبير ويناقض عظمتَه وكمالَه سبحانه .

---

(١) الخاطى متعمد الخطأ بخلاف المخطى فانه لم يتعمد (٢) اصله الأرض القاحلة لا نبات فيهـا ولاماء

ان هـذا لا يصدرُ الا عن احد رجلين ، رجل كاذب يُظهِرُ خلافَ ما يُبطِنُ ويُبْدِي غير ما يُعيدُ ويقول ما لا يفعل ، وقد غفل عما ينم به ثوبُ ريائه ومرائه ، ورجل جاهل بالله الذي يَدَّعِي الأيمانَ به لا يعرف لربوبيته سبحانه للعالمين معنىً ولا يقدر لعظمته وكماله قدْرًا (وَلَه المَثَلُ الْأَعْلَى فى السموات والأرض) .

فاما هذا الكاذب المُرائى فانه مُسْتَهْتَر[3] ماجن[4] ، قد كَفَى العقلاء مؤونةَ تكذيبه وتشهيره ، أمَا تراه وهو فى كذبه وريائه قد استَغْشَى ثوبا من نَسْج كَذِبه وريائه وقد غاب عنه ان ثوبَه هذا يَشفُّ عما تحته وينادى عليه بين الملأ انه مُرَاءٍ كذَّابٌ .

وأما ذلك الجاهلُ فاننا نرشده الى الصواب ونعلمه ما جَهِل فنقولُ له ان رب العالمين جَلَّتْ أسماؤه ونعوتُه هو الله خالق العالمين ومالكهم وهو الذى يُرَبِّى أبدانَ العباد بما يرزقهم من الطيبات من الرزق وبما يُفيضُه عليهم من بركات السماء والأرض حلالا طيبا ، وهو الذى كما يربِّى أبدانَهم بهذا يربِّى نفوسَهم بانواع العلوم الصحيحة ويهذبُها باصناف المعارف الصادقة النافعة ويؤدِّبُهم بضروب النقم والحوادث الدنيوية تذكرةً لهم وزجرًا لهم عما يفرُط منهم ثم يتمُّ نعمتَه عليهم بعد ذلك بإرسال الرسل الكرام عليهم السلام ليبلغوهم عنه سبحانه دينَه القويمَ الكافلَ لمصالحهم الدنيويةِ والأخرويةِ من العقائد الصحيحة والعبادات المشروعة التى يشكرون الله تعالى بها على نعمته ويتقربون بها اليه سبحانه زُلْفَى وهم الفقراء اليه وهو الغنىّ الحميد وكذلك الاحكامُ الدينية العمليةُ التى تقوم عليها منافعُهم وأعمالُهم ومعاملاتُهم الدنيويةُ يَعلَمُ كلَّ هذا حقَّ العلم (الَّذين ءَامَنُوا وَلَم يَلْبِسوا[3] إيمانَهم بظُلْمٍ[4]) (أولئك هم الصادقون) و (أولئك هم المؤمنون حقًّا) .

لقد جَنَى هؤلاء القوم الطاعنون فى دين ربهم بالباطل ، وفرَّطوا فى أمرين عظيمين ، كان يجبُ عليهم قبل أن يطعنوا أنفسَهم بطعنهم فى دين الله ظلما وزورا أن يُحيطوا بهما علماً ليكونوا من الأمر على بينة .

(الأمر الأول) أن يقدِروا ربَّهم حقَّ قدرِه فيَعرفوا له سبحانه عظمتَه وكمالَه كما

---

(١) متبع لهواه لايبالى بما فعل (٢) هازل . (٣) يخلطوا (٤) بما يظلمون به أنفسهم من الآثام .

ادَّعَوْا وأنه تتنزهُ حكمتُه تعالى أنه يخلق خلقه ثم يَذَرُهُم فى طغيانهم يعمهون دون أن يبيِّنَ لهم على السنة رسله ما يقوِّمُ اعوجاجهم فيعلّمهم الكتابَ والحكمةَ ويزكّيهم ويأخذ بايديهم الى ما يصححُ معتقداتِهم ويرشدهم الى صلاح معاشِهم ومعادِهم دنيا وأخرى ، تلك هى السعادة الحقيقية العامة التى بيّنها الله تعالى للناس فى دينه القويم ولكن الذين يطعنون فيه بجهلهم لا يزالون فى حقيقة معنى السعادة يَعْمَهُونَ .

(الأمر الثانى) ان يسيروا سيرةَ الباحثين المنتقدين المنصفين فيطلعوا على الدين جملةً وتفصيلا فيَسْبُرُوا غورَه ويَجُوبوا خلالَه ويُنَقّبوا فى مَناحِيه ويتدبروا آياتِه ويفطنوا الى اشاراته ويَقِفُوا على مبادئه ليَصِلوا منها الى غاياته ومقاصدِه الى غير ذلك مما يجب على الباحث الذى يريد الوصولَ الى الحقيقة من صراطها المستقيم .

اننا نُحْسِنُ الظنَّ بهؤلاء المجترئين على الطعن فى دين الله ، فنحملُ طعنهم هذا على تقصيرهم المَعيبِ فى حقه وتمام جهلِهم الشأنَ به وبُعْدِهم عنه ، ولا نحملُهُ على أنَّهم قد عَلِمُوه ولكنَّ فَرْطَ عنادِهم واستكبارِهم عن قبوله واصرارِهم على المجادلة فى الحق بعد ماتبيَّنَ هو الذى لَوَى من اعناقهم فولَّوْا عنه وجوهَهم أَنَفَةً واستنكافا .

وأيًّامَّا كان أمرُهم بازاء هذا الدين الحكيم ، فانا ننصحهم النصيحةَ الخالصةَ ان يثُوبُوا الى رشدهم ويُنِيبُوا الى فِطرتِهم ويتُوبُوا الى ربهم ليتعرَّفوا هذا الدينَ تعَرُّفَ الباحثين المخلصين ، فعسى ان يعرِفوه ويكونوا من المهتدين ، والله يهدى من يَسلُكُ للهداية سبيلها المستقيمَ .

هذا : واننا رغبةً فى تيسير الأمرِ عليهم وتقريبِهم الى طريق الحق السَّوِىِّ نأخذ بايديهم الى ما قدَّمناه من تفسير هذه الآية الكريمة . عسى أن يُقيمُوا وجُوهَهُم له مخلصين ويعرفوا الحقَّ حقا فيتّبعوه مُذْعِنين ويكونوا من (الذين يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فيتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ . أولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُم اللهُ . وأولَئِكَ هُمْ أولُوا الألباب) . حسين منصور

وكيل دار العلوم العليا سابقا

أصول الدين

سوانح ومقتبسات

ليس الشأن أن تتكلم في كل علم انما الشأن أن تكون راسخا فيه تعرف غثه من سمينه ، كثير من الناس يتلقف فقرات من العلم من غير أن يعرف حقيقتها فيرددها ويطنطن بها ولا يعرف مافيها ، فهو أشبه شيء بما ورد في الحديث في شأن المنافق حين يُسأل حيث يقول : سمعت الناس يقولون شيئا فقلته، وقد أصبح المتعلمون عندنا يقدسون كل مايسمعونه عن أوربة بلا بحث ولا تمحيص . ويعتقدون أنهم أصبحوا علماء وقد يكون ذلك محل نزاع كبير عندهم . ولكنهم كالاطفال الذين اذا سمعوا شيئا لم يخالجهم فيه شك ولم يعترهم فيه حيرة، خصوصا اذا كان ذلك من آبائهم أو اساتذتهم ، وليس الفضل في تلك الوثبات الحمقاء ، فانها ضارة لانافعة ، وانما الفضل في البحث والتمحيص بحيث يحيط باطراف المسائل ويقارن بينها وبين ماجاء في الديانات مقارنة صحيحة .

أما هؤلاء فلا يعرفون ماقيل في تلك المسائل العقلية نفيا واثباتا، ولا ماكان لها من مراحل البحث العلمى . ولا ماوصلت اليه من درجة الظن أو اليقين أو الشك أو التخمين ، كما لاعلم لهم بما قيل في تلك المسائل الدينية وما قرره العلماء فيها وما كان لهم من أنظار وأفكار وتأويل وتعليل ، وقد كان يجب أن يعرفوا أولا أهى من القطعيات أم من غيرها ، وهى مما جاء في الكتاب المجيد والسنة الصحيحة . أم من عمل الاجتهاد الذى هو معترك الانظار ومزدحم الافكار ، فان هذا القسم قد يدخله وهم كثير، شأن البشر في كل أبحاثهم وأفكارهم - قيل لابد للناس من فلسفة أودين ولكن فرق كبير بينهما ، فان الفلاسفة يستمدون من أفكارهم التى تختلف ونزعاتهم التى تتضارب وتتناقض . ومنهم من اقتضت فلسفته الاكباب على الشهوات ، وفرق بين الرسول الذى يفزع الى الله ، والفيلسوف الذى يفزع الى فكره وعقله .

الفلسفة تدخل في كل شيء حقا كان أو باطلا ، لأن مدارها على قوة الخيال وفصاحة اللسان وحسن الاسلوب والقدرة على التلاعب بالكلمات والتفنن فى العبارات ، وليس مدارها على كون الشيء حقا ولا كون الدعوى صادقة ، ولديك السفسطائيون المعروفون. ولكل فلسفة قوم يعتنقونها واذواق تقبلها وعقول تصطبغ بها .

ان الله قد أوجد العالم على نظام محكم ليدل على حكمته ، وقد يخرق هذا النظام المشاهد أو يتصرف في نواميسه ليدل على قدرته ، ولكن الماديين اذا رأوا اتقان النظام ، قالوا ان العالم سائر على سنن لاتتبدل ، فلا حاجة الى اله . كأن القوانين تغنى عن المقنن ، وكأن النظام يغنى عن المنظم ، أو وضع الخواص في الاشياء يغنى عن الواضع ، واذا رأوا مالا يدركون سره ، قالوا ان ذلك فوضى لاتليق بالحكيم ، فماذا يريد هؤلاء الذين لاينفعهم نظام ولا غيره ، ولكن اذا فسدت معدة الانسان وجد كل شيء مرا ، وفي بعض الكتب ان الطاهر يجعل كل شيء طاهرا ، والدنس يجعل كل شيء دنسا ، والمريض الذى اختل مزاجه لاينفع معه شيء .

العالم لانهاية له وهو منظم غاية النظام ، ففيه قوة لاحد لعلمها وحكمتها وقدرتها والمادة وجه من وجوهها . وأثر من آثارها . لاسبب في أصل وجودها ، ان وراء العالم المادى عالما خفيا ، هو عالم الادراكات والرغبات والانفعالات والعواطف ، ولا يدركون كنهه . ولا يمكن أن يعلل بتعليل مادى ، وأصول علم النفس الآن ليست أقل من أصول علم الطبيعة .

الاسلام يعطى الارواح الامان والاطمئنان ، وقد جعل تحيته السلام . وكلما لاقيت رجلا بدأته بالسلام فرد عليك السلام فشعار المسلمين السلام وامته جديرة أن تسمى أمة السلام وأما عصبيته للحق فمن أكبر فضائله ولو صدق الأوربيون المستعمرون المتعصبون في أنهم أنصار الانسانية المعذبة ومنقذوها مما هى فيه ورافعوها الى ذرى السعادة لقابلنا ما يفعلون في الناس بالاستحسان والابتهاج ولكنها وسيلة من وسائل الاستعمار أيضا ، وما كان ذلك الا لأمة الاسلام حينما

كانوا متمسكين بمبادئه عاملين بتعاليمه التى أصبحوا بها ملوك الشرق والغرب في أقل من قرن يقيمون موازين العدل (ولا يخشون في الله لومة لائم)

قال الفيلسوف تولستوى : ولعل المبادىء العظيمة السامية الشماء التى تضمنها القرآن في بسط قوة الله وحبه وعظمته ورحمته لامثيل لها ولا ضريب فيأى دين آخر من الاديان ، تراها تتدفق في آيات من أبلغ آيات البيان وأشدها اثارة للارواح وهزة للنفوس ، ثم لاتزال الروحانية تعمل عملها في الحياة وفيضها ونورها . مبادىء لاينتهى الانسان منها . ولا تجد فيدين الاسلام كله من أوله الى آخره أثرا من آثار الاستبداد الفكرى والسفسطة التى تراها في تلك النظريات ، ولا من السفسطة واللجاج والمحاجة والثرثرة ، بل لايزال هذا الدين ينعش الارواح . وينادى الضمير العميق في الانسان ويناجى الفؤاد والوجدان ، ويمشى مع الصوت الخارج من حبة القلب الصادر من سويداء الروح،ولا يقبل الامنطق القلوب وعقل الغريزةوالفطرة.

الكلام على الاسلام يجب أن يكون في مقامين : مقام النظر في أصول الاسلام وتعاليمه وسيرة من جاء به ومقام رد الشبه عنه وما يخالج بعض العقول الصغيرة مما لايدركون له سرا ولا يفقهون له تأويلا ولابد من هـذا ، فان الناس مختلفون اختلافا كبيرا في الاستعداد وفي التربية والنزعات والاهواء ، حسبما أحاط بهم من الأوساط المختلفة والبيئات المتنوعة ، وهم بعد ذلك في معلوماتهم متفاوتون تفاوتا لايعلمه الا الله، فمحال ان يتفقوا . ولو فرضنا انك ذكرت مايفكر فيه كبار الرجال وما يرمون اليه من مرام بعيدة وانظار سديدة للاطفال، واعطيتهم الحرية فيما يقولون وفيما ينتقدون لذهبوا مذاهب شتى ، ولاعترتهم شكوك وأوهام تناسب حالهم وخيالهم ، فهكذا الجهلاء مع العلماء والسفهاء مع الحكماء ، لانهم لايعرفون لهم قدرا ولا لما يقولون معنى ، فاذا انضم الى ذلك تبجح وعناد مع تقديس الجهلاء أنفسهم كانت الطامة الكبرى والداهية الدهياء ، ومن جهل شيئا عاداه ، وما أصدق قول الله تعالى وأصماه لكبد الحقيقة (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ) .

لا يجوز أن يكون العالم بلا اله بالأدلة القطعية ولا يجوز أن يكون له اله ثم يهمل

خلقه ، فلا يرسل اليهم من يرشدهم الى طريق السعادة ، ولا يجوز أن يترك من يكذب عليه بلا انتقام ، كما فى القرآن وغيره من كتب الأنبياء ، وقد قال الله فى كتابه العزيز (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) — ينكرون الشياطين وقد آمنت بهم أوربة عند ما شاع استحضار الأرواح ، ويطلبون السفور وهم يئنون منه هناك ، ولكنا اعتدنا . أن نهزأ بكل ما ورثناه عن أسلافنا ، فاجتهدنا فى هدم كل معتقداتهم وعلومهم .

أريد في هذه السوانح أن ألفت نظرك الى شيء بديع جدا في الاسلام ، لاتكاد تجده في غيره خدمة للحقيقة وتحقيقا للحق لاطعنا ولا تعصبا ، وقد أصبح البحث والتمحيص شهوة من شهوات العصر الحاضر والوقوف على الحقائق كما هى نزعة من نزعات العقول العصرية ، فتحليل الاشياء تحليلا علميا حتى المسائل الادبية والتاريخية الآن هو فوق كل شيء ومقدم على كل شيء ، وبهذه الابحاث الحرة التى لايقصد منها الا خدمة العلم كان للاسلام شهادات كثيرة من منصفى الاوربيين وفلاسفتهم ، وقد كانوا يشوهونه غاية التشويه في القرون الوسطى فنقول .

ان الاسلام لايعرف الافراط ولا التفريط ولا غرو فهو الصراط المستقيم الذى هدانا الله اليه ، ولا يكون مستقيما الا اذا سلك الجادة والتزم الوسط ، فتراه لم يجيء بالزهد البالغ الذى يترتب عليه خراب الدنيا وذل المؤمنين به مما هو منافر للطباع البشرية تمام المنافرة . وموجب لسقوط الامة واستذلالها فلم يقل «من ضربك على خدك الايمن فأدر له خدك الايسر» ولم يقل لايدخل الغنى ملكوت الله، مما لاينبغى أن يستعمل الادواء وقتيا لمرض خاص في وقت خاص ، ثم لاتجده مع هذا يذكر الدنيا مرغبا فيها لافتا الانظار اليها بجعلها جزاء على الاعمال كما في الشريعة اليهودية (ولكن كان بين ذلك قواما) وكذلك لاتجده حتم القصاص كالتوراة ، ولا العفو كالانجيل ، لانه يعلم أن الطباع فيذلك تختلف اختلافا كبيرا فمن الناس من لايشفيه

الا القصاص ، ومنهم من كرمت نفسه فيسمح بالعفو ابتغاء وجه الله تعالى ، ومنهم من تسمح نفسه بالعفو في نظير شيء يأخذه من الجانى ، فجاءت الشريعة الاسلامية بذلك كله بعد أن رغبت في العفو كثيرا وكذلك تجد الشريعة الموسوية أمرت بقتل النساء والاطفال في بعض الامم وجاءت الشريعة الاسلامية بتحريم ذلك وترى الديانة المسيحية بجانب هذا لاجهاد فيها فاكبر مخالفيها على وجه الارض اليوم هم المدعون لاتباعها المجتهدون في التبشير بها .

تجد الاسلام يحث على التوكل ويجعله لازما للايمان فيقول :

(وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُوا انْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) وبجانب هذا يقول (فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ) ويقول (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللّهِ) ويقول (وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) ويأمرهم الا يكونوا عالة على الناس وهو القائل (كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) يريد أن يجعلهم معطين لا آخذين وهو القائل : اليد العليا خير من اليد السفلى . ويقول فى حفظ الجامعة الاسلامية ودرء الشرور عنها ورد عادية أعدائها (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ) ثم يأمرهم أن يحتفظوا بفضيلة الاعتدال فى جميع الأحوال ويطلب منهم ألا يأسوا على ما فاتهم ولا يفرحوا بما آتاهم ، يريد أن يجعلهم رجالا عظماء لا يطيشون عند ورود نعمة أو حلول نقمة

يقول (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ولا يدعها حتى يتلافاها بقوله (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَملا) (وَمَا عِنْدَ اللّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى) ويقول (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً) ثم يقول فى الجزاء (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ) دلالة على طريق العدل ثم يدل على طريق الفضل فيقول (وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) ومثل ذلك قوله (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللّهِ) الى آخر ما يرشدك اليه بحثك الصادق وذهنك الثاقب

يرمون الاسلام بانه دين التأخر والجمود ، وانه لا يمكّننا أن نجارى الامم الراقية في ميادين الحياة ونحن متمسكون به حريصون عليه ، يريدون أن يجعلونا ماديين نخدم الاجسام والاوهام وأن نقتل الوجدان ولا نصغى الى البرهان ، وأن نخنق أنفاس الارواح ونحصر جهودنا كلها في مطالب الاشباح ، على أنى وأبيك لا أعرف لذلك معنى ولا أذوق له سرا فان الدين يوجب علينا أن نكون أرقى الامم وأن لا نحتاج الى غيرنا، حتى أنه جعل الصنائع كلها مهما تجددت بتجدد العصور من فروض الكفاية التى تأثم الأمة جميعها بترك أصغرها وأحقرها ، فلا يبيح لنا الدين أن نجهل صنع ابرة نحتاج اليها فكيف بالمدفع أو الطيارة . . . . الخ فما أدرى كيف يفهمون أن الدين أخرهم وما تأخروا الا بترك أوامر الدين وتعاليمه ، وانا ننادى باعلى صوت أن المسلمين اليوم كلهم آثمون بهذا التكاسل الذى يحرمه الدين تحريما باتا وينهى عنه نهيا بليغا ، وهم محتاجون بعد هذا الى أن يكونوا مخلصين فيما يعملون ، قد طهرت نفوسهم من الاثرة والانانية والتشاحن والتكالب على حطام الدنيا الذى تجاوزوا به حده ، ولم يعرفوا أنه وسيلة لا غاية ، وأن مقاصد الانسانية أسمى من ذلك واكبر مما هنالك ، ومعلوم أنه لا يمكن الاعتدال في طلب الدنيا ، ولا الاخلاص الصحيح ولا محبة الفضائل واجتناب الرذائل الا بالخوف من سلطان الله والرغبة فيما عند الله، فاذا خضت غمار الدنيا وانت متسلح بسلاح الدين وراقبت الله تعالى فيما تفعل وما تترك حفظت من مكايد الشيطان وآثار الطغيان ، واذا كنت أعزل من هذا السلاح تخطفتك الشياطين وضللت في تلك الميادين فارتكبت الموبقات ، ووقعت في الهلكات فكنت شرا مستطيرا على نفسك وعلى أبناء جنسك فالناس في الحقيقة في حاجة الى الدين لاصلاح الدنيا قبل الآخرة، واجدنى مسوقا الى أن أقول أنه لا يمكن الانسان أن يعيش في راحة بال وصفاء حال ولا أن يشعر بلذة انسانية حقيقية الا اذا كان ذا دين قويم وقلب سليم ، فانه يجد من النور وشرح الصدور ومن برد اليقين ونفحات رب العالمين ما يفوق نعيم الملوك والسلاطين ، فان نعيمهم جسمانى لا روحانى وبهيمى لا انسانى على أن قلوبهم دائما في قلق واضطراب وخوف ووجل مما يتوقعون أو

يتوهمون ، لأنهم لايتغذون الا من زقوم المادة (وهى شجرة الهموم والغموم) ومحال أن يكون للشيء غير ظواهره الطبيعية ولوازمه الخلقية ، فالسعادة لاتجيء من هذه الناحية وانما تجيء من ناحية أخرى يعرفها المؤمنون وقد رسخ فيها الروحانيون واما أهل الدنيا فلا أثر لذلك الا في ظواهرهم لاغير .

لاتغترر بنعيمهم فجسومهم في جنة وقلوبهم في نار ،

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

الطرف والملح

من أمثال العرب المشهورة قولُهم : فى بيته يُؤْتَى الحَكَم . وهو مما زعمته العرب على السنة الحيوان — قالوا : ان الأرنب التقطت تمرة . فاختلسها الثعلب فأكلها ،فانطلقا يختصمان الى الضب . فقالت الأرنب : يا أبا حِسْلٍ [1] . قال : سميعا دعَوْتِ . قالت : اتيناك لنختصم اليك . قال : عادلا حكيما . قالت : فاخرج الينا . قال : فى بيته يُؤْتَى الحَكَمُ . قالت : انى وجدت تمرة . قال : حلوة فكليها . قالت : فاختلسها الثعلب . قال : لنفسه بَغَى الخيرَ . قالت : فلطمتُه . قال : بحقكِ أَخذْتِ . قالت : فلطمنى . قال حرٌ انتصَر لنفسه . قالت : فاقض بيننا . قال : قد قضَيْتُ — فذهبتْ أقوالُه كلُّها أَمثالا.

عتبت مولاةُ علىّ بن هشام عليه مرةفتمادى عَتْبُها . فترضاها فلم ترض.فكتب اليها : الإدلال يدعو الى المَلال . ورُبَّ هجرٍ دعا الى صبر . وانما سُمِّى القلبُ قلبا لتقلبه — وقد صدق عندى العباس بن الأحنف حيث يقول :

سَأُرانى إلاّ سأَهجرُ من ليـــ س يَرانى أَقْوَى على الهِجرانِ
مَلَّنِى واثقا بحسن وفائى ما اضرَّ الوفاءَ بالانسانِ

فخرجت اليه من وقتها ورضيت .

---

[1] ولد الضب



بسم الله الرحمن الرحيم

التفقه فى الدين وأثره فى المسلمين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيرا يُفَقِّهْهُ فى الدِّين ، وانما أنَا قاسمٌ والله يُعطِى ، ولن تزالَ هذه الأمّةُ قائمةً على أمر الله لايَضرُّهم مَنْ خالَفَهم حتى يأتى أمْرُ اللهِ » (١)

الشرح

الدِّين الأسلامىُّ هو الأحكامُ التى وَضَعها اللهُ العليم الحكيم لعباده مشتملةً على جميع ما تَصْلُحُ به حياتُهم الدنيوية والأخروية صالحةً لكل زمان ومكان لأىِّ أمةٍ من الأمم على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام المؤيَّدين منه سبحانه بالمعجزات والآيات البينات .

شَرَعَ سبحانه هذه الأحكامَ وفصَّلَها تفصيلا وأقامَ الأدلةَ الناطقةَ الباهرةَ على صحتها وموافقتِها لمصَالحهم وأَرْدفَ ذلك ببيان المنافع والثمرات الطيبة العائدة عليهم ما داموا عاملين بها واقفين عند حدودها . يَعرِفُ ذلك من مارَسَ هذا الدينَ ونظر فيه نظرَ المتدبِّر المُنصفِ الباحثِ عن الحق حتى اذا تبين له اتَّبَعه وكان به من المهتدين .

شَرَعَ جلّتْ حكمتُه لنا هذا الدينَ وأمَرَ رسولَه صلى الله عليه وسلم أن يُبلِّغه لنا فأخبرَنا عليه الصلاة والسلام أنّ علامةَ ارادةِ الله تعالى الخيرَ للعبد أن يُفقِّهه فى الدين وأنْ يَهبَه من الفِطنة والذكاء ما يُوَصِّلُه الى ادراك حقيقة هذا الدين وحَقِّيَّتِه ، والى معرفةما

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

فيه من الأسرار والحِكَمِ البالغة والى العلم بأنه الوسيلةُ العظمى الى نَيْل السعادة الكاملة فى الدنيا والآخرة ، فمن كان متفقها فى دين الله تعالى هذا التفقُّهَ فهو ممن أراد الله به خيرا كثيراً ينالُ حظَّه فى دنياه وآخرته ، ومن لم يكن كذلك فهو من المحرومين الذين ذُكِّرُوا بآيات ربهم فأعْرَضُوا عنها وتولَّوْا مستكبرين وضلُّوا عن سواء السبيل .

بعد ذلك أرشَدَنا الرسولُ صلى الله عليه وسلم بقوله (وإنما أنَا قاسمٌ) الى أنه عليه الصلاة والسلام انما هو مُوزِّعٌ عليهم جميعَ علومِ الدين ومُوصِلُها اليهم مع التسوية بينهم فى تبليغها لهم لا يَخُصُّ فريقا بشىء دون فريق ولا تأثيرَ له فى تعيين مقدار نصيب كلِّ واحد منهم بل انما ذلك التعيينُ لله سبحانه ، وذلك قولُه صلى الله عليه وسلم (وَاللهُ يُعْطِى) اى أن التفقيهَ فى الدين انما هو من الله وحده لأن نعمةَ الذكاء والفِطنةِ التى بها يكون التفقه والفهم الكامل انما يَقدِر عليها الله تعالى دون سواه فهو سبحانه الذى يجعل نصيب فلان من التفقه فى الدين بمقدارٍ معيّن فيكون هو قِسْمَهُ ونصيبَه الذى يوصله اليه الرسولُ صلى الله عليه وسلم بتبليغه كلٌّ على قدر ادراكه وذكائه الذى وهبه الله له ، واُعتبِرْ هذا الذى ذكرناه بما تعلَمُه منْ أمر المعلِّم مع من يعلّمهم يظهرْ لك معنى الحديث الشريف واضحا جليّا ، ألَا ترى أن المعلِّم يُلقِى على المتعلمين المسائلَ محدودةً مضبوطةً من قبلُ القاءً رتَّبَ أجزاءه ترتيبا ونسَّق جملَه تنسيقا وأسْمَعَهم عبارتَه جميعا وسوّى بينهم فى الإعلام والتعليم [1] . وبَذَلَ ما استطاع من أساليب الإفهام والتفهيم ، ثم بعد ذلك يكون حظُّ كلِّ متعلم مما تلقاه عن معلّمه بقدر استعداد فطرته وذكاء عقله وصفاء نفسه الذى فطره الله تعالى عليه ووهبه ايَّاه . فما أشْبَهَ هذا المعلمَ المُخْلِصَ حينئذ بالزارع الخبير المُجِدِّ ! يُهيِّىء الأسبابَ ويُعِدُّ الوسائلَ ويمهِّد المَزْرعةَ ثم يَبذُر الحبَّ وينثُرُه فيها بالتساوى والقِسطاس ثم يُسلِّمُ الأمر ويفوِّضُ العاقبةَ الى الله الذى جعلَ لكل شىء قَدْراً وخصَّ منْ فضله مَنْ شاء بما شاء من نعمته وهو العليم الحكيم .

---

(١) الاعلام مرة بعد أخرى . ومنه (قل اتعلمون الله بدينكم) . ومثله التفهيم .

هذا: ثم ان الفقهَ فى اللغة. هو[1] أنْ تتوصلَ بالأمر الذى تعلمُه الى الأمر الذى تجهلُه فتجعلَ الشىءَ المعلومَ لك الحاضرَ فى ذهنك وسيلةً تتوسلُ بها الى إحضار الشىء الغائب عنك فمِنْ هذا يتبينُ لك أن الفقه اخصُّ من مُطْلَق العلم، ويكونُ معنى تفقيه الله تعالى لمن يريد به خيرا هو انه سبحانه يُفيضُ عليه من لَدُنْهُ فيوفقُه لصحة ترتيب ما فى نفسه من المعلومات ويُلْهِمُه نَظْمَ ماهو حاضرعندها من صحيح المقدّمات ليَعْبُرَ منها الى العلم بما هو مجهول له ويَستنبِطَ منها مايتناسب معها ويشاركها فى حُكْمِها وحِكْمَتِها.

فاذا تلقَّى المتعلمُ عن معلّمه مسألةً وعلِمَ حكمَها. فعلى قَدْرِ ادراكِه الغريزىّ يكون قَدْرُ فهمِه لها، فان كان ضعيفَ الفطنة فأنه يفْهَمُها ويقفُ ادراكُه عند فهمِه لما ظهر له منها لا يتجاوزُه الى ما يماثلُها من مسائلَ أُخرى لم يَسمعْها من المعلّم، واذا كان قويَّ الفطنةِ ذكيا فانه يتخطاها ويَقيسُ عليها امثالَها ويستنبطُ منها اشباهَهَا والناسُ فى ذلك متفاوتون تفاوتا لايتناولُه عدٌّ وَلاَ احصاء.

على هذا السَّنَن وأمثلَ منه وأحْكَمَ كان الرسولُ صلى الله عليه وسلم يُعلّمُ المسلمين ويُلقّنُهم أحكامَ اللهِ تعالى التى علّمَه اياها ويرشدُهم الى تفهُّم ماأنزله عليه فى كتابه العلىّ الحكيم. كان يُلْقِى عليهم ما يراه انسبَ بحالهم الحاضرة ويقدّمُ اليهم ماهم احوجُ اليه من غيره، يَعدِلُ بينهم فى التعليم ويسوّى بينهم فى التقسيم والتوزيع ولكل منهم نصيبٌ من عناية النبي صلى الله عليه وسلم وتبليغِه يعادل نصيبَ اخيه الآخر، وهذا كما قدمناه لك معنى قسمتِه عليه الصلاة والسلام فى قوله (وأنما أنا قاسمٌ) أى مُوَزِّعٌ بينكم بتبليغَ دينِ الله تعالى بالعدل ومُوصِلّه اليكم على المساواة بعدَ أن تتساوى أنصبتُهم فى قسمة الرسول صلى الله عليه وسلم التبليغَ بينهم وفى فهمهم لها فهما صحيحاً تتفاوتُ حظوظُهم فيما فهموه قوةً وغيرَها قلةً وكَثرةً تفاوتاً نَشَأَ من تفاوتهم الخلْقىّ فى الاستعداد والذكاء والافهام، لاَ مِنْ تفاوتِهم فى التبليغ والتعليم والإفهام، لذلك كان منهم من يفهم المعنى

---

(١) الراغب الاصفهانى.

الظاهرَ الجليَّ فهما سديدا من تبليغ النبي صلى الله عليه وسلم لا يتعداه الى ما هو خفيٌّ عليه لأن استعدادَه لا يَقْوَى على الوصول اليه ، ومنهم من اذا فَهِم ما سمِعَ تأمَّلَ فيه وتدبَّرَ وجال فكرُه فيه وأمْعَنَ فى نواحيه حتى يدركَ ما فيه من رموز واشارات صحيحة ويَعرِفَ ما اشتمل عليه من أسرار وحِكَمٍ بالغة وتتجلَّى له المعانى التى هى وراء ما سَمِعه فَيَقِيسَ[(١)] الأَشباهَ على الأشباهِ ويُلْحِقُ النظائرَ بالنظائر ويَستنبطَ من أصول دين الله الصالحِ لكل أمة فى أى زمان مايوافقُ المَصالحَ الحاضرةَ مبيِّنا للناس ما فَهِمَه وما استنبطَه موضِّحاً لهم من أَيْنَ استنبطَ وكيف استنبط لا يُتَّهَمُ بعد ذلك أنه شَرَعَ لهم ما لم يأْذَنْ به اللهُ فاذا أصاب فيما اُجْتَهدَ فيه قَبِلوه منه وله عند الله أجرانِ وان لم يُصِبْ رَدُّوه الى الصواب وله أَجرٌ ، وعلى الجملة كانوا فى تعرُّفِ أَحكامِ الدين واستنباطِ ما ينطبقُ على مصالحهم المشروعةِ الحاضرةِ مؤتَمِرِين بقول الله تعالى (وَاُتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُم اللهُ) وقولِهِ (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيءٍ فَحُكْمُهُ الى اللهِ) وقولِه (فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِى شَيءٍ فَرُدُّوه إِلىٰ اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ . ذَلِكَ خيرٌ[(٢)] وأَحْسَنُ تأويلا[(٣)]) .

هذا هو الصراطُ المستقيمُ الذى سار عليه الصحابةُ رضى الله عنهم ، ثم اقتَدى بهم فى ذلك خَلَفُهم الصالحون من التابعين وتابعيهم ، ثم جاء مِنْ بَعْدِهم الأئمة المجتهدون فاهتدَوْا بِهَدْيِهم واُسْتَنُّوا بسُنَّتِهم ، إمامُهُم كتابُ الله الذى لا يأْتيه الباطلُ من بين يديه ولا مِن خَلْفِه الذى جَمَعَ كلَّ صلاحِ الدِّينِ والدنيا كما قال عز وجل (مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَيءٍ) .

وكذلك كانت قدوتُهم الحسَنَةُ سُنَّةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم تُفَسِّرُ لهم كتابَ الله تعالى وترشدُهم كيف يتعلَّمون ويُعلِّمون كما قال الله تعالى جل ذِكْرُه (وأَنْزَلْنا اِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ اِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون) .

---

(١) إعلام الموقعين

(٢) عمل صالح مشكور عند الله والناس أجمعين

(٣) مآلا وعاقبة .

لعل الذين اجْتَرَءوا على الدّين الاسلامىّ فاتّهَمُوه عمدا أوجهلا بانه كغيره من الأديان إن صَلَحَ فانما يَصلُح للأرواح . أما الحياة الدنيوية الزمنية فانه لا صِلةَ بينه وبينها . لانه خلوٌ مما يُصْلِحُها ويُقوِّمُها ، وأنّ ما يدّعيه له أنصارُه فانما هو أشياء جافّةٌ جَمُدوا عليها وأنها إنْ ناسبتْ كما زعموها له فانما هى أمورٌ قَدُم عَهْدُها كانت لزمن سلَفَ وأمةٍ قد خَلَتْ ، لعلهم تبيَّنتْ لهم مما شرحناه حقيقةُ ذلك الدين فعلِمُوا أنهم فى اتّهامِهم له بذلك كانوا عن صراط الحق ناكبين ، ولعلهم اعترفوا لدين الله تعالى بانه دينُ حرّيةِ العقلِ المشروعةِ وأنه سبيل الأصلاح الدنيوىّ والأخروىّ مُذْعنِينَ .

نقول أمّا أنّ حقيقةَ الاسلامِ الحنيف قد تبيّنتْ لهم فانه لاشك فيه ولا جدال على أنها ما خَفيتْ على بصائر أُولى الألبابِ مُنذُ أَن أَشْرقت شمسُها وبلَغَت الدعوةُ اليها مَشارقَ الأرضِ ومغاربَها ، كما قال عز اسمه (لا إكراهَ فى الدّين قد تبيّنَ الرُّشْدُ من الغَيّ) . وأمّا أنهم علموا أنهم كانوا عن سواء السبيل منحرفين فانه كذلك لا نزاع فيه ولا مِراء فان المُبْطِلَ اذا أَخذتْه العزّةُ بالإثم فأنكرَ على الناس عِلْمَه بالحق فانه لن يستطيعَ إنكارَه على نفسه التى بين جَوانِحِه .

وأمّا اعترافُهم بان دينَ الاسلام هو وحدَه دينُ اللهِ الذى لن يُقْبَلَ من احدٍ دين سواه كما قال سبحانه (وَمَن يبْتَغِ غيرَ الأسلامِ دِيناً فلن يقْبَلَ منه) فان كان هذا الاعترافُ منهم بالسنتِهم ترجمانا لما فى قلوبهم فقد آمَنُوا بمثل ما آمنتم به وكانوا مهتدين وإن كان الاعترافُ منهم على غير ذلك الوجه اولم يعترفوا اصلا (ولا نخال صدورَه عمن جعَلَ اللهُ لهم سمعا وأبصارا وافئدةً يقدِرونها قَدْرَها) فاننا لانيأسُ من رجوعهم الى الحق وقتاً مَّا ، فان الباطلَ لايَتَراءى[1] للنفوس الا فى اشتغال الحق عنه فاذا فرَغَ له دَمَغَه[2] فاذا هو زاهق[3] . (إن الباطلَ كان زَهُوقاً) .

هذا . ثم أوضحَ الرسولُ صلى الله عليه وسلم بعد ذلك العاقبةَ الحسنى لمن اعتصم

---

(١) لايتصدى ولا يعرض للنفوس لتراه (٢) اصاب دماغه . والمراد ازهقه (٣) ذاهب زائل .

بهذا الدين الحنيف واطاعه والعاقبةَ السُّوءى لمن أعرض عنه وعصاه فأخبرَ أن هذه الأمة المحمدية التى اكرمها الله المتفضلُ بهذا الدين القويم ستستمر قائمة على امر الله سائرةً على تعاليم دينِهِ ممتثلةً اوامرَه مجتنبة نواهيَه منفذةً أحكامه حافظةً لشرائعه وحينئذ يكافئها الله تعالى فى الدنيا بان يحفظَها ممن يخالفُ دينَها فيرُدَّ عنها كيد اعدائها ويدفعَ عنها شرورَهم ولا يسلطَهم عليها ولن يجعلَ اللهُ لهم عليها سبيلا بل يجعلُها مَهيبةً ملْء قلوبهم واعينهم ويجعلُ الفوزَ والنصرَ العزيز ونفاذَ الكلمةِ وعزّةَ السلطانِ وقوةَ الجانب لها عليهم . ولكنّ هذه المكافأةَ الحسنى من الله تعالى لهذه الأمة المحمدية انما تكون ماداموا معتصمين بعُروة دينِ اللهِ الوُثقَى ، عاملين بتعاليمه اما اذا نَبَذُوه وراء ظهورهم وعَصَوْا اوامرَه وارتكبوا محارمَه فاذ ذاك يأتى أمرُ اللهِ وهو حكمُه على من يُعرِضون عن دينه ويَعْصُون أوامرَه وينتهكون حُرُماتِه بالذِّلّة والصَّغار والفقر والحاجةِ وتسليط غيرِهم عليهم جزاءً وفاقاً (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ القُرى بِظُلمٍ وأَهْلُها مُصْلِحونَ) وقال سبحانه (وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي القُرَى الا وأَهلُها ظَالمونَ) فلينظر المسلمون بعد ذلك ليَعلَمُوا مِنْ أىِّ شَطْرٍ مِنْ شَطْرَيْ هذا الحديثِ المبشِّر المنذِرِهُمْ ؟ فان كانوا من شطره الأول قائمين على امر الله شكروه سبحانه أنْ هداهم للأيمان ووفّقهم لما يرضيه عنهم ويرضيهم عنه واستَوْهَبُوه دومًا توفيقهم وشكرهم له حتى يَزِيدَهم من فضله كما وعد الشاكرين فى قوله (لَئِنْ شَكَرتم لَأزيدنّكم[1])

واذا كانوا من شطره الثانى الذين نَسُوا[2] اللهَ فَنَسِيَهم[3] واستهدَفُوا لأمر الله يأتيهم بغتةً وهم فى خوضهم[4] يلعبون ، نخيرٌ لهم أن يتقوا اللهَ ويَنظروا ماقدّموا لغدٍ ان اللهَ خبيرٌ بما يعملون (أَلَمْ يَأْنِ[5] للذين آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قلوبُهم لذكر الله وما نَزَل من الحق وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمْ الأَمَدُ فَقَسَتْ قلوبُهم وكثيرٌ

---

(١) لأبقين عليكم النعمة ثم لأضاعفنها (٢) تركوا ذكره والعمل بدينه (٣) تركهم وخذلهم وحرمهم معونته (٤) فى دخولهم فى الباطل وسيرهم فى المعاصى وامعانهم فيها لاعبين غافلين عن العواقب (٥) الم يجىء الوقت الذى تخشع فيه قلوبهم لذكره تعالى فيمتثلوا اوامره وينتهوا عما نهوا عنه

مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) (يَـأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ (١) وَالأَنْصَابُ (٢) والأَزْلاَمُ (٣) رِجْسٌ (٤) مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ (٥) وَالبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ . فَهَلْ (٦) أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ؟)

حسن منصور

وكيل دار العلوم العليا سابقاً

الطرف والملح

كل ما نشر وما ينشر تحت هذا العنوان فهو من مختارات فضيلة الاستاذ الشيخ حسن منصور

سأل ابو العَيْناءِ الجاحظَ كتابا الى محمد بن عبد الملك فى شفاعة لصاحب له . فكتب الجاحظ الكتاب وناوله الرجلَ ، فأخذه ورجع به الى ابى العَيْناء وقال : هاهو الكتاب ، فقال له ابو العيناء : هل قرأتَه ؟ قال لا ، لأنه مختوم قال : ويحك ! فُضَّهُ لا يكون صحيفةَ المتلمِّس ، ففضّه فاذا فيه « مُوَصِّلُ كتابى سألنى فيه ابو العيناء وقد عرفتَ سفهَه وبذوءِ لسانه ، وما أراه لمعروفك اهلا ، فان احسنتَ اليه فلا تحسبْه علىَّ يداً وان لم تحسن اليه لم أعدَّه عليك ذنبا . والسلام » فركب ابو العيناء الى الجاحظ وقال له: قد قرأتُ الكتاب يا ابا عثمان فخجِلَ الجاحظُ وقال : ياابا العَيْناء . هذه علامتى فيمن أعتَنِى به . قال ابو العيناء ، فاذا بلغك ان صاحبي قد شتمك فاعلم انها علامتهُ فيمن شكر معروفه .

قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : اتقوا المِزَاحَ فانها حُمْقَةٌ تورث ضغينةً .

---

(١) القامرة اياكانت (٢) جمع نصب • وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة (٣) جمع زلم . وهى قطع رقيقة من الخشب . كتب على احدها (امرنى ربى) وعلى الثانى (نهانى ربى) والثالث لا كتابة عليه . ثم توضع فى كيس . ويخرج صاحب الازلام واحدا منها . فان خرج الزلم المكتوب عليه (امرنى ربى) مضى الشخص فيما اراد . وان خرج الذى فيه النهى لم يمض . وان خرج المهمل من الكتابة اعادوا العمل مرة بعد مرة حتى يخرج الأمر او النهى . وغرضهم من ذلك معرفة ماقسم لهم أخير هو ام شر ؟ (٤) اقذار تعافها الطباع الزكية والعقول السليمة الراجحة (٥) البغضاء هنا تأثر النفس وانفعالها انفعالا غير حميد . فهى ضد المحبة واثرها الناشىء عنها العداوة . وهى هنا التعدى واساءة المعاملة . فذكر البغضاء بعد العداوة من ذكر السبب بعد المسبب (٦) استفهام معناه الامر بالانتهاء •

مجلة نور الاسلام

تحية ونقد

ملخص مقال من فضيلة الاستاذ صاحب التوقيع فى تحية المجلة ونقد كلمة جاءت فى مقال (الهجرة) المدرج فى الجزء الأول من هذه المجلة

عند ما قرأت فى الجرائد ذلك النبأ السار الذى بشرنا بظهور مجلة نور الأسلام حمدت الله كثيرا على ظهور هذا النور ورجوت الله سبحانه أن يبدد به ظلمات الشبهات التى أحاطت بالمسلمين من كل جانب وكنت فى شوق الى رؤية هذه المجلة التى يشرف على تحريرها نخبة من العلماء الأجلاء وقد كان الواجب أن تكون فى عالم الوجود من ربع قرن على الأقل بل كان الواجب أيضا أن يكون لنا معشر المسلمين المصريين عشرات من أمثالها اذا أردنا أن يكون لنا وجود يشعر به أهل الأديان الأخرى :

وقد أسعدنى الحظ بالعثور على العدد الأول منذ يومين اثنين فقرأته وعند ذلك ذكرت قول القائل « أول الغيث قَطر » ودعوت الله أن يوفق القائمين بأمرها حتى تأخذ المكانة الخليقة بها اذ هذه المجلة منسوبة الى أكبر جامعة دينية اسلامية فى العالم وعلى هذا الاعتبار سينظر اليها العالم الاسلامى فى جميع أقطار الارض وحبذا لو تمكن القائمون بها من نشرها بلغات أخرى حتى يعم النفع بها

قرأت فما قرأت من بحوثها القيمة الكامنة التى كتبها حضرة مولانا الاستاذ الكبير الشيخ ابراهيم الجبالى تحت عنوان الهجرة النبوية التى اختتمها بقوله (ولما سمع أهل المدينة بخروجه اليهم « أى النبى عليه السلام » غلبهم الفرح والشوق الى رؤية نبيهم فكانوا يخرجون كل يوم يرقبونه خارج المدينة حتى يشتد الحر فيعودوا الى دورهم حتى كان اليوم الذى وصل فيه صلى الله عليه وسلم كان أول من رآه رجل من اليهود فصاح بأعلى صوته هذا جدكم الذى تنتظرون قد جاءكم (يريد بالجد الحظ) فاقبلوا عليه مرحبين وأخذ البنات يغنين

طلع البدر علينـــا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا مـــا دعى لله داع
أيهـــا المبعوث فينا جئت بالأمر المطـاع

والذى لاحظته على ذلك أن فضيلة مولانا الاستاذ جارى فى قوله هـذا بعض أهل السير الذين رووا هذه الأبيات وقالوا أن بنات المدينة تغنين بها عند مقدم النبى صلى الله عليه وسلم مهاجرا اليهم من مكة والصحيح أن هذه الابيات أنشدها النساء والبنات والولائد بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم عند رجوعه من غزوة تبوك الى المدينة

قال ابن القيم فى كتابه زاد الميعاد فى ذكر هذه الغزوة ولما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة خرج الناس لتلقيه وخرج النساء والصبيان والولائد يقلن

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعى لله داع

ولم يذكر غير هذين البيتين ثم قال وبعض الرواة يهم ويقول : انما كان ذلك عند مقدمه المدينة من مكة وهو وهم ظاهر لأن ثنيات الوداع هى من ناحية الشام ولا يراها القادم من مكة الى المدينة ولا يمر بها الا اذا توجه الى الشام

أى فى رواية من روى أنها قيلت عند مقدمه المدينة مهاجرا من مكة غلط مادى ظاهر كان سببه عدم معرفة مواقع الطرق والجبال المحيطة بالمدينة

هـذا ما رأيت بيانه فى هذه الكلمة القصيرة وهى تحيتى لهـذه المجلة التى أرجو لها حياة مباركة طيبة ان شاء الله تعالى ؟

محمود عرنوس
قاضى محكمة بنى مزار
الشرعية

« الجواب عن ايراد ابن القيم »

نشكر لفضيلة الاستاذ علو همته وعنايته بالتحرى والتحقيق مع أدبه الجم ، فذلك هو ما ينتظر من مثل فضيلته .

ثم نقول : ان الذى ذكرناه هو مادرج عليه أهل السير ، وقد أجاب صاحب السيرة الحلبية عن اعتراض ابن القيم فى (زاد المعاد) الذى نقله الاستاذ بان دخوله صلى الله عليه وسلم المدينة من هذه الجهة كان بعد اقامته أياما بقباء ، ونقل أيضا عن بعضهم ما يفيد أن العادة كانت جارية بان دخول المدينة كان من هذه الجهة ، وكان فيما يزعمون أن من لم يعبر منها مات قبل أن يخرج من المدينة لوبائها ، ومثل هذا الزعم مهما كان كاف فى جعل تلك الثنية هى الطريق المألوف للقادمين الى المدينة ، فمجرد كون ثنية الوداع ليست فى جنوب المدينة لا يكفى فى توهيم الرواة على ما زعم ابن القيم .

هذا وقد قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان عن ثنية الوداع (انها ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة) وقال (واختلف فى تسميتها ثنية الوداع فقيل لانها موضع وداع المسافرين من المدينة الى مكة وقيل غير ذلك) وعبارة القاموس (ثنية الوداع بالمدينة سميت لان من سافر الى مكة كان يودع ثَم ويشيع اليها) فمن هـذا يظهر أن ثنية الوداع كانت هى الطريق المألوف فى دخول المدينة فلا محل لتوهيم من روى ذلك .

وأما انشاد بنات الانصار هذين البيتين عند مقدمه عليه الصلاة والسلام من تبوك فلا يمنع سبق انشاد الابيات الثلاثة عند مقدمه من مكة فكلمات الترحيب ملحقة بالاغانى تتكرر ولا تمل والله أعلم .

ابراهيم الجبالى
مدرس بقسم التخصص بالأزهر

تنبيه

وردت ادارة المجلة رسائل فى مسائل شتى وسيشرع فى الجواب عنها فى الجزء القابل ان شاء الله تعالى

اصول الفقه

الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان

الاصول النظرية الشرعية

الاستصحاب

يجد الانسان في نفسه انه اذا تحقق عدم شيء أو وجوده كان على ظن من استمرار ذلك الشيء على ماتحقق فيه من عدم أو وجود ، ويبنى على ذلك الظن اعمالا ليس من شأنه أن يفعلها في حال ما اذا كان في شك من استمرار الشيء على العدم أو الوجود ، فاذا ناقش أحد في مراسلة الشخص ممن عرف وجوده ، وزعم أن مثل هذه المراسلة يكفي فيها أن يكون على شك من استمرار وجوده ، فانه لايستطيع أن يناقش في أن من اشترى حيوانا غائبا مثلا كان قد رآه من قبل ، ودفع ثمنه أنه اعتمد على ظن استمرار حياته ، ولا يستطيع أن يناقش في أن من اقتحم بصبيته مفازة مغبرة الارجاء دون أن يحمل معه ماء كافيا انما اعتمد على ظنه بقاء ماعرفه فيها من آبار نابعة ، ولولا مايغلب على ظن الاب العطوف من حياة ابنه الغائب في سفر لما كان يبيت الا في قلق وحيرة ، وانك لتجلس الى الانسان العاقل وتسأله عن شخص عرف أحواله ثم انقطع عنه شهرا أوسنة فيتحدث عنها بكلام من لايشك في أنهاواقعة في الحال ، فيقول : هو موسر أو بائس ، له ولد أو لا ولد له ، بينه وبين فلان عداوة أو صداقة .

وظنُ الانسان لاستمرار ماتحقق عدمه أو وجوده منبه الى أن الأصل في عدم الشيء أو وجوده الاستمرار حتى يقوم الشاهد على انقطاعه ، وهذا الاصل مما نظر اليه الفقهاء عند تقرير الأصل الذى يسمونه «الاستصحاب» .

الاستصحاب : أصل من أصول الشريعة التى تجعل العلماء في فسحة ، وتخلصهم

من مواقف الحيرة ، وهو أصل متفق على العمل به في الجملة وان اختلفوا في بعض ضروبه ، قال القرطبي «القول بالاستصحاب لازم لكل أحد لانه أصل تنبنى عليه النبوة والشريعة ، فان لم نقل باستمرار حال تلك الادلة لم يحصل العلم بشيء من تلك الامور» واستمرار حال أدلة النبوة والشريعة من الاستصحاب الذى لايختلف العقلاء في صحته ولا يتطرق اليه الريب في حال

ونحن لانقصد في هذا المقام الى بسط القول بذكر مذاهب الفقهاء في الاستصحاب وتقرير أدلتها ، فموضع ذلك كتب الاصول ، والقصدان نتحدث عنه بمقدار مايستبين القارىء حقيقة أصل من الاصول التى جعلت مجال الاجتهاد فسيحا ، وطريق الفتوى ممهدة ، ولا تنجلى حقيقته الا ببيان أقسامه وضرب المثل لكل قسم منها ، وذلك مانتحراه في هذا المقال

الاستصحاب : ثبوت أمر في الزمن الحاضر بناء على ثبوته فيما مضى ، فالامر الذى علم وجوده ثم طرأ الشك في عدمه فالاصل بقاؤه ، والامر الذى علم عدمه ثم عرض الشك في وجوده فالاصل استمراره في حال العدم ، فمن تزوج فتاة على أنها بكر ثم أدعى بعد البناء بها أنه وجدها ثيبا لم تقبل دعواه الا ببينة ، لان حال البكارة ثابت من حين نشأتها ، فيستصحب الى حين البناء حتى تقوم على عدمه البينة ، ومن اشترى طائرا أو كلبا على أنه يحسن الصيادة ، وادعى بعدُ أنه وجده غير متعلم لها ، سُمعت دعواه هذه الا أن تدفع ببينة ، لان حال الحيوان في الاصل عدم معرفة الصيادة حتى يعلَّمها ، فاذا وقع فيها تردد استصحب الاصل حتى يقوم الشاهد على ثبوتها .

والاستصحاب كسائر الاصول التى يستخلصها المجتهد من استقراء جزئيات كثيرة من موارد الشريعة ، ويرجع بمقتضى ماذكره علماء الأصول الى أربعة أقسام

(أحدها) استصحاب ماهو حكم الاشياء في الأصل حتى يقوم الدليل على مايخالفه وبيان هذا أن كثيرا من ائمة الشريعة ذهبوا الى أن الاشياء في الاصل خالية من

الحكم ، أى أنها لاتوصف بشيء من الاحكام الشرعية من الوجوب والحرمة والندب والكراهة والاباحة ، ومقتضى هذا رفع الحرج والاثم عن الفعل والترك ، ورجح فريق انها على الاباحة ، ومآل القولين واحد فان الحرج في الفعل والترك مرفوع على كلا المذهبين ، وانما يمتاز مذهب الاباحة بانه صريح في التخيير ، أما مذهب انتفاء الاحكام فغايته رفع الحرج ، ورفع الحرج لايستلزم التخيير في الامر لاحتمال أن يكون مكروها ، ورأى آخرون أنها على المنع ، وأدلة هذه المذاهب مبسوطة كما ذكرنا في كتب الاصول

وتظهر فائدة الخلاف في الاشياء التى لايجد المجتهد على حكمها من دليل ، أو الاشياء التى تتعارض عندها الادلة ولا يبدو له في جانب أحدها وجه من الترجيح .

فهذه الاشياء يرجع بها كل فريق من أصحاب هذه المذاهب الى استصحاب مايراه أصلا للأشياء ، فهذا يستصحب فيها انتفاء الحكم فتلحق بما لاحرج فيه ، وذاك يستصحب فيها الاباحة فتكون من قبيل المخير في فعله وتركه ، والآخر يستصحب فيها المنع فتدخل فيما لايجوز الاقدام عليه ، وقد يسبق الى ظنك أن القول بانتفاء الاحكام واستصحاب هذا الانتفاء فيما لايطلع له المجتهد على حكم،يجعل بعض الافعال خالية من أحكام الشريعة ، فيدفع هذا الظن بان المجتهد يصل به الدليل المعتد به في نظر الشارع الى أن مالا يجد له حكما في نص أو قياس ، يستصحب الأصل الذى هو انتفاء الاحكام الخمسة المقتضى رفع الحرج ، فيرجع الى أن حكم الشارع فيه رفع الحرج في الفعل والترك ،

هذا : وقد اختار كثير من المحققين أن الاصل في الاشياء الاباحة ، فهى على التخيير حتى ينهض الدليل على ماسواه من كراهة أو حرمة أوندب أو وجوب ، فاذا عرض لهؤلاء أو للقائلين بان الأصل انتفاء الأحكام أمر اجتهدوا في تعرف حكمه من الأدلة السمعية أو القياس،فان لم يظفروا به هنالك استصحب الاولون فيه الاباحة واستصحب الآخرون رفع الحرج والاثم.ومقتضى هذا الأصل ان كل مايوجد في

هذا الكون من جماد أو نبات أو حيوان ولم يرد في الشرع مايقتضى النهى عن تناوله واستعماله ، يكون من قبيل المأذون فيه .

ذلك ضرب من الاستصحاب ، وهنا ضرب آخر وهو استصحاب مادل الشرع على ثبوته كملك الارض أو البضاعة عند تحقق القول المقتضى له، وحل النكاح بعد امتلاك العصمة وشغل الذمة عند التزام مال أو اتلافه فاذا عرض شك في الملك أو حل النكاح أو شغل الذمة ألغى الشك وقضى باستمرار الملك حتى تقوم البينة على نفيه ، وببقاء العصمة حتى يعلم انقطاعها ، وببقاء الذمة مشغولة بما التزمت وقيمة ما اتلفت حتى تثبت براءتها باقرار أو بينة

والقضاء ببقاء الملك أو العصمة أو شغل الذمة مع عروض الشك فيها ، يستند الى استصحاب مادل الشرع على ثبوته قبل حال الشك ، فصار بعد حال الشك بمنزلة المعلوم . ولم يختلف أهل العلم في العمل بهذا الضرب من الاستصحاب الا أن يقوم تجاهه ما يراه المجتهد أقرب دلالة واظهر حكما .

ذانك ضربان من الاستصحاب وهنا ضرب ثالث وهو استصحاب العدم الاصلى كان يدعى الشريك أو المضارب أن المال لم ينتج عنه ربح ، فتقبل دعواه استصحابا للأصل الذى هو عدم الربح الا أن يثبت الربح ببينة ، ومن مُثله أن يشترى المضارب صنفا من البضائع فيدعى صاحب المال أنه نهاه عن شراء هذا الصنف ، وينكر المضارب ، فالقول للمضارب استصحابا للأصل الذى هو عدم النهى ، وهذا الضرب من الاستصحاب لايخالف في العمل به أحد من أهل العلم الا أن يصرفه عنه دليل أظهر منه وأقوى .

تلك ثلاثة أضرب من الاستصحاب ، وهنا ضرب رابع منه وهو أن يعلم ثبوت أمرعقلى أو حسى باحدى طرق العلم،ثم يقع الشك في زواله فيستصحب بقاؤه وتجرى الاحكام على هذا الاستصحاب حتى يحصل العلم أو الظن بزواله ، ومن أمثلته الدائرة أن يفقد شخص فيقوم بعض من شأنه أن يرثه مدعيا وفاته ومطالبا بقسم ماترك من

مال ، فترد دعواه بان حياة ذلك الشخص كانت قبل الفقد معلومة فتستصحب فيما بعد حتى يقوم الشاهد بوفاته .

وهذا الضرب من الاستصحاب يعمل عليه كثير من أئمة الفقه ، وخالف في حجيته أئمة آخرون ، وذهبوا فيه مذاهب وسعتها كتب الاصول بحثا واستدلالا .

تلك أربعة أضرب من الاستصحاب وهنا ضرب خامس يسمى استصحاب الاجماع ، وهو أن يكون الامر بحالة ويتفق فيه على حكم ثم يتغير الى حالة أخرى ، فيستصحب حكم الاجماع في الامر بعد تغيره حتى يقوم الدليل على أن له حكما غير ما انعقد عليه الاجماع ،

والمثال الذى يوضحه : مناظرة جرت بين أبي سعيد البردعي وداود الظاهرى في بيع أم الولد ، قال داود الظاهرى : قد اتفقنا على جواز بيعها قبل العلوق بالحمل، فمن زعم أن بيعها بعد الولادة لايجوز فعليه الدليل ، فقال أبو سعيد : قد اتفقنا على منع بيعها حاملا ، فمن زعم أن بيعها بعد الوضع جائز فعليه الدليل ، فسكت داود ولم يحر جوابا ، وهذا النوع من الاستصحاب قبله بعض أهل العلم ورده آخرون .

ذلك الاستصحاب وتلك أقسامه ، وقد استنبط الفقهاء استصحابا آخر هو على عكس الاول ويسمى الاستصحاب المقلوب ، وحقيقته ثبوت أمر في الزمن السابق بناء على ثبوته في الزمن الحاضر، وللمالكية فتاوى مبينة على رعايته ، كمسألة الوقف الذى لايدرى بعد البحث أصل مصرفه وشرط واقفه ، ولكنا نجده في الزمن الحاضر يصرف على حالة : اذ قالوا : ان هذه الحالة تستصحب فيما قبله ويحمل على أن مصرفه في الاصل هكذا ، وتكون الحالة التى يصرف عليها صحيحة حتى تقوم البينة على عدم مطابقتها لما صدر من الواقف . وكمسألة الزوج يغيب عن زوجته دون أن يترك لها نفقة ثم يقدم فتطالبه بما أنفقت في غيبته ، فيدعى أنه كان في مدة الغيبة معسرا وتدعى هى أنه كان موسرا : اذ قالوا : انه ينظر الى حال قدومه من عسر أويسر وتستصحب في زمان الغيبة ، فان قدم موسرا عد في الغيبة ذا يسار وقضى عليه بما تطلب الزوجة من النفقة ، فههنا ثبت أمر وهو يسار الزوج في الزمن السابق أعنى زمن الغيبة بناء

على ثبوته في الزمن الحاضر أى زمن قدومه بالاستصحاب .

وانما يعتمد المجتهد على الاستصحاب بجميع أقسامه بعد أن ينظر في الحادثة ولا يجد لها حكما في نص أو قياس ، قال الخوارزمى في كتاب الكافي «الاستصحاب آخر مدار الفتوى فان المفتى اذا سئل عن حادثة يطلب حكمها في الكتاب ثم في السنة ثم في الاجماع ثم في القياس ، فان لم يجده يأخذ حكمها من استصحاب الحال في النفى والاثبات ، فان كان التردد في زواله فالاصل بقاؤه ، وان كان التردد في ثبوته فالاصل عدم ثبوته» .

هذا صفوة مايقوله أهل العلم في الاستصحاب ، وقد رأيته كيف يفتح للفقهاء طرقا يصدرون بها الفتوى في يسر ، وينفذون منها الى فصل القضايا في سرعة ، علاوة على مافيه من الدلالة على سماحة الاسلام وانه دين الفطرة الذى لايشعر أولياؤه بحرج فيما شرع من أحكام .

(يتبع) محمد الخضر حسين

الطرف والملح

وقال ابو الحسن الماوردى : الفرق بين العقل والمُرُوءة ان العقل يأمر بالأنفع . والمروءةَ تأمر بالأجمل ولا ينقاد للمُروءة الا من سهُلتْ عليه المشاق . رغبةً فى الحمد . ولذلك سيدُ القوم أشقاهم .

قال ابو الطيب :

لولا المشقةُ ساد الناسُ كلُّهمُ الجود يُفقِرُ والإقدام قتّال

وقال ايضا :

واذا كانت النفوسُ كِبارا تعِبتْ فى مرادها الأجسام

وقال شاعر حكيم :

المـاء يغسِل ما بالجسم من دنس وليس يَغْسِلُ قلبَ المذنب الماء

أصول الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الاسلام دين الفطرة

قال الله تعالى (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) وقال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)

وعدنا فى العدد السابق أن يكون الكلام فى الاحكام العملية وما فيها من مسايرة الفطرة السليمة ومظاهر الرحمة ، ووفاء بما وعدنا نذكر اليوم بعض ما تضمنته أحكام الشريعة الغراء من بالغ الحكمة ووفائها بمصالح البشر على وجه يكفل سعادة الحياتين ونعيمها فنقول .

الاحكام العملية ثلاثة أقسام (الأول) الاحكام المتعلقة بما بين العبد وخالقه و (الثانى) الاحكام الراجعة الى الانسان فى خاصة نفسه و (الثالث) الاحكام المنظمة للعلاقات بين المرء وسائر الناس أو وسائر الخلائق .

نقسمها هذا التقسيم وان كانت جميع الأفعال متى قصد بها الوقوف عندحد ما أذن الله فيه كانت مرضاة لله موجبة للمثوبة،واذا تعدى بها حدود مانهى الله عنه كانت موجبة لسخطه ، وكذلك بعض أفعال العبادات راجعة الى تنظيم العلاقات بين الناس بعضهم وبعض .

(فالقسم الاول) وهو ما يعرف بالعبادات قد جمعه الحديث الشريف « بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان » رواه البخارى ، وقد سميت أركان الاسلام وقواعده ، فانظر اليها واطل التأمل والتفكير تستجل ما حوت من معان وحكم ، ألا ترى عمادها الاول وركنها الاقوم شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، أنظر فى التعبير بكلمة شهادة

وقد عُرفت فى التحدث بما تعلمه علم الشهود ، علما لا شك فيه ولا ريبة ، علما يجعلك كأنك تحدث عما تشاهد ، لا أنك سمعت الناس يقولون قولا فقلته ، ثم انظر الى الشطر الاول منها تجد الاعتراف والاذعان بانه ليس فى الوجود من له الهيمنة والتصريف وبيده وحده مقاليد كل شىء ومن له الخلق والامر ومن وسع كل شىء رحمة وعلما ومن بيده تقليب القلوب وتصريف الامور وتقدير الشؤون ومن هو الضار والنافع وهو على كل شىء قدير ، سوى واحد أحد هو الله لا شريك له فى الملك وليس لأحد معه فى الامر شىء فلا ينبغى أن تخضع النفوس الاله ولا ترجو ولا تخشى سواه ، أنظركم فيها من اطلاق نفس الانسان من العبودية للانسان بله الجماد والحيوان ، أنظر، كم فيها من السمو بالنفس الى مرتبة السيادة والاستقلال والرجوع الى من هو مرجع الجميع ،لا فضل لاحد على أحد إلا بالزلفى لديه والتقرب اليه ، أنظر، كم فيها من الاشعار بانه هو الاله الذى يعلم السر وأخفى ، ويعلم خواطر النفس وما تخفى الصدور ، الذى يطلع عليك فى خلوتك ويعلم دخيلة نفسك وهو قابض على ناصيتك ومالك زمام قوتك وأنت الغارق فى نعمته السابح فى بحر رحمته (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ) (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) ، انظر وتأمل كثيرا ثم حدثنى بالله أليس من أكبر العجب كما قال الحريرى « ان تتوارى من مملوكك وأنت بمرآى من مليكك وان تجاهر بمعصيتك مالك ناصيتك »؟ ألاَ تشهد معى معنى قوله صلى الله عليه وسلم (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن) أليس صحيحاً أنه لو استحضر معنى ما ينطق به كل ساعة ويعتقده اعتقادا تاما وإن كان يغفل عنه أحيانا — وهو أن القوة التى يحارب بها ربه هى هبة من ربه وأنه مطلع عليه كما يطلع الرجل على الرجل بل أكثر وأكثر ؟ ! — لو استحضر ذلك لكان على صفة صهيب التى وردت فى الأثر الشريف « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه[1] » بلى ان أمر الانسان لعجب ؟ ؟ يستخفى من مملوكه الذى لا يقدر له على شىء وهو بمرآى مليكه الذى بيده مقاليد كل شىء ، وما أصدق قوله صلى الله عليه وسلم (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن) فلو استحضر معنى ما هو مؤمن به وأجراه على قلبه لكان ان لم

---

(١) المراد أن لديه من الاجلال لربه والحياء منه ما يحول بينه وبين معصيته ولو لم يخف منه

يمنعه الخوف من عقاب الآخرة منعه الحياء من اطلاع سيده الذى وهبه نعمته ليستعملها فى طاعته فقلب على نفسه النعمة وصيرها نقمة (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) .

وأما الشطر الثانى وهو « وان محمد رسول الله » فهو الوصلة العظمى والعروة الوثقى بين ما يفهم من الشطر الاول وبين جميع أحكام الشريعة الغراء ، فمتى أذعنت النفس واعترفت بما تعامه علم اليقين والمشاهدة ، حتى صح لها أن تقول أشهد واحدث بما أعلم أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو من عند الله أرسله الينا بالبينات والهدى ، فما أمرنا به فانما أمرنا به ربنا وما نهانا عنه فهو جل شأنه الناهى فى الحقيقة كما قال تعالى فى الكتاب العزيز (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) — كان ذلك مدعاة للنفس التى يصح أن يقال لها نفس انسانية تميز ما ينفعها مما يضرها أن تأخذ بقدر استطاعتها من هذه الامور التى هى تجارة رابحة وموجبة للزلفى عند الله وباب مرضاته وأن يرتدع ارتداعا تاما عما يوجب غضبه ، وأنه ليكفى العاقل فى المسارعة الى امتثال هذه الاوامر علمه أنها من أمر ربه موجبة لرضائه ، وأن مخالفتها موجبة لسخطه وغضبه ، يكفى هذا لدى العاقل ولو فرض أنه لا يترتب على امتثالها أو مخالفتها ثواب أو عقاب ، فان النفوس الشريفة ليس شىء أحب اليها من أن تعمل عملا يبلغ مرضاة من له عليها منة ما ، فما بالك بمرضاة من هو صاحب المنن كلها فى الحقيقة ، وما كانت منة أحد على أحد إلا لأن المنعم الاعظم جعل بعض عباده طريقا لتوصيل نعمته الى بعض ، والكل من الله وحده فلا اله الا الله ولا متصرف فى الكائنات سواه : أجل يكفى هذا وحده فى اقبال النفوس على الطاعة وارتداعها عن المعصية ، فكيف اذا علم أن الطاعة موصلة الى جنة عرضها السموات والارض ، وان المعصية قائدة الى نار وقودها الناس والحجارة ؟ أليس هذا يجعل من أكبر العجب أن يحارب المرء بمعصيته مالك ناصيته ؟ أو ليس هذا مما يشرح لنا قوله صلى الله عليه وسلم (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن) الى آخر الحديث وفوق هذا فقد اقتضت حكمته جل شأنه أنه لم يتعبدنا الا بما فيه مصلحة عاجلة لنا .

لم يمتحنا بما تعيا العقول به حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم

وان كان هو السيد المالك يكفى فى وجوب المسارعة الى امتثال أمره ان ذلك موصل الى رضاه وهو صاحب النعمة حتى فى أصل الوجود والتكوين .

نقول لم يتعبدنا الا بما فيه مصلحة واضحة لنا سواء فى العبادات وهو ظاهر فى أصولها وجملتها وان خفى علينا فى بعض تفاصيلها ، وفى المعاملات وهو ظاهر واضح فى جملتها وتفصيلها وان غم على بعضهم انقيادا للنظرة العجلى فى مستحدثات الشؤون ومجاراة الاهواء ، وفى الاخلاق وهو أظهر وأوضح .

واليك البيان فى بقية أقسام العبادات .

الصلاة : الصلاة عماد الدين فمن ضيعها فهو لما سواها أشد تضييعاً . أجل، فانها جماع أركانه ، فقد اشتملت على الشهادتين وانفق المصلى بعض ماله فى العبادة ، وهو بذل الماء للطهارة ، وأمسك عن كل ما يمسك عنه الصائم ،واتجه نحو البيت الحرام تنسكا وتعبدا ، وقد عنى الشارع بها حتى جعلها تتكرر فى اليوم حتما خمس مرات، وجعل أعمالها مكررة فى كل مرة مثنى وثلاث ورباع تثبيتا لها وتمكينا فى النفس، بل جعل بعض أعمال الركعة الواحدةمتكررة فيها كالسجود مبالغة فى اخضاع النفس لخالقها وحده، ولقد شبهها صلى الله عليه وسلم بالنهر يكون أمام بيت الرجل يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فلا يبقى فيه من درن وبلغ من عناية الشارع بأمرها أنه لن يبيحها لشخص حتى يستعد لها الاستعداد اللائق بها فيتطهر من الحدث والنجس فيطهر ثوبه وبدنه ومكانه ، وكأنه وهو يتطهر يقول بلسان حاله . رب قد طهرت ظاهرى من الادران والاقذار استعدادا لمناجاتك والوقوف بين يديك فأعنى على تطهير باطنى من كل ما يدنسنى ويمنعنى عن الوصول لمرتبة الصديقين، رب قد غسلت فمى بالماء فاجعل ذلك تكفيرا لما جرى به لسانى مما لا ترضاه لى، رب وقد غسلت وجهى وهو مجمع حواسى فاجعل ذلك تطهيرا لها مما اقترفت مما أشعر به ومالا أشعر ، وكذلك غسل يديه التى هى مظهر بطشه ومرجع عمله ثم مس رأسه الذى هو مستودع قوة تفكيره ، فكأنه يقول اللهم هذا مبلغ طاقتى فى تطهير نفسى فأعنى على مابقى خفياًعنى، فاذا غسل رجليه فلكى يسعى بهما طاهرتين الى خير ماتسعى اليه القدم ،

ذلك هو الوقوف بين يدى ربه خاشعا خاضعا مستحضرا عظمته وجلاله وصغر كل ماسواه قائلا بلسانه وقلبه « الله أكبر » أليست هذه الكلمة بعد هذا الاستعداد العظيم كافية للنفس التى تعرف قيمتها أن تنصرف عن كل ما سواه وكل ما سواه صغير حقير والله أكبر ؟؟ أليس ينبغى له وقد وقف بمرآى من ربه أن يقبل عليه فيذكر نعمته ويشكرها ويثنى عليه بانه هو صاحب الحمد وحده فى كل نعمة ، فما من نعمة الا وهى منه وأنه هو رب العالمين خلق كل شىء فسواه وأعطاه كماله اللائق به ، ثم هو مصدر الرحمات والواهب لجميع العطايا ، فان لم يكفه هذا ليجذب نفسه نحوه رغبة فى فضله واعترافا بشكره فهو مالك يوم الدين (يَوْمَ يَقومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ) (يَوْمَ تَجدُ كُلُّ نفسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً) وهنا تجد نفسك بين الرغبة العظمى والرهبة الكبرى فلا تجد مناصا من افراده بالعبادة وحده فتتجه اليه مستحضرا عظمته وتخاطبه كأنك تشاهده (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) ولما لم يكن للنفس قدرة الا منه ولا معونة الا به تخصه بطلب المعونة (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) وهنا تشعر بأن التوفيق والهداية ليس لهما باب الا رحمته الواسعة فكم من عقول كانت راجحة فزلت وضلت لانها لم تدركها هدايته فيتبهل المصلى الى ربه طالبا منه الهداية الى الطريق الاقوم طريق المتقين وأن يباعده عن سبيل المنكرين المعاندين والضالين الزائغين فيقول (اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ)

وبعد هذا فسواء أقرأ بعد ذلك ما تيسر من القرآن أم اقتصر على أم الكتاب فان هذا المقدار كاف فى أن يخضع لجلال الله ، ويطأطىء هامته أمام عظمته مسبحا حامدا معترفا بلسان حاله أنه هو الجدير وحده بأن يخضع له ويخشع أمام هيبته ، وتحنى الهامات تعظيما لقدره ، فاذا ماطمأن لهذا طلب اليه أن يرفع قامته استعدادا لامتثال ما يطلب منه والقيام بما يؤمر به ، فيطلب اليه بعد هذا أن يخر ساجدا لله وأن يضع جبهته وهى أعز شىء لديه على الارض خضوعا لله وحده ليحرر نفسه من العبودية لغيره ، وهنا يجىء « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » ثم يكرر ذلك تثبيتا وتمكينا لمعالم الذلة لله وحده التى هى باب العزة للنفس ، فاذا ما كرر هذا العمل مثنى فى الصبح وثلاث فى المغرب ورباع

فى باقى الاوقات قائما باستحضار تلك الاسرار ، فكم يكون مطهرا لنفسه ؟ وكم يكون للصلاة من أثر فى تهذيب النفوس وتطهيرها من الادران كما يغتسل المرء فى نهر أمام منزله خمس مرات كل يوم فلا يبقى فيه من درن كما فى الحديث الشريف . أو لم يتضح لنا بذلك قوله تعالى (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) أو لم يظهر صدق قوله صلى الله عليه وسلم فى الرجل الذى قيل عنه أنه يفعل كيت وكيت وقد سأل أليس يقيم الصلاة ؟ قالوا بلى فقال ان صلاته ستنهاه .

اجل . ان الصلاة على هذا الوجه وبهذا الاستحضار عماد الدين فمن أقامها فقد اقام الدين ، ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع ولايفوتك ان تتأمل بنفسك مغزى كلمات التشهد فى آخر الصلاة او وسطها وما فيها من توجيه التحيات والتعظيمات لله ثم اهداء السلام للواسطة العظمى صلى الله عليه وسلم ، ثم السلام على نفسك وعلى عباد الله الصالحين والعودة الى الاساس الأكبر شهادة ان لااله الا الله وان محمدا رسول الله ثم الصلاة على النبى وعلى آله لانه الوسيلة الى هذا الخير كله .

واما التوجه الى القبلة فليشعر بانه واخوانه المؤمنين جميعا متجهون الى جهة واحدة هى أول مهبط للوحى فينبغى ان تتحد قلوبهم كما اتحدت وجهتهم .

ناشدتك الله ايها المصلى ان تروض نفسك المرة بعد المرة على أن تستحضر فى صلاتك هذه الاسرار حتى تتمكن من نفسك وتصبح ديدنك وعادتك ، فانك بلا شك ذائق حلاوة الأيمان وشاهد مصداق قوله صلى الله عليه وسلم (وجعلت قرة عينى فى الصلاة) ومصداق قوله تعالى (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) وبالغ درجة الاحسان وهى « ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك »

الزكاة : قد جعلها الشارع الحكيم قرينة الصلاة فى غير ما آية من الكتاب العزيز وذلك ان المال أعز شىء على النفس حتى قالوا المال شقيق الروح ، اذ يشعر المرء أنه مامن غرض يبتغيه الا وجد المال وسيلة اليه ، فامر هذه صفته ومنزلته فى النفس كم يكون الخروج عنه بلا مقابل عاجل صعبا على النفس وشاقا ، فلا جرم ان جعل الشارع بذله وهو على هذه الصفة ابتغاء مرضاة الله علامة الانقياد لطاعته والرغبة فى مرضاته ، وكان

جديرا بالنفس التي ريضت على التهذيب الدائم حتى اصبحت سلسة القياد لطاعة مولاها ان يكون اول مظهر هذا الانقياد الاقبال على بذل النفيس العزيز حبا فى احراز المطلب العزيز وهو رضا الرحمن ، فانظر كيف ان العبادات يأخذ بعضها بحجز بعض حتى تكوّن هيكلا عظيما وبناء شامخا ، وقد افردنا فى الجزء الاول للزكاة مقالا فى هذه المجلة شرح بعض مالها من مزايا وان كانت اسرار التشريع اوسع من ان يستوفيها مثل هذا القلم القاصر .

الحج: جاءت الشريعة الاسلامية المطهرة لتكوّن الامة وتوحد صفوفها وتجمع شملها وتقوى كتلتها وتمتن بنيتها كما كفلت تهذيب الفرد وتطهير نفسه ورفعه عن الدنايا والدنس وعن الخضوع خضوع العبادة لغير ربه ، والامة الاسلامية لا يحويها صعيد واحد ولا يحصرها اقليم واحد، وانما هى تعمر الارض مشارقها ومغاربها، ولكل امة مزاياها ورزاياها ورب امة ممتعة بمزايا جمة قد حرمت مزية كبرى امتازت بها امة تعيش بمنأى عنها وكذلك رب رزية حلت بقوم وقد نجا منها غيرهم بما هداهم الله اليه .

ولما كان الاسلام قد جعل المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وجعل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى — كان تشريع امر الحج تشريعا عجيبا يهدى الى الرشد وينقذ من الضيم ويعين البعض على مساعدة البعض ويجعل التراحم بين المؤمنين والتساند حقيقة لا خيالا ففرض على المؤمنين ان يحج منهم من استطاع ليشهدوا منافع لهم وليطوّفوا بالبيت العتيق الذى هو قبلتهم ورمز وحدتهم ووجهتهم فى عبادتهم لحكم جليلة لا لان الله فى مكان فسبحانه عن ان يحويه مكان ، وقد تضمن بما شرع فيه من التجرد عن متاع الحياة الدنيا ذكرى يوم البعث والنشور ، ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ، وكأن الحجاج يقولون بلسان حالهم ربنا اننا تجردنا من كل شيء لنقبل عليك فلبيك اللهم لبيك .

وقد اقتضت حكمته جل شأنه ان يجعله فى واد غير ذى زرع تجبى اليه ثمرات كل شيء لينجو من ان يكون مثار التنازع على الملك من حيث احتواؤه على زخرف الحياة الدنيا ومتاعها ، فاذا ماتنوزع على الأمر فيه فليس الا للقيام بخدمة عباد الله ، واقامة شعائر

الله وهكذا كان وهكذا يبقى الى ما شاء الله، وقد نفرد للحج مقالا نبلغ فيه جهد المستطيع ان شاء الله .

الصوم : اما الصوم فما احوج النفوس التى غرقت فى لذائذ الحياة وانغمست فى الترف والنعيم ان تشعر ردحا من الزمن بالحاجة الى المربى الاعظم وتذكر نعمته عليها ولا يذكر بالنعمة الا فاقدها كما قالوا « الصحة تاج على رؤوس الاصحاء لا يراه الا المرضى » وليس هذا قاصرا على نعمة الصحة ، فالانسان دائما مولع بالنظر الى ماحرم منه غافل عن الاعتداد بما متع به ، ولذلك جاءت الايات تترى حاثة على تذكر النعم للقيام بشكرها ، ومن اعظم نعم الله على عباده المؤمنين التى تكررت حتى اصبحت كانها امر طبعى مألوف لا يحس به ، هو الاطعام من جوع ، فاقتضت حكمة العليم الحكيم ان يكلف الانسان ان يجيع نفسه جزأ من الزمن ليشكر نعمته عليه وليذكر حال من حرم من هذه النعمة بسبب الفقر فيعطف عليه، وليهذب نفسه ببيان عجزها وضعفها حتى ترجع الى خالقها ، ثم تعويد النفس على ضبط عواطفها ، وتربية ملكة الصبر والامانة فيها.

نسأل الله تعالى ان يرزقنا التوفيق لطاعته، ويباعد ما بيننا وبين معصيته . فانظر الى هذه الاحكام وما احتوت من اسرار وحَكِّم عقلك فيما اذا كشف لك الغطاء وكنت من انور الناس بصيرة وارجحهم عقلا وهديت الى ما لم يهتد اليه غيرك ، ثم كلفت ان تضع للناس قانونا يهذب من طباعهم ويسلس من قيادهم ويلين شكيمتهم ويزيل الاحقاد من نفوسهم حتى يتم تراحمهم أفكنت واجدا خطة أهدى تتبعها ام انت معترف بان الكمال لله وحده ، وان هذا هو الدين الحنيف (فِطْرَتَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ) وسيكون كلامنا فيما يلى على القسمين الباقيين ، قسم الاخلاق ، وقسم المعاملات فلا يأخذك الضجر والسأم ، فانما هو نور الاسلام يُجْلَى بين يديك لينير البصائر ويطهر السرائر ويصفى الضمائر والله المستعان ؟

ابراهيم الجبالى
مدرس بقسم التخصص بالازهر

الجـــن

موضوع غريب . واغرب منه الخوض فيه . وما كنا لنتصدى له لولا أن مهمة هذه المجلة محاربة الشبهات والرد بالتى هى أحسن على مايوجه من المطاعن نحو الاسلام والمسلمين . خصوصا ونحن في عصر قد فشا فيه الالحاد وانتشر فيه الزيغ والفساد . واصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر . والمتمسك بآدابه وسننه يرمى بالجمود والتأخر . وترمقه الاعين بالازدراء والسخرية

نقول هذا لمناسبة مانشرته مجلة العالم الاسلامى (The Moslem World) لمحررها القس زويمر في عددها الصادر في أبريل الماضى عن اعتقاد المسلمين في بلاد الفرس في الجن وكيف أنهم ينسبون اليهم كثيرا من خوارق العادات وغرائب الأفعال . وبعد أن استرسل الكاتب في سرد مايقوله الفارسيون عن الجان وتأثيرهم في كثير من نواحى حياتهم اليومية ختم مقاله بما يأتى :

«ان السواد الأعظم من مسلمى فارس يؤمنون بوجود الجان ايمانا راسخا ويجعلون لهم علائق وثيقة بجميع شئونهم البيتية وحياتهم الدينية بحيث يعتقدون أن الجن ملازمون لهم من المهد الى اللحد. وليست عقيدتهم هذه وليدة الخرافات الموروثة منذ الجاهلية الأولى بل هى مستمدة من القرآن والسنة وكلام الأئمة . لذلك أصبحت هذه العقيدة عاملا ذا شأن في عقلية المسلمين من الشيعة»

والقارىء لتلك المقالة يستخلص منها أمرين : أولا أن الكاتب يعيب على الفرس تمسكهم بكثير من الخرافات التى تدور حول الجان وعلاقتهم ببنى الانسان . والأمر الثانى أنه يسخر من وجود ما يسمونه بالجان وينسب تعلق الفارسيين بتلك الاوهام الى ماورد في القرآن والسنة من الآيات والأحاديث الدالة على وجود أولئك المخلوقات .

أما عن خرافات الفارسيين فلن نبحث فيها من حيث الصحة والبطلان . لأنه مامن

أمة على وجه الأرض الالها خرافات ويتناقلها افرادها جيلا بعد جيل ولا يؤثر فيها انتشار العلم واتساع نطاق المدنية والحضارة ، ولكن الذى نريد أن نبحث فيه هو أن انكار وجود الجن والاستهزاء بمن يقول بوجودهم أمر لا يوافق النظر الصحيح والبحث الخالى من التعصب والتحزب ، ومما يؤسف له أن كثيرا من شباب المسلمين يرون رأى ذلك الكاتب بغير علم ويزعمون أن ماجاء في القرآن من ذكر الجان انما هو على سبيل المجاز لا الحقيقة . وانا نسائلهم أن يدلونا على المجاز في قوله تعالى « قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا » كذلك أين المجاز فيما ورد فى سورة النمل فى قصة سيدنا سليمان وبلقيس فى قوله تعالى « قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ »

واذا أردنا أن نحصى الآيات والأحاديث الدالة على وجود هذا الخلق لضاق بنا الحصر . الا انه لا يفوتنا أن نذكر أن القرآن الكريم أثبت فى كثير من الآيات أن الجان يختلفون فى أصل خلقهم عن بنى آدم « خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ . وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ » . « قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ . » « وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ » الى غير ذلك من الآيات الدالة على أن هناك خلقاً مغايرين للبشر وهم بحكم طبيعتهم محجوبون عن العيون « إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ »

هذا مايصح توجيهه الى المنكرين من المسلمين . أما غيرهم من أهل الملل الأخرى فلا يجدى أن نسوق اليهم الأدلة على وجود الجان من كتاب لا يؤمنون به ولا يعترفون بصحته بل نحتكم نحن وهم الى العقل والاستدلال الصحيح وما دلت عليه الابحاث العلمية الحديثة وما كتبه بعض كتاب الافرنج انفسهم في هذا الموضوع !

أما من حيث العقل فأى غريب في وجود خلق يختلف عن بنى آدم في التكوين ؟

أليست الروح الآدمية التى تحتل هذا الهيكل الجسمانى لاتقل غرابة عن الجان من حيث كنهها وما يكتنفها من الاسرار ؟ ورب معترض يقول أنْ ليس هناك مايسمى بالروح الانسانى بل الحياة انما هى تفاعل كيمائى في الجسم أو نتيجة للدورة الدموية . الا أن مثل هذه النظريات قد أثبتت المشاهدات الحسية فسادها وبطلانها . ولا يقول بها الا نفر قليل من المكابرين المعاندين ، ونجد الآن كثيرا من أساطين علماء الغرب يسلمون بوجود الروح ويعترفون بأن وراء هذا الحجاب المادى الكثيف عالما آخر يختلف اختلافا كليا عن عالمنا وما يحتويه .

ومع هذا أليس في التنويم المغناطيسى وعجائبه مايكفى لأن ينهض دليلا على أن الأنسان ليس مجرد كتلة من اللحم والدم والعظم ؟ . أضف الى ذلك مايقوم به بعض طوائف الهنود من خوارق العادات كتحكمهم في الدورة الدموية فيمنعون سيلان الدم ويوقفون ضربات القلب ويمشون حفاة على أرصفة من الحديد تكاد تكون في حالة الانصهار ويدفنون أنفسهم تحت الثرى مدة شهور بدون طعام أو شراب ثم يقومون بعد ذلك أحياء ، ولقد توصلوا الى القدرة على هذه الأفعال برياضة أنفسهم رياضة خاصة غايتها التغلب بقدر الاستطاعة على شهواتهم المادية وقهر ميولهم النفسية .

فاذا ثبت أن هناك روحا تسكن الجسم الانسانى وتأتى بالمعجزات من الأفعال فما الذى يمنع من وجود أرواح أخرى طليقة لاتقيدها الاجسام ؟ أيريد الانسان الا يصدق الا بما يلمسه بيديه أو يراه بعينيه أو يسمعه بأذنيه ؟ نحن الآن في عصر ارتقت فية المخترعات الى حد يخالها الانسان سحرا ، ومع ذلك ننظر اليها نظرنا الى الشيء المألوف . فهل كنا نصدق اذا قيل لنا قبل عشرين عاما أن الانسان سيطير في يوم واحد مقدار ماتقطعه السفن فيعشرات الأيام. وأن الواحد سيتكلم مع الآخر من قارة الى أخرى في بضعة دقائق ! ! وهل تصدق الآن اذا قلنا لك أن الهواء سيحل قريبا محل الشاشة البيضاء في الخيالة (السينما) أى أننا سنشاهد فيهواء الحديقة

أو الغرفة ما يمثَّل من الروايات في نفس الوقت الذى تمثَّل فيه في لندن أو باريس مثلا ونرى أشخاص الممثلين بل نسمع أصواتهم فعلا (١) »

فاذا كنا نسلم بوقوع هذه المدهشات في عالمنا المادى فلماذا نجادل في وجود ما يماثلها في عالم تجرد عن المادة ؟؟ ألم يثبت العلم الحديث أن المادة التى يتكون منها العالم ترجع نهائيا الى أصل لطيف جدا دائم الحركة وهو المسمى بالألكترونات أو الذرات الكهربائية ، والكهرباء — كما نعلم — شيء يرى أثره ولا يدرك كنهه . وناهيك بما استفاده العالم من خدمات ذلك الشيء المجهول — الكهرباء

على أن القول بوجود الأرواح متقمصة أشكال الآدميين لم يكن من عند الشرقيين فقط بل قاله الغربيون أيضا وكتب فيه الباحثون من علماء النفس وبنوا ابحاثهم على مشاهدات حسية لاينكرها الا كل مكابر ، وانا لناقلون هنا بعضا من تلك المشاهدات لا لنعزز بها البرهان على وجود الجان لأن وجودهم كما اسلفنا يسلم به العقل والبحث المادىء فضلا عما ورد بشأنهم في جميع الكتب السماوية . وانما غرضنا من ايراد امثال تلك الوقائع أن نلفت نظر كاتب تلك المقالة الى أن هناك من بنى جلدته من أهم أولى بالتقريع والنقد من المسلمين اذا صح له أن يكذبهم في دعواهم التى يتحدون كل من تعرض لأنكارها .

والكتاب الذى ننقل عنه المشاهدات الآتية موضوع باللغة الانجليزية تحت عنوان «الاشباح التى رأيتها وتجارب سيكلوجيه أخرى (٢) » . وهو يقع في اكثر من ثلثماية صفحة وطبع مرتين منذ الحرب العالمية . وقد جاء في الفصل العشرين ص٢٦٠ مايأتى :

« عرفنا قصرا كانت تسكنه أسرة ثم هجرته مدة طويلة ولما عادوا اليه صاروا يسمعون في بعض نواحيه صراخا يصم الآذان ويشعرون في بعض الأحايين بوقع أقدام تجيء وتذهب ويسمعون صوت أبواب تفتح وتغلق . ومن الغريب أن لتلك

(١) قد صرح بذلك شيخ المخترعين المستر اديسون الى احدى المجلات العلمية ووعد بأن مايقوله سيصير حقيقة واقعة في سنة ١٩٣١

(٢) The Ghosts I have Seen and other Psychi Experiences.

الاسرة كلما كان يشاهد دائما في حالة انزعاج فيهر من وقت لآخر كأنه يرى أمامه أشخاصا لايراهم سواه . كما أن الخيل كثيرا ماكانت تأبى دخول الاسطبل الا بعد أن تدفع اليه دفعا»

وجاء أيضا في ص ٢٧٢ مايأتي :

«في ليلة من ليالى شتاء سنة ١٩١٧ كنت في مأمورية تتعلق بالحرب وكانت الأوامر العسكرية تحتم اذ ذاك على السكان ولاسيما القريبين من السواحل بأطفاء الأنوار.فكان الظلام دامسا . وفي أثناء رجوعى مررت في طريقي بذلك البيت المهجور السابق ذكره واذا بي اسمع قرعا عنيفا على احدى النوافذ المطلة على الطريق وصوتا يقول «قف . أريد أن أحدثك . » فجمدت في مكاني ووددت لو أن انسانا مر بي في ذلك الوقت ليكون شاهدا معي على مارأيت . ولكن للأسف لم تتحقق أمنيتي . ولما حاولت السير سمعت ضحكا من أفواه متعددة أعقبه وقع أقدام مختلفة الحركات . فمكثت في مكاني نحو عشر دقائق ثم عزمت على المسير فسمعت ثانية قائلا يقول «قف.لاتذهب بالله . قف» فلم أطق صبرا واطلقت لساقيَّ العنان»

وجاء في موضع آخر ص ٢٧٨ مايأتي :

حدثتني شقيقتي أن زوجها—وهو ضابط كبير بالجيش—استأجر منزلا للصيد فيمكان منعزل فياحدى قرى الريف. وبينما هما نائمان اذ سمعا وقع أقدام فيالمطبخ فظنا أناللصوص قد سطوا عليهما . ولكنهما عجبا منشدة الجلبة والضوضاء التي يندر حدوثها من قوم يريدونالسرقة ليلا . فأشعل الزوج شمعة وتسلح بمسدسه وكذلك شقيقتي واتجها نحو الأصوات بكل خفة وسكون . ولما اقتربا من المكان لم يجدا شيئا مطلقا . وفي اليوم الثاني في الساعة الرابعة بعد الظهر سمعا ضجة منبعثة من حجرة مقفلة الباب . فاسرعا نحوها ووقفا هنيهة يتعجبان من جرأة أولئكالاشخاص الذين يقدمون على احداث جلبة كهذه بدون اكتراث بأصحاب المنزل . واخيرا دفعا الباب ليباغتا اللصوص ولكنهما دهشا اذ وجد الغرفة خاوية . وأخذ كل منهما ينظر الى الآخر وقد تملكهما الرعب والفزع

وبعد عدة أيام من هذه الحادثة وقع ماهو أغرب اذ كانت شقيقتي جالسة بالليل وحدها في حجرة الاستقبال منكبة على قراءة رواية . فسمعت حركة شخصين في الطرق المجاورة يتصارعان بشدة ويتدافعان ويزمجران كأنهما سبعان مفترسان . ثم رأت أن كلبها النائم تحت قدميها قد استيقظ وشخص ببصره نحو الباب وكان يرتعد كالقصبة في مهب الريح . ولم يلبث أن قفز من مكانه هاربا . فاستولى الرعب على شقيقتي فتناولت مصباحا ومشت خلسة نحو الباب تريد الصعود الى غرفة نومها . واذا بها تسمع وقع أقدام وراءها فارتدت نحو الحائط مذعورة . وفي اللحظة نفسها مرت بها عاصفة من الأقدام اصطدمت بمصباحها فأطفأته . ولم تصل الى غرفتها الا بعد أن كادت تموت هلعا ورعبا . وبالاستفسار فيما بعد من السكان المجاورين عن تاريخ هذا المنزل اتضح أنه كان يسكنه فلاح أرمل وله ابن وحيد . ولما تزوج الأب بفتاة حسناء وقع الولد في شرك غرامها واتصل أمرهما بأبيه فما كان منه الا أن طعنه بمدية طعنة كانت القاضية عليه»

والكتاب مملوء بمثل هذه الحوادث وسواء أكانت صحيحة أم مبالغا فيها فانا لانزال نكرر أن العقل السليم لايأبى التصديق بوجود مخلوقات تغاير بنى آدم في الخلق والتكوين . وانما الذى يدعو البعض الى الانكار هو الاندفاع وراء المادة وانهماك العقول والقلوب في الحصول عليها . فعميت البصائر ووهنت العقائد . وكلما توغل الناس في هذا السبيل ضعف تمسكهم بحبل الدين وصاروا يعدون السمعيات من نعيم وجحيم وجن وملائكة أساطير الأولين .

محمد الحسيني رضا

مفتش الآداب بالمعاهد الدينية

الذبيح اسماعيل لا اسحق

بعث الينا حضرة الفاضل صاحب الامضاء هذه الكلمة

طالعت كلمة فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى فى السيرة النبوية ونسب المصطفى صلى الله عليه وسلم المنشورة فى العدد الثالث من المجلة وترجيحه أن (الذبيح) هو سيدنا اسماعيل لا سيدنا اسحق عليهما الصلاة والسلام مفسرا لآيات سورة الصافات بما يخالف بعض المفسرين معتمدا على القرينة وسياق الالفاظ الدالة على أنه بعد ذكر الذبيح فى الآيات الكريمة ذكرت البشارة بمولد سيدنا اسحق عليه السلام فهو غير (الذبيح) المذكور قبلا

ومن حيث أن هـذا الاستنتاج هو الظاهر أرجو التكرم بنشر ما يأتى تأييداً للاستنتاج من نفس التوراة الموجودة الآن وهو ما يؤخذ منه أن الذبيح هو (اسماعيل) لا (اسحق)

نصت التوراة أن اسماعيل ولد وعمر أبيه (سيدنا ابراهيم الخليل) ست وثمانون سنة وان اسحق ولد وعمر أخيه (اسماعيل) أزيد من ثلاث عشرة سنة أى لما كان عمر سيدنا ابراهيم تسعا وتسعين سنة

ومن حيث ان الله تعالى قال لابراهيم كما فى التوراة « خذ ابنك وحيدك الذى تحبه (اسحق)» فتكون كلمة (اسحق) زائدة لأنه لا يمكن أن يكون اسحق وحيد سيدنا ابراهيم لأنه مسبوق باسماعيل الذى هو وحيد سيدنا ابراهيم قبل ولادة (اسحق)فكيف يكون اسحق وحيد ابراهيم

أما لفظة اسحق التى بعد كلمة وحيدك فقد قال عنها العلماء المحققون أنها (الحاقية) أى أنها زيادة إما للتفسير كما يقولون عن كل ما هو الحاقى أو لغرض آخر كبغضهم لاسماعيل لانهم ليسوا من نسله وكي يفتخروا أنهم من نسل (الذبيح) اسحق (راجع سفر التكوين ص ١٦ ع ١٦ وص ١٧ ع ١ وص ٢٢ ع ١)

ومن جهة أخرى أن اختبار الله لابراهيم بذبح الأبن الوحيد أشق على النفس من ذبح الأبن الذى يوجد غيره

عبد العزيز نصحى

أصول الدين

حرية الانسان

تكليفه — القضاء والقدر

نكتب اليوم في القضاء والقدر وهو من اعوص المسائل سرا وأبعدها غورا وقد اضطربت فيه الأفهام وزلت فيه الأقدام واكثر في خوض عبابه المسلمون والمسيحيون وان كانوا يرموننا الآن بالتأخر والجمود والتكاسل والتواكل من جراء مانعتقده من القضاء والقدر ونسوا ان تلك العقيدة عندهم كما هى عندنا بل يجب أن تكون في كل دين من الاديان لأنها حق لامرية فيه وليس ذلك منافيا للحرية الانسانية كما سيتضح لك أجلى اتضاح ، ولقدكان يكفى لادحاض ماردموا به المسلمين نظرة واحدة لما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين أتوا من جلائل الأعمال ماغير وجه البسيطة وقلب نظام العالم .

هذا ما أرشدنا اليه عمله مما امتلأ به التاريخ ، وقد عضده الكتاب والسنة ولكن الأمر كما يذكرون هم عن سيدنا المسيح عليه السلام «ان الانسان يرى القذى في عين أخيه ولا يرى الخشبة في عين نفسه» على ان ذلك جهل بحقيقة القضاء والقدر عندنا وعندهم كما ستقف عليه ، ولنجتهد في توضيح ذلك حتى نجعله على طرف الثُمام وان كان من معترك الأفهام ومزالق الأوهام ولعل ذلك هو ميزة المجلات العلمية في هذا العصر ، توضح الخفى وتقرب البعيد وتطلع الجمهور على ماكان لا يُتحدث به الا بين الخاصة وسط المعاهد العلمية أو المعابد الدينية معرضين عن الاصطلاحات المذهبية والعبارات الفنية ما استطعنا الى ذلك سبيلا فنقول :

من البدهى اننا نختار الفعل على الترك والترك على الفعل فنرجح ماشئنا متمتعين بالحرية ، وقد كان يجب أن يكون هذا كافيا في الجزم بحريتنا واختيارنا ، وقد تعلم أن كل ما يعارض البدهى أو المحسوس يجب الا يلتفت اليه ويكفى في سقوطه مصادمته للبديهة ، حتى اننا لو عرفنا أن هناك دواعى تدعو الى ذلك الفعل لم نشك في أن لنا

تدخلا في الفعل بالتفكير والترجيح بعد الموازنة والتروى ، فاذن لنا شيء في العمل لامحالة وان كنا نعتقد أن مايسره الله كان ومالا فلا ، واذا كانت الاسباب الجمادية لها تدَخُّل فى الأشياء كما قال تعالى فى حق الماء (يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كلِ الثَّمَرَاتِ) فجعل الانبات به كما جعل الاحياء به فى الآية الأخرى ، فكيف لايكون لنا تدخلا فيما يكون منا ، هل السبب الآلى أقوى من السبب المفكر المختار الذى يستطيع أن يقلب الأسباب الآلية ويسيرها فيأى طريق شاء وهو أعظم منها ، فانها مسخرة له وهو مليكها فكيف لايعطى ما أعطيته من الأحكام وهو أقوى الأسباب وأعظمها ولماذا لايجعلون من الأسباب التى يتوقف عليها الفعل نظر الانسان وارادته واختياره وترجيحه ، هل يكون لغير العاقل المقهور من التدخل في الفعل ما ليس للعاقل المختار ، اللهم ان ذلك غير معقول فلم يبق الا التحديدوبيان مقدار ماللعبد من ذلك وهو غير ضرورى للعلم الانسانى بل غير ممكن فان اكتناه الأشياء كما هى غير مستطاع للانسان ولا داخل في متناول قدرته ، فهذا الغذاء الذى هومن أظهر الاشياء لانعرف من أمره الا الظواهر التى «لاتسمن ولاتغنى من جوع» أما كيفية انقلابه أعضاء مختلفة فلا نعرفها ولا نستطيع أن نعرفها، وكذلك ماتنبت الارض من أوضح الواضحات من حيث أطواره المعروفة . ولكن كيف تكوَّن هذا النبات من التراب وكيف استحال التراب أزهارا بهية . واثمارا شهية فذلك مما لاسبيل الى الوصول اليه وهكذا الاشياء كلها ، ومما يجب أن يلتفت اليه أن كل شيء نستطيع البحث فيه الى حد محدود ، فاذا تجاوزنا ذلك الحد استغلق علينا وانسدت أبواب الفهم فيه فأخذنا نضرب في متاهات الخيال ونخبط في مهامه من الظنون والاوهام ، فتضاربت الأقوال وتناقضت الآراء ولعلك رأيتهم كيف تخبطوا في الوجود وهو أظهر الأشياء عند ماتعمقوا فيه وكذا العلم والنور الخ مارأيت ولو عرفنا هذه الحقيقة فلم نجاوز قدرنا ولم نتعد طورنا نزال هذا العناء وذهب ذلك الشقاء وهى حقيقة يجب أن تقرر وتكرر حتى تملأ الرءوس وتثبت في النفوس.

ومن العجيب أنهم أطالوا القول في هذه المسألة (مسألة أفعال العباد) منجدين ومُتهمِين مشرقين ومغربين فكانت من أعوص المسائل بين الفرق الاسلامية والمسيحية ولو تأملوا لعرفوا أنه لافرق بينها وبين غيرها فكل شيء عويص اذا أردنا أن نقف على كنهه وحقيقته فما بالنا نتجاوز قدرنا ثم نكثر من الصراخ والضوضاء .

وبعد فالقول بكون الانسان مجبرا لامختارا قول باسقاط كل تبعة وكل مزية وجراءة على التسوية بين الخبيث والطيب وهو أمر يناقض العلم اليقيني وينافي البدهيات الأولية ، ويعجبني قول من قال كيف تزعم انك جبرى مع انك تجرى لاحضار الطبيب لمريضك وتدافع عن وطنك وتستدعى رجال المطافيء لاطفاء حريق بيتك وتعمل على وقف النار التى بدأت تشب من شرارة أصابت أوراقك في حجرة عملك ، وان لديك عقلا وانك لتنتفع به فيما تريد ولا سبيل الى انكار ذلك. فالاشياء تقع باسبابها ومنها الارادة الانسانية، فهى بعض الأسباب العاملة في سير الحوادث في هذا الوجود ، ثم نقول يوجد اعمال كبيرة لكبار الرجال فمن الذى يستطيع أن يقول انهم لافضل لهم في احداثها أو ليس لهم تدخل فيها ، وبعبارة أخرى ليسوا من أسبابها ، أوهم أعظم أسبابها من حيث كونهم رجالا ذوى عزيمة صادقة وارادة قوية وافكار حرة لامن حيث كونهم الآت مسخرة لاتستحق حمدا ولا شكرا ، ولا تستطيع أى سفسطة أن تزيل منا ذلك الاعتقاد الذى يتملك كل نفس وكل عقل حتى نفوس الاطفال وعقول الجهال فان كل واحد منا يعتقد اعتقادا لايدافع أن له أثرا أو تسببا في كثير من الاشياء فنحن نعمل ونعتقد أننا فاعلون لا منفعلون ونعتقد أننا نبنى بايدينا صرح المستقبل في الدنيا والآخرة ، وان كان ذلك على حد محدود وعلى قدر ما وهبنا الله تعالى فكيف يصح أن يقال أننا كمية مهملة في الوجود مع أننا أكبر عوامله التى تعطيه الرواء والبهاء ؟؟

والنتيجة لهذا كله أن للانسان تأثيرا في وجود الأشياء فانه حلقة كبيرة من حلقات سلسلة الوجود بل هو أهم حلقاتها ، ولكنه غير مستقل استقلالا تاما في المسألة فيجب أن يكون عليه من المسئولية بقدر ماله من الأثر في ذلك الفعل

والتدخل فيه حتى اذا صار مكرها أو ملجأ كان غير مسئول بالمرة ، فليس العبد مجبرا ولا آلة صماء كما يحس بذلك احساسا لايعارض عند ما يعرض له أمر خطير بل عند ما يسعى لرزقه وجاهه ووظيفته وشهادته .

ومن العجب أنه في أموره الدنيوية يكون معتزليا متطرفا . وفي أموره الدينية يكون جبريا متطرفا «اتباعا لما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى» ومع كوننا نقول انه غير مجبر نقول أيضا أنه لاغنى له عن الله تعالى ، فان علمه قاصر وقدرته قاصرة ولا سلطان له على الأمور الخارجية ولاعلى تتميم الموجبات لما يريد. ولا منع الموانع عما يريد فمن الموانع التي يجوز أن تحدث مالا يدخل تحت علمه وقدرته وانت تعرف انك حر ههنا ولكن كونك حرا لايقتضى أن تكون غير مقيد بالقوانين ولا خاضع للدساتير الى آخر ما تعلم ولا تجهل فالاشياء ، يجب أن توضع في مراكزها ولا تتعدى حدودها فان الاستقلال التام يستتبع القدرة القاهرة والعلم المحيط وذلك ليس الا لله تعالى .

لسنا ننكر أن هناك أسبابا خارجية تؤثر في مجرى الحوادث ولكن أنت من الأسباب أيضا ولك عملك الخاص في دائرتك الخاصة عندمايجيء دورك وقد رأيت بعضهم يشبه الانسان في هذه الحياة براكب في سفينة قضى عليه أن يركبها وأن يسير فيها فليس مختارا في ركوبها ولا في السير فيها ولا هو طليق يذهب حيث شاء ويسير حيث أراد ، ولكن له مع ذلك حرية تامة فيما يفعله في تلك الدائرة المحدودةفيتصرف في شئونه الخاصة كما يشاء يذهب ويجيء فيها كما يريد بشرط ألا يتعدى مقدم السفينة ولعل هذا معنى قول سلفنا الصالح (لاجبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين) .

ثم أننا نرى أن الأفعال كلها قد اسندت الى العباد في كتاب الله تعالى ولذلك كلفوا وما كان الله ليكلفهم ماهو خارج عن استطاعتهم ومتناول قدرتهم (لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا)فقد منحك الله القدرة والارادة فجعلك قادرا مريدا ولو شاء لجعلك عاجزا مقهورا ثم وكل اليك تصريف تلك الارادة بمحض اختيارك الى أحد الجانبين من الفعل والترك ، والترجيح شأن من شئون الارادة الذاتية ، والتصرف أمر

اعتبارى يرجع اليك الفصل فيه حتى انك قدترجح المرجوح تقديما للشهوة على النظر العقلى أو تمتعا بلذة الحرية التى تجدها من نفسك ومع ذلك مالنا والتعمق والتحديد بعد ما أريناك أن تحديد الأشياء على ماهى عليه مختص بالله تعالى والا تساوى علمك وعلمه ، وأين العبد من المعبود ، وأين المحدود من غير المحدود ، وهذا جار في كل شيء لافي خصوص أفعال العباد ويعجبنى قول بعضهم اننا نعرف أننا أحرارفي حركاتنا وسكناتنا وذلك محسوس لدينا لايمكن أن نشك فيه كما نعلم بالبرهان العقلى أن الأمور راجعة الى الله تعالى وهو مالك زمامها وصاحب التصرف فيها على ماتقتضيه الالهية «وإليه يُرْجَعُ الأمرُ كُلُّهُ» وماشاءكان ومالم يشأ لم يكن فلنؤمن بهاتين الحلقتين الأولى والأخيرة ولندع مابينهما من الحلقات .

هذا : وقد علمت أنه شاء أن يعطيك الأرادة والاختيار ، ولنقف عند هذا الحد من الكلام على أفعال العباد ولنتكلم على القضاء والقدر الذى يظن كثير من الناس أنه ملزم ومجبر فنقول :

القضاء والقدر

هما راجعان الى علمه تعالى وقدرته فالقضاء في رأى حكماء الأسلام ـ وليس بلازم أن نوزع قلبك بين شعاب الخلاف ونسلك بك مسالك الاعتساف ـ هو عبارة عن وجود الأشياء على الوجه الاكمل في علمه تعالى على وجه كلى والقدر ايجاد تلك الاشياء في عالم الظهور على وجه تفصيلى يوافق القضاء السابق، وهنا شبهة صعب حلها على كثير من الناس : قالوا ان ماسبق في العلم الالهى لابد منه ويستحيل نقيضه فاذن الأشياء مرسومة مقررة قبل أن يوجد الانسان فهو اذا مقهور لامختار ومن الغريب أن الامام فخر الدين الرازى (وهو هو) كثيرا مايذكر ذلك في الزام المعتزلة بالجبر واسقاط الاختيار مع أن ذلك غلط واضح لا أدرى كيف وقع فيه الامام الرازى وغيره من الأعلام ذلك أن العلم لاعلاقة له بالجبر والاختيار فانى اذا علمت بأى وسيلة من وسائل العلم انك تسافر غدا وكان ذلك علما حقا لم يكن له تدخل في

سفرك الذى سيقع بمحض ارادتك واختيارك ، والعلم ليس من صفات التأثير ، وتخلف المعلوم أو عدم تخلفه ليس مبنيا على كون العلم مؤثرا بل على كونه صحيحا أو غير صحيح وهذا من أظهر الظاهر وأوضح الواضح فان من الجلى أن العلم لا أثر له في المعلوم وان المعلوم يوجد باسبابه وسلسلة علله لا بعلم العالم أو جهل الجاهل .

والخلاصة أن الله تعالى قبل أن يخلقك يعلم انك ستكون مريدا مختارا لأنك انسان لاجماد (بل الحيوان الاعجم له ارادة واختيار أيضا) ويعلم بالضرورة ماتختاره بمحض ارادتك وما ستصرف اليه عزمك من خير أو شر ، وقد اقتضت حكمته أن يهبك تلك الارادة الحرة التى تصرفها كما تشاء كى يحقق لك الحرية التى اقتضت حكمته أن يمنحك اياها ثم يجازيك بعد ذلك على ماكان منك في يوم عصيب تؤدى فيه الحساب عن كل ما كسبت يداك ولولا ذلك لم يكن هناك معنى للحرية والاختيار ولا للتكليف والثواب والعقاب ، ولسنا ننكر أنه لو شاء لسلبك تلك الارادة ولو أراد لجعلك آلة صماء لا ارادة لك ولا تكليف عليك ولكنه لم يفعل لأنه يريد أن يجعلك انسانا فأى جبر يقتضيه القضاء بعد ذلك ؟ وان كان لابد من حصول ماسبق به القضاء ولا يتأتى تخلفه ولكن ذلك مبنى على صحة العلم لاعلى تأثيره كما قلنا وقد سأل الامام عليا كرم الله وجهه شيخ بعد انصرافه من صفين فقال : اخبرنى عن مسيرنا الى الشام أكان بقضاء الله وقدره فقال (والذى خلق الحبة وبرأ النسمة ماوطئنا موطئا ولا هبطنا واديا ولا علونا تلعة الا بقضاء الله وقدره) فقال الشيخ : عند الله احتسب عنائى ما أرى لى من الامر شيئا، فقال له (مه أيها الشيخ عظم الله أجركم في مسيركم وانتم سائرون وفي منصرفكم وانتم منصرفون ولم تكونوا في شىء من حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطرين) فقال الشيخ : فكيف ساقنا القضاء والقدر ؟ قال (ويحك لعلك ظننت قضاء مجبرا وقدرا قاسرا لو كان ذلك لبطل الثواب والعقاب والوعد والوعيد والأمر والنهى ولم تأت لائمة من الله لمذنب ولا محمدة لمحسن ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسىء ولا المسىء أولى بالذم من المحسن تلك مقالة عبدة الأوثان وجنود الشياطين وشهود الزور وأهل العمى عن الصواب وهم قدرية هذه الأمة ومجوسها،

ان الله أمر تخييرا ونهى تحذيرا ، وكلف يسرا ، لم يعص مغلوبا ، ولم يطع مستكرها، ولم يرسل الرسل الى خلقه عبثا ، ولم يخلق السموات والارض . وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ، وقال الامام الرضا : ان الله هو المالك لما ملكهم والقادر على ما أقدرهم فان ائتمر العباد بطاعته لم يكن الله عنها صادا وان ائتمروا بمعصية فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل وان لم يحل وفعلوا فليس هو الذى أدخلهم فيه .

والخلاصة أن هنا غلطتين الاولى أن علم الله بالأشياء يوجبها بطريق الجبر لابطريق الاختيار ولا أدرى كيف يفهمون ذلك مع أن العلم لم يتعلق بفعلك الا على وجه الاختيار منك فهو اذن يؤكد الاختيار ولا يعارضه

والثانية اخراج الارادة الانسانية من سلسلة الأسباب وجعلها لغوا في البين وقد اختصرنا لك الطريق واهدينا اليك لباب التحقيق ،

هذا : وهنا شيء آخر لابد أن ننبه عليه تتميما للمقام وازالة لما عسى أن يكون من شبه الأوهام ، ذلك أن بعض الناس قد يعطى من المواهب مالا يعطاه غيره ويجد من المعونة الالهية مالا يجده سواه فلماذا ؟ ؟

لنا عن ذلك جوابان الأول ان ذلك يرجع الى سر القضاء والقدر أو نقول الى الحكمة الكبرى التى دبرت العالم ووضعت نظام الوجود ولا نستطيع أن نصل اليها تماما مهما بلغ علمنا واتسعت مداركنا ، وفي قضية موسى مع العبد الصالح التى قصها الله علينا في سورة الكهف أكبر شاهد لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الجواب الثانى . ان ذلك من باب الفضل ، والاعتراض لايكون على ترك الفضل وانما يكون على ترك العدل وذلك غير موجود بل هو محال في حق الله تعالى ، وقد أعطى كلا من عباده مايمكنهم من القيام بما كلفهم به حتى اذا عجزوا رفع عنهم التكليف فمنح كل انسان من المواهب مايستطيع أن يفعل به ماطلب منه ، فهذا القدر مشترك بين الجميع ، واما تفضيل بعضهم على بعض فذلك راجع الى فضله الذى يعطيه من يشاء ويمنحه من يريد ولا اعتراض عليه في ذلك (ما على المحسنين من سبيل)

ولو فتحنا هذا الباب لوجب الا توجد هذه المخلوقات ولا تظهر تلك المبدعات ، فقد كان للجاهل بناء على هذا أن يقول لم جعلتنى جاهلا ؟ وللناقص في أى شىء أن يقول لم خلقتنى ناقصا؟ بل كان للحمار مثلا أن يقول لِمَ لَمْ تخلقنى حصانا ؟ وللحصان أن يقول لم لم تخلقنى انسانا ؟ والانسان أن يقول لم لم تخلقنى ملكا ؟ بل وللارض بلسان حالها أن تقول لِمَ لَمْ تخلقنى سماء ؟ وللسماء أن تقول لِمَ لَمْ تخلقنى عرشا ؟ الخ الخ فانت ترى أن فتح هذا الباب يوجب أن ينسد باب الخلق بالكلية (وَلَو اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمٰوَاتُ والأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ) ولعل للمقام متممات ولعلنا نأتى عليها في فرصة أخرى انشاء الله وبعد هذا فلا يسعنا الا أن نقول ماقال الله تعالى (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً) أوما قال جار الله الزمخشرى رحمه الله

العلم للرحمن جل جلاله ... وسواه فى جهلاته يتقمقم [1]
ماللتراب وللعلوم وانما ... يسعى ليعلم أنه لايعلم

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء بالأزهر

الطرف والملح

انشد ابو بكر الاسماعيلى .

وإذا جلستَ وكانَ مثلُكَ قائما ... فمن المُرُوءة أن تقومَ وإن أَبَى
وإذا اتكأتَ وكان مثلُكَ جالسا ... فمن المروءة أن تُزِيلَ المُتَّكا
وإذا ركبتَ وكان مثلُكَ ماشيا ... فمن المروءة أنْ مَشَيتَ كما مشى

وقال حكيم لابنه : يابُنَيَّ اياكَ والْمِزاح ، فانه يَذْهَبُ ببهاء الوجه ويحطُّ من المرُوءة .

---

(١) يقال تقمقم اذا ذهب فى الماء وغمر به حتى غرق

مثال من عناية الألمان بتربية أولادهم

— ٢ —

تجارب وأفكار فيها فضل استقصاء

الأب الشّغِل وواجبه فى التربية

« بقلم « روبرت اشتاين » بمدينة ليبزج . من حديث له مع أب »

لصاحب التوقيع

قال لى الأب :— الا ترى ياسيدى الاستاذ أنى لا أستطيع الا هتمام بشؤون طفلى وأعماله المدرسية لأنى أقضى عامة يومى منهمكا في أعمالى ولا يسعنى ألا آن أعترف أسفا بأن زوجتى مفرطة في الرحمة بالولد فلا غرابة اذا كان قد قصر مرات كثيرة في عمل واجباته على الوجه المطلوب . ثم انى لا أحب أيضا اذا رجعت مساء الى بيتى مبهورا من التعب أن لايكون لى عمل سوى الانذار بالعقاب والضرب .

فقلت : — كلا — اياك أن تفعل هذا فانه لايجديك ولكن ألا تتشاور مع زوجتك في أمر الأطفال ؟

فقال لى : بالضرورة — وقد قلت لها كثيرا انه ينبغى أن تكون في معاملتهم أشد مما هى عليه . فأما معاملة بنتنا «جرترود» بالرحمة فهى في محلها وأما الغلام فهو في حاجة الى يد قوية . فقلت له . وكيف اذن تساعد زوجتك ؟ فقال لى : وماذا تعنى بمساعدتى لها ؟ فقلت : أعنى بذلك أنك من حيث أنت والد لابد لك أيضا من تحمل قسطك من عناء التربية .

فقـال لى : قد قلت لك آنفـا اننى أكون في المصنع من الصباح الباكر حتى آخر النهار واننى لمت زوجتى على تهاونها .

فقلت له : حقا قلت لى ياسيدى «بندر» ولكن بما أنك سألتنى رأيى أريد أيضا أن أصارحك به مصارحة بينة فأقول :

ان انتقادك على الأم تهاونها لايغنى فتيلا بل يجب عليك أن تتدخل بنفسك في الأمر فان الطفل اذا لاحظ أنك لم تدع كل مايتعلق به لأمه وأن أباه يهيمن عليه بنفسه—ولا حاجة لذلك كل يوم—أصبح تهاون الأم غير خطر وربما شددت بذلك أزر زوجتك . ولا شك في أن هذا يصلح من حال ولدك فانه ليس سيىء الخلق مطلقا وانما فيه نزق . ثم ان لى كلمة أخرى أقولها لك وهى انك من الآن فصاعدا اذا أحضرت ولدك أمامك أحيانا فتخل ما أستطعت عن كدرك الناشىء من عملك ودعه خارج الباب . واياك والهيج ان لم توافِ رغبتك حال الطفل من أول وهلة فانك باهتمامك المنبعث عن الطمأنينة والسكون ومثابرتك وعطفك — ولا حاجة الى الاكثار من نصحك فانه ولدك وبضعة منك—بكل أولئك تصل قطعا الى نتيجة.

واذا وصلت اليها فلها على تفاهتها شىء من القيمة وربما صرت بذلك أشد تسامحا في تهاون زوجتك وأحسست بأن الوالد الشغل ينبغى له أيضا أن يصرف شيئا من وقته للعناية بولده .

لااجد وقتا

بقلم « أدلهايد كلوزه » بمدينة جودسبرج على الراين

ما اكثر مايسمع أولادنا هذه الكلمة وما أكثر ما يضطرون أن ينتظروا من أمهم قضاء مطالبهم لأنها لاتجد وقتا لقضائها !

ولست أتكلم هنا عن الأمهات اللاتى لسن في الواقع أمهات مطلقا واللاتى لاتجدن وقتا لمجرد أن باحات التمثيل ودور الغناء والمقاهى والنوادى أحب اليهن وأعظم شأنا من فلذ اكبادهن ، لا أقصد أولئك بل ايا كن أعنى أيتها الأمهات الصالحات اللاتى لاتفكرن عامة يومكن في شىء سوى أن تجعلن المعيشة راضية هنيئة لأزواجكن وأولادكن فأنتن تطهين وتخبزن وتمسحن البلاط وتجلون الآنية فتصيرن كل جزء منها أبيض لامعا، والطعام الذى تقدمنه على المائدة للأسرة تصنعنه بكثير من طيبة النفس والعناية والتدبير، على أنكن تنسين أهم الأمور وأعظمها شأنا!

ذلك أننا لم نوجد في الدنيا من أجل القوت اليومى وانما وجدنا من أجل اصلاح النفوس البشرية، فاذا جاء أحد أولادكن الى والدته يرجوها قائلا هيا نلعب قالت ماذا تقول ان طعام المساء لم يهيىء بعد أو قال لها اقرئى لى شيئا أجابته أن على رفي الجوارب

ما أكثر ما أرى عبوسا يغشى وجوه الأطفال كأن حياتهم ليست شيئا سوى الهم وأسمعهم يرددون بروية مبتسرة ما يسمع كثيرا وهو : نعم ان أمنا لاتجد وقتا لأننا لاخادمة لنا فهى دائما مشغولة . نعم ان من الحق أن ليس الأمر في خدمة البيوت يسرا على الامهات في هذه الأيام غير أن هذا يذكرنى دائما عهد طفولتى فقد كنا نسكن بيتا برمته وكانت حالتى الصحية تقتضى ألا أختلف الى المدرسة ولكي يوجد لى عمل مناسب لهذه الحالة ، سرحت والدتى الخادمة وكنا نستأجر امرأة لتنظيف البيت في كل أسبوع مرة ولم تكن مساعدتى في الخدمة بالضرورة ذات بال فكانت والدتى تطهى الطعام وتنظف وتخيط كل مامن شأنه أن يغسل لى ولأخى الصغير وتعلمنى بعض الدروس ورغما من ذلك كله كان لايعوزها وقت فكانت تلعب بالكرة معنا في الحديقة وكانت مستحضرة لكل تافه وحقير من أجل ألعابنا وانى لا أزال اليوم أجد أمهات كأمى ولكنهن أصبحن نادرات .

أنّى وُجدت العزيمة وُجدت الوسيلة ومعنى هذه الوسيلة أن الاقتصاد في عمل البيت خير من الضن على الأولاد بشىء من الوقت .

أقول ذلك وأنا أرى سمات الخوف بادية على وجوه صواحب البيوت ولكن أى الشيئين أفضل لديكن ؟ أطفالكن أم بيوتكن وأى الغبارين أسوأ مغبة الغبار الذى يصيب الغرفة أم الغبار الذى يصيب نفوس الأولاد

نحن لم نخلق لمجرد العناية بشؤون البيوت وأهمال تربية الأطفال وما هذه الحياة الا مجلبة للأكدار والهموم، وأما السرور وانشراح الصدر فلايحصلان الا بالسعى وما هو بعقبة يصعب اقتحامها فانك تستطيعين أيتها الأم أثناء رتقك الفتوق في ثياب أطفالك أن تحكى لهم حكايات أو تركبى معهم في قطار السكة الحديدية المفتخر الذى صنعوه لأنفسهم من الكراسى ممثلة لهم حال جدتهم، اذا ركبت معهم فهو هين عليك جدا

وليس عليك في مثل هذه الحالة الا وضع عمارتك [١] على رأسك ومنظاريك على عينيك وطرحتك على كتفيك فتسرين الاولاد باللعب معهم . واذا لزمك أعداد طعام المساء في نفس الوقت الذى أرادك أولادك فيه على مشاركتهم في اللعب فانظرى الى الساعة وأحسبي الزمن اللازم لاعداده ثم قولى لهم نعم ياأولادى اذا أنتم ساعدتمونى في اعداد الطعام فأنى أستطيع أن أشاركم في اللعب أيضا عشر دقائق فبذلك يدخل الأولاد فيما تعرضين عليهم فرحين متحمسين ويخرجون منه وقد ربحوا أمرين أولهما لعبهم مع والدتهم الذى هو أشهى لهم من اللعب مع غيرها بكثير . وثانيهما أن ملابستهم أمور التدبير المنزلى فيها خير كثير للبنين والبنات .

أنا أعلم أنه ليس من الأمور الهينة وجود الوقت وأنه يقتضى كثيرا من الصبر وبذل النفس وقوة الجنان ولا بد أن يفهم كيف يقسم وقته وعمله ولا بد أيضا أن تكون ضروب ممارسة العمل مفهومة من نفسها للأطفال .

على أنى لا أستطيع مهما أهتممت بدعوة الأمهات والنساء دعوة تبلغ الأعماق من قلوبهن أن أبلغ الغاية التىأرتضيها اذا قلت لهن أوجدنالوقت وأجعلن قول «لانجد وقتا» قليل الخروج من شفاهكن فما أكثر مارأيت من انفصام العرى البيتية من جراء الافراط في الشغل ، أو ليس أقدس شىء للنساء والامهات أن يخصصن وجودهن للعناية بشؤون العزيزين عليهن .

(لا تميز بين الأطفال فى المعاملة)

من الفضائل الخطيرة الأخرى التى ينبغى أن يتحلى بها الوالدان العدل بين أولادهما في المعاملة ، فلا يصح تفضيل أحدهم على الآخر ، فما أبلغ الجرح الذى يمكن أن يصيب نفس المفضول من جراء ذلك ! خذ لذلك مثلا واحدا :

كانت أمنا تربينا تربية مناسبة في الشدة وكنا خمس أخوات غير أنها كانت تختص صغرانا بفضل محبة ، وكان أبى قد مات لما بلغت السادسة من عمرى وكان

---

(١) العمارة غطاء الرأس

عمر الصغرى اذ ذاك سنتين ولا أزال أذكر ذكرا قويا كيف كنا نجلس كثيرا مع أمنا مستأنسين بها ليلا عند طلوع القمر وظهور نوره من الشباك وكيف كانت تأخذ صغرانا في حجرها وتحكى لنا سيرة أبينا وتقول أنه يشرف علينا من خلال القمر وكنت حينئذ في غاية الخضوع والاستسلام لأمى على أن عدم احتضانها لى حتى ولا مرة واحدة في مثل هذه الساعات ملأ صدرى حنقا على أختى الصغرى ولكنى كنت من فرط عزة نفسى بحيث أنفت أن أسألها ذلك وقد صار الأمر فيما بعد أسوأ من هذا فقد كنا ملزمات أن ندع للصغرى كل لقمة شهية من الطعام ولو كنا مختارات فيه لفعلناه جميعا طيبة به نفوسنا ولكن اليسير من الاكراه الذى كان فيه كان يغضبنا وقد صرت أنا في ذاتى من السوء بحيث أن أختى لما توفيت فيما بعد وهى في الثامنة من عمرها وكنت أنا في الثانية عشرة قلت لأمى وأنا في غاية الاغتباط عسى أن أصير الآن ياأماه أحب بناتك اليك .

وكان من شأن هذه الكلمة أن تحدث في نفسها ندما بليغا كما أخبرتنا بذلك من بعد وقد تداركت أيضا كل خطئها بالاصلاح . عبد العزيز محمد

الطرف والملح

قال نصر الله بن مجلى وكان من الثقاة وأهل السنة : رأيت على بن أبى طالب رضى الله عنه فى المنام . فقلت له : يا أمير المؤمنين . تفتحون مكة فتقولون : من دخل دار أبى سفيان فهو آمنٌ . ثم يتمُّ على ولدك الحسين ما تمَّ . فقال لى : أما سمعتَ أبياتَ ابن الصَيْفىِّ فى هذا ؟ فقلت لا . فقال : اسمعها منه . ثم انتبهت فبادرت الى حَيْصَ بَيْصَ . فذكرتُ له الرؤيا . فشهقَ وبكى وحلف بالله لم تخرج من فمه ولا خطه الى أحد . وما نظمها الا فى لَيلته . ثم أنشدنى قوله .

مَلَكْنا فكان العفوُ منا سجيّةً ... فلما ملكتم سال بالدم أَبْطَح
وحلّلتمو قتلَ الاسارَى وطالما ... عَدَوْنا على الاسْرَى فنعفو ونصفح
وحَسْبُكُمو هذا التفاوتُ بيننا ... وكلُّ إناءٍ بالذى فيه ينضَح

(أنظر صفحة ٣١٤)

المسلمون
فى
يوغوسلافية (١)

صدر أخيرا في يوغوسلافية قانون يحدد النظم الدينية التي يخضع لها مسلمو تلك البلاد نأتى فيما يلى على أهم قواعده :

« يكوّن جميع مسلمى يوغوسلافية طبقا لهذا القانون — طائفة دينية مستقلة لها رئيس دينى أعلى يطلق عليه لقب « رئيس العلماء » ولهـذه الطائفة الحق في اعلان معتقداتها واقامة شعائر دينها علنا وفي ادارة وتنظيم جميع شئونها الدينية والعلمية التى لها مساس بالدين وكذا المسائل الخاصة بالاوقاف

ويمثل هذه الطائفة الدينية الاسلامية الهيئات الآتية :

أولا — مجلس الجمعية Djemat ويرأسه امام الجمعية

ثانيا — لجان ادارة الأوقاف والمعارف وعلى رأسها القاضى الشرعى

ثالثا — مكاتب الافتاء

رابعاً — مجلسا العلماء فى اسكوپلى وساراييڤو

خامسا — مجلسا الاوقاف والمعارف في ساراييڤو واسكوپلى

سادسا — الادارة الدينية العليا وعلى رأسها رئيس العلماء .

هذا ويحدد القانون الأساسى لهذه الطائفة الدينية الاسلامية طريقة تأليف تلك الهيئات وكذلك يبين بالتفصيل دائرة اعمالها وحدود اختصاصاتها

أما الطريقة الخاصة بانتخاب رئيس العلماء واعضاء مجلسى العلماء وانتخاب رجال الافتاء فتحدد بقانون خاص .

---

(١) عن مجلة رسائل الشرق » CORESPONDANCE D'ORIENT التى تصدر فى باريس عدد مايو سنة ١٩٣٠

واما رئيس العلماء واعضاء مجلس العلماء ورجال الافتاء فيعينون بمقتضى مراسيم ملكية طبقا لما يعرضه وزير الحقانية وبموافقة رئيس مجلس الوزراء .

ويتلقى رئيس العلماء الاذن «المنشور» بتأدية وظيفته الدينية من مجلس يعقد خصيصا لهذا الغرض في بلغراد . ويتكون هذا المجلس من جميع اعضاء مجلس العلماء ومن ثلاثة مندوبين من كلا مجلسي الأوقاف والمعارف ومن جميع أعضاء المحكمتين الشرعيتين العاليتين .

وتقوم الطائفة الدينية الاسلامية بادارة جميع املاكها الدينية وأوقافها مستقلة في ذلك تمام الاستقلال من أية سلطة أخرى وتتصرف فيها كيفما تشاء في حدود هذا القانون وفي دائرة قانونها الاساسي وتحت اشراف الحكومة .

وللسلطات الدينية الاسلامية المختصة أن تقرر مع تمام الاستقلال قبول الأعيان التي توقف لأغراض دينية . وان الهيئة الدينية الاسلامية هي التي تقوم بواسطة ممثليها المختصين بالاشراف على وارداتها ونفقاتها طبقا للوائح التي تقرر بمرسوم

وان هذه الطائفة الدينية الاسلامية بجميع هيئاتها التي نص عليها قانونها الاساسي هي عبارة عن أشخاص معنويين يتمتعون بجميع الحقوق التي يخولها القانون للأشخاص المعنويين .

واما التعليم الديني الاسلامي في مدارس الحكومة وفي المدارس الخصوصية فانه يؤدّى بالاتفاق مع السلطات الدينية الاسلامية المختصة — ويقرر برنامج التعليم وزير المعارف العمومية الذي يحل محل الاعتبار الاقتراحات التي يقدمها في هذا الموضوع مجلس العلماء الذي له أن يبدي رأيه في قيمة الكتب المدرسية ولا يحضر التلاميذ المسلمون الحفلات الدينية البحتة التي تقام فيها شعائر الديانات الأخرى سواء أكان ذلك في داخل المدرسة أم خارجها

وجميع المدارس الدينية الاسلامية التي لها ادارات مستقلة توضع تحت اشراف السلطات الدينية الاسلامية وهي التي تقرر انشاءها وتضع برنامج التعليم لها بعد تصديق وزير المعارف العمومية

هذا وعند انشاء كلية للشريعة أو كلية دينية اسلامية أوأية مدرسة عليا من هذا القبيل لها درجة كليات الجامعات تقوم الادارة الاسلامية العليا بالاشراف على الدروس التى تلق فيها وتحرص على أن تكون طبقا لتعاليم الدين الاسلامى

وان مجلس العلماء هو الذى يبت في كفاية ومقدرة المدرسين الذين يعينون في تلك المدارس»

الطرف والملح

تابع لصفحة ٣١١

واسم الحيصَ بيصَ. سعدُ بنُ محمد أبو الفوارس التميمى.شاعر مشهور. ويعرف بابن الصيفى ولُقِّبَ بالحَيْصَ بَيْصَ. لأنه رأى الناس يوما فى حركة مزعجة وأمر شديد. فقال: ما للناس فى حَيْصَ بَيْصَ؟ فبقِيَ عليه هذا اللقب — ومعنى هاتين الكلمتين الشدة والاختلاط — وتفقه على مذهب الأمام الشافعى.

وغلب عليه الأدب ونظم الشعر. وكان مُجيدا فيه وكان اذا سئل عن عمره يقول: اناعيش فى الدنيا مجازفة: لانه كان لايحفظ مولده — وتوفى سنة اربع وسبعين وخمسمائة ه

ومن شعره

أنفقْ ولا تخش اقلالا فقد قُسمتْ — على العباد من الرحمن ارزاق

لاينفع البخلُ معْ دنيا موليةٍ — ولا يضر مع الإقبال انفاق

وقال سعيد بن العاص لولده: يا بُنَيَّ اقتصِدْ فى مَزْحك فان الافراط فيه يُذْهِب البهاء ويُجرِّئُ السفهاءَ، ويقال المُزاح اوله فَرَحٌ وآخرُه تَرَحٌ.

تحية

الازهر ونور الاسلام

(الازهرُ) المعمور أغـــلى درةٍ في تاج هـــذا العالم الاسلامى
المعهد الأسنى المبـــارك فى الورى ماحى الضـــلال مبدّد الاظلام
فى الهنـد والصين القصيَّة ذكره عَطِرٌ يقدّسه ذوو الأحـــلام
نسلَتْ قرونٌ وهو بحرٌ زاخر ماغاض من علمـــائه الأعلام
وأئمـــة الاسلام منـه تخرجوا زمراً وأهل الفضل والاقـــلام
(ومجلةٌ) أضحت منار هـــداية فهى الدواء لعـــلة الآثام
فى عهـد مولانا المليك (وشيخه) أعظمْ به من مصلح عـــلامِ

محمود شكرى
رئيس ادارة البحيرة سابقا

هذا هو الاسلام أشرق نوره فليهنَ مرتادَ الصلاح سرورُه
نهض الهداة لنشر هدى محمد فارتاح للعمل الحكيم ضميره
ولعالم الأسلام تمت رغبة فشدا بألحان الفلاح بشيره
هذى (المجلة) نفحة من مصحف فاضت بآيات الرشاد سطوره
سطع الهدى فيها بكل محقق لم يُلْفَ بين المصلحين نظيره
بهر الكرام الكاتبون عقولنا بجميعهم عَـــلم البيان أميره
أنخاف بعد اليوم نزغة ملحد؟ كلا، فدين الله تم ظهوره

مصطفى أبو على

العلوم والآداب

نشأة الحروف الابجدية (١)

قد عاد البحاث من جديد إلى اقتفاء أثر الحروف الأبجدية للوصول إلى المكان الذى نشأت فيه وكلنا يعلم أن هذا الأثر اتخذ طريقه إلى رومة من زمن بعيد ومن هناك عرج — كما يظهر جلياً — إلى شواطىء البلاد الاغريقية وولاياتها القديمة ، ومن الثابت أن بعض العلماء قد تتبعوا هـذا الأثر إلى فينيقية بلاد تلك الجماعات المتفرقة التى ملأت البحر الأبيض المتوسط بسفنها التجارية ، وهنـاك فى فينيقية انقطع ذلك الأثر، ويقول الاغريقيون إن الفضل فى انشاء تلك الحروف يرجع إلى كادمس الحـكيم الفينيقى الذى ذكرته الأساطير ولا ينكر علماء الآثار القديمة الحديثون صحة هذا القول فقد أجهدوا أنفسهم فى اكتناه الحروف الهيروغليفية المصرية وأجهدوا أذهانهم فى تفهـم أسرار النقوش التى عثروا عليها فى كريت ولم يتمكنوا بعد كل ذلك من أن يأتوا بتفسير مقبول كالذى قال به الاغريق من الفى سنة ، غير أن هناك ثغرة صغيرة أو حلقة مفقودة بين الـكتابة التصويرية المصرية والرموز الصوتية الفينيقية . وقد عاد ذلك الأثر للظهور فى الوقت الحديث فى فيافى سينا البعيدة حيث اكتشفت بعثة جامعة هارفارد الأمريكية الموقع الجغرافى الذى التقت به كتابة المصريين (اليكتوجرافية) التصويرية وكتابة الشعوب الساميـة التى كان الفينيقيون شعباً فيها بلاجدال حيث عثروا على رموز مصرية منقوشة على جدران معبد متهدم أقيم «لمعبودتهم» هاتور ووجدوا فى الآكام والكهوف الصخرية على مقربة من ذلك قطعاً من الصخور عليها نقوش لا شك فى أنها ساميـة وقد ثبت أن تلك الـكتابة على الجدران وعلى قطع الصخور ترجع إلى عصر واحد حوالى سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد . ويظهر أن السير فلندرز بترى عالم الآثار القديمة المشهور عثر على نفس هـذه الصخور المنقوشة التى كشفت عنها البعثة الأمريكية حيث صور ضمن النقوش الهيروغليفية التى صورها

(١) مترجمة عن مقال للكونت مرزاوف بمجلة العلم والاختراع الأمريكية

فى ذلك الوقت رموزاً تشبه الهيروغليفية ولـكنها لا تقبل الترجمة إلى اللغة المصرية القديمة. وانقضت عدة أعوام أذاع بعدها عالمان انجليزيان أن هذه الرموز لا تفك طلاسمها بطريقة الـكتابة (البكتوجرافيه) او التصويرية بل بطريقة الكتابة الصوتية. وقد اتخذ عالم ألمانى ذلك التفسير أساساً لبحثه وترجم جل هـذه النقوش وبيّن العلاقة بينها وبين الحروف الأبجدية السامية التى عرفت بعد ذلك. وباعادة الفحص والتمحيص فى هـذه النقوش ظهر أن مصدر الاشكال الأولى للرموز الأبجدية التى نستعملها اليوم هو الهيروغليفية القـديمة. ولـكن ليس ذلك كل ما فى الأمر فالسؤال الهام فى الموضوع لا يزال قيـد البحث وهو كيف تسنى للساميين أن يهتدوا إلى طريقـة الرموز التى تقوم مقام الأصوات الأصليـة فى لغتهم كما ينطقونها بالذات وهى الطريقة التى سهلت الـكتابة تسهيلا كبيرا وجعلتهـا أكثر دقة ومرونة فى الاستعمال من أى طريقة تصويرية أو اصطلاحية أخرى يمكن اختراعها. فقد جاء المصريون بالرموز أو ببعضها ولـكن ذلك العمل مع أن له شأنه من الوجهة التاريخية ليست له قيمة كعمل فكرى خطير حيث ان أى رموز أخرى كان يمكن أن تؤدى مهمة التعبير ولـكن الطفرة الـكبيرة من الرموز التصويرية إلى الرموز الصوتية تلك هى بحق ضرب من التفنن لا يكفى لتفسيره مجرد القول بتطور كل شىء بطبيعته كما يقول البعض. فالرموز ليست لها قيمة تذكر ولـكن الفكرة هى الكل فى الـكل. وقد طفر الساميون تلك الطفرة وبقى المصريون يرسفون فى قيود كتابتهم التصويرية العقيمة التى ينقصها الـكثير من الصقل والتهذيب.

هذه إذن هى الحقيقة الجوهرية فى الموضوع. أما الدافع الأصلى فى انتجاع المصريين والساميين ذلك المكان الذى وجدت به تلكم الآثار فهو وجود الفيروزج به وقد أقامت كل من الأمتين المعابد الدينية على مقربة منه ويمكن التفرقة بسهولة بين آثار كل منهما على حـدة. وهنا قد يتساءل الأنسان لماذا لم يغتنم المصريون الفرصة التى سنحت لهم لاتباع طريقة الساميين السهلة فى حين أن الساميين اقتبسوا الرموز منهم.

إنا نجد الجواب على ذلك فى نظم الأمتين السياسية والاقتصادية فقـد كانت طريقة الـكتابة التصويرية تلائم بلا شك نظام الاقتصاد الاقطاعى السائد بمصر فى ذلك الوقت

ولكن قبائل الساميين الرحل وجدوا من ضروريات الحياة البدوية ما شعروا معه بحاجتهم إلى طريقة دقيقة مرنة للتعبير عن أفكارهم وهكذا نشأت الطريقة الصوتية بضرورة الظروف القاهرة.

ويظهر أن الفينيقيين وجدوا هذه الطريقة مما تدعوا اليه أعمالهم التجارية الواسعة النطاق فمن المعقول اذن أن هذا الشعب الجرىء هو المنشىء الحقيقى للحروف الابجدية الصوتية حيث لم يكن هناك شعب آخر فى ذلك الوقت فى حاجة ماسة إلى واسطة دقيقة للتفاهم او شعب يسعى وراء الرزق بطريق يشحذ البصيرة والقريحة أو توفرت له اسباب الحث فى العمل المنتج كالفنيقيين .

ومما هو جدير بالملاحظة أن الاغريقيين الذين أخذوا الحروف الابجدية عن الفينيقيين كانوا كالفينيقيين شعب يشتغل بالملاحة والتجارة والقرصنة وقد واجهوا نفس الصعاب التى واجهها الفينيقيون مما جعلهم يستبينون فوائد تلك الطريقة .

الطرف والملح

وقال ابو العتاهية

مَنْ سالم الناس سلِمْ   من شاتم الناس شُتِمْ
من ظلم الناسَ أسا   من رَحِمَ الناسَ رُحِم
من طلب الفضلَ الى   غير ذوى الفضل حُرِم
من حفِظ العهدَ وَفَى   من أحْسَنَ السمعَ فَهِم
من صدَق اللهَ علا   من طلب العلم علِم
من خالف الرشدَ غوَى   من تَبِع الغىَّ ندِم
من لزِم الصمتَ نجا   من قال بالخير غنِم
من عفَّ واكتفَّ زكا   من جحَدَ الحقَّ أثِم
من مسَّه الضرُّ شكا   من عضَّه الدهرُ ألِم
لم يَعْدُ حيّاً رزقُه   رزقُ امرىءٍ حيث قُسِم

نقد

ورد ادارة المجلة من فضيلة الاستاذ صاحب التوقيع خطابا ذكر فيه أنه عثر فى الجزء الثالث من المجلة على خطأ فى ثلاثة مواضع فقال : ولقد مررت على العـدد الثالث من المجلة — ولما أقرأه قراءة انعام وتدقيق — فلفت نظرى هذه العبارة التى وردت فى الصفحة (٢٤٠) وهى :

وهرب الحجاج فى بعض حروبه من غزالة فعيره عمران بن قحطان السدوسى بقوله

أسد على وفى الحروب نعـامة فتخاء تنفر من صفـير الصافر

هلا كررت الى غزاله فى الوغى بل كان قلبك فى جناحى طائر

وفى هذه العبارة خطأ فى ثلاثة مواضع منها (الأول) كلمة (قحطان) وصوابها (حطان) بكسر الحاء وتشديد الطاء وأصله التيس فسمى به والد عمران (وانظر الأغانى . والقاموس وشرحه فى مادة — ح ط ط —) (الموضع الثانى) كلمة (السدوسى) وليس عمران سدوسيا ولـكنه ذهلى من ذهل بن ثعلبة ثم من بكر ، وهو عمران بن حطان بن ظبيان أحد شعراء الشراة ودعاتهم (الموضع الثـالث) فى رواية البيتين وأنا أرويهما مع بيت ثالث لهما وهى

أسد على وفى الحروب نعـامة ربداء تجفل من صفـير الصافر

هلا برزت الى غزاله فى الوغى بل كان قلبك فى جناحى طائر

صدعت غزالة قلبـه بفوارس تركت مـدابره كأمس الدابر

٢٣ ربيع الاول سنة ١٣٤٩هـ

محمد محيى الدين
مدرس بالقسم الثانوى بالازهر

تصحيح

اطلع فضيلة الأستاذ الشيخ حسن منصور على هذا النقد الموجه الى بعض مختاراته من الطرف والملح فكتب ما يأتى .

أما كلمة قحطان فانى كنت كتبت الى ادارة المجلة بعد ظهور العدد الثالث بتاريخ ٢٢ ربيع الأول أن كلمة (قحطان) كتبت خطأ وصوابها (حطان) بكسر الحاء وتشديد الطاء وطلبت الى الادارة نشر ذلك التصحيح فى العدد الرابع .

وأما كلمة (السدوسى) فهى صحيحة مثل كلمة (الذهلى) فان عمران بن حطان . هو عمران بن حطان بن ظبيان بن لوذان بن عمرو بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل الى آخر نسبه . هذا الذى ذكره صاحب الاغانى فى الصفحة ١٤٩ من الجزء ١٦ طبع الساسى ، وذكره المبرد فى الكامل ونسبه الى سدوس (انظر الصفحة ٣٥٤ من الجزء الأول طبع أوربة) وفى نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب للقلقشندى قال فى الصفحة ٢٣٥ : وسدوس بفتح السين بطن من ذهل بن شيبان من العدنانية وهم بنو سدوس بن ذهل بن شيبان اهـ

فمن هذا تعلم أن نسبة عمران بن حطان الى سدوس صحيحة كنسبته الى ذهل .

وأما كلمة (فتخاء) فانها جاءت هكذا فى رواية كمال الدين الدميرى فى ترجمة الغزالة وكذلك فى كتب البيان قال الفنرى فى حواشيه على المطول (الفتخاء المسترخية الجناحين والمراد من قوله تنفر من صفير الصافر أنها تنزعج من مجرد الصوت(انظر الحاشية المعروفة بالتجريد على شرح المختصر للسعد فى بحث التشبيه) وفى رواية ثانية لصاحب الأغانى فى أخبار عمران بن حطان هكذا (ربداء تجفل من صفير الصافر ـ هلا برزت الخ) وفى رواية ثالثة ذكرها صاحب (مروج الذهب) هكذا (فزعاء تفزع من صفير الصافر ـ هلا برزت الخ) راجع الصفحة ٩٠ من التاريخ المذكور طبع الحلبى .

ومن هذا تعلم أيضا ان ماجاء فى مجلة نور الاسلام هو احدى الروايات المذكورة.وقد اقتصرنا على احداها لأن المقام لايقتضى أكثر منها وكل صحيح مروى

حسن منصور

وكيل دار العلوم العليا سابقا

العدد الخامس — المجلد الاول | جماد الاولى سنة ١٣٤٩

قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ •

نور الإسلام

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها مشيخة الأزهر الشريف

أول كل شهر عربي

مدير ادارة المجلة :  المستشار بمحكمة الاستئناف سابقاً ومن أعضاء مجلس الازهر الأعلى

رئيس التحرير : السيد محمد الخضر حسين من علماء الازهر

مكتب المجلة بالادارة العامة للمعاهد الدينية بشارع فهمي رقم ١٩

« تليفون : بستان ٣٥٠٧ »

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

قيمة الاشتراك السنوى

	قرش
داخل القطر المصرى	٤٠
للعلماء غير المدرسين وطلبة المعاهد والمدارس	٢٠
خارج القطر المصرى	٥٠
لطلبة المعاهد والمدارس	٣٠

يعامل أئمة المساجد والمؤذنون ومعلمو المدارس الأولية معاملة الطلاب

وثمن الجزء الواحد ٣ صاغ داخل القطر و ٤ خارجه

« تنبيه »

وقع سهوا تحريف فى عزو بعض المقالات بالفهرست والصواب هكذا

٣٤٤	الاسلام دين الفطرة	فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى
٣٥٣	حكم شرب الدخان فى مجالس القرآن	« « « يوسف الدجوى
٣٥٥	البابية أو البهائية	رئيس التحرير
٣٧٠	أجوبة عن أسئلة شرعية	فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى
٣٧٥	خلاعة النساء تقودنا الى الهاوية	حضرة الأستاذ على الجندى

بسم الله الرحمن الرحيم

أصول سعادة الأمة

سعادة الامة أن تستنير عقولها وتسمو أخلاقها ، وتغتبط بالنظم التى تساس بها ، وترضى عن طرق تطبيقها وترتاح الى تنفيذها ، وتأمن أن تمتد يد غريبة الى حق من حقوقها .

اما استنارة عقولها فباقامة معاهد كافية للتعليم، فان الامة التى تتألف من متعلمين وغير متعلمين يصعب على قادتها متى أرادوا توجيهها نحو الحياة الصالحة أن يجدوها لينة القياد خفيفة الخطا، والتعليم الصحيح مايؤخذ فيه بأرقى النظم وأحكم الاساليب، وتلقى العلوم باساليب غير مهذبة هو العلة في تباطىء النهضة العلمية وعدم انتظام طرق البحث والتفكير .

ولا سبيل الى أن يغتبط الشعب بنهضته العلمية حتى يتربى نشؤه على أن يطلبوا العلم بداعى اجتلاء الحقائق والحرص على اسمى الفضائل ، ومما يقعد بهم عن مرتبة النبوغ والابتكار في العلوم ان يجعلوا لطلب العلم غاية مادية حتى اذا أدركوها انقطعوا .

والتعليم الذى تؤمن عاقبته وتزكوا ثمرته ماهتدى فيه الطلاب الى طريقة نقد الاراء وتمحيصها حتى لايقبلوا رأيا الا أن يستبينوا رجحانه بدليل ، وقد رأينا رأى العين ان طائفة من ابنائنا قد انحرفوا عن طريق الرشد ، ولو كانوا ممن يرد الاراء الى قوانين البحث المعقولة لاستقاموا على هدى الله وما كانوا من المفتونين .

وأما سمو أخلاقها فلتستقيم أعمالها وتنتظم المعاملات بينها ، والاعمال الخطيرة انما تقوم على نحو الصبر والعزم والكرم والاقدام، والمعاملات الرابحة لاتدوم في تماسك وصفاء الا ان تكون محفوفة بنحو الصدق والامانة والحلم وسماحة النفس ورقة العاطفة ،

وهذا الوجه من وجوه السعادة ملقى في عهدة من يتولى أمر التربية كالامهات والاباء ورجال التعليم ، ولا يكون في الامهات والاباء والمعلمين كفاية لان يخرج الطفل أو الفتى من بين أيديهم طاهر السريرة مستقيم السيرة حتى يكون التعليم الديني ضاربا بأشعته في جميع مدارسنا أولية كانت أو عليا ، واذا وصلت التربية الدينية الى النفوس من طريقها الصحيح فلا ترى منها الا حياء وعفافا وصدقا وأمانة واستصغارا للعظائم وغيرة على الحقائق والمصالح ، وما شئت بعد من عزة النفس وكبر الهمة ، تلك خصال لاتثبت أصولها وتعلو فروعها الا أن يتفيأ عليها ظلال الهداية ذات اليمين وذات الشمال .

واما توافر وسائل الثروة فلتكون مرافق الحياة بين يديها ، والعيش ميسورا لكل فرد من أفرادها وما أبعد الامة عن سعادة الحياة اذا كثر فيها أولئك الذين يتكففون الناس في ايديهم، واولئك الذين يترددون على المقاهي والنوادى في الصباح كما يترددون عليها في المساء .

من حقوق الامة أن يهيىء لها ولاة أمورها الوسائل للاعمال العامة وينظروا في ترقية الصناعة والزراعة والتجارة وتوسيع دائرتها ، يعنون بها من الوجهة العلمية بفتح مدارس لتلقي ماله اختصاص بهذه الاصول الاقتصادية من علوم وفنون، ويعنون بها من الوجهة العملية بانشاء مصانع وتشجيع الزراع وتدبير الوسائل لرواج البضائع الوطنية مااستطاعوا ، وبمثل هذه المساعى تجد الايدى العاطلة مجالا للعمل ، ولا تخرج اثمان ملابسنا وامتعة منازلنا وسائر مرافق حياتنا عن حدود أوطاننا .

وليست تبعة الحالة الاقتصادية ملقاة على عاتق أولى الامر وحدهم ، بل على الموسرين حظ من هذه التبعة عظيم، اذ في ميسورهم تأليف شركات تراعى في نظمها أصول الدين الحنيف فتفيض بربح مبارك غزير ، ويعيش من العمل بها خلق كثير

أقمت في عاصمة المانية وبعض مدنها وقراها زمنا غير قصير ، فلم أر قط سائلا سليم البنية ، بل لم أر في تلك المدة متكففا غير نفر قليل هم مابين رجل مقطوع اليد

أو الرجل ، أو عجوز بلغت من الكبر مافت في عضدها ، لم أر سليم البدن يتكفف اذ لايعدم سليم البدن أن يجد هنالك عملا حيويا اذا شاء، والتعليم وهو هنالك الزامى يقبح لصاحبه أن يقف موقف الاستجداء .

وكثير من أمراء الاسلام كانوا ينظرون الى الامة برأفة ويجتهدون في أن يخففوا عنها متاعب الحياة ماقدروا ، وهذا طاهر بن الحسين يقول في كتابه الذى بعث به الى ابنه عبد الله حين ولاه المأمون مصر والرقة وما بينهما «وتعاهد ذوى البأساء ويتاماهم وأراملهم ، واجعل لهم أرزاقا من بيت المال ، وانصب لمرضى المسلمين دورا تأويهم ، وقوّاما يرفقون بهم ، واطباء يعالجون أسقامهم ، واسعفهم بشهواتهم مالم يؤد ذلك الى سرف في بيت المال» .

وفي فتح طرق العمل للمستطيعين ، واقامة مستشفيات وملاجىء للمرضى والعاجزين، انقاذ للامة من أن تقود الحاجة طائفة من ابنائها الى نواد أومستشفيات يفتحها من يقصد الى افساد عقائدها الدينية ، أو اطفاء غيرتها الوطنية .

واما الاغتباط بالنظم المدنية فذلك مايدعوها الى أن تحترمها من صميم افئدتها فتراعيها في السر كما تتقيها في العلانية ، فيكتفى الناس في اكثر الخصومات بمعرفة الحق من طريق الاستفتاء . وأولو الامر هم الذين يقررون النظم المدنية ويقومون على تطبيقها، فاولو الامر على اختلاف طبقاتهم وتفاوت مقاماتهم طائفة من الامة تولوا النظر في شؤونها العامة ، فيجب أن يتجلى فيهم روح النيابة عنها ولايتجلى هذا الروح الا أن يعملوا على مايكفل مصالحها ، ومقتضى هذا أن تساس بنظم تراها أحكم وضعا وأرعى للمصالح ، والامة الاسلامية انما تشهد للنظم بالحكمة ورعاية المصالح متى وافقت أصول شريعتها ولم ينتهك بها شيء من حرماتها .

واما الرضا عن حال التطبيق فلان صحة النظم انما يظهر أثرها على أيدى من يوكل اليهم أمر تطبيقها ، وما مزية القانون العادل اذا وكل العمل به الى من لم تحسن المدرسة أدبه ؟ فتطبيق القوانين على الحوادث يرجع الى أدب الحاكم ومبلغه

من العلم والفهم ، فمن حق الامة أن لا يتولى الحكم فيما شجر بينها الا ذو ثقافة يجيد بها عمل التطبيق، واستقامة يقف أمامها القوى والضعيف على سواء ، وهذا مايدور عليه فضيلة العدل المأمور به في قوله تعالى (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) وقوله تعالى (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

واما الارتياح لطرق التنفيذ فيعود الى السلطة الاجرائية كادارة الشُرَط ، وحق الشعب على هؤلاء أن تأخذهم به الرحمة ويشعروا بانه جسد هم بعض أعضائه ،

أقمت في بعض البلاد الشرقية فكنت أرى بين بعض رجال القوة المسلحة وسائر الوطنيين جفاء يتطاير شرره لادنى مخطابة تدور بينهما، ثم رحلت الى عاصمة أوربية وطفت في بعض المدن والقرى ، فكنت أرى تعاطفا وأئتلافا بين الجند والشُرَط وبقية الشعب ، ولا يكاد الناظر يفرق بينهما الا بما يحمله الاولون من هيئة رسمية أو سلاح ، كنت أشاهد سائق العجلة يجادل الشرطى مدة غير قصيرة واصواتهما في الارتفاع متساوية ، ولا يكون بعد هذا الا أن يقنع أحدهما الآخر ويفترقا .

نحن نعلم ان انتشار التعليم في الشعب يساعد رجال الامن وغيرهم على تنفيذ النظم العامة بكلمة ينبهون بها من يروم مخالفتها ، ولكن المحروم من التعليم هو في حاجة الى أن يُنظر اليه بشفقة ويعالج بشيء من الرفق الا أن يخرق النظام متمردا ، قال معاوية بن أبى سفيان «لا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى ، ولا أضع سوطى حيث يكفينى لسانى»

وتطبيق النظم على الوقائع وتنفيذها بعدل حق من حقوق الامة على ولاة أمورها، واذا توقف على شيء يرجع الخطاب فيه الى بعض أفراد الامة كاداء الشهادة على وجهها كانت تبعته على أولئك الذين يستطيعون أن يشهدوا بحق ويكتمون الشهادة وهم يعلمون .

واما أمن الامة من أن تسطو يد غريبة على حق من حقوقها فلتطمئن على

عزتها و كرامتها ، ولتشعر بان من تلدهم سيعيشون كما تعيش الامم ذات الشوكة احرارا ، ولا تأمن بأس خصومها ولا تنظر الى مستقبل أبنائها فتراه أغر محجلا الا أن يكون مابينها وبين رعاتها عامرا بالنصح من ناحية وبحسن الطاعة من الناحية الاخرى ، فبالنصح ترقى معاهد التعليم فتستغنى بعلم أبنائها و كفايتهم للعمل عن أن تستمد وسائل الدفاع والمنعة من وطن غير وطنها ، وبحسن الطاعة ينتظم أمر الجند وتبلغ القوة المالية غايتها .

وقد عنى الاسلام فيما عنى بهاتين الخصلتين العظيمتين : اخلاص ولاة الامور للامة ، وطاعة الامة لولاة أمورها ، فاوجب على الولاة أن يقيموا سياستهم على رعاية الحقوق والمصالح ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه الا لم يجد ريح الجنة [١] » ثم التفت الى الرعية فأمرهم بحسن الطاعة ، ومن شواهد هـذا قوله عليه الصلاة والسلام «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة [٢] »

فالحق أن سعادة الامة في أيدى رؤسائها، فاذا استقاموا على الطريقة وساسوها برفق وحرص على مصالحها و كرامتها ، سارت بجانبهم مستقيمة فلا تلبث أن تنجح في سيرتها وتظفر ببغيتها (ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ)

محمد الخضر حسين

---

(١) صحيح البخارى
(٢) صحيح البخارى



تفسير قصة سيدنا شعيب عليه السلام

— ٤ —

قد قدمنا لك القول مفصلا فى تفسير دعوة سيدنا شعيب عليه السلام لقومه أهل مدين ، ونحن الآن نُجْمِلُها لك فى دعوتين .

« أُولاهما » دعوتهم الى اصلاح دينهم بأن يعبدوا الله الذى لا اله لهم غيرُه فيتركوا ما وَرِثوه عن آبائهم وأسلافهم من عبادة ما لا يَسْمعُ ولا يُبصر ولا يُغنِى عنهم شيئا

« ثانيتُهما » دعوتهم الى اصلاح دنياهم بأن ينتهُوا عن نقص المكيال والميزان وأن يُوفُوهما بالقسط وأن يَكفُّوا عن بخس الناس أشياءهم وعن العَثَيان فى الأرض مفسدين مع تبشيرهم بحسن العاقبة اذا تابوا وآمنوا وانذارهم بسوء المآل ان عاندوا واستكبروا .

هذا ما دعاهم اليه عليه السلام ، ولكنهم أساءوا اليه كما أساءوا الى أنفسهم وبخسوا أشياءه كما بخسوا الناس اشياءهم فلم يقابلوا دعاءه بما كان يجب عليهم أن يقابلوه به من التروِّى والبحث والتدبر .

وذلك أَن العقل السليم يوجب فى كل أمر جديد لم تَعهَدْه النفوس من قبل — خصوصا اذا كان مخالفا لما أَلِفَتْه من المعتقدات ولا سيَّما أمر الدين — أنها تُنْصِتُ له وتستمع اليه ، ثم تجول فيه جولة المُنَقِّب فى ارجائه ، الباحثِ فى ثناياه ومَناحيه ، الناظرِ فى أدلته ، الناقدِ لمقدّماته ونتائجه ، حتى اذا تبين لها أن الحق فى جانبه والرشدَ فى أتباعه قَبِلتْه عن رضا ودانت له عن بينة ورفضت ما وَرِثَته عن أسلافها الأولين ونَبذتْ ما كانت عاكفة عليه من التقاليد والضلالات ظِهْرِيّاً

أما ان بادرت الى الرفض وسارعت الى التكذيب والانكار من قبل أن تتبصر فى أمر ذلك الداعى وفيما دعاها اليه ، بل تجاهلت أو جهلت خلاله الكريمة وفضائله الكاملة

ودفعها حرصها على ضلال أسلافها ، وعزَّ عليها هجرُ ما أنستْ به من ضروب الغيّ والفسوق فصَمَّتْ آذانُها عن الاستماع له وعَمِيتْ أبصارُها أن تنظرَ ماذا فى السموات والأرض من الآيات المصدِّقةِ له وكَسَفَتْ شمسُ فطرتها فلم يَبْقَ فيها بصيص من نور الاهتداء .

اذ أُصيبتْ نفوس الأمم بذلك فانها لا تقابِل دعاء المصلحين الصادقين الا بالتكذيب بل بالجحود[1] بادىء بدىء ، لا تُصْغِي اليهم ولا تقيم لدعائهم وزنا ، معرضةً عما أَتَوْا به من الأدلة الصحيحة والآيات البينـات ، كما حكى الله عز وجل عنهم اذ يقول (وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِـكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا) وقال (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ) .

هذا هو شأن الحق اذا أتى الأممَ مخالفا لما هم عليه مقيمون ، وهـذه هى معاملتهم لرسل ربهم حينما يبلغونهم عنه سبحانه دينَه ويَهْدُونهم الى صراطه المستقيم ، فلم تَنْجُ أمةٌ من الأمم الخالية الا وقد وسوس اليها شياطينُها فأعرضتْ عما ذُكِّرتْ به من شرائع الله واتخذتْ آياتِه ورسلَه هُزُواً .

وذلك كما أخبرنا اللهُ صَدَقَ خبرُه بذلك فى كتابه العزيز اذ قال فى شأن الذين كذَّبوا رسولَه سيدَنا محمدا صلى الله عليه وسلم (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ .)

هكذا أخبر الله تعالى ولـكنه سبحانه قد أوضح لنا السبب الذى لأجله قابلتْ كلُّ أمة رسولَها بما قابلتْه به من الـكفر والتـكذيب ، فذكر أن مَنْشأَ ذلك هو الطغيان وهو تجاوز الحد فى العصيان حتى يُؤَدِّىَ ذلك بالطاغين الى أنهم يكذبون بعقوبة طغيانهم .

ولما كان هذا المرض الوبيلُ وهو الطغيان قد أصاب كلَّ الأمم الخالية . كانوا جميعا سَوَاسِيَةً متماثلين فى الاصابة به كأنهم قد أجمعوا عليه وأوصَى به بعضُهم بعضا وذلك هو

(١) هو التكذيب مع تيقن الحقيقة كما فى الآية (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم)

قوله سبحانه (أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) وقوله (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)

فى هذا الطريق المعوجّ سار أهلُ مدينَ فتفرّقتْ بهم سُبُلُ الغوايةِ والضلال عن سبيل الله المستقيم الذى دعاهم اليه رسولُ الله سيدنا شعيب عليه السلام فكانوا فى عنادهم واستكبارهم عما جاءهم به مثلَ أشياعهم الذين قال الله فيهم (جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ) .

بمثل هذا الرد والتكذيب الشنيع قابَلَ أهلُ مدين دعوةَ رسول الله شعيب عليه السلام ، وهو ما قصه الله تعالى عنهم فى قوله (قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) الآية .

قد تضمنت هذه الآية الكريمة ثلاثَ مقالات لهم كلٌّ منها كافٍ كلَّ الكفاية فى الدلالة على ان أهل مدين قد مُسِخَتْ نفوسُهم وعَمِيَتْ بصائرُهم وكَمِهَتْ أبصارُهم ، فكرهوا الحقَّ وسخروا ممن جاءهم به فضلوا بذلك ضلالا بعيدا .

المقالة الأولى قولهم (أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ؟) الثانية قولهم (أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ) الثالثة قولهم (إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) .

فأما المقالة الأولى فانها قد اشتملت على عدةٍ من شناعاتهم وخروجهم عن حدود آداب المعاملة مع أصناف الخلق ولا سيّما رسل الله المصطفَيْنَ الأخيار .

فمنها هذا الاستفهام الصُّوريّ الذى قصدوا به التهكمَ والاستخفافَ برسولهم الكريم وهو أرجحُهم عقلا وأزكاهم نفسا وأعلمُهم بالحق وأعرَفُهم بربهم وأخشاهم له وأعظمُهم اخلاصا ونصحا لهم وأدْراهم بمصالحهم الدينية والدنيوية .

ومنها أنهم جعلوا صلاته التى يعتقدون بطلانَها لأنها لغير آلهتهم هى التى تأمره أن يدعوَهم الى ما دعاهم اليه ، فيكون ما دعاهم اليه باطلا لكونه انما صدر عن صلاته الباطلة فى

زعمهم لا عن وحي من الله تعالى كما يدَّعِي ولا عن عقل سليم . بل انما كان ذلك منه اتباعا لما سوَّلتْ له به نفسه (حاشَ لله) .

جعلوا هذه المقالة الفاحشة اجابةً عن أمره عليه السلام لهم بعبادة الله تعالى وحده وترْكِ ما وَرِثوه عن آبائهم من أنواع الضلال والشرك بالله فاطرِ السموات والأرض يَدْعوهم ليغفرَ لهم من ذنوبهم ويؤخرهم الى أجل مسمى (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

يتبع

حسن منصور — وكيل دار العلوم سابقا

تربية اللؤلؤ فى اليابان

مترجمة عن الألمانية من مجلة Woche

يشتهر خليج آجو في المياه اليابانية بوفرة اللؤلؤ لوقوعه في ناحيـة مستترة آمنة تكفل نمو المحار لهدوء مياهها . ولا يبعد هذا الخليج عن معبد أيز الا بنحو ٢٠ كيلو متر جنوبا .

ولتربية اللؤلؤ في مثل هذه النواحى التى تكثر بها ديدان المحار تلقى قطع من الاحجار الصغيرة في المـاء خلال شهرى يوليـه واغسطس ، فلا يلبث أن يعلق بها بويضات المحار . ولقلة غور هذه الجهات تنقل الأحجار بما علق بها الى مياه أكثر عمقا خوفا على المحار من العدم والهلاك لو تركت في المياه الضحلة ابان فصل الشتاء. فتوضع في أعماق بعيدة داخل مهاد أعدت لهذا الغرض ولا ينتزع المحار منها الا في السنة الثالثة حيث يعالج بطرق خاصة لتكوين اللؤلؤ في باطنه ، ويستعان على ذلك بادخال لآلىء صغيرة واطئة القيمة أو حبيبات مستديرة من الصدف تصلح لأن تكون نواة للؤلؤ . ثم يلقى المحار في البحر ثانية حيث يستقر في جوفه أربع سنين على الأقل . وعند استخراجه توجد اللآلىء بباطنه .

ولو أن هذه الطريقة في متناول كل انسان لما شق على غير اليابانيين ممارستها .

اصول الدين

الدين ضرورى للعمران

— الفرق بين المؤمن وغيره —

قلنافى مقالنا السابق ان الانسان مركب من جزء علوى سماوى وجزء مادى أرضى وانه لابد له بمقتضى هـذا الجزء أن يتغلغل فى المحسوسـات ويوغل فى وادى اللذائذ الجثمانيات ولاشىء عليـه فى هذا بل بذلك تحصل سعادته وتتم راحته ، وقـد اعتنت الشريعة بذلك أتم اعتناء ولـكن رسمت له قواعد وحددت له حدودا ٠

غير أن المؤمن لايتفانى فى تلك المطالب البدنية ولا يتهالك عليها بل يراعى حدود الله فيها وبذلك يصفو عيشه وتتم راحته ٠

وأما غير المؤمن فيعدو وراء الأوهـام وينخدع بأضغاث الأحلام ويغرّه لمعان السراب فيحسبه من لذيذ الشراب فيشقى شقاء لاسعادة فيه ويكد كدا لاراحة معه ٠ قد عَظُم فيه الشره ٠ فهو يطلب أن يسـتأثر بكل شىء فتراه يثب وثوب الوحوش على أخوانه وبنى نوعـه يفترسهم افتراس الذئب الضارى ثائية الغنم ويستلب منهم ماستطاع اليه سبيلا حتى يكون له من رفعـة الحياة ووفرة المـال وضروب اللذات ماليس لأحد سواه فى بلده أو قطره أو الدنيا كلها على حسب ماتسمح به درجته وتوصّله اليه قدرته ، وهو الذى فى نفسه من التكالب الحيوانى على جمع المـال والحرص على قتل غيره لينفرد بالحياة وما ركب فيه من ذلك الشره الذى لا يتناهى حتى لايساويه أحد ولايدانيه انسان فيكون وحيد دهره وفريد عصره على ما يزعمه شيطانه (ولو أنصف لعرف أنه وحش أخوانه ومفترس أقرانه) كل ذلك الذى يدور بنفسه ويطلبه على موجب شرهه وجهله هو بعينه فى نفس كل واحد من بنى نوعه بمقتضى الغريزة البشرية فلا يلبث أن يقوم فى وجهه قومة الأسد فى وجه من يريد أشباله فلا يزالان يتصارعان حتى يصرع أحـدهما

الأخر بفضل غلبة الأهواء وعدم معرفة حقيقة السعادة والشقاء ، وأذن تنحل الروابط الانسانية بل علاقات القرابة الأبوية كما شاهدنا ونشاهد فتتفكك أجزاء الأمة ويكاد ينهار بناء المجتمع الانسانى لولا لطف الله تعالى به ووجود الكاملين فيه ، ولا غرو فالانسان مجبول على محبة الدنيا وعلى الافراط فيها كما قال تعالى « وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا »وقال « كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ »وقوة المحبة غير المعتدله ينشأ عنها التحاقد فالتحاسد فالتدابر فالتنازع فالتقاتل « نتائج طبيعية يستلزم بعضها بعضا » وهذه حقيقة ملموسة تراها بين الدول والأفراد وناهيك بالحرب الكبرى وما تفعله دول الاستعمار وما تراه من عمل المرابين ومحبي الأثرة فى كل أمة ودولة ، ولذا كان غرس مكارم الأخلاق التى تقف النفوس عند حدها وترسم لها طريق السعادة الحقيقية وتنفخ فيها روح الانسانية ويرشد اليها الدين ويعلو بها عن الصفات البهيمية من أول الضروريات التى يتوقف عليها صلاح الكون وبقاء النوع الانسانى حتى لايذهب فريسة الشره وضحية الأطماع . لا فرق بين الأفراد وبين الأمم فى ذلك

المؤمن يطلب الدنيا ليتوصل بها الى سعادته الباقية وليسير على راحلتها الى محل قراره فهى فى نظره لاتتجاوز رتبة الوسائل التى تراد لغيرها ولا ترتفع الى درجة المقاصد التى تراد لذاتها وان كان لا بد منها ، وقد اثمر هذا النظر للمؤمنين أن يتمتعوا بقلوبهم وتمام حريتهم اذ لم تستعبدهم الدنيا بمحبتها كما استعبدت ابناءها المتعشقين لها المتهالكين عليها ولم تأخذ من قلوبهم الا كما تأخذ الوسيلة من قلوب ذوى العقول السليمة ، ومن أجل ذلك قل فيهم الخصام وتم بينهم الوئام ، ولا تظن — أيدك الله — أنا نرى أن المؤمن لايتوسع فى الدنيا ولا يكون بعيد النظر فيها فانه هو العاقل الحكيم بحكمة دينه وتعليم سيده الذى جعل له العزة وأوجب أن تكون أمته خير الأمم . وقد بسطنا ذلك فى مقال آخر

والمؤمن من أرفع الناس همة وعلى قدر همة الرجل تكثر واجباته وتكبر مروءته فتعظم أثقاله وهو الذى لايزال لسان حاله يقول :

أريد بسطة كف أستعين بها   على قضاء حقوق للعلا قبلى

ولكنه يعمل كل ما يعمله فيها لله على سنن الاعتدال غير غافل عن مقصده الذى يريده فيتوسل بكل شىء فيها الى فعل الخير وا كتساب الأجر .

المؤمن يتعاطى الأسباب المشروعة ولكن لا يذل لها ذل العاشق لمعشوقته ولا يخضع لها خضوع العابد لمعبوده . لأن قلبه مع مسبب الأسباب لامع الأسباب فهو دائما يستمد منه الرشد والمعونة فيما يريده علما منه أن بيده مقاليد الأمور فان شاء أضلّه فى السير وأوجد له من العقبات ما يحول بينه وبين مطلوبه ، وان شاء هداه السبيل ويسّر له من الأسباب ما يعلم وما لا يعلم ولديه تعالى من الأسباب الخفيّة مالا يصل اليه علمك وتدبيرك وان علمته فلا تصل اليه قدرتك وليس لتصريفه تعالى حد يقف عنده أو قانون لايخرج عنه بل مالا تعلمه من الأسباب الخفيّة أكثر مما تعلمه ولست تدبر الا على حسب علمك وقد ينقلب مادبرت ولا يكون ما قدرت ، وكثيرا ما كانت المقتضيات موانع والمضار منافع ، واذا لم تكن قد اهتديت الى ذلك بماوصلت اليه من العلم فلعلك اهتديت له بما حصل لك من الحوادث .

المؤمن لايموت أسفا ولا ينتحر غيظا اذا فاته شىء من الدنيا مهما كان لأنها ليست كل المقصود عنده ولاتمام السعادة فى نظره ولأنه يعلم أن الله على كل شىء قدير فانشاء أعطاه أضعاف ما ضاع منه وان لم يعلم له سببا ولم يعرف اليه طريقا فليست الأسباب منحصرة فيما علم ولا الطرق مقصورة على ما عرف ولانه كثيرا ما وجد الخير فيما كان يظنه شرا وكثيرا ماوجد الشر فيما كان يظنه خيرا ، وطالما استتبعت الأفراح الأتراح والشرور السرور فغلب عليه الركون لله عز وجل والثقة به والتوكّل عليه وتقليد كتابه العزيز فيما قال « وَعَسَىٰ انْ تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ » فعزّاه هذا الخطاب فهان عليه المصاب فثلج منه الصدر وخف عليه الأمر .

أما الموازنة بين المؤمن وغيره من حيث نعيم النفوس وصفاؤها وبهجة القلوب وشقاؤها فهى أعظم وأهول ، ذلك أن المؤمن تراه دائما فرحا مسرورا مبتهجا محبورا حتى انه فى احرج ظروف البلاء والعناء يكون فى غاية الصبر ونهاية الرضى ، لأنه يعتقد

أنه ما يشاك بشوكة فما فوقها الا كان له بها أجر ، وقد نقل عن اويس القرنى أنه كان يبكى مسرورا أذا اشتد به الحال ويقول ان هـذه منزلة المقربين المحبوبين ولست منهم فبأى شىء نلت هذه المنزلة عند ربى ، بل كانوا يفرحون بالموت فضلا عما دونه ثقة بما يلاقون بعده عالمين بأن متاع الدنيا قليل وأن الآخرة هى الدار الحيوان وان كان أكثر الناس لا يعلمون وقد تبسم بلال رضى الله عنه عند ما شارف الموت فسئل عن ذلك فقال غدا نلقى الأحبّة محمدا وحزبه ، وكان علىّ يقول لا أبالى اسقط علىّ الموت أم سقطت عليه ولقد صدق القائل

لاتهتدى نُوب الزمان اليهم ‏ ‏ ‏ ولهم على الخطب الشديد لجام

وقد قال الله تعالى لليهود « قلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » فأفاد أن هناك فريقا من الناس يفرح بالموت حتى أنه يتمناه ولهم بعـد ذلك من اللذة الروحانية والبهجـة النفسية ما لا يعلمه الا الله تعالى وقد قال قائلهم :

أيا صاحبى قف بى مع الحق وقفة ‏ ‏ ‏ أموت بها وجدا وأحيا بها وجدا

وقل لملوك الأرض تجهد جهدها ‏ ‏ ‏ فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى

ولعل فى قراء المجلة من المؤمنين الكاملين من ذاق شيئا من تلك اللذة الروحيـة التى لا يماثلها لذة أخرى ، وقد قال ابراهيم بن أدهم نحن فى لذة لو علمهـا الملوك لقاتلونا عليهـا بالسيوف . وقال غيره عجبت لمن يخرج من الدنيا وما ذاق الذّ شىء فيها وقد قالوا ان هذه اللذائذ المحسوسة تشاركك فيها البهائم ولا قيمة لشىء تكون أنت والبهائم فيـه سواء ولقد بلغت تلك اللذة الروحانية من بعض ذويها أن قال فرحا وتبججا .

أتيه فلا أدرى من التيه من أنا ‏ ‏ ‏ سوى مـا يقول الناس فىّ وفى جنسى

أتيه على جن البلاد وانسها ‏ ‏ ‏ فأن لم اجـــد شخصا اتيه على نفسى

فقارن بين هذا وبين من أحاطت به الظلمات من جميع جهاته ، فهو يتخبط فيها ليـله ونهاره لا يدرى كيف السبيل الى انقاذه من حيرته وخلاصه من شدّته وليس لديـه من العقيدة ما يخفف من بلائه أو يهوّن من لأوائه ، فهو يعالج أهوال الموت فى كل حين

وحاله على ماوصف الله كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها وقد صرّح بعضهم بتلك الحقيقة عند ما امتلأت نفسه بهاففاضت منه قهرا عنه يقول

ظلمة فوق ظلمة أنا فيها　　　أبدا مصبح كما أنا ممسى

فهذا رجل مسكين فقد النور والسرور غشيته الظلمة وأحاطت به الحيرة وقد قال الله تعالى فى مثله « وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ » حتى أنه اذا لم يكن له بلاء ظاهر ولا شقاء حاضر أملت عليه مخيلته المظلمة ما هو كفيل بازعاجه وعدم طمأنينته وكفى بذلك شقاء وبلاء، وانظر الى قوله فى هذه القصيدة :

تعترى جسمى هزّة كلما فكـــــرت أنى يوما سأفقد حسى

يخاف الموت ذلك الخوف البالغ وجدير به أن يخاف لانه ذاهب الى فناء أو شقاء ، أما المؤمن فلا ينزعج من الموت كما سمعت لانه يعتقد أنه انتقال من دار الشرور الى دار السرور ومن موطن الفناء الى محل البقاء حتى قال بعضهم وهل الخير كله الا بعد الموت ولكن ذلك الذى لا يؤمن بالآخرة لاحياة عنده الا هذه الحياة ولذلك يحبها حبا جمّا كما يقول فى القصيدة نفسها :

لم أزل بالحياة صبا وأن نـوّ　　　ت بستين من سنى وخمس

الى أن يقول :

أنما الدنيا جـنّة لسعيد　　　وجحيم لذى شقاء وبـؤس

لك فيها الحياة ما طبت عيشا　　　كل شىء فلا تبعها ببخس

الى أن يقول :

قيل لى احمد على الشدائد والأو　　　صاب ربا يهدى الورى ويُدسّى

قلت هذا ما لست أفعل شيئا　　　منه حتى أردى فدعنى وتعسى

والرجل منصف يعترف بتعسه ونكسه ، لا بل هى الحقيقة تظهر بقوة سلطانها على لسان صاحبها وان حرص على كتمانها .

ومن هذا القبيل قول من يقول مناجيا لنفسه أو مناجيه له : —

قالت : سئمت من الحيــا ة ومفرق كالليل حالك
فأجبتها انى كذلك

قالت : وأملت السعـــا دة فانثنيت بغـير ذلك
فأجبتها انى كذلك

قالت : ويرهــبنى الفناء يد ؤمه باك وضاحــك
فأجبتها انى كذلك

قالت : وأجزع حــين أذ كر أننى احدى الهوالك
فأجبتها انى كذلك

انى كذلك مثل غيــرى حائر أنى كذلك

ولا تعجب من ذلك الذى سمعت من حديث الظلمات التى بعضها فوق بعض وتلك الحيرة التى أحاطت بذلك الملحد الذى لايدرى من أين جاء ولا الى أين يذهب مع ما للمؤمن من لذة الأنوار وبهجة الأسرار فـ « اللَّهُ وَلِىُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ » والخلاصة أن التربية على غير مبادىء الدين ترمى بالانسان فى هوّة لايستطيع منها مفرا ولا يجد فيها مستقرا فان سنح له من نتوء تلك الهوّة ما يضع عليه احدى رجليه زلقت به الأخرى فهوى أبعد مما كان واذا تنسم بعض النسيم الذى يصل اليه أحيانا لم يلبث أن يزول ذلك عنه ثم يختنق بهوائها الفاسد ولا يزال كذلك يعانى صنوف العذاب (يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت) حتى يذهب حيث شاء الله أو يعمد الى الانتحار تخلصا من ذلك الشقاء كى يصل الى مركز يستقر فيه وما هو بواصل اليه (وَمَنْ كَانَ فِى هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً) لا يجد من نور اليقين ما يتسع به صدره فيهون عليه أمره وتستقر روحه فى مركزها الذى تحن اليه من عالمها الأعلى تنزل عليها السكينه وتحفها الطمأنينة فتعيش هادية مهدية وراضية مرضية بل

أخذته الدنيا فلم تدع منه شيئا حتى مات أسيرا فى يديها وهو متلهف عليها فهو معها (كباسط كفّيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه) وهى معه (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى أذا جاءه لم يجده شيئا) فضاع منه نصيب قلبه وبدنه جميعا وناهيك قول الله تعالى « وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى » ويقول فى مقابلهم « وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » ويقول « أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ »

وأما تربية الدين فهى التربية التى يعيش بها الانسان هادئا مطمئنا يتبادل المودّة والهناءة هو واخوانه المؤمنون قد اتحدت مبادئهم فلم تختلف أهواؤهم (كحالنا اليوم) فضلا عما له من السعادة الروحية التى هى أصفى وأرفع من السعادة البدنية .

وأما غيره فليس له من تلك اللذة شىء لأنه مشغول عنها منكس القلب نحو العالم الأدنى — وليتك تصدق أن المؤمن يجد من لذة الأكل والشرب وهبوب النسيم وازهار الرياض ونغمات الطيور ما لا يجده غيره لأن له نصيبا روحانيا لايعرفه غير أهله .

ولعلك بكلامنا هذا يهيج منك خالص الايمان ويتحرك لديك صادق الوجدان فتفهم ما يشير اليه قوله تعالى « وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ » وان كنت لاتتذكر تلك اللذة الروحانية التى كانت لك زمن الصحة وسلامة الفطرة عند ما يهب نسيم الأصيل أو يفوح شذى الأزهار أو يشرق نور الصباح وما كنت تجده اذ ذاك مما يكاد يسكرك بخمرة ذلك الجمال حتى يجعلك مبهوتا مستغرق القلب لا على النحو الذى تعرفه الآن مما يجعلك تتحرك وتفكر . بل مما يلقى عليك سباتا لذيذا يملأ القلب نوراً ويفيض الدمع سروراً وهذه هى اللذة الحقيقية والخمرة الروحية التى قال فيها بعض ذائقيها :

على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له فيها نصيب ولا سهم

يوسف الدجوى — من هيئة كبار العلماء



بسم الله الرحمن الرحيم

النفاقُ وعلاماتُه ومَضارُّه

الحديث

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : آيةُ المنافقِ ثلاثٌ ، اذا حَدَّثَ كَذَبَ ، واذا وَعَدَ أَخْلَفَ . واذا اؤْتُمِنَ خان .(١)

الشرح

الآية هى العلامة والامارة ، المنافقُ هو الذى يُظْهِرُ شيئاً ويُخْفِى فى نفسه ضدَّه .

الفضائل النفسية محمودة عند الله تعالى وعند العقول الراجحة الزكية ، وقد أثنى اللهُ عز وجل عليها ووعَدَ المتخلِّقين بها وعدا حسنا ، فمن تلك الفضائلِ مطابقةُ ظاهرِ الانسان لما فى باطنه وموافقةُ أقوالِه وأفعالِه لما يُكِنُّه فى نفسه ، وعلامةُ هذه الفضيلةِ فيه أنه اذا حَدَّثَ صَدَقَ ، واذا وَعَدَ وفى ، واذا اؤْتُمِنَ أَدَّى الأمانةَ .

هذه الفضيلة المحمودة تقابلُها رذيلةٌ مذمومةٌ ، وهى النفاق ، وهو أَنْ يُظهِرَ الشخصُ للناس شيئا ويُخْفِى فى صدره ما يخالفه وتَخدَعُه نفسُه فيظنُّ أَنَّ الناسَ يَخْفَى عليهم ما أَبْطَنَه وأنهم لا يقفون على حقيقة ما أضمره .

ولكن الأمرَ بخلاف ما زَعَمَ ، ولهذا أرشدَنا الرسولُ صلى الله عليه وسلم الى بعض من العلامات التى تَتبيَّنُ بها نفاقَ المنافقين .

العلامة الأولى : أنه اذا حدَّث غيرَه حديثا كَذَبَ فيه غيرَ مُكترِث بما يترتب على الكذب من المذامِّ والمفاسد .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

ألم يعلمْ هذا الكاذب أنه بجرأته على الكذب قد امتهنَ نفسَه واحتقرها به كما أنه أيضا امتهن من يحدّثهم واستخفَّ بهم ، فانه لو أكرم نفسَه وأنفسَهم وقدَرَ لهم قدْرَهم لاستحيا أن يدنّس نفسَه بهذه الرذيلة وأن يُقذّر لسانَه بهذه الفاحشة وأن يضع نفسه وغيره موضع المقت والصَّغار وازدراءِ العقلاء به .

ألم يعلم أيضا ان كذبَه هذا قد يؤدّى الى ضرر عظيم وشرّ مستطير كتلف نفوس أو ضَياع أموال أو تقطيع أرحام أو خراب ديار الى غير ذلك من المفاسد والمضار الخاصة والعامة .

العلامة الثانية : انه اذا وعد غيرَه وعدا أخْلَفَه ولم يَفِ به ـ وهذه أيضا رذيلة ممقوتة تدل على ان صاحبها لا قدْرَ له ولا مُروءةَ ، ذلك ان اخلافَ الوعدِ بغير عذر صحيح دليلٌ على ان ذلك المُخْلفَ لا يُقيمُ لنفسه ولا لغيره وزْناً ولا يجعلُ لذلك العهد الذى أوجبه على نفسه قيمةً ولا يُبالِى بما يعود على من ارتبط معه بالوعد من الضرر وفوات المنافع وضياع الفرصة والوقت بدون فائدة

العلامة الثالثة . أنه اذا ائتمنه أحد على أمانة خانها ولم يُراعِ حقَّها ، ثم ان الأمانة هى كلُّ شىء له قدْرٌ . يجْعَلُ فى عُهدةِ آخرَ ليقومَ عليه بما يجب له من الحفظ والرعاية .

وذلك يشمل عدة أنواع من الأمانة ، فمنها الأمانة الالهيـة . وهى شريعته السَّمْحةُ المطهَّرةُ التى أرسل بها رسولَه الأكرمَ صلى الله عليه وسلم ، فحفظها ورعايتها يكونان بالعمل بما جاء فيها من العقائد الصحيحة وفعلِ المأمورات وتركِ المنهيات وخيانتُها تكون بنبذها والاستخفاف بها وترك الواجبات والوقوع فى المنهيات وعدم الاكتراث بما أوعد اللهُ تعالى به من شديد العقاب . ومنها الأمانة الخاصة بالانسان نفسِهِ وهى حياتُه وعِرْضُه ومالُه ونسبُه وعقلُه وصحتُه ، فحفظها يكون بالحرص عليها ووقايتها من كل ما يضرُّها أو يَشِينُها أو يُضيّعُها وخيانتُها تكون بالتفريط فى شىء من ذلك

ومنها الأمانة العامة . وهى الحقوق التى يَضَعُها أصحابُها عند غيرهم ليحفظوها لهم

ويَرْعَوْها ثم يؤدُّوها اليهم اذا طلبوا ردَّها ، وذلك كمن يأتمن غيرَه على ماله أو عرضه أو سرٍّ من أسراره أو غيرِ ذلك ، فحفظُ ما ذكر ورعايتُه يكونان بما قدّمناه لك فى الأمانة الخاصة ، وخيانته بضد ذلك

وملخص ما سبق . أن كل واحد من هؤلاء الثلاثة المذكورين فى هـذا الحديث الشريف منافق ، لأن الكاذب فى حديثه قد أَوْهَمَ الناسَ أَن حديثَه بلسانه موافق لما فى قلبه ، ولـكن ظهور كذبه كان علامةً على أنه أظهر نقيضَ ما أخفاه ، فكان لهذا منافقا خالصا ، ونظيره فى ذلك المخلف لوعده والخائن فى أمانته فان عدمَ وفائهما بمـا قطعاه على أنفسهما من انجاز الوعد وحفظ الأمانة أمارةٌ صادقةٌ على أنهما كانا يضْمِران خلافَ ما أظهراه من إيفاء الوعد ورعاية الأمانة وذلك هو النفاق الذميم وفيمن اتَّصفُوا به يقول اللهُ شديدُ العقاب : (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فى الدرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تجِدَ لَهُمْ نَصِيراً) .

حسن منصور
وكيل دار العلوم سابقا

الظُرف والمُلح

كل ما نشر وما ينشر تحت هذا العنوان فهو من مختارات
فضيلة الاستاذ الشيخ حسن منصور

قال سيدُنا عبد الله بنُ عباس رضى الله عنهما : ما انتفعتُ بكلام أحدٍ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتفعتُ بـكلامٍ بَعَثَهُ الىَّ علىُّ بن أبى طالب رضى الله عنه . كتب إلىَّ : أما بعد ، فان المرء يسرُّه ادراكُ ما لم يكن لِيفُوتَه ، ويَسوءه فوتُ ما لم يكن لِيدركَه ، فلْيكنْ سرورُك بما نِلتَ من أمرِ آخرتك ، ولْيكنْ أسَفُك على ما فات منها وما نِلتَ من أمر دنياك فلا تـكنْ به فَرِحاً ، وما فاتك منها فلا تأْسَ عليه جزعا ، ولْيـكن همك ما بعد الموت .

حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر

شيخ الجامع الازهر

بمناسبة مسألة مسلمى البربر فى المغرب الأقصى

أذاعت الصحف مسألة تدخل دولة فرنسة فى شؤون البربر الدينية ، ووردت رسائل من نواح متعددة تطلب من مشيخة الأزهر بما لها من حق الدفاع عن حقوق المسلمين الدينية أن تقول كلمة فى هذه المسألة

فأخذ حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر يستكشف حقيقة أمرها من مصادر يطمئن اليها ، ثم أبدى رأيه فى حديث تلقاه عنه مندوب صحيفة المقطم فى الاسكندرية ونشر فى عددها الصادر فى ٢٣ ربيع الثانى سنة ١٣٤٩ هـ (١٦ سبتمبر سنة ١٩٣٠) وهذا نصه :

« لقد ارتحت الى ما تضمنه بيان المفوضية « الفرنسية » من أن فرنسة واقفة فى المسائل الدينية على الحياد .

وان البربر مسلمون وسيبقون مسلمين ، وأنه بتشجيعها رممت مساجد كثيرة فى بلاد المغرب الأقصى ولكنى لم أر فيه ما يكشف الحقيقة من جميع وجوهها ولا مايرد على كل تلك التفاصيل التى وردت بها الانباء وكانت سبباً فى هياج الرأى العام الاسلامى ، فهو لم يتعرض لما قيل من ارسال نحو الف راهب الى تلك النواحى لتشجيع التبشير المسيحى ولا ما قيل من الغاء المكاتب القرآنية والمحاكم الشرعية ، ولم يبين ما هو نظام الارث الذى أقر الآن لأمة البربر ولا ما هى الاحكام الشخصية التى أقرت اليهم الآن ايضا مع أنهم ما داموا مسلمين لا يجوز شرعا أن يكون لهم نظام ارث غير نظام الارث الشرعى ولا نظام أحوال شخصية غير النظام الاسلامى وتلك هى النتيجة المنطقية لأنهم مسلمون وسيبقون مسلمين .

وان المسلمين فيما يوجهونه من الاحتجاجات موقفهم دفاعى محض ولا يقصدون أكثر من بقاء الأمور على ما كانت عليه قبل حماية فرنسة ، ولا يرضيهم جعل العادات القديمة لبعض القبائل نظاما مشروعا ما دام فى ذلك مساس بالمسائل والشعائر الدينية .

وفى أفريقية عادات متبعة منذ القدم وهى استرقاق الأحرار والاتجار بهم ، ولم يقل أحد ان مثل هـذا الاسترقاق ينبغى أن يكون مشروعا مادام موجوداً وان المعروف عن فرنسة وغيرها من جماعة الأمم أنها تعمل على توطيد دعائم السلم وإبعاد دواعى الاضطرابات.

فالمأمول منها بناء على ذلك أن تستأصل الداء من مكامنه الخفية ، فلا تساعد ولا تقر المبشرين على أعمالهم فى البلاد الاسلامية فان ذلك مكمن عظيم من مكامن الخطر ، وعليها أن تفصل بين نشر الثقافة والتبشير .

وانى بصفتى الدينية التى أعمل بها على توطيد دعائم السلم ومعاملة الأجانب من أى دين أو جنس بالحسنى وبالتسامح آمل من القائمين بالامر ان لا يساعدوا على ما يثير حفائظ النفوس وأن يعملوا على إعادة الاطمئنان الى تلك البلاد الاسلامية »

« نور الاسلام »

لمشيخة الأزهر اسمى منزلة دينية بين العالم الاسلامى ، ومن حقها أن تنصح للدول التى ترفع رايتها على شعوب اسلامية وتدعوهم الى أن يحترموا محاكمهم الشرعية ولا يتدخلوا فى شؤونهم الدينية ، وحادثة تدخل فرنسة فى شئون البربر من الحوادث التى اهتز لها العالم الاسلامى بالاستياء والانكار وقد اطلعنا على بلاغ المفوضية الفرنسية بالقاهرة وعلى ما يبعث به مراسلو بعض الصحف من باريس فلم نر فيهما ما يدفع عن فرنسة تبعة هذا التدخل بعد أن اعترفت بالظهير السلطانى الذى اتخذته وسيلة الى التصرف فى شئونهم الدينية ، واعترفت بأنها ستقيم بينهم محاكم غير اسلامية ونود من صميم قلوبنا أن تتلقى الدولة الفرنسية نصيحة مشيخة الأزهر الجليلة بالاصغاء وحسن القبول ، فتدع البربر بالمغرب الأقصى يتمتعون بواجباتهم الدينية ويتقاضون حقوقهم بمحاكم شرعية اسلامية ، فذلك ادعى لسكينتهم وانتشار الامن بين ربوعهم



بسم الله الرحمن الرحيم

الاسلام دين الفطرة

— ٥ —

(لايسأم الانسان من دعاء الخير) وما كان له أن يسأم من أن يهدى اليه الخير، وهل وراء هذا الهدى الذى يصل بك الى سعادة الدارين الدنيا والآخرة من خير.

لقد سقنا لك جملة صالحة في الجزء الماضى في بيان بعض من أسرار العبادات وحكم التشريع ووعدنا أن نزيدك في هذا الجزء مايفتح الله به من أبواب الخير والحكم البالغة في احكام المعاملات وفي الاخلاق الاسلامية الكريمة التى بعث صلى الله عليه وسلم لتتميم مكارمها .

المعاملات : تنقسم روابط الانسان باخيه الانسان الى ثلاثة أقسام .

(الاولى) الرابطة المنزلية و(الثانية) الرابطة المدنية و(الثالثة) الرابطة الانسانية العامة ، وقد جاءت الشريعة الاسلامية الغراء حافظة لهذه الروابط أتم حفظ وأكمله ، فابدعت نظمها واكملت أحكامها وحسنت وجوهها .

أما الرابطة المنزلية فقد سنت لها من أحكام النكاح والاحتياط في تثبيته على وجه يكفل له الدوام ويصونه من الانفصام مايجعله سببا لسعادة الحياة وهناءة المعيشة ، فيتلوه ضمان بقاء النسل وعمار الكون على الوجه النافع الكفيل بقيام المصالح على وجهها الأكمل ، فشرعت فيه تقديم الخِطبة مثلا لتكون فرصة يتهيأ فيها تقرب القلوب وغرس الالفة والمودة رويدا رويدا حتى تؤتى ثمرها حين اللقاء ، واباحت فيها النظر المجرد بمقدار مايعرف كلا الزوجين سن الآخر الى أظهر أجزائه

وما يقع عليه النظر غالبا ، وذلك هو الوجه والكفان ، ثم حظرت ماوراء ذلك من خلطة ضررها اكبر من نفعها حذرا من جريان الشيطان بينهما بما يدفعهما للتعجل في أمرهما بما يفسد عليهما حياتهما المستقبلة ، وتكون عاقبة أمرهما خسرا ، والهوى دائما يقظان والعقل كثيرا ماتلحقه الغفلة وتنيمه الشهوة ، فجعلت الشريعة الامر في ذلك وسطا بقدر ، فلم تحل بين تعرفهما ولم تلق لهما الحبل على الغارب ليخطر بينهما الشيطان خطراته المفسدة ، ثم ناطته بعقد موثق بحضرة شهوده العدول ، وفي ذلك من التنويه بامره واحترام مقصده ما يبعده عن أن يكون العوبة وقتية يتلهى بها حينا ثم تنصرف النفس عنه نزقا وطيشا فيجنى ورده ولا يصبر على شوكه فلا يقوم عليه نظام التكوين وبناء الاسر، وهومقصد الشارع منه، ثم شرعت فيه تقديم المهور من أقوى الطرفين لاضعفهما، واوجبت النفقة كذلك ليكون كل منهما لصاحبه سكنا يأوى اليه ويطمئن له ولتكمل المودة والرحمة بينهما على ما منّ الله به على عباده في قوله جل جلاله (وَمِنْ ءايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) فان عطف أقوى المتعاشرين على أضعفهما بنفحه (أولا) مايطيب له خاطره وتعهده (ثانيا) بايفائه كل مايحتاجه وتطلبه نفسه ضمان قوى لاخلاص الطرف الضعيف فى محبته وتفانيه فى جلب السرور والسعادة لنفسه وما يوفر الهناءة فى معيشته، ثم كرر التوصية بان تكون العشرة بالمعروف والاحسان ولو على كره منّا قال تعالى (فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً) وذلك لكي تدوم هذه الرابطة فتؤتى ثمرها المقصود منها وهو بقاء عمار الكون على الوجه الأكمل ، وحاط هذه الرابطة العظيمة . بحياطة الحراسة الكاملة ، فتعهد ماعساه يحصل بين الطرفين من نزاع لامفر منه بالاحكام التى تزيله من تأديب الرجل الذى هو اكمل عقلا وابعد نظرا وأوسع صدرا لامرأته التى هى في الغالب فريسة الانفعالات النفسية والتهيجات العصبية حتى تسكن حدتها وتخضع لما

فيه مصلحتها ، وجعل ذلك التأديب بحد معتدل لايتجاوزه ورتبه بحسب ماتدعو اليه الحالة، فبدأ بالوعظ ثم ثنى بالاعراض وهو مؤلم لها فاذا لم يجد ذلك أباح له أن يضرب ضربا لاتبريح فيه ولا غلو وقد قال الفقهاء يضربها بنحو اليد لابعصا وسوط حيث ظن الفائدة في ذلك والا فلا فاذا ماتمادى النزاع بينهما فقد شرع أن يدخل بينهما من أهلهما من ينظر في شأنهما ويحكم بالعدل والحق بينهما ، وان عشرة بنيت على مصلحة متبادلة لابد أن يثمر أحد هذه الامور ثمرة فيها ، فان تفاقم الشر واشتد الامر وتعذر الصبر واصبح اجتماعهما عقيما وتبدل نعيمهما جحيما فقد رفع الحرج عنهما في أن يتفرقا بمعروف كما تعاشرا بمعروف ، ولم ينس للضعيف حقه الذى يعوضه مافاته من عشرة كرس لها حياته وعلق عليها سعادته ففرض لها عليه النفقة الى أجل، بل لم ينسهما التشريع من التدارك الذى تتطلع اليه نفوسهما بعد أن يسكن غضبهما ويعاودا الفكرة في سابق أمرهما ، فاباح لهما العودة مرة وثانية فاذا جاءت الثالثة حظر عليهما أن يعودا حتى لاتتخذ تلك الرابطة المقدسة العوبة يمزقانها كلما هاجا ويرتقانها كلما أرادا فيختل نظامها ويزول احترامها اللهم اذا تبدلت عشيرا آخر بزواج صحيح مقصود به العشرة الصحيحة، فعرفت به شأن الرجال معرفة أوسع وانكسرت حدة زوجها الاول ونعرته الكاذبة ، ثم خلت من ذلك الذى تبدلته فقد اباح الشارع لهما أن يعودا بعقد جديد، فهل بعد هذا النظام المحكم والخطة المثلى طريق هو أقرب لسعادة الحياة واضمن لهناءة المعيشة واكفل بتوثيق هذه الرابطة وصيانتها وحراستها والعمل على ادامتها من هذا الطريق الذى سنته الشريعة الاسلامية لاقدس رابطة انسانية هى أصل ماوراءها من الروابط ؟

قارن بربك بين هذه النظم وبين ماتراه في اضدادها ثم احكم بوجدانك غير متأثر بفكر غيرك هل ترى الامر سواء ؟ ؟ بل هل يستوى الظلمات والنور ؟ ؟ قد ترى أقواما يبيحون للخطيبين أن يتجاوزا الحدود فيتعاشران ويتسامران ويخرجان للتنزه في الخلوات والجلوات بحجة أن كلا منهما يصح أن يتعرف طباع الآخر واخلاقه ، نقول لهم فليكن ثم ماذا ؟؟ هل يجب على كل أن يمضى في طريقه ولو عرف مالايجب

ولا يوافقه فما الفائدة اذن ؟ ام هل له أن ينكص على عقبيه أو يعرض عنها بعد أن كانت بين يديه على طريق التجربة والاختبار ، واذن فما ظنك بالضرر اللاحق بها وما هو ذلك الشر المستطير بينهما والعداء المستحكم بين اسرتيهما ، ثم مامقدار هذه التجربة التي يغذيها الهوى، ويستغلها الشباب ويسترها التصنع الطبعى فيهذه الحال: أيصح أن تكون مقياسا لعشرة تقاسى فيها هموم الحياة ويتجرع فيها غصص المعيشة وهل صحة تجربة الخِطبة المبنية على اللهو واللعب حجة على صحة تجربة الحياة المبنية على النصب والتعب ؟ اللهم لانحصى ثناء عليك تأمر بالرشد فيتركه الناس الى الغى، ثم لايقفون عند هذا بل يزيّنون باطلهم الضار بهم على الحق النافع لهم .

وقد ترى أقواما يعيبون على الشريعة السمحة اباحة الطلاق المخلص من الحرج بعد ماشرحناه من تلك الرابطة المقدسة وبعد ماورد في الحديث الشريف (ابغض الحلال الى الله الطلاق) يعيبون على الشريعة انقاذ الاسرة من حرج مستحكم وعشرة جهنمية ويحتمون على عشيرين دب الشقاء بينهما حتى فسدت قلوبهما أن يتعاشرا رغم أنوفهما على هذه الحالة التي قد يبتليان بها ولا يستطيعان التخلص منها وطبيعة الحياة قد تفضى الى ذلك حتما ، فهل في شيء من المصلحة العامة أو الخاصة أن يحكم عليها بنكد الدنيا الذى قال فيه ابو الطيب

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له مامن صداقته بد

حكما مؤبدا لانهاية له الا بنهاية الحياة دون أن يقترفا جرما أو يجنيا ذنبا عن سبق أصرار وانما هى ظروف أدت بهما الى هذا المركز الحرج ، اللهم ان الحق أبلج ولكن بعض الناس لايبصرون .

يعيب أناس على الشريعة الغراء سماحها بتعدد الزوجات الى حد محدود في أحوال مخصوصة ، ويزعمون أنهم بذلك رحماء بالمرأة ، وليت شعرى لماذا أدركتهم الرحمة بامرأة تزوجت وشملتهم القسوة على أرملة في شبابها أو عانس خانها الحظ ولم تجد من يوافقها ؟ !! فهل الرحمة بالمرأة أن تقذف الخير كله على فرد وتترك البقية؟؟

أم أن الرحمة بالمجموع أفضل من الرحمة بالفرد ؟ ! ويزعمون أن في التعدد افسادا للرابطة بين الاخوة لما يجرى من التحاسد والتحاقد ، ونقول لهم ماجاء التحاسد والتحاقد من أجل التعدد ، وانما يجيء مايجيء منه من اهمال ماطلبه الشارع الحكيم فيذلك من العدل بينهما وعدم تفضيل احداهما عنالاخرى في الحقوق والواجبات، فابحثوا عن علة الداء تعرفوا حقيقة الدواء .

ولو انك نظرت الى أن تكوين الرجل يدعو الى أنه هو الذى يخوض غمار الحروب ويشق عباب المهالك ويقارع خطوب الزمان ويغالب أهوال الحدثان، فتارة ينجو وتارة يعطب وهو بذلك عرضة للانتقاص في العدد ، والى انه هو القائم باعباء الزوجية المكلف بنفقاتها الحامل لكل المطالب بتنظيمها والقيام عليها بما يصلح أمرها وكل ذلك متاعب ومتاعب تحول بينه وبين الاكثار منها الالحاجة تدعوه الى ذلك، فيكلف حينئذ بان يكون بين الزوجين عادلا ، ثم في تعهد الابناء بصحيح التربية ، وفيخضوع المرأة لحكم ربها العادل المتضمن مصلحتها ومصلحة غيرها وعلمها أن الرجل لم يستعمل الا حقه الممنوح له من ربه مايمنع تلك المضار الموهومة ، وان في ذلك الرحمة كل الرحمـة بجنس المرأة ، فاذا نقص بعض من الاولى فقد شاركتها واحدة من بنات جنسها ممن ينشدون الرحمة لهن ، فزال عنها الحرمان الكلى .

اذا نظرت الى ذلك كله تبينت مافي هذه الاحـكام من إحكام ، وما فى هذا النظام من اتقان وكلها عامدة الى حراسة تلك الرابطة المقدسة وصيانتها مما يعترض طريقها من حوادث الحياة .

وان تعجب فعجب أمر أولئك الثرثارين الذين يعيبون تعـدد الزوجات تعددا مشروعا بينما هم يقرون ويستبيحون انتهاك حرمات الاعراض بلا حذر وذلك في الزواج غير الشرعى الذى أصبح مستفيضا بلا نكر بينهم .

وقد تعهدت الشريعة الغراء سائر أفراد الاسرة بما يضمن لها الحفظ والمصلحة ، فناطت بالآباء نفقـة الابناء حتى يقتـدروا على أن يعولوا أنفسهم ، واوجبت عليهم

تربيتهم بما يؤهلهم للرقى في دنياهم والسعادة في اخراهم ، واوجبت على الابناء القادرين البر بالانفاق على الآباء الفقراء العاجزين والبر بهم واحترامهم ، ونهتهم أن يهينوهم أو يسيئوا اليهم ، وكذلك حتمت على القادر من باقى الاسرة أن يقوم بشأن العاجز حتى يكمل بينهم التساند والتساعد وحتى تتأسس الاسر على روابط متينة ، والاسرة من الامة بمنزلة اللبنة من البناء ولا يقوى بناء تكون لبناته رخوة مفككة ، ثم أوجبت للعاجزين حقا على القادرين اما في مجموع مال الامة أو على الاقرب فالاقرب أو على جماعة المسلمين وهكذا تأسست قاعدة (الناجى يأخذ بيد أخيه) ، كل أولئك ليكمل بنيان الاواصر بين الناس ليكون بعضهم لبعض ظهيرا أو يكونوا كالجسد الواحد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى .

وأما الرابطة الثانية وهى الرابطة المدنية فقد تكفلت الشريعة الغراء بحفظها على أكمل الوجوه وأوفرها قسطا من العدالة والرحمة معا ، نظر الشارع الحكيم الى أنه لابد للانسان من أخيه الانسان وأن الانسان مدنى بطبعه لايستطيع أن يعيش وحده لانه لاينهض بأعباء حاجاته كلها لتنوعها وتشعبها من مأكل وملبس ومسكن وتعلم وعلاج وترفيه وترقية وهلم جرا ، بينما يستطيع الفرد منه أن يقوم باحد هذه الشؤن وحده اذا اتجه له ويستفيد أكثر مما يحتاج اليه ويكون ذلك أسهل له وأهون عليه من أن يوزع نفسه بين جميع حاجاته كان لابد له من أن يتبادل المنافع بينه وبين بنى جنسه فيقوم كل فريق بتحصيل حاجة من حاجات المجموع تكفى نفسه وتعود على غيره حينما يقوم فريق آخر بحاجة أخرى على هذا الوجه فيغذى كل فريق صاحبه من جهة ويتغذى منه من جهة أخرى ويجىء هنا قول الشاعر

الناس للناس من بدو ومن حضر　　　بعض لبعض وأن لم يشعروا خدم

وهذا التبادل في المنافع الذى قضت به طبيعة الانسان وكيفية تكوينه لايجوز أن يترك فوضى بلا نظام يضبطه ولا قانون يقيم العدل فيه والا وقع التواكل والتناهب فالفوضى فالفناء

ولقد جاءت الشريعة الاسلامية في هـذا الباب بالعجب العجاب مما يكفل سعادة الفرد والمجموع فشرعت أصل المعاملات التى لابد منها من بيوع واجارة وضمان ورهن وغير ذلك واشترطت لكل باب من ذلك ما يضمن سيره على وجه العدل والصواب والحق ، فصانت للضعيف حقه وفتحت للقوى أبواب المنفعة على وجـه لايرهق غيره ، فنفت الجهالة في المعـاملات حتى تكون على طـريق نير. ونفت الغرر حتى لاتعقب الشحناء والبغضاء وينقلب ماشرع للهنـاءة الى موجب للشقاء ، واشترطت التراضى الصريح حتى تبقى النفوس هادئة مطمئنة متساعدة متساندة ، ومع ذلك جاء في أشياء تمس الحاجة اليها فاغتفر يسير الغرر تجنبا لكثير الحرج ، فأباح السلم مثلا ولا يخلو عن نوع جهالة وغرر تيسيرا للمعاملات بأوسع مايمكن مع حفظ روح العدالة و كثيرا مايغتفر الشيء اليسير اذا كان لابد منه للخير الكثير ، و كذلك حظر على الناس ما يغلب شرُه خيرَه أو مايستفيد منه القوى فائدة عظمى بطريق ارهاق الضعيف واستنزاف دمه وجهوده وحياته وذلك مثل الربا فانك مهما نظرت الى دواع قد تقتضيه في ظروف خاصة فاعلم أن اباحته تفتح على الناس من أبواب الشر مابه يأكل قويهم ضعيفهم فلا يكاد المرء يقترض الا وهو عاجز عن وفاء حاجاته واذا عجز اليوم عن أصل مايحتاج اليه فمن له غدا بالقيام به وبأرباحه وبحاجات الغد أليس الشأن أنه لايدخل فيه الا وهو مخدوع بالأمانى والأحلام التى ان صدقت مرة فانها تكذبه مائة مرة ، فلا يزال في تدهور وتأخر حتى يغلب على أمره فيفنى مادة وصورة ولعل في الابقاء عليه رحمة بذلك الموسر الذى ترتبط مصلحته بمصلحته فلا يكاد المنفرد باليسار بين قوم معدمين يستمتع بنعمته أو يجد بابا لتنميتها ، وقد قرر علماء الاقتصاد أن من الخطل أن يعمل أرباب الأموال على تنمية أموالهم بوجه يقفل أبواب غيرهم ففى ذلك جناية على أنفسهم بفقد من يتبادل معهم الأعمال والأموال فوق الجناية على غيرهم ، ولا يكاد التاجر يضمن الثبات لمتجره الا بين موسرين يبادلونه ويقايضونه ، فمن صالح الموسر أن يكون بين موسرين لا أن يحبس في وسط المعسرين ، ففى الربا المستنزف

(وكله مستنزف) جناية على المعطي نفسه فوق مافيه من جناية على غيره .

وقد يقول قائل ان من المشروعات مالا يستطيع واحد أن يقوم به وحده اما لقصور ماله أو لتمتعه بالكفاية العملية مع فقد المال وقد يكون ذلك المشروع مفيدا ونافعا لصاحبه ولغيره فلو اشترطنا تمسكنا بالقرض بلا فائدة للمقرض فمن يضمن لنا أنه يجود بماله على من يستخدمه في عمل يعود عليه وحده بالفائدة ، واستنهاض العطف والرحمة لايقوى على القيام بالمشروعات الخطيرة التى تعود على النوع الانسانى بأكبر الفوائد فضلا عما تجره على ذوى الهمم العالية من الربح الوفير ، واذن لابد من اباحة القرض بفائدة حتى يفتح أمام الهمم العليا باب النفع العام لنوع الانسان وحتى لاتتوقف الشؤون الحيوية الكبرى على حساب المحسنين .

وجواب ذلك واضح جلي فقد ضمنت الشريعة الغراء لهذا الباب أن يفتح على الطريق الصحيح ومنهج الصواب فاباحت «القرض» «المضاربة» وهو أن يتعاون العمل والمال على القيام بالاعمال على وجه يفرض فيه المتعاقدان لكل من العمل والمال حصة من الربح والخسارة ، ولهما الحرية التامة في التقسيم ، فلو جعلا للمال ١ ./. واحدا في الماية وللعمل ٩٩ ./. تسعة وتسعين في الماية فلا حرج ولو عكسا فلا عليهما ولو سويا فلهما فيزيدان وينقصان حسبما يبدو لهما ، واذن يكون التعاون بين العمل ورأس المال تعاون الشريكين الكافلين لكل حصته من الغنم وعليه نصيبه من الغرم ان قليلا وان كثيرا لاتظلمون ولا تُظلمون ، فقل بربك أى الطريقين أهدى سبيلا ؟ أهذا النهج الواضح المعتدل الذى جعل الركنين القائم عليهما المشروع وهما العمل والمال متساويين متعادلين في النجاح والفشل أم ذلك الطريق الملتوى الذى ضمن لواحد شيئا معينا قد يكون حظه أكبر منه أو أصغر في نظر العدل وترك الثانى يعانى مايعانى ؟

تالله ماضرنا الا استقاء أحكامنا من تفكير غيرنا وولوعنا بالجديد وشغفنا بالتقليد فنسينا جواهرنا الكريمة وفتنا بخرز براق وزجاج لماع وذلك من قصر النظر وفقد احترام الذات والقومية ، قل ان الهدى هدى الله .

ربى ان الهـدى هداك وآيا   تك تهـدى بها من تشاء

وللكلام بقية يتجلى بها نور الاسلام فيما شرع من الأحكام والله المستعان .

ابراهيم الجبالى
مدرس بقسم التخصص بالازهر

الطرف والملح

وقال ابن مُقْلَةَ :

وإذا رأيتُ فتى بأعلى قِمَّةٍ   فى شامخ من عِزَّةِ المترفِّعِ
قالت لىَ النفسُ العَروفُ بفضلها   ما كان أَوْلانى بهذا الموضع !

قال بعض الحكماء : من تمام ما يجب للأبناء على الآباء . تعليمُهم الكتابةَ والحسابَ والسِّباحةَ .

وقال الحجاج بن يوسفَ لمعلّم ولدِه : عَلِّمْ وَلَدِى السِّباحةَ قبل تعليم الكتابة . فانهم [1] يجدون من يَكتُبُ عنهم . ولا يجدون من يَسْبَحُ عنهم .

قال سُفيانُ الثَّورىُّ : لَانْ أَرْمِىَ عدوّى بسهمى خيرٌ له من أن أَرميَه بلسانى لأن رمْىَ اللسانِ لا يُخطئُ . ورمْىَ السهمِ يصيب ويخطىء .

وقال الشاعر :

ورُبَّ كلامٍ قد جرى من مُمازِحٍ   فساق اليه سهمَ حَتْفٍ مُعجَّلِ

وقال ابن مسعود : لسانك سيف قاطع يبدأ بك . وكلامك سهم نافذٌ يَرجِع عليك . فاقتصِرْ فى المقال . وإياك وما يُوغِرُ صدورَ الرجال .

خطب أمير بالبصرة فقال اتقوا الله فانه من يَتَّقِ اللهَ فلا هَوَارَةَ عليه . فلم يدروا ما قال الأمير . فسألوا أبا سعيد يحيى بنَ يَعْمَرَ العَدْوانىَّ فقال : الهَوَارةُ الضَّياعُ . كأنه قال : من اتق اللهَ فلا ضَياعَ عليه وحُدِّثَ الاصمَعىُّ بهذا الحديث فقال : ان الغريب لواسع لم أسمع بهذا قط .

---

(١) أى الأولاد

الفتاوى والأحكام

حكم شرب الدخان فى مجالس القرآن

جاءنا من حضرة صاحب التوقيع السؤال الآتى :

.... نرجو أن تفتونا في حكم شرب الدخان في مجالس القرآن على صفحات «نور الاسلام» ولكم منا الشكر ومن الله جزيل الثواب .

محمد عبد الرحمن

مدرس بدمنهور

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله واصحابه أما بعد فقد سألت عن حكم الدخان في مجالس القرآن ، ولنذكر قبل ذلك حكم الدخان في نفسه ثم نتبعه بما سألت عنه فنقول : ان الدخان من الاشياء المستحدثة التى لم تكن معروفة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا في عهد السلف الصالح والمتقدمين من الأئمة المجتهدين واتباعهم ، وانما ظهر في آخر القرن العاشر الهجرى كما نص عليه اللقانى في رسالة وضعها فيه ، لهذا لم يكن لتناوله حكم منصوص في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو الشأن في كثير من الوقائع المعروفة في عهد الوحى والتنزيل ، ولم يستنبط الائمة المجتهدون ولا المتقدمون من أصحابهم حكمه من الكتاب والسنة كما هو شأنهم في تعرف أحكام الجزئيات التى عرضت مما لم ينص عليه لعدم وجوده اذ ذاك .

وقدوقع للمتأخرين خلاف فيحكم تناوله، فمنهم من قال بحله، ومنهم من قال بحرمته والحق في ذلك أنه لاينبغى اطلاق القول بالحل والحرمة فان الحكم باحد الامرين

على الاطلاق لايخلو عن افراط أو تفريط ، فاذن يجب النظر لحال شاربه وما يترتب على شربه ، فمن كان يضره شرب الدخان ويؤثر في صحته حرم عليه شربه للاجماع على تحريم كل مايؤذى البدن ، فان حفظ البدن من الكليات التى أجمعت الشرائع كلها على وجوبه ، ومن لايضره شربه ولكن يحتاج لثمنه في ضرورياته المعيشية سواء أكان ذلك لنفسه أم لمن تجب عليه نفقته كزوجته وذوى قرابته حرم عليه شربه أيضا ، وان لم يكن هناك ضرر بدنى أو مالى فلا وجه للحرمة ويمكن الرجوع في تعرف الضرر البدنى الى الاطباء ، واما الضرر المالى فأمر يعرفه الانسان من نفسه .

ومن الناس من يزعم أن شرب الدخان حرام على الاطلاق مستندا في ذلك الى كونه بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، وهو في ذلك مخطىء ، فان البدعة المنهى عنها شرعا هى الامر المحدث الذى لم يشهد بجوازه أصل من كتاب أو سنة أو اجماع أو قياس الى آخر ماقرره العلماء ، وكيف يسوغ القول بان كل محدث محرم وكثير من الملابس والازياء وغيرها لم يكن معروفا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا في عهد الصحابة والتابعين ، ولا يصح الحكم عليه بالتحريم لمجرد كونه محدثا .

هذا حكم الدخان في ذاته .

أما شربه في مجالس القرآن فهو حرام ، فان المطلوب شرعا من حاضرى مجلس القرآن الاصغاء اليه والتدبر لمعانيه قال تعالى (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) وقال(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا)ومعلوم أن زيادة الايمان بسماع مايتلى من القرآن انما يكون بالاصغاء اليه والتدبر لمعانيه ولا يتم هذا مع التلهى بشرب الدخان على انك تعرف ما فى شربه من الاخلال بالتوقير والاجلال وهو لايشرب فى حضرة الأمراء والعظماء اجلالا لهم فكتاب الله أحق بالاجلال والتوقير، مع ما فى شربه من الايذاء لغير من يشربه من الحاضرين فإن له رائحة كريهة يتضرر بها من لم يتعود شربه نظير ماقالوه فى حرمة حضور المجامع والمجالس لمن

أكل ثوما أو بصلا ولم يجد ما يزيل به رائحته حتى اباحوا له التخلف عن الجمعة نظرا لما يترتب على ذلك من تأذى الناس وضررهم فضلا عن تأذى الملائكة الذين يحضرون مجالس الخير التى من أفضلها مجالس القرآن .

والخلاصة أن شرب الدخان في مجلس القرآن محرم للايذاء ومناف للأدب المطلوب من الحاضرين والتدبر لسماع الذكر الحكيم .

واما شربه في غير ذلك فقد يكون محرما وقد لايكون الا أنه لايصل الى الاباحة الصرفة على مايقول بعضهم ، فتركه حينئذ من الورع وقد قال صلى الله عليه وسلم « دع مايريبك الى مالا يريبك . »

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

البابية أو البهائية

وجاءنا من حضرة صاحب التوقيع السؤال الآتى :

ما البهائية ؟ وما اعتقاد مؤسسيها وأتباعهم ؟ وهل يعتقدون فى الحشر والجنة والنار ؟ وهل يعتقد البهائيون بنبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ؟ واذا كانوا يعترفون بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فكيف يعتقدون بنبى بعده ودين غير دينه ؟ وما الواجب عمله لاحباط مساعيهم حتى لا يقع أحد فى شراكهم ؟

بور سعيد — مصطفى محمد عبد الفتاح

الجـــــواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله « أما بعد » فقد احتوى هذا الخطاب مسائل متعددة ، ونحن نورد كل سؤال ونقفى على أثره بالجواب عنه مستندين فيما نكتب الى مؤلفات[1] للبهائيين أنفسهم ، وكتب[2] ألفها بعض من اطلع على كتبهم المؤلفة باللغة

(١) ككتاب الدرر البهية وكتاب عبد البهاء والعصر الجديد .
(٢) ككتاب مفتاح باب الابواب

الفارسية والعربية بقصد بيان أمرهم نصيحة للأسلام والمسلمين .

س ما البهائية ؟

ج البهائية نسبة الى بهاء الله لقب يدعى به ميرزا حسين على وهـو الزعيم الثانى للمذهب الذى تتولاه الطائفة المسماة بالبهائية ، وتسمى هـذه الطائفة البابية نسبة الى « الباب » وهو لقب ميرزا على محمد ذلك الذى ابتدع هذه النحلة واليك ملخص القول فى نشأتها .

أصل نشأة هذه النحلة أن ميرزا على محمد الملقب بالباب نشأفى شيراز بجنوب ايران وأخذ شيئا من مبادىء العلوم ثم اشتغل بالتجارة ، ولما بلغ من العمر الخامسة والعشرين ادعى أنه المهدى المنتظر ، وكان أعلانه بهذه الدعوة سنة ١٢٦٠ هـ ، نعق بهذه الدعوة فأخـذها بالتسليم طائفة من الجاهلين ، وأرسل بعض هؤلاء الى نواح مختلفة من ايران للاعلام بظهوره وبث شىء من مزاعمه ، وتنبه العلماء لهـذه الدعاية فقاموا فى وجهها ، وعقد بعض الولاة بينهم و بين ميرزا على هذا مجالس للمناظرة فرأى بعضهم مافى أقواله من غواية وخروج عن الدين فأفتى بكفره ، ورأى آخرون مافيها من لغو وسخافة فنسبه الى الجنون واختلال الفكر .

واعتقل فى شيراز ثم باصفهان ، وساقته الحكومة الايرانية فى عهد الملك ناصر الدين شاه الى تبريز وثارت بين أشياعه وبين المسلمين فتن وحروب سفكت فيها الدماء ، وكانت عاقبته أن أعدمته الحكومة فى تبريز صلبا عام ١٢٦٥ هـ

وقعت بعـد قتله فترة كان أتباعه فيها على اختلاف فى شأن من ينوب عنه الى أن دبروا اغتيال الملك ناصر الدين انتقاما لزعيمهم ، فهجم عليه اثنان منهم فخاب سعيهم وأخذت الحكومة تتقصى أثر البابيين وتسوق زعمـاءهم الى مجلس التحقيق ، وكان الميرزا حسين على الذى لقبوه بعد بـ (بهاء الله) من شيعة الباب ودعاة نحلته ، فقبض عليه وسجن بطهران بضعة أشهر ثم أبعد الى بغداد سنة ١٢٦٩ هـ .

لما أدركت الحكومة الايرانية خطر هذه الفئة وما يبيتونه من فتن جعلت ترقبهم بحذر واحتراس ، فالتحق طوائف منهم ببغداد ، واجتمعوا حول ميرزا حسين الملقب

بهاء الله ، ثم حدث بينهم و بين الشيعة ببغداد شقاق كاد يفضى الى قتال ، فقررت الحكومة العثمانية وقتئذ ابعاد البابيين من العراق فنقلتهم الى الاستانة و نفتهم الى أدرنة .

قام المسمى (بهاء الله) لهذا العهد يدعو الى نفسه ويزعم أنه هو الموعود به الذى أخبر عنه الباب [1] ، وقبل دعوته أكثر البابيين و تسموا حينئذ بالبهائيين ، وممن رفض دعوته أخوه ميرزا يحيى الملقب (صبح ازل)

ثم ان الحكومة العثمانية أمرت بابعاد الفريقين من أدرنة فنفت الميرزا يحيي واتباعه [2] الى قبرص ، و نفت البهاء وأتباعه الى « عكة » بفلسطين ، و بقى البهاء بعكة الى أن هلك عام ١٣٠٩ هـ فتولى رآسة الطائفة ابنه عباس الذى لقبوه بـ (عبد البهاء) فأخذ يدعوا الى هذا المذهب ويتصرف فيه كما يشاء ، ولم يرض عن صنيعه هذا أصحاب البهاء فانشقوا عنه والتفوا حول أخيه الميرزا على وألفوا كتبا بالفارسية والعربية وطبعوها فى الهند يطعنون بها فى سيرة عباس و يصفونه بالمروق من دين البهاء .

س — مااعتقاد مؤسسيها واتباعهم ؟

ج — ليست البهائية بالنحلة المحدثة التى لم يتقدم لها فى النحل المارقة من الاسلام مايشابهها أو تتخذه أصلا تبنى عليه مزاعمها ، وانما هى وليدة من ولائد الباطنية ، تغذت من ديانات وآراء فلسفية ونزعات سياسية ، ثم اخترعت لنفسها صورا من الباطل وخرجت تزعم انها وحى سماوى ، ولولا أن فى الناس طوائف يتعلقون بذيل كل ناعق لما وجدت داعيا ولا مجيبا لندائها ، وها نحن أولاء نسوق اليك كلمة فى مذهب الباطنية ونحدثك عن البابية أو البهائية حتى تعلم أنها سلالة من ذلك المذهب الاثيم .

تقوم دعوة الباطنية على ابطال الشريعة الاسلامية ، وأصل نشأة هذه الدعوة « ان طائفة [3] من المجوس راموا عند شوكة الاسلام تأويل الشرائع على وجوه تعود الى

---

(١) يزعم البهائية أن الباب كان يشير الى شخص يظهر بعده وكانوا يعبرون عنه بلفظ (من يظهره الله)

(٢) يدعى هؤلاء البابية (الازلية) اذ يزعمون أن يحيي هذا هو مصداق ما أشار اليه الباب فى كتاب « البيان » باسم « من يظهره الله » وهؤلاء يكفرون بالبهاء ويتناولونه واتباعه باللعن فى السر والعلانية ، وليحيي هذا كتاب أراد أن يحاكى به القرآن الكريم فى ترتيب الآيات والسور ، وحاول أن يحاذى به أسلوبه الحكيم فافتضح أمره وظهر سخفه (والله لايهدى كيد الخائنين)

(٣) كتاب المواقف وشرحه للسيد الجرجاني

قواعد أسلافهم ، وذلك انهم اجتمعوا فتذاكروا ما كان عليه أسلافهم من الملك ، وقالوا : لاسبيل لنا الى دفع المسلمين بالسيف لغلبتهم واستيلائهم على الممالك ، لكننا نحتال بتأويل شرائعهم الى ما يعود الى قواعدنا ونستدرج به الضعفاء منهم فان ذلك يوجب اختلافهم واضطراب كلمتهم »

وقد رسموا لهذا المذهب خطة دبروها بنوع من المكر ، وهو انهم جعلوا الدعوة مراتب.

(١) تفرس حال المدعو أقابل هو للدعوة ام لا؟؟ (٢) استهواء كل احد بما يميل اليه من زهد او خلاعة (٣) التشكيك فى اصول الدين (٤) اخذ الميثاق على الشخص بان لا يفشى لهم سرا (٥) دعوى موافقة اكابر رجال الدين والدنيا لهم ليزداد الاقبال على مذهبهم (٦) تمهيد مقدمات يراعون فيها حال المدعو لتقع لديه موقع القبول (٧) الطمأنينة الى اسقاط الاعمال البدنية (٨) سلخ المدعو من العقائد الاسلامية ثم يأخذون بعد هذا فى تأويل الشريعة على ماتشاء اهواؤهم .

اتخذ هذه الخطة وسيلة الى محاربة الدين الاسلامى طوائف كانوا يتظاهرون بانهم من شيعة آل البيت ، وهم لا يؤمنون بنبي من الانبياء ولا بشيء من الكتب المنزلة ، ولا بيوم الجزاء ، ولا ان للعالم خالقا ، وتراهم يستدلون بالقرآن والحديث ، ولكن يحرفونهما عما اراد الله ورسوله منهما .

ومن الباطنية المتظاهرين بالتشيع لآل البيت من ادعى النبوة لبعض آل البيت كفرقة الاسماعيلية قالوا بنبوة محمد بن اسماعيل بن جعفر ، بل زعمت هذه الفرقة انه لايخلو زمان من نبوة نبي الى يوم القيامة ولم يقفوا عند دعوى النبوة بل تجاوزوها الى القول بالاهية جماعة من آل البيت وغيرهم فقالوا بالاهية على عليه السلام والهية كثير من اولاده واحفاده .

وكم احدث هؤلاء الذين يدعون المهدية او النبوة او الالهية من فتن وكم جروا على العالم الاسلامى من بلاء ، وكان اهل العلم يقاومون باطلهم ، ويهتكون استارهم ، وممن تصدى للرد عليهم ابو حامد الغزالى فألف كتابه المسمى « حجة الحق [1] » وكتابه المسمى

(١) ألفه باللسان الفارسى

« فضائح الباطنية [1] » وذكر فى مقدمة هذا الكتاب انه طالع الكتب المصنفة فيهم فوجدها مشحونة بفنين : فن فى تواريخ اخبارهم واحوالهم من بدأ امرهم الى ظهور ضلالهم وتسمية كل واحد من دعاتهم فى كل قطر من الاقطار وبيان وقائعهم فيما انقرض من الاعصار ، وفن فى ابطال تفاصيل مذاهبهم وعقائد تلقوها من الثنوية والفلاسفة وحرفوها عن أوضاعها وغيروا الفاظها قصدا للتغطية والتلبيس ، ثم بين أنه قصد فى كتابه الى الاعراب عن خصائص مذهبهم ، والتنبيه على مدارج حيلهم ، والكشف عن بطلان شبههم.

ولابى بكر بن العربى مع بعض زعمائهم مناظرات ذكرها فى كتاب « القواصم والعواصم » وتناول الشيخ ابن تيمية مذهب الباطنية ورد على بعض فرقهم فى بعض مؤلفاته. عرفنا تاريخ الباطنية وقرأنا بعض كتب البابية والبهائية فوجدنا روح الباطنية حلت فى جسم ميرزا على وميرزا حسين على ، فخرجت باسم البابية والبهائية .

الباطنية يستدلون بكلام النبوة ويحرفون كلم القرآن والحديث عن مواضعه كما فسروا حج البيت العتيق بزيارة شيوخهم ، والبابية أو البهائية يستدلون بالقرآن والحديث ويذهبون فى تأويلهما الى مثل هذا الهذيان نفسه ، ولميرزا على المسمى بـ (الباب) تفسير لسورة يوسف مشى فيه على هذا النمط فقال فى قوله تعالى (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) المراد من يوسف حسين بن على والمراد بالشمس فاطمة ، وبالقمر محمد ، وبالنجوم ائمة الحق فهم الذين يبكون على يوسف سجدا.

وهذا أحد دعاتهم المسمى ابا الفضل الجرفادقانى قد اورد فى كتابه المسمى « الدرر البهيه » قوله تعالى (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ) وقوله تعالى (هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ) وقال « ليس المراد من تأويل أيات القرآن معانيها الظاهرية ومفاهيمها اللغوية ، بل المراد المعانى الخفية التى اطلق عليها الالفاظ على سبيل الاستعارة والتشبيه

---

(١) ألفه باللغة العربية وطبع فى لندن وفى ادارة هذه المجلة نسخة منه

والـكناية » ثم قال بعد هذا « فرر الله تنزيل تلك الآيات على ألسنة الانبياء ، وبيان معانيها وكشف الستر عن مقاصدها الى روح الله حينما ينزل من السماء » وقال « انما بعثوا عليهم السلام لسوق الخلق الى النقطة المقصودة ، واكتفوا منهم بالايمان الاجمالى حتى يبلغ الكتاب اجله وينتهى سير الافئدة الى رتبة البلوغ فيظهر روح الله الموعود ويكشف لهم الحقائق المكنونة فى اليوم المشهود » وقال « وفى نفس الكتب السماوية تصريحات بان تأويل أياتها الى معانيها الاصلية المقصودة لاتظهر الا فى اليوم الآخر ، يعنى يوم القيامة ومجيىء مظهر أمر الله ، واشراق أفاق الارض ببهاء وجه الله » ثم قال « ولذلك جاءت تفاسير العلماء من لدن نزول التوراة الى نزول البيان [1] تافهة باردة عقيمة جامدة ، بل مضلة مبعدة محرفة مفسدة »

كنا نود أن نصرف القلم عن نقل مثل هذا السخف ونصون صحف المجلة عن أن تحمل لقرائها شيئا من الزيغ والالحاد فى آيات الله والاعتداء على علماء الاسلام الذين رفعوا منار الحق واذاقوا بحججهم اعداء الانسانية عذابا أليما، ولكن دعاة هذا المذهب قد استهووا فريقا من أبناء المسلمين ، واصبحوا يدعون الى مذهبهم فى النوادى ، ويتحدثون عنه فى الصحف ، والفوا كتبا تقع فى أيدى بعض الشباب فذلك ما اضطرنا الى أن نبسط القول فى بيان نحلتهم وسرد اقوالهم حتى يكون المسلمون على بينة من أمرهم .

لهج البابية البهائية مقتفين أثر اخوانهم الباطنية بهذا النوع من التأويل ليدخلوا منه الى العبث فى تفسير القرآن والحديث وصرفهما عن ما يراد بهما من حكمة وهداية

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)

انزل الله تعالى القرآن بلسان عربى مبين ، ودلنا على ان الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم يقوم ببيان ماخفى على الناس عامه فقال تعالى (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) وما زال السلف من الصحابة والراسخين فى العلم من بعدهم يفسرون القرآن بما يروونه عن الرسول عليه الصلاة والسلام وبما يفهمونه منه على مقتضى

---

(١) هو الـكتاب الذى وضعه ميرزا على محمد الملقب بالباب

استعمال لغتهم وأساليب بلاغتهم لجاؤا بعلم كثير وأدب غزير ، وتركوها حكما رائعة وشريعة سمحة باهرة وقوانين اجتماع طاهرة ، حتى قام جماعة من أوشاب الناس يزعمون ان هذا القرآن الذى انزله الله بلسان العرب لم يوكل بيانه الى من كان يقرؤه على الناس بكرة وعشيا ولم يفهم المراد منه اولئك الذين يتهجدون به فى الاسحار سجدا لله وبكيا ، وانما وكل بيانه الى أمثال ميرزا على محمد وميرزا حسين وعباس وابى الفضل الجرفادقانى ليخوضوا فيه بلغو من القول ويعثوا فى تأويله مفسدين .

قال ابو بكر بن العربى فى كتاب (القوصم والعواصم) يرد على اخوانهم الباطنية قولهم : ان خليفة الله هو الذى يبلغ عنه ، « الخليفة هو النبي الذى بين ثم استأثر الله به ولا معصوم بعده) .

وفى كتاب « فضائح الباطنية » بسطة فى رد ما يدعونه من ظهور الامام المعصوم وحصر مدارك الحق فى أقواله ، وقد عرفت ان الامام المعصوم الذى يدعيه الباطنية هو مايسميه البابية والبهائية بـ (من يظهره الله) ويزعمون انه هو الذى يعرف تأويل ماجاء به الرسل عليهم السلام ، ويصرح هذا الايرانى فى كتابه هذا بأن قصص القرآن غير واقعة وقال (لا يمكن للمؤرخ ان يستمد فى معارفه التاريخية من آيات القرآن) وقال (ان الانبياء عليهم السلام تساهلوا مع الامم فى معارفهم التاريخية واقاصيصهم القومية ومبادئهم العامية فتكلموا بما عندهم ، وستروا الحقائق تحت استار الاشارات ، وسدلوا عليها ستائر بليغ الاستعارات) .

دعوى ان فى القرآن قصصا غير واقعة بزعم انها رمز الى معان خفية ، ليس لها من داع سوى مايضمره اصحابها من الكيد للقرآن الكريم وادخال الريب فى أنه تنزيل من لدن حكيم عليم .

لم يقم حتى الآن دليل تاريخى او نظرى يطعن فى صحة قصة ساقها القرآن الحكيم ، ونحن نستند فى صحتها الى الآيات الدالة على ان المبعوث به لا ينطق عن الهوى ، فالمؤرخ المسلم ومعلم التاريخ لابناء المسلمين يستمد فى معارفه التاريخية من آيات الذكر الحكيم ،

وهى عندنا اصدق قيلا وأقوى سندا مما يقصه المؤرخ من حوادث تقع فى عصره او قريب منه ، وهذه الثقـة بالطبيعة لا تحصل لمن ينكر او يرتاب فى أن القرآن حجة الله على العالمين ، فلا نطالب المجوسى او البهائى بأن يدخلوا فى مؤلفاتهم التاريخية ما جاء فى القرآن من أنبـاء الاولين وهم لم يطمئنوا الى ان محمدا صلى الله عليـه وسلم رسول صادق امين .

يزعم هذا الايرانى ان الرسول ينطق ببعض المبادىء العامية مجاراة لقومه وهى فى الواقع غير صحيحة ، وهذه جهالة غي وجراءة غوى ، والرسول عليـه الصلاة والسلام وان لم يبعث لتقرير المسائل العامية التى تدركها عقول البشر بسهولة او بعد جهد كالطبيعيات والرياضيات لا يتحدث عن شىء منها حديث من يصدق بها الا ان تكون صوابا ، ودعوى ان لها رموزا انما اخترعها الايرانى وامثاله ليستروا بها وجه جحودهم ، والبرقع الشفاف لا يحجب ماوراءه .

ولم يكن تأويل البهـائية وأسلافهم الباطنيـة لنصوص الشريعة على هـذا الوجه الناقض لاصولهـا بشىء ابتدعوه من أنفسهم ابتـداعا ، وانما هو صنع عمـلوا فيه على شاكلة طائفة من فلاسفة اليهود من قبل ، فانا نقرأ فى ترجمـة « فيلون » الفيلسوف اليهودى المولود ما بين عشرين وثلاثين قبل ميـلاد المسيح انه الف كتابا فى تأويل التوراة ذاهبا الى ان كثيرا مما فيهـا رموز الى أشياء غير ظاهرة ، ويقول الـكاتبون فى تاريخ الفلسفة ان هذا التأويل الرمزى كان موجودا معروفا عند أدباء اليهود بالاسكندرية قبل زمن (فيلون) ويذكرون امثلة تأويلهم انهم فسروا آدم بالعقل ، والجنـة برياسة النفس ، وابراهيم بالفضيلة الناتجـة من العلم ، واسحاق عنـدهم هو الفضيلة الغريزية ، ويعقوب الفضيلة الحاصلة من التمرين ، الى أمثال هذا من التأويل الذى لا يحوم عليه الا الجاحدون المراءون ، ولا يقبله منهم الا قوم هم عن مواقع الحكمة ودلائل الحق غافلون ،

وابو الفضل هذا من ابعد دعاة البهائية فى الهذيان شأوا ، واشدهم لعلمـاء الاسلام ضغينة واذا اخـذ فى شتمهم لا يشفى غليله الا أن يصب كل الجمل التى يعرفهـا فى المعنى الذى اراد شتمهم به ، انظروا الى قـوله فى صفحة ١٤٧ من ذلك الـكتاب المسمى بالدرر

البهية (فتمادوا فى غيهم ، وأصروا على باطلهم ، وتاهوا فى ضلالتهم ومردوا فى جهالاتهم وعموا فى سكرتهم وانهمكوا فى غوايتهم) فالرجل حفظ جملا التقطها من بعض الصحف السائرة او من الكتب الغابرة وصار يلقيها فيما يكتب من غيروزن ، حاسبا ان هذا الصنيع من ترويق القول ينقل الناس من الجد الى الهزل ومن الحق الى الضلال

فى الباطنيـة من يدعى انه نبي او يعتقد فى آخر انه نبي يوحى اليـه ، وميرزا على الملقب (بالباب) يدعى انه رسول من الله ووضع كتابا ادعى انما فيه شريعة منزلة وسماه (البيان) وقال فى رسالة بعث بها الى الشيخ محمود الالوسى صاحب التفسير المشهور المسمى (روح المعانى) يدعوه فيها الى مذهبه (انى انا عبد الله قد بعثنى الله بالهدى من عنده) وسمى فى هذه الرسالة مذهبه دين الله فقال (ومن لم يدخل فى دين الله مثله كمثل الذين لم يدخلوا فى الاسلام)

وكذلك يدعى زعيمهم المسمى (بهاء الله) فى كتاب بهاء الله والعصر الجديد (وقرر بهاء الله ان رسالته هى لتأسيس السلام على الارض). وقال صاحب هذا الكتاب يتحدث عن الباب والبهاء (من المستحيل ايجاد اى تغيير لعظمهما الا بالاعتراف بانهما انما عملا بوحى من الله)

يدعى الباب الرسالة ويزعم أن شريعتـه ناسخة للشريعـة الاسلامية فابتدع لاتباعه احكاما خالف بها احكام الاسلام وقواعده ، فجعل الصوم تسعة عشر يوما من شروق الشمس الى غروبها ، وعين لهذه الايام وقت الاعتدال الربيعى بحيث يكون عيد الفطر عندهم هو يوم النيروز على الدوام ، وفي كتابه البيـان (أيام معدودات وقد جعلنا النيروز عيدا لكم بعد اكمالها) وجعل ميرزا حسين الملقب ببهاء الله الصلاة تسع ركعات في اليوم والليلة ، وكان عبد الله ابن الخراب الكندى الذى اعتقد الاهيته كثير من أشباه الناس قد جعلها تسع عشرة صلاة في اليوم والليلة

وقبلة البهائيين في صلاتهم التوجه اين يكون ميرزا حسين المسمى بهاء الله فانه يقول لهم «اذا أردتم الصلاة فولوا وجوهكم شطرى الاقدس» وقال ابنه عباس

«يلزمنا التوجه الى مركز معلوم وهو مظهر الله» ومظهر الله في زعمهم هو هذا المسمى بهاء الله .

أما الحج فقد أبطله البهاء وأوصى بهدم بيت الله الحرام عند ظهور رجل مقتدر من أشياعه .

ومن الباطنية من منع العوام من مدارسة العلوم والخواص من النظر في الكتب المتقدمة حتى يبقوا في عماية وهو الحسن ابن محمد الصباح ونجد ميرزا على المسمى الباب قد حرم في كتابه «البيان» التعلم وقراءة كتب غير كتبه ، فكان كل من يؤمن بالباب يحرق القرآن الكريم وما وقع في يده من كتب العلم ، ولكن الميرزا حسين المسمى بهاءالله ادرك مافي هذا التحجير من خطأ مكشوف وانه مما يصرف عنهم ذوى العقول النابهة فأتى في كتابه الذى سماه «الاقدس» بما ينسخه فقال «قد عفا الله عنكم مانزل في البيان من محو الكتب واذنا كم بان تقرؤا من العلوم ماينفعكم»

وفي الباطنية من يدعى حلول الاله في بعض الاشخاص كما قال القرامطة بالاهية محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وهذه الدعوى أعنى دعوى الحلول تظهر في بعض مقالات البهائية

قال عباس الملقب بـ (عبد البهاء) « وقد اخبرنا بهاء الله بان مجيء رب الجنود والاب الازلى ومخلص العالم الذى لابد منه في آخر الزمان كما انذر جميع الانبياء عبارة عن تجليه في الهيكل البشرى كما تجلى في هيكل عيسى الناصرى الا أن تجليه في هذه المرة أتم وأكمل وأبهى ، فعيسى وغيره من الانبياء هيأوا الافئدة والقلوب لاستمداد هذا التجلى الاعظم» .

يريد بهذا ان الله تجلى فيه باعظم من تجليه في أجسام الانبياء على مايزعم ، وقال مهذارهم أبوالفضل الايرانى «فكل ماتوصف به ذات الله ويضاف ويستند الى الله من العزةوالعظمة والقدرةوالعلم والحكمةوالارادة والمشيئة وغيرهامن الاوصاف والنعوت انما يرجع بالحقيقة الى مظاهر أمره ومطالع نوره ومهابط وحيه ومواقع ظهوره»

ويظهر هذا من اللوح الذى كتبه المسمى (بهاء الله) في التنويه بشأن ابنه

عباس فانه قال « ان لسان القدم [1] يبشر أهل العالم بظهور الاسم الأعظم [2] الذى أخذ عهده بين الامم أنه نفسى ومطلع ذاتى ومشرق أمرى من توجه اليه فقد توجه الى وجهى واستضاء من أنوار جمالى واعترف بوحدانيتى واقر بفردانيتى . . . الخ »

وقلد البهائية الفلاسفة فيما يدعونه من قدم العالم ، ففى كتاب بهاء الله والعصر الجديد «علم بهاء الله أن الكون بلا مبدأ زمنى فهو صادر أبدى من العلة الاولى ، وكان الخلق دائما مع خالقه وهو دائما معهم» وقد تصدى أهل العلم الراسخ لتزييف ماتعلق به هؤلاء في الاستدلال على هذا الرأى ، وحققوا ان المعلول لابد أن يتأخر عن العلة في الوجود ، اذ معنى العلة ما افاض على الشيء الوجود ، والمعلول ماقبل منه هذا الوجود، ولا معنى لافاضة الوجود على الممكن الااخراجه الى الوجود بعدكان في عدم ، وذلك معنى الحدوث .

ومن عجيب أمر هذه الطائفة انهم يدعون النبوة والرسالة وما فوق الرسالة وينكرون المعجزات بدعوى انها غير معقولة ، تجدون هذا الانكار في كتاب داعيتهم المسمى ابا الفضل فقد ذكر انفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر لموسى عليه السلام، وابراء عيسى عليه السلام للاكمه والابرص واحيائه الموتى باذن الله ، ونبع الماء من بين أصابع محمد صلى الله عليه وسلم وقال : وكثير من أهل الفضل وفرسان مضمار العلم اعتقدوا بان جميع ماورد في الكتب والاخبار من هذا القبيل كلها استعارات عن الامور المعقولة والحقائق الممكنة مما يجوزه العقل المستقيم ، ثم أخذ يؤول ماورد في تلك المعجزات من قرآن وحديث ويحمله على معان لايقبلها منه الا من فقد عقله قبل أن يفقد ايمانه ، وانكارهم للمعجزات ينبئكم أن القوم يمشون مكبين على وجوههم وراء الفلسفة التى لاتؤمن بان لهذا العالم خالقا فعالا لما يريد .

وملخص القول في البابية والبهائية أنه مذهب مصنوع من ديانات ونحل وأراء فلسفية ، قال صاحب كتاب مفتاح باب الابواب يصف البابيين «لهم دين خاص

---

(١) يفسره البهائية ببهاء الله (٢) يفسرونه بعباس عبد البهاء

مزيج من أخلاط الديانات البوذية[1] ، والبرهمية الوثنية[2] ، والزرادشتية[3] ، واليهودية والمسيحية والاسلامية ، ومن اعتقادات الصوفية والباطنية»

وما زالت البهائية مذهبا قائما على اطلال الباطنية يحمل في سريرته القصد الى هدم الاسلام بمعول التأويل ودعوى الرسالة والوحى بشريعة ناسخة لاحكامه ، حتى جاءعباس عبد البهاء الىهذا المذهب المصنوع واراد أن يكسوه ثوباجديدا فخلطه باراء التقطها مما يتحدث به بعض الناس على انها من مقتضيات المدنية أو مما كشفه العلم حديثا ، نحوالتساوى بين الرجال والنساء في التعليم ونزع السلاح ، واتفاق الامم على لغة واحدة تدرس في العالم كله ، وتأسيس محكمة عمومية تحل مشاكل الامم وان الانسان تدرج بالارتقاء من أبسط الانواع حتى وصل الى شكله الحالى (نظرية دروين) ولهجوا بعد هذا بكلمة نشر السلام العام ، ونبذ التعصبات الدينية .

وقد تخيل عباس أنه بادخال مثل هذه الآراء في مذهب البهائية يستدرج المولعين بالجديد من النابتة الحديثة ، ولهذا الطمع ترونه يقول «تحتوى تعاليم بهاء الله على جميع أمال ورغائب فرق العالم سواء كانت دينية أو سياسية أو أخلاقية وسواء كانت من الفرق القديمة أو الحديثة فالجميع يجدون فيها دينا عموميا في غاية الموافقة للعصر الحاضر[4] واعظم سياسة للعالم الانسانى» وصرح فيمقال آخر بانه يريد أن يوحد بين المسلمين والنصارى واليهود ويجمعهم على أصول نواميس موسى عليه السلام الذين يؤمنون به جميعا[5] » .

ولا أحسب عبد البهاء عباسا يقصد من هذا الحديث الا التزلف لليهود والتظاهر بموالاتهم ليجعلهم من أشياعه ، والا فكيف يقع في خاطر من عرف القرآن أن يعمل على صرف الناس عن شريعة الاسلام ويرجع بهم الى شفا حفرة من النار بعد أن أنقذهم الله منها .

---

(١) دين الصينيين واليابانيين (٢) أصل ديانة الهنود (٣) ديانة قديمة تنسب الى ابراهيم زرادشت الايرانى ولا يزال لاتباعها طائفة بالبلاد الهندية وأخرى بالبلاد الايرانية

(٤) كتاب عبد البهاء والبهائية ص ٨٧

(٥) « « « « ٩٣

يذكر الشيخ ابن تيمية أن الباطنية «هم دائما مع كل عدو للمسلمين» وقال «ان التتار مادخلوا بلاد الاسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك الاسلام الا بمعاونتهم» وكذا نجد في البابية تحيزا الى أعداء المسلمين ، وانظروا الى عباس عبد البهاء كيف يتحيز الى اليهود ويبشر بان فلسطين ستصير وطنا لهم فقال «سيجتمع بنو اسرائيل في الارض المقدسة وتكون أمة اليهود التى تفرقت في الشرق والغرب والجنوب والشمال مجتمعة» وقال «تأتى طوائف اليهود الى الارض المقدسة ويزدادون تدريجا الى أن تصير جميعا وطنا لهم» .

فالبهائية شأنهم شأن الباطنية في بغض الاسلام وموالاة خصومه ، ولنا الامل الوثيق في أن العرب وسائر المسلمين من ورائهم سيقفون في وجه الاستعمار الصهيونى والدعاية البهائية التى تظاهرها وتسعدها حتى تبقى فلسطين وطنا عربيا اسلاميا على الرغم من عبد البهاء والبهائيين .

س — هل يعتقدون في الحشر والجنة والنار ؟

ج — لايؤمن البهائيون بالبعث ولا بالجنة والنار ويفسرون يوم الجزاء ويوم القيامة بمجيىء مرزا حسين الملقب ببهاء الله قال في كتاب بهاءالله والعصر الجديد «وطبقا للتفاسير البهائية يكون مجيىء كل مظهر الهى عبارة عن يوم الجزاء الا أن مجيىء المظهر الأعظم بهاء الله هو يوم الجزاء الأعظم للدورة الدنيوية التى نعيش فيها» وقال «ليس يوم القيامة أحد الأيام العادية بل هو يوم يبتدىء بظهور المظهر ويبقى ببقاء الدورة العالمية» .

هذا مايفسرون به يوم الجزاء ويوم القيامة ، ويفسرون الجنة بالحياة الروحانية والنار بالموت الروحانى قال في هذا الكتاب «ان الجنة والنار في الكتب المقدسة حقائق مرموزة فعندهما (أى البهاء وابنه عباس) الجنة هى حالة الكمال والنار حالة النقص ، فالجنة هى الحياة الروحانية والنار هى الموت الروحانى .» .

هذا مايقوله البهائية ، وكذلك ينقل لنا أبو حامد الغزالى ان الباطنية يقولون «كلما ورد من الظواهر في التكاليف والحشر والأمور الالهية فكلها أمثلة ورموز الى

بواطن، وساق بعد هذا أمثلة من تأويلهم الفاسق عن قانون اللغة والعقل، وقال «هذا من هذيانهم في التأويلات حكيناها ليضحك منها ، ونعوذ بالله من صرعة العاقل وكبوة الجاهل»

وقد قلدوا في انكار البعث طائفة الدهريين وأخذتهم شبههم التى لاتستطيع أن تنهض أمام أدلة القرآن الحكيم قال تعالى « أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ »

س — هل يعتقد البهائيون بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ؟

ج — مخالفة البهائيين لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من معتقدات وأحكام وتهجمهم على تأويل القرآن والحديث بمثل مانقلناه عن زعمائهم شاهد على أن قلوبهم جاحدة لرسالته ، واذا تحدثوا عنه في بعض كتبهم متظاهرين بتصديق نبوته فماهم الا كسائر الأفراد أو الطوائف الذين يعملون لهدم الاسلام تحت ستار ، ومن خبال زعيمهم الأول دعواه في تفسيره لسورة يوسف أنه أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلل هذا الكلام بما لايفهمه الا من يفهم لغة المبرسمين اذ قال «لأن مقامه «الباب» هو مقام النقطة ومقام النبى صلى الله عليه وسلم مقام الالف» وقال «كما أن محمدا أفضل من عيسى فكتابه «البيان» أفضل من القرآن» وقال «ان أمر الله في حق أعجب من أمر محمد رسول الله من قبل لو أنتم فيه تتفكرون»

ولسنا في حاجة الى الرد عليه في دعوى أنه أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في دعوى أن كتابه البيان أفضل من القرآن ، فعامة المسلمين كخاصتهم يعلمون أن هذه الدعوى من صنف الدعاوى التى تنادى على نفسها بالزور والهذيان وألو العقول من غير المسلمين يعرفون عظمة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وما بثه في العالم من اصلاح فمن يدعى أنه مثل محمد أو أنه أتى بكتاب يحاكى القرآن كان في حاجة الى علاج يعيد عليه شيئا من رشده ويجعله على بصيرة من نفسه .

س — اذاكانوا يعترفون بنبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فكيف يعتقدون بنبي بعده ودين غير دينه ؟

ج — البهائيون لايعترفون بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا سهل على زعمائهم أن يدعوا النبوة من بعده قال تعالى « مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ » ومعنى الآية الذى لا يذهب الفهم إلى خلافه انه النبى الذى انقطع به وصف النبوة فلا يتحقق فى أحد من الخليقة بعده .

وورد هذا مبينا فى صريح السنة الصحيحة ففى صحيح الامام البخارى وصحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارا بناء فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ، فانا اللبنة وأنا خاتم النبيين » وقد انعقد اجماع المسلمين على هذا جيلا بعد جيل وأصبح معلوما من الدين بالضرورة فمن أنكره وادعى لنفسه أو لغيره النبوة بعد رسول الله فقد انسلخ من الإسلام وكان من الغاوين ، وإذا شهد لسانه بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهو من أولئك الذين يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم ،فالبابيون لا يدخلون فى المعترفين بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حال .

وقد ذكرهم العلامة الألوسى في تفسير قوله تعالى « وَلَـٰكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ » فقال « وقد ظهر فى هذا العصر عصابة من غلاة الشيعة لقبوا أنفسهم بالبابية لهم في هذا الباب فصول يحكم بكفر معتقدها كل من انتظم فيسلك ذوى العقول، وقدكاد عرقهم يتمكن في العراق لو لا همة واليه النجيب الذى وقع على همته وديانته الاتفاق حيث خذلهم نصره الله تعالى وشتت شملهم وغضب عليهم رضى الله عنه ، وأفسد عملهم فجزاه الله تعالى عن الاسلام خيرا ، ودفع عنه في الدارين ضيما وضيرا»

س — ماهو الواجب عمله لاحباط مساعيهم حتى لايقع أحد في شراكهم ؟

ج —لو كان التعليم الدينى في الشعوب الاسلامية الزاميا ومقررا في جميع

مدارسها ، لم يجد اشباه الباطنية الى ازاغة قلب الفتى المسلم طريقا ، وترك كثير من أبنائنا لايعرفون من الاسلام الا أسماء أو لايلقنون الا مبادىء مقطوعة عن حججها العقلية او النقلية ، قد يسّر لامثال البهائية أن ينصبوا حبائلهم بين المسلمين ويصطادوا من النفوس الجاهلة قليلا أو كثيرا .

ولا ننسى أن الذى ساعد البهائية على أن تستهوى فريقا من المسلمين تظاهرها بانها فرقة اسلامية ، واحتجاجها بالقرآن والحديث وكتمها بعض معتقداتها المنكرة على البداهة ، وعدم انتشار كتبها ، فكثير من أهل العلم لم تصل اليهم كتب هذه الطائفة حتى يستبينوا منها حقيقة نحلتهم ويحذروا الناس من الوقوع في شراكهم .

أما اليوم فقد أخذهم الغرور وصاروا يذيعون شيئا من أسرار نحلتهم على المنابر وعلى صفحات الجرائد ويتحدثون عنها في مؤلفات تطبع وتعرض على الناس في المكاتب ، فهى بما تحمله من مقالات ملفقة ودعاوى غير معقولة قد بحثت عن حتفها بظلفها ، فلا نخشى على من له نباهة أو فطرة سليمة أن يعتقد بنبوة ميرزا حسين أو عباس عبد البهاء ولا نخشى على من وصل الى نفسه أثر من هداية الاسلام أن يتبدل بها مزاعم أبى الفضل الايرانى ، واذا جاز أن يكون في طبقة العامة أو أشباههم من لايتنبه لما في البهائية من كيد للاسلام واغواء عن شريعته الغراء ، فان العلماء والوعاظ اينما كانوا سيكشفون للناس عن بطانة هذا المذهب ليحترسوا من دعاته ويحذروا أن يمسهم شىء من نزغاته .

وقد علم طائفة من دعاة الاباحية والخروج على الدين ماينطوى عليه هذا المذهب من مناوأة للدين الحق فقاموا يظاهرونه في النوادى والصحف ويزينونه في أعين الناس ظنا منهم أن علماء الاسلام مازالوا عن سريرة هذا المذهب غافلين .

محمد الخضر حسين

وورد من حضرة الشيخ عبدالحفيظ ابراهيم اللاذقى أسئلة ستة نذكرها مع أجوبتها

(١) س — هل يجوز للمرأة أن تظهر صوتها ووجهها ويديها وغيرها أمام الرجال الاجانب والاطباء .

(١) ج ـــ قد نهى عن كل ما ادى الى الفتنة يقينا أو ظنا درءا للمفاسد وتجنبا للشبهات وقد قال صلى الله عليه وسلم (الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبَّهات لايعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه الا ان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب)

وسد الذرائع ودرء المفاسد أصل محكم في الدين ينبغى أن يصير المرء اليه في كل ماشبه عليه وان افتوك وان افتوك .

اما اذا أمنت الفتنة فصوت المرأة ليس بعورة واما جسمها فكله عورة على الرجل الاجنبي يحرم نظره اليها بلا حاجة داعية فاذا مست الحاجة للنظر كخطبتها أو معاملتها من بيع وشراء أو تحمل شهادة عليها أو نحو ذلك حل نظر الوجه والكفين بقدر تلك الحاجة لا أن يطيل النظر ويتبع النظرة النظرة فقد ينزلق الى الوقوع في المعصية وهو لايشعر .

أما الطبيب العدل الموثوق به فيجوز أن تظهر له وان يرى ماتمس اليه حاجة العلاج ولو العورة المغلظة رفقا بالمرضى ومراعاة لصحة الابدان . والله عليم حكيم رؤف رحيم ، فمن مقتضى حكمته ومظاهر رحمته أن حاط الاعراض وصان الشرف بسياج منيع وحمى واسع بقدر ماله من عظيم الخطر في شأن الأسر ، وان مانراه اليوم ونسمع به مما تذوب القلوب حسرة له ويسيل عرق الخجل حياء من التحدث به وتنفطر قلوب من ابتلوا بشيء منه فتنكسر نفوسهم وتتدهور بين الناس منزلتهم لهو أثر لتساهل الناس في هذا الامر العظيم الذى اعتنى به الشارع فجعل من ورائه سورا وسورا وسورا فنسى الناس هدى ربهم واتبعوا مقلدين غى غيرهم فاذا بهم يصابون ولا يشعرون فيحيط بهم الندم ولات ساعة مندم والله أعلم

(٢) س ـــ هل يجوز للرجل أن ينظر الى جميع بدن محارمه من النساء ومعانقتهن وضمهن وتقبيلهن ولمسهن بلا حائل .

(٢) ج — أولا أمن الفتنة قاعدة محكمة باضطراد فتى خشيت الفتنة في شيء من ذلك بان علم أو ظن أن شيأ من هذا يؤدى الى الوقوع في المحرم حرم ذلك الشيء فان الامتناع عن المحرم واجب والمقدمة لها حكم ماتؤدى اليه حتما.

فاذا أمنت الفتنة فللرجل أن ينظر من محرمه ماعدا مابين السرة والركبة واما اللمس فهو تابع للنظر فما حرم نظره حرم لمسه وما حل نظره حل لمسه حيث أمنت الفتنة كما سبق واما التقبيل فللشهوة محرم ومثله العناق والضم واما تقبيل الشفقة فلا باس به وعلى العموم فكل ما افضى الى محرم فهو محرم واستفت قلبك وان افتوك وان افتوك و(الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبّهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب)

(٣) س — هل يجوز للرجال والنساء تحسين الثياب والهندام ولبس جميع الالوان والازياء كالبرنيطة والطربوش والمعطف والسترة والبنطلون وغيرها والحرير والساعات والسلاسل والخواتم وغيرها أم لا.

(٣) ج — اما النساء فيلبسن ماشئن ويتزين كما أردن لاحجر عليهن في لون ولازى ولا حرير ولا ذهب مادامت لايراها الا من يحل له رؤيتها من زوج ومحرم وامرأة مسلمة وان كان يحرم عليها لبس ما اختص بلبسه الكافرون كشد زنار ونحوه أما أن تتعرض لرؤية من لايحل له رؤيتها وان تتزين في الطرقات فليس لها ذلك ويحرم عليها بتاتا كما يحرم عليها أن تتعرض لما يوجب الفتنة ولو مع أحد محارمها فلها من تحسين زيها وهندامها واختيار الازياء التى تعجبها والالوان التى تروقها مالا حد له متى لزمت حدود الله في عدم التعرض لرؤية الاجانب.

واما الرجال فيحرم عليهم لبس الحرير والتختم بالذهب والتحلى به في سلسلة أو ساعة أو ماماثل ذلك واجاز بعض الفقهاء حمل الساعة من ذهب أو فضة مالم توصل بثوبه بنحو سلسلة واما الالوان فلهم مايشاؤن منها الا أنه نهى عن المعصفر وهو ذو اللون الاصفر الذى يشبه لون العصفر لما فيه من شدة التبهرج واما أشكال

الثياب فقد كرهوا منها مايحدد العورة وباقى الاشكال لاحرج فيه من معطف وسترة وبنطلون غيرمحدد وطربوش وغيرها مالم يتشبه بالكفار فيزى قاصر عليهم معروف بهم

(٤) س ـ هل تقبل توبة التائب اذا تاب من جميع الذنوب الصغيرة والكبيرة كالقتل والزنا واللواط وشرب الخمر والديون والسرقة والخيانة والكذب والغش والظلم وغيره ولا يعذب في القبر ولا في الآخرة

(٤) ج ـ الله هو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ولا فرق في التوبة عن الذنب بين الصغيرة والكبيرة بل الاسلام بعد الكفر وبعد الردة من قبيل التوبة عنهما ويجبُّ ماقبله ولكن للتوبة شروط لاتتحقق الا بحصولها ومنها رد المظالم لاصحابها فلا توبة مع الاصرار على الذنب والبقاء على اغتيال الحقوق فمن غصب أو نهب أو سرق مال أخيه فذلك المال حق لصاحبه على ذلك الآخذ فمهما تاب وهو مختزنه عن صاحبه فلا معنى لتوبته والتائب وهو مصر على ذنبه كالمستهزىء بربه

وحقوق العباد مبنية على المشاحة لاتبرأ ذمة المرء منها الا برضا صاحب الحق رضاء صحيحا فمتى كان في امكانه رد الحق لصاحبه فلا توبة له قبل رده فان عجز وتعذر رده وسامحه صاحب الحق فيه مسامحة حقة قبلت توبته فان كان الحق مما يترتب على افشائه وطلب المسامحة فيه ضرر اكبر وتقوم عليه فتنة أشد منه وعلم ذلك فربما يكون الاستسماح المجمل مع الاكثار من الاستغفار لصاحب الحق والدعاء له بينه وبين ربه وكثرة الندم والاقلاع الصحيح من صميم القلب ربما يكون ذلك مما يرجى منه أن يقبله الله تعالى يوم القيامة بترغيب صاحب الحق فيمثوبة تسهل عليه المسامحة فيحقه وذلك كله في مثل القتل والسرقة والغش والظلم وامثالها .

أما حقوق الله كشرب الخمر والكذب الذى لايفوت مصلحة على أحد فمتى ندم ندما حقيقيا على مافرط منه وعزم على الا يعود واستغفر ربه من قلبه فذلك جدير أن يقبل الله منه ومتى قبلت التوبة فلا عذاب عليها لافي القبر ولا في الآخرة .

(٥) س ـ هل يجوز التشاؤم أو الوهم من الاعداد والسنين والشهور والايام والاوقات وغيرها ولبس ثوب أو دخول بيت أو قراءة سورة أو آية أو ورد أو

فائدة أو غيرها بان فاعل ذلك يصاب بضرر كمرض أو موت أو غيره

(٥) ج — قال صلى الله عليه وسلم لاعدوى ولا هامة ولاطيرة ولا صفر ، العدوى معروفة والهامة كانت العرب تزعم أن من قتل يجيء طائر يصيح على قبره اسقونى اسقونى حتى يؤخذ بثاره ، والطيرة أن يعمد المسافر أو ذو الحاجة الى الطيور في أوكارها أو على شجرة فيثيرها فان أخذت يمينا تفاءل أو شمالا تشاءم وتطير، وصفر كان العرب يتشاءمون من حلوله لانه يتلو الاشهر الحرم المتوالية ذا القعدة وذا الحجة والمحرم فيتعطشون للقتل والقتال على مافطروا عليه فتكثر فيه الحروب والقتلى فنسبوا الشؤم له

ولقد تمكنت الخرافات من نفوس كثير من الناس لضعف نفوسهم ونسبتهم مايصيبهم الى أسباب خفية لايعرفونها فتذهب أوهامهم كل مذهب في تكييفها ولو عقلوا لعلموا أن الكل من الله رب العالمين وقدسن للكون نظاما عجيبا وقانونا محكما وربط كل شيء بسببه الذى دلت عليه المشاهدة والتجارب المتكررة وعقلت الصلة بينه وبينه فاما هذه الاشياء التى لاصلة لها بما يتفق حصوله بعدها كعدد احد عشر أو شهر صفر أو السنة الفلانية أو وقت كذا من يوم كذا فكلها أوهام لا أصل لها ولا يجوز شرعا التعويل عليها ولا الالتفات اليها ومثل ذلك بل أولى منه قراءة سورة أو آية أو ورد أو مثلها ، أما مايصادف حصوله في بعض الاحيان في دار أو دابة أو مايماثل ذلك فهى مصادفات تقوى بالتفات الناس اليها واعطائها ماليس لها لقوة هلع وجزع أصاب أصحابها وما من أحد في الدنيا الا هو عرضة للمصايب من مرض وموت وغيرهما ولا يحصل ذلك الا في يوم من الايام لافرق بين يوم ويوم ولا يحدث الا في مكان من الامكنة لافرق بين دار ودار فالناس يموتون لاجالهم وفي دورهم وكل يوم يحصل ذلك ولكل أجل كتاب (قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ)

ابراهيم الجبالى
مدرس بقسم التخصص بالازهر

الأخلاق والعادات

(خلاعة النساء تقودنا الى الهاوية)

« ماتركت بعدى فتنة هى أضر على الرجال من النساء »

حديث شريف

لست أعجب لشىء من شئون حياتنا عجبى لهذا الداء الدوىّ الذى غشى كل دار ، وغزا كل أسرة ، وسرى فى بيئتنا المصرية سريان النار فى الهشيم ، ووقف إزاءه المصلحون حيارى مشدوهين ، لا يدرون ماذا يصنعون ؟ وأعنى به تلك الخلاعة الفاضحة ، وذلك التبرّج المشين الذى هتك الحِجال عن المصونات ، وأبرز من الخُدور المخبّئات ، وسوّى بين الحرة والأمة ، وأقام من النساء فى الشوارع والميادين سوقا حافلة تنتهك فيها الحرمات جهارا ، وتباع الأعراض بيع السّماح ، إنك فى أى مكان من تلك المدينة التى هى حاضرة الشرق العربى ، وأنخم مدن الإسلام ، ومقر أكبر معهد للحنيفيّة البيضاء ، لاترى إلا مايُقذى العين ، ويصدع الفؤاد من مظاهر للسفور والاستهتار ، لاتبرأ منها الطّفلة اللاعبة ، والفتاة الفاتنة ، والمرأة النَّصَف ، والعجوز الشمطاء ، كأنّ ذلك مما أوجبته الشرائع السماوية ، وفرضته القوانين الوضعية ، وأكّده العرف العام حتى يعدّ الخروج عليه معرّة تندى لها الجباه ، وتنكّس الرءوس . لقد دالت دولة الثياب السابغة الساترة لأطراف السيدات ، واختفى على اثرها اللثام الكثيف ، وحل محله نقاب كثوب الرياء يشفّ عما تحته ، فإلاّ يكن هو السفور بعينه فهو أشد منه فتنة ، ولم يقف النساء عند هذا الحد فقد نزع السواد الأعظم منهن الخِمار ، وخلعن العذار ، وبرزن للناس شبه عاريات أما التأطّر فى المشى ، والتخلّع فى الحركات ، وغشيان الملاهى والمراقص ، والاختلاط بالرجال ، فشيء يطول وصفه ، ويستفيض حديثه . فيالك فتنة سافرة كصاحباتها تهدد بالشر المستطير ، وتنذر بالويل والثبور .

ومما كان ضِغثا على إبّالة أن فسدت المشاعر ، وماتت الضمائر ، وسقمت العقول ، فأصبح الفتى وقد كان حريّا أن يتحدث بنعمة الله عليه (وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها) يفاخر بالفسوق ويجاهر بالعصيان ، ويعدّ من التمدين أن يصاب بالزهرى والسيلان هـذا بعض ما تعانيه الفضيلة فى هذه الأيام القاتمـة التى غاض خيرها وفاض شرها فسمى الخليع ظريفا والمـاجن لطيفا والفاتك متمدينا والتقى الورع متـأخرا والناسك العفيف بليدا جامدا والعالم العامل وضيعا خاملا فلا حول ولاقوة الا بالله . ولقد كان لذلك أثره السيىء فى شئون الأمة عامـة : ففشت الأمراض السرّية ، وانحطت الأخلاق وضعفت النخوة والحميّة وأضرب الشبان عن الزواج لتيسّر قضاء الإرْبة وعدم الثقة بطهر الفتيات ، وبذا أصبحت الأمة مهددة بضياع الثروة وذبول الصحة وانحلال الأسرة وتصدع المجتمع وما بقاء أمة أصيبت فى كل عناصر حياتها .

أما تأثير التبرج فى شئوننا الاقتصادية فحدث عنه ولا حرج : فلقد حدا النساء إلى الإكثار من الازياء ، والتفنن فيها الى حـد مدهش ، واستُنزفت تبعاً لذلك الأموال المصرية ، لتعمر بها الجيوب الأجنبية ، ورأينا فى كل يوم بل كل لحظة نموذجا جديدا (مودة) تُتْحفنا به (باريس) . وهكذا انصرف النساء عن القيام بتربية الأولاد ، وتدبير المنازل الى الخلاعة ومقتضياتها ، والهيام على وجوههن فى كل واد . ومن الفكاهة أن أقص عليك هذه الطُّرْفة لتتبين ما ينوء به الرجال من أعباء النفقات الـكمالية . فقد ذكروا أن رجلا اشترى لزوجه مِعرَضا (فستانا) اقترحته عليـه ، وما إن جاوز باب المحل حتى أخذ يعدو عدو الظّليم مُيَمّما منزله ، فاستوقفه أحد أصدقائه (وقد أخذ العجب منه كل مأخذ) فقال له لاتعجب فإنى اشتريت الساعة هذا (الفستان) وأخشى أن تظهر (مودة) جـديدة قبل أن أصل إلى البيت ، من هذه الحـكايه سواء أكانت حقيقية أم خيالية . تعرف مبلغ تعلق السيدات بسفساف الأمور ، وإرهاقهن للازواج بما لاطائل تحته . تلك حال شاذة تجب على الأمة إزالتها بما تملك من حول وطول، لأنها مخالفة للشرع والعقل والذوق ، وفى بقائها ضياع الأموال والأنفس والثمرات : أما الشرع فلأنه يحرّم على المرأة أن تبدى زينتها لغير من ذكرهم الله فى كتابه ، والحكمة فى ذلك جلية واضحة . وقد

وصى تعالى نساء نبيّه وهن فى الذّروة العليا من الطهارة والصون بقوله عز من قائل (وَقَرْنَ فى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ) وقال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ) وقال صلى الله عليه وسلم وهو من آيات رسالته (صنفان من أهل النار لم أرهما بعد : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، رءوسهن كأسنمة البُخت المائلة لايدخلن الجنة ولا يجدْن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا).

وأما العقل فلأن العقول فى أدنى الدّرجات ، وأحط الدركات ، تستقبح أن تصير المرأة وهى فى حوزة رجل خاص يضن بها الضّن كله ، ويحرص عليها حرص الجبان على مهجته ، متاعا مُشاعا ونَهْبا مقسّما بين النواظر والأبصار . فحسن أن تتزيا المرأة لزوجها فى خلوتها وجلوتها بما تشاء ، وتتحلى بما تريد ، ولكنه قبيح ومُستبشَع أن تهجر خدرها لتقيم من نفسها مَعرِضا متنقلا يشهده العامة والخاصة ، ومن الغريب أنها فى بيتها قد تكون غير آبهة للزينة ولا حافلة بالتجمل ، بل قد تكون مثالا لقذارة البدن والثياب ، حتى اذا همّت بالخروج لم تدع شيئا من ألوان الأصباغ ، ولا ضربا من ضروب التَّطْرِية والتصنّع إلا أفرغته عليها .

وأما الذوق فلأنه رُكِّز فى الطباع الكريمة والأذواق السليمة أن المرأة مكان الصيانة والحرز والمنعة ، وعلى هذا درج الشعراء قديما وحديثا فى وصفها : فشبهوها بالدر المصون ، واللؤلؤ المكنون ، وقالوا بيضة الخدر ، وربة الصون وذكروا تمنعها بالحراس والرقباء والأسنة والقنا ، واحتجابها حتى عن النسيم والشمس والقمر ، فتبذل النساء إلى درجة يزْحمن الرجال فيها بالمناكب ، ويأخذن الطريق على الغادى والرائح من غير ضرورة إلا شهوة التبرج والسفور ، مما يمجه الذوق ويأباه الطبع وتنفر منه الفضيلة . وقد خسرت المرأة بذلك أضعاف ماتظنه ربحته ، فقد مضى عهد كان فيه أصلب الناس وجها وأخشنهم طبعا يرى المرأة فيغضّ طرفه إكراما للأنوثة الطاهرة وينعقد لسانه أن ينطق بكلمة فحش أو بَذاء، حياء منها ومهابة لها ، فأصبح النساء الآن هدفا للألفاظ الجارحة تسيل بها

ألسنة السفلة والأوغاد (والجزاء من جنس العمل) وأمسى الرجل بعد أن كان يجل الأنثى فيفسح لها الطريق إذا مرت ويُخلى لها مكانه إذا حلت ، لا يعنى بشأنها ، ولا يحفل بأمرها .

والحق أن هذا الأمر قد أهمّ أرباب الشرف والكرامة ، لأنه نذير الإباحة وطليعة الفوضى الخلقية التى تأتى على ما ورثناه من دين قيّم وخلق كريم وعادات شرقية حميدة . وإذا كان هذا نصيبنا من مفاسد المدنية الغربيـة فى تلك السنين القليلة التى تم فيها الاختلاط فما الظن اذا توالت علينا الأحقاب والأجيال ؟

على أننا لا نقلد الأجانب إلا فى المساوىء والمثالب ، فأما حسناتهم فنحن عنها معرضون ثم لنسأل انفسنا فى عجب ودهشة أليس لتلك الدُمى الإنسانية السادرة فى غيها قيم أو كفيل من أب أو أخ أو زوج أو قريب ؟ ألا يحدث الرجل نفسه بما يراه فى الطرقات من مخاز يربدّ لها وجه الفضيلة فيحفزه ذلك إلى أن يحمى حريمه ويمنع حماه ؟ ألا يجد فيما يشاهده صباح مساء وما يسمع به من أسرار القصور وأنباء الدور مقنعا يجعله يمسك بعرضه أن يزج به فى هذا المعترك الضنك والمأزق المتلاحم ؟ ولا يطوفنّ بعقل القارىء الكريم أننا نريد للمرأة أن تقبع فى بيتها كالسجين المصفد ، فلا تشمّ الهواء ولا ترى الخضرة والماء ، ولا تتمتع بما أبدعته يد القدرة والصناعة مما يُقر العين ويبهج الفؤاد ، فالمرأة مخلوق محترم بل هى نصف الإنسان وربة المنزل وأم الولد ووزير الرجل ولها حقوق على الزوج لو نالتها لعاشت فى عز سابغ وسعادة وارفة الظلال ، فلتخرج المرأة للزيارة والتنزه والاستراضة ، ولكن ليكن معها حارس ذو محرم محرّم منها ، يدرأ عنها النظرات الحادة والكلمات الساقطة والمغازلات السمجة ويحميها من هجمات اللصوص لصوص الجَمال لا الجِمال وسُرّاق الأعراض لا العُروض وقُنّاص الخُود لا النقود أولئك الذين يقعدون كل مرصد لختل الصيد واقتناص الفريسة ، فلا تكاد تخلو منهم بقعة حتى أماكن العبادة ومزارات الأولياء فتباًلهم وسُحقا .

ومن نكد الأيام أن نشأت فى هذا الجيل نابتة هم زمانة الأمة وداؤها العقام ، نبذوا فضائل الشرق وجهلوا آداب الغرب . أخذوا يدعون جهرة الى الإباحة ويبذرون بذرها

الخبيث ، مظهرين المرأة بمظهر من فقد حرّيته وسُلب إرادته ، وما بهم (شهد الله) حب المرأة والعطف عليها ، ولكنهم يبغون وراء ذلك مايطفى شهوتهم الثائرة ويشبع ذكورتهم الجائعة ولو كان فى ذلك خراب البلاد وشقاء العباد . ولا تعدم منهم فيلسوفا سوفسطائيا يحاجك بأن سفور المرأة واختلاط الجنسين يقتل الشهوة ويزرع العفة (وحب شىء إلى الإنسان مامنع) ومادرى (أزال الله خباله ورد عليه عقله) أن هذا لايطبّق فى كل الأحوال فكما أن رؤية الطعام الشهى والشراب العذب تُثير الرغبة فيهما ، فكذلك النظر إلى وجوه الغير يبعث على الفتنة ويَحثّ على الصبابة . وشتان بين امرأة متحجبة لا يبدو منها ما يدل على حسن وجمال ، وبين أخرى سافرة عن محيًّا صبيح ووجه مُقسّم ، فأين يذهب بكم أيها الناس لقد كانت تلك المرأة البدوية أبعد منكم نظرا وأرجح عقلا وأعرف بموطن الداء فإن الأصمعى يحدثنا أنه ورد بعض مياه العرب ، فوجد فتيانا مجتمعين وإذا بشاب منهم قد لوح بيده قائلا ها هى ذا قد أقبلت ، قال فنظرت حيث نظروا فإذا فتاة قد أسفرت عن بدر تمام على غصن بان ، فلما رأتهم يحدون النظر إليها أسدلت خمارها على وجهها ، فكأنما أسبلت الظلام على الضياء ، فتقدم منها شاب وقال لم تمنعينا النظر إلى هذا الوجه الحسن . فكان جوابها : —

وطرفك إن أرسلتَه لك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رأيت الذى لا كله أنت قادر عليـه ولا عن بعضه أنت صابر

ولعل لنا عبرة فيما فعله (الفاتيكان) فإن البابا حرم على النساء دخول الكنائس بالملابس الخليعة ، وسمعنا عن جمعيات نسوية قامت فى أوربا (أوربا المتهتكة) تدعوا السيدات إلى اطراح الأزياء المستهجنة والجنوح إلى سبيل القصد والحشمة .

هذا وإنى أدعو الرأى العام لمقاومة تلك البدع الضارة الهدامة . والرأى العام فى كل عصر ومصر له صولة تهزم الجبابرة فلو أن الناس يستنكرون هذه الموبقات ، ويظهرون سخطهم على كل امرأة تخرق سياج الفضيلة وتنتهك حرمة الآداب لانمحت تلك العادات السيئة من البيئة المصرية . والله الهادى إلى أقوم سبيل

على الجندى
المدرس بمدرسة الناصرية الأميرية

العلوم والآداب

الاسلام فى بلاد الانجليز

جاء بمقال لمراسل الصنداى بوست [١] بلندن أنه قام بأبحاث مستفيضة عن ازدياد عدد البريطانيين الذين يدخلون فى دين الاسلام — وهم بمعدل واحد فى اليوم — استطاع بها أن ينشر عدة حقائق ممتعة عن تقدم الإسلام فى بريطانية . قال :

فى أنحاء الجزائر البريطانية ما يقرب من الف مسلم بريطانى بينهم رجلان من ذوى الألقاب أحدهما اللورد هدلى المعروف باللورد المسلم والآخر السير أرشيبالد هاملتن الذى يمت بصلة القرابة إلى جايمس الثانى . ملك اسكتلندة . وهناك آخرون من رجال الأعمال المعروفين الذين اتخذوا الأسلام دينا فى السنوات الأخيرة . كما أن هناك مسجدا فى وكنج يؤدى به المسلمون الانجليز مع إخوانهم الشرقيين المقيمين بانجلترا فرائض الصلاة ويستمعون إلى خطبة الإمام وهو شيخ المسجد .

أما فيما يختص بنظام الطبقات الاجتماعية فى الاسلام فيعتبر الغنى ظهيراً للفقير ويجلس بجانبه إلى مائدة الطعام كما يستوى كلاهما أمام الله . فليس هناك فارق شخصى فى المجتمع الاسلامى بين غنى وفقير .

وشيخ جامع وكنج هو المحترم الاستاذ نظير أحمد وقد دار بينى وبينه حديث فهمت منه أن الشيخ فى الدين الاسلامى يسمح له بمزاولة مهنة مدنية أخرى وأنه هو نفسه كان مدرساً ومهندساً (معماريا) وأنه يتقاضى مرتبا اسميا بصفته شيخ المسجد .

ويُحتفل بعقود الزواج فى هـذا المسجد وممن احتفل بعقد زواجهم به المستر جون بارلنجتون فيشر أو عثمان المهدى كما سمى نفسه حيث تزوج من الآنسة مارجريت روس أو « رشيدة » على الشريعة الاسلامية وقد تلى إمام الجامع خطبة القران المعتادة وهى جديرة

---

(١) جريدة اسبوعية تنشر ببريطانية العظمى

بالاعتبار إذا قورنت بتلك التى تتلى بالكنيسة المسيحية الانجليزية . وقد أوصى الزوج فيها بقوله « أن لا تضرب زوجتك الكريمة ضربك للأمة الحقيرة وأن تطعمها إذا أطعمت نفسك وتكسوها إذا كسوت نفسك وأن تقبض يدك عن صفعها على وجهها أو تسيء معاملتها أو تفترق عنها وقتاً طويلا » . وخاطب العروس بقوله « يجب أن تكونى الزوجة الصالحة التى ترضى بعلها إذا تطلع إليها وتطيعه إذا أرشدها وتحافظ على ما يملك إذا غاب عنها » وبعد انتهاء الخطبة استخرج الإمام وثيقتين وقع عليهما الزوجان وأعطى العروس واحدة والزوج أخرى .

وذكر لى اللورد هدلى فى حديث دار بيننا أنه كان مسلما بقلبه من عدة سنين ولكنه لم يعلن ذلك جهاراً حتى السنوات الأخيرة وهو الآن رجل متقدم فى السن لم يزل قويا تبدو عليه سيماء المهابة والجلال . وقد تلقى علومه فى كلية ترينتى بكامبردج حيث يوجد اليوم — كما يوجد بأكسفورد — كثير من الطلبة المسلمين .

وقد قام اللورد هدلى برحلات واسعة النطاق فى الشرق واشتهر كمهندس (معمارى) وكان لدخوله الاسلام — الذى درسه إبان إقامته فى الشرق — شيء من إثارة الخواطر فى بلاد الإنجليز وقد تسمى كما تسمى غيره من الإنجليز الذين اتخذوا الاسلام دينا — باسم اسلامى هو الشيخ عبد الرحمن الفاروق

وحج الى مكة من زمن غير بعيد وهى المدينة التى يقدسها المسلمون والتى بها قبر النبي العظيم [1]

وقد أولت زيارته للشرق فى تلك المرة تأويلاً خاطئاً فى بعض الدوائر حيث قيل انه أرسل فى مهمة سياسية . وذكر لى اللورد هدلى أن دخوله فى الاسلام كان نتيجة أعوام طويلة من البحث والتفكير وقال أظن أننى أول بريطانى مسلم حج إلى مكة وقد قمت بذلك علانية على أننى أعلم أن البعض قد حجوا اليها متنكرين فى زى رعاة الابل

وأخبرنى محدث آخر أن كثيرا من الغربيين قد ضحوا تضحيات مالية واجتماعية كبيرة حين خرجوا على كنائسهم ودخلوا فى دين محمد « عليه السلام » . والمسلمون هم

---

(١) قبر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة لا بمكة

أكثر من أى طائفة دينية أخرى عـدداً فى العالم . واستطرد محدثى القول بأنه يعرف واقعة حال جرت لضابط كان يؤدى الخدمة فى الشرق فى غضون الحرب الكبرى وقد درس الاسلام دراسة عميقة ثم اتخذه دينا وما علم رؤساؤه بالأمر حتى استدعى فى الحال وأقيل من الخدمة . وهناك وقائع أخرى اضطر فيها الكثيرون لترك أعمالهم على أثر دخولهم فى الاسلام .

وليس فى الإسلام فارق جنسى (قومى) فقد يكون بين الجمع المحتشد بالمسجد صينيون وروسيون وزنوج وهنود .

وهناك أسباب مختلفة يذكرها البريطانيون لدخولهم فى هـذا الدين فبعضهم يقول انهم سئموا موقف الجمود والتعصب الذى تقفه الكنيسة المسيحية والبعض الآخر يشعر أن فى الاسـلام عاطفة انسانية تدخل فى حياتهم اليومية وتمتزج بهـا فالمسلمون فى أنحاء العالم يتجهون كل يوم خمس مرات نحو مدينة الاسلام المقدسة [1] ويقيمون الصلاة لله.
ويجب على كل مسلم يملك مقدار « نصاب » من المال أن يتصدق باثنين ونصف فى المائة منه للفقراء .

هذا : وشرب الخمر ولعب الميسر وأكل الخنزير محرم فى الاسلام .
أما السير أرشيبالد هاملتن الذى يقيم فى صسكس الغربية فقد قال فى إيراد أسباب اتخاذه الاسلام ديناً « يظهر لى أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى يلائم جميع أجناس البشر فهو يعترف بالديانات الأخرى ولا ينـكر فضل مؤسسيها العظام ، وإن مما أنـكره على المسيحيين ما أراه من أنهم يقيمون شعائر دينهم يوما واحداً من الاسبوع وينسون كل ما يتعلق به بقية أيامه » ويأمل السير أرشيبالد أن يحج إلى مكة قريبا .

وقد علمت بعد تحريات أخرى أنه إذا استمرت زيادة المسلمين فى اسكتلندة على ما كانت عليه فى السنة الماضية فثمت أمل كبير فى بناء مسجد بها فى وقت قريب .

---

(١) مكة المكرمة التى بها البيت الحرام المقدس وهو قبلة المسلمين فى صلاتهم

أخلاق محمد

(صلى الله عليه وسلم)

من كتاب « حياة محمد » للسير وليام ميور

(دماثة الاخلاق)

ومن صفاته الجديرة بالتنويه الرقة والاحترام اللتان كان يعامل بهما أتباعه حتى أقلهم شأنا . فالتواضع والرأفة والأناة وانكار الذات والسماحة والسخاء تغلغلت في نفسه ووثقت به محبة كل من حوله .

وكان يكره أن يقول لا فان لم يمكنه أن يجيب الطالب لسؤله فضل السكوت عن الجواب وقد قالت عنه عائشة أنه كان أشد حياء من العذراء في خدرها وكان اذا اساءه شيء تبيناه في أسارير وجهه أكثر من كلامه ولم يمس أحدا بالضرر الا في سبيل الله . ويؤثر عنه أنه كان لايمتنع عن اجابة دعوة الى بيت مهما كان حقيرا أو يرفض هبة مهداة اليه مهما كانت صغيرة واذا جلس الى صاحبه لم يرفع نحوه ركبتيه تشامخا منه وكبرا وكانت له تلك الخلة النادرة التي يجعل بها كل فرد من صحابته يظن أنه المفضل المختار . وكان يرثى كثيرا للثكلى والمنكوبين كما كان سهلا لين العريكة مع الأطفال لايأنف اذ مر بطائفة منهم يلعبون ان يقرئهم تحية الاسلام . وكان يشرك غيره في طعامه حتى في أوقات العسر والاملاق ويهتم جهد الطاقة بتوفير أسباب الراحة لأنصاره وتابعيه . وكان صديقا وفيا أحب أبا بكر محبة الشقيق الودود وعليا محبة الأب الرؤوف ومما يذكر أن زيدا الذي كان عبد خديجة كان متعلقا بالنبي تعلقا شديدا لعطفه عليه حتى أنه آثر البقاء بمكة على أن يعود لبلده مع أبيه وتعلق بأهداب النبي قائلا لست تاركك وقد كنت لى أبا بارا عطوفا وقد بقيت صداقة محمد هذه الى مابعد موت زيد حيث عامل أسامة ابنه معاملة ممتازة اكراما لأبيه .

كذلك كانت علاقته بعثمان وعمر مشبعة بروح المودة والولاء . وكان محمد «عليه

الصلاة والسلام،في استعماله الحكم المطلق عادلا مقتصدا فلم يكن يعوزه الرفق باعدائه اذا مادانوا له بالطاعة وقد كان دفاع مكة العتيد الطويل المدى ضد دعوته مما كان يحمله عند فتحها على أن يعبر عن سخطه بآثار لاتمحى من دم ونار ولكنه أصدر عفوا عاما ملقيا بذكريات الماضى بما فيها من سخرية واهانة واضطهاد في زوايا النسيان وعامل حتى ألد أعدائه بكل كرم وسخاء ولم تكن السماحة التى ابداها لعبدالله [1] وأهل مكة الخارجين عليه بأقل من ذلك ظهورا وهم هم الذين ناصبوه العداء سنين وامتنعوا عن الدخول في طاعته . كما ظهر حلمه وصفحه حتى في ساعة الظفر والانتصار وقد دانت لطاعته القبائل التى كانت من قبل أكثر مناجزة له وأشد عداء .

الطرف والملح

أُدخِلَ على المنصور رجلٌ أراد أن يولّيه قضاء ناحية من العراق قد جعل السجود بين عينيه كَرُكبة الجمل . فقال له المنصور : ان كنتَ أردتَ اللهَ بهذا فما ينبغى لنا أن نشغَلك عنه ، وان كنتَ أردتَنا فما ينبغى لنا أن ننخدع لك ، ولم يُوَلِّه شيئاً .

قال شاعر حكيم :

اذا أَعجبتْك خِلالُ امرِئٍ ... فكُنْه تكنْ مثلَ من يُعجبك

وليس على المجد والمكرُمات ... اذا جئتَها حاجب يحجبك

قال قُدامةُ : حَسْبُكم دلالةً على فضيلة العدل أنّ الجَورَ الذى هو ضدُّه لا يقُومُ الا به ، وذلك أن اللصوص اذا أخذوا الأموال واقتسموها بينهم احتاجوا الى استعمال العدل فى اقتسامهم والا أَضرَّ ذلك بهم .

قال سيدنا عَمْرُو بنُ العاص رضى الله عنه: ما استَودعتُ رجلا سراً فأفشاه فَلُمتُه. لانى كنتُ أَضيَقَ صدرا حين استودعته منه حين أفشاه .

---

(١) هو عبد الله بن ابى بن سلول رأس المنافقين

استرشاد الانسان بالمملكة النباتية والحيوانية

فى مخترعاته

مترجمة عن مجلة Woche الألمانية

قليل من الناس من يدرك أن في مثل شجرة أو شجيرة أو ورقة من الحشيش أعجوبة من أعاجيب التكوين في الصناعة والكيمياء وأن كل مانسجته يد الانسان يتضاءل أمام كمالها ويظهر بعيدا عن الاتقان . فمن حامض الكربونيك والماء — أى من مواد يمكن الانسان الحصول عليها بكميات وافرة — تقوم في المملكة النباتية صناعة المواد النشوية التى تعد أساسا للتغذية . ويستفيد النبات من حرارة الشمس وضوئها منذالاف السنين للقيام بهذه العملية ولم تقوالصناعة الحديثة على الاستفادةمنها الا في أمور صغيرة والى حد محدود . وتعد هذه الكفاءة في النباتات أعلى مما وصل اليه العلم والصناعات الحديثة حيث ان الانسان لم يوفق بعد الى أن يجعل من حامض الكربونيك والماء «نشاء» صناعيا وهو الذى عليه تقوم الحياة فهو لذلك أهم التراكيب الكيمائية ولا بد أن يكون أول ماصنعته المملكة النباتية منذ بدأ نشأتها .

وقد يضطر الانسان لكسب عيشه الى قتل النبات أو سلبه ثمره فيسخر نفسه في فلاحته بعرق جبينه ولا ينفك يستمطر السماء ماء ويرجو من الشمس حرارة وشعاعا وانما يفعل ذلك لجهله وقصر يده وعجزه أمام علم استاذه القدير «النبات»

وليست المملكة النباتية بالاستاذ المتمكن الذى لايشق له غبار في أصول الكيمياء فحسب بل انها في عالم التراكيب الآلية والفنية مثالا حسنا ونموذجا بديعا أتقن صنعه ودق تركيبه

نظرة واحدة الى جميع المخترعات التى أدهشت العقول زمنا طويلا تكفى لتبيان مصدر اشتقاقها من النماذج الطبيعية في المملكتين النباتية والحيوانية . أليست آلة التصوير صورة بسيطة من عين الانسان والمسرة تحاكى الأذن ؟ وألا

تشبه المبانى الحديدية المرتفعة في قوامها وقواعد نصبها تركيب العظام في الانسان والساق في القمح وما شاكله من النبات ؟ أفلا يرتد أمام هـذا المهندس والمعمارى باستكانة واتضاع لحقارة وغلاظة مااصطنعاه من مستحدثات ومبتكرات المقلدة لما صنعته يد الاله عز وجل ؟ وأفلا يتبين لهما أن صناعتهما لازالت مفتقرة الى الصقل والتهذيب بعيدة عن الاتقان والكمال . ؟

نرى أن كل ما أعد للجر والسحب صورٌ على شكل شريط وما أعد للارتكاز لابد له من عمود لارتكازه وكل ثاقب لابد من صنعه لولبيا ، جذوع كأنها عمد تحمل الشجرة فلا تنوء تحت ثقل غصونها وتستند السنبلة على الساق كما يتكأ الشيخ الهرم على عصاه أو كما يرتكز السقف على الأعمدة ، تتدفع الجرثومة في قطرة الماء تشق طريقها لولبيا فما أشبهها بباخرة حديثة الطراز تسير بمساعدة المحرك اللولبى الى جانبها وما أشبه الداسر (١) اللولبى في الطيارة بورق شجر الاسفندان (٢) .

لم يكن الانسان بالمخترع لسير الدولاب الآلى أو أعمدة الارتكاز أو الداسر اللولبى . وانما هى أعضاء المملكة النباتية التى كشفت لنا خبايا النظريات وأصول القواعد .

تبين المهندسون والفنانون أن الحركة في اتجاه دائرى انما تتغلب على المقاومة بأقل جهد عن الحركة في اتجاه مستقيم فبنوا تصميماتهم وجعلوا قواعدهم مصطنعين بذلك قانون المقاومة البسيطة والاقتصاد في المجهود ، ولكن ألم تكن المملكة النباتية هى صاحبة الأولية في الابتكار واليها يرجع الانسان حيثما بدأ عمله وفنه ، يظهر لنا من ذلك وغيره أنه ليس من مبتكر أو مستحدث الا وقد أوجدت المملكة النباتية أو الحيوانية قواعده ورسمت أصوله وأحكمت قوانينه وأظهرت النماذج الدقيقة فيه.

ولنتأمل قليلا من هذه الوجهة دقة صنع ومهارة تركيب بعض أعضاء المملكة النباتية ولنأخذ اعشاب البحر الصخرية مثلا فنرى أنها عبارة عن مراكب دقيقة. لايزيد طول أحدها عن ١/٤ ملمتر وعرضها عن ٢/٢٠٠٠ من المليمتر تنتشر على قاع الغدير كل

---

(١) الداسر الدفع (٢) شجرينت في بلاد النرويج

ربيع كبساط من القطيفة تعلوه قشرة ذهبية أو تملأ الطبقات العليا من مياه البحار فتجعل أديمها أخضر ولكن ليس هـذا أو ذاك بمقرها الطبعى بل يغلب وجودها بطبقات الارض الطينية بين الشقوق المائية الضيقـة فاذا ماجف أديم الأرض درء عنها خطر الهصر والتحطيم سياج منيع من بلورات صخرية به تجعدات تزيده حصانة لمقاومة الضغط ، فلها بعبارة أخرى في أشكالها السطحية جميع ما اتخـذه الانسان نقلا عنها في تراكيبه وبناياته المعرضة لتحمل الضغط الشديد . وقد تطفو هذه الاعشاب المائية في احد أطوار حياتها على سطح المياه ولذا تركت تجعداتها خاوية ، ليس بهيكلها الخارجى سوى مراكز المقاومة لتحمل الضغط . ألم ينح نحوها وينسج على منوالها أساتذة فن المعمار في المبانى الغوطية بقبابها وقلة مسطحاتها وتحويلها الى أشكال منمقة من أساطين وقباب ؟ أليست التراكيب الحديدية الحديثة في مناعتها ومقاومتها كثيرة الشبه باعشاب البحر الصخرية وان تعددت أشكالها واختلفت صورها لازالت نموذجا هندسيا فائقا لمقاومة الضغط مع الاقتصاد في المادة. أمام هذا كله لايتكلف المهندس أو الفنان عناء البحث والاستنباط فله في القواعد الطبيعية الثابتة الصحيحة كل معين ومرشد .

وبين الاحياء المائية ذات الخلية الواحدة مايسمى «فلاجـلات» وهى سوطية الشكل قد زودها الله عز وجل بأشكال تساعدها على السباحة فكانت خير نموذج لاستنباط حل لمسألة الاجسام الطافية ، فذنبها الدائرى أكبر معين لها على الحركة السريعة التى اذا نسبت الى سرعة البواخر العظيمة لفاقتها ببضعة آلاف المرات . فى هذه الأعجوبة الفنية التى لايزيد حجمها عن ذرة من الرمال نجد نموذجا آليا لم يستطع الانسان بعد أن يجاريه . ألم يك في هذا كله مايكفى لاستنهاض الانسان ودفعه لدراسة أصول علم الحياة وفنونه حتى يسترشد بما كنه من قواعد ونظريات في مخترعاته ومبتكراته على شكل أوفي ونظام أكمل مما قد أتيح له الى الآن .

فكل ورقة من أوراق النبات تتسع لدراسة فن كامل على أصوله الصحيحة فهى تحوى منشآت صناعية على أحدث منوال ، آلات لاستغلال القوى الضوئية

تلتقطفيها المادة الملونة الكلوروفيليه بطرق عدسية دقيقة ضوء الشمس اذا ماواجهته. وتندفع المياه والحوامض الكربونية في طبقات التهوية داخل أنابيب كما تجرى في ثناياها المواد الأولية والعصارات . وتقوم جهازات الرفع المائية في المملكة النباتية بعملها بطريقة محكمة دقيقة فتحمل مواد التغذية وتدفعها الى منتهى الفروع العليا والغصون الدقيقة والعروق الشعرية . ولاداة الرفع المائى فيالمملكة النباتية أهمية عظمى تستوجب اعجاب الفنان . ففى الأوراق الخضراء وبين شقوقها المائية نجد فراغا كبيرا تصله عروق شعرية غاية في الدقة بالانبوبة المائية الرئيسية فيتضاعف فيه بذلك كل ضغط ينشأ في الجذع الى عشرات ومئات أمثاله وينتج عن ذلك أن تعلو السوائل على قشرة الأشجار الخارجية — وهو مايطلق عليه ادماء الشجر — وبه تصعد العصارات في الكروم كل ربيع ، وقد عجزت بالرغم من هذه الظواهر جميعها ابطال الزمن الغابر عن استنباط المضخات المائية الرافعة ولا زالت مجهولة حتى قبيل الجيل الحاضر ، ومنها اشتقت المطارق والمضاغط والروافع المائية على اختلاف أنواعها .

فاذا خطونا في هذا المضمار خطوة أبعد نجد أن النباتهوالمثل الأعلى فياحتمال الضغوط الجوية على سطوحه . فبينما لاتقاوم أحدث المراجل أكثر من ٢٠ الى ١٠٠ ضغط اذا لم يقل سمك جدارها عن ١/٢٠ منقطرها نجد أنفي بعض النباتاتماتقاوم خلاياها ماهو أزيد من ذلك بكثير . فقد يزيد الضغط داخل خلية البنجر عن ٢٠ ضغط جوى مع رقة غشائها الذى يبلغ ١/٢٠٠ من المليمتر (أى لا يكاد يبلغ ١/٥٠٠ من قطرها) . وقد اثبت العالم الألمانى بْفِفِرْ استاذ علم الحياة أن خلايا الطحلب تقاوم الى ١٦٠ ضغطا جويا . أليست هذه الارقام وحدها كافية لأن تحملنا على النظر بشك الى مايدعونه العصر الذهبي للآلات . ألم يحن بعد الوقت الذى يتمكن فيه عقل الانسان من السيطرة على جميع القواعد والقوانين التى ضمنتها المخلوقات لاستخدامها في عمرانه وحضارته الصناعية .

فاذا ماقامت حجة عند بعض المكابرين بأن العقل البشرى لم يك يوما مقيدا

بالقوانين الطبيعية بل انه ابتكر من الاشياء ماليس له شبيه بأى المملكتين النباتية أو الحيوانية مثل بركام الكهرباء أو الدراجة أو الآلة الكاتبة . فلا ينبغى أن يغيب عن ذهن هؤلاء المكابرين من أن السباحة في الماء وفي الهواء أوفق حلا لمشكلة الحركة من المحرك البخارى أو الكهربائى اللذين لن يستطيعا أن يسيطرا على القوة أو النشاط الكامن في الفحم الا بقدر جزئى بسيط وأن اليراعة وعيش الغراب المنير وأسماك الطبقات السفلى فى البحار تولد ضوءً بدون حرارة وأن الآلة الكاتبة أو الدراجة ليستا الا تحويرا لقواعد الروافع في جهازات الحركة في الحيوان .

الطرف والملح

قال بعض الشعراء :

وَلَمَّا أَبَتْ عيناى أن تكتُما البكا ... وان تحبسا سَحَّ الدموع السَّواكب
تثاءبتُ كى لايُنكِرَ الدمعَ مُنكرٌ ... ولكنْ قليلاً مَّا بقاء التثاؤب
أَعَرْضتُمانى [1] للهوى ونَمَمْتُما ... علىَّ لبئس الصاحبان لِصاحب

روى القالى أن هندَ بنتَ عُتْبَةَ قالت وهى تُرْقِص ابنَها مُعاويةَ رحمه الله :

آن بُنَىَّ مُعْرِقٌ [2] كريم ... مُحَبَّب فى أهله حليم
ليس بفحاش ولا لئيم ... ولا بطخْرور [3] ولا سئوم
صخر بنى فِهْرٍ به زعيم ... لايُخْلِفُ الظنَّ ولا يَخِيم [4]

قال بعض الشعراء

كم من فتى تُحْمَدُ أخلاقُه ... وتسكُنُ العافُون [5] فى ذمَّته
قد كَثَّر الحاجبُ أعداءه ... وأَحْقَدَ الناسَ على نعمته

---

(١) خطاب لعينيه (٢) أصيل فى الشرف (٣) الطخرور الذى لا جلد عنده ولا ثبات (٤) لا يجبن
(٥) السائلون المستعطون

مثال من عناية الألمان بتربية أولادهم

ترجمة صاحب التوقيع

العدل فى معاملة الأطفال

ان لم يكن للمرء الا طفل واحد كان العدل في حقه عبارة عن معاملته دائما معاملة متناسبة على أصول واحدة والوالدان الصالحان يتوقيان مايحول دون ذلك من الأغلاط الجسام ولكن هذه المسألة قد تتعلق في بعض الأحيان أيضا بأمور دقيقة رقيقة وقد كتب أب مرة في هذا الموضوع مايلى :

كم تجرى دموع الأطفال من جراء عدم العدل في معاملتهم أحيانا والأمور التي يبكون من أجلها تكون عادة من التوافه لانعيرها نحن الكبار في العادة أدنى اهتمام على أن ماليس بشيء في نظرنا قد يكون في نظر الطفل شيئا عظيما فاذا أردنا أن نكون عادلين في حقه وجب علينا قبل كل شيء أن نحاول النظر الى الأمور بعينه والحكم عليها بقلبه فالعدل في التربية لايكون من قبيل العدل المطلق دائما وانما هو عدل نسبي ولا يمكن أن يسمى عدلا فيها الا مايشعر الطفل في كل حالة على حيالها بأنه عدل .

يبين لك ما أعنيه بذلك حادثة وقعت لى مع بنتى الصغيرة وهى طفلة ذكية حسنة الخلق بفطرتها ومطيعة على الجملة غير أنها سليمة القلب الى درجة غير مألوفة وقد تزيد في قوة احساسها شيئا قليلا عما أحبه وانها ماضربت قط، وانما في السنتين الأوليين الى الثالثة مستها لطمات كان لابد منها وما سمعت منا أبدا كلاما عنيفا الى أن حصلت الحادثة التى أريد أن أقصها عليك لأنى جريت معها على مبدأ ألا ألومها ولا أنذرها دائما الا بهدوء وسكينة وأن أقنعها بالأسباب والحجج وأصلح حالها فنجحت في ذلك نجاحا مطردا — ففى مساء ذات يوم مذ كانت في نحو السادسة من

عمرها كانت في غاية الافراط في السرور والابتهاج حتى ساعة الانصراف الى النوم فكانت من لعبها في حالة تشبه الجنون بعد أن أُخذت الى سريرها فنصحتها أن تلزم السكينة غير أنها مالبثت بعد أن تركت غرفتها أن عادت الى لعبها الجنونى وصخبها فحاولت تسكينها مرة أخرى فذهبت محاولتى عبثا أيضا ولما أضطررت الى الذهاب الى غرفة نومها للمرة الثالثة زايلنى صبرى فوبختها توبيخا شديدا مؤلما فاندفعت الصغيرة تبكى بكاء مهيجا للقلب حتى صار جسمها الضئيل يرتجف منه ارتجافا . ولم يسبق لها قط أن بكت بهذه الشدة فسألتها وأنا في غاية الدهش عن سبب بكائها فكان جوابها بعد تردد طويل منها وهى تنتحب أن قالت لأنك عنفتنى هـذا التعنيف الشديد ووضح لى من جوابها أن العقاب الذى أصابها لم يكن بينه وبين الذنب في نظرها أى تناسب وأنها لذلك أحست بأنه غير عادل لأنها لم تكن الا مسرورة مبتهجة ومن أجل ذلك ماكانت تستحق في رأيها مثل هذا العقاب .

ومن ذلك الحين أجتنبت —وقد مضى على ذلك أكثر من أربع سنين— ارتكاب مثل هذا الجرم ولا أستطيع أن أذكر أن أبنتى عادت من ذلك العهد الى مثل هذا البكاء الذى وقع منها تلك الليلة .

تخالف الاخوة والأخوات فى الأخلاق والصفات

— مع اتحادهم فى التربية —

من المسائل التى جاء دور الكلام عنها في محاضرتى ضمن مسائل أخرى التخالف الكثير الذى يوجد بين الاخوة والأخوات والذى يتضح سببه من امكان تركب عوامل التوراث امكانا لاحد له . فما أكبر الفروق التى تكون في كثير من الأحيان بين الاخوة والأخوات . خذ لذلك مثلا : —

فمن ناحية قابلية نفوسهم وارادتهم للتأثر توجد بينهم فروق ذاتية ذات شأن كبير ، وهأنذا أسوق لك مثلا مبينا لهذا في المقارنة بين ولدين من أولادنا .

ذلك أن ابننا «غونتر» ربما كان أقوى أخوته من حيث قابلية نفسه للتأثر فاستعداده للتحمس عند لقائه لكل حسن خصوصا محاسن الخليقة لم يبلغ أقصى درجته في الحدة فقط بل كان فيه أيضا ثبات نادر بالنسبة لسنه الصغير ولكن قابليته للتأثر كانت تكون أقوى من ذلك أيضا اذا صادفته أمور مهيجة تنبو عنها نفسه ، فمن ذلك أن كل سفرلنا الى برلين لزيارة أقاربنا كان يحدث دائما في نفسه هزة مؤلمة فالوجوه الغريبة التى كان يراها في هذا السفر والأحوال المتغيرة والسرير الذى لاعهد له به وغياب لعبه عنه كل أولئك كان يخرجه عن توازنه النفسى فكان يبكى كثيرا ويفعل قبل نومه من الأفعال التى لاتليق مايدهش — وصار يميل الى العصيان أكثر من ذى قبل وكانت قابليته للتأثر هذه تظهر أيضا لأسباب منفردةوكان يبدو منه فوق ذلك عناد واستبداد ولكن كان يتلوهما من الندم والعطف المنبعثين من أعماق قلبه ماهو أبلغ مما كان يصدر من غيره من الأطفال وقد أدى رد الفعل الشديد في نوبة من نُوَب تأثره الى صدمة كان لها عاقبة باقية طويلة . ذلك أننا كنا في مصيفنا وفي ذات ليلة تركت الأولاد مربيتهم غير الوفية وحدهم بعد أن أغلقت عليهم باب الغرفة فسهد «غونتر» تلك الليلة سهدا ماكان متوقعا وكان عمره اذ ذاك سنتين وأربعة أشهر وطلب المربية ولما لم يجدها تأثر تأثرا شديدا فسمعنا صراخه ولكنا لم نستطع اسعافه فورا لأن الباب كان موصدا عليه فأضطررت الى كسر لوح من زجاج الشباك واقتحامه اليه وكان كل ذلك في الظلام وكانت هذه الحادثة سببا في اختلال توازن القوى النفسية للغلام زمنا طويلا حتى لقد صار مجرد الفكر في الذهاب الى النوم سواء أكان نهارا أم ليلا من بواعث الخوف عنده فاذا أضطجع في سريره انتابته حالات الصراخ الشديد فلا تزايله الا اذا بقيت أمه عنده حتى يغشاه النعاس وقد جربت معه الشدة مرة واحدة فساءت حالته ولم تتحسن الا بنقل سريره الى جانب سرير والدته وبقائه بجوارها وقد حصلت هذه الحادثة بتمامها «هلدة» أخته وهى أكبر منه بسنتين ونصف ولكنها لم تبد أثناء وقوعها خوفا ولا تخلف لها بعده عاقبة سيئة وليس هذا بالتأكيد راجعا الى أنها أكبر منه سنا فقط بل هو راجع أيضا الى قلة قابليتها للتأثر النفسى وأما «حواء»

فانها من طرز آخر بالكلية فكانت قابليتها للتأثر بالأمور المؤلمة في درجة منخفضة انخفاضا مدهشا وليس معنى هذا أن فيهامن عدم الاحساس العام لأنها من الناحية المبهجة للدنيا فيها احساس بالسرور والفرح فمزاجها صاف رائق فهى تضحك وتفرح لأدنى سبب كما هو مسطور في دفتر يوميتها من عهد أن كان عمرها سنتين ونصفا وكان يتكرر في الدفتر دائما ذكر ملاحظات شبيهة بهذه فيما بعد وكنا اذا سافرنا الى برلين لزيارة أقاربنا تشعر على العكس من « غونتر » أنها في بيتها وقد صيرها مزاجها المحبوب السنى حبيبه لجميع الاقارب وكان كل البيت مفتونا بها ولم تبك مرة واحدة تقريبا أثناء الاسابيع الأربعة التى قضيناها في «برلين».

هذه البنت المرحة الشبيهة في مرحها بالفراشة البيضاء كانت تستهين أيضا بكل ماقد يسبب لغيرها من الأطفال ألما شديدا فمن ذلك مثلا الزيارات المتكررة التى كانت تذهب فيها الى طبيب الأسنان فانها كانت في انتظار هذا الطبيب تكون في أتم السرور والابتهاج وكان عمرها اذ ذاك أربع سنين ونصفا وكانت تجعل الزيارة لنفسها في أعلى درجة من اللذة فكانت تجلس على كرسى العلاج ضاحكة وتبعث فينا جميعا أشعة بهجتها وتفتح فمها الصغير لتدع العدة تدخل فيه كأنها قطعة من الحلوى البنيّة اللون (الشكولاده) وتسمح للطبيب بحشو عدة من أسنانها دون أن يهتز لها هدب. فاما اذا شرع أبواها في استصحاب أخويها الاكبرين للتنزه أو زيارة المتحف فانها لاتلبث أن تتكدر بل ربما بكت أيضا ولكن ماهى الا اشارة منهما لها بأنها لاتزال صغيرة جدا ودعوتهما لها الى نوع من اللعب لذيذ حتى ترضى بقسمتها تمام الرضى وأما «غونتر» فكان يشعر دائما في مثل هذه الأحوال بأنه في غاية من نكد الحظ.

هذا الاستخفاف من الأطفال بالأمور في الحالات المذكورة وان كان سارا فقد يتأتى في أحوال أخرى أن يكون ناشئا من عدم التأثر فقد رأى الأطفال ذات مرة وهم في المصيف دودة من دود الفراش كان وضع فيها زنبور بيضه ثم أبصروا الديدان الصغيرة تخرج منها بالمئات وهى لاتزال على قيد الحياة فكان هذا المشهد

بالنسبة لنا نحن الكبار كما كان في نظر «هلدة» التى كانت في منتصف الحادية عشرة من عمرها مؤثرا تأثيرا يقشعر منه البدن ووجده «غونتر» أيضا رائعا على أنه قد غلبه حب الاستطلاع فأخذ يرقب الحادثة بمنظاره المكبر وأما «حواء» (وكان عمرها اذ ذاك خمس سنين وثلاثة أرباع سنة) فقد بقيت في معزل عنها غير آبهة لها وانما كانت تنظر اليها تقليدا لغيرها بل كانت تتكلم معهم أيضا بشأنها قائلة أنها رائعة ولكننا لم نكن نشعر مطلقا بأنها كانت تشاركنا في التأثر بهذه الحادثة *

أكاذيب الأطفال

ليس كل قول للطفل مخالف للواقع يعتبر كذبا بل لايمكن أن يعتبر كذبا الا ماكان مقترنا بعلم مخالفته للواقع وبقصد غش الغير — فاذا استعمل هذا المعيار في تقدير أقوال الأطفال نتج منه أن كثيرا من أقوالهم المخالفة للواقع التى تسبب في كثير من الأحيان لوالديهم شغلا شاغلا ليست على الجملة من قبيل الكذب مطلقا لخلوها من خاصيته وهما العلم بعدم صحة القول والقصد الى الغش فيه .

كيف يتأنى أن يصدر من الأطفال مثل هذه الأقوال المخالفة للواقع بلا قصد ؟

لابد أن تعد من هذه الأقوال أولا الطائفة الكبرى من أوهام الذاكرة التى يعتبرها الوالدون غير المجربين — ويؤسفنا أنهم لايزالون مفرطين في كثرتهم — أكاذيب حقيقية ويعاملونها على مقتضى هذا الاعتبار .

كثير من أوهام الذاكرة خصوصا عند الأطفال مبنى على نقص العلم بزمن الحوادث فان الطفل في السنين الأولى من حياته لايكون قد بلغ بعدُ أهلية ارجاع أية حادثة وقعت بالفعل الى وقت وقوعها من الماضى بالضبط فان الأطفال في هذه السنين لايزالون يعوزهم ادراك أى معنى للوقت فهم لايستطيعون بعد اذا وقع لهم

* منقوله من كتاب « الاحوال النفسية للطفولية الاولى » لمؤلفه ف اشترن المطبوع فى لايبزيج فى سنة ١٩١٤ كويلة ومايد انظر صحيفة ٢٨٣ الى ٢٨٤

أمر من الأمور أن يميزوا ان كان وقع أمس أو كان قد وقع قبل ذلك بأسابيع فأما اذا بدا النظام والوضوح في ذاكرة الطفل فقد يكون ذلك أمارة على نضوج عقلى فيه وينشأ من عدم العلم بالوقت هذا بالضرورة أقوال مخالفة للواقع لاحصر لها .

وليست أوهام الذاكرة في الأطفال مبنية على نقص العلم بالوقت فقط بل تنشأ أيضا من أن كثيرا من الحوادث لاتنطبع في نفوسهم الا انطباعا ناقصا ويرجع معظم هذا الى نقص الملاحظة في الطفل .

فمن لوازم الأطفال أن يكون فيهم الى مايقارب السنة العاشرة من عمرهم نوع من الخفة والطيش فما تتلقاه نفوسهم في مثل هـذا الطور غير المطمئن من حياتهم لايرسخ فيها بالضرورة ولا يعقب أية صورة مستبينة له مالم تكن الحادثة والذكرى المتعلقة بها سارتين سرورا واضحا على وجه خاص ، غير أن معظم آثار الحوادث التى تكون من نوع لايؤبه له لاتعقب في نفس الطفل آثارا بليغة ومن ذلك يصدر كثير من الأقوال المخالفة للواقع عن غير قصد سيىء حتى ممن صاروا كبارا من الأطفال وتتوارد أمثلة وافرة العدد لمثل هذه الأقوال المخالفة للواقع بلا قصد في حياة الأطفال المدرسية حتى الكبار منهم فمن ذلك ماحكاه مرةالاستاذ «والتركلوجه» الحائز للقب مستشار المعلم بأحدى المدارس المركزية في محاضرة له قال : ان غلاما في الثامنة من عمره من تلاميذ فصله أخبره يوما أثناء الدرس وهو متأثر جدا أن مقلمته سرقت وأنها كانت لاتزال موجودة عنده الى ماقبل الدرس حتى لقد أخذ منها قلم رصاص وزعم ستة من الاولاد الجالسين على مقربة منه زعما مؤكدا قويا أن هذا الأمر قد حصل ، فأرسل الغلام الى بيته ليبحث فيه أولا فربما كان قد نسى المقلمة هناك فصح الظن ووجدت فيالبيت بسلام فوق خزانة المطبخ، وقد يوجد مثل أوهام الذاكرة الظاهرة هذه أيضا حتى عند البالغين الرابعة عشرة من عمرهم فقد ورد في «مجلة المعلمين اللايبزيجية» في مجموعتها السابعة عشرة بالصحيفة ٣٧١ ذكر للحالة التالية وهى : أنه قد استقر النظام في مدرستنا على أن يسلم جزء من أدوات التعليم لبعض فتيات موثوق بهن من الفصل الأول فى هذه الأيام أشتكت احدى التلميذات

(وهى الثانية عشرة من سبع وأربعين) أنها فقدت محفظة كتبها في الصباح من مخزن الأدوات ولما سألتها هل هى متيقنة من أحضارها معها كان جوابها بالايجاب مؤكدة مصرة على قولها بل قالت أيضا لو أن أمها كانت رأت المحفظة في البيت لكانت بلا شك أحضرتها الى المدرسة وعلى ذلك سألت البنات الباقيات هل في استطاعتهن أن يؤكدن أن التلميذة المذكورة كانت أحضرت معها المحفظة فبرزت لى اثنتان منهن فسألتهما هل رأيتما يقينا المحفظة في بكرة اليوم مع هذه التلميذة فقالتا نعم فقلت لهما أنتما تعلمان أن الشهود يجب عليهم أحيانا أن يحلفوا أمام المحكمة فهل تستطيعان تأدية اليمين على أن المحفظة كانت معها لما قابلتماها صباح اليوم فترددت أحداهما وقالت الأخرى في ثبات وكانت أذكى منها نعم وبعد انقضاء فترة الاستراحة قيل لى أن أولادا آخرين رأوا المحفظة أيضا في يد التلميذة . ولما كان اليوم التالى جاءت الفتاة تحمل محفظة كتبها كعادتها وقالت أنها كانت نسيتها في البيت .

فمعظم أوهام الذاكرة هذه تتعلق كما قلنا آنفا بنقص الملاحظة الناشىء من نقص التعلم والتجربة وانما الذى يصير كسبا لنفس الانسان حقيقة ويكون من عملها الخاص هو الذى تتلقاه عن بينة وفي حالة تجمع الفكر فهذا هو الذى يرسخ في الذاكرة رسوخا قويا جليا وفي هذه الحالة وحدها يصح له أن يقول أقوالا غير أنه قلما يكون في الكبار أنفسهم من يستطيعون ملاحظة الأمور ملاحظة صحيحة بفكر مجتمع ولا يقولون الا مايكونون على يقين تام بصحته فكم يكون الأطفال أقل منهم في ذلك. كثير من الناس لايعرفون مطلقا كيف أننا معاشر الآدميين نخطىء في ملاحظتنا للأمور وندعى حصولها بلا روية خصوصا اذا حملنا على ذلك بتوجيه أسئلة موضوعة وضعا خاصا وهى المسماة بالاسئلة المشعرة بالجواب وقد أجريت تجارب متكررة في ذلك العهد الحديث من علماء أحوال النفس على الأطفال والبالغين فأفضى معظمها الى حوادث مدهشة . خذ لك منها على الأقل مثلا واحدا :— كتب المعلم البرسلوى «قوزوق» في مقال له طويل في الصدق والكذب عند أولاد المدرسة نشر في مجلة المدرسة الألمانية سنة ١٩٠٧ من صحيفة ٦٥ الى صحيفة ٧٨ ضمن موضوعات أخرى

تكلم فيه عن التجربة الأولى التى دبرها مرة في فصله فقال : وضعت يوما قبل البدء في الدرس ثلاثة أشياء هى قلم ومبراة وقطعة من الطباشير على حافة مكتب المعلم بدرجة من القرب يستطيع فيها جميع التلاميذ أن يروها رؤية مستبينة وبعد أن خرجوا الى فناء المدرسة في فترة الاستراحة نحيت هذه الاشياء عن مواضعها لأسألهم قبل البدء في الدرس الثانى عما عسى أن يكونوا رأوه فوق المكتب أثناء الدرس الأول فمع أنهم لم يكونوا مشغولين في هذا الدرس لابقراءة ولا بكتابة بل كانت أبصارهم دائما متجهة الى المكتب قد غابت هذه الاشياء عن ملاحظتهم غيابا تاما غير أن اثنين منهم دون غيرهما وهما من أضعفهم فطنة قالا انهما كانا لاحظا وجود المبراة وفي اليوم التالى جربت تأثير الاشعار بالجواب في السؤال بأن جعلت المكتب أثناء الدرس الأول خاليا من كل شيء والقيت عند بدء الدرس الثانى على التلاميذ نفس السؤال الذى القيته في اليوم الماضى فأجاب عنه ٢٦ ./. منهم بأنهم رأوا المبراة و٥٧ ./. بأنهم رأوا الطباشير و٦٣ ./. بأنهم رأوا القلم فليتصور ماعسى أن ينجم من الضرر للغير ممن تنقصهم الملاحظة الى هذا الحد فيتكلمون كلاما غير مطابق للواقع بهذا القدر (بدون أى قصد سيىء منهم) اذا اقتضى الحال استشهادهم أمام المحكمة وسألتهم شهودا في قضية مهمة .

فالتربية على الصدق في الملاحظة والصدق في القول هى من الأمور التى كان ينبغى حتى على معظم الكبار أن يعنوا بها فيجب علينا قبل كل شيء أن نرشد أولادنا الى أن يأخذوا أنفسهم بالمران عليهما فالتجارب التى من قبيل التجربة السالف ذكرها من شأنها مثلا اقناع الطفل بضرورة مثل هذا المران واذا كان في المربى شيء من الحذق فلا يبعد عليه أن يبرزه في صورة من صور اللعب .

وثمت ينبوع آخر لكثير من أغاليط الذاكرة وهو عالم الأحلام فقد يحصل عند الكبار أنفسهم أحيانا أن حوادث شديدة الجلاء والظهور لم تكن حصلت لهم الا حلما وتكون قد أنطبعت صورها في ذاكرتهم أنطباعا شديدا يعتبرونها فيما بعد حوادث واقعية حتى أنهم في مثل هذه الأوقات لو أرادوا أن يحكموا عليها حكما يقينيا هل

هى صورة ناشئة من أمر واقع أو أنها لم تنشأ الا في حلم لما استطاعوا أحيانا الى ذلك سبيلا . فقد حكى لى أحد معارفي مرة الحادثة التالية التى وقعت لزوجته قال : حلمت زوجتى أنى أعطيتها ٢٥٠ ماركا وأنها وضعتها في المحفظة التى كان من عادتها أن تحفظ النقود فيها وفي اليوم التالى زارهاضيوف فى أثناء حديثها معهم رأت المحفظة المذكورة موضوعة على المعزف (البيانو) فقالت في نفسها ياله من طيش عسى أن تكون النقود باقية فيها الى الآن وخطت خلسة الى المعزف وفتحت المحفظة فلم تجد فيها (طبعا) المائتين والخمسين ماركا المتحدث عنها فانتابها من جراء ذلك أشد الرعب ولم يتجل لها الأمر الا رويدا فذكرت أن قصة النقود لم تكن الا حلما .

فمثل هذه الأحوال التى تكون فيها الحدود بين الحلم والواقع غير مستبينة تكون عند الأطفال بالضرورة أكثر من ذلك بكثير وتولد (بغير ارادة منهم مطلقا) من أقاصيص الكذب مالا يصدر الا عن جنون ودونك مثلا لذلك مؤثرا بوجه خاص روته لى مرّة أم عن بنتها التى في الرابعة من عمرها قالت : في بكرة يوم عانقتنى طفلتى ودموعها تسيل على خديها وكانت لاتزال في درع نومها وأبتدرتنى بهذا الاعتراف قائلة : أماه انى كسرت طستك الكبير المزخرف بالجدائل الوردية كسرته كله بالاختصار فضحكت وقلت لها حسبك أيتها المرائية الصغيرة لأنى في هذا الوقت نفسه اغتسلت في هذا الطست ولكنها رغما من ذلك أصرت على زعمها وهى تنتحب من ألم الندامة ، عندئذ انطلقت بها الى غرفة النوم وأريتها الطست سليما فلم تكن نتيجة ذلك الا بلوغ تأثرها غايتـه واستمرارها في الانتخاب وقولها انى مع ذلك كسرته وبعد قليل قصت على أيضا قصة كلها مصطادة من الهواء وكان ذلك في بكرة اليوم أيضا فعاقبتها هذه المرة على كذبتها بعدم الاذن لها في التنزه معى فلما سمعت العقاب حدقت فىّ بعينين عنيدتين وقالت ولكن مع ذلك قولى صحيح ولم تجد الأم حلا مطمئنا لهذا اللغز الا فيما بعد اذ أصيبت البنت بحمى خفيفة وكانت تتكلم في حلمها كما يتكلم اليقظان .

فماذا ينبغى على المربى أن يعمله في مثل هذه الأحوال — يجب عليه قبل كل شيء أن يتحامى عقاب الأولاد بل عليه أن يعينهم على أن يعرفوا رويدا كيف يميزون بين الحلم والواقع . عبد العزيز محمد

الجراثيم تنكمش حتى لا ترى

يقول الدكتور فليب هادلى بمدرسة الطب بجامعة **متشيجان** ان تحليل الجراثيم قد أصبح أكثر صعوبة الآن عما كان عليه من قبل فالجرثومة العادية صغيرة جدا اذا بلغت تمام نموها حتى أنه يمكن للألف منها أن تثب على رأس دبوس بدون أن تعترض واحدة طريق الأخرى . وقد أثبت الدكتور هادلى أن الجراثيم فى بعض أدوار حياتها تكون متناهية فى الصغر حتى أنه يتعذر تبينها بأقوى مجهر وقد تمكن من تحويل بعض الجراثيم الى أجسام دقيقة جدا لا ترى بلغ من دقتها أنها تستطيع أن تقحم نفسها فى مسام شمعة المرشح الخزفى وبعد أدوار خاصة تعود الى حجمها الطبعى .

وتقول الدوائر العليمة أن هذه الأستكشافات سيكون لها شأن خطير فى عالم الطب فاذا كان من الممكن للجراثيم أن تنتقل خفية فى نصف حجمها الطبعى حتى لا يمكن تبينها بالمجهر فليس هناك وسيلة من وسائل الكشف الطبى الحالية لكشفها فى سائل أو جسم مصاب . كذلك ليس هناك سبيل لمعرفة ما اذا كانت هذه الجراثيم تتراءى فى صورة الميتة أو هى ميتة حقا . وإن مثل هذا الإبهام مما يجعل التشخيص الطبى الدقيق من الصعوبة بمكان كبير .

نقد

ورد من حضرة الاستاذ صاحب التوقيع ما يأتى —:

عثرت على جملة بها كلمة محرفة عند قراءتى فى الجزء الرابع من المجلة ، وهذه الكلمة توجد تحت عنوان الطرف والملح ص ٢٦٧ وها هى الكلمة فى العبارة الآتية .

« فقالت الأرنب يا أبا حِسْل قال سميعا دعوت قالت أتيناك لنختصم اليك قال عادلا حكيما » هنا وقفت على كلمة حكيما وتأملت معناها جيدا فوجدته لا يتفق والامثال المضروبة فجزمت بتحريفها ثم عدت إلى صحيفة صواب الخطأ فلم أجدها بها ففكرت مليا ولما تيقنت بتحريفها مرة ثانية علمت بانها سهوة من الكاتب وتحريف مطبعى صحته هذا —:

« قال عادلا حكّمتما » أليس كذلك ؟

وأيضا توجد فى صفحة ٢٧٤ من هذا الجزء نفسه توجد هذه العبارة (فيمن شكر معروفه) وصحتها (فيمن شكر معروفك)

أرجو الافادة فى الجزء الخامس والله الموفق ؟ محمد كيلانى سالم

مدرس بطنطا

الجواب

جاءت العبارة (عادلا حكيما) فى الجزء الرابع تحت عنوان (الطرف والملح) فكتب حضرة الفاضل الى ادارة المجلة يجزم بانها محرفة وصوابها (عادلا حكّمتما) بتشديد الكاف .

ونحن نرى أن الأنسب والأكثر فى رواية هذه العبارة هو كلمة (حكّمتما) بالكاف المشددة ولكن لا نستطيع الجزم بتحريف العبارة التى وردت فى المجلة وهى التى رأيتها للكمال الدميرى فى ترجمة الأرنب .

أما العبارة الثانية الواردة فى ص ٢٧٤ من الجزء الرابع نفسه وهى (فيمن شكر معروفه) فلو رجع حضرة الفاضل الى سياق الحديث لجزم بصحتها كما وردت دون توقف والتوفيق بيد الله .

حسن منصور — وكيل دار العلوم

العدد السادس — المجلد الاول | جمادى الثانية سنة ١٣٤٩

قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم *

نور الإسلام

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها مشيخة الأزهر الشريف

أول كل شهر عربي

مدير ادارة المجلة :  المستشار بمحكمة الاستئناف سابقاً ومن أعضاء مجلس الازهر الأعلى

رئيس التحرير : السيد محمد الخضر حسين من علماء الازهر

مكتب المجلة بالادارة العامة للمعاهد الدينية بشارع الدواوين رقم ٤٧

« تليفون : بستان ٣٥٠٧ »

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

قيمة الاشتراك السنوى		ص
	داخل القطر المصرى	٤٠
	للعلماء غير المدرسين وطلبة المعاهد والمدارس	٢٠
	خارج القطر المصرى	٥٠
	لطلبة المعاهد والمدارس	٣٠

يعامل أئمة المساجد والمأذونون ومعلمو المدارس الأولية معاملة الطلاب

وثمن الجزء الواحد ٣ صاغ داخل القطر و ٤ خارجه

بسم الله الرحمن الرحيم

صدق العزيمة ـ أو قوة الارادة

يخطر في النفس أمر فتثق بأنه حق أو نافع ، فتحرص على حصوله ، فاذا اضافت الى هذا الحرص النظر في وسيلة بلوغها اياه ،وبدالها أنه في حدود استطاعتها ، فسرعان ماتقبل عليه وتبذل سعيها للوصول اليه ، وذلك مانسميه بالعزم او الارادة .

فما يخطر في النفس مما تعتقد حقيته او نفعه ، وتود أن يكون حاصلا لديها ثم لاتسعى له سعيه ، ولا تضع لبلوغه خطة ، فانما هو التمنى الذى لايفرق بين المحال والمستطاع ، والذى يخطر فيفوس القاعدين كما يخطر في نفوس المجاهدين ، وما مثله الا كمثل الشرر الذى يلمع حول النار ثم يتصاعد هباء .

واذا تحدثنا في هذا المقال عن قوة الارادة وذهبنا في حديثها مذهب خصال الحمد ، فانا نعنى الارادة المتوجهة الى ماهو خير ، ومن أفضل مايمدح به الرجل أن يتوجه بعزمه القاطع الى اظهار حق او اقامة مصلحة .

تنشأ قوة الارادة من التجارب ، فمن تعلق همه بأمر كان قد عرف بطريق التجربة أنه ميسور وأن عاقبته سلامة ونجاح ، انقلب همه في الحال عزما صادقا ، أما من لم تسبق له تجربة فقد يتخيل الامر بمكان لاتناله يده ، او يخشى من أن يلاقى وراء السعى اليه خيبة ، فيقف في تردد واحجام ، فذو العمر الطويل من أولى الالباب قد يكون أسرع الى بعض الامور وأشد عزما عليها من حديث السن ، لما تفيده التجارب من امكانها ونجاح السعى لها .

وتنشأ قوة الارادة من درس التاريخ ، فالذى يخطر في باله أمر قرأ في سيرة شخص أنه كان قد هم بمثله وعمل لحصوله فنجح عمله وصلحت عاقبته ، شأنه أن

يعزم على ذلك الخاطر ويجعله بعد العزم عملا نافذا ، فمن يخطر في باله ان يدعو الحاكم الجائر بالموعظة الحسنة ، وقد قرأ سير العلماء الذين كانوا يأمرون بعض الجبارين بالمعروف فيأتمرون ، او يكظمون في الأقل غيظهم ولا يبطشون ، يكون أقوى عزما على الدعوة ممن لم يقرأ في هذا الشأن خبرا ، لما عرفه من أن للحق الذى يخرج في أسلوبه الحكيم سطوة على النفوس وان كانت طاغية ، فيقدم على وعظه في رفق وحسن خطاب ، فان لم يهده سبيل الرشد قضى حق النصيحة له ، وما على الذين أوتوا الحكمة الا البلاغ .

وتنشأ قوة الارادة من أدلة خاصة تجعل الرجل على يقين من نجاح العمل وحسن العاقبة ، واعتبروا في هذا بتصميم أبى بكر الصديق رضى الله عنه على قتال أهل الردة ومانعى الزكاة ، فانه كان عالما بأنه على حق من قتالهم ، وكان على ثقة من أنه سينتصر بفئته القليلة على جموعهم الكثيرة ، ومما دله على أنه الظافر وأن المرتدين عن الدين لا يفلحون قوله تعالى (هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) ولو تقاعد أبو بكر عن جهاد تلك القبائل وخلى الردة تتفشى فى جزيرة العرب وباء فاتكا لانفصمت عرى الوحدة العربية الاسلامية ولم يستقم أمر تلك الفتوح التى كانت عاقبتها ظهور دين الحق على سائر الاديان .

وتنشأ قوة الارادة من كمال بعض السجايا الاخرى وبلوغها غاية قصوى ، كسجية اباء الضيم تهز الضعيف وتثير في نفسه العزم على أن يدافع القوى عن حقوقه مااستطاع دفاعه ، وكذلك خلق الشجاعة يجعل الرجل أمضى عزما وأسبق الى الحروب من الجبان الذى يتمثل له الموت في كل سبيل .

ومما يساعد الرجل على صدق العزيمة خلق التعفف وشرف الهمة ، فلتجدن أنزه القوم نفسا وأبعدهم عن الطمع وجهة ، أشدهم عزما على أن يقول حقا أو يعمل صالحا وان لم يرض عن قوله الحق او عمله الصالح ذو مال او سلطان .

تتفاوت الارادة في القوة ، وتفاوتها على قدر قوة شعور الرجل بما للشيء من حقية أو نفع ، وعلى قدر ثقته من تيسره وامكان حصوله ، فالذى أتقن علما فأحاط باصوله وغاص على أسراره يكون عزمه في الدعاية الى الأعمال المرتبطة به أقوى من عزم ذلك الذى وقف في دراسته عند حد لايجعله من أعلامه . والرئيس العادل يكون أقوى عزما على حرب اعدائه من الرئيس الجائر ، لأن العادل يثق من قومه بحسن الطاعة أكثر مما يثق الجائر ، ومن ظفر من قومه بحسن الطاعة فقد ظفر بأكبر أسباب الفوز والانتصار .

نقرأ في التاريخ أن المنصور بن أبي عامر الذى جذب عنان الملك من يد هشام ابن الحكم في قرطبة قد غزا ستا وخمسين غزوة دون أن تنتكس له راية أو يتخاذل له جيش ، أو يصاب له بعث ، او تهلك له سرية ، ومن درس سيرته لم يعجب لهذا الانتصار المطرد ، اذ يجد فيها عدلا ومساواة يأخذان النفوس الى أن تلقى اليه بالمودة والامتثال ، ومن الأخبار الشاهدة بما وصفنا أن رجلا من العامة وقف بمجلسه وقال له: ان لى مظلمة عند ذلك الوصيف الذى على رأسك، وأشار الى الفتى صاحب الدرقة[1] وكان للفتى فضل محل عنده ، فقال المنصور : ما أعظم بليتنا بهذه الحاشية ، ثم نظر الى الفتى وقال له : ادفع الدرقة الى فلان وانزل صاغرا وساو خصمك في مقامه حتى يرفعك الحق أو يضعك ، ثم قال لصاحب شرطته الخاص به : خذ بيد هذا الفاسق الظالم وقدمه مع خصمه الى صاحب المظالم لينفذ عليه حكمه بأغلظ مايوجبه الحق من سجن أو غيره ، وبعد أن جازاه القضاء بما يستحق أبعده المنصور عن خدمته ، وصاحب مثل هذه السيرة حقيق بأن يكون له متى هم بالحرب عزم لايختلج بتردد

فمن وضع أمامه غاية شريفة ورام من قومه العمل لها بعزم لايخالطه فتور ، فما عليه الا أن يريهم بالاسلوب السائغ والدليل المقنع وجه شرف تلك الغاية ، ثم يصف لهم طريقها الناجح ، فلا يكون منهم الا أن يتسابقوا اليها ويقتحموا كل عقبة تلاقيهم في سبيلها .

---

(١) الدرقة : الترس

فاذا رأيت قوما يذكرون في صباحهم ومسائهم شيأ من معالى الأمور ولم ترهم يسعون له سعيه ولا يتقدمون اليه بخطوة فاعلم أن العزم لم يأخذ من قلوبهم مأخذه ، فهم اما أن يكونوا عن حقيقته وشرف غايته غائبين واما انهم ضلوا طريقه وما كانوا مهتدين .

واذا ذكرنا العزم النافذ في خصال الشرف فانما نريد الاقدام على الأمر بعد استبانة عاقبته ولو على وجه الظن الغالب ، وذلك مايعنيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه في قوله « ولكن الحرب لا يصلحها الا الرجل المكّيث » والمكيث من لا يخفف الى الهجوم الا بعد روية وتدبير .

ولا يعد في قلة العزم أن يستبين الرجل الحق أو المصلحة ويقف دون عزمه مانع، كأن يعلم أن عقول الجمهور لاتتسع لقبوله ويخشى الفتنة فيرجئه ريثما يمهد له بما يجعله مقبولا سائغا ، قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر يا أبت مالك لاتنفذ الأمور ؟ فوالله لا أبالى في الحق لو غلت بى وبك القدور ، فقال له عمر : لاتعجل يابنى ان الله تعالى ذم الخمر مرتين وحرمها في الثالثة ، وانى أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة فيدفعوه وتكون فتنة .

ولا يعد في قلة العزم أن يرى الرجل رأيا ويعقد النية على انفاذه ثم يبدوا له على طريق الحجة أنه غير صالح فينصرف عنه ، وقوى العزيمة هو الذى تكون ارادته تحت سلطان عقله ، فيقبل بها على مايراه صوابا ، ويدبر بها عما يراه فسادا .

واذا قال الشاعر مادحا .

إذا همّ القى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا

فانما يريد الهمّ الناشىء عن رجاحة رأى ، وقويُّ العزم متى بصر بالامر ووثق بأنه سداد قطع نظره عن العواقب ونهض له في قوة ، أما ضعيف العزم فانه يترك نفسه مجالا للخواطر وذكر العواقب ، هذه تغريه على العمل ، وهذه تصده عنه حتى تفوت الفرصة ويذهب وقت العمل ضائعا .

ومن صرامة العزم أن تفرغ فؤادك من كل داعية شأنها أن تلحق بعزمك وهنا أو تصرف وجهك عنه صفحاً ، وتتمثل هـذه الصرامة في عبد الرحمن الداخـل (صقر قريش [1]) اذ خرج من البحر أول قدومه على الاندلس وأهديت له جارية بارعة الجمال ، فنظر اليها وقال : ان هذه من القلب والعين بمكان ، وان أنا شغلت عنها بما أهم به ظلمتها ، وان أنا اشتغلت بها عما أهم به ظلمت همتي ، فلا حاجة لى بها الآن ، وردها على صاحبها .

وكثيرا مايجيء التردد في الامر من ناحية الشهوات والعواطف ، كالذى يثق بمافي طلب العلم من خير وشرف ويقعده عنه حب الراحة وايثار ماتنزع اليه النفس من اللذات الحاضرة ، والذى يقول

اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة ... فان فساد الرأى أن يترددا

انما ينبه على التردد الناشيء عن نحو الشهوات والعواطف ، فذلك هو التردد المفسد للرأى والموقع في خسر .

لقوة الارادة أثر في انقـلاب حال الافراد والجماعات عظيم ، فكم من فتى يساويه في نباهـة الذهن وسائر وسائل السؤدد فتيان كثيرون ، ولكنه يجد من قوة الارادة مالا يجدون ، فيكون له شأن غير شأنهم ، ويبلغ في المحامد شأوا أبعد من شأوهم ، ولو نظرت الى كثير ممن ظهروا أكثر مما ظهر غيرهم ، وأقمت موازنة بينهم وبين كثير من لداتهم لم تجد في اولئك الظاهرين مزية يرجح بها وزنهم غير انهم يهمون بالامر فيعملون .

واذا جعلت تتقصى أثر دولة الموحدين التى وضعت قدمها في فاس وبسطت اجنحتها على الأندلس والجزائر وتونس ، وجدت أقصى هذه الدولة همة طفحت بها نفس محمد بن تومرت بعد انصرافه عن مجالس أبي حامد الغزالى وأبي بكر الطرطوشي وغيرهما عائدا الى بلده بالمغرب الأقصى .

---

(١) قال أبو جعفر المنصور لاصحابه يوما : اخبرونى عن صقر قريش ، فذكروا له طائفة من الخلفاء وهو يقول (لا) فقالوا : من يا أمير المؤمنين فقال : عبد الرحمن بن معاوية الذى عبر البحر وقطع القفر ودخل بلدا أعجميا مفردا فمصر الأمصار وجند الأجناد ودوّن الدواوين وأقام ملكا بعد انقطاعه ، لحسن تدبيره وشدة شكيمته .

وكم من أمة أو دولة لم ينقذها ممن يبتغي بهـا سوءً سوى قوة الارادة ، وقد يكون فيما صنع هرون الرشيد بالبرامكة غلو في الانتقام وسرف في القتل ، ولكن تنقية مناصب الدولة منهم لم تكن الا بنت اليقظة والارادة التى لا يأخذها التردد في قطع المكر السيء من جذوره ، واذا صح ما يصفهم به بعض أهل [1] العلم من أنهم كانوا يكيدون للاسلام كيد الباطنية ، كان لهرون الرشيد موقف خير من موقف المنتقم لملكه او ملك أسرته من بعده .

فاذا كان صدق العزيمة من أفضل خصال الشرف وأجلها في الاصلاح أثرا ، فجدير باساتيذ التربية ان يعطوه من عنايتهم نصيبا وافرا ، وحقيق بالرجال القوامين على الشؤون العامة ان يأخذوا به انفسهم ، ويقيموه شاهدا على كفايتهم ، فان ما بيننا وبين المدنية الفاضلة والحياة الآمنة مسافة طويلة المدى ، صعبة المرتقى ، اذا لم نقطعها بالعزم الصارم والعمل المتواصل ظلمنا أنفسنا ، ولم نقض حق الأجيال بعدنا ، فمن واجبهم علينا أن نبني لهم صروحا من العز شامخة ، فان لم نستطع هيئنا لهم أسسا ليرفعوا عليها قواعد الشرف والمنعـة ، فاذا هم أحرار في أوطانهم حقـا ، مكرمون لنزلائهم طوعا.

ومـا اقترن العزم الصحيح بأدب التوكل على من بيده ملكوت كل شيء الا كانت عاقبته نجاحا ورشدا (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ).

محمد الخضر حسين

---

(١) هذا ما قرره القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب القواصم والعواصم



تفسير قصة شعيب عليه السلام

٦

بسم الله الرحمن الرحيم

قد عرفتَ مما قدمناه فى العدد الخامس أن قول أهل مدينَ لرسولهم عليه السلام (يَاشُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِى أَمْوالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) قد تضمن ثلاث مقالات شنيعة ، فالمقالة الأولى قولُهم (أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءابَاؤُنَا) والمقالة الثانية قولُهم (أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِى أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ) والمقالة الثالثة قولهم (إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) .

فأما المقالةُ الأولى فقد مضى الكلامُ فيها مفصَّلا ، واما المقالةُ الثانية فانها جوابُ سوءٍ عن أمره عليه السلام لهم بايفاء الحقوق ونَهْيِهم عن النقص والبخس ، وهى كسابقتها قد دلت على ركاكة عقولهم وفساد متأصِّل فى نفوسهم ، فانهم كما فرَّطوا فى حق الله تعالى عليهم باشراكهم غيرَه معه فى العبادة كذلك فرَّطوا فى حقوق الخلق واستهانوا بها واستحلّوا أكلَها بالباطل وسوَّغوا لانفسهم تطفيفَ المكيال والميزان وبخسَ الناس اشياءهم .

أَمَرَهم عليه السلام أمرا تلقاه عن وحى الله عز وجل مؤيَّدا له بالبرهان القاطع ، فكان من عنادهم وعتوِّهم أن اتَّهموه عليه السلام بان صلاتَه التى يعتقدون بطلانَها هى التى تأمره بذلك وتزيّنه له ، يريدون أنه ليس صادرا عن الله تعالى وليس من وحيه سبحانه فى شىء .

هذا هو مرادهم بقولهم (أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِى أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ) . أى أصلاتُك الفاسدةُ التى تتقرّبُ بها الى غير آلهتنا تُخَيِّلُ اليك وتوسوس لك أَنْ نترك فعلَنا فى أموالنا وأَنْ نَعدِلَ عن تصرفنا فيها على حَسَبِ مشيئتنا وعلى طبْق اختيارنا وأَنْ نَهْجُرَ ذلك الى ما تأمُرك به صلاتُك ؟ تريد بذلك الحجرَ علينا فيما نَملكُ والتضييقَ علينا فيما لنا فيه السَّعةُ والحرية المطلَقةُ ، لكننا لن نستجيبَ لك ، بل إنْ رَأَيْنا مصلحتَنا فى الإيفاء أوفَيْنا وإن رَأَيناها فى غيره عَمِلْنا لها ، فغايتُنا مصلحتُنا التى نراها ، وهى تبرّرُ الوسيلةَ ايًّا كانت وإن زيّنَتْ لك صلاتك ما زيَّنتْ .

هكذا زَعَمَ أهلُ مدين ، وقد جهِلوا أو تجاهلوا ما يترتب على سوء أفعالهم هذه من أنواع الضرر وصنوف المفاسد وانتشار الفوضى والارتباك فى المعاملات وزوال الأمانة واستحكام الخيانة وضَياع الحقوق الى غير ذلك من ضروب الفساد واختلال نظام هذه الحياة .

لقد اخطأ أهلُ مدينَ اذ زعموا أَنّ مِلْكَ المال يُخوِّلُ لمالكه أن يتصرف فيه كيفما شاء، بل إنّ المِلك انما يُسوِّغ التصرفَ فى المال على وجه المصلحة التى يُجيزُها العقل والشرع الالهى وعلى طِبْق السَّنَن الذى يُحفظُ به نظامُ المجتمَعِ الانسانى ويؤدى الى المنفعة الخاصة والعامة معا .

بهذا قضت العقول السليمة التى لم تتدنس برجْس الطمع الممقوت ، ثم جاءت الشرائع الالهية الحكيمة على وَفْق حُكْمِ تلك العقول موضِّحةً للناس الصراطَ السويَّ الذى يجب عليهم أن يسلكوه فى التصرف فى أموالهم واضعةً لهم الحدودَ التى يقفون عندها فى معاوضاتهم ومبادلاتهم زاجرةً من يخالفها ويَحيدُ عنها ومنذرةً له بسوء المآل. شاكرةً مَنْ وَقَفَ عندها وحَرَص على العمل بها ومبشرةً له بالجزاء الاوْفَى فى الدنيا والآخرة .

كل ذلك رحمةٌ من الله تعالى بعباده حتى اذا استقاموا على شرائعه وعملوا بتعاليمه حفظوا أموالَهم من الضَّياع ووصلوا بحسن التصرف فيها الى نيل منافعهم ومطالبهم وكان تصرفهم فيها كما أُمِرُوا قربةً الى الله عز وجل ليُديمَها عليهم ويزيدَهم منها ويشكرَهم

عليها ، واذ ذاك يقدر الناس نعمةَ اللهِ تعالى عليهم بالأموال حقَّ قَدْرها ويعلمون أنه انما جعلها قياما لهم وأساسا متينا تقوم عليه مصالحهم وتنتظم به معايشهم اذا التزموا العملَ بما شرعه لهم فيها .

ثم انظر بعد ذلك الى عظم رحمة الله تعالى بالعباد وعنايته سبحانه بهم فيما يتعلق بأموالهم أنَّه جعل أموالَ الواحدِ منهم كأنها مِلكٌ لهم جميعاً نظرا الى أن الانتفاع بها قَدْرٌ مشترَكٌ بينهم ، ولهذا أضاف سبحانه الأموالَ اليهم فى الآية الآتية ، ولهذا ايضا نهاهم عن أن يدفعوا أموالَ السفهاء اليهم ما داموا سفهاء لا يُؤْمَنُون على حِيازتها ولا يحسنون التصرفَ فيها وذلك قولُه عزّتْ أسماؤه (وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِى جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَاماً) وقولُه فى شأن اليتامى (فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ) .

وأما المقالة الثالثة فهى خاتمة سيئاتهم فى ردّهم على رسول الله شعيب عليه السلام بدءوا رَدَّهُمْ على رسولهم بتكذيبهم وكفرهم بما بَلَّغَهُمْ عن ربهم من أحكام دينه القويم التى هى قِوامُ سعادتهم وصلاحهم . ولكنهم لم يُقيموا على ما ارتَضَوْه لأنفسهم دِيناً من الشرك والاخلال بحقوق العباد دليلا من عقل أو نقل ، وكفى بذلك برهانا على عجزهم وفساد عقولهم وبطلان دينهم .

ثم ختموا ردهم هذا بسط السنتهم بالسُّوء فى حق رسولهم سيدنا شعيب عليه السلام فلَمَزُوه بما عصمه الله تعالى منه ووصفوه بما يعلمون أنهم فيه كاذبون .

وصفوه عليه السلام بوصفين هما الحِلم والرشد ، فأما الحلم فهو ضبط النفس والطبعِ عن هيجان الغضب ، وهو فضيلة ممدوحة لا ينالها الا من كان كاملَ العقل راجحه كسيدنا شعيب عليه السلام ، ويقابله الحمق وضعف العقل ، وأما الرشد فهو الهداية الى ما هو خير وصلاح ومنفعة وضده الغيّ والضلال .

ان أراد القوم بوصفهم له عليه السلام بهذين الوصفين أنه موصوف بهما حقيقةً حينما بَلَّغهم دينَهم لزمهم أن يكونوا مؤمنين به عملا باقرارهم هذا ، ولا شك أن ذلك مناقض لما أصرُّوا عليه من الكفر والتكذيب وأنه غير صادق فيما بلّغهم وأنه انما أمرَهم ونهاهم انقيادا لما سوّلتْه له نفسُه ، فعلى هذا يكون مرادهم أنه عليه السلام ليس موصوفا بشىء

من هذين الوصفين حقيقة وقت التبليغ وأنهم انما قصدوا التهكم والاستهزاء به ورميه بما يضادهما شرفه الله تعالى .

وان أرادوا أنه عليه السلام كان موصوفا بهذين الوصفين قبل أن يبلغهم ، فلما بلغهم صار غير حليم ولا رشيد فقد كذبوا وجاءوا أمرا إدًّا ، وكان مثلهم فى ذلك مثل ثمود اذ قالوا لرسولهم صالح عليه السلام لما جاءهم (يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا) .

كيف يصفونه بضد ذلك وقد أمرهم بما يزكى أنفسهم ويصلح شؤونهم كما أنه نهاهم عما تفسد به حياتهم الدنيا وتسوء له حياتهم الأخرى (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ . إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا) .

قلنا فيما سبق إن أهل مدين قوم قد مسخت نفوسهم وفسدت طباعهم ، وهذا قول الحق لا مراء فيه ، ألا ترى أن رسولهم الكريم قد دعاهم الى ما يجمع لهم أنواع الخير والصلاح دينا ودنيا وأثبت لهم صحة ذلك بما لم تبق معه شبهة لمشتبه ، وكل ذلك مع مزيد التلطف بهم والتودد اليهم والعطف الصادق عليهم فى قول هو الأدب الجم الذى لا يصدر الا عمن تولى الله تعالى تأديبه واصطفاه لرسالته ؟ بلى .

هذه المعاملة الحسنة هى سنة المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أدبهم الله تعالى بها ثم كلفهم أن يبلغوا عباده شرائعه وأن يدعوهم الى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة وان جادلوهم فبالمجادلة الحسنى ، فان ذلك أرجى أن يكبح من جماح الجامحين وأن يرد من إباق الآبقين وأن يكسر من شكيمة المتعنتين المعاندين .

فمن تأديبه سبحانه قوله لسيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) وقوله (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) ومن تأديبه لموسى وهارون عليهما السلام قوله لهما حينما أرسلهما الى فرعون (فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) .

بهذا الأدب الألهى الأفضل عامل سيدنا شعيب عليه السلام قومه ، فانظر اذاً بم عاملوه ؟ وبأى مقابلة قابلوا دعوته الصادقة ونصيحته الخالصة ؟ كذبوه وجحدوا بآيات

ربهم وعصَوْا رسولَه واتّهموه ولَمَزوه بما عصمه الله تعالى منه ونعتوه بنعوت أنفسهم التى أَرْكَسَتْهُم فيها أولياؤهم شياطينُ الأنسِ والجنِّ يُوحِى بعضُهم الى بعض زُخْرُفَ القول غروراً ، فلقد جاءوا شيئاً فَرِيًّا ، و (إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَزُوراً) .

هذا التأديب الذى أدّب الله تعالى به رسلَه المصلحين الداعين الى الحق وأَمَرَهم أن يعاملوا به أممَهم حينما يبلّغون رسالتَه اليهم ويَدْعونهم الى الدخول فى دينه له حكمتان الهيتان جليلتان .

فاما الحكمة الأولى فهى ان الدعوة على هذا السَّنَن القويم أقربُ الى استماعها وأَدْعَى الى قبولها كما قدمناه لك ، وهذا هو قول الله الحكيم لرسولنا صلى الله عليه وسلم (أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) وقولُه : (وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) وقولُه لموسى وهارونَ عليهما السلام (فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) وقولُه لموسى عليه السلام (فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى . وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى) .

وأما الحكمة الثانية فهى أن يَقتدىَ الداعون الى الحق القائمون بالأصلاح مُؤْتَسِينَ بالرسل الكرام سالكين سبيلَهم فى هداية الخلق وتعليمهم وارشادهم الى صلاح أحوالهم واستقامة أمورهم ، وهذا هو قول الله عز شأنه لرسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن قص عليه من الرسل من قص : (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) وقولُه سبحانه تعليما لنا (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً) .

اذا كان هذا هو التأديب الالهى الذى أدّب اللهُ عز وجل به رسله الكرامَ . وأَمَرَنا أن نجعلَهم أئمةً لنا فيما نأتى ونَذَرُ وجب على الهُداة المتصدّين لهداية الخلق المبيّنين لهم الرشدَ من الغىّ والحقَّ من الباطل أن يسلكوا سُبُلَ هؤلاء الهداةِ من المرسلين والذين اتّبعوهم باحسان من السلف والخلف الصالحين .

ان الذين تصدَّوا لهداية الناس وتعليمِهم أصنافٌ عِدّة ، فمنهم خطباء المساجد والمجامع وكُتَّابُ المَجلاّت والصحفِ والمؤلفون والمستدرِكون على هؤلاء ما فاتهم فى خطبهم وكتاباتهم والمنتقدون عليهم ما قالوا وما كتبوا .

كل هؤلاء يتحتم عليهم تحتّما لا هَوَادَةَ فيه ، أن يقتفوا أثر المرسلين والصالحين فى الهداية والارشاد والتعليم وأن يتجنبوا الإغلاظَ فى القول وأن يتجافوْا عن تلمُّس الخطأ وأن يطهّروا ألسنتَهم من السُّوء من القول وأن ينزّهوا أقلامَهم عن الهُجْر من الكلام والتشهير بالقائلين أو الكاتبين .

انهم ان لم يفعلوا ذلك فقد لَبِسوا الثوبَ منكوساً ونقَضوا غَزْلَهم من بعد قوة أنكاثاً ، ولربما كان ذلك مَدْعاةً للمخطىء أن يُصرَّ على خطئه . وللمصيب الذى ظلمه المنتقدُ أنْ يدفعَه غضبُه الى الانتقام ومقابلةِ السيئة بالسيئة . فيحتَدِمُ الجدال ويَحمى وَطِيسُ النزاع وتحفى الأقلامُ فى تسويد السِّباب ، وما لا يحبه الله من الجهر بالسوء من القول صدقا أو كذبا .

(وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ . وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِنْ سَبِيلٍ . إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) .

يتبع

حسن منصور

وكيل دار العلوم العليا سابقا

أصول الدين

نبوته صلى الله عليه وسلم

— ٢ —

نريد أن نتكلم اليوم في براهين عقلية ودلائل وجدانية وسنتكلم بعدُ فى معجزاته الحسية فنقول

ان من نظر بعقله السليم ورجع الى وجدانه الصحيح ، علم أن رفع الأمة العربية من حضيض الجهل الى أوج العلم ومن دركات الذل الذى كانت فيه الى أعلى درجات العز وتربيتهم بأحسن التعاليم وأخذهم الى مكارم الأخلاق من كل باب حتى صار الواحد منهم أمة وحده بعد أن كانوا أشبه شيء بالوحوش الضارية ، يأكل قويهم ضعيفهم ويئدون بناتهم الى غير ذلك من الفظائع التى لاتفعلها الحيوانات [1] ثم يصيرون بعد ذلك علماء حكماء من اكبر الساسة وأعظم القادة في أقل قليل من الزمن، ثم ينشر ذلك النور في كل أنحاء المعمورة ، ذلك كله لدى الوجدان الصحيح والفطر الطاهرة أكبر دليل على أن مصدره هو مثال الخير وشخص الكمال ، والفضائل لاتفيض من الانسان على غيره الا على قدر رسوخه فيها وتوافرها لديه .

ان مرمى الاديان الالهية كلها انما هو تخليص أفراد النوع الانسانى من مخالب الشرور التى أحاطت بهم ، وغرس مكارم الأخلاق في أعماق نفوسهم ومراقبة الله تعالى في سرهم وعلانيتهم ، فان ذلك جماع الخير وأساس السعادة ، ونبينا صلى الله عليه وسلم أعظم الانبياء في ذلك كله ، وهو برهان ساطع على نبوته لدى من يطلب البراهين العقلية الوجدانية من ذوى الفطر السليمة والقرائح النيرة ، وأما غيرهم فنحيلهم على البراهين الحسية والخوارق الكونية ، اذ لايعرفون مقدارالحقائق المعنوية التى يدور عليها فلك السعادة من ارتفاع الانسان الى الأفق الملكى وترقية مقام

---

(١) لا يهولنك ما أشتهر من منع جمع الحيوان وأمثاله بالألف والتاء فقد صرح الشهاب في شرح الشفاء بجوازه فى كل ما لا يعقل ما لم يكسر .

البشر الى أعلى عليين ومعرفة الله تعالى والكشف عن حقائق الأشياء ورقة الاحساسات وتنعيم الأرواح بما تشرئب اليه من العالم الأعلى حتى تتم للانسان المدنية الارضية والمدنية السماوية، فلا برهان عند ذوي البصائر أكبر من أعمال مدعى النبوة وصفاته النفسانية وكمالاته الخلقية وآثاره الخارجية التي ترقى الأمم وتسعد الشعوب وتجعلهم ملوكا في الارض ملوكا في السماء ، كما كان ذلك في الأمة الاسلامية حين تمسكها بدينها وشريعتها ، ولا شك أن هذه الآثار الجليلة يستحيل أن تكون عن غير قوة سماوية ، وقد رأينا تاريخ الفلاسفة وغيرهم من أرباب القوة البشرية ، فلم نجد فيه مايماثل هذا أو يقاربه، فضلا عن كون النبي صلى الله عليه وسلم قد نشأ بين قبائل العرب المتوحشة وطوائفها الجاهلة ممايكفي دليلا وحده على أن الأمر ليس عاديا ولا بشريا .

كفاك بالعلم في الأمى معجزة في الجاهلية والتأديب في اليتم

انه لايتأتى الكذب من مثل تلك النفس الكاملة التي فاض منها الكمال حتى عم العالم شرقا وغربا ، وقد بعث صلى الله عليه وسلم ليتمم مكارم الأخلاق .

وان مثل هذه النفس التي فاض منها الخير حتى عم العالم بأثره يستحيل أن تكون معدنا للشر أو محلا للكذب على الله تعالى ، والكذب كما تعلم أشد الأخلاق افسادا للنفوس ودلالة على سقوطها ونقصها ، ومن المقرر أن فاقد الشيء لايعطيه ، وأن الطباع لابد أن تظهر مقتضياتها طوعا أو كرها ، وأن نفس كل انسان تتجلى للبصائر في أفعاله وأقواله وحركاته وسكناته ، كما تتجلى الألوان للأبصار على صفحات الوجوه ، وقد قال بعض العرب عند مارأى آثار ذلك الكمال الذى امتلأ به باطنه ففاض على ظاهره (والله ماهذا الوجه بوجه كذاب) ثم آمن به على مقتضى ذلك ، وكان بودى لولا ضيق المقام أن أسهب في أنه صلى الله عليه وسلم قد بلغ من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم قبل نبوته الى حيث سمته قريش بالأمين (وما كان ليدع الكذب على الناس ثم يكذب على الله كما قال هرقل قيصر الرومان) وأن أقيم الدليل على انه لم يعرف في السنن الالهية أن الله يؤيد الكاذبين في دعوى النبوة ، بل يستحيل على عدالة الله تعالى وحكمته أن ينصر المبطلين في ذلك لما يترتب عليه من الضرر العظيم ،

وقد قال عيسى عليه السلام « سيظهر بعدى أنبياء كذبة » فقيل فما علامتهم . فقال علامتهم أن الله لا يؤيدهم وقال تعالى (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) وقد علمت أنه تعالى نصر نبينا عليه السلام بما لم يكن مثله لأحد من المرسلين ، فان الانقلاب الذى حدث من بعثته صلى الله عليه وسلم لايعرف له مثل فى تاريخ الأنبياء السابقين ، فمن ظن أن الله نصره وأيده مع كونه مبطلا كاذبا فقد جهل ما يليق بصفات الله تعالى وسنته فى خلقه وأساء الظن بعدالته وحكمته أساءة كبرى

ان الغاش الكاذب لايستطيع أن يخفى حاله جميع حياته على كل الناس حتى على أخص أصحابه ، وأنه يستحيل أن لايزول الستار عن ذلك الغش وتلك المراءاة ، وللصدق خاصة لاتكون للرياء أبدا ، فان الرياء طلاء كاذب لايلبث أن يذهب بنيران حوادث الأيام ، ولا سيما من له أعداء أشداء وخصماء الِدّاء ، مثل النبى صلى الله عليه وسلم ، على أن تاريخ أصحابه مثل أبى بكر وعمر وغيرهما من أساطين الأمة أدل دليل على رفعة حاله وعظم كماله ، فان النفوس لا تتفق الا على قدر ما بينها من التناسب ، وأن الطباع تسرق من الطباع ، لا سيما التابع من المتبوع وخصوصا مع المحبة الكاملة ، هذا : مع ماله من الخوارق الحسية التى نقلت الينا بالأسانيد الصحيحة بل بالتواتر . وسنخوض فيها بعد انشاء الله .

ولو أنصف المبشرون الجاهلون المتعنتون لعلموا صدق القرآن الذى يكرر فى الآيات العديدة قوله (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ) ويقول مخبرا عنهم (يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ) ويقول مخاطبا لهم (تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ [1] فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) ثم لم ينبسوا ببنت شفه (وما أقوى الصادق وأضعف الكاذب) وكان ذلك من البراهين عند منصفيهم فآمن كثير من أكابرهم وأحبارهم ، مثل عبد الله بن سلام وأضرابه ، وليس يعقل أن يعتقد مثل بن سلام وهو من

(١) الابتهال هو التضرع وقد روى أن أحبارهم قالوا لهم تعلمون نبوته وأنه ما باهل قوم نبيا ألا هلكوا فوادعوا الرجل وانصرفوا ففعلوا ذلك وجعوا له الجزية

علماء التوراة كذب النبي صلى الله عليه وسلم فى ذلك ثم يؤمن به أو يعتقد نصارى نجران كذبه ثم لا يجيبوه الى المباهلة ، بل ليس من المعقول كما قلنا فى مقالنا السابق أن يقيم صلى الله عليه وسلم برهانا على كذبه فيخاطبهم — والتوراة بين أيديهم — بمثل ذلك الخطاب ، ثم يوبخهم ويقرعهم ويشافههم بأنهم يجدونه فيها وأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ولا من المتصوَّر أن يجترىء على ذلك وهو يعلم كذب نفسه مما ينفرهم منه غاية التنفير ويضعفه لديهم ويهوّن شأنه عليهم « والكاذب ضعيف حتى عند نفسه » وهو اذا لم يكن نبياً فى زعمهم فهو أكبر سياسى باعترافهم ، ولو فعل ذلك من غير أن يكون له حقيقة لكان أول السفهاء وأكبر الجهلاء ولطمعت فيه أعداؤه وما أسرع ما كان ينتقض بناؤه .

وقد ذكرنا فى العدد الأول من هذه المجلة من آيات الاخبار بالغيب ما لا يدع ريبة لمرتاب مثل قوله تعالى (غُلِبَتِ الرُّومُ فِى أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) ولفتنا نظرك الى ما فى هذه الآية من الجزم الذى يستحيل أن يكون من كاذب ، والى تقليل المدة وتحديدها فى قوله « فِى بِضْعِ سِنِينَ » والى تأكيد ذلك فى قوله (وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ) وكذا قوله (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ) مما يستحيل أن يكون من عند نفسه أو بنات حدسه ، ولا يتصور أن تصدر هذه المبالغة وصاحبها ليس على يقين من أمره ولا مستند فيه الى وحى من ربه الا من احمق الحمقى الذى لا يستطيع أن يسوس نفسه فضلا عن أن يسوس أمة دهش لها التاريخ وقد راهن أبو بكر رضى الله عنه أبىّ بن خلف على مائة قلوص [1] وأخذ القلائص من ورثته عند ما نصرت الروم على فارس .

وبعد فمن نظر في أحواله صلى الله عليه وسلم وجده غريقا في بحر التوحيد ناظرا

---

(١) القلوص : الناقة الشابة

الى الله تعالى في كل شيء قد امتزج خوفه من الله ومراقبته اياه بلحمه ودمه ممايستحيل أن يكون من رجل تلعب به الشهوات أو تحيط به الظلمات ، فاذا صادفك الرشد وبحثت في أحواله عليه السلام وجدته رجاعا الى الله في كل شيء (شأن الانبياء والمرسلين) فكان يقول اذا جاءه أمر يحبه : الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات : واذا جاءه أمر يكرهه قال : الحمد لله على كل حال : وان أراد أمرا قال ؛ اللهم «خرلى واخترلى» وان أراد سفرا الى قوم قال «اللهم بك أصول وبك أجول» وان أراد نوما قال «اللهم باسمك وضعت جنبي وباسمك أرفعه» وان استيقظ قال «الحمدلله الذى أحيانا بعد ماأماتنا واليه النشور» وان لبس ثوبا جديدا قال «الحمد لله الذى رزقنى ماأتجمل به في حياتى» وان أكل قال «الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين» وان شرب قال «الحمدلله الذى جعل الماء عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا» واذا أفطر قال «الحمدلله الذى أعانني فصمت ورزقني فأفطرت» واذا انقلب من الليل في فراشه قال «لااله الا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار» واذا هب من نومه ليلا قال «رب اغفر وارحم واهد للسبيل الأقوم» واذا خاف قوما قال «اللهم انا نجعلك في في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم» واذا خرج من بيته قال «بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله . اللهم انى أعوذ بك أن أضل أو اضل أو أذل أو أذل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على » واذا رأى الهلال قال « هلال خير ورشد . آمنت بالذى خلقك» واذا رفع بصره الى السماء قال «يامصرف القلوب ثبت قلبي على طاعتك» واذا حلف قال والذى نفس محمد بيده» . واذا عصفت الريح قال «اللهم انى أسألك خيرها وخير مافيها وخير ما أرسلت به . وأعوذ بك من شرها وشر مافيها وشر ما أرسلت به» وهكذا في شأنه كله كان غريقا في النظر الى الله والاستمداد من الله والالتجاء الى الله . لايرى لنفسه ولا لغيره حولا ولا قوة . ولذلك كان يقول اذا أصابه هم «حسبي الخالق من المخلوقين . حسبي الرازق من المرزوقين . حسبي الذى هو حسبي . حسبي الله ونعم الوكيل»

ولنختم هذه الكلمة بكلام جليل في هذا الموضوع للكونت هنرى دى كسترى

الفرنسى وهو يشتمل على احد عشر وجها يشهد بها الذوق السليم والطبع المستقيم قال «١» لسنا نحتاج في اثبات صدق النبي محمد الى أكثر من اثبات أنه كان موقنا في نفسه بصدق رسالته وما الغرض من رسالته الا اقامة عبادة اله واحد مقام عبادة الأوثان التى كانت عليها قبيلته في ابتداء ظهوره «٢» لماكانت نفس ذلك النبي مفطورة على التشبع بالدين تكيّف هذا المذهب في وجدانه حتى صار عقيدة لم تصل اليها نفس قبله وهو ذلك الاعتقاد المتين الذى أحدث انقلابا كليا في النوع البشرى .

«٣» كان محمد «عليه الصلاة والسلام» لايقرأ ولا يكتب بل كان كما وصف نفسه مرارا نبيا أميا وهو وصف لم يعارضه فيه أحد من معاصريه . فلم يقرأ كتابا ولم يسترشد في دينه بمرشد متقدم عليه . «٤» لقد نعلم أنه مرت به متاعب كثيرة وقاسى آلاما نفسية كبرى لأن الله خلقه ذا نفس تمحضت للدين من أجل ذلك احتاج للعزلة عن الناس لكى يهرب من الأوثان ومن مذهب تعدد الآلهة وكان هذان المذهبان أشبه بابرة في جسمه (صلوات الله عليه) ولكى ينفرد بما أنزل عليه من توحيد الله اعتكف في غار حراء . «٥» العقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات (القرآن) عن رجل أمى وهى آيات يعجز فكر بنى الانسان عن الاتيان بمثلها لفظا ومعنى ، آيات لما سمعها عتبة بن ربيعة حار فى جمالها وفاضت عين نجاشي الحبشة بالدموع لما تلا عليه جعفر بن أبي طالب سورة (مريم) وما جاء فى (يحى) فلما كان اليوم الثانى أشار عليه بتلاوة مافي القرآن عن المسيح ففعل . وأستغرب الملك لما سمع أن المسيح عبد الله ورسوله وروح منه ، ثم تناول قضيبا دقيقا كان أمامه وقال لجعفر : ان الفرق بين ماسمعنا به منك الآن وبين ماتقوله ديانتنا عنه لايزيد عن سمك هذا القضيب ، وأقول قد قوى ذلك القضيب فمنع الحبشة من الاسلام وجعلها مسيحية الى الآن .

«٦» من الصعب أن يظن الانسان أن الفصاحة الانسانية تؤثر ذلك التأثير ، اكيف وهى فصاحة تصدر بغير ضعف أبدا وتتجدد رفيعة معجزة يقصر دون تمثيلها رجال الأرض وملائكة السماء فهى الهية «٧» أتى محمد بالقرآن دليلا على صدق رسالته وهذا القرآن لايزال الى يومنا هذا سرا من الاسرار التى لايقدر أحد على

فك طلاسمها ولن يسبر سرها المكنون الا من صدق بأنه منزل من عند الله سواء توصلنا الى معرفة الوحي وحقيقته أم لا . «٨» لاينكر أحد أن مظهر محمد كان مظهر نبوة بالفعل لأن النبوة من حيث هى عبارة عن قيام رجل من الناس بأمر ربه وأن يعتقد أن مايقوله من عند ربه حق فمحمد «صلى الله عليه وسلم» يعتقد أن روحا من الله استولت على لبّه فلم يعد يعتقد أن له فكرا خاصا بل أنه أوتيه من عند ربه ، واختفت في نظره ذاتيته ومن الصعب أن تقف على معرفة سماعه للصوت الالهى هل كان في الحلم أو في غيبته عن عالم التصورات والصدق حاصل على كل حال — «٩» كانت الانفعالات تظهر على وجهه بادية فظن بعض الوثنيين أن به جنة وهو ظن باطل لأنه بدأ رسالته بعد الأربعين ولم يشاهد عليه قبل ذلك أى اختلال في الجسم ولا أدنى ضعف في القوة المادية وليس في الناس من عرف الناس جميع أحواله في حياته كلها مثل النبي محمد «صلى الله عليه وسلم» فقد وصل المحدثون عنه الى أنهم كانوا يعدون الشعر الأبيض في لحيته ولو أنه كان مريضا لما خفى مرضه (ولا أمكن أن تكون له تلك الآثار الباهرة) فليست حالة محمد في انفعالاته وتأثيراته حالة ذى جنة . أذن ليس محمد من المبتدعين ولا من المنتحلين للكتاب . نعم نرى تشابها بين القرآن والتوراة في بعض مواضع الا أن سببه ميسور المعرفة اذ لاعجب اذا تشابهت تلك الكتب في بعض المواضع خصوصا اذا لاحظنا أن القرآن جاء متمما كما جاء النبي خاتما لاسيما ونفس محمد كانت متأثرة بما تأثرت به نفوس الانبياء من بنى اسرائيل وكان يعبد الله الذى يعبدونه فلا عجب اذا تشابهت ألفاظ التصرفات وتجانست أصوات الدعاة « ١٠ » ماكان محمد يميل الى الزخارف ولم يكن مستكبرا ولا شحيحا بل كان يستدر اللبن من نعاجه بنفسه ويجلس على التراب وكان قنوعا خرج من هذه الدار ولم يشبع من خبز الشعير مرة في عمره ولم تكن له حاشية ولم يتخذ وزيرا ولا حشما ، قد احتقر المال وقد بلغ من السلطان منتهاه ولم يكن له من علامة الملك سوى قضيب . « ١١ » أتى محمد صلى الله عليه وسلم فهدم الوثنية بعزم واحد طول الحياة ولم يتردد لحظة واحدة بينها وبين عبادة الواحد الأحد

وايمانه كان حقا ثابتا على الدوام لم تفتر حميته فقد انتهى كما بدأ . لم يرغب طول حياته في المال بل كان كلما جمع اليه شيء منه أنفقه في الصدقات ولقد أعطى عائشة زوجته مالا يسيرا لتحفظه ، فلما حضره المرض أمر بانفاقه على المعوزين لساعته ، فلما وزع عليهم قال الآن استراح قلبي لأنى كنت أخشى أن ألاقى ربى وأنا أملك هذا المال ولقد خطب في أمته قائلا أيها الذين يسمعون قولى ان كنت ضربت أحدكم على ظهره فدونه ظهرى ، وان كنت أسأت سمعة أحد فلينتقم من سمعتى وان كنت سلبت أحدا ماله فدونه مالى وهو فى حل من غضبى فان الغل بعيد عن قلبى .

انتهى كلام هذا المنصف الكبير ولنقتصر اليوم على هذا ولنا اليه عودة ان شاء الله.

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

غاز مرطب لمنازل المناطق الحارة

كثير من الغازات التى تستعمل فى صناديق التبريد من نوع سام أو على الأقل من نوع حريف يهيج الخياشيم اذا انبثق من الأنابيب الملتوية التى تحتوى عليها

وقد اكتشفوا غازا جديدا قيل عنه فى الجمعية الكيمائية الأمريكية انه غير سام وأظهرت التجارب أنه يمكن تنفس كميات كبيرة منه بلا أدنى ضرر هذا فضلا عن أنه غير قابل للالتهاب وقد توصلوا الى هذه الخواص من التركيب الخاص لهذا الغاز الكيمائى فهو مزيج من ثلاثة عناصر معروفة هى الكربون (غاز الفحم) والكلورين (غاز الكلور) والفلورين (غاز الفلور) واسمه العلمى فلورد — كلورد — ميثين .

ويستعمل هذا الغاز علاوة على استعماله المنزلى فى ترطيب غرف النوم بمنازل المناطق الحارة ومهاوى المناجم العميقة التى تشتد بأعماقها الحرارة وفى الغواصات وغيرها من المنشآت التى تحتاج الى جو بارد رطب

السُّنَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إيّاكم والجلوسَ على الطُّرُقات. قالوا : يارسولَ الله مالَنا بُدٌّ من مجالسنا نتحدثُ فيها قال : فأما إذا أَبَيتم فأَعطُوا الطريقَ حقَّه قالوا : وما حقُّه ؟ قال : غضُّ البصرِ ، وكَفُّ الاذَى ، وردُّ السلام ، والأَمرُ بالمعروف ، والنهيُ عن المنكَر . (١)

الشرح

نحن نعلم أَنَ الطرُقَ انما جعلتْ ليسلكَها الناس فى ذَهابهم وإيابهم وتَرَدُّدِهم لقضاء مصالحهم وسائرِ أعمالهم، فلم تكن الغايةُ منها أن تكون مجالسَ يجلس فيها الناس للحديث أو غيره ، وحينئذ يكون اتخاذُها لغير السير والمرور فيها استعمالا لها فى غير المنافع الأصلية المقصودة من إنشائها ، بل قد يجرُّ اتخاذُها مجالسَ الى أَضرار ومفاسدَ كثيرة .

لهذا أرشدَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم المؤمنين الى عدم اتخاذها مجالسَ لهم .

بعد هـذا اعتذرَ المؤمنون الى الرسول صلواتُ الله وسلامُه عليه . فبيَّنوا له أَنهم لم يقصِدوا بجلوسهم فى الطرقات شرًّا ولا أمرا مُنكراً ، بل انهم قد اضطرَّهم الى ذلك عدمُ وجود مجالسَ أُخرَى يجتمعون فيها للحديث فى شؤونهم ومَهامِّ أمورِهم ، فلهـذا لم يكن لهم غِنًى عن هذه المجالس .

عَلِمَ عليه الصلاة والسلام صحةَ هذا العذر وقَبِلَه منهم ، ولـكنه لم يترُكْهم يجلسون دون أن يُرشِـدَهم الى ما يفعلونه وما يتقونه أثناء جلوسهم ، فبيَّن لهم أن للطريق حقوقا

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

يؤدونها وليس من شأن المؤمنين الأخلالُ بها ولا التفريط فيها .

علَّمهم من حقوق الطريق خمسةَ حقوق الأول غضُّ البصرِ وصرفُه عن النظر الى ما لا يحل النظرُ اليه من كل ما يترتبُ عليه الفتنةُ وفسادِ الأخلاق وانتهاكُ الحُرُمات والآداب .

الثانى كفُّ الأذى ومنعُ الضرر عن المارّين فى الطريق سواءٌ أكان ذلك بالقول كأن يغتابَهم أو يَسُبَّهم أو يحتقرَهم بكلام يحطُّ من أقدارهم أم بالفعل كأن يضربهم أو يقذفهم بشىء أو يُشيرَ اليهم اشارةَ امتهانٍ وسُخْرِيةٍ .

الثالث ردّ السلام على المارّ الذى سلّم على الجالس فى الطريق ، فان مِنْ آداب السلام أن يسلّمَ المارُّ على الجالس ، فالسلامُ من المار تحيةٌ وتوقيرٌ وتأمينٌ منه للجالس ، والردُّ من الجالس إجابةٌ منه للمارّ ومعاملةٌ له بمثل ما عَمِلَ ، وحينئذ تتوثّق بين المار والجالس صلةُ الأخوة الدينية وتَقْوَى بينهما الرابطةُ الاسلامية .

الرابع الأمر بالمعروف ، أى أن يطلبَ الجالسُ الى المارّ فى الطريق أن يفعلَ الفعل المحمودَ النافعَ الذى يرضاه الله تعالى ويَعْرِفُه الفضلاء ذوو المُرُوءاتِ والتقوى ويَحْمَدونه ، أما الأمرُ المنكَرُ الذميم فانهم يجهلونه لأنه مرذول ممقوت وهم عنه مُبْعَدون

مثلا ، اذا مررتَ به فأدْرَكَ أنك من طلاّب العلم أَمَرَكَ أن تبالغَ فى طاعة والديك اللذَيْنِ يُرَبِّيانك وفى طاعة رؤسائك ومعلميك وأن تثابرَ على الجِدّ والاقبال على علومك فعسى أن الله تعالى يجعلُ لك من كل ذلك ما ينفعُك وينفعُ أمّتك الاسلاميةَ ان شاء الله تعالى .

الخامس النهى عن المنكر ، وهو أن يطلبَ الى السائر فى الطريق أن يَكفَّ عن الأمر المستقبَح الذى ارتكبه مبينًا له ما يعودُ عليه وعلى غيره من الضرر والأذى سواءٌ أكان ذلك الضرر عاجلا فى الدنيا أم آجلا فى الآخرة .

حسن منصور

وكيل دار العلوم العليا سابقا

أصول الدين

الاسلام دين الفطرة

٦

قال تعالى (وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ) أجل والحمد لله ولا نعبد الا اياه

لقد كنا خشينا أن نكون وقعنا فى إطالة أوجبت سآمة وملالة ، ولكنا ولله الحمد رأينا فى الاقبال على تتبع ما يقال فى هذا الموضوع ما شرح صدرنا لزيادة الشرح وقوى عزمنا على نوع من التبسط فى الايضاح غير مسرفين ولا باخلين .

لقد كان كلامنا فى بيان أسرار الشريعة الغراء وحكمها البالغة فى تنظيم علاقة الانسان بأخيه الانسان ، وكان كلامنا فى العلاقات المدنية وذكرنا مثالا مما نبا فيه وهم الناس عن حكمة الشرع ودرجوا على خلاف حكمه ، وذلك أمر الربا وبينا أن ضرره أكبر من نفعه وأن ضرره للضعيف المحتاج غالبا يقصم الظهر ويخلى اليد ويوهن العظم فيملأ القلوب حقدا والنفوس غلا ، ولا تلبث البغضاء فى نفس المغلوب أن تنتج مثلها فى نفس الغالب ، فالقلوب كالمرايا المتقابلة ينعكس فى كل منها ما انطبع فى الأخر فيعيش الناس متباغضين متحاقدين متدابرين ، ونفعه للقوى الغنى غالبا وهو الذى ركن الى الدعة واطمأنت نفسه للسعة فلم يغامر فى المتاجر التى تحتاج للكد والجد وإعمال الفكر فيما يعود على المجتمع بالنفع ، بل قعد يستثمر ماله فينزف دم الحياة ممن رمته اليه الحاجة وما كان المال الا وسيلة لتبادل الحاجات بين الناس ، فهو مقصود لتحصيل المنافع وليس هو فى ذاته منفعة حقيقية ونفع المجتمع نفعا صحيحا هو فى تقريب المنافع الحقيقية اليه ليسهل نيلها على من يحتاجها ، وإن كنت فى شك من أن المال ليس فى ذاته منفعة حقيقية وانما هو وسيلة لاحراز المنافع فانظر الى ما قاله علماء الاقتصاد من تقسيم الثروة الى قسمين ثروة حقيقية وهى ثروة الأعيان كالمزارع والمعادن وثروة اسمية وهى ثروة الأموال وقولهم إن الأمة الغنية هى

التى تتسع ثروتها الحقيقية لا التى تتسع ثروتها الاسمية ولو أنك تتبعت حال الأمم التى ملكت ناصية المال لوجدت قيمته لديها ضئيلة وآثار انتفاعها به قليلة فلا يكاد المرء منهم ينال القليل من حاجاته الا ببذل الكثير جدا من المال فعادت عليه الكثرة فى الكم بالقلة فى النفع ، وهذا مما يشرح أثر كونه وسيلة للمنافع لا منفعة حقيقية ونفع المجتمع حقا هو جلب المنافع الحقيقية لا الوهمية وكذلك لو حبست ذا المال الكثير أياما أو يوما واحدا مع ماله ما أغنى عنه شيئا ولقد يفضل وهو فى أخر رمق جرعة من الماء على كل هذا المال.

فهذا الذى قعد لمجرد استثمار ماله دون أن يكلف نفسه مشقة المتاجرة الصحيحة بجلب حاجات الناس الحقيقية مما يدعو للكد وإعمال الفكر فى حسن الاختيار ومراقبة الاسعار وتجشم الأسفار، انما قعد لينزف أموال الناس بأغتنام فرص احتياجهم بل ليمتص دم حياتهم فكان حربا على العالمين ، فلا غرو ان آذنه الله بحرب وإن من حارب الله لمخذول .

ولقد بينا كذلك أن الله الحكيم العليم الذى حرّم الربا لم يترك أمر الناس سدى ، بل تداركهم برحمته فشرع لهم من الأحكام ما يغنيهم عن اللجأ الى الحرام وذلك باب القرض الحسن فيما اذا لم يحضر النفوس الشح وباب القراض والمضاربة وهو أن يجعل للمال حصة فيما يستخدم فيه من كبريات الأعمال وعظائم المشروعات ، وذلك فى المال الكثير الذى لاتسمح النفس فيه عادة بالاقراض بلا مقابل ، وذلك كالمتبع فى بعض شركات المساهمة .

أبنا بعض ذلك فى الكلمة المنشورة فى العدد السابق ولا ضرر فى اعادة الكلام عليه مرة ثانية فقد تغلغل فى نفوس بعض المفكرين حتى ظنوه من ضروريات المعاملة بين الناس .

ونزيد فى هذا المقال ذكر مثالين مما اختلفت فيه أنظار الناس ودرجوا على غير هدى الشارع الحكيم وهما « ١ » بعض أنواع البيوع الفاسدة المستفيضة فى دار التجارة العامة (البورصة) . و « ٢ » شركات التأمين ـ السيكورتاه ـ وأما الأحكام التى اتفقت فيها آراء الناس وما جاءت به الشريعة السمحة من صحيح البيع والاجارة والضمان والرهن وأمثالها فحسبك فى حسنها اجماع العالم على تقريرها وألا غنى لهم عنها ، فهى رحمة من

الله شرعها على لسان نبيه داخلة فى مضمون قوله جل شأنه (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)

أما البيوع الفاسدة فى نظر الشرع وقد أولع الناس بتعاطيها فكثيرة نجتزىء منها بمثالين «١» البيع على المكشوف «٢» والبيع على الوجه أما الأول فيشبه السلم وليس منه فقد اشترط فى السلم ان يكون المسلم فيه مما يوجد غالبا وقت التسليم، واشترط فيه ألا يباع قبل قبضه فلما تجاوز الناس هذين الشرطين أدى بهم الحال الى ما نسمع به كل يوم من خسائر فادحة يتبعها اقفال محال تجارية كبرى مما يؤدى الى انتحار رجال عظماء أو موتهم كمدا، ويتبع ذلك تدهور أسر وغرقها فى لجج المذلة بعد أن رتعت حينا فى بحبوحة العز ورغد العيش. نعوذ بالله من الحرمان بعد العطاء ومن الفقر بعد الغنى ومن الذل بعد العز

هذا: الى فتح باب العبث بأموال الناس وعقولهم والتلاعب بالاسعار الموجب للدمار مما نسمع به من ضجيج الشكوى من آن لآن، ومما اضطر المفكرين الى البحث فيما ينقذ الناس وثرواتهم من هذه المغامرات والمقامرات.

والثانى البيع على الوجه، وهو عقد البيع بدون معرفة الثمن وتسليم المبيع فى مقابلة تعجيل حصة من الثمن مع انتظار الأسعار فى المستقبل ليدور عليها ثمن المبيع، ولقد شوهد من ضرر هذه الحال بالنسبة للبائع ما حقه أن يكون رادعا، فان التاجر انما يدفعه الى زيادة السعر حرصه على احراز المبيع، ومتى وصل الى ما يريد فما الذى يدفعه الى زيادة الأسعار، فالأسعار مع كونها بيد الله تجدها تابعة لقانون العرض والطلب، ولكنها الحاجة الى تعجيل حصة من الثمن تدفع البائع الى تسليم ما فى يده فيتعجل بالقليل ويتعلل بالأمانى والأمانى رأس مال المفلسين.

وأما شركات التأمين على الأموال والأرواح فقد تغلغل الميل اليها فى نفوس الكثير من الناس خصوصا من المستنيرين الى حد يصعب معه اقتلاعه من عقولهم، وأقوى حجة لهم فى تبريرها أن يقول لك أحدهم: إنى أدفع القليل ليطمئن قلبى على الكثير فأنا رابح الطمأنينة حال السلامة والعوض اذا ما طرأ ما أخشاه، والشركة رابحة المال الذى تأخذه منى

ومن سواى فكلا الطرفين مستفيد . ونقول له : اليس أمرك دائرا بين أن تدفع بلا مقابل وذاك إذا قدرت لك سلامة المال أو تأخذ ما لا حق لك فيه وترزأ غيرك ممن دفع وهو لم يجن عليك فيما إذا عطب مالك ؟ أو ليس الامر على كلا التقديرين أن هناك دفعا وغرما من أحد الجانبين بدون مقابل من الجانب الأخر ؟ فانه لا قيمة لما دفعه المؤمّن بالنسبة لما يأخذه على فرض عطبه ، كما أن طمأنينة قلبه التى زعم أنه استفادها فى حالة سلامة ماله لا دخل لشركة التأمين فيها اذ لم تكن حارسة عليه ، ولا تستطيع أن تقف فى وجه المقادير وتصاريف الزمان .

وأما التأمين على الحياة فهو أبعد عن العقل السليم وأوجب للدهشة والاستغراب ، فما كانت الشركة لتطيل له عمرا ، وما كانت لتبعد عنه قدرا ، ولكنها التعللات بالأمانى ، وما أشبهها بشؤون الدجالين والمشعوذين ، سيقول لك قائلهم نفس المقالة الأولى أو قريبا منها ، سيقول إنى متى دفعت ولو قسطا واحدا فاذا فاجأتنى المنية استحق ورثتى ما أمنت به على حياتى ، فكان لهم بذلك عزاء وسلوة عن فقدى ، واذا بقيت المدة المضروبة لى استرجعت كل ما دفعت بأرباحه ، فانا مستفيد على كلتا الحالتين وللشركة فائدتها أيضا وهى التصرف فى تلك الأموال مما يجتمع لها منى ومن غيرى ، فيتكون لها رأس مال عظيم تستغله فيما ترى من المشروعات التجارية ، ومفاجآت العطب قليلة فغرمها نادر لا يؤثر فيها لأن كل امرىء حريص على حياته وماله محافظ عليهما جهد استطاعته فكل واحد يعمل لمصلحتها من حيث يعمل لمصلحة نفسه فكلا الطرفين مستفيد ، ونقول له ليكن كل ما تقول فما خرجت عن أنها معاملة فيها غرم أحد الطرفين حتما بلا مقابل ، وما كانت العدالة الا فى المعاوضة وأن يكون من كل طرف عوض يعادل ما استفاده ، وأن يكون بين العوضين مناسبة تحقق المعادلة ولو التقريبية حتى تستقيم روح العدالة ، فأما وأحد الطرفين غارم حتما بلا غنم أو غانم حتما بلا غرم فلا عدالة بل هى المقامرة والميسر ، غير أنه لبس ثوبا لماعا وجاء عن قوم أوليناهم ثقتنا العمياء وأخذنا عنهم كل ما قالوه بالتقليد الأعمى ، وما منشأ ذلك الا أن جماعة منهم بهروا الناس بقوة استخدامهم للمادة واستنباطهم لقوى الطبيعة مما لا نغمطهم حقهم فيه ، فكان لمجموعهم فى النفوس عزة الغلبة فأسلم الناس القياد لهم شأن كل غالب مع

كل مغلوب ، والا فتى وزنت تلك التصرفات بميزان العقل السليم والنقد النزيه وجدت ضررها أكبر من نفعها وهكذا شأن أغلب المضار المنهى عنها لمصلحة المجتمع تجد ضررها أكبر من نفعها فلا تكاد ترى شيئا تمحض للضرر بدون وجه نفع ولا تمحض للنفع بدون وجه ضرر حتى أن الخمر والميسر وهما ماهما فى الضرر لم يخلوا عن نفع ما ولكنه ضئيل اذا قيس بكبير ضررهما كما قال جل شأنه (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا) وشأن التشريع الصحيح أن يعتمد على الموازنة بين النفع والضرر فما غلب نفعه أحله وما غلب ضرره حرّمه والله عليم حكيم.

الحدود : ومما اختلف نظر جمهور الناس عن نظر الشارع الحكيم فى شأنه من العلاقات المدنية أمر الحدود ، فقد زعم بعض الناس أن فى الحدود الشرعية نوعا من القسوة لا يحتمل ولا مبرر له ، فان فى قطع يد السارق تشويها دائما بدوام حياته وتشهيرا مستمرا ملازما له ،وفى ذلك القسوة كلها عليه وسد باب الرحمة عنه بخلاف سجنه أو تشغيله ردحا من الزمن ففيه مع تأديبه رحمة به ، ونقول لهم : أما الرحمة فحسنة جميلة ولكن نحن بين رحمتين متعارضتين رحمة بالجمهور البرىء ورحمة بالفرد المجرم فأى الرحمتين أحق بالاتباع ؟ هل تدركنا الرحمة بواحد مجرم فنشفق عليه من الأذى والتشويه والتشهير الدائمين ولا تدركنا الرحمة بمجموعة الأمة فلا نحميها من تعدى ذلك المجرم عليها ولا نزجره أكبر زجر وأبلغه ، على أن سن تلك العقوبة التى تلزمه الخزى طول حياته أكبر زاجر لمن حدثته نفسه أن يكون على شاكلته أو يسير فى طريقته وهذا الزجر من أكبر مظاهر الرحمة للنفوس التى فيها استعداد ما للشر كما قال القائل :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما فليقس أحيانا على من يرحم

وهل هناك رحمة لمن تراه سيتردى فى هاوية أعظم من أن تدفعه فى صدره ولو ألقيته على ظهره ويكفيه منك أنه نجا بعمره ؟ وهل للنفوس الجامحة للشر زاجر أبلغ من أن يلزم أحدها الخزى فتتوب نفوس نظرائه الى رشدها وتبتعد عن غيّها ؟ وأين هذا مما نراه الآن من استقبال المجرمين حين خروجهم من السجون بمظاهر التفريح بل مظاهر

التبجيل التى ينفخ بها الشيطان فى أنف أحدهم فتحدثه نفسه بأنه غامر مغامرة الرجال ، بل جازف مجازفة الابطال فاستحق هذا التكريم والاجلال ،

إن هذا هو واقع الحال لا املاء الخيال ومن جال فى بلاد الريف جولة رأى ما للسجين بعد خروجه من هيبة وصولة فيندفع لمعاودة الاجرام فمعاودة السجون فيكون من معتادى الاجرام ، أفليست رحمتكم بهم نقمة كبرى عليهم ، ومن شاء فليرجع الى سجل أرباب السوابق ليرى معاودتهم للاجرام حتى اصبح عادة متأصلة فى نفوسهم ولم يردعهم زيادة العقوبة حتى سن قانون معتادى الاجرام فكان من أثره أن يمكث المجرم فى السجن أطول مدة ، وقد يستغرق عمره فى السجون ما لم يؤذن له بالخروج ، أفلا يكون ردعه من أول الأمر بالتشهير رحمة به ؟ والله يفعل ما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه

أغرب من هذا وأبعد عن مقتضيات الفطر السليمة والكرامة الانسانية اهدار حدود الزنا دفعة واحدة وعدم التعرض للزانية والزانى متى كان ذلك باختيارهما بل حمايتهما حتى مما يؤذيهما أو يمس شأنهما ماذا تقول فى هذا ؟ لقد بحت أصوات الغيورين وتعرضوا لهمز الهامزين ولمز اللامزين بل لسب وشتم السفهاء وغير السفهاء ،، استغفر الله ،، فما يسب من يجأر بوجوب الاصلاح الا السفهاء وإن زعموا أنهم عقلاء أو زعماء نقول بحت الأصوات وسالت العبرات على أعراض تبتذل وحرمات تنهتك وكان جواب اولئك الأقوام . . . . . . لم نفهم لهم جوابا ، ولو فهمناه لقررناه قالوا إن اباحة الزنا طريق سلامة الجماهير من ضرره بحصره فى دائرة معلومة محدودة ، وما علمنا يوما أن وضع بذرة فاسدة فى أرض منبتة طريق للقضاء على نباتها وسلامة الناس من آفاتها ، اللهم إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .

هذه مُثل منثورة فى أبواب مبعثرة مما اختلف فيه نظر الناس وزاغت فيه بصائرهم حتى ضلوا فى ظلماتها ولم يهتدوا الى نور الشريعة الغراء التى جاءت شفاء لأدواء الأمم ودواء لأمراضها الفتاكة بالجماعات ولكن

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد   وينكر الفم طعم الماء من سقم

وانما عرضنا لهذه المثل لنبين لك محاسن الشريعة الغراء فيما حاد عنه الناس واستخفوا خلافه، فكيف بما أقبلوا عليه وتمسكوا به من أنواع المعاملات التى لم تستطع الشياطين أن تصرفهم عنها، ولو استطاعوا لما ونوا لحظة، فقد يكفى فى صرف بعض النفوس عن الحكم أن الشرع أمر به فيقول لك القائل مالنا وللشرع والتقيد به ؟ اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون .

هذا شىء من محاسن أحكام الشريعة فى المعاملات المدنية ونريد بالمعاملة المدنية معاملة المسلم لأخيه المسلم مهما اختلفت بهم الأوطان والأقاليم فالمسلم أخو المسلم فى مشارق الأرض ومغاربها (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) وكذلك معاملته لمن دخل فى ذمته من أهل الكتاب اصحاب الأديان الأخرى، فلهم مالنا وعليهم ما علينا نحميهم مما نحمى منه أنفسنا وكذلك معاملته مع من دخل دار المسلمين مستأمنا وعاشرهم مطمئنا فالاحكام فى المعاملات واحدة فى الجميع غالبا .

أما حكم الشريعة الغراء فى شأن الروابط الانسانية العامة، وهى التى تتجاوز ما بين المسلمين بعضهم وبعض أو من يلحق بهم ويجرى عليه حكمهم من ذمى ومستأمن فتتلخص فى أمر بسيط ونهج واضح نير هو الرحمة كل الرحمة والحكمة كل الحكمة فواجب المسلم مع من يخالفه فى دينه ولم يرتض أحكامه أن يعرض عليه هدى ربه وأن يرشده بالحسنى ليدخل فى دينه، وحسبه رحمة وعطفا أنه يختار له ما اختاره لنفسه فان أجاب فقد سعد كلاهما سعد المستجيب بالفوز الأبدى والسعادة العظمى وسعد الداعى بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم « لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من[1] حمر النعم » فان لم يستجب له وغلبت عليه شقوته ونكص عما بينه له من آية واضحة وحجة بالغة فلا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ .) ومن الاهتداء أن تقوم بهداية غيرك ما استطعت وترشده الى الطريق المستقيم ما قدرت فى حدود قوله تعالى (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) ولعلك تقول

---

(١) كانت الابل الحمراء أنفس أموال العرب فضرب لهم المثل بما ألفوا .

واذن فكيف جاء الجهاد فى الاسلام ؟ ما جاء الجهاد لحمل الناس على الايمان كرها وقهرا فالله يقول(لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) ويقول(فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) ويقول(أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) وانما جاء الجهاد لدفع من يتصدى للمسلمين ويتعدى عليهم فيمنعهم من أن يدعوا أخوانهم فى الانسانية الى هدى ربهم الذى اطمأنوا اليه ورضوه لأنفسهم دينا وعلموا أنه السعادة الحقة لكل العالمين ، فالمسلم مدفوع بدافع الرحمة لأخيه فى الانسانية أن يدعوه الى اعتقاد الحق الذى اعتقد وسلوك الصراط المستقيم الذى سلك ، ومن حق كل انسان أن يعطف على أخيه الانسان يدعوه الى الخير الذى اهتدى اليه ، فمن تصدى له وتعدى عليه ومنعه من أن يدعو بالحكمة ويبين المحجة بواضح الحجة فقد منعه حقه بلا وجه حق ، فاذا جاهد لتكون كلمة الله هى العليا أى الدعوة الى الله آخذة طريقها لا يصدها صاد ولا يردها راد فانما جاهد فى طريق ايصال الخير الى الغير وهل بعد هذا من نبل فى القصد وشرف فى الغاية؟

فأين هذا الحق الصريح والرحمة بالانسانية العامة مما يزعمه الطغام الجاهلون من ان الاسلام بنى على الجهاد وقام على السيف،وان تعجب فعجب أن تروج هذه التهم وتلك الترهات على قوم بين أيديهم كتاب الله وفيه هذه الأيات التى تلوناها عليك آنفا وقوله جل ذكره (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ولعلك بهذا استجليت نموذجا من محاسن الشريعة الغراء فى المعاملات بأنواعها الثلاثة وهى (١) ما ينظم العلاقات المنزلية (أحكام الأسرة) و (٢) ما ينظم العلاقات المدنية (احكام المعاملات بين المسلمين ومن لهم حكمهم) و (٣) ما ينظم العلاقات الانسانية العامة (احكام المجتمع الانسانى العام) وتكون قد تبينت بما تلوناه عليك أنها دين الفطرة السليمة وأن صاحبها رسول الرحمة ففهمت قوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)

وسنتلو عليك فى مقال آت ان شاء الله محاسنها فى باب الأخلاق التى بعث عليه الصلاة والسلام ليتمم مكارمها والله المستعان ؟

ابراهيم الجبالى
مدرس بقسم التخصص

الحصول على الصوف بطريقة صناعية

تقول جمعية الابحاث البريطانية انه سيصبح من الممكن الحصول على الصوف بطريقة صناعية خاصة وتتلخص هذه الطريقة فى أن يقطع جلد الأغنام شرائح ويوضع فى أحواض بها محلول كيمائى خاص تتغذى منه هذه القطع وتؤتى محصولها من الصوف عاما بعد عام .

هذا ما تقول به الجمعية بعد اجراء عدة تجارب قامت بها لإنماء وبر الحيوانات ويؤكد كيمائيو الجمعية أن ليس هناك مايمنع من إنماء جلد البقر بمثل هذه الطريقة ،

الجراثيم وحرائق المزارع

مما ينسب الى الجراثيم علاوة على نشرها الأمراض جرائم الاحراق فقد اتضح أن الحرائق الكبيرة التى تشب فى المزارع وتنشأ مما يسمونه « الاحتراق الذاتى » — أى أنها تشب من تلقاء نفسها — قد تنشأ من تفاعل الجراثيم ، وتقول بهذا الرأى مصلحة الزراعة بالولايات المتحدة التى تقوم الآن بابحاث فى هذا الموضوع وقد أنشأت مزرعة لإجراء التجارب فى بلدة بلتسفيل حيث يمكن تهيئة الظروف والأسباب الخاصة التى تؤدى الى شبوب هذه الحرائق .

وتشب الحرائق فى يابس النبات والعلف والمخصبات والأسمدة بلا سبب معروف ولكن اتضح أن الجراثيم التى تكثر فى مثل هذه المحاصيل قد تولد حرارة تصل أحيانا الى ١٦٠ درجة بمقياس فهرنهيت وقد يكون التفاعل الكيمائى الذى تحدثه سببا فى شبوب الحريق .

« كلمة تثير محبة الله فى القلوب المستعدة »

يقول الله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ ءامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) ويقول (قُلْ إِنْ كَانَ ءابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِىَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) [1] ويقول فيما روى عنه « حببوا الله الى عباده يحببكم الله » ويقول بعض من تخلص من الأوهام ورسخ فى هذا المقام :

بادر لدرك الذى قد فات من عمرك	ولتتخذ زادك التوحيد فى سفرك
فيامليك الورى يامنتهى أملى	ما أشوق الواله المضنى الى خبرك
ما ظل لى أمل فى غير مشهدكم	ولا قرأت كتابا ليس فى سيرك

اذا كنت تحب أحداً لما يبهرك من علمه وسعة نظره من علماء الأمم فأحب الله تعالى الذى أتقن هذه العوالم كلها وأودع فيها من الأسرار ما أدهش فلاسفة أوربا إشراق شعاع من نور شمسه ، وقد ذكرنا فى بعض ما كتبناه أن سبنسر الانجليزى كان يقول « ليس الغرض من علم الطبيعة معرفة تلك الظواهر الطبيعية وإنما الغرض الأسمى أن يشرف الانسان على ذلك السر الباهر ويستطلع تلك العظمة الالهية من وراء تلك الحدود التى ينتهى اليها علم الطبيعة » ويكفيك ما اشتمل عليه الأنسان من الأسرار المدهشة التى تكفل بها علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء مما بهر علماء الفسيولوجيا (علم وظائف الأعضاء) فطأطئوا له الرؤوس وعشوا أمامه كما يعشوا الخفاش أمام الشموس

---

(١) ويقول صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لايحبه الالله وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار »

وأن كنت تحب أحداً لمزيد شجاعته وعظيم قدرته وحسن تدبيره من القادة والساسة فأحب أحكم الحاكمين وأقدر القادرين وقيوم السموات والأرضين ورب العالمين ومدبر الخلق أجمعين ، من أمره بين الكاف والنون ، وإذا أراد شيئاً فانما يقول له كن فيكون .

وأن كنت تحب أحداً لاحسانه ومزيد انعامه وعظيم تبريزه في باب الفضائل والمكارم فأحب منبع النعم ومعدن الكرم ، وأين كل ما تتخيله اذا قسته بقطرة من بحار فضله ، وماذا نعدد لك من نعمه أو نسرد عليك من آثار كرمه بعد ماعلمت أنه المفيض لكل نعمة فى الوجود وأنه رب الكرم والجود . (وَمَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ولعمر الانصاف إن هذا المقام يجب أن تتكسر فيه الأقلام وتخرس فيه الألسن فلن تطيق شرح نعمة من نعمه وانظر ان شئت لنعمة الهواء التى يتوقف عليها وجود كل حى الى آخر ما يتفرع منها ويتشعب عنها وان شئت فأنظر الى نعمة الضياء أو الماء وما أودعه فى الأشياء من الكهرباء بباهر حكمته وعظيم تدبيره (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) . « وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ » وقد أحس بتلك العظمة المدهشة وذلك الانعام الفائض على كل من فى الوجود ذلك الرجل العظيم صاحب النفس المطلقة من القيود الفيلسوف لينه الفسيولوجى الفرنسى الذى كان يدعوه وجدانه فيجيبه ويناجيه شعوره الحى فلا يتغافل عنه قال (ان الله الأزلى الكبير العالم بكل شىء قد تجلى لى ببديع صنائعه حتى صرت مدهوشاً مبهوتا فأى قدرة وأى حكمة وأى ابداع أودعه مصنوعات يده سواء أكان فى أصغر الأشياء أم أكبرها ان المنافع التى نستمدها من هذه الكائنات تشهد بعظيم رحمة الله الذى سخرها لنا كما أن جمالها وتناسقها ينبىء بواسع حكمته وكذلك حفظها عن التلاشى وتجددها ينطق بجلاله وعظمته) ولنرجع الى أصل الموضوع فنقول .

اذا كنت تحب نفسك وكمالها فأحب من أوجدها فى أحسن تقويم وشق سمعها وبصرها وأسبغ عليها نعمه ظاهرة وباطنة ولم يقتصر كرمه على اقامته الضروريات

والحاجيات ، بل أعطاك من الكماليات ما تتنوع به لذاتك وتتم به بهجتك فليس من الوفاء أن تعرض عنه وقد غمرتك نعماؤه وأشرق عليك ضياؤه وعذب ماؤه ولطف هواؤه وأنعشتك بدائع أكوانه من رياض غناء وصحارى فيحاء وأثمار شهية ونغمات شجية ومناظر تطير بالقلوب الى حضرة علام الغيوب من شموس وأقمار وأطيار وأزهار وليل ونهار . أما يجب أن تقول عند رؤية تلك الآيات المدهشات والدلائل الناطقات والنعم الفائضات ما قال ذلك البدوى الذى لم تشغله المدنية وزخرفها عن أن يرجع إلى قلبه ويسمع من حديث لبه حيث يقول

هاج للقلب من هواه أدّكار ... وليال خلا لهن نهار
وجبال شوامخ راسيات ... وعيون مياههن غزار
ونجوم تلوح فى جنح ليل ... مشرقات فى كل يوم تدار
وشموس مضيئة للبرايا ... فى نهار وفى الدجا أقمار
ورياح تهب من كل فج ... وبروق وراءها أمطار
ان شأن الاله شأن كبير ... جل ربا وجلت الآثار
والذى قد ذكرت دل على الله ... نفوساً لها هدى واعتبار

أو تقول كما قال غيره مخاطباً نفسه مستحثا لها على العبرة واطالة الفكرة حيث يقول فى تخميس أبيات أبى نواس (بتصرف وزيادة)

تبصّر حيث كان لك التبصر ... وفى ذات الاله دع التفكر
وأن ترد المهيمن حين تذكر ... تأمل فى نبات الأرض وانظر
الى آثار ما صنع المليك

فأنوار المهيمن ساطعات ... وأفكار الخلائق حائرات
ولكن الأدلة واضحات ... أصول من لجين زاهرات
على أغصانها ذهب سبيك

شموس فى البرية مشرقات نجوم فى الدياجى لامعات
تطول الدهر دوما سابحات الى ما لست أدرى طائرات
يطير بها له الجرم السميك
رياض مونقات منعشات وألوان لعينك مدهشات
وأزهار تروقك مبهجات على قضب الزبرجد شاهدات
بأن الله ليس له شريك

أو يقول كما قال ذلك القائل

يقولون أين الله أين عجائبه وذا الكون سفر واضح وهو كاتبه
يشكون والأيمان ملء قلوبهم ويبدون ما تلك القلوب تكذبه
فأى أمرىء فى الجو يرسل طرفه اذا ما بدت أقماره وكواكبه
وليس يقول الله فى عرش مجده وهذى حواشيه وهذى مواكبه
وأى أمرىء ما سبح الله مرّة اذا راقب الأزهار وهى تراقبه
عجائب ربى فى الأنام كثيرة ولكن جهل المرء لا شك غالبه

أو يقول وقد امتلأت نفسه بأنوار وجود الحق الذى ظهر فى جميع الأشياء وتجلى نوره فى عوالم الأرض والسماء وان غاب عن الأبصار وجل أن يدرك بالانظار .

ظهر الوجود الحق فى الأشياء متجلياً جهراً بغير خفاء
ان الوجود عن البصائر غائب من حيث ما هو ظاهر للرائى
والفىء يكشف أن ثمت شاخصا متحكما فيه بغير مراء
فرأيته من حيث لم تعلم به وعلمته فى رتبة الأسماء
والشمس لا تستطيع رؤية ذاتها لتألق فيها وفرط ضياء

أو يقول مقال ذلك الرجل الذى رآه ظاهراً فى آثاره ظهور الشمس وان تعالى بحقيقته عن العقول :

حسن تراءى فى المرائى وبه تحير كل رائى
والكون عرس زينت ذى الأرض فيه مع السماء

بكواكب ومراكب والنجم خفاق اللواء
وصدى جميع الكائنا ت أخيَّ من أشهى الغناء
هو باطن هو ظاهر فاحذره من وجه الخفاء
واطلبه من وجه الظهو ر تجده فى كل المراء
شمس وكل الخلق فى أنوارها مثل الهباء
يا قوم كيف عقولنا لا تضمحل من الهباء

أو يقول عند ما يرى الأشجار تتهادى فى حلل الأوراق والأزهار معجباً برؤيتها متعجباً من قدرة خالقها

يا صاحبيّ تعجبا لملابس قد حاكها من لم يمد لها يداً

فقل لى بعيشك هل من الحياء (والحياء خلق كل كريم) أن تتمتع بما خلق الله لك من الأضواء والاصباح والامساء وما أوجد لك من بديع الأشياء وسخر لك من الأرض والسماء وكان الأمر على ما يقول عز وجل (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنةً) ثم لا تؤدى شكره ولا تعرف قدره

انى لأعجب ممن قد رأى طرفا من فرط لطفك ربى كيف ينساك

فان كان لا يؤثر فى نفسك فائض إنعامه ومزيد إحسانه ولا ماهو عليه من قدرة يتحير فيها الناظرون وعظمة لا يصفها الواصفون ، وعلم لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء وحكمة أتقن بها جميع الأشياء ولا ما هو متصف به عز وجل من نعوت الجمال وصفات الكمال وكان لا يستولى على نفسك إلا سلطان الحسن الذى تشاهده بعينك أو تلمسه بيدك ، فاعلم أن كل جمال يقع عليه حسك أو يتصل به لمسك فانما هو ظل من ظلال ذلك الجمال المطلق الذى يجل عن الحدود ويتعالى عن القيود وليس يعطيك أى مظهر من مظاهره إلا بعض سرائره ولا تمثل لك أى مرآة من مراياه إلا بعض مزاياه وأنّى يسع المحدود من لا يقبل التحديد وكيف لا يضيق المقيد بمن لا يدخل فى سجن التقييد ، فطوبى لمن شم عرف شذاه أوشام برق سناه وهنيئا لمن شرب قليلا من مدامه ولو مزجا فاذا لم يدر ما هو تائق اليه ومتلهف عليه قال :

شيء به فتن الورى وهو الذى   يدعى الجمال ولست أدرى ما هو

وقد قال بعض الحكماء لتلاميـذه : ان الناس كلهم يشتاقون الى الله أتدرون لماذا : لأنهم يتوقون الى صلاح لا يتنـاهى وكمال لا يتناهى وجمال لا يتناهى وليس ذلك إلا لله تعالى .

فارجع الى سلامة فطرتك وحدق بصر بصيرتك وطالع ذلك الجمال الآلهى الذى تجلى على صفحات الموجودات وأقرأه بين سطور تلك المبدعات ثم انظر رعاك الله الى أى حد انتهيت ولا أظنك ان كنت رقيق الوجدان لطيف الشعور قوى الاحساس بالجمال الا وقد وصلت الى معنى يصغر بجانبه اسم الحسن اذ تجـدك أحسست بجمال لا يكيف وغرقت فى بحر من الجلال لايحد ولا يأتى عليه التعبير

فطورا فى الجلال على التـذاذ   وطـوراً فى الـتذاذ بالجمـال

وعند ذلك ينطق لسان حالك منشداً

عجبت لعاقل فى الناس أضحى   يرى هـذا الجمـال ولايهيم

ويترنم بلبل روحك مغرداً

لعمرك كل الحسن من بعض حسنه   وماحسن كل الحسن الا جماله

فأستجل هذا الحسن رعاك الله فى كل شيء تراه من العلويات والسفليات

إن شئت فى فلك أو شئت فى ملك   أو شئت فى مدر أو شئت فى حجر

فالكل ينطق أن الله خالقـــه   وهو المليك ورب النفع والضرر

وهل الشمس وهى أظهر ماعلمت وأبهر مارأيت وأجمل ماوقع عليه البصر وأبهى ماوصل اليه النظر الا أثر من آثاره ونور من أنواره وقـد كتبت عليهـا سطور البهـاء والجمال والعزة والجلال ، فنحن نقرأ فيها قدرة نخر لهـا ساجدين وحكمـة نقف أمامهـا مبهوتين وجمالا يذوقه الوجدان وان كان لايكيفه وتمتلىء به النفوس وأن كانت لاتعرفه ونطالع فيها رحمة تجعلنا قائلين بلسان الشاكرين تبارك الله أحسن الخالقين ، وحقه وما أكبر حقه لو تفرغت من الشواغل التى أخذتك ولم تدع منك شيئا لعشقت فذقت فنطقت فقلت :

تراه ان غاب عنى كل جارحة　　في كل معنى لطيف رائق بهج
وفي مساقط أنداء الغمام على　　بساط نور من الأزهار منتسج
وفي مسارح غزلان الخمائل في　　برد الأصائل والاصباح في البلج
وفي مساحب أذيال النسيم إذا　　أهدى الى سحيراً أطيب الأرج

عظم والله البرهان وأمتلأ الوجدان ووصل الأمر الى حد العيان وليس بعد العيان بيان، ولكن قويت الأنوار فعشيت الأبصار فهي آيات أعتيدت مشاهدتها وتكررت رؤيتها وسقط عن القلب وقعها وان عظم نفعها ولكن الهمة أن تكون من المستبصرين لا ممن أخلد الى الأرض من الغافلين الجامدين .

خليلىّ قد طال المقام على القذا　　وحال على ذا الحال ياقوم أحوال

فاطلب رعاك الله مرافقة سكان الملكوت وعشاق الجبروت ، فان كنت تحب أحدا لما بينك وبينه من التشاكل والتناسب فأحب الملأ الأعلى سكان ملكوت الله تعالى فان فيك مايشاكلهم تمام المشاكلة (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) وليس غذاء هذا الجوهر النفيس الا العلوم والمعارف ولا مطلبه الا السرور والحبور ولا أمنيته الا الاطلاق من جميع التقييدات والاطلاع على جميع المغيبات وهو من عالم التقديس والتطهير، ولكنك نسيت عالمك الأول منذ فارقته وأشتغلت بمطالب هذا الهيكل الجثماني الذي لابد له من الفناء فأنست بالظلمات وتمرنت على احتمال الآفات .

من يهن يسهل الهوان عليه　　ما لجرح بميت ايلام

ولذلك يصف القرآن من هذا حاله بالموت لأنه أمات أفضل غريزة فيه بل أماتُ خاصته التي هو بها انسان على الحقيقة فيقول (أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا) وقد استولت عليك هذه المطالب الجسمانية حتى أنستك عالم البهجة والبهاء فصرت لاتعرفه ولاتحس به وانه لموطن روحك ومحل أنسك وليست الروح تحب هذه الملاذ الجسمانية الا لأجل بدنها لا لأجل ذاتها وأما مطلبها الذاتي وغذاؤها الأصلي فهو الأسرار والأنوار ولما طال بها

العهد وهى فى سجن الظلمات ومحل الآفات نسيت ماهى مستعدة له ومخلوقة لأجله وهو فى الحقيقة نسيان لنفسها (نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُم) فكأن لم يكن لها عهد بالصفاء ولا علاقة بعالم الجمال

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

أسأل الله أن يعيد لأرواحنا صحتها الأولى ويخلصها من أمراضها التى أضعفت منها تلك الحاسة العليا التى هى مناط لذتها الكبرى وشرفها الأعلى وخاصتها الأولى ويرزقنا محبة الله ومحبة الانبياء الذين هم أطباء الأرواح وأساتذة النفوس بمنه وكرمه ؟

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

شباك طبيعية لصيد الاسماك

يوجد فى غابات غينا الجديدة نوع غريب من العنكبوت لا يزيد حجمه عن البندقة الصغيرة يحيك نسيجه بين غصون الأشجار . وتستعمل أهالى هذه البلاد هذا النسيج لمتانته ومناعته ضد البلل فى صيد الأسماك . وتبلغ مساحة هذه الشبكة حوالى أربعة أمتار مربعة وتتسع حلقاتها عند محيطها الى ٨ س م[1] ثم تأخذ فى الضيق نحو الوسط حيث لا تزيد عن السنتيمتر المربع الواحد . وكثيراً ما تقيم الأهالى سيقان الغاب فى النواحى التى تكثر فيها هذه العناكب لتنسج عليها شباكها ثم تنتزعها من بينها بسهولة .

---

(١) نقلا عن مجلة العلم الشائع الأمريكية

قضية البربر بالمغرب الأقصى

كانت الصحف قد نشرت أن الفرنسيين بالمغرب يتدخلون في شؤون البربر الدينية ، ويعملون لاخراجهم من الاسلام الى النصرانية ، وقام لهذه الحادثة العالم الاسلامى بالانكار والاحتجاج ، وكان الريب يخالج بعض الناس في هذا النبأ لاعتقادهم أن ليس في أولى القوة اليوم من تحدثه نفسه بالتعرض لعقائد القوم وحرمانهم من التمتع بحقوقهم الدينية، وقد قامت لدينا شواهد كثيرة تدل على صحة ذلك النبأ وتثبت أن الفرنسيين بالمغرب قد وجهوا قصدهم في غير مواراة الى فصل البربر عن بقية اخوانهم المسلمين وتحويلهم الى الديانة المسيحية .

ومن هذه الشواهد الظهير الذى صدر من سلطان مراكش في اليوم السابع عشر من ذى الحجة سنة ١٣٤٨ — ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ ونشرته «الجريدة الرسمية للدولة المغربية» في ٨ المحرم سنة ١٣٤٩ — ٦ يونيه سنة ١٩٣٠ .

ومقتضى هذا الظهير تنازل سلطان المغرب عن حقوقه الدينية في البربر لفرنسة وتخويلها النظر في شؤونهم المدنية والجنائية واحوالهم الشخصية ، ومن فصول هذا الظهير المختص بشؤون البربر مايأتى :

«مع مراعاة القواعد المتعلقة باختصاصات المحاكم الفرنسية بايالتنا الشريفة فان الدعاوى المدنية أو التجارية والدعاوى المختصة بالعقارات أو المنقولات تنظر فيها محاكم خصوصية تعرف (بالمحاكم العرفية) ابتدائية أو نهائية كما تنظر المحاكم المعروفة في جميع القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية أوبأمور الارث وتطبق في كل الأحوال العوائد المحلية»

«ان المحاكم الفرنسية التى تحكم في الأمور الجنائية حسب القواعد الخاصة بها ، لها النظر في الزجر عن الجنايات التى يقع ارتكابها في النواحى البربرية مهماكانت حال مرتكبها» .

صدر هذا الظهير فاضطرب له المغرب الأقصى وقاموا بمظاهرات في المساجد وبعض الشوارع فاخذت الحكومة تسوق المتظاهرين الى السجون ، ولم تمنعهم هذه الشدة أن يقدموا الى السلطان خطابا مصحوبا بلائحة [1] طالبوه فيها بالنظر فى أمر هذه الفتنة الرائعة،ولدينا نسخة من هذا الخطاب وأخرى من هذه اللائحة مأخوذتان بالآلة المصورة وعليها توقيعات جمع عظيم من أعيان المغاربة، ومما يقولون في الخطاب «وكان الأمير الجليل يوسف بن تاشفين وهو من صميم البربر ينشر دعوة الاسلام ومعالمه ويستصحب لكافة القبائل أجلة العلماء استرشادا لهم في اجراء الشعائر الاسلامية دون توان أوفتور أوتراخ أو قصور، واقتفى أثره في ذلك ملوك البربر كالموحدين وبنى مرين حينا بعد حين ، واستمر لواء الشريعة على عهدهم منشورا ، وجند الحنفية السمحة مؤيدا منصورا في جميع انحاء المغرب : مدنه وقراه ، عربه وبربره» .

اما اللائحة فتحتوى ثلاثة عشر مطلبا وهى :

(١) احترام نفوذ جلالة السلطان بالمملكة وتثبيت سلطته الدينية والدنيوية .

(٢) اصدار ظهير يجعل سائر الحواضر والبوادى خاضعين لحكم الشريعة الاسلامية .

(٣) تنظيم المحاكم الشرعية واصلاحها وتعميمها في جميع القطر المغربى .

(٤) توحيد برامج التعليم في سائر المدارس التى تؤسس لتعليم الأهالى سواء في المدن أم في القبائل وتعميم اللغة العربية التى هى لغة القرآن وتعميم تعليم الدين الاسلامى .

(٥) احترام اللغة العربية لغة البلاد الدينية والرسمية في الادارات كلها .

(٦) ايقاف حركة المبشرين على اختلاف جنسياتهم ومذاهبهم ومنعهم من التجول بالقبائل ونشر أى شىء يمس كرامة الاسلام وكرامة النبى صلى الله عليه وسلم .

(٧) عدم منح أى اعانة من ميزانية الدولة أوملك من أملاكها للجمعيات التبشيرية وللساعين في تشييد الكنائس ومنتديات التبشير في أطراف البلاد المغربية .

---

(١) محررة فى ٢٢ ربيع الاول سنة ١٣٤٩ هـ

(٨) عدم السماح للمبشرين باحداث ملاجىء للأيتام واللقطاء ومدارس صناعية أو علمية للبنين أو البنات ، والانفاق على ذلك من المال المعد للمصالح العامة وأموال جماعة المسلمين كما هو مقرر في الشريعة الاسلامية ، أما ماسبق تأسيسه فاما أن تقوم به الحكومة واما أن يقفل ، وعلى أى حال لايبقى تحت تصرف المبشرين .

(٩) لا يعيّن الرهبان والمبشرون في مدارس الحكومة للتدريس أو المديرية بها .

(١٠) عدم التعرض لفقهاء المكاتب والشراطين[1] بالقبائل واعطاء الحرية للوعاظ والعلماء وشيوخ الطرق للتجول بالانحاء المغربية بقصد تعليم الناس أحكام دينهم وحثهم على شعائره .

(١١) اسقاط جواز التنقل بداخل الايالة المغربية التى يحصل بها بُعْدُ الحضر عن البدو ، ويتعذر بسببها التفقه في الدين .

(١٢) اعتبار جميع السكان الموجودين بالبلاد المغربية ماعدا الاجانب تحت رعاية مولانا السلطان وسلطته خاضعين للمحاكم الشرعية والمخزنية التى تؤسس باسمه الشريف، وكذلك اعتبار جميع المغاربة مما عدا اليهود مسلمين بمعنى أنه لاتوجد ملة ثالثة للمغاربة الوطنيين .

(١٣) منح العفو العام عن جميع المسجونين والمنفيين في سبيل هذه القضية وعدم التعرض لكل من خاض فيها . »

نأخذ من هذه المطالب صحة أمور يعزوها المراسلون والواردون من بلاد المغرب الى الفرنسيين هنالك فان قولهم في المطلب السادس «ايقاف حركة المبشرين» يدل على صحة مايبلغنا من طرق شتى ان لرجال الكنيسة حركة تبشير يقومون بها في المغرب عامة وفي القبائل البربرية خاصة والفرنسيون يساعدونهم بما يستطيعون من قوة ، وقولهم في المطلب السابع «عدم منح أى اعانة من ميزانية الدولة أو ملك من

(١) الذين يكتبون الشروط ويشهدون بين الناس على مقتضى الفقه الاسلامى

أملاكها للجمعيات التبشيرية» ناطق بصحة ماذاع في الشرق من أن القوة المحتلة تقطع من مال الدولة المغربية أموالا تصرفها لرجال الدعوة الكاثوليكية مساعدة لهم على نشر النصرانية بين المسلمين ، وما كان ينبغي لها أن تأخذ جانبا من أموال المسلمين وتنفقه في مناوأة دينهم الحنيف والقضاء على شريعتهم الغراء ، وقولهم في المطلب العاشر «عدم التعرض لفقهاء المكاتب والشراطين واعطاء الحرية للوعاظ وشيوخ الطرق الصوفية للتجول بالانحاء المغربية الخ ! ! ؟» يصدق ماوردت به الرسائل من أن فرنسة سدت في وجه هؤلاء طريق التجول في بلاد البربر ، وهى لاتسد في وجوه هؤلاء طريق التجول الا حين تريد أن تقطع عنهم الدعوة الا سلامية ، وقولهم في المطلب الحادى عشر «اسقاط جواز التنقل بداخل الايالة المغربية» يحقق لنا أنها تريد أن تقطع الصلة بين قبائل البربر وبقية المدن فقررت لهذا الغرض الا يتنقل أحد من بلد الى بلد الا بتصريح حتى لاتأذن لأحد في دخول بلاد البربر الا أن يكون من أوليائها أولاتخشى منه أن يقوم بدعاية خلاف دعايتها . وقولهم في المطلب الثالث عشر «منح العفو العام . عن جميع المسجونين والمنفيين الخ» يؤيد ماتتابعت عليه الرسائل من أنها كانت تسوم كل من يظهر منه انكاراً عقاب النفى أو السجن .

قضية تنصير القبائل البربرية اندفع اليها الفرنسيون في صراحة بعد أن كتب فيها كتابهم وحثهم عليها بعض قسسهم ، والآن بين أيدينا مقالات متعددة لبعض كتابهم يرسمون فيها خطة قطع البربر عن تعاليم الاسلام وتحويلهم الى مسيحيين فرنسيين ، منها مقال بقلم المسيو كيو محرر جريدة الصليب بباريز نشرته مجلة «المروك كاثوليك» (المغرب الكاثوليكى) في عددها الصادر في نوفبر سنة ١٩٢٣ وقالت : انه بحث في هذا المقال بحثا دقيقا في العنصرين (العرب والبربر) المتناقضين التناقض الكلى .

ذكر صاحب هذا المقال شيئا من تاريخ البربر وأورد وجوه التناقض في زعمه بينهم وبين السكان من العرب وقال «ولذلك فهم المشير [1] ليوتى أن ذلك التناقض

(١) المعتمد الفرنسي بالمغرب الاقصى في ذلك العهد

البعيد بين العنصرين كفيل بجلب المصالح لدولة فرنسة ، مدفوعا الى تلك الحقيقة بماله من سرعة الذكاء الذى يريه رأى العين جانب المنفعـة التى يستغلها من الرجال والاشياء ، ولما شاهد من الاشياء التى تصدر من سكان الأطلس تحقق أن تلك المقاومات البربرية ليست تتجه نحو فرنسة ولكن نحو السلطان ، واستخلص من ذلك أن تلك القبائل تطيع بسهولة حكومتنا أكثر مما تخضع لسلطة السلطان» وذكر أن ليوتى هذا «أنعم على البربر بشبه استقلال داخلى وسمح لهم باتفاق مع السلطان بعدم ذكر السلطان نفسه في صلواتهم وعدم أداء الضرائب» وقال «ان البربر أميل الى الخضوع لنفوذنا أكثر مما يميلون الى الخضوع لسطوة السلطان لمالهم من المشابهات الكثيرة بفلاحى فرنسة الا مشبهات تقربهم من العرب الرحالة ، ولذلك فاندماجهم فينا (في الفرنسيس) يكون سهلا كثيرا » ونقل صاحب هذا المقال عن الجنرال مانجار أنه قال عن أهل المغرب «ان تشبثهم بعقائد الدين يفوق تشبثهم بشعائره فاذا لم نصادمهم في العقيدة تمكنا من هدم بناء القرآن وتعاليم محمد» ثم قال صاحب المقال «وهذه هى حالة البرابرة نفسها» وقال «فان طريق استيلائنا على البلاد البربرية صارت ممهدة ، وسيكون ذلك الاستيلاء باسم فرنسة لا باسم السلطان ، ويكون ذلك الاستيلاء بوسيلة المدرسة ونعنى المدرسة التبشيرية لا المدرسة المدنية الملحدة ، ومما لاشك فيه هو اتخاذ احتياطات لان التبشير علنيا يتسبب عنه ايقاظ تعصب المسلمين ، ولكن لنا اليقين بان الاستيلاء مع طول المدة سيتم أمره» .

وقال «فاذاكان المغاربة يبعثون بابنائهم الى مدارس اليسوعيين ببيروت وغيرها من مدارس الكاثوليك فلماذا لايبعث البربر بابنائهم لمدارس النصرانية التى تؤسس في نفس بلادهم ، ويكون ذلك مثلما هو واقع بالقبائل في الجزائر المسكونة ببرابر لافرق بينهم وبين برابرة المغرب» وقال «ان عزم المسيو ليوتى على تأسيس كنيسة جامعة بالرباط على رأسها أسقف كاثوليكى فرنسى يعينه رهبان من طريقته في عمله وتنشيطه لمدارس الرهبان ، كل ذلك يشعر بأنه يقدر نفوذ هؤلاء الرهبان العظيم

حق قدره ، ذلك النفوذ الذى سيظهر أثره في المسلمين»

فقد رأيتم هذا المقال كيف يلهج بدعاية الفرنسيين الى تنصير البربر ، ويصرح بأن المشير ليوتى قد ابتدأ في تنفيذ هذه الخطة اذ اعطى للبربر استقلالهم الداخلى وأمرهم باسقاط السلطان من خطبة الجمعة ، واذا قال الكاتب : فعل ذلك باتفاق مع السلطان : فانا نعلم مامعنى اتفاق السلطان مع فرنسة وهى باسطة على رأسه سلطانها وأما اعطاؤه للبربر استقلالهم الداخلى فلا نفهم له معنى غير أنه انتزع زمام أمرهم من يد السلطان وابقاه في يده ليديره على مايوافق مآرب الاحتلال .

ويقول المسيوليوتى في منشور أرسله الى رؤساء الاستعلامات «لاحاجة لنافي تعليم العربية للمستغنين عنها (يعنى البربر) والعربية رائد الاسلام، ومصلحتنا تأمرنا بأن نمدن البربر خارج طور الاسلام» وقد تتابع رجال السياسة الفرنسية بالمغرب على قصد تجريد التعليم البربرى مماله صلة بالاسلام، وهذا المسيومارتى المستشار بوزارتى العدلية والصدارة الآن يقول في كتابه (مغرب الغد) يصف سياستهم في البربر «فالمدرسة الفرنسية البربرية هى فرنسية باعتبار مايقرأ فيها ، وبربرية باعتبار تلاميذها ، ولا حاجة لنا الى وسيلة أجنبية حيث أن التعليم العربى وتدخل الفقهاء وكل المظاهر الاسلامية ستبعد عنها قطعا ، واننا سنجذب الينا بوسيلة هذا التعليم الصبيان البرابرة ، وبذلك نبعدهم جبرا عن كل مايطلق عليه لفظ «اسلام»

هذا قليل مما تحت أيدينا من مقالات معربة من مجلاتهم ومؤلفاتهم وجميعها يحقق أن مانشرته الصحف وجاءت به الرسائل وتحدث به القادمون من المغرب هو واقع لامرية فيه .

ولم يبق بعد هذا الا أن يعرف رجال فرنسة مايثيره هذا العمل من فتنة زيادة على أنه خارج عن قانون العدل ، فياخذوا على ايدى القائمين به ويتركوا البربر وسائر بلاد المغرب يقومون بشعائرهم الدينية ويتمتعون بحقوقهم الاسلامية .

محمد الخضر حسين

---

(١) كتاب (مغرب الغد) للكمندان مارتى صفحة ٢٢٨

الفتاوى والأحكام

ورد ادارة المجلة السؤال الآتى :

يهمنى أن تتكرموا بعرض المسألة الآتية على قلم التحرير لتمحيصها وبحثها على مقتضى مذهبي الامامين الشافعى والحنفى لكثرة الجدل حولها وعدم الوقوف على حقيقتها ، وهى :

هل يسوغ لشافعى أو حنفى الاقتداء بمالكى تحقق لهما أنه توضأ بماء مستعمل ؟

ثم هل يصح للشافعى أو الحنفى أن يقلد المالكى في الوضوء بالماء المذكور «المستعمل» ويصليا على مذهبهما أم لا . شبراريس ابراهيم محمد راشد

الجواب

اقتداء تابع أحد المذاهب في الصلاة بمخالف له في المذهب من المسائل التى جرى فيها الخلاف بين أهل العلم من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة ، واليك البيان :

مذهب الحنفية — : الأصح في مذهب الحنفية أن الحنفى اذا تحقق من الشافعى مثلا أنه أخل بشيء مما يراه الحنفى شرطا أو ركنا في الصلاة لم يصح اقتداؤه به ، قال الشيخ الشرنبلاى في حواشيه على الدرر «واما الاقتداء بالمخالف فان كان مراعيا للشروط والاركان عندنا فالاقتداء به صحيح على الأصح ، ويكره والا فلا يصح أصلا» فالحنفى اذا رأى من الشافعى مايفسد الصلاة في مذهبه لم يصح اقتداؤه به .

وذهب أبو بكر الرازى من الحنفية الى جواز الاقتداء بالمخالف في الفروع باطلاق فقال «يجوز للحنفى الاقتداء بمن يخالف مذهبنا من المجتهدين وتقليدهم وان رأى فيه مايبطل الصلاة على رأيه ومذهبه» ونقل ابن الهمام عن شيخه سراج الدين الشهير بقارى الهداية : أنه كان يعتقد قول الرازى حتى أنكر مرة أن يكون فساد الصلاة بذلك مرويا عن المتقدمين . وللشيخ محمد عبد العظيم بن فروخ رسالة اعتمد فيها قول الرازى وبنى رسالته عليه حيث قال «هذا (يعنى قول الرازى) هو المنصور دراية وان اعتمدوا خلافه رواية وهو الذى أميل اليه ، وعليه يتمشى ماذهبنا اليه في هذه الورقات

فاذا تحقق حنفي من مالكى أنه توضأ بماء مستعمل لم يصح الاقتداء به في المشهور من مذهب الحنفية وساغ له الاقتداء به في قول أبي بكر الرازى .

مذهب الشافعية — : الأصح في مذهب الشافعية - كما في المجموع للامام النووى - أن المأموم اذا تحقق ترك الامام لشيء هو في اعتقاد المأموم معتبر في صحة الصلاة لم يصح اقتداؤه به ، وان تحقق اتيانه به أوشك في ذلك صح الاقتداء .

وذهب أبو بكر محمد بن على القفال من أكابر علماء الشافعية الى ان العبرة باعتقاد الامام فيصح اقتداء الشافعى بالحنفى أو المالكى اذا أتى بالصلاة على الوجه الصحيح في مذهبه وان لم تكن صحيحة على مذهب المأموم وتحقق المأموم ذلك ، فلو مس حنفى امرأة أو ترك الطمأنينة في الصلاة مثلا لم يصح اقتداء الشافعي به على ماهو الأصح في المذهب، وصح الاقتداء على قول أبي بكر القفال، فاقتداء الشافعى بمالكى تحقق له أنه توضأ بماء مستعمل يمنعه جمهور الشافعية ويجيزه القفال .

مذهب المالكية — : المقرر في مذهب المالكية : أن الاقتداء بالمخالف في المذهب صحيح ولو لم تكن صلاته صحيحة على مذهبهم كأن يترك الدلك أو مسح الرأس في الوضوء ، قال الشيخ خليل في مختصره «وجاز اقتداء بمخالف في الفروع الظنية ولو اتى بمناف لصحة الصلاة كمسح بعض رأسه»

مذهب الحنابلة — : يجيز الحنابلة الاقتداء بالمخالف في الفروع كالمالكية قال الشيخ ابن تيمية في فتاويه «وكان أحمد بن حنبل يرى الوضوء من الحجامة والرعاف ، فقيل له فان كان الامام قد خرج منه الدم ولم يتوضأ ، أفنصلى خلفه ؟ فقال كيف لاأصلى خلف سعيد بن المسيب ومالك ؟ .

ومعنى هذا الجواب أنه يصح للحنبلى أن يصلى وراء المخالف في المذهب وان تلبس بما ينافي الصلاة في مذهب الامام احمد بن حنبل ، فان سعيد بن المسيب ومالك ابن انس لايريان الوضوء من خروج الدم وقد أنكر احمد بن حنبل على من تردد في الاقتداء بمن يرى رأيهما وقد خرج منه الدم ولم يتوضأ .

وجه صحة الاقتداء — : قد عرفت ان المالكية والحنابلة وأبا بكر الرازى من الحنفية وأبا بكر القفال من الشافعية يجيزون الاقتداء بالمخالف في الفروع الظنية على الاطلاق،

ووجه هذا المذهب أن الأصل صحة اقتداء المسلمين بعضهم ببعض ، ومن ذهب الى عدم الصحة فعليه اقامة الدليل ، ولم نر للقائلين بعدم الصحة الا دليلا هو اعتقاد المأموم أن امامه على خطأ ، وهذا غير كاف في الاستدلال ، لأن المأموم يعتقد مع ذلك أن عمل الامام صحيح عند الله اذ كل مجتهد مطالب بان يعمل على مقتضى اجتهاده ومن قلده انما يعمل على مقتضى هذا الاجتهاد ، واذا كان عمل المجتهد أو من يقلده صحيحا عند الله فما المانع من الاقتداء به ؟

ثم ان السلف من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين كانوا يختلفون في الفروع ، ولم ينقل عن أحد منهم أنه تحرج من الاقتداء بمن يخالفه في اجتهاده .

تقليد الشافعى أو الحنفى للمالكى :—

يجوز لأحد اتباع الأئمة المجتهدين تقليد مذهب امام آخر اذا لم يقصد التلاعب، وهذا ماكان في عهد الصحابة رضى الله عنهم ، فانه لم يرد انهم انكروا على العامة تقليد أحدهم في بعض المسائل وآخر في غيرها ، والمدار على أن يكون قاصد الانتقال من مذهبه على بينة من صحة الحكم في المذهب المنتقل اليه ، كان يتلقاه من عالم أمين ، وصحة الوضوء بالماء المستعمل ثابتة في مذهب مالك ، فاذا توضأ الشافعى أو الحنفى بالماء المستعمل مقلدا مذهب الامام مالك فصلاته صحيحة .

هذا مايقوله المحققون من علماء الاصول غير أن منهم من يذكر للانتقال شروطا وأهم هذه الشروط ان لايحصل بالانتقال صورة يقع الاجماع على بطلانها كأن يتزوج بغير صداق ولا ولى ولا شهود ، وان لايكون شأنه التقاط رخص المذاهب أينما وجدها .

وهذا الحكم واضح فيما اذا لم يعمل في الحادثة بمذهب امامه قبل الانتقال الى مذهب غيره ، اما الانتقال في حادثة سبق له العمل فيها بمذهب التزم تقليده فقد حكى فيه ابن الحاجب والامدى الاتفاق على المنع، وأنكر ابو عبد الله الزركشى في كتابه «البحر المحيط» هذا الاتفاق وذكر أن الخلاف جار في الانتقال بعد العمل أيضا أى أن من أهل العلم من يجيز للعامى ان ينتقل في الحادثة الى مذهب آخر ولو سبق له العمل فيها بمذهب امامه

محمد الخضر حسين

العلوم والآداب

المسلمون في الروسية (١)

١ — حالتهم من الوجهة الداخلية

٢ — أول المهاجرين من المسلمين

دعاة الانفصال — الاتحاديون — « البيض » (٢)

ان فكرة الانفصال لاترجع فقط الى عهد اعتلاء البلشفية منصة الحكم كما يتوهم البعض في فرنسة ، ولا يجب ان يتسرب الى الذهن أنها وليدة ذلك الانقلاب المريع وحده الذى لم يكن الا احد عواملها وسببا من الاسباب التى نشأت عنها لأن تلك الفكرة فكرة الانفصال ليست بحديثة العهد بل دعى اليها قبل أن يعرف الناس شيأ عن الشيوعية.

تلك ظاهرة اجتماعية لها مثيل من الظواهر الطبيعية اذ نرى ان القوى الدافعة تظهر طلائعها قبل أن نلمح المركز الذى تنبعث منه ، مثال ذلك النداء الذى رفعه مسلمو روسية الى رئيس الولايات المتحدة الامريكية عند انعقاد مؤتمر الجنسيات بلوزان (سويسرا) في شهر مايو عام ١٩١٦ من الميلاد حيث جاء به ما يأتى :

«نحن مسلمى روسية من تاتار وبشكير وسارت وطاجيك وتركمان من شعوب القوقاز الجبلية البالغين خمسة وعشرين مليون نفس نحتج بشدة على اضطهاد حكومة روسية لنا مما نبه فينا شعور التضامن والتعاون ذلك الشعور الذى لم نكن نعرفه من قبل

ان تلك الحكومة تحول بيننا وبين اقامة شعائر ديننا الذى هو اقدس تراث لنا وقد حاول الروس عام ١٨٩٢ من الميلاد أن يدخلوا في القرآن بعض التحريف والتعديل واستهانوا بحقوقنا السياسية المعترف بها قانونا ولم يقيموا لها وزنا أو يحترموا لها شأنا هذا الى ما اقاموه من العقبات ونصبوه من العراقيل في سبيل تقدمنا المادى والفكرى فضلا عن أنهم قيدوا توظفنا في الجيش والادارة والمحاكم وضيقوا علينا

---

(١) مترجم عن الفرنسية من كتاب البلشفية والاسلام لجوزيف كاستنييه

(٢) « البيض » هم الروسيون المعارضون للحكم الشيوعى كما أنه يطلق على الشيوعيين اسم « الحمر »

سبل الاحتراف بالمهن الحرة واغتصبوا أراضينا واعطوها غنيمة باردة لكبار المقربين منهم ، ومنذ أن أقامت الحرب لم يبقوا للعدل ظلا ولا للعدالة أثرا وأخذوا يسومونتا سوء العذاب ويذيقوننا أشد العقاب بدون تحقيق وبلا دفاع.

وختم النداء بهذه العبارة :

«فهلموا الى اغاثتنا وتعالوا الى نجدتنا من الهلاك والدمار ! ! »

ووقع عليه بالنيابة عن المسلمين اصحاب الامضاءات الآتية :

قازى عبد الرشيد ابراهيم ـ اغا اوغلى احمدبك ـ اختشورا اوغلى يوسف ـ حسين زاده

ليس المجال هنا مجال بحث تلك المطالب وتمحيصها بل كل مانرمى اليه من سردها هو أن نبين أن العناصر المعارضة للحكم الروسى والداعية لفكرة الانفصال ليست بحديثة العهد أو أنها وليدة الانقلاب الروسى الاخير ، ولا تخلو الاشارة اليها من فائدة من الوجهة التاريخية

اما المهاجرون المسلمون انصار فكرة الاتحاد فيمثلهم حزب يدعى «تورك عدمى ومركزيت فرقه زه» ويرمى الى انشاء دولة روسية متحدة تؤسس على مبادىء جديدة

ولنبحث الآن مبادىء ذلك الحزب حسب ماجاء ببرنامجه الذى نشره بمدينة الزابتبول في ابريل سنة ١٩١٧ : اعلن اعضاء هذا الحزب في برنامجهم أن يكون شكل الحكومه جمهوريا اتحاديا (لامركزيا) وارادوا بذلك أن يمنح الاستقلال الذاتى المحلى للمقاطعات التى يسود فيها العنصر التترى وأن تمنح الجزر الواقعة بعيدا عن الروسية وفيها اقليه من التتر استقلالا ذاتيا اهليا .

فأما المقاطعات ذات الاستقلال الذاتى المحلى فيكون لها السلطة التشريعيه والتنفيذية وتؤلف منها الولايات المكونة لدولة الروسية الاتحادية وتشترك معها في نظام الجيش وخطط الدفاع عن كيان الدولة وفي السياسة الخارجية وسك النقود ونظام الضرائب المقررة على البضائع (الضرائب الجمركية) وتكون تلك المقاطعات مستقلة في كل المسائل المتعلقة بسياستها الداخلية .

واما الطوائف التى تتمتع باستقلال ذاتى أهلى والموجودة خارج روسية فانها تتحد تحت ادارة عامة وترتبط برابطة ملية ووطنية ويوضع لها نظام يحدد فيما بعد .

واما المسألة الدينية فانها تحل بطريقة يكون أساسها حسن التفاهم والتسامح المتبادلين بصرف النظر عن الخلاف القائم بين السنيين والشيعيين .

من ذلك نرى أن هذا البرنامج برنامج شعبي وتغلب عليه روح الافكار الحديثة وانه وان لم يكن برنامجا اشتراكيا الا أن الحزب الاتحادى قد قرر في ختامه انه يعتمد لتحقيقه على هيئات العمال .

ويلاحظ عند درس هذه الوثيقة السياسية التى وضعت في العهد الاول من الثورة أن واضعيها لم يتنحوا كثيرا عن المبادىء التى اعلنها منذ زمن بعيد أول الداعين لفكرة الحكم الشعبي (الديموقراطى) في الروسية وكان يمثلهم حزب «الزراع الاشتراكيين» الذى كان يدعو دائما الى مبدأ الحكم الاتحادى (اللامركزى) والى تأسيس ولايات روسية ذات استقلال ذاتى .

الا انه لم يتبع هذا البرنامج الحزب الدستورى الشعبي (الديموقراطى) الذى تأسس وتسمى باسم مختصر دعاه «الشاب» وكان مكونا من أصحاب الاموال والجاه وقويا بنفوذه الفكرى والادبى وذلك بفضل الصفات البارزة التى كان يتحلى بها اعضاؤه المنتخبون من صفوة رجال العلم والأدب وقد كان هذا الحزب بطبيعة تكوينه ذا ميول ظاهرة لتأييد مبدأ الحكم المركزى ولا يرى اعضاؤه تطبيق مبدأ الحكم الذاتى على بولونيا وفنلاندا .

قد يخيل لنا ان تلك الافكار قد أكل عليها الدهر وشرب واصبحت عتيقة لا يعمل بها الآن ولا تستحق الدرس والبحث ولكن لكى يتسنى درس هذا الموضوع من الوجهة التاريخية لم نر بدا من أن نأتى بموجز عن تاريخ الحركة الوطنية الاسلامية قبل الحكم الشيوعى وعن اوجه الشبه ونقط الخلاف التى بينها وبين الآراء التى قامت عليها حكومتنا الشعبية (الديموقراطية) .

ان مجال هذا الموضوع لايتسع لسرد تاريخ الحركة التى قام بها «البيض» الا أنه يجب ألا ننسى أن اهم ادوار ذلك العراك الذى دارت رحاه بين «البيض» «والحمر» كانت ميادينه في كثير من الاحيان المقاطعات الآهلة بأغلبية من التتر الذين كانوا بطبيعة مركزهم مضطرين الى الاشتراك فيه اشتراكا فعليا اما بصفة ضحايا معتدى عليهم واما بصفة فاعلين أصليين معتدين .

اما الاشتراكيون الثوريون (الزراع الاشتراكيون) اعضاء الجمعية التأسيسية المنحلة فقد اشتركوا في صيف سنة ١٩١٨ مع بعض العناصر الشعبية (الديموقراطية) في تنظيم حركة ضد البلاشفة واتخذوا ميدانا لها فيما وراء الفولجا ، وكونوا لهم لجنة ادارية دعوها «اوفا» وكان التتر يشدون ازرهم في هذه الحركة وجعلوا قازان أهم هدف وجهوا اليه جهودهم كما كان يسعى اليها في نفس الوقت الجيش التشيكوسلوفاكى وكان الآتامان دوتوف قائد قوزاق اورنبرج من اهم مساعدى امير البحر (الاميرال) قولتشاك الذى قام بحركة في بلاد البشكير .

واذا انتقلنا الى جهة جيوش «البيض» في الجنوب لألفينا أول نواة للمقاومة حيث تأسست في عام ١٩١٨ حكومة شعبية من تتر بلاد القرم تحت رياسة القائد سولكيفيتش احد تتار ليتوانيا وبجانبه المسيو ڤيناور احد زعماء الحزب الدستورى الشعبي (الشاب) وكان وزيرا للخارجية والمسيو نابوكوف من اعضاء الحزب المذكور وتقلد وزارة الحقانية ، وكان القائد دينكين يعتمد على قوقاز الشمال ، وقد التف حول الراية الثلاثية الالوان كثير من المسلمين الذين يقطنون الجبال .

وفي مايو سنة ١٩١٩ اقيمت حكومة اسلامية في الداغستان تحت رياسة القائد خليلوف حليف دينكين الا أنها لم تدم طويلا بسبب مالاقته من مقاومة الانجليز .

واما الحكومة المعارضة للبلشفية فكانت حكومة شعبية باوسع معانى الكلمة ومكونة من رجال السكك الحديدية في اسخاباد وكان التركمان أهم قوة حربية تعتمد عليها وتقلد اوراز سردار وزارة حربيتها .

ان تلك الملاحظات الوجيزة تتيح لنا بأن نقرر مايشهد بالفخر لمواطنينا المسلمين [١] الذين لم يقفوا ازاء الحركة الاستقلالية التى قام بها مسلمو الروسية موقف الحياد بل لعبوا فيها دورا مهما واشتركوا اشتراكا فعليا في النضال الذى قام به اخوانهم في الدين ببلادالروسية، نعم ربمايكونون قداخطأوافي اشتراكهم ولكن ليس هذامهما وانماالمهم انهم شاركوهم في البأساء والضراء . هذا ولا يمكن ان ننسى الدور المشرف الذى لعبه المسلمون فى الحركة التى قام بها البيض فى دورها الأول واتخذت شكلا شعبياحماسيا .

موجز

تاريخ مصر والاسلام

وضع الاستاذان الفاضلان الشيخ محمود ابو العيون مفتش العلوم العربيـة والدينية ، ومحمد الحسينى افندى رخا مفتش الآداب بالمعاهد الدينية، كتابا في تاريخ مصر والاسلام ، يتألف من أربعة أجزاء ، وقد ظهر منها الآن جزآن : الأول يشتمل على السيرة النبوية وسير الخلفاء الراشدين ، وبه خريطتان لبلاد العرب وبعض مافتح الاسلام من البلاد ، وصور فوتوغرافية لجبل عرفات ومكة والكعبة والمدينة وجبل حراء والحجر الاسود وغير ذلك من المشاهد العربية الاسلامية .

والجزء الثانى يشتمل على تاريخ قدماء المصريين وفتح مصر والدولتين الأموية والعباسية وبه كثير من الخرائط والصور الخاصة بالآثار المصرية .

طبع الجزءان بمطبعة المعارف طبعا متقنا للغاية ، وثمن الجزء ٦ قروش وسيظهر باقى الأجزاء في الشهر المقبل ان شاء الله تعالى .

وموضوعات هذا الكتاب محررة بعبارات سلسة ، مع شرح المفردات وضبط اسماء الأعلام . فنحث أهل العلم والأدب على اقتنائه .

وتطلب الأجزاء من المؤلفين بادارة المعاهد الدينية بشارع الدواوين بالقاهرة رقم ٤٧

---

(١) يقصد أهالى البلاد الاسلامية التى تحت حكم فرنسا

القسر والحرية في التربية

للاستاذ الدكتور جرارد بوده

مترجمة عن الألمانية

اختلفت الآراء في الوقت الحاضر اختلافا بينا في وسائل التربية لاعداد نشىء قوى الأخلاق وأفراد حرة الرأى قويمة الآداب، ويتنازع في ذلك مذهبان متضادان المذهب الأول هو المذهب القسرى الذى يرى أن لاوسيلة الى التربية الخلقية القويمة الا بالضغط الشديد . والمذهب الثانى هو المذهب الاختيارى الذى يرى أن الحرية المطلقة هى أعظم كفيل لتربية نفوس مستقلة كثيرة الاعتماد على نفسها .

ويرجع المذهب الأول الى ماكان متبعا في القرن الماضى في المدارس من النظام العسكرى الاجبارى ويرى أن في تقييد الحرية الطريقة المثلى لتهيئة رعايا مطيعين وساعد على انتشار هذا المذهب في التربية وقتئذ انتصار «هيجل [١]» له وتبريره اياه في كتابه «التسلط الاستبدادى على العقول في المانية» الذى قال فيه : (ان الطفل بفطرته لايعرف الخير ولا الشر فمن الحماقة أن نعتبر هذا الجهل البرىء مثلا أعلى نتطلع اليه فلا قيمة له ولا بقاء ، اذ سرعان ماتظهر بوادر العناد والشر في الطفل ولا سبيل الى تبديد العناد ودفع الشر الا بالتربية القسرية)

ويرمى هذا المذهب الى غرس روح الخضوع والاستسلام المطلق في الناشئين لئلا تسود بينهم الوقاحة والسلاطة ويتحكم فيهم الغرور .

تنبه علماء التربية الى مافي ذلك المذهب من خطر على تكوين اخلاق النشىء فان الاشراف الكلى عليهم ومضايقتهم بوضع حدود للمباحات والمحظورات والارتياب في السماح لهم بالحرية الكافية لتدريبهم على الشعور بالمسئولية الشخصية يكون عقبة في

---

(١) هو «جورج فلهلم فريدرش هيجل» (١٧٧٠ — ١٨٣١ م) أحد كبار فلاسفة الالمان

سبيل تكوين نفوس حرة تعتمد على نفسها .

ولقد صرح «البارون فون شتين [١] » في حديث له بأن الثقة بالمرء تعلى من قدره كما أن الرقابة الشديدة تعوقه عن بلوغ كماله .

هذا الى أن التربية القسرية تغرى النشء بالاحتيال على التخلص من قيودها المرهقة ما استطاعوا الى ذلك سبيلا معتقدين أن الغرض يبرر الوسيلة . فلا ينتظر لهذه الطريقة الخطرة على التربية الخلقية من النتائج الا الخضوع وعدم الشرف .

ولطالما ارتفعت شكوى أصحاب الرأى السديد في القرن المنصرم من نقص الأخلاق الناتج عن مثل هذه القيود التى كثر ادخالها في المدارس العالية .

ولذا فان اعادة مثل هذا النظام الاستبدادى في التربية في الوقت الحاضر يعد عملا عقيما اخرق .

ولما ظهر فساد هذا الرأى في التربية القسرية رأى الفريق الآخر من علماء التربية أن الحرية المطلقة ونبذ الانقياد والطاعة أعظم كفيل لتكوين نشء متين الأخلاق كثير الاعتماد على النفس .

وهكذا يذهب كل من الرأيين مذهبا متطرفا وينظر الى التربية من جهة واحدة فالأول يقتضى الطاعة المطلقة ويقتضيها في كل أمر على حين أن الآخر يرى أنها عقبة كؤود في سبيل النشوء الطبعى .

وقد انتصرت للمبدأ الأخير المربية «بركنز ستسون» في كتابها «تربية الأطفال» اذ قالت ان في الخضوع والانقياد تلف للاخلاق فبه يتعود الناشىء على عدم الثبات على رأيه والاستسلام الى تضحية ارادته، وأيدتها في ذلك الكاتبة المعروفة «ألن كاى [٢] » فوضعت على هذا المنوال منهجا في التربية في كتابها المشهور «جيل الطفل» الذى اشارت فيه الى « جوتيه [٣] » الذى أوضح في مؤلفه «فرتر» أن قوة الارادة في

---

(١) هو «البارون هيترش فريدرش كارل فون شتين» (١٧٥٧ — ١٨٣١ م) أحد كبار رجالات السياسة الالمان

(٢) «ألن كاى» (١٨٤٩ — ١٩٢٦) كاتبة سويدية مشهورة

(٣) هو يوهان فلفجانج فون جوته (١٧٤٩ — ١٨٣٢ م) أكبر شعراء الالمان

الرجل انما هى وليدة العناد في الطفولة وأن جميع مساوىء هذا العهد تعد خواص مميزة للأطفال لايجب القضاء عليها لما تحويه من بذور خير وانما ينبغى تعهدها بتحويل وتنويع مستمر حتى تصبح عديمة الضرر ، فيجدر بالمربى أن يجتهد في تحويل عناد الطفل الى متانة في اخلاقه وقوة في ارادته ومكره الى نباهة وافتتانه بحب الظهور الى لطف في المعاشرة وقلقه وتأثره الى نشاط وحب في العمل .

يجب أن يغمض المربى عينه عن غلطات الطفل في غالب الأحيان كما يجب عليه أن يحذر أن يتدخل فيها مباشرة تجنبا للزلل ، وانما المهارة في التربية الطبعية هى في استرعاء يقظة الطفل الى من نشأ وترعرع بينهم .

وبذلك لاغير يتأتى للطفل أن يصل الى ادراك معنى الاعتماد على النفس والاستقلال في الرأى .

وترى «ألن كاى» أن النظام القديم القسرى بفرضه على الطفل الطاعة المطلقة والانقياد الكلى انما يقضى عليه بفناء ذاته في ذل واستكانة بخلاف النظام الجديد الاستقلالى القائم على الحرية فأنه ينهض بالناشىء ويقومه فلا يكون على المربى الا أن يعينه حتى لايدب اليه الاضمحلال بسبب مافي نفسه من ضروب الضعف .

أن معارضة زعماء التربية الاستقلالية لمذهب غلاة التربية الاستبدادية القسرية التى تقتضى الانقياد والطاعة العمياء مما ينبغى أن تتلقى بالقبول والاستحسان ، ولكن التربية المطلقة من كل قيد المراد ادخالها هى أشد خطرا على تكوين اخلاق النشىء من مجرد تقييده، فان التطور الذاتى المطلق البعيد عن الطاعة يقود النشىء الى الانقياد لأهوائه المتقلبة ونزعاته الجامحة وذلك أضر أنواع العبودية ولا يمكن معه وجود معيشة مشتركة بين الناس تسود فيها الآداب المرعية وفضلا عن ذلك لاينشأ عنه اشخاص أقوياء الاخلاق اذ أن مثل هؤلاء الاشخاص لايتكونون الا اذا كبحت جماح الشهوات والملاذ الشخصية فيهم وهذا مصداق لحكمة «جوتيه» القائلة (مت لتحيا)

يتضح من هذا كله أن الحرية المطلقة كالضغط المطلق كلاهما ضار بالتربية ولايجب أن ننصح باتباع أحدهما بل ينبغى أن نجمع بين الاثنين. فلا يقال القسر أو الحرية

بل القسر والحرية . فلا تستغنى التربية عن الضغط كما لايجب أن تبتعد عن الحرية في بعض الأحيان ، فيجب على المربى أن يضغط على الطفل كما ينبغى عليه أن يترك له الحرية اللازمة .

ولكن كيف السبيل الى ذلك ؟

هذا هو ما أجاب عنه «الدكتور بريفر» مفتش التعليم في المانية بكتابه « كيف نربى أولادنا » .

يجب ارغام الطفل على الطاعة عند ماتتمرد أثرته على الآداب العامة المرعية والناموس الطبعى وتركه في حرية عند انقياده لها مختارا لابد أن يدرك الطفل معنى الآداب العامة والناموس الطبعى السائر على جميع البشر كما وأنه لابد أن تترك له الحرية حيث تقوده خبرته المستنبطة دون الاضرار بحقوق رفاقه ، كما يجب تركه مستقلا في حياته الوجدانية فلاينبغى أن نسعى في حمله على حب أى انسان أو بغضه فان الميل والنفور نحو الناس أو الاشياء لايمكن التأثير فيهما بل ينشآن من تلقاء نفسهما وليكتف المربى مؤونة ذلك ، وذلك على الأخص في الامور الظاهرة التى لاقيمة لها ، فلا يجب مطالبة الطفل بالطاعة الجازمة حيث لاداعى لها وأن لايصر المربى على أمره بشىء اذا كان عدم تنفيذه لايسبب ضررا جسمانيا أو نفسيا .

وأما حيث يقتضى اجبار الطفل على أمر فينبغى على المربى أن يجتهد ما استطاع في تنبيه شعوره الى أن هذا الأمر لايمكن مخالفته وأنه مقصود به المصلحة وبذلك يتمكن من ايجاد الثقة في النشىء وبدونها لايمكن تربية سلطان حقيق بالوسائل الظاهرة الكاذبة التى يدعو اليها أصحاب مذهب التربية القسرية .

فالطاعة التى لابد منها في التربية الصحيحة يجب أن تصبح تدريجيا طاعة اختيارية ولا سبيل الى ذلك الا بتجنب طلبها في صيغة الأمر المجرد . وانما يجب حمل النشىء باطنا على مراعاة الطاعة وشروطها بطريق المجاملة بواسطة الثقة، وبذا لايشعر النشىء بأن التربية عبء ثقيل بل يقوم بتنفيذ قواعدها طيبة بها نفسه .

وهكذا تحل محل الطاعة الظاهرةطاعة أخرى باطنة يتلائم فيها الضغط مع الحرية وعلى هذا الاساس السليم تتكون التربية الخلقية القوية .

وينطبق على الطاعة الباطنة قول «جوتيه» (بالطاعة أشعر في نفسى بأكبر معانى الحرية) .

انقضاء عصر المنظار

(مترجمة عن مجلة « Die Umschau » الألمانية)

اخترع الدكتور هَيْنَه الاستاذ في أمراض العيون بجامعة كيل في ألمانية زجاجا جديدا يلتصق بسطح العين تحت الجفن وقامت معامل زيس الالمانية بأعداد المقاييس المختلفة من هذا الزجاج الذى ينبىء بانقضاء عهد المنظار العادى .

ولقد استغرقت المباحث الطبيعية في عيادة طب العيون بالجامعة الالمانية بمدينة كيل سنين طويلة للتحقق من مزايا هذا النوع من الزجاج المثبت على المنظار العادى المستعمل الان ، فانه علاوة على منظره الجميل حيث يكاد لايرى فان الانسان يستطيع الاستعاضة به في قصر النظر الى ٢٠ وحدة من مقياس النظر « Dioptrie » وفي كل أنواع طول النظر كما يمكن بواسطته ضبط احدى العينين للنظر الى مسافات طويلة ، والاخرى الى مسافات قصيرة وبحركة مثل هذه الزجاجة المثبتة حسب حركات العين تتسع بها دائرة الرؤية بخلاف المنظار العادى الذى يحدد مثل هذه المناطق، هذا فضلا عن حفظ النوع الجديد من الزجاج لدرجة الحرارة ومقدار الرطوبة ولا تعلوه الغشاوة .

أما ميزاته في الالعاب الرياضية وقيادة السيارات والاستحمام والعوم فلا تنكر ثم هو بالرغم من وضعه الداخلى يفضل المنظار العادى اذا ماأصيب بعطب أو كسر ، فان العين تسلم من قذى الشظايا كما دلت على ذلك التجارب العديدة المختلفة وقلما تسلم عند كسر المنظار العادى .

مبادىء عامة

فى الاقتصاد السياسى [١]

الحياة الاقتصادية (١)

« النشاط الاقتصادى »

الحاجيات : يشعر المرء بحاجيات كثيرة ويسعى جهده لسدها ، فمنها ماهو خاص بكيانه الجثمانى وقوام وجوده وهى من المساس بحياته بحيث لايستطيع أن يعيش بدون سدها كالحاجة للأكل والشرب والنوم .

اما الحاجيات الأخرى وهى ماتسمى احيانا بحاجيات المدنية أو بالكماليات فانها لاتبلغ من شدة لزومها لنا مبلغ الحاجيات الأولى الضرورية ، ولا يقصد من سد الحاجيات الكمالية سوى زيادة هناء بنى الانسان ووفرة راحتهم وتنمية اجسامهم وتوسيع مداركهم وتحسين أخلاقهم بقدر الامكان .

الخدمات : يسعى الناس لسد حاجياتهم بواسطة الخدمات التى يمكن أن يؤديها لهم بعض الاشياء ، او التى يقوم لهم بادائها بعض الاشخاص ، فالدار مثلا تؤدى لساكنها خدمة بأن تقيه البرد والحر والمطر ، والأغذية والملابس تؤدى لنا خدما لاغنى لنا عنها ، وكذلك نحن في حاجة لخدمات الأطباء والمحامين والمدرسين والعمال والفنيين ولفئات كثيرة من الناس لاعد ولا حصر لها ، وانا نرى طبقة الاغنياء تشكو من أنها لاتحصل على خدمات الخدم الا بكل صعوبة .

الأموال : ان لفظ «الأموال» في لغة الاقتصاد يطلق على الاشياء المادية التى من شأنها او التى نعتقد أن من شأنها ان تسد حاجيات الانسان اما مباشرة

---

(١) مترجم من الفرنسية من كتاب « موجز فى الاقتصاد السياسى للاستاذ ب ريبوه (P. REBOUD)

كالماء الذى يطفىء الظمأ أوغير مباشرة كالمجارى الذى تجلب الماء ، ويطلق كذلك على تلك الأشياء في كثير من الأحيان اسم «ثروات» فيقال مثلا: يدرس الاقتصاديون طرق انتاج الثروات ووسائل تبادلها ونشرها وتوزيعها واستهلاكها. ولكن لايؤدى أحد اللفظين (الأموال أو الثروات) تماما المعنى المراد التعبير عنه للفكرة المقصودة لأنه لم يجر العرف بأن يطلق على القارورة لفظ «مال» أو على المخيط (الابرة) لفظ «ثروة» الا أن الاقتصاديين قد قنعوا بهاتين الكلمتين لعدم وجود ماهو خير منهما لكننا نفضل استعمال لفظ «أموال» على كلمة «ثروات» التى لامراء في أنها تؤدى معنى الرخاء والثراء .

هذا ويجب علينا أن نفرق بين نوعين من الاموال : أموال لامالك لها كالهواء والنور والشمس ، واموال لها مالك خاص وهذا هو الحال في جل الأموال الموجودة بالدول القديمة الغاصة بالسكان كبلادنا (فرنسة) وتسمى باسم (أموال اقتصادية) وهى التى يعنى بها رجال الاقتصاد ، فعند الكلام في هذا الموضوع عن لفظ «أموال» يجب أن يفهم منه «الاموال الاقتصادية»

هذا وان الناس بدافع حاجياتهم يسعون للحصول على خدمات يزعمون — بحق أو بغير حق — أنها تسد تلك الحاجيات ، فاذا كانوا يتوقعون الحصول على تلك الخدمات من أشياء مادية فانهم يبذلون جهدهم لجنيها أو لصنعها بأنفسهم أو لشرائها أو لاستعارتها أو لاكترائها ، ولو كانت الخدمات يقوم بها غيرهم من الناس فانهم يدفعون ثمنها كالخدمات التى يقوم بها الخدم والعمال والأطباء والمحامون وأصحاب المصارف وكل من يمكنهم أن يؤدوا لهم خدمات مّا وهم يدفعون ثمنها اما نقدا واما نوعا بأن يقوموا لهم في نظير تلك الخدمات بخدمات أخرى أو أن يعطوهم أموالا غيرها في مقابلها .

النشاط الاقتصادى : النشاط الاقتصادى هو شكل من أشكال النشاط الانسانى الذى بواسطته يحصل المرء على الخدمات التى تؤديها الاشياء أو التى يقوم

بها الأشخاص وينتظر منها أن تسد حاجيات الانسان . وبهذا النشاط تتجلى مظاهر «الحياة الاقتصادية» لفرد من الافراد أو لجماعة من الجماعات ، وهذه الحياة تتلخص كلها في ثلاثة الفاظ: «حاجيات» (ومنها تتولد الرغبات) «وجهود» (للحصول على الشيء المرغوب) «وسد الحاجة» (الناشيء عن تحقيق الرغبة)

الاقتصاد : ان مجموع الأعمال الاقتصادية والشروط التى تؤدى فيها تلك الأعمال والنتائج التى تنجم عنها كل ذلك يكون النظام الاقتصادى لفرد من الأفراد أو لجماعة من الجماعات هذا اذا اعتبرنا أن الناس يعيشون في هيئات اجتماعية وان كل ظاهرة معدودة جزءا من أجزاء الاقتصاد هى ظاهرة اقتصادية .

فاذا كان الناس يعيشون في عزلة عن بعضهم كما عاش سلكيرك (SELKIRK) في جزيرته غير الآهلة بالسكان لما وجدت سوى ضروب فردية من الاقتصاد حيث يمكن فقط أن يروى تاريخ كل فرد منهم على حدته وتكتب سيرهم الشخصية ولما وجد علم الاقتصاد ، واذا كانوا يعيشون جماعات مجتمعة في بلاد واحدة لكنهم مستقلون بعضهم عن بعض تمام الاستقلال وقام كل فرد منهم بسد حاجياته بمفرده لما وجد كذلك الا أنواع فردية من الاقتصاد يمكن أن تكون موضوعا لدراسة سير شخصية أو لدراسة احصائية ولما وجد اقتصاد سياسى .

افتقار الناس بعضهم لبعض : ان أمثال روبنسون (Robinson) شواذ لايقاس عليهم لأن الناس ينتمون لهيئات اجتماعية مرتبطة ببعضها وذات نظم مختلفة اختلافا كثيرا أو قليلا وتتكون منهم تلك الهيئات . هذا وليس الناس مندمجين في تلك الجماعات مجرد اندماج لاتربطهم أية رابطة بل هم على العكس متضامنون تضامنا وثيقا ومفتقر بعضهم لبعض .

ففى بعض الهيئات الاجتماعية التى بلغت درجة مّا من الرقى والتقدم نرى أن حاجيات كل فرد فيها أصبحت من الكثرة والتشعب بحيث يعجز عن القيام بها

وحده . فالزارع يأكل حنطته ويكتفي بمشروبه ولكنه لايصنع ملابسه ولا آلات حصده وزرعه ولا عجلات نقله ولا معدات ركائبه .

فلكي نستطيع الحصول على «الاموال» التي نحن في حاجة اليها والخدمات الشخصية التي لاغنى لنا عنها يجب على كل فرد منا أن يطلبها الى من يستطيعون اداءها ويدفع ثمنها اما من أمواله الخاصة واما أن يؤدي في مقابلها خدما لغيره فحاجيات الفرد يمكن اذن أن تسد اما بواسطة أموال أو بخدمات الآخرين .

من ذلك تتكون علاقات اقتصادية عديدة بين أعضاء كل هيئة اجتماعية كالعلاقات التي بين البائع والمشتري أو بين صاحب المصنع والصانع أو بين المعير والمستعير وكذا علاقات بين المنتجين وبعضهم وبين المستهلكين وبعضهم وبين العمال وبعضهم وغير ذلك من العلاقات العديدة التي لاعداد لها .

(يتبع)

الطرف والملح

سمع يونس بن حبيب رجلا يُنْشِدُ :

إستَودَعَ العلمَ قِرطاسا فَضَيَّعَهُ ... وبئس مستودَعُ العلم القراطيس

فقال يونس :

قاتله الله . ما اشدَّ صيانتَه للعلم وصيانتَه للحفظ ؟ انَّ علمك من روحك . وانَّ مالك من بدنك . فصُنْ علمَك صيانتَك رَوحَك . وصُنْ مالَك صيانتَك بدنَك .

قال شاعر حكيم :

اذا ما الحيُّ عاش بذكر ميْتٍ ... فذاك المَيْتُ حيٌّ وهو ميْتُ

ومن يك بيتُه بيتا رفيعا ... وهدَّمَه فليس لذاك بيتُ

اللاسلكى وكيف يصل الى الأسماع

جاء بمجلة العلم الشائع الأمريكية (Popular science) فى وصف كيفية وصول اللاسلكى الى الأسماع أن مقدارا وافرا من الآلات الكهربائية المعقدة التركيب تعمل بلا انقطاع لتهز غشاء مكبر الصوت الذى لايزيد وزنه على أوقية أو أقل .

فاذا علمت أن ملايين من مكبرات الصوت تعمل كلها بنظام واتساق في وقت واحد وأن الاذاعة اللاسلكية لايكون نصيبها النجاح الا اذا بلغت أقصى مراتب الدقة الفنية اتضح لك أنه يستحق مايبذل فيه من الوقت والمال والمجهود الآلى العظيم وفيما يلى وصف لكيفية وصول الصوت اليك بالمنزل .

ان التيارات الكهربائية الضعيفة التى تسرى في متلقى الصوت بالمكان الذى تعزف به الموسيقى أو يخطب به الخطيب تصل الى لوح تجتمع فيه الأصوات يطلق عليه اسم مُجمِّع الأصوات حيث تتآلف وتنسجم وقدتستعمل عدة متلقيات للصوت لتلقى أصوات جوقة واحدة ويقوم مراقب مجمع الأصوات بضبط درجة الصوت الصادر من كل متلق من حيث الارتفاع والانخفاض ويجعل منها كلها وحدة كاملة الانسجام.

وترسل الاهتزازات الكهربائية الناتجة بعد مضاعفتها وتكبيرها الى غرفة الارسال الرئيسية حيث تنقسم قسمين قسم يرسل الى محطة الارسال التى تقوم باذاعة البرنامج والقسم الآخر يسرى في اسلاك الى محطات أخرى . وفي كل مائة وخمسين ميلا محطة تقوم بتكرار البرنامج وتضاعف قوة الاهتزازات ، ومن ثم ترسلها الى المحطة التى تليها وهكذا دواليك .

وكلما وصلت الاهتزازات الى محطة من محطات الاذاعة تلقتها جهازات الارسال واندفعت منها الى القائم الهوائى [1] فتنتشر في الجو بقوة هائلة ويلتقطها موصل الجهاز اللاسلكى الذى يكون بالمنزل،ويقوم جهاز الاستقبال بتكبيرها وتحويلها الى موجات صوتية تصل الى سمعك بواسطة مكبر الصوت .

---

(١) سلك موصل للأمواج الكهربائية .

أسرار البيضة

مترجمة عن مجلة Woche الألمانية

لبيضة الطيور استدارة خاصة فلا تديرها الأمهات وقت الحضانة الا حول محورها الطولى . ولا يتكون فيها الجنين الا وظهره الى أعلى وبطنه الى أسفل مهما تغير وضع البيضة على هذا المنوال وقت الحضانة .

وذلك يرجع الى تركيب مخصوص بداخلها كثير الشبه بالمصباح المعلق في السفن . وهذا التركيب عبارة عن خيوط لولبية من الزلال الكثيف مثبتة في نهايتى القشرة المنبعجة ومعلق بها الصفار من نقطتين فوق محور ثقله وبذلك لايتغير وضعه مهما دارت البيضة حول نفسها في المحور الطولى ، وبما أن تكوين الجنين بداخل البيضة يبدأ من نقطة على سطح الصفار العلوى وظهره الى أعلا يبقى كذلك مهما اختلف وضع البيضة وقت الحضانة والفقس .

ولهذا الترتيب فضل في تكوين الفرخ تكوينا صحيحا سالما ، فقد لوحظ أنه لو وضعت البيضة رأسيا مثلا داخل صندوق التفريخ الصناعى وأفسد بذلك عمل الجهاز السابق لأفرخت فرخا مشوها لم يكمل فيه تكوين حائط البطن وانكشفت امعاؤه ، ومن ذلك يتضح أن هذه الخيوط الزلالية اللولبية انما وضعت لوقاية أجزاء الفرخ من هذا التأثير السيء الناشيء من الضغط ، فان أعضاءه المكونة من خلايا رقيقة جدا لاتتحمل ضغط أحدها على الآخر بل لابد من صيانة وضعها في الوضع الطبيعى أو بعبارة أخرى لابد من تكوين الجنين وظهره الى أعلى وبطنه الى أسفل.

ويتنفس الجنين داخل البيضة كما يتنفس كل حيوان فيستنشق الاكسجين ويطرد الغاز الفحمى فلو صقلت القشرة بدهان يسد مسامها وفتحاتها — وما هى الا فسيفساء من قطع الجير — لاختنق الجنين بداخلها وهو في بدء نشوئه .

يبدأ الجنين باستنشاق الهواء الموجود داخل فراغ الطرف المنبطح ثم لايلبث أن يمتص الاكسجين خلال مسام القشرة اذا مانفذت كمية الهواء بداخلها .

وتوجد لهذه الاسباب أدوات لجلب الهواء داخل صناديق التفريخ الصناعى وبدونها يفسد الهواء بداخلها ويحل محله ثانى اكسيد الكربون ، أما عضو التنفس في الجنين فهو الامعاء وبها عدد كبير من الأوعية الدموية وتلتصق بالسطح الداخلى للقشرة.

الطرف والملح

قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه :يامشعر القرّاء . استَبِقُوا الخيراتِ وابتغوا من فضل الله . ولاتكونوا عيالا على الناس .

وقال الشاعر الواعظ :

افضل من ركعتى قنوت   ونَيْلِ حظ من السكوت
ومن رجال بَنَوْا حصونا   تصونهم داخل البيوت
غُدُوُّ عبد الى معاش   يرجع منه بفضل قُوت

قال الامام الحافظ يوسف بن عبد البر : وهـذا مما لاخلاف فيه بين علماء المسلمين قديما وحديثا .

قال شاعر

وقد تغـدُرُ الدنيا فيُضْحِي غنيُّها   فقيرا ويَغْنِي بعد بؤسٍ فقيرُها
فلا تَقرَبِ الامرَ الحرامَ فانه   حلاوتُه تَفنَي ويَبقَى مَريرُها
فكم قد رأينا مِنْ تَكدُّرِ عيشةٍ   وأخرى صفا بعدا كدرارِ غَديرُها

كتب بعض الشعراء الى أخيه يعزيه على ابن له يقال له محمد :

إِصبرْ لكل مصيبة وتَجَلَّدِ   واعلم بان المرء غير مُخلَّدِ
واذا ذكَرْتَ محمدا ومُصابَه   فاذكُرْ مُصابَكَ بالنبى محمدِ

قال شاعر حكيم :

ليس الكريم بمن يُدنِّسُ عِرضَه   ويَرَى مُروءتَه تكون بمن مضى
حتى يَشِيدَ بناءهم ببنائه   ويَزِينَ صالحَ ماأَتوْه بما أتى

الوراثة[1]

من المسلم به اجمالا أن الوراثة البشرية ثابتة لايعتريها التغيير والتبديل وأن الخواص الجديدة لاتتكون الا بطريق المصادفة أو بالرياضة أو بمضى آلاف السنين .

وقد بحث الاستاذ أروين باور بألمانية امكان تعديل الطبائع باستعمال مقويات كيمائية وعضوية .

وأظهرت الأبحاث التى أجريت في الحشرات والنبات أنه من الممكن احداث ضروب من التغيير فيها بتعديل خاص في الجزء الملون من الخلية (الكروموزوم) وتوصل البحاث الأمريكيون الى أن المادة المشعة (الراديوم) تحدث تغييرا في نواة الخلية ـ كما نجح الاستاذ باور في تغيير النبات ـ ليس بتعديل تركيب نواته فقط بل بتعديل المادة الأولية بالخلية (البروتوپلازم) أيضا .

وقد لوحظ أن النبات استمر على نموه وازدهاره بعد غمره في محاليل ساخنة أو باردة أو بعد تعريضه لفعل المخدرات كالأثير أو الكحول ولم يطرأ على أعقابه أى تغيير . الا أن عوارض القصر والانحلال وانثناء الوريقات والزهور بدأت تظهر عليه فى العقب الثالث . ويتضح من ذلك أن العوامل التى تؤثر فى الخلية البشرية لايمتد تأثيرها الى الجيل الثالث فحسب بل أنها تبدأ فعلا من هذا الجيل . وقد صرح الاستاذ أرنست رودن أمام جمعية تقدم العلوم الألمانية أن كثيرا من ابناء المصابين بمرض الخوريا[2] الوراثية قد أصيبوا بهذا المرض في دور الطفولة وأن ٣٣ في المائة من ابناء المصابين بنوبات انقباض النفس الجنونية ينتابهم هذا الضرب من الخبال و١٠ في المائة من ابناء المصابين بالصرع يصرعون به . و١٣ في المائة من ابناء المصابين بالتشنج العصبى (الهستريا) يعروهم هذا التوتر في الأعصاب .

فمن الواضح أن حالة الطفل العقلية هى صورة جلية من الحالة التى كان عليها والداه ، وان النتائج التى وصلو اليها لتعديل خواص الحيوان والنبات قد تؤدى يوما الى تخفيف وطأة الوراثة في الانسان .

---

(١) مترجمة عن مجلة العلم الأمريكي (٢) مرض عصبي من عوارضه تقلص عضلات الجسم

تفسير لبعض الألفاظ العلمية

المصطلح عليها فى الكهرباء

مترجمة عن مجلة Gruene Post الألمانية

كثيرا ماتختلط على الانسان معانى المصطلحات العلمية في الكهرباء وهى لشيوعها في العالم جميعه رأينا ضرورة ايضاحها تذليلا للصعوبة ومنعا للالتباس :

القلت « Volt » — ان التيار الكهربائى في سريانه كثير الشبه بالمياه داخل الانابيب . فكما يجب ضغط المياه لرفعها وجريانها يستلزم سريان التيار الكهربائى الضغط أيضا ، ويسمى هذا الضغط بالطاقة أو الجهد في التيار ووحدة قياسه هى (االقلت) . فيدل بذلك عدد القلت على مقدار الضغط الذى يدفع التيار الكهربائى في الاسلاك الموصلة .

الأمبير « Amqere » — ينتج عن الضغط على أى مادة اندفاعها ، فتقاس كمية المياه مثلا التى تنبثق بتأثير ضغط مخصوص باللترات وتزداد هذه الكمية بازدياد الضغط ، وأما وحدة القياس في الكهرباء فهى (الكولومب) . و (الأمبير) هو عبارة عن كولومب واحد في الثانية الواحدة ويدل بذلك على قوة التيار الكهربائى .

الأوم « Ohm » — تتوقف كمية المياه المنبثقة بتأثير ضغط مخصوص على نوع وشكل الانبوبة التى تجرى فيها المياه ، فكلما كانت الانبوبة خشنة وضيقة عاقت سريان المياه فيها ، كذلك يصادف التيار الكهربائى مقاومة في الأسلاك الموصلة ويتوقف مقدار هذه المقاومة على نوع وشكل الأسلاك ، ووحدة قياس هذه المقاومة هى (الأوم) وهو عبارة عن المقاومة التى تسمح بمرور تيار قوة أمبير واحد اذا كان الضغط قلتاً واحداً أيضا .

الوات « Watt » — لا يمكن الانتفاع عملياً بالتيار الكهربائى مهما عظمت طاقته (أى الضغط المسبب سريانه) اذا لم تكن له قوة كما لايمكن الانتفاع به

ايضا مهما زادت قوته اذا قلت طاقته ، فلا بد للتيار الكهربائى من هذين العاملين حتى ينتفع به في الأغراض العملية وتقاس كفاءة التيار وقدرته العملية بالوحدة المسماة (وات) وهى عبارة عن الكفاءة العملية لتيار قوة امبير واحد تحت ضغط فلت واحد ايضا .

كيلو وات في الساعة — : وهو عبارة عن شغل ١٠٠٠ وات في ساعة زمنية . وبعددها تقدر مصاريف استخدام التيار الكهربائى .

قوة الحصان — هى القوة اللازمة لرفع ٧٥ كيلو جرام الى ارتفاع متر واحد في ثانية زمنية واحدة ، وقوة الحصان الآلية تقابل الكيلو وات في الكهربائية الا أنها تقل عنها بقدر الربع تقريبا

الشمعة — : لاتستعمل في الكهرباء الآن ، وانما تقدر قوة اضاءة المصابيح الكهربائية بالوات ، ولكن مازال بعض علماء الطبيعة يستعمل الشمعة كوحدة للقياس . وقوة اضاءتها تعادل على وجه التقريب ثلث قوة اضاءة الشمعة الدهنية العادية . ويعبر بالشمعة المترية عن الاضاءة التى ترسلها الشمعة الى مسافة متر .

كيلو هرتز « Kilo Hertz » — وهو اصطلاح فى الآلات اللاسلكية (الراديو) ويدل على ١٠٠٠ ذبذبة فى الثانية الواحدة .

الطرف والملح

قال الشاعر:

كن حَيِياً اذا خلوتَ بذنب ... واحذر السخطَ من عليٍّ مَجيدِ

وَيْك بارزتَ من يراك عُتوّاً ... وتواريت عن عيون العبيدِ

وبحِلم الأله عُدتَ الى الذنـ ... ـب ولم تخش غِبَّ يو مِ الوعيدِ

أقرأتَ القرآن ام لستَ تدرى ... أن ذا العرش دون حبل الوريد

الأجسام المتحجرة [1]

كانت المركبات الحجرية التى على صور حيوانات سببا في انتشار الخرافات والخزعبلات في الأجيال الغابرة ، وكان الاعتقاد السائد حتى القرون الوسطى أنها اما مصادفات طبعية لاعلاقة لها بالحيوان أو النبات واما أنها نتيجة صنع الشيطان في سعيه لمحاكاة صنع الخالق جل شأنه مع عجزه أن يبعث فيها الحياة .

ولم يتنبه الى حقيقة أمرها وكنه أصلها الا نفر قليل من العلماء البحاثين أمثال «ليوناردو دافينسى» [2] كما فطن لها فلاسفة وعلماء الأغريق من قبل واعترفوا لها بأنها بقايا حيوانات ونباتات شهدت يوما الحياة ثم ماتت وتركتها شاهدة على سابق وجودها وتحجرت بتأثير عوامل خاصة في أزمان سحيقة .

أصبحت هذه المركبات الحجرية — أو بعبارة أصح الأجسام المتحجرة — الآن بفضل تقدم العلوم واستيعاب الابحاث معروفة الا لنفر قليل من جهلة العامة مازالوا يعدونها سرا من الاسرار ويتوهمون فيها رموزا للتفاؤل أو التشاؤم .

وقد يسهل على الانسان أن يتخيل أشكال الاجسام المتحجرة مثل الأصداف والقواقع أو الآثار النباتية في الفحم وخلافه من الأحجار الا أنه يعسر عليه ادراك كيفية تحجر هذه الأحياء . ولم يهتم العلم بهذه الابحاث اهتماما جديا الا منذ زمن قريب فسهل البحث والاستقصاء الطريق للاهتداء الى غالب الظواهر والأدوار التى اجتازتها هذه الكائنات الى أن أخذت في النهاية الشكل الحجرى والتى يرجع اليها الفضل في حفظ هذه الأجسام ووقايتها من الاندثار مدى هذه الأزمان السحيقة والتى مازالت تعمل عملها لحفظ ووقاية أجزاء الكائنات النباتية والحيوانية للأجيال القادمة .

وبما أن النبات والحيوان يختلفان في تكوينهما من حيث المادة فبدهى أن

---

(١) للاستاذ الدكتور سفن . مترجمة عن مجلة « Kosmos » الالمانية

(٢) هو ليوناردو دافينسى (١٤٥٢ — ١٥١٩ م) العالم الايطالى المشهور

الأدوار التى مرت بكل منهما تختلف باختلاف مواد تكوينهما ، ولذا يحسن بنا أن نأتى على تفصيلها بالنسبة لكل منهما على حدة .

(تحجر المملكة النباتية)

قد يبدو لأول وهلة التباين الواسع بين النبات والأحجار الا أن خيوطا خفية تصلهما في الدورة المادية الدائمة ، فيستمد النبات غذاءه من الأحجار وقد يكون مصيره اليها بعد الممات ، كما أن كثيرا من أعضاء المملكة النباتية يحتوى في تكوينه على بعض المواد المعدنية فاذا مابليت المواد العضوية بها بقيت هذه محفوظة على مدى السنين .

وقد يترك النبات أثرا ظاهرا في الطبقات الحجرية الفحمية أوالاردوازية وذلك بتحوله تدريجيا الى فحم بتأثير احتجاب الهواء عنه اذا دفن في الطبقات الطينية فتبقى المادة الفحمية في حين أن الطين يتصلب الى أن يصير حجرا فيترك به النبات علامات وآثارا فحمية واضحة ، وما هذه الآثار في الحقيقة الا النبات ذاته في صورة فحم وقد مهد له مرقدا في الحجر قبل يبسه وقد يتمكن الانسان من رؤية مميزات ودقائق تكوين النبات في هذه الآثار ظاهرة .

وقد يبلى لب الشجرة قبل انحلال قشرتها الخارجية فيمتلأ جوفها بالطين والرمل عند سقوطها في باطن الأرض ويزداد هذا المزيج صلابة مع مرور السنين وتأخذ قشرة الشجرة الخارجية في الانحلال أو تتحول الى فحم فيظهر الجذع كانه سبيكة من الحجر تعلوها آثار مطبوعة من السطح الداخلى لقشرة الشجرة .

وكثيرا ماتبقى النباتات الحفرية [1] محفوظة بسبب مايعلوها من المواد المعدنية في باطن الأرض التى تقيها من عوامل الانحلال ، ولا يضاح هذه الظاهرة عمليا يؤخذ محلول مشبع بالملح ويدلى به خيط ثم يركز المحلول باضافة كمية من الجبس اليه فتعلق بلورات الملح بالخيط [2] . ويقابل هذا المحلول المركز الرواسب الحجرية

---

(١) الحفريات هى الاجسام النباتية أو الحيوانية المدفونة بباطن الارض.وهى ضد الحديثة فى تاريخ الكرة الارضية. فالاحياء الحاضرة تسمى الحديثة والمنقرضه يطلق عليها الحفرية

(٢) تعرف هذه العملية بتجربة « جوتان »

في الطبقات الطينية أو الرملية الموجودة في المياه العذبة أو الملحة لما تحويه من مواد مذابة وهى التى تعلق ببقايا النبات أو ماشاكله من الاجسام الغريبة كما تعلق بلورات الملح بالخيط ، ويعلق بالاجسام النباتية عادة الجير والدولوميت [١] والتراكيب الحديدية فتحمل بها ، وأوضح مثال لذلك وجود مايسمى بالاعشاب الدولوميتية في طبقات الفحم الحجرى وتظهر فيها أنسجة الأجزاء النباتية بكل وضوح كما يمكن فحصها ميكروسكوبيا مع أن الدولوميت لايوجد في الواقع بطبقات الفحم الحجرى .

وقد تتسرب مثل هذه المواد الى داخل جسم النبات فتملأ فراغ خلياته وذلك عند وجوده في الأحواض الرملية وتسمى هذه الظاهرة بالتحجر الحقيق وتغلب في تحجر جذوع الاشجار والاخشاب الأخرى وتعرف عندئذ باسم «الغابات المتحجرة». ويرجع السبب في نشوئها الى كثرة وجود البلورات الصخرية في الرمال التى تعلق بسطح النبات وتتسرب الى باطنه كما تحل محل أجزائه البالية المتحللة .

وقد يكون أهم أدوار تحجر المملكة النباتية تحولها بالذات الى أحجار وهو المعروف بظاهرة تكوين الفحم ، وما زالت هذه الظاهرة تعمل عملها بأكبر معانيه أمام أعيننا فى الوقت الحاضر ، فما تراكم المواد النباتية فى الأراضى الملق والمستنقعات التى تربو على مليون كيلو متر مربع في وقتنا هذا الا بداية في تكوين الاحجار الفحمية وأول طور في تحويل النبات الى أحجار .

فهنا يأخذ النبات في الانحلال تحت تأثير عامل «التأكسد» البطىء مع احتجاب الهواء فتزداد مواده الكربونية وتقل جزيئاته الأخرى — خصوصا الاكسجينية — وبذلك يفقد شكله الخارجى وتتغير انسجته شيئا فشيئا وتقل كتلته وتزداد صلابته ويأخذ لونه في التفحم وبذلك تتحول الاعشاب النباتية تدريجيا الى فحم حجرى وانتراسيت [٢] خصوصا اذا ساعدت على ازدياد سرعة هذا التحويل عوامل أخرى

---

(١) الدولوميت كربونات الجير المشبعة بالمغنسيوم

(٢) الفحم الاسمر هو أول طور فى تكوين الفحم لحداثة عهده في باطن الارض . والفحم الحجرى هـو أقدم أنواع الفحم عهدا . وأما الانتراسيت فهو نوع خاص من الفحم الحجرى اللامع يحترق ببطىء بدون لهب ولا رائحة ولا دخان ويقرب أن يكون من الكربون الخالص

مثل ضغط الطبقات الصخرية أو حرارة باطن الأرض .

يفقد النبات مميزاته مع قــدم عهده فى باطن الأرض كما أسلفنا . الا أنه ليس من الصعب الاستدلال على قرابة الطبقات الفحمية للاراضى الملق حتى ليعسر على الانسان في بعض الأحيان التمييز بين طبقات الفحم الأبيض — وهى أحدث طبقات الفحم عهدا — والاراضى الملق . ويمكن تتبع أوجه الشبه هذه في جميع أطوار انتقال الفحم المختلفة كما يمكن الاستدلال عليها مباشرة دون الاحتياج الى اقتفاء أثر حلقات أوجه الشبه وذلك بوجود طبقات من الطين المتعفن أو من الرمل أو الطفل على صورة ألواح اردوازية أو أحجار رملية بين مناطق الفحم الحجرى كالتى نصادفها في الأراضى الملق الحالية .

وتتسع الاراضى الملق والمستنقعات الحاضرة بما عليها من أعشاب وخمائل لدراسة أكبر ظاهرة في تحويل النباتات الى أحجار كما تكشف لنا عن أسرار تكوين المناطق الفحمية في العصور الغابرة . « يتبع »

الطرف والملح

قال يحى بن طالب :

أَحَقًّا عبادَ الله أَنْ لستُ ناظرا ... الى قَرْقَرَى يوما وأَعلامِها الخُضر

اذا ارتحلتْ نحوَ اليمامة رُفقةٌ ... دعاكَ الهوى واهتاج قلبُكَ للذكر

كأن فؤادى كلما مرّ راكب ... جَناحُ غرابٍ رام نَهْضا الى وَكْرْ

فياحَزَنا ماذا أُجنُّ من الهوى ... ومنْ مُضمَرَ الشوق الدخيل الى حَجْر[1]

تعزيت عنها كارهـا فتركتُها ... وكَانَ فراقيها أمرّ من الصبر

أقول لموسى والدموع كأنها ... جداول ماء فى مَسَارِبها تجرى

ألاَ هل لشيخ وابنِ ستين حِجّةً ... بكى طربا نحو اليمامة من عــذر

(١) مدينة اليمامة وام قراها

منقولة من كتاب الأستاذ ف. أسترن. المعنون : « الحالة النفسية للطفولة فى عهدها الأول » المطبوع فى ليبزج سنة ١٩١٤ بمطبعة كويله وماير — انظر صفحتى ٢٨٣ — ٢٨٤ .

التربية الصامتة

تابع مقال

(مثال من عناية الالمان بتربية أولادهم)

المنشور بالعدد الخامس ص ٣٩٠

كنا أربع أخوات وقد عوّدنا من صغرنا أن نرتب ثيابنا بأنفسنا وكنا نتعاون في ذلك فكانت الكبرى منا ترشد الصغرى ففى يوم من أيام الآحاد وقبل أن يحين وقت الخروج للتنزه المعتاد عصرا أمرنا أبونا أن نأخذ أهبتنا له وحضنا على الاسراع لأنه مع تعويده لنا الترتيب كان يستمسك أيضا بالمحافظة على رعاية المواقيت فبادرنا فورا الى ارتداء أكيستنا وكانت آخرتنا في اللبس أختنا التى كانت في نحو الخامس عشر من عمرها ولكن واندم . . . فان رداءها الأسود كان مفتوق الخياطة في كميه وأحد جانبيه فتقا فاحشا فخاط لها أبى الفتق الخارجى غرزا صغيرةمتقاربة بخيط أبيض خياطة غريبة جدا فأضطرت أختى في هذه الحالة لا الى أن تفك الخياطة المصنوعة باهمال فقط بل الى تحمل التعب في فك الغرز المخيطة بالخيط الأبيض أيضا وأن تتنازل عن تنزهها معنا (وهى الآن تدير مشغل خياطة كبير خاصا بها ذا شهرة عظيمة بمهارة وحذق)

ولا أظن أن واحدة منا نحن الأخوات لبست من ذلك العهد قطعة من ثيابها مفتوقة الخياطة لأن هذه القاعدة التى تلقيناها في التربية من غير كلام كانت من قوة الايضاح في نفوسنا بحيث أن هذه الحادثة وقد مضى عليها الآن نحو ثلاثين سنة مازالت تتمثل أمام عينى تمثيلا جليا في أكثر الأحيان خصوصا اذا رأيت خياطة مفتوقة .

مثال من عناية الالمان بتربية أبنائهم

ترجمة صاحب التوقيع

(٤)

السيدة التي تكلمت عنها آنفا انتهت من هذا الى أنها لما كان أحد أولادها فيما بعد يبتدىء في حكاية مخترعة كهذه كانت تقول له وهي ضاحكة واها للقمر القديم الوفي فقد حكى لك في النوم حكاية مضحكة فأفادهم ذلك أن تعلموا الالتفات لأنفسهم وتدرجوا وحدهم في التمييز بين الحلم والواقع حتى أن أصغرهم وكان قد بلغ الثالثة من عمره تيقظ من نومه يوما ضاحكا وهو يناديها بقوله : أماه اليوم عرفت لأول مرة أني حلمت حقا أنه لمضحك

قد انتقلت بنا الأقوال المخالفة للواقع الناشئة من عالم الحلم الى طائفة أخرى ثالثة من هذه الأقوال الصادرة عن غير قصد يقال لها أكاذيب الخيال فان الأطفال الى أن يبلغوا الثانية عشرة من عمرهم يعيشون معيشة خيالية تخالف معيشة الكبار مخالفة تامة فتحتشد في نفوسهم صورة مبينة لا يعرفون البتة معرفة واضحة ان كانوا انتزعوها من الواقع أو أنها ليست الا نتائج لأفكارهم ورغائبهم ومشتهياتهم ، فمن ذلك أن رجلا من معارفي ذا مركز سام حكى لي ذات يوم أنه لا يزال يذكر ذكرا جليا كيف أنه وهو في العاشرة من عمره بعد العطلة المدرسية الكبرى التي كان يقضيها في اقليم تورنجين قريبا من قصر لأحد الأمراء كان معدا لاقامة صاحبه كان يحكى لرفاقه عند عودته الى موطنه أنه كان أثناء هذه العطلة يمارس مع صغار الأمراء ألعاب الفروسية في فناء القصر وكانوا يلبسون الدروع الفضية من مستودع السلاح التابع لهذا القصر (وهذا المستودع العامر بأنواع الأسلحة وآلات الحرب كان قد أذن للغلام أن يتفرج فيه أثناء اقامته الصيفية فأحدث في نفسه أثرا قويا) وأن الأفراس المخصصة لتلك الألعاب أخرجت من اصطبل الأمير وغير ذلك وكان هذا الرجل

يؤكد لى تأكيدا صريحا أنه لايزال يذكر ذكرا واضحا المكان الذى كان يحكى فيه لرفاقه كل هذا وأنه لم يكن في نفسه أدنى شعور بأنه كان يكذبهم بل كان هو نفسه يعتقد صدق حكايته الطريفة ولم يقم في نفوس رفاقه أدنى شك في صحة روايته .

والطائفة التالية الكبرى للأكاذيب هى أكاذيب الدفاع وأكاذيب الخوف وأكاذيب الضرورة .

لم يكن في أنواع الأكاذيب التى وصفناها الى الآن شىء يتعلق مباشرة بخير الطفل وضيره فأما التى سنتكلم عنها الآن فهى من قبيل آخر فكل الأكاذيب الناشئة عن الدفاع أو الخوف أو الضرورة هى كما صرح به ويليام استرن ذات مرة — أقوال مخالفة للواقع مبنية على المصلحة فان العلم بعدم صحة القول موجود فيها فهى لذلك أكاذيب بالمعنى الحقيقى للكلمة وهى أيضا من مخالفتها للأكاذيب السابق بيانها بحيث انها تكاد تكون كلها سالبة ففيها شىء من ارادة الدفاع والانكار على حين أن الأنواع التى تكلمنا عنها الى الآن هى على العكس من ذلك فمعظم موضوعاتها موجب . وجُل أكاذيب الخوف والضرورة ينشأ من معاملة المربين للأولاد .

قد يكون جميع المربين في حكمهم على أكاذيب الضرورة أرحم نوعا ما منهم في حكمهم على الاكاذيب المخترعة المدبرة من زمن بعيد المدركة عاقبتها وكذب الضرورة يصدر غالبا بلا روية ولا تأمل في حالة انفعال نفسانى وليس له منشأ في العادة الا الخوف فليس هو نتيجة لدناءة في الخلق ولا رداءة في النفس .

وفي هذا المقام لابد أن تعرض هذه المسألة وهى هل ينبغى دائما اعفاء الاطفال من العقاب اذا اعترفوا بالحق في جريمة الكذب وبعبارة أخرى ماالذى ينبغى أن يعمله الآباء ازاء صراحة أولادهم أينبغى لهم أن يعاقبوهم على الذنب المعترف به أو يخلوهم من العقاب ؟ جُل الآباء يفضلون الرأى الثانى ويقولون ان طفلنا سيقول لنا الحق دائما اذا عرف أننا لانصنع به شيئا . هذا حق ولا وجه للشك فيه ولكن ألا يصح أن يقع عكس ماقصدوا أى أنه اذا وثق من عدم العقاب بسبب اعترافه الصريح

يستبيح ارتكاب كل شيء ، فقد وقع لى أن سمعت هذه الكلمات الجريئة من فتاة فيها شيء من العناد وهى في السابعة من عمرها عند مانصحتها بالتزام الأدب اذ قالت أنا استطيع أن أفعل ما أريد اذا اعترفت لوالدى بما أفعل فانه لايفعل بى شيئا .

وهنا مسألة يقف المربى فيها أمام حكم صعب بوجه خاص ذلك أن الثقة المطلقة بالطفل والصراحة التى لاحد لها بينه وبين والديه مهما كان مرغوبا فيهما ومهما كان فيهما من الحسن فهما لايكفيان في التربية ، فان ارادته الصغيرة في حاجة الى موانع تقف دونها فاذا أريد تنشئته على الخير فلا يصح أن يطلق له العنان فيما يأتيه من العمل فما دامت تعوزه الفطنة الراقية كانت العقوبات هى الزواجر الوحيـــدة وهى من أجل ذلك لابد منها له فلا يمكن المربى أن يستغنى عنها بالكلية ولا يسوغ له رعاية لمصلحة الطفل أن يهرب منها حتى ولو كانت صراحة المجرم الصغير أسر شيء لديه لأن صراحة الطفل نفسها قد يعمل لها الطفل حسابا وقد أصاب المربى القديم الذكى الرقيق الشعور جان بول حينما قال ذات مرة في كتابه المعنون « لفانا » بالصحيفة ٣٣ منه : كلما زادت التربية اطلاقا ازداد الطفل صدقا وانما لايجوز مع ذلك أن يترك العقاب ولا سيما حال تكرر الذنب فان عدم العقاب بالكلية باعتباره جزاء على صراحة الطفل ومكافأة له لايصيره صالحا ولا صادقا ، أما أنه لايصيره صالحا فلأنه لايساعده على تذليل ارادته وقمعها وأما أنه لايصيره صادقا فلأنه لايعلمه الصدق الا بقيد أن لايحصل له شيء بسببه وهذه المعاملة قد تكون صالحة مفيدة الى درجة مّا فى الأطفال الصغار جدا وأما الأطفال المتقدمون في السن الأذكياء فينبغى على العكس من ذلك أن تكون في حقهم محدودة وأن لاتستعمل الا بتبصر .

غير أن الأكاذيب التى يدفع الطفل عليها الحظ والمنفعة لاتقتصر على أكاذيب الضرورة فقط بل تشمل أيضا الأكاذيب الحقيقية الصادرة عن ادراك وعلم ومنها الأكاذيب التى يحاول الأطفال بها أن يغشوا عن علم والديهم ومربيهم فماذا يكون عملنا ازاءها ؟ أحسن وسيلة في هذا أن تقابل أكاذيب الطفل من أول الأمر بمبلغ

من الحزم والسلطان يزيل منه الاقدام على استئناف الكذب نعم ان هذا انما يكون ممكنا فيأول عهد الطفولة وعند أول محاولة للكذب ومبلغ مايمكن أنينتج من الأثر منسلوك الوالدين هذا المنهج في معاملة أطفالهم يستنتج منالتجربة التالية في التربية فقد حكى والدان مايأتي :

قالا تيقظنا فجأة ذات ليلة على صراخ بنتنا التى كانت اذ ذاك في نحو الخامسة من عمرها فدهشنا كثيرا من هذا القلق لأنها كانت من قبل تنام نوما متواصلا فقامت أمها فورا وأضاءت النور وأسرعت الى الغرفة المجاورة لغرفتنا حيث كانت البنت في سريرها الصغير فوجدتها في غاية التأثر وقالت لها البنت انها رأت في منامها الطائر المخيف الذى يأكل الدود .

عندئذ تذكرنا أنناقبل ذلكببضعة أسابيعقرأناللأطفال قصةالنحلة«مايا» وحوادثها منكتاب«وَالْدمَارْ بُونْسِلْسْ» وأنه مذكور فيها أن الطائر آكل الدود الذى يستطيع منقاره أن يتدخل في كل شيء كان يتلمس جعارين قشور الأشجار من تحت هذه القشور ويأكلهاوكانت بنتنا عند سماعها هذه القصة ترثى للجعارين المسكينة جدالرثاء وكانت تحكى لوالدها وهى على المائدة تفصيل ماوقع لهذه الجعارين الجديرة بالرثاء والرحمة وكلها عطف عليها غير أنه من ذلك الوقت لم يجر ذكر لهذا الطائر الشرير بل ان الطفلة كانت في هذه الأثناء قد سافرت لزيارة جديها ولبثت عندهما ثمانية أيام . على أنه كان من المستغرب أن تقلقها هذه القصة في نومها الصحى بعد زمن طويل من قراءتها . ولكن بما أن البنت في الواقع كانت متأثرة تأثرا شديدا أخذتها أمها معها الى سريرها لتسكن روعها فرقدت بجوار والدتها في غاية السكون على خلاف عادتها السابقة وقبضت عليها بيدها قبضة المتشنج الى أن عاد اليها النوم بعد زمن طويل .

وفي الليلة التالية طلبت منا قبل الانصراف للنوم أن نعدها بأن تتعهدها أمها أن عاودها الخوف ليلا فوعدناها بذلك غير أننا أكدنا لها مع ذلك أن لن يحصل لها

في هذه الليلة في منامها مايفزعها وسواء أكان تأكيدنا هذا قد أثر في نفسها من طريق الوهم أم أنها بقطع النظر عنه لم تحلم بشيء مفزع فقد نامت على كل حال طول ليلها نوما هادئا ولم يعد في اليوم التالى ذكر لأكال الدود المخيف .

وما كان أشد تعجبنا لما حصل في نحو الساعة الرابعة من بكرة الليلة التالية من استصراخ الصغيرة والدتها فجأة فقامت وذهبت اليها ولما سألتها عن سبب استغاثتها كان جوابها أنها كانت خائفة فطلبت اليها أن تأخذها معها الى سريرها فأجيب طلبها غير أن البنت في هذه الدفعة لم ترقد هادئة في سرير أمها كما فعلت في الدفعة الأولى ولم تقبض على يدها بل كان سلوكها كله يدل على أن فيها بعض الطيش فاستنتجنا من كل هذا أن بنتنا في هذه المرة لم تكن قد خافت وانما اتخذت دعوى الخوف وسيلة للمجيء الى سرير أمها ورغما من ذلك لم نكلمها كلمة في هذا الموضوع .

وفي الليلة التالية تكررت اللعبة نفسها غير أنها جعلتها قبل سابقتها بنحو ساعة فقد نادت البنت أمها في نحو الساعة الثالثة صباحا وقد تبينا من هيئة صوتها أنها لم تستصرخ أمها لخوف ولا لتأثر ولذلك أجابها أبوها بصوت فيه شيء من الجفاء أن عليها أن تبقى في سريرها فزعمت حينئذ أنها خائفة خوفا شديدا ولما رأت أن هذا لم يجدها أنشأت تصرخ فصاح بها بشدة قائلا ليس هذا الذى تعملينه الا حيلة منك للمجيء في سرير أمك فتحولت الصغيرة الخبيثة الى الاستجداء محتجة بوحدتها وغيرها ولكن هذا كله لم يجدها شيئا فقد بقينا ثابتين على رأينا ، ولما لم ترد أن تكف عن صراخها قامت أمها وأضاءت المصباح وذهبت اليها وأخذت معها قضيبا واقتربت من سريرها وهددتها بالضرب ان لم تسكت في الحال فأخذت تتضرع اليها وتقول لاتضربيني ياأماه الرحيمة ولا أرجو منك الا أن تسمحي لى بالكلام فأجابتها أمها اذن قولى .

« يتبع »

عبد العزيز محمد

العدد السابع — المجلد الاول		رجب سنة ١٣٤٩

قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ *

نور الإسلام

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها مشيخة الأزهر الشريف

أول كل شهر عربي

مدير ادارة المجلة :  المستشار بمحكمة الاستئناف ومن أعضاء مجلس الازهر الأعلى } سابقاً

رئيس التحرير : السيد محمد الخضر حسين من علماء الازهر

مكتب المجلة بالادارة العامة للمعاهد الدينية بشارع الدواوين رقم ٤٧

« تليفون : بستان ٣٥٠٧ »

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

قيمة الاشتراك السنوي		قرش
	داخل القطر المصري	٤٠
	للعلماء غير المدرسين وطلبة المعاهد والمدارس	٢٠
	خارج القطر المصري	٥٠
	لطلبة المعاهد والمدارس	٣٠

يعامل أئمة المساجد والمأذونون ومعلمو المدارس الأولية معاملة الطلاب

وثمن الجزء الواحد ٣ قرش صاغ داخل القطر و ٤ قرش خارجه

الغيرة على الحقائق والمصالح

متى نظر الانسان أو تدبر أمرا ووثق بأنه حقيقة أو مصلحة وجد في نفسه ارتياحا عند مايلاقي شخصا يشاركه في الشعور به ، ويكون ارتياحه أشد حيث يراه يعمل على مقتضى هذا الشعور ، كما أنه يتألم حينما يشاهد امرأ ينكر تلك الحقيقة أو المصلحة ، ويكون تألمه أشد حيث يراه مجدا في مناوأتها سالكا غير سبيلها ، وهذا التألم الذي يشتد فيدفعك الى أن تسهب في ايضاح وجه الحقيقة أو المصلحة ، أو تعمل على أن تكف يد من يبغي عليها ما أمكنتك هو مانعنيه بالغيرة .

فاذا حدثك الرجل في أمر وأراك أنه مطمئن الى أنه حق ثم لاتلبث أن تراه متحيزا الى من يكيد له ويدعو الى من ينقضه ، فاعلم أنه خالى القلب من الاطمئنان اليه ، وانما أراك ظاهرا يخالف مايكنه صدره وتطمئن اليه نفسه ، والعقل السليم لايستطيع أن يفهم كيف يجتمع الايمان بالحق مع موالاة من يحاربه في السر أو العلانية ، فالغيرة على الحق من مقتضيات الايمان به تقوى بقوته ، وتضعف بضعفه ، وتفقد حيث لايكون القلب مؤمنا .

وفي الناس من يلهج بكلمة «التسامح» يملأ بها فمه حتى لاتنكر عليه حين تراه قد اتخذ من المضلين أو المفسدين في الأرض أولياء يطيل التردد على أعتابهم ويغمس لسانه أينما جلس في أطرائهم ويجهد نفسه في تمويه باطلهم ، والتسامح المعقول أن لاتؤذي من خالفك في العقيدة فتنسب اليه زورا ، أو تنفي عنه مكرمة ، أو تهضم له حقا أو تنكث له عهدا أو تخلف له وعدا ، ومن التسامح المقبول أن تبره وتقسط اليه وتمد اليه يد التعاون على المصالح المشتركة ، وقد حرمت الشريعة الاسلامية الاساءة الى المخالفين الذين لم يخرجونا من ديارنا ولم يطعنوا في ديننا ولم يوقدوا نارا لحربنا ، ووردت أحاديث تنهى عن مس الناس بشيء من الاذى ، فحمل الفقهاء النهي فيها على وجه يعم المخالفين المقيمين في ظل الاسلام ، كما قالوا في حديث «لايبيع بعضكم

على بيع أخيه، ان النهى شامل لبيع المسلم على بيع غير المسلم لما ينشأ عن صرف المشترى عنه من تقاطع وشحناء. وأذنت فى أن نبرهم و نقسط اليهم قال تعالى (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)

وقد علّمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نداري من ينتمون الى الاسلام ونعاشرهم بالمعروف وان عرفنا في لحن أقوالهم أو غيره من الدلائل الخفية أنهم من طائفة المنافقين

أما الرجل يملك قلما أو لسانا أو حساما أو جاها فيصرفه في نقض أساس ماهو دين حق أوشريعة صالحة، فذلك مالايتولاه الا غبي لايفرق بين الأعمى والبصير . أو زائغ عن سبيل الرشد فماله من نور ، وقد أنكر الله على من يتزلف لاشياع الغي فقال (أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) وفى الآية شاهد صدق على أن العزة بيد الله يخلعها على من يغار على الحقائق غير مكترث بمن يناوئونها وإن كانوا أولى جاه أو سلطان .

فمن الغيرة على الحق أن تقاوم المبطلين أو المفسدين قاطعا النظر عن كل صلة وعاطفة ، ومن التسامح المقبول أن تدفعهم بالتى هى أحسن حتى كأنك لاتعرف شيأ من شؤونهم غير ماتصديت لمناقشتهم فيه ، وذلك مايستبين به الناس أنك لاتقصد الا أن تكف بأسهم وتحمى النفوس من وباء دعايتهم .

تتفاضل الحقائق والمصالح من ناحية مايتصل بها من خير ، فوجود الخالق أو صدق محمد صلى الله عليه وسلم في رسالته مثلا — يقوم على الايمان به من سعادة الأفراد والأقوام أكثر مما يقوم على الايمان بعدل أبى بكر وعمر بن الخطاب ، واقامة الصلاة وايتاء الزكاة يترتب عليها من الفلاح فوق مايترتب على زيارة أخ أو عيادة مريض .

وكذلك الغيرة على الحقائق والمصالح تكون على قدر تفاضلها فيما يترتب عليها

من العواقب ، فالغيرة الصادقة أن يتألم الرجل من الجهل على مقام الالهية أو الرسالة العظمى أشد مما يتألم للطعن في نفسه أو في أخ له أو صديق ، ويتألم لهدم مسجد أو الغاء مدرسة أشد مما يتألم لهدم بيت أو اهمال حديقة .

بعيد من الغيرة عن الحقائق ذلك الذى يسمع سوء القول في الله أو في رسوله فلا يجد في نفسه لسماع هذا السفه أثرا ، واذا مُس جانب من يتصل به نسبا أو يمد له من متاع هذه الحياة سببا ، هاج غضبه وارتعدت فرائصه .

بعيد من الغيرة على المصالح ذلك الذى يكون تحت يده مال فيبخل به على بناء مدرسة يستنير فيها الناشئون ، أو اقامة ملجأ يأوى اليه البائسون ، ويبسط به يده في انشاء مرقص أو ملهى يتخذ فيه الفتيان والفتيات أنصابا يسفكون عليها دم الفضيلة

ضعف الغيرة على الحق أو فقدها نقيصة تنزل بصاحبها الى الحضيض ، وكذلك ينبغى للانسان أن يملك الغيرة عند ثورتها فلا يخرج في معاملة المنتهك لحرمة الحق عن حدود العدل ، فالذى يغار على أمر جعل الشارع لمنتهكه حدا مفروضا لايحل له أن يتجاوز ماحده الشارع استرسالا مع طغيانها ، فان كان الجزاء موكولا لاجتهاد القاضى اجتزأ القاضى بالمقدار الذى يكفى للردع ، وليس من الغيرة المحمودة أن يتعدى في جزاء السيئة مايكفى للزجر عن اقترافها ، والغيرة الصادقة هى التى تنهض بصاحبها الى مكافحة المبطل أو المفسد وتقويم عوجه في تثبت وحزم .

الغيرة تبعث الرجل على الجهاد في الحق بأى وسيلة استطاعها ، فالرئيس الغيور يذود عن الحق بما في يده من قوة متى كان الهاجم عليه في غشاوة تمنعه من أن يفقه الحجة ، والعالم الغيور لايفتأ يذب عن الحق بلسانه أو قلمه ، ولا يسوقه طمع أو رهبة الى الخمول أو الصمت ، وما خمول العالم وصمته سوى قلة الثقة بما وعد الله به أنصار الحق من فوز وحياة طيبة ، والموسر الغيور ينفق في سبيل الاصلاح باليمين واليسار ، ومن كان صافي البصيرة يرتاح لظهور الحق وقيام المصلحة العامة أكثر مما يرتاح لان يكنز ذهبا أو تكون له قصور فيحاء وحدائق غناء .

واذا أردت أن تميز فاقد الغيرة على المصالح ممن يغارون عليها فهو الذى يجرى وراء منافعه الخاصة أينما رآها أو تخيلها ، يراها بجانب مصلحة عامة فيظهر في زى الداعى الى هذه المصلحة ويملأ الجو نداء للتعاون عليها،حتى اذا تراءت له منفعة لايصل اليها الا أن يقضى على ماينفع الناس جميعا داسه بكلتا قدميه ، وذهب الى منفعته توا لايلوى على شيء .

قد يسلك الرجل طريق العدل محافظة على المنصب أو رغبة في حسن الأحدوثة، ولكن الغيرة على الحق هى التى تجعل الحاكم عادلا في كل قضية ، فالغيرة على الحق هى التى تقف بالقاضى في حدود الانصاف حين ترفع اليه خصومة بين ذى سلطان واشعث أغبر ذى طمرين فلا يبالى أن ينصف ذا الطمرين [1] ويقضى على ذى السلطان وكذلك يفعل القضاة العادلون ، دُعى العلامة محمد بن بشير الى قضاء قرطبة فاستشار صديقا له في قبول الولاية فقال له : كيف حبك لمدح الناس لك وثنائهم عليك ؟ وكيف حبك للولاية وكراهيتك للعزل ؟ قال : والله ما أبالى من مدحنى أو ذمنى ، وما أسر للولاية ولا استوحش للعزل ، فقال : اقبل الولاية ولا بأس عليك . وفي سيرة ابن بشير هذا مايشهد بصدق غيرته على الحق ويحقق ماوصف به نفسه من أنه لايسر للولاية ولا يستوحش من العزل .

ومن الخطر على الحقوق والمصالح أن يتولى أمرها محروم من الغيرة عليها ، وكم من حق أهمل ومصلحة أميتت والسبب في اهمال ذاك واماتة هذه أن ألقى أمرهما الى من لم يذق للغيرة عليهما طعما ، ماذا يكون العمل في قضية الاعتداء على هتك عرض الفتاة اذا اسندت الى من تقلب في بيئة لاتعرف للعفاف سبيلا ؟ وما ذا يكون العمل في قضية الاعتداء على الدين اذا وضعت بين يدى من لايرى له حرمة ولايرعى للأمة التى تعتصم به ذمة ؟ وكيف تدار مدرسة ترجع نظم التعليم فيها الى من يؤثر اللهو على الجد ويفتنه زخرف الحياة عن طرق الرشد التى تخرج رجالا يعملون صالحا ويبتكرون عظيما ، ونحن نرى في الشعوب من حيل بينها وبين واجبات دينها

---

(١) الطمر ــ الثوب الخلق

وأكرهت على التعامل بغير ماتأذن به شريعتها ، واستبد عليها في طريقة تعليم أبنائها ، ذلك لأنها وقعت تحت ذي قوة استضعفها، ولم يكن له نصيب من الغيرة على شريعتها

ان أمة لها دين قيم وشرع حكيم ومجد لم يصف التاريخ له من نظير ، لايستقيم أمرها الا لمن يغار على شرعها أو يتودد لها باحترامه والمحافظة على أصوله .

واذا حكى لنا التاريخ أن ذاسلطان آذى أمة اسلامية في دينها أو قهرها بالسيف أو بوسيلة التعليم على أن تنسلخ من هداية ربها ، فلأنه انما وضع سلطانه على رؤوس جماعات متفرقة غافلة ، أما الأمم المتيقظة التي تقدر الحق قدره فليس من السهل على ذي القوة أن يؤذيها في دينها ، ويستخف بالحقوق التي قررها شرعها الا أن يكون جهولا بالعواقب ، أو غير راغب في أن يكون سلطانه ثابت القواعد .

الغيرة على الحق تتمثل فيمن ينظر الى الدليل ويصدع بما أراه الله وان كره السائلون .

حضر لدى ابن هبيرة الحسنُ البصري فاستفتاه ابن هبيرة في كتب تأتيه من عند يزيد ابن عبد الملك وفيها من الأمر بما لم يأذن به الله ، وقال «ان انفذتها وافقت سخط الله وان لم أنفذها خشيت على دمي» فقال الحسن «يابن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله ، يابن هبيرة ان الله مانعك من يزيد ، وان يزيد لايمنعك من الله ، يابن هبيرة لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق ، فانظر ما كتب اليك فيه يزيد فاعرضه على كتاب الله تعالى فما وافق كتاب الله تعالى فأنفذه وما خالف كتاب الله فلا تنفذه ، فان الله أولى بك من يزيد وكتاب الله أولى بك من كتابه» فضرب ابن هبيرة على كتف الحسن ، وقال «هذا الشيخ صدقني ورب الكعبة»

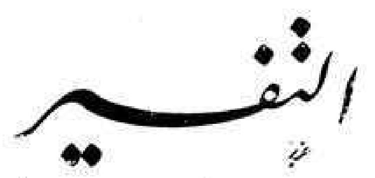
وتتمثل الغيرة على الحق فيمن يفسح له بعض الوجهاء في الاكرام مكانة ولا يمنعه ذلك من أن ينظر الى ما أكرمه الله به من عقل ورفعه به من علم فلا يسكت لذلك الوجيه عما يأتي من منكر ويذهب في تقويمه كل مذهب ممكن ، واضرب المثل لهذا بابراهيم بن محمد بن طلحة اذ قربه الحجاج وعظم منزلته وقدم به على عبد الملك بن مروان

وقال له : قدمت عليك برجل الحجاز لم ادع له بها نظيرا في الفضل والأدب والمروءة وهو ابراهيم بن محمد بن طلحة ، ولكن ابراهيم بن طلحة قال لعبد الملك : عندى نصيحة لا أجد بدا من ذكرها ولا أقدر على ذلك الا وأنا خال ، فصرف عبد الملك الحجاج من المجلس وقال لابن طلحة : قل نصيحتك ، فقال «تالله يا أمير المؤمنين لقد عمدت الى الحجاج في تغطرسه وتعجرفه وبعده عن الحق وقربه من الباطل فوليته الحرمين وهما ماهما ، وبهما من بهما من المهاجرين والأنصار والموالى والأخيار ، يسومهم الخسف ويحكم فيهم بغير السنة بعد الذى كان من سفك دمائهم وما انتهك من حرمهم» ولم يخبر عبد الملك الحجاج بما قال ابن طلحة ولكنه عزله عن الحرمين وولاه العراقين واعتذر لابن طلحة عن توليته العراقين بأن فيها من الامور مالا يدحضها الا مثله .

وفصل القول في هذا أن الغيرة على الحق والمصلحة ماغلبت على نفوس الأمة الا استقامت سيرتها ، وعلت في الأمم سمعتها ، وحسنت في كلتا الحياتين عاقبتها ، ولاحق أجلى مما يدعو اليه الخلاق العليم ، ولا مصلحة أعظم مما تهدى اليه أصول شرعه الحكيم ، فاذا لم نرسم في نفوس نشئنا الغيرة على حقائق الدين وما أرشد اليه من مصالح وما سنه من آداب ضلوا عن أسمى الحقائق وأضاعوا أكبر المصالح ، وتجردوا من أسنى الآداب ، وهل غير هذه العاقبة من خسران مبين .

فمن أهم واجباتنا أن نربى نشأنا على الشعور بعظمة الله ثم لانفتؤ نذكر لهم آيات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حتى يطمئنوا الى صحتها ، ولا ندع أن نقرر لهم أصول الشريعة على وجه يجعلهم على بصيرة من حكمتها ، وهذا مايربى فيهم الغيرة المهذبة ويعدهم لان يكونوا للحقائق والمصالح أنصارا .

محمد الخضر حسين



تفسير قصة سيدنا شعيب عليه السلام

٦

بسم الله الرحمن الرحيم

قد قص الله تعالى شأنه فيما سبق ما كان من أهل مدين فى ردهم على رسولهم سيدنا شعيب عليه السلام وإفراغهم جهدهم فى محاولتهم إحقاقَ ما هم عليه من عبادة غير الله، وهو ربُّ كل شيء، ومن أكل أموال الناس بالباطل والسعى فى الأرض بالفساد ومن زعمهم أن ما جاءهم به رسولهم عليه السلام ليس وحياً منزلا من عند الله سبحانه وأنه انما هو مما سولته له نفسه وخيّله اليه وهْمُه، ومن دعواهم أيضا أن لهم الحريّة المطلقَة فى أموالهم يتصرفون فيها كما يشاءون متى رأوا فى ذلك مصلحتَهم وان كانت لغيرهم ضررا بليغا، ومن جُرْأتهم كذلك على رسولهم، شرفه الله، حتى استخفوا بمقداره العظيم واستهزءوا متهكمين به ساخرين منه ما قدروا أن يتهكموا ويسخروا (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى تَكْذِيبٍ وَاللهُ مِن وَرَائِهِمْ مُحِيط)

اجترح القومُ هذه السيئاتِ فحاربوا الله ورسوله وسعَوا فى الارض فسادا وامتهنوا الحق والعقل والآداب وظلُّوا فى طغيانهم يعمهون .

لم يقابلهم رسولُهم الحليم الرشيد بماقابلوه ولم يكافئهم بما كافئوه مِثْلاً بِمِثْلٍ ونظيرا بنظير، بل سار على ماادَّبه الله الذى اصطفاه للرسالة وسلك بهم طريقَ الهداية الى الله تعالى كما بيناه لك فيما سلف ، فشرع يقرِّب مِنْ بُعْدِهم عنه ويُضْعِفُ من نفورهم منه ويردُّ من إباقهم من دعوته ويُبصِّرُهم بحقيقة رسالته مع الاعراض عن تكذيبهم له والحلم عن سفاهاتهم والصفح عن قبيح جهالاتهم وجناياتهم ، وذلك كما قصه الله تعالى عنه فى قوله (قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُم إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى) الآية .

عاد عليه السلام مرة ثالثة الى تذكيرهم بما بينه وبينهم من صلة القرابة وعاطفة الارحام فانها اقربُ الى الاخلاص وأَدْعَى الى الامحاض فى النصح وارادة الخير وابعدُ من الغش والتدليس وتبييت المكر السيء ، كل ذلك منه عليه السلام ليخففَ من غُلَوَائِهِم ويُطفِئَ من جَذْوة عداوتهم له وللحق الذى يدعوهم اليه ، وذلك قولهُ عليه السلام لهم (ياقومِ أرَأَيْتم) الآية .

يقول لهم عليه السلام : إنْ كنتُ(١) على بينة من ربى الخ فأَخْبِرونى : هل يصح مع اتصافى بهذه الأوصاف ان تقولوا فى شأنى ماقلتم وتكذبوا مابلغتكم عن وحى ربكم وتصمُونى بما انا منه بَرَاء ومعصوم ؟

ثم اعلم أَن الرؤيةَ كما تكون بالبصر تكون بالبصيرة ، فهى وسيلة صادقة من وسائل العلم الصحيح ، ومن الواضح أَن من علِمَ علما صحيحا اكتسبه من وسائل صحيحة كالرؤية فانه يستطيع ان يخبر بذلك العلم اذا استخبره عنه مستخبرٌ ، مثال ذلك قول المعلم لتلميذه : هل علمتَ الدرسَ الماضى ؟ فان التلميذ يفهم من هذا الاستفهام ان معلّمه يستخبره عن ذلك الدرس ، فكأنه قال له : اخبرنى ان كنتَ قد علمتَ .

وعلى هذا يكون معنى قولهِ عليه السلام : (ياقومِ أرَأَيْتم) هل علمتم علما صادقا مُسْتَمَداً من رؤية صحيحة بصرية او قلبية حتى تستطيعوا ان تخبرونى اذا استخبرتكم ؟ فاذا كنتم قد علمتم هذا العلم فأَخْبِرُونى : هل ينبغى لكم بعد هذا العلم أَن تكذبوا بآيات ربكم وتتخذوا دينه ورسوله هُزُوًا ؟

ومن هذا يتضح لك أن الغرض من هذا الاستفهام هو توبيخهم وتبكيتهم والانكار عليهم فيما رَمَوه به من الأوصاف التى عصم الله تعالى منها رُسُله الكرامَ ، ويكون الاستفهام فى الظاهر استفهاما عن الرؤية ولكنه فى الباطن متصل ومُنْصَبٌّ على ماقالوه فى حقه عليه السلام من المفتَرَيات التى نزهه الله تعالى عنها .

ثم انه عليه السلام أرشدهم الى عدة أمور اذا رأوها حقَّ رؤيتها وعُنُوا بالتدبر

---

(١) اشارة الى أن (أرأيتم) بمعنى اخبرونى . وجواب ان محذوف يدل عليه قوله أرأيتم بمعنى اخبرونى . ومفعول أرأيتم محذوف هو جملة هل يصح الخ ، وقيل غير ذلك

فيها حتى علموها علم اليقين فانهم حينئذ يتبين لهم الرشد من الغى ويعلمون أنه عليه السلام قد صَدَقهمُ القولَ فيما بلغهم عن ربهم وانه انما دعاهم الى الله الحقّ المبين وانهم كانوا فيما اتّهموه به مخطئين وعن صراط الحق السوىّ نا كبين ، ارشدهم رسولُهم الحليم الرشيد عليه السلام الى أنهم اذا حكموا وجب عليهم ان يكون حكمهم صحيحاً مبنياً على اسباب صادقة ومقدمات سليمة مسامة تدركها ابصارهم وتعقّلُها بصائرهم ويسلموا لها تسليما، اما ماعدا ذلك فانها احكام باطلة زينتْها لهم الأوهام والوساوس وأوْحتْها رَغباتُ النفوس والهواجس ، وقد حذر الله عز شأنه عباده ذلك واوجب عليهم الأخذ بالبرهان الناطق والدليل القاطع ونَعَى على اولئك الذين استعبدهم الخيالُ ورضُوا لانفسهم ان يكونوا للأوهام وهوى النفوس أتْبَاعاً .

وفى القرآن العظيم كثير من الآيات الكريمة فى ذلك . فمنها قوله تعالى ذِكْرُهُ (قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ الَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ) وقولُه (إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى) وقولُه (إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) وقولُه(قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ)

ثم شرع عليه السلام يبين لهم الأشياء التى يجب عليهم ان يَرَوْها ليَصِلوا بعدرؤيتها والتدبر فيها الى العلم الصحيح ، وحينئذ تتجلّى لهم حقيقةُ رسولهم الكريم ورسالتِهِ الصادقةِ الالهيةِ ويعلمون أنهم قد ارتكبوا بما زعموه اثما مبينا .

الأمر الأول : البيِّنةُ من ربه سبحانه ، والبينة هى مايدل على الشىء دلالة واضحة مِنْ نُطْقٍ أو كتابة أو اشارة او سِيرةٍ عقليةً كانت الدلالةُ او غير عقلية

والبينة التى خص الله عز وجل بها رسلَه الكرامَ هى ما اوحاه اليهم من شرائعه واحكامه وما أيدهم به من المعجزات الغالبة الناطقه بصدقهم فيما بلغوه عن ربهم سبحانه وما ادّبهم به من فضائل النفوس ومكارم الأخلاق والاحسان فى معاملة الامم والصبر على مايلاقونه منهم من التكذيب والمشاقةِ وانواع الأذى وما علّمهم من طرق التعليم

واساليب التبليغ وتربية النفوس وارشاد الجاهلين وتنبيه الغافلين وغير ذلك مما افاضه عليهم من الحجج والبراهين والقول الفَصْلِ والاخلاص فى القول والعمل ومن انواع العلوم والهدايات التى هى آساس صلاح الدين والدنيا .

كل ذلك داخل فى البينة التى كان حاصلا عليها رسولُ الله سيدُنا شعيب قائما عليها بالقسط فى اتّباعها وفى دعوة قومه الى الايمان والعمل بما أوحاه الله اليه .

لا ريبَ أَن رسول الله شعيبا عليه السلام كان على هذه البينة من ربه جل ذكره ، وكذلك لا ريب أن قومه كانوا يَرَوْنها بأعينهم ويدركونها بعقولهم ، فلوكانت رؤيتهم لهـا رؤيةَ إمعانٍ صادق وتدبرٍ نافذ لاستَمَعوا لمـا يقول ولاستجابوا الى مايدعوهم اليـه ولـكانوا جميعا كاخوانهم الذين آمنوا به وكانوا معه من الناجين ، ولـكن الاستكبار عن الحق ثَنَىَ صدورَهم ليستَخْفُوا منه ولَوَى وجوهَهم أَن يُقيموها لدين الله بُغضاً فيه ، ولقـد تمـكنت فى نفوسهم الغَوايةُ وطاعة الهـوى والشراهة على الدنيـا بالافساد فيها وأكل أموال الناس بالباطل وتأصلت فيهم حتى رَانَ على قلوبهم ما كانوا يكسبون ، فلم يجد نورُ رسالة سيدنا شعيب عليه السلام الى قلوبهم سبيلا .

هذا هو شأن أهـل مدين بأزاء البينة الالهية التى كان عليها رسولهم شعيب عليه السلام ، وهكذا كان ويكون شأنُ كلِّ أمة بازاء بينة رسولها الذى أرسـل اليها ، فما من أمة الا وقد أصيبت بما أصيبت به أمةُ شعيب عليه السلام فمنهم من آمن ومنهم من كفر ومنهم من أطاع ومنهم من عَصَى ومنهم من أَبْصَرَ ومنهم من عَمِىَ (فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) .

ان من السهو الذميم أَنْ يَظُنَّ أَحَدُنا أننا قـد سَلِمْنا مما أصاب غيرَنا من الامم الخالية التى عَمِيَتْ عن بينات رسلها ولم تقدرْها قدرَها وأَنَّ العقوبات الدنيويةَ والأخروية التى قضى الله الحكم العـدل بها عليها جزاءً لها على اهمالها وتفريطها فيها انمـا هى خاصة بهـا دوننـا .

ان من كان يظن ذلك فانه يـكون ممن جَهِلَ الاسلام جهلا لا يُقْبَلُ معه عُذْرٌ ويكون قد اخطأ فى فهم دينه خطأ مبيناً .

ان من جاءته آياتُ ربه بينات على يد رسول من رسله صلوات الله وسلامه عليهم فأعرض عنها ونأى بجانبه ولم يعلمها حق العلم ولم يُوفها قسطها من الايمان والعمل بها بل طعن فيها واتهم من جاء بها كأهل مدين فانه لاملجأ له من الله الا اليه ، ولا محيص له من العقاب الذى أعده الله فى الدنيا والآخرة للذين يخالفون عن أمره لافرق بين هذا وذاك ، ولا بين أمة وأخرى (قَدْ خَلَتْ من قَبْلكُمْ سُنَنٌ فسيرُوا فى الْأَرْض فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عَاقبَةُ الْمُكَذِّبينَ) (فَهلْ يَنظُرُونَ إلاَّ سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ . فَلَنْ تَجد لِسُنَّةَ اْللهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لسُنَّةَ اْللهِ تَحْويلاً)

لايُنكرنَّ أحد علينا اذا قلنا جهاراً : إن اناسا ممن ينتمون الى هذه الأمة المحمدية قد بسطوا ألسنتهم بالسوء والطعن فى الاسلام وفى كتابه وفيما جاء فيه وفيمن أتى به .

ان هؤلاء الذين طعنوا فى الاسلام وفى رسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم ممن ينتسبون الى هذه الأمة هم كاخوانهم الذين سبقوهم بالطعن فى رسلهم من الأمم الأولى كأهل مدين قد تشابهت قلوبهم وَطفئ نورُ عقولهم فمُسخت فطرتهم وصاروا كالأنعام بل أضل سبيلا وكانوا جميعا قوما عمين .

أخذتهم العزةُ بالأثم ووسوست اليهم شياطينُ الأنس والجنّ وزينوا لهم ما بين أيديهم وماخلفهم من الاوهام والمفتريات فاستبدلوا بالحقائق خيالاتهم وبالحق أباطيلهم وباليقين شكوكهم وَ(حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فى أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِين)

كَرِهوا ما انزل الله وان كان هو الحقّ المبين وكَرِهوا من جاءهم بما أنزل الله وان كان هو الصادقَ الأمينَ فأخذتهم الأنفةُ أن يستمعوا مايتلوه عليهم من الآيات والذكر الحكيم وجعلوا فى قلوبهم الحَميّة حميّةَ الجاهلية أن تخضع أعناقهم للحق بعد ما تبيّن وصمّوا أنْ يستجيبوا لرسولهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إذ يناديهم (يَا قَوْمَنَا[1] أَجِيبُوا دَاعِىَ اللهِ وَآمنُوا بهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِىَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ . أُولَئِكَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ)

---

(١) اقتباس من قصة نفر الجن الذين استمعوا القرآن .

لو أنصفوا أنفسهم لرحموها ولم يوبقوها موبق الجهل والشقاء ولو عصوا أهواءهم ونزغات طواغيتهم لاستبان لهم صدق رسولهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأنه قد جاءتهم على لسانه موعظة من ربهم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين .

انهم قوم قد استحبوا العمى على الهدى والاباطيل والشكوك على الحق واليقين فاستكبروا ان ينظروا ويتدبروا مادعاهم الى الايمان به ولم يروا الايات البينات التى هو عليها من ربه سبحانه حتى يعلموا العلم اليقينى بانه رسول الله حقا أرسله اليهم مؤيدا بحجج الله البالغة رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا .

بهذه الطريقة السوءى التى رضوها لأنفسهم عادوا رسولهم سيدنا محمدا صلوات الله وسلامه عليه وأوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا واخذوا يطعنون فى الرسول عليه الصلاة والسلام ويفترون عليه الكذب زورا وبهتانا لايخشون لله عقابا ولا للعقلاء تأنيبا ولا عتابا ولا لأنفسهم وخزا ولا ملاما غافلين أو متغافلين أن يتدبروا قول الله جل ثناؤه شهادة منه وهو خير الشاهدين بصدق هذا الرسول الأكرم وتنويها بجلال قدره العظيم (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ . إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ .)

ما أجدر هؤلاء الطاعنين من أدعياء هذه الأمة فى رسالة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أحقهم أن يقال لهم كما قيل لأهل مدين : (ياقومنا ارأيتم إن كان رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على بينة من ربه سبحانه فى قوله وفعله وسيرته واخلاقه ومعاملته للخلق وتبليغه رسالة ربه ورجاحة عقله وصدق عزيمته وثقابة فكره وحسن صبره واخلاصه فى دعوته وارشاده الى غير ذلك من نعوته وشمائله الجليلة ان كان صلى الله عليه وسلم كذلك فأخبرونا كيف سوغتم لانفسكم مع اتصافه بهذه الصفات الفاضلة أن تطعنوا هذا الطعن وأن تتهموا هذا الرسول الكريم بما

اتهمتموه به مع انكم لم تتبعوا فى ذلك الا الظنَّ الباطلَ (وَإنَّ الظنَّ لا يُغْنى مِنَ الْحَقِّ شيئًا)؟ (قُلْ إنَّ الَّذينَ يَفْتَرُونَ عَلى اللهِ الْكَذبَ لا يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ فِى الدُّنْيَا ثُمَّ إلَيْنَا مَرْجعُهُمْ ثم نُذيقُهُمْ الْعَذَابَ الشَّديدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ)

وَانا سنختم الكلامَ فى هذا الأمر الأول بذكر أدَبٍ من الآداب النبوية التى أدَّبَ اللهُ تعالى بها نبيه سيّدنا شعيبا، ولا سيَّما وقت المخاصمة والمحاجة، كما أدَّبَ بذلك أخوانَه المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم، ذلك أنه عليه السلام يقول لقومه (إن كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى) دون أن يقول اذا كنت على بينة من ربى، والعربىُّ يأتى بأنْ حينما يكون شاكا فى مضمون الكلام، أما اذا كان جازما به فانه يأتى باذا لا بإنْ، ومن المعلوم أن سيّدنا شعيبا عليه السلام كان جازما موقنا بأنه على بينة من ربه سبحانه، فالحكمة البلاغية التى هى من آدابه عليه السلام أنه جارى قومَه المتعنتين وأرْخى لهم عنان عنادهم استنزالا لهم عن كبريائهم وكبْحًا لجماحهم ونفورهم ومراعاة لحسن المحاورة مع الخَصْمِ الألَدِّ عسى أن ينصتوا له ويستمعوا (وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا)

على أن هذا الأسلوب الحكيم البلاغى لا يزال يجرى على ألسنتنا الى اليوم، انك تكون على علم بما تقول، ولكن آدابك مع من تخاطبه تحملك على أن تجامله فى الخطاب والتلطف معه فى بيان الصواب وردّه عن خطئه، فتقول له أظن أن الأمر كذا أولعل الأمر كذا.

قلنا ان الله عز أسمُه كما علّم رسوله شعيباً آداب التخاطب مع أمته خصوصا المجادلين المعاندين منهم، كذلك علّم سائرَ أخوانه المرسلين عليهم الصلاة والسلام، فمن ذلك قولُ سيدنا نوح عليه السلام لقومه (يَاقَوْمِ أرَأيْتُمْ إنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى وَآتَانِى رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ) الآية وقولُ سيدنا صالح عليه السلام لقومه (يَاقَوْمِ أرَأيْتُمْ إنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى وآتَانِى مِنْهُ رَحْمَةً) الآية وقولُ رسولنا صلى الله عليه وسلم كما أمرَه سبحانه (قُلْ أرَأيْتُمْ إنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ

بَعِيدٍ) وقولهُ كذلك (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) .

قد يقول لنا قائل : لا غرابة اذا قلتم إن رسل الله ساداتنا محمدا وصالحا وشعيبا عليهم صلوات الله وسلامه عدلوا وقت محاجتهم لأممهم عن لفظ اذا الى لفظ ان للحكمة التى ذكرتموها لان هذين اللفظين عربيان وهم عليهم الصلاة والسلام عرب بلغاء ، اما سيدنا نوح عليه السلام فانه ليس بعربى والكلمتان المذكورتان ليستا فى لغته حتى يفضل احداهما على الأخرى لتلك الحكمة التى شرحتموها فكيف يتم ما ذكرتموه بالنسبة اليه عليه السلام .

نقول: ينبغى الا يكون السؤال مقصورا على هاتين الكلمتين بل ينبغى ان يكون عنهما وعن سائر ما حكاه الله تعالى عنه عليه الصلاة والسلام فى القرآن الكريم من المكالمات بينه وبين ابنه وقومه ، بل ينبغى ان يكون عن جميع ما قصه الله عز وجل عن الرسل عربا وغيرهم ، وكذلك عن الملائكة والأمم الذين جاء ذكر محاوراتهم فى القرآن العظيم فى الدنيا مع رسلهم وفى الآخرة حين البعث وبعده .

والجواب . انما اراده الرسول او الملك اوغيرهما عبّر عنه كلٌّ منهم بما استطاعته قوة المخلوق من الكلمات والعبارات فى لغته ، ثم ان الله القادر الذى احاط علمهُ بما قالوا وبما ارادوا قص علينا قصصهم فى قرآنه العظيم كاملا لم يفرّط فيه من شىء مما ارادوه بكلمات وعبارات عربية مجيدة من عنده تعالى، قصرت دون رتبتها فصاحة الفصحاء فى نظم فصيح بديع فائق من لدنه واسلوب رائع معجز خرت له جباه البلغاء من العرب ساجدين واقرت بعلوه وتفوّقه السنة المنكرين وعجزت الانس والجن عن ان يأتوا باقصر سورة منه وظلّتْ اعناقهم له خاضعين (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)

والخلاصةُ أن أيّ قصة فى القرآن الكريم خصوصا اذا كانت عن غير عربىّ فان كلماتها وجملها وآياتها وأسلوبها كل ذلك من كلام الله تعالى ومن عنده (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)

حسن منصور
وكيل دار العلوم سابقاً

أصول الدين

نبوته صلى الله عليه وسلم

معجزاته الحسية

— ٣ —

نريد أن نتكلم فى مقالنا هذا عن المعجزات الحسية التى هى طريق من طرق اثبات النبوة على ماذكرنا فى مقالنا المنشور فى العدد الأول وأن خصومنا اليوم فريقان ، فريق الماديين الذين وقفوا عند الظواهر ولم يصلوا الى رتبة التحقيق فى الأشياء حتى فى علم الطبيعة نفسه الذى يدعون أنهم علماؤه و بيدهم لواؤه . والفريق الثانى هو شرذمة تنتمى لعلماء الدين وما هم منهم فى كثير ولا قليل ، يريدون أن يُعرفوا بالتجديد وعدم الجمود على ما يزعمون فيتظاهرون بأنهم عرفوا ما يقول العصريون فتراهم يلهجون بذكر مايلوكه الماديون على غير علم ولا بصيرة من ذكر النواميس وإنه لايمكن خرقها ويزيدون على ذلك مالم يحسنوا فهمه من نصوص القرآن الشريف مثل قوله تعالى « وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ ءايَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللهِ » فذكر أنها عند الله ولم يقل أنه جاء بها« وستعلم الجواب عن ذلك » وقد قلدوا فى هذا جهلة المبشرين الذين يرددون ذلك فى جميع كتبهم التى يلبسون بها على ضعفاء العامة ، فهم فى هذه النزعة وهذا الاستدلال مقلدون للمبشرين من حيث يشعرون أولا يشعرون ، كما كانوا فى تلك مقلدين لجهلة الطبيعيين حبا فى الظهور وطلبا للشهرة فهم غريقون فى التقليد اشر الطوائف من حيث يظنون أنهم مجتهدون أو مجددون وهكذا الحركات كلها عندنا فى الشرق معكوسة عكسا سار بنا إلى الاضمحلال الذى جعلنا فى أخريات الأمم أو على حافة العدم

« الفريق الاول »

أما الفريق الأول وهو فريق الماديين الذين جمدوا على القشور وظنوا أنهم عرفوا كل شيء ووصلوا إلى كل شيء فقد أنكروا المعجزات الحسية لانها تناقض النواميس الطبيعية المقدسة التي لا يجوز خرقها وهي أزلية أبدية على ما يزعمون ، دعاوى خيالية لم يعضدها الحس ولاقام عليها البرهان ولكنها نزعات نفوس حمقاء وخيالات رءوس طائشة لم تستمد من الوجود ولا استندت الى البرهان ، وانما استمدت من عقول أربابها المنحرفة واستندت الى مايخيله استعدادهم الناقص ، لأنهم لا يأخذون معلوماتهم الامما شاهدوه وألفوه ، واذا تخيلوا كان خيالهم مرتكزا على تلك المعلومات التي انتزعوها من الحس ، ويعجبني قول بعضهم ، « ان الخنفساء لو تخيلت خالقها لتخيلته خنفساء كبيرة » وانا نقول لهم أولا هل أحطتم بكل النواميس علما ؟ أليس من الجائز بل الواقع أن يكون هناك ناموس أو نواميس لم تحاموا بها ؟

ألم يكن من قبلكم من علماء القرن السابع عشر والثامن عشر يتبجحون تبجحكم ويدعون دعاويكم غير حاسبين للمكتشفات التي اكتشفت بعدهم وما أكثرها حسابا ، بل نقول ألم يكن الأقدمون يزعمون أن العناصر أربعة وأن الاجسام مركبة من الجواهر الفردة وكانوا يحلون بذلك كل شيء في الوجود وما كان يدور بخلدهم أن العناصر تصل إلى السبعين أو الثمانين ، ومن يدرى ما يجيء به المستقبل فلعلها تصل بعد الى أكثر من ذلك بكثير وما كانوا يظنون أن نظرية الجوهر الفرد ستكون موضع الهزؤ والسخرية في القرن العشرين وأن ستحل محلّها نظرية الالكترونات الجديدة ، وعلى كل حال فمن ذا يستطيع أن يدعى أنه أحاط علماً بكل نواميس الكون وما فيه ، ولو كان كذلك لبطل الاكتشاف والبحث ووقف تقدم العلم الذي لا آخر له ولماذا لا يقولون مايقول « نيوتن » مكتشف الجاذبية وأحد أساطين العالم في الفلك « لسنا إلا كالاطفال في جزيرة على شاطىء بحر العلم نلتقط ما يقذفه البحر من الصدف والقواقع على حين أن الجواهر النفيسة في قعر ذلك البحر » أو ما يقول غيره ممن عرفوا قدر العلم «الفرق بيننا وبين آبائنا أنهم كانوا يعتقدون

أنهم علماء، أما نحن « فنعتقد أننا جهلاء » الى آخر ما اعترف به المنصفون من اكابر علماء الطبيعة المخلصين الذين ليسوا فيـه زعانف ولا مقلدين ولا يريدون أن يغشوا أنفسهم أو يغشوا الناس وربما أفردنا لذلك مقالا خاصاً ان شاء الله

ثم نقول لهم من أين لكم أن النواميس هى المؤثرة فى هـذا العالم وما شاهدتم الاحدوث بعض الأشياء عقيب بعض ، أفيدل ذلك على التأثير والفاعلية ؟ أم هذه مقارنة او معاقبة لاغير؟ أما العلة الصحيحة أو الفاعل الحقيقى فشىء وراء ذلك كله وما تلك النواميس إلا قوانين قد وضعها الخالق فى مخلوقاته لتسير عليها حتى يتم ما أراده منها ، ولا يعقل تقدمها على الأشياء حتى توجدها ولا قيامها بنفسها حتى تـكون فاعلة فيها وقد يحسون بذلك فيعبرون بكلمة السنن بدل النواميس وستسمع كلام أكابرهم بعد فى مقال آخر ، فما الذى يدريهم أن قوة الفاعل المختار تقف عند ذلك الحد ولا تتعداه مع أنهم يعتقدون أن فى الطبيعة قوى لا تحد ولا تعد ويحسن فى هذا المقام أن نورد لك تلك الحادثة التى لو ذكرها أحد الشرقيين لقالوا انها خرافة وهاك ماجاء بدائرة المعارف البريطانية

كريستيان هينريس هينيكن

طفل عجيب ولد فى ٦ فبراير سنة ١٧٢١ بمدينة لوبره [١] استطاع الـكلام فى سن عشرة أشهر ولما بلغ من العمر عاما واحداً حفظ قصص البنتاتوش [٢] عن ظهر قلب ، وفى سن سنتين اتقن التاريخ المقدس ، وفى سن ثلاث سنين أجاد معرفة التاريخ والجغرافيا القديم منها والحديث والدين والدنيوى فضلاعن تـكلم الفرنسية واللاتينية ، وفى سن الرابعة أخذ فى دراسة الدين والتاريخ الـكنسى ، وقد هرع الناس أفواجا الى لوبره لرؤية هذا الطفل العجيب الذى يباحث فى مختلف العلوم التى درسها ولـكنه مات فى ٢٢ يونيه سنة ١٧٢٥ فى سن الرابعة من عمره [٣] فعلى أى شىء ينكرون المعجزات ؟!! ، وهب

---

(١) مدينة لوبره بشمال ألمانية بمقاطعة لوبره المتاخمة لهولشتين

(٢) البنتاتوش اسم للاجزاء الخمسة الاولى من التوراة

(٣) ويشبه هذا ما ذكر فى جرائدنا المصرية منذ سنتين تقريباً من أن غلاما فى تركيا طلب أن يتزوج وبعد فحص الاطباء سمح له بذلك على خلاف القانون التركى ومما وجدوه فى ذلك الغلام خارقا للعادة أن قلبه كان فى الجهة اليمنى وكبده كانت بالجهة اليسرى مما حير الاطباء هناك

انهم عرفوا شيئاً مما شاهدوه فى تلك الأرض التى هى من اصغر العوالم ، ألم يبق مما لم يعرفوه الشيء الكثير أو الذى لا نهاية له ؟ فان العوالم لايدرون لها نهاية (باعترافهم) وقد ذكروا فى سير النور وسرعته — وأنه مع تلك السرعة المدهشة لا يصل الينا من بعض الكواكب الا بعد مئات السنين أو الوف السنين — مايوجب الدهش الكلى والقبوع التام فى احدى زاويا تلك الأرض الصغيرة التى هى أقل من جحران الحشرات والديدان بالنسبة لهذا العالم الذى لايعلمه غير خالقه ، أفلا يجوز بل يجب أن يكون قد فاتهم من العلم مايناسب حقارتهم المتناهية وعظمة ذلك الكون غير المتناهى على مايقولون هم انفسهم على أن علماء الأرواح بأوربة اليوم أصبحوا لايعبأون بتلك الطنطنة الكاذبة ويثبتون من خوارق العادات مايقلل من غلوائهم ويقضى على كبريائهم، وفى أهل الهند من وصلوا بالرياضة الى خوارق العادات والتفنن فى أنواع المدهشات لأن الارواح الانسانية كلها مخلوقة من عالم آخر له حكم آخر ولا تشبه أحكامه أحكام هذا العالم المادى وان كان بين الارواح الكاملة والارواح الناقصة أبعد مما بين السماء والأرض وبين المعجزات وتلك الخوارق فروق من وجوه عديدة وإنما نريد بهذا عند ما نتكلم مع الماديين الذين لايقولون الا بالمادة ونواميسها أن نفل من سلاحهم ونسفه من احلامهم حتى ينتقض بناؤهم من أساسه بقول من يجلونهم ولا يخرجون عليهم .

ولنكتف من الكلام مع هذا الفريق اليوم بهذا ولنا اليه عودة ثم عودة ان شاء الله

« الكلام مع الفريق الثانى »

أما الفريق الثاني وهو فريق المجتهدين من اخواننا المجددين العصريين المتشبهين بالماديين الذين يتذبذبون بين علماء القرن السابع والقرن العشرين وبين نصوص الدين ونزعات الماديين ، فلا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فلنا معهم فى الرد طريق آخر يزيد على ماردنا به على الماديين فنقول لهم وهم ممن يؤمن بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ان كنتم ترون أن النواميس مقدسة لا يجوز خرقها رضاء بما قال الطبيعيون أو تقليداً لهم فالقرآن الذى تؤمنون به يرد عليكم فى مثل تلك الايات « فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ

يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » « فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا » « وَقَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ » « فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ » « وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ » « وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ » ويقول لعيسى عليه السلام « وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي » الى غير ذلك مما هو معلوم لحضراتكم فان أنكرتموه فقد أنكرتم صريح القرآن، وان اعترفتم به وقلتم إن ذلك جائز فى نفسه ولكن لم يقع لنبينا صلى الله عليه وسلم وفرقتم بينه وبين الأنبياء وهو أكبرهم وأعظمهم على غير معنى معقول ولا نص منقول : قلنا لكم ان معجزاته صلى الله عليه وسلم ثابتة بالتواتر الحقيقى أو المعنوى فى مجموعها بل فى كثير من آحادها ولا معنى لأن تسلموا ذلك فى حق الأنبياء ثم تتوقفوا فيه بالنسبة لنبينا صلى الله عليه وسلم وإذا رددتم ما فى صحاح كتب السنة من ذلك بعد اعترافكم بجواز الوقوع وبحصوله للأنبياء السابقين على ما ينطق به القرآن وهو فرق لا نعقله قلنا لكم أن تلك النزعة توجب عدم الثقة بما رواه أولئك الأكابر وذلك يفتح باب فساد كبير وشر مستطير بل يوجب الخروج من الشريعة جمعاء وإبطال كل ما جاء عن الرسول من الأوامر والنواهى وهو انفلات من الدين كله فاننا اذا طعنا فى البخارى مثلا ولم نثق بمروياته وهو أصح الكتب لزم ألا نثق بمن هو أقل منه وما وصلتنا الشريعة الا على يد هؤلاء حتى عدد الركعات وكيفية الصلوات فيكون الدين كله غير موثوق به وهى نزعة من شر النزعات وجناية من أكبر الجنايات التى فتح بابها المبشرون ونخشى أن يتممها المجددون المجتهدون العصريون وأى فرق بين هؤلاء وبين الباطنية الذين أرادوا أن يخرجوا الناس من دين الله بتأويلاتهم وتشكيكاتهم فكلاهما رد الشريعة . أولئك فى معناها وهؤلاء فى نصوصها على أننا لا نأبى طريق سلفنا الصالح من علماء الحديث فى النقد والتمحيص والتعديل والتجريح ولكن الذى نمقته هو تلك النزعة الحمقاء وذلك الميزان المقلوب الذى لا يحركه سوى النزعات الضالة ولا يرجح احدى

كفتيه غير الأهواء الفاسدة التي يجازف أربابها على غير علم صحيح ولا بصيرة نيرة ، على أن القرآن نفسه أثبت تلك الخوارق له صلى الله عليه وسلم فى مثل قوله « سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى » وقوله « اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ » وقوله « وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى » وقوله « وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى » الخ الخ فلم يبق الا الاحتمالات السوفسطائية وستسمع فيها مايكفى المنصف ويخجل المتعسف فكيف يتسنى بعد ذلك إنكار الخوارق له صلى الله عليه وسلم والقول بأنه ليس له فيها غير القرآن تمسكا بما تمسك به المبشرون تلبيسا وتضليلا من مثل قوله تعالى « وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ » مما ورد فى الآيات المقترحة التى جرت سنة الله فى خلقه أن يهلك من اقترحوها إذا لم يؤمنوا بها ، والله لا يريد ذلك بالأمة المحمدية ، على أن أولئك المقترحين لو أرادوا الأيمان لوجدوا عليه دلائل نيرة وآيات باهرة ولكنهم متعنتون فى كفرهم فلا ينفع معهم شيء وقد قال الله تعالى فى حقهم « وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ » فمثل هؤلاء لا تنفعهم الآيات المقترحات وإنما توجب استئصالهم وهلاكهم والله لا يريد ذلك فعسى أن يؤمنوا أو تؤمن ذريتهم فلم يبق بعد ذلك الا المكابرة الممقوتة أو الاحتمالات الفارغة التى تفسد كل معقول ومنقول ، وقد منينا اليوم بمن يبدى من الاحتمالات ما يعقل وما لا يعقل دفاعا عن نزعاته الخاصة واهوائه المتغلبة وكثيراً مارأينا أرباب تلك النزعات عند ماتقام الحجة لايصغون اليها ولا يعرضونها على العقل والمنطق وانما يفكرون فيما يقاومون به تلك الحجة ويدحضون به ذلك البرهان بمثل تلك الاحتمالات السخيفة فهذه وجهتهم التى يتوجهون اليها لا معرفة الحق ولا الاذعان له (ومن لا يقنعه إلا أن لا يقتنع فلا سبيل لأن يقتنع)

ولنقل كلمة عن تلك الاحتمالات الزائفة التى راج سوقها وعز سلطانها بفضل غلبة الاهواء وكثرة الجهلاء فنقول

« الاحتمالات وأثرها الممقوت »

اننا لو استرسلنا فى الاحتمالات التعصبية لما أمكن أن نصدق بخبر ملك من الملوك ولا نبي من الانبياء ولا حديث واقعة من الوقائع ولبطل التاريخ واختلت المصالح والنظم بناء على تلك الاحتمالات على أن مسألة المعجزات متواترة تواترا يستحيل معه الاجتماع على الكذب من تلك الألوف المؤلفة شرقاً وغرباً ممن لايعقل تواطؤهم على الكذب مع تباين أممهم وبلادهم ولو فرضنا أن كل واحد منهم ذكر خارقة من الخوارق فهناك أمر مشترك وقع عليه الاجماع من تلك الطوائف كلها وهو أنه ظهر على يديه عليه السلام خوارق على الجملة بقطع النظر عن أعيانها مع ملاحظة أن كثيراً من المعجزات قد رواها العدول الثقات عن العدول الثقات المجمع على حفظهم وضبطهم وأماناتهم مما لو انفرد بروايته طريق واحد من تلك الطرق الصحيحة لوجب قبوله فكيف وقد تعاضدت وتضافرت كلها على شيء واحد حتى بلغت مبلغ التواتر الذى لايمكن رده ولا الشك فيه كما بينته كتب الصحيح فى دلائل النبوة « ومن يتتبع الاحتمالات ويسترسل فيها مع الشك فقلما يصل الى ايمان أو يظفر بايقان » وقد أنكر الملحدون وجود الله تعالى بناء على تلك الاحتمالات وهو جل وعز أصل كل شيء وأظهر من كل شيء ولا يعقل بدونه وجود شيء ، وفى الناس فريق يطعن فى المحسوسات وهى هى ويقول إنها لاتفيد العلم بناء على أن الحس كثيرا مايغلط ، فانك اذا كنت فى الباخرة رأيت الشاطىء جاريا وترى حبة العنب فى الماء كبيرة . إلى امثال ذلك من غلط الحس ، وفى الناس فريق آخر أنكر وجود كل شيء ، وقال ان الاشياء لاحقيقة لها بل هى خيالات وقد تعرض علماؤنا للرد عليهم فى كتب الكلام ، ومنهم من اختلط عليه الأمر وكثرت عليه الاحتمالات فقال فى كل شيء لا أدرى ويسمون عندنا باللاأدرية ولو أتيح لك أن تطلع على كتب المذاهب والآراء لرأيت أنه قد احتدم الجدال وعظم النزال فى حقيقة العلم وهو المعلوم بذاته الذى يعلم به ما سواه ، ولكنه لما دخلته الاحتمالات ولعبت الوساوس بنفوس الناظرين فيه كثر القيل والقال حتى أصبح الناس فيه على طرفى نقيض

فقائل يقول هو بدهى لا يحتاج الى تعريف وقائل يقول لا يمكن تعريفه لصعو بته وبعد حقيقته ، وفريق يقول أنه هو المعلوم بعينه فالعلم بالنار هو عين النار ، والعلم بالماء هو عين الماء ، ولكن اذا حلت فى الذهن كان لها أحكام أخرى ، وكذلك الخلاف فى الوجود والموجود الى غير ذلك مما منى به هذا النوع الانسانى بناء على هذه الاحتمالات التى أوجبها الاسترسال مع الشكوك والأوهام مما يضحك الثكلى ويبكى الحليم بل مما يسلب العقل الانسانى خاصته والفطرة البشرية صفاءها وقد قال بعض الحكماء (ان من الناس من تفسد انسانيته فيصبح غير انسان) وإذاً لا تكون له فطرة سليمة يرجع لها ولا وجدان صحيح يتحاكم إليه وإنى أناشدك الله « وأرجوا ألا تسأم » لو قال لك قائل أنا لا أثق بخبر من الأخبار لأنه يجوز أن يكون المخبر كاذبا ويجوز أن يكون قد اعتقد خلاف الواقع ويجوز أن يكون قد سها فقال غير ما يريد ويجوز أن يكون قد تجوز فأراد غير الحقيقة إلى غير ذلك ولا وثوق مع وجود تلك الاحتمالات التى يجوزها العقل ، بل لو قال أنا لا أثق بشىء من تلك القواعد العامية مثل علم النحو واللغة والصرف وأمثالها لأن نقلتها عن واضعيها رجال معدودون يجوز عليهم الكذب والخطأ والنسيان ، وهكذا نسبة كل قول إلى قائله وكل رأى إلى مرتئيه ، فماذا يكون خطابك اياه ؟ وماذا يكون جوابك له ؟ وهل ترجو لمثل هذا فلاحا أو تنتظر له صلاحا ؟ وماذا يكون الحال إذا أجرينا تلك الاحتمالات فى الأمور الحربية والمسائل التجارية والأحوال الادارية والانظمة الاجتماعية ؟ بل أسائلك — ولا أحسبك الا محبا لتحقيق الحق — لو كنت فى حال يقظتك وعلى غاية ما يكون من صحتك وكانت الشمس على أتم ما يكون من ضيائها وبهائها وأنت تراها بعينى رأسك ولا تستطيع أن تحدق النظر فيها لعظيم ما يبهرك منها فجاءك سوفسطائى فقال لك : هل تستطيع أن تقيم دليلا على صحة ما تدعيه من طلوع الشمس ووجود النهار فأخذت تصيح انى أراها وأنت تراها وكل الناس ينظرون اليها وهى أظهر من كل دليل يقام عليها ، فأخذ يقول لك يحتمل أنك نائم وان تلك الرؤية منامية وان اجتماعى بك ومجادلتى اياك وكل ما يحيط بنا من شجر وحجر وماء وضياء كله حلم فى حلم وخيال فى خيال ، محتجا عليك بأن النائم

قد يرى فى منامه أكثر من هـذا وهو لايشك فى نومه أنه حق لامرية فيه حتى أنه يرى أنه قـد رأى مناما ثم تيقظ ثم قصه على بعض المعبرين إلى غير ذلك مما يراه النائمون ولا يشكون فى نومهم أنهـم متيقظون [1] فلعل حالك هو حال هـذا النائم واعتقادك اعتقاده وأنت فى منام لا يقظة ، يقول لك ذلك كله بغير تهيب ولا خجل فقل لى « رعاك الله » ماذا يكون حالك مع هذا السوفسطائى صاحب الترهات وحليف الاحتمالات ، ألا يصعب عليك جدا إقناعه مع كونك قاطعا بفساد مايبديه من هـذه الاحتمالات ، ولئن كان العقل يقـول بجوازها فالوجدان قاطع بعدمها ، ولو اعتمد النـاس على التجويزات العقلية فى أمورهم لاختل نظامهم وفسد حالهم ، وكان الحيوان اذ ذاك أقرب إلى الرشد من الانسان وقد أشار الله إلى قوم هذا شأنهم بقوله « (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّماء فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالوا إِنَّما سُكِرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ) » فبين أنهم كانوا يدفعون تلك الآية الـكبرى التى شاهدوها باحتمال أنه حصل خلل فى أبصارهم أو سحر فى عقولهم . وإنه ليقع فى قلبى أن الله خلق أقواما ليس فيهم استعداد لليقين ولا خلقت فيهم حاسـته عموما أوخصوصا فلا يمكنك أن توصلهم اليـه مهما بذلت من الوسع وأفرغت من الجهد وكنت كمن يكلف فاقد السمع سماع أصوات المدافع الضخمة أو فاقد البصر رؤية الأضواء المتألقة ولذلك سجل الله عليهم بقاء الشك وعـدم الايقان بقوله «وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَـيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِـمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا » ويقول « وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهاَ. وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً » الى آخر ما ورد فى حقهم ولله فى خلقه شئون ، ولعلنا نتكلم فى بعض المعجزات على التفصيل بعد ان شاء الله ؟

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء
بالأزهر

---

(١) اذكر بهذه المناسبة ماسمعته من بعض أصحابى أنه رأى فى منامه أن بعض الاعزاء عليه قدمات فرثاه بقصيدة غراء مطلعها .. شج قلبي فلم اجد لعزائي * غير دمع مزجته بدمائي



عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنت خَلْفَ (١) النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال « ياغلام ، إحفَظِ اللهَ يحفَظْك ، إحفَظ اللهَ تجدْه تُجاهَكَ ، واذا سألتَ فاسألِ اللهَ واذا استعنتَ فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ، جفَّتِ (٢) الاقلامُ وطُويَتِ الصُّحُف (٣) »

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أيضاً قال : كنتُ رَدِيفَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال« يا غلامُ أو يا غُلَيِّمُ ، ألاَ أُعلمُك كلمات ينفعك الله بهن ؟ فقلتُ : بلى ، قال : إحْفَظِ اللهَ يحفظْك ، احفظ اللهَ تجدْه أَمامَك ، تَعَرَّف الى الله فى الرخاء يَعْرِفْك فى الشدة ، واذا سألتَ فاسأل اللهَ ، واذا استعنتَ فاستعن بالله ، قد جف (٤) القلم بما هو كائن ، فلو أن الخلق جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله تعالى لم يقدروا عليه ، وان أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، واعلم أن فى الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، وأَن النصر مع الصبر ، وأَن الفرج مع الشدة ، وأَن مع العسر يسرا » (٥)

شرح الحديث الشريف الأول

هذا الحديث الشريف كأمثاله يدل المسلمين الذين آمنوا بالله وبرسوله ويرشدهم الى ما كان صلى الله عليه وسلم قائما به من دعوة الأمة الى الله تعالى وبيانه لهم ماجاءهم به من

---

(١) راكبا خلفه . وهو بمعنى قوله فى رواية الامام احمد الآتية : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم (٢) سيأتى تفسيره فى رواية الامام احمد (٣) رواه الترمذى وقال : حسن صحيح (٤) متعلق بجف أى جف مداد القلم بسبب فراغه من كتابة ما هو كائن فى علم الله . وكل ما لم يكن فى علم الله انه لن يكون فانه يستحيل ان يكتب القلم انه كائن .
(٥) روا الامام احمد باسناد حسن .

العقائد الصحيحة وأعمال الدين والدنيا وارشادهم الى مايزكيّ نفوسهم من الفضائل ومكارم الأخلاق .

كان صلى الله عليه وسلم يعلّمهم كل ذلك فى مجالس يَعْقدها لهم فى المسجد وغيره وفى مجامع أُخرَ فى الحَضَر أوالسفر رجالا أورُكبانا ذُكرانا أو إناثا أو صبْيانا فما كان من وقت يمضى عليه صلى الله عليه وسلم الا وهو مشتغل فيه بأمر دينى محض أو دنيوى يقصد به وجه الله تعالى ويصلح به أمور الأمة أو يقصد الأمرين جميعاً تقربا الى الله عز وجل باصلاح الدين والدنيا معا ، وهذا كما قال الله عز اسمه فى ذلك (إِنَّا سَنُلْقِي (١) عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (٢) . إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ (٣) هِيَ أَشَدُّ وَطْأً (٤) وَأَقْوَمُ قِيلاً (٥) . إِنَّ لَكَ فِى النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً (٦) . وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً (٧)) . وقال (وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) .

دلّنا هذا الحديثُ الشريفُ على ما كان من عناية النبى صلى الله عليه وسلم بتبليغ رسالة ربه سبحانه وعنايتِهِ التامة بتربية الأطفال وتغذية نفوسهم بالعقائد الاسلامية وغرسِ الأعمال الصالحة فى نفوسهم لينشئُوا نشأةً حَسَنةً علماء بدينهم عاملين بتعاليمه حريصين على حسن ادائها حتى اذا كَبرُوا كانوا مَرْجعاً لغيرهم يفزَعُون اليهم فى تعلم ماورثوه هم عن الرسول صلى الله عليه وسلم كما كان شأن سيدِنا عبدِ الله بنِ عباس وغيرِه من الصحابة الأجلاء الذين كانوا نعم الموئلُ والملجأُ للمسلمين بعد النبى صلى الله عليه وسلم .

نشأ ابن عباس وغيرُه من غلمان المسلمين كعبد الله بن عُمَرَ وعلىّ بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهم على هذه النّشأةِ الحَسَنة ، ثم كَبِروا وانضموا الى رجالات الصحابة الاجلاء الصدورِ فى العلم الاسلامى والتزامِ حدوده وحسن الحض على الحرص عليه وعلى العمل

---

(١) سنوحى اليك (٢) القرآن العظيم المنطوى على تكاليف شاقة على المكلفين وخصوصا النبى صلى الله عليه وسلم فانه مأمور بتحملها وتحميلها للأمة (٣) القيام فى الليل للعبادة بعد النوم (٤) أى هى خاصة أشد ثباتا للقدمين حين الصلاة بخلاف الصلاة قبل النوم (٥) أقوى قولا واعد له واثبت قراءة لحضور القلب وهدو الاصوات بعد النوم . (٦) تقلبا وتصرفا واشتغالا بشواغلك فلا تستطيع أن تتفرغ للعبادة فعليك بها فى الليل (٧) أى انقطع اليه بجميع الهمة واستغراق العزيمة فى مراقبته .

به من غير توا كل ولا هوَادة ، فكانوا جميعا بعد الرسول صلى الله عليه وسلم مَشرِقًا بَزَغت منه شمسُ الدين المحمدى وانبَعَثَ منه نور الاسلام الحنيف فاضاء المشارق والمغارب وشرح الله صدور أهلها للدخول فى دين الله أفواجا وتحولت أقطار الأرض من جهلها ووثنيتها الى أقطار مُوحَّدة تَدِين بالدين المحمدى الحنيف وبالعمل الصحيح وبسائر الاعمال التى شرعها الله لصلاح شؤون عباده الدنيوية والأخروية ، فأصبح المسلمون لذلك العهد سادة أهل الأرض بما نَشَرُوا من الدين والعلم النافع وما أقاموا من العدل والقسطاس المستقيم وفتحوا الاقطار وعَمَرُوا البُلدان ومَصَّروا الأمصار وكانوا من المصلحين ، ولا نزال نحن المسلمين نتقلّب فى نَزْر قليل من ثمرات أعمالهم الطيبة التى ورثناها عنهم بعد ان أضَعنا جُلّ ما تركوه لنا ، فسبحان من يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

هذه بعض ثمرات تَنْشِئَةِ اطفالنا نحن المسلمين التنشئة الدينية الاسلامية ، وهذه بعض تربيتنا لهم التربية التى رَبَّى النبىُّ صلى الله عليه وسلم ابنَ عباس وغيرَه من اطفال المسلمين كسيدنا علىّ وعبدالله بن عمرَ والحسنِ والحسينِ رضوانُ الله عليهم اجمعين .

والمسلمون منا وممن قبلنا يعرفون حق المعرفة مَنْ هُمْ سادتُنا علىٌّ والحسنُ والحسينُ وغيرُهم ممن ذكرناهم وممن لم نذكرهم ويقدرونهم حقَّ قدرهم فى الدين والعلم والعمل .

ان العلم الذى جاء به النبى صلى الله عليه وسلم وبلغه الناس عن ربهم جلت حكمته علم يصلح النفوس ويهذبها ، وكذلك يصلح الأبدان ويقيها امراضها وادواءها ، فكان هذا الدين الاسلامى المحمدى لهذا مُثَقِّفًا للنفوس شافيا لها من العقائد الفاسدة وقبائح الجهالات والغَواية ودواء ناجعا من سيئات الاعمال وشرور عواقبها ، وكان لذلك شفاء وعلاجا نافعا ايما نفع للأرواح والاشباح ، من لدن حكيم خبير ، كما قال جل ثناؤه (قلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمنِينَ) وقال (قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِىْ بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَه سبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيْهِمْ إِلَى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) وقال (فَأَمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ والنُّورِ الَّذِى أَنْزَلْنَا وَاللهُ بِمَا تَعملُونَ خَبِيرٌ) .

ان الناظر فى هـذا الدين الاسلامىّ النظرةَ الصحيحةَ البريئةَ من التعصب الذميم وتلمس المعايب الكاذبة يعلم العلم اليقينى أنه دين الفطرة الانسانية التى كرّمها اللهُ تعالى، ويعلم أنه (لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) وأنه (مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ) وأنه كما جاء مصلحا للناس أرواحهم وعقولهم ببيان العقائد والعبادات والفضائل النفسية، كذلك جاءهم مصلحا للأحكام والاعمال الدنيوية لم يفرّط من ذلك فى شىء، كما قال الله الحكيم العليم (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)

ننتقل من تربية الطفل فى الصدر الأول والاسلام غضٌ قد خالطتْ بشاشتُه القلوبَ فكان أصلُه ثابتا فى النفوس وفروعهُ فى السماء يُنبت للمسلمين كل حين نباتا حسنا ويؤتيهم باذن ربهم كلّ آن ذرية طيبةً يكونون خلفا صالحا لسلف صالحين، ثم ننتقل من هذه التربية الى التربية فى زماننا هذا انتقالا من النقيض الى النقيض (وَلِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ) فنقول:

إن للطفل مدرستين يتربى فيهما فى بدء حياته « أولاهما » داخلية وهى بيت والديه « وثانيتهما » خارجية وهى المدرسة التى أعدتها الحكومة أو غيرها للتربية.

فأما المدرسة الأولى، وهى مدرسة بيت الوالدين فان الطفل لا يسمع ولا يبصر فيها للدين أثرا من عقائده ولا أعماله ولا فضائله ولا آدابه ولا أوامره ولا نواهيه (الامن عصم الله) وقليلٌ مّاهمْ، فلا طهارةَ ولاصلاةَ ولا زكاةَ ولا صيامَ ولا آدابَ ولا اتقاء لما حرّم الله من غيبة أو نميمة أو تناول مانهى الله تعالى عنه من مأكول أو مشروب أو ميْسر أو غير ذلك مما أمر الله به أو نهى عنه، لا يرى الطفل شيئاً من ذلك يصدُر عن الوالدين، فهل يطمع طامع بعد ذلك أن يَرَى طفلَ هذين الوالدين المستهتَرَيْن المفرّطين فى دينهما وللدين منزلة من قلب ولدهما أو وللولد وازع من نفسه ينهاه أن يرتكب الموبقات التى ارتكبها والداه ونشأ على رؤيتها منهما وتكررت مشاهدته لها حتى مرَنَ عليها وأَنِسَ منها وانكر اضـدادَها من أوامر الدين ونواهيه وعدّ ماخالفَ مانَشّأه عليه والداه أمرا عجيبا ؟

وأما المدرسة الثانية فانها قد قررت على الأطفال موضوعات فى الدين لكل طلبة فى سنة من سِنِى الدراسةِ طائفة من هذه الموضوعات يتلقّوْنها ، وكان ذلك مقصورا فيما سبق على طلبة المدارس الابتدائية ، وكانت الموضوعات المقررة هى الاعمال البدنية من الوضوء والصلاة ونحوهما ، وكانت تلك الدروس مُزْدَرَى بها ازدراء لا يجيزه عقل ولا دين ، فمن ذلك أنه يختار لها دائما آخرُ النهار ، وهو الوقت الذى كانت تفتر فيه همم المدرسين والطلبة وتضمحل فيه قواهم وتخمد أذهانُهم ، فلا يستطيع المدرسون أن يفيدوا ولا الطلبة أن يستفيدوا .

ومن ذلك أيضا انهم جعلوا دروس الدين اختبارية لايحاسب المدرس على أن يهملها بنوع من أنواع الاهمال ، فان شاء أن يدرسها كيفما شاء غير متبع فى ذلك نظاما من نُظُم التدريس فَهِم الطلبة عنه ماقال أم لم يفهموا ، وان شاء بَدَّلَ مدرسُ الدين به غيره من فن آخر كالنحو والمطالعة مثلا .

وكما أن المدرس لاتبعة عليه فى اهمال دروس الدين كذلك الطالب سواء بسواء . لامؤاخذة على جهله بها ، وان فُرِضَ امتحانُه فيها وان لم يُجِبْ بشىء أو أجاب اجابة خطأ أو بما لا قيمة له فانه لا يكون شىء من ذلك سبباً فى عقابه أو عتابه أو رسوبه فى ذلك الامتحان ولا عقبةٌ تحول بينه وبين تقدمه على غيره فى الترتيب ولا فى حرمانه من مجانية متمتع بها ولا من الانتقال من سنته التى هو فيها الى سنة أرقى مما هو فيها .

قلنا إن موضوعات علم الدين كانت فيما سبق مقررة على طلبة المدارس الابتدائية ، ولكن قد أحسنت وزارة المعارف قريباً فقررت علم الدين على طلبة السنتين الأولى والثانية من السنين الثانوية فنعم ما فعلت أتم الله توفيقها ، لكنها مع إحسانها فيما فعلت تركت الحبل للمدرسين وللطلبة على الغارب ولم تجعل للدار مَنْ يحْرُسُها ولا للدواء الناجع طبيبا يقوم على العلاج به ، وذلك أنها استهانت به كما استهانت فى التعليم الابتدائى فجعلت وقته هو وقته وتدريسه هو تدريسه واهماله واستثقاله ونتائج امتحانه هى بعينها كما شرحنا فى التعليم الابتدائى ، فهل لهذا الاستخفاف بالدين وتعليمه وتَنْشئَةِ أولادِنا نحن المسلمين على تعاليمه مِنْ آخرٍ ينتهى اليه اهمالُنا وتفريطُنا (فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِىَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ

عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِى أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ) و (لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً).
لو كان الاستهتار بأمر الدين الاسلامى والتفريطُ فى تعليمه معه بعض عناية تشابه العناية بفن الرسم والألعاب الرياضية كالجرى والقفز وغيرهما لهان الأمر والخطب بعض الهوْن ولتعزّى الدينُ وأهلُه بعضَ التعزية . ولكن الأمر قد تعدّى طورَه وأمسى الدينُ وأهلُه على خَطَر عظيم والقَوُا بأيديهم الى تهلُكة عظمى لا نجاةَ لهم منها الا اذا خرجوا مما دخلوا فيه من هذه التهلكة ولكن ما داموا على ما نراهم فانهم ليسوا منها بمخرجين .

تلك الطامة الكبرى هى قذف المسلمين باطفالهم الى مدارس غير المسلمين ، وبعضهم قد يكون من الطائفة الداخلية وبعضهم من الخارجية ، ونحن نعلم علم اليقين كما يعلم آباء أولئك الأطفال ما تفرضه تلك المدارس على طلابها المسلمين وغيرهم من اداء العبادات التى يحرمها الدين الأسلامى ويحكم حكما لا تأويل فيه ولا شبهة بأن فاعلها يخرج بها من الاسلام ومثله كل راض عنها أو متسبب فيها .

ولقد شكا بعض هؤلاء الآباء حينما رأى ابنه وهو فى البيت يقول و يفعل مالقنه معامو تلك المدارس من أقوال وأفعال غير المسلمين ، وقد أعيته الحيل فى رجوعه عنها فلم يرجع ، فقيل له ولِمَ لَمْ تخرجْه من هذه المدرسة بعد أن تحققت ضررها ، وهل أعددت الجواب حينما يسألك ربك عما فعلته بابنك هذا فى يوم (لاَ تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ) ؟ فقال أخشى أن أُخرجَه فيُحْرَمَ من التعلم ، فقيل له : وهل حَرَمَ غيرُك من الآباء أبناءهم الذين لم يُدْخلوهم فى هذه المدارس التى هى فى الحقيقة معابد لغير المسلمين ؟ فلم يُحرِجوا با فقيل له : اتق الله فى نفسك وفى ولدك وتذكر قول الله المنتقم الجبار اذ يقول : (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) فى يوم (لاَ يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ)

ثم إن هؤلاء الشبان الذين لم يتربَّوا التربيةَ الدينيةَ ولم تثقَّفْ بها عقولُهم ولم تتذوقْها

نفوسُهم كثيراً ما يُرسَلون الى أوربة ليتمموا دراستهم ويتخصصوا ببعض العلوم كما يقولون ثم يعودون وقد تبدلت أحوالهم وتغيرت أوضاعهم . والْتَوَتْ ألسنتهم فى دينهم وأخلاقهم وسِيَرتهم وعاداتهم و (لقدِ استكبرُوا فى أنفسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كبيراً) حتى على آبائهم الذين لهم يَسْتجدون واليهم محتاجون وباموالهم يمرحون ولا شىء من ذلك بمجهول ولا بخاف علينا .

ولقد سمعنا شيئا كثيراً ممن نثق به منهم وقد حفظ الله تعالى عليهم دينهم وفضائلهم (وقليلٌ مَّاهم) حدثونا بمباحثات وأسئلة كثيرة كانت تنهال من الطلبة الأوربين يوجهونها الى الطلبة المسلمين ظانين أنهم على شىء من دينهم فكانوا تلقاء هذه أقساما متباينة ، فمنهم من يَعيبُ الاسلامَ ايّما عيب ، يريد بذلك سَتْرَ جهله بدينه زاعما أن ذلك يُكْبِرُه ويقرّبُه زلفى الى السائلين غير المسلمين .

ومنهم من تحمله الغيرة أو يخشى ظهور جهله فيجيب وهو جاهل على غير بينة مما يجيب ، وهؤلاء كثيراً ما يخطئون ، وان فرضت اصابتهم فانها تكون أندر مايكون لانها رمية من غير رام . واما خطأه فانه الأغلب الأكثر وهو مسجل عليه وعلى الدين الحنيف وهو منه براء . ولقد صدق من قال (عدو عاقل خير من صديق جاهل) .

ومنهم من سافر الى تلك البلاد وهو مؤمن حقا وقلبه مطمئن بالايمان حريص كل الحرص على فرائضه وسننه وسائر تعاليم دينه حتى أكبره رئيس المدرسة ومدرسوها وطلبتها وصار منارا صالحا وعنوانا محموداً صادقاً على دين الاسلام ، فلقد طالما أزاح كثيراً من الأباطيل والأكاذيب التى كان قد ألصقها بالاسلام بعض أعدائه الجاهلين المفسدين .

هذه هى مدارس المسلمين ومدارس غيرهم ، وهذا هو شأنها فى معاملة الدين الاسلامى ، وغاية أمرها أن التلاميذ يخرجون منها بعد اتمام دراستهم وأفئدتُهم هواء وصُدورهُم جَوْفاء من كل شىء يتصل بالاسلام من عقائد الهية ونبوية وعبادات بدنية وأحكام دنيوية وأخلاق وآداب دينية وعادات ومواضعات حسنة دنيوية .

ولكن اعلم أن هناك دورا بل قصوراً انشأها غير المسلمين وراء ستار من زخرف لا يعيبه عائب ولا يمانع فيه ممانع ، ذلك الستار هو دعوى أن هذا القصر قد انشىء للاستشفاء ، ووقاية النوع الانسانى أن تفتك به الأمراض ، فاذا دخله المريض عولج فيه

علاجا جسمياً لا نتعرض له لأننا لسنا بصدده ، ولكن الذى نتعرض له هو معالجتهم له علاجا روحيا دينياً ، وذلك أن المريض بينما يكون فى حال يقاسى فيها ما يقاسى من الأوجاع والآلام وهو يناجى ربه القادر على شفائه الذى (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) اذ فاجأه مفاجىء يلقى عليه درساً يذكر له فيه ما يخالف عقائده ويهدم قواعده ويجتهد ما استطاع فى تشكيكه وزحزحته عن دينه الذى دخل به ذلك المستشفى ليخرج منه وقد ترك دينه فيه كما أنه يخرج وقد ترك فيه مرضه الذى دخله به أليس الأمر كذلك أيها المسلمون ؟ بلى

وجملة القول . أن عاقبة المدارس على ما هى عليه هى تربية الطفل تربية خالية من كل ماله مساس بدينه وعاقبة المستشفيات التى أسسها غير المسلمين هى تشكيكهم وزحزحتهم عما يعتقدونه من دينهم ، وما مَثَلُنا ومَثَلُهم الا كَمَثَل أهل الكهف الذين آمنوا بربهم اذ قال بعضهم لبعض فى شأنهم مع قومهم الذين لم يؤمنوا (إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً)

قد يكون لمرضَى المسلمين عذرٌ مّا اذا دخلوا هذه المستشفيات لأن المسلمين على كثرتهم وغناهم ووفرة ماعندهم من الثروة لم يَعْملوا مثلَ ما عَمِلَ سواهم ، بل لم يُفكّروا فى شىء من ذلك الا قليلا لم يكن شيئاً مذكورا .

يتبع

حسن منصور
وكيل دار السلوم سابقا

الطرف والملح

أنشد ثعلب رحمه الله .

الجهلُ بعد الأربعينَ قبيح	فزَعِ [1] الفؤادَ وان ثناه جُموح
وبِع السفاهةَ بالوقار وبالنُّهَى	ثمنٌ لَعَمْرُكَ إن عَقَلتَ ربيح
فلقد حدا بك حاد بان الى البلَى	ودعاك داعٍ للرحيل فصيح

(١) امنعه وكفه

اصول الدين

سوانح ومقتبسات

أرجو من حضرات القراء أن يطلبوا من هذه السوانح الفوائد لا المناسبات

(١) لانعترض على علماء الطبيعة فيما يرون وما يقولون فان حرية الرأى أساس تقدم العلم فاذا ضغطنا على حرية الرأى فقد وقفنا عقبة في سبيل تقدمه كما كان يفعله القسوس في القرون الوسطى ولكن نحب منهم أن يخلصوا للعلم أيضا فلا يوهمونا أن الظنى قطعى والتخمينى يقينى ، نحب منهم دائما أن يضعوا نصب أعينهم ان العلم متغير متبدل وان عقل الانسان قاصر والكون كبير واسرار الوجود لانهاية لها ، فاذا لم يخلطوا التخمين باليقين ولم تغلب عليهم الأثرة والتبجح بما اكتشفوا ووقفوا عندحد العلم الصحيح ولميصادموا كل شيء بمقتضى ذلك الاكتشاف الناقص الذى أكملوه من نزعاتهم وأهوائهم وأوهامهم وخيالهم لو فعلوا ذلك لرحبنا به كل الترحيب وازال كثير مما بيننا وبينهم ، ولكن النفوس الانسانية مجبولة على التبجح فهى في عملها بمنزلة المجهر الذى يكبر الأشياء الى أكثر من الف ضعف من حجمها الحقيق .

(٢) اننا نجلهم كل الاجلال على بحوثهم واكتشافاتهم ولكن نحب منهم أن يعرفوا ان هذه البحوث ليست الا معرفة سلسلة الموجودات وترتب بعضها على بعض ، أو تقول حدوث بعضها عقيب بعض ، أو قل أنت نشوء بعضها من بعض ، ولكن نعجب لهم كيف لايمتلئون عجبا ودهشا من ذلك النظام الذى لايعرفون له سرا غير أنهم شاهدوه فكان المعقول أن يمتلئوا بعظمة ذلك الفاعل المستتر الذى حيرت آثاره العقول والأفكار ، وانا نجلهم أن نشبههم بالأطفال الذين يرون الاشياء في هذا الكون فيعللونها تعاليل لاتوافق الحقيقة غير مفرقين بين مقارنة الشيء للشيء،

وسببيةالشيء للشيء، أو نقول بين السببية والفاعلية ، أو نقول بين الفاعلية والقابلية، ولعلهم يفيقون من سكرة الظفر بهذه المكتشفات فيرجعون الى العقل والمنطق .

(٣) انهم عرفوا عناصر الأشياء ومقاديرها فهل يمكنهم أن يصنعوا لنا تفاحة أو رمانة أو نحو ذلك بناء ماعرفوا في كيميائهم من قوانين المزج والاتحاد ؟ فضلا عن انسان حى أو حيوان حى .

(٤) انه يمكنهم أن يحللوا الخلية ولكن لايمكنهم بعد تحليلها أن يعيدوها حية كما كانت ، أليس ذلك وحده دليلا على أن الأمر ليس راجعا الى الفـة العناصر ولا مقاديرها ؟ بل الى سر يجهلونه تمام الجهل حتى في اصغر الأشياء .

(٥) انالمادى الملحد لاينتظر منه غيرالالحاد والقول بالمادة فانه لم يقرأ الا كتبها ولم يطرق سمعه في تربيته الخاصة وادوار حياته الطويلة الا التنويه بها والحديث عنها ، فنفسه ممتلئة بها فارغة من كل ماسواها ، فهو سكر بمحبتها مخمور باثارها ، وما ذا تريد من السكران الذى انحصر في موضوع واحد حتى تخلل ذلك الموضوع اجزاء نفسه ؟ وماذا تنتظر من الذى حصر نظره في اتجاه واحد ؟ هل يمكنه أن يعرف غيره وهو لم يتجه اليه ؟ والانسان محصور فيما وضع نفسه فيه والعالم كبير جدا والعلم لا آخر له، فتكفى ناحية ضئيلة من نواحى العلم أن تأخذ الانسان كله حتى لاتدع منه شيئا لغيرها ، والانسان ليس موجودا الا في جزء صغير من العالم وهو ماوجه نفسه اليه وقصر بحثه عليه وان كان يظن أنه موجود في العالم كله .

(٦) لننظر أى الفريقين أهدى سبيلا ؟ فريق المؤمنين الذى أرجع الحياة الى أصل حي والارادة الى أصل مريد والعلم الى أصل عالم ، والنظام المحكم الى منظم حكيم ، أمفريق الماديين الذين خالفوا في ذلك كله بدائه العقول وصرائح البراهين ؟ فبلغوا من الأوهام حدا لم يبلغه الفلاسفة الأقدمون الذين يرمونهم بالخيالات والخرافات ويفتخرون عليهم كبرا وتبجحا بأنهم خلصوا من الوهم وبرئوا منالخيال غير شاعرين أنهم وقعوا فيما هو أفظع منه .

(٧) وصل التخرص في حقيقة المادة والتظنن فيها الى حد أن قالوا انها مؤلفة من مجموعات كثيرة كالمجموعات الشمسية وانما الذى يرينا أنها جامدة وصلبة هو سرعة سيرها فلا نحس بحركتها مثل الأرض التى تسير بنا سيرا حثيثا ولا نحس بسرعتها ، ألا نقول لهم ان ذلك مصادم للحس والبديهة (والحس مقدس عندكم والبديهة مقدسة عند جميع العقلاء) ولكن نقول لهم ما الدليل على مازعمتم ، أليس من الجائز أو الواقع أنها لاتصير كذلك الا اذا وصلت الى حد الغازية أو التكهرب ؟ وذلك لايكون الا بعد تحليلها ودخولها في أدوار كثيرة فما الذى جعلكم تحكمون أنها متحركة بتلك الحركات الزوبعيةالسريعة غايةالسرعة في حال جمودها وصلابتها، أليس كل دور من الادوار له حكم من الأحكام ؟ ومن الغلط أن نعطى الجامدات أحكام السائلات أوالسائلات أحكام الغازات الىآخر ماتعرفون ولا تجهلون، ولكنهم اعتادوا أن يتهجموا على الأحكام تخرصا وجراءة ناسين ماجعلوه قاعدتهم من ابعاد العلم عن التخرص والتخمين وطالما سلقوا السابقين الأولين بألسنة حداد لتورطهم في التخرص وفرض الفروض من غير أن يقوم عليها الدليل الحسي ، فهذا آخر رأى لهم فيالمادة بعد ماتخلص العقل البشرى منالخرافات والاوهام وبنى العلم علىأساس صحيح من الحس والمشاهدة على مايقولون ، وأغرب من هذا وذاك القول بان أصل المادة الحركة أو القوة كأن العرض يقوم بنفسه ولا يحتاج الى جوهر يقوم به ، قال بعض الفضلاء : الواقع ان القوة التى لهجوا بها ماهى الا كلمة تقال للدلالة على آثار تقع في العالم المادى لايمكن فهمها الا بها فاذا ثارت عاصفة قيل تحرك الهواء بقوة ، واذا سقط حجر علىالأرض قيل انجذب اليها بقوة ولكنماهى القوة مجردة عن هواء وحجر ؟ لاندرى ولا أحد في العالم يدرى فكلمة القوة التى جعلها العلماء المعاصرون لنا مبدءا ومعادا لجميع الكائنات المحسوسة لاتساوى اكثر من كلمة «الجوهر الفرد» وستخول تلك ماخولت هذه من السلطان المطلق ثم يعتريها السقوط الى الحضيض فتخلفها كلمة أخرى أصلح منها مسايرة للعلم في الدرجة التى يكون عليها

اذ ذاك ثم لاتكون تلك هي الكلمة النهائية ، بل لاينفك الانسان ينتقل من مدركات ومصطلحات حتى يبلغ الغاية مما أعد لبلوغه من العلم ، ولا ندرى ان كان يتم له هذا العلم المطلق في عالمه هذا بحواسه القاصرة هذه أم في عالم آخر حيث تنطلق روحه من القيود المادية ، فيجب على طالب الحقيقة المطلقة أن يحترس من الكلمات الفارغة وان سايرت أهواءه الراهنة فرب انخداع بنظرية لا أساس لها يقف بصاحبه عشرات السنين في دائرة معينة من الخيال ويقف بأمم برمتها عشرات القرون في حالة محدودة من الضلال ، وقد كان الطبيعيون الى ماقبل مائة وخمسين عاما يفكون جميع المعميات الوجودية بالعناصر الاربعة، الماء، والهواء، والنار، والتراب وقد اتضح اليوم بالتجربة أنها مركبة وماذا يدريهم أن العناصر التى زعموها بسيطة وأوصلوها الى نحو الثمانين مركبة ؟ وان قصور آلاتهم عن تحليلها هو الذى جعلها بسيطة في نظرهم والا فالبسيط على الاطلاق انما هو الاثير الذى اثبتوه وقالوا ان كل شيء يرجع اليه ، وقد كانوا يحللون بالجوهر الفرد الذى لايقبل الانقسام ولا التلاشى كل المعضلات الطبيعية وقد ثبت بالعلم أنه قابل الانحلال والفناء ، فلا يصح والأمر على ماسمعت أن يعول الباحث عن الحق الصراح في الطبيعيات الا على مايحس به وتمكنه منه تجربته بوسائله الذاتية ، فأحسن موقف يقفونه أمام مسألة المادة هو أن يعترفوا بأن أصلها مجهول وان كل مايقال فيه لايخرج عن دائرة الظنون والآراء . ويحسن بنا هنا أن نبلغك أن الرأى الذائع في معاهد التعليم من أن المادة لاتفنى قد أدحضه العلامة «جورج بوهن» والعلامة الكبير «جستاف لوبون»

(٨) يحاول الانسان أن يعلل كل شيء وهو لايستطيع أن يعلله الا برده الى العلل التى يعرفها وهو لم يعرف الا قليلا جدا من هذا الوجود على أنه لايستطيع أن يعلل شيئا تعليلا حقيقيا ولكنه كما قال بعض فلاسفة أوربة، يشاهد بعض الاشياء مشاهدة متكررة فيظن أنها مفهومة ومعقولة وان غيرها ليس مفهوما ولا معقولا لكونه لم يشاهده أو شاهده على سبيل الندرة ، والحقيقة أنه لايعرف علة هذا ولا ذاك ،

قال الدكتور فرابار : ليس لأى عقل مهما كانت درجة اتساعه ان يضع حدودا للممكن وغير الممكن لا ن الممكن لاينتهى الى حد كالمكان والزمان ، ونحن وان كنا قد حددناه في نظرياتنا فهو يتعداها كل لحظة ويسخر من ضيق عقلنا ، ألم تعلمنا التجربة أن مايظهر لنا مستحيلا اليوم قد يكون بديهة الغد ؟ هكذا كان الحال حيال اكتشاف أمريكة ، وبارود المدافع ودورة الدم والكهرباء الجلوانية والبوصلة وآلة الطباعة ومانعة الصواعق والطيارات والتلقيح والعلاجات المقطرة الخ الخ . أما مايقوله لنا العقل فهو أنه لايوجد خطأ محض الا في الامرين المتناقضين ولاحق محض الا فيما هو بديهى ، وعلى ذلك يمكن الانسان أن يقول انه من المستحيل أن يرى مثلثا بغير ثلاثة أضلاع لأ ن ذلك تناقض ولكنه لايستطيع أن يقول يستحيل أن رجلا يمكنه أن يقرأ من قفاه وأن آخر يسمع من فم معدته (كما يقول علماء الأرواح) وثالثا يرى عن بعد مائة الف فرسخ ، ورابعا ينبىء عن الغيب كما يقولون ، وخامسا لايشعر بالالم ، وسادسا يشخص داءه وادواء سواه ، وسابعا يلهم بوصف العلاجات «لا» لايستطيع أحد أن يقول بدون أن يحط من كرامة العقل بان هذه الحوادث بديهية الاستحالة لأنه ليس لأحد الحق ولا القدرة على أن يقول للممكن «انك لن تصل الى هذا المدى» وفي الواقع ان هذه الظواهر الخارقة للعادة جدا ليست اكثر ادهاشا ولا عجبا ولا استقصاء على التعليل من الظواهر التى نشاهدها كل يوم ، أليس كل شىء في الطبيعة غامضا وعجيبا ، ولكن يوجد عجائب تجرى في الطرقات وأخرى قليلة الشيوع فيخيل للانسان أنه قد فهم الأولى دون الثانية لأنه لايراها الا نادرا ومع ذلك فهو لايستطيع أن يعلل هذه ولا تلك فهو يشاهدها و كفى .

(٩) يقول الماديون انهم لايؤمنون الا بالمحسوس ولا يقولون الا بالمشاهد فهل عرفوا أن الناس كانوا غير متدينين فلما خافوا من أفاعيل الطبيعة حرها وبردها وظلمتها ورعودها وعواصفها وسحبها وبرقها وامطارها اخترعوا ماوراء الطبيعة وقالوا بالقوة الغيبية واخترعوا الجن والشياطين والارواح الى غير ذلك ؟ فهل هذا هو شأن

الأمانة في العلم أو شرف الثبات على المبدأ ياحضرات المتبجحين ؟

(١٠) لابد من تكرار الفوائد في العبارات المختلفة والاساليب المتنوعة ثم لابد من مذاكرتك ذلك كله المرة بعد المرة حتى تنتفع به وتصل الى لبابه ويدخل في شغاف قلبك فان الانسان مجبول على الغفلة والنسيان وقلما يصل الى لب الحقائق فيما يقرؤه الااذا عاوده مرارا كثيرة وقلما ينتفع به الااذا امتزج بنفسه وكاد يكون علما حضوريا لديه ، ولذلك تكرر القصص والامثال كثيرا في القرآن لتلك الحكمة وقد كتبنا في موضوعات كثيرة ثم كنا نراها غريبة لدينا عند ماتقرأ علينا بعدردح من الزمان وسبب ذلك الغفلة والنسيان وهما غريزتان في نوع الانسان.

(١١) نريد من الطبيعيين أن يقولوا فيما وصلوا اليه من القطعيات انه قطعى وفيما هو في محل البحث والافتراض انه فرضى وفيما جهلوه رأسا انهم جاهلون به لم يصلوا الى حقيقته ولا سره؟ وبهذا يكونون قد أخلصوا للعلم ولأنفسهم وللناس جميعا.

(١٢) انهم يقولون ان المادة قوة أو هى راجعة في آخر أمرها اليها وقد رجعوا عن الرأى القديم فيها أفلا يرى القارىء الكريم أنهم قالوا بالمجردات من حيث لايشعرون ؟ بل زادوا علينا بان كل شىء من الماديات هو في حقيقة أمره قوة تقمصت هذه الصور وتلك الأشكال فما فرارهم بعد ذلك من القول بما وراء المادة، وقد اكثروا الدوران ثم رجعوا اليه .

(١٣) العلم ومباحثه البرهانية لايصبر عليه الا من ارتاض بضاعة المنطق والبرهان ، ومن النفوس نفوس هينة رقيقة لايمكنها الصبر على ذلك فلا يغذيها أو لايدخل جوفها ولا يروق عينها الا الروايات والفكاهات ، فليت شعرى من أى قبيل أنت وبماذا كنت تشتغل في سالف أوقاتك وأيام تربيتك الأولى ! ! !

(١٤) من ضعف الانسان أن الشبهات التافهة تنحرف به عن الصواب ومتى انحرف عن الحق ولو قيد شعرة وقع في الباطل وقد تكون هناك فروق دقيقة يضل في ثناياها كثير من الناظرين ولا يهتدى اليها الا الراسخون المبرزون .

(١٥) ان المقلدين كثيرا ما يحمّلون مذاهب متبوعيهم مالم يقولوا به لافرق بين أهل الدين وغيرهم وهذا « بخنر وشبل شميل » ينسبان المادية والدهرية وانكار الألوهية لمذهب «دارون» استنباطا واجتهادا والمذهب برىء من ذلك «ودارون» نفسه معترف بالألوهية، لان المذهب مقصور على البحث في نشوء بعض العضويات من بعض بعيد عن البحث في الأصل الذى تستمد منه حياتها ووجودها .

(١٦) الماديون فروا من تأليه الاله الحكيم الذى «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» الى تأليه المادة التى لاتسمع ولا تبصر ولا تغنى عنهم شيئا ، وهم يعيبون المتدينين بالجمود ولو انصفوا لعرفوا أنهم هم الجامدون المتحجرون الذين خلعت عليهم المادة كسافتها وجمودها .

(١٧) اننا في عصر ثورة فكرية وانقلابات خطيرة وفي الثورات يختلط الحابل بالنابل والحق بالباطل ويرتفع الجاهل فوق العالم والخامل فوق النابه والصغير فوق الكبير والحقير فوق الخطير ، ولا يكاد يسلم من ذلك الا شذاذ من الناس كانوا من الرفعة وكبر النفوس بحيث لاتؤثر فيهم تلك الضوضاء ولاتطغى عليهم هاتيك الغوغاء فهذه ظاهرة تلزم كل انقلاب والفوز المؤقت في الانقلابات للأصاغر لا للأكابر وللجاهل لا للفاضل وللخامل الذى ليس له من وسائل الظهور الا تلك الوسيلة الشاذة، ولا من الفرص والظروف الا تلك الفرصة التى قلما تسنح له وذلك الظرف الذى لايحسن العمل في غيره (ولكن الباطل كان زهوقا)

(١٨) تأثير الشهوات يغطى العقل فان الانسان متى كان متأثرا كان مقهورا مغلوبا تحت سلطان المؤثر فيه لانه اذ ذاك منفعل لافاعل .

ولنقتصر اليوم على هذا حرصا على نشاطك واستجماما لنفسك فلعل ذلك أشهى اليك وأسهل عليك .

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء بالأزهر

أصول الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الاسلام دين الفطرة

محاسن الاخلاق فى الشريعة الاسلامية

قال صلى الله عليه وسلم (انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق)

قدمنا فى المقالات السابقة شرح محاسن الشريعة الاسلامية فى عقائدها وفى عباداتها ومعاملاتها ، ولا يستطيع امرؤ منا مهما أوتى من المقدرة الكلامية وغزارة العلم أن يزعم انه استقصى مافى الشريعة الغراء من مصالح وحكم ، وانما هى المامات تجتنى بها ثمرات يلتقطها المتبصر المتأمل فى رياض هذا الدين الحنيف بقدر ماتسمح به قوة بصيرته ولو أنه أعاد النظر فيه لظفر باضعاف ماتجلى له فما أجدره بقول القائل

يزيدك وجهه حسنـا   إذا ما زدته نظرا

بل مامن باب من أبوابه المتمددة إلا وهو أهل لأن يستخلص منه من مصالح البشر مالا يقف به الحصر ، وحسبك أنه النور الالهى والرحمة المهداة من رب العالمين لارشاد العباد الى مافيه سعادة الدنيا والآخرة .

ومقالنا اليوم نجتلى به شيئا من محاسنها فى باب الاخلاق التى بثت فى ثناياها والتى بعث صلى الله عليه وسلم لتتميم مكارمها ، ونبين فيه أسلوبها الحكيم فى غرس الاخلاق التى تدعو اليها فى النفوس وتمكينها منها وتربيتها على الاخذبها .

ولا بأس أن نمهد لذلك بذكر مقدمة وجيزة قررها علماء الاخلاق يقرب بها حصر الاخلاق المتكاثرة فى أنواع مضبوطة ليسهل النظر فى كل نوع وكيفية تربية النفوس عليه فى أسلوب الشرع الحكيم .

ذكر الباحثون فى الاخلاق أن أصولهـا ترجع الى ثلاث صفات ،الحكمة ، والعفة،

والشجاعة ، وعللوا ذلك بأن النفس الانسانية أوتيت ثلاث قوى ، وهي قوة التمييز ، وقوة جلب النافع ، وقوة دفع الضار ، وبعبارة اخرى العلم ، والشهوة ، والغضب، وكل واحدة منها عرضة للضعف والنقص وللافراط ومجاوزة الحد وقابلة للتوسط والاعتدال ، ولا تكون واحدة منها فضيلة الا إذا لزمت حد الاعتدال فلم يعترها النقص والضعف والتفريط ولم تجاوز الحد الى جانب الزيادة والافراط ، فمتى لزمت حد الاعتدال كانت حميدة الأثر جميلة العقبى، وقد جعلوا لها اسماء بحسب حالاتها فسموا قوة التمييز عند اعتدالها حكمة ، واذا ضعفت وقصرت كانت غباوة وجهالة ، وان جاوزت حد الاعتدال كانت خبثا ومكرا وجربزة ، وسموا قوة الشهوة عند اعتدالها عفة فان قصرت وضعفت كانت جمودا وبلادة فان جاوزت الحد كانت شرها ، وكذلك قوة الغضب تعتدل فتكون الشجاعة فان نقصت كانت جبنا واذا زادت كانت تهورا .

والفضيلة في كل واحدة هو الاعتدال والتوسط حتى سموا حالة اجتماع تلك الفضائل الثلاث بالعدالة ، وما أحسن قول بعضهم

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

والى هذا المعنى يشير قوله عليه الصلاة والسلام « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » وقوله عليه الصلاة والسلام « قم ونم وصم وافطر فان لبدنك عليك حقا وان لزوجك عليك حقا »

هذا : وليس من غرضنا الآن أن نتوغل في ابحاثهم وخلافهم في أن كل قوة من الثلاث اذا زادت كانت رذيلة أو أن هذا في غير قوة التمييز ، وأما هي فمهما زادت فهي فضيلة ، ولا أن نتعرض الى رد فروع الاخلاق الكثيرة الى هذه الأصول الثلاثة ، فكل من هذين المبحثين وما على شاكلتهما يهم الناظر فيها نظرا استقصائيا فلسفيا ، ونحن إنما نريد تقريب الضبط تمهيدا لشرح أسلوب الشريعة في تربية النفس على الأخلاق وترغيبها فيها ترغيباً مثمراً .

فلنضرب لك أمثلة لما جرت عليه الشريعة الغراء في كل باب من الابواب الثلاثة تتعرف بها هذا الأسلوب البديع الحكيم وانطباقه على ما يليق بالفطر المعتدلة السليمة

(١) تربية القوى العلمية

يقول الله تبارك وتعالى فى تربية قوة التمييز والعلم ومنعها أن تتخطى حدودها وتتجاوز فى احكامها ما قامت عليه الأمارات الصحيحة « وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً » فتأمل فى هذه الآية الكريمة كيف تربى فى النفس قوة التفكير وتضبط العقل عن أن يجرى وراء الاوهام بعبارة تشعر بالاشفاق على من يسمعها والرأفة به كيلا يضيع جهده عبثا ، فنهته عن أن يقفو أى يتبع ويسترسل وراء أمر لم يتبينه حق التبين ولم يحط به علما حتى لا يذهب سعيه سدى ولا يضيع تعبه عبثا ، فلا هو بالذى وصل الى ما يريد ولا هو بالذى وفر على نفسه راحتها وكسب لها هدوءها وفى ذلك الرأفة كل الرأفة ، ثم يردف ذلك بتوجيه عقله الى ما أهدى له من مصابيح الهدى والاسترشاد ووسائل العلم الصحيح التى سخرت له ليحسن استعمالها فيقول (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً » فقد أشارت الى أهم أسباب العلم التى هى الحواس السليمة والخبر الصادق والعقل وجعل كل واحد منها مناط السؤال . حثاً على حسن الاستعمال وارشادا الى حق الاعتدال وقطعاً للتعلل بالمحال وزائف الاقوال ، فبالسمع تستفيد ما عند غيرك من معلومات اكتسبها وبالبصر تدرك ما يحيط بك من عوالم متفرقة وبالفؤاد والعقل تميز الغث من الثمين والحق من الباطل وتفرق بين النافع والضار وبه تكون ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وتجيد الاستنباط وتصحح الاحكام فيما يناله بصرك ويدركه حسك .

أفلا ترى فى هذا ارشادا كاملا لما ينبغى اتباعه فى التفكير من ضبط النفس عن التخبط فى الأحكام وبيان أن فى ذلك مصلحتها ، فهذا من كف النفس ومنعها من أن تتطوح فى حكمها وتقفز فى استنباطها على غير هدى وبينة وعلى هذا النسق أمثال قوله تعالى (إن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْأً) وأما ما فيه الحث على التفكر والنظر فأكثر من أن يحصر ، فقد أمر بالنظر وحث على التفكر والتبصر ونعى على من عطل موهبة العقل وخلد الى التقليد فى أعظم الأمور وأخطرها ، وكم ترى فى

القرآن العزيز من آيات فى هذا الباب (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا) (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا) (قُلْ سِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانْظُرُوا) ومن النعى على المقلدين أمثال قوله جل شأنه (قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءابَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ) وأما ما فيه الارشاد الى آداب المناظرة مع الغير للوصول الى نتيجة حقة يتفق عليها الطرفان فكثير أيضا مثل قوله تعالى (ادْعُ إِلَىَ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ) (وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ) (وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ) وتأمل فى قوله جل شأنه (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلاَ تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)

فقد بدأت الآية الكريمة يبسط المقالة الحسنى ، وهى تعتبر فى البحث كالدعوى وجعلت عمادها الدعوة الى الله تعالى لتمجيده وعبادته إذ كان هو الخالق البارئ المصور ، وهو المهيمن على عباده والمسيطر وهو واهب القوى والقدر ، وهو المنعم الذى ترجى نعمته والمنتقم الذى تخشى سطوته فمن أحسن قولا ممن يدعو الى سبيل هدايته والطريق المقربة اليه والزلفى لديه، ثم قرنها بالعمل الصالح الذى يفرق بين الصدق فى الدعوة والمواربة فيها والمراءاة ، فان العمل على وفاق الدعوة دليل على صدورها عن قلبه وعقيدته لا عن مداهنة ونفاق ، ثم أردفها بما يزيدها تقريراً وشرحاً وذلك قوله (إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ) أى ممن أسلم وجهه وذاته وقواه لله وقال (إِنَّ صَلاَتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ) هذا هو قوله (إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ) لا مجرد أن يعد نفسه فى طائفة تسمى باسم المسلمين ، ولما كان مثل هذا المقام لا يكاد يسلم لصاحبه بدون أن تعترضه الفتن وتقوم فى وجهه العقبات والمعارضة كما قال جل شأنه (الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءامَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ) ذكر جل شأنه ما يجمل بصاحب هذه الدعوة النزيهة أن يتحلى به عند ما تعترضه العقبات فقارنت الآية بين الخطتين المتقابلتين الحسنة والسيئة ولفتت النفس

الى ما تعتقده فيهما بفطرتها وانهما لا تستويان لا فى ذاتهما فكفى أن هـذه حسنة وتلك سيئة ولا فى أثرهما فاحداهما مؤلفة والأخرى منفرة وواحدة منتجة للخير مبعدة عن الشرور والاخرى عقيمة فى الخير ولود للشر، فمها قلبت نظرك فيهما لا تجدهما متساويتين، بل كرر النظر تجـد أفرادهما لا تستوى فيهما فلكل درجات ودركات فمنهـا الحسن والاحسن والسيء والاسوأ وتفاوتها لا ينتهى فاثارها لا تتشابه ، واذ كنت أيها الداعى انما تدعو لاشرف مطلب وأعظم مقصد فما أحقك أن تقرنه باجمل خصلة تستند اليها فى دعايتك وتعينك على احراز مطلبك فادفع بالتى هى أحسن فستصادف نجاح السعى وتزيد ربحا بان تـكسب قلب عدوك فاذا به قد مال اليك وناصرك كأنه ولى حميم .

وما أجمل ما عقب به على هذه الجملة مما يحث على اعداد النفس لها والاحتراس عن الحياد عنها لتوافر العوامل المانعة لها شأن كل فضيلة كبرى فانها يقوم فى وجهها موانع على قدر خطرها كما قال القائل

لولا المشقة ساد الناس كلهم   الجود يفقر والاقدام قتال

فقال جل شأنه (وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)فبين أنه ليس حسن الأثر وحده ولا تفاوت الصفات معه كافيا فى اتصاف النفوس بها بسهولة بل لا بد أن تروض نفسك على احتمال ما تكره وتضبط نفسك عند مقابلة ما يهيجك فوطنها على الصبر واضبطها عن الزلل فهذه منزلة جهاد عظمى لا يظفر بها الا الذين صبروا وأصبح الصبر ديدنهم وعادتهم وكانوا بذلك من ذوى الحظ العظيم فى باب الفضائل .

فهل ترى مع هذا الايجاز البديع أحكم وأوفى من هذا الاسلوب فى الارشاد والى ما يجب أن يكون عليه الداعى الى ربه المرشد أخاه الى سبيل سعادته المتجمل بالرأفة على بنى جنسه المقتنع بالحق والصواب ويريد أن يغرسه فى نفس أخيه ؟ هذا أسلوب لا يستطيعه البشر ولا يقدر عليه الا واهب القوى والقدر ، اللهم لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك .

ولعله مما ينخرط فى هذا النظام بوجه ما ويعتبر كالمربى لقوة التفكير ما يجىء فى بعض آيات الاحكام من استيفاء فضائل الشيء ومعايبه ثم الموازنة بينهما لاستخلاص حكم

بنى على الاستيفاء واستقصاء النظر مثل قوله تعالى فى طريق النهى عن الخمر والميسر (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا) لا اقول ان الاية الكريمة واردة فى تربية القوة الفكرية ، وانما تقول انها فى طريق اثبات ضررها للنهى عنها قد المت بما فيها من محاسن ومقابح فاستوفت كل مالها وما عليها ووازنت بينهما فجاء الحكم نتيجة استقصاء فى البحث ، فلك أن تحتذى هذا الاسلوب فى تفكيرك فلا تنظر الى الشىء من ناحية واحدة بل استقص كل أحواله وقارن بينها ثم اصدر حكمك على بينة ، ألا تعتبر هذا مثالا تحتذيه وصنعا بديعا تقتفيه وان كانت الآية مسوقة لغيره ؟ فهى كالشمس تعطيك مع الضوء دفأ ومع بعث الحياة فى الكائنات ابتهاجاً والثمار دانية القطوف لمن يجتنى وافرة الفائدة لمن يستفيد .

(٢) تربية القوة الشهوية :

يقول جل من قائل فى تربية ملكة الاعتدال فى الرغائب وضبطها فى احراز مشتهياتها (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً) فقد حددت الآية قانون الاقتصاد فى غيرما سرف ولا تقتير ودعت اليه بما من شأنه أن يحل فى النفوس الرشيدة أمكن محل فصورت التقتير بابشع صورة اذ جعلته من باب غل اليد الى العنق وتقييدها به تقييدا يشل حركتها ويعطل منفعتها ويجعلها كلما حركتها الرغبة منعها القيد ، وناهيك باستبشاع جعل اليد مربوطة بالعنق وما فيه من المضايقة الكبرى ثم عادت للطرف الآخر وهو أن يبسطها كل البسط فتطيش حركتها وتمتد الى اتلاف مرتزقها وتضيع ثمرته ثم رتبت على ذلك النتيجة الملازمة وهى أن يقعد المرء ملوما متحسرا ولا يجد مشفقا ولا ناصرا فهو ملوم على حرمان نفسه مما رزقه الله ومكنه منه بالتقتير متحسر على تضييعه فى غير محله بالاسراف بل ملوم متحسر فى الحالتين فيلام على أن يرزقه الله الخير فيحرم نفسه من منفعته ويتحسر على فوات هذه المنفعة عليه وهو قادر عليها وكلاهما فى التقتير ويلام على الاسراف اذ كان تضييعا فيما لا ينبغى ويتحسر حين يرى نفسه قد أضاع تلك النعمة وها هو ذا قد احتاج اليها .

وان الغرس الصحيح لملكة الاخلاق هو ما يربى نباته باقناع النفوس بالآثار المترتبة وشرح نتائجها الملازمة ،

ويقول فى آية أخرى فيما يقصه علينا من نصح المهتدين الراشدين للغاوين الضالين (وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِى الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) وهى واردة فيما وجه الى قارون من قوم موسى ، فماذا تستطيع أن تنصح به من أحببت من أهل النعم ويكون أنجح أثرا وأكثر اعتدالا وانصافا مما اشتملت عليه هذه الآية ؟ فقد نبهته الى أن ما هو فيه من نعم انما هو أمر آتاه الله إياه لينتفع به فى الحياة ، وأعظم وجوه النفع هو أدومها وأبقاها وان ذلك هو ما فى الدار الآخرة دار الخلود والنعيم المقيم ، ثم أبانت الاعتدال فى ذلك بانه لا ينسى نصيبه من الدنيا مما أحله الله له بل اذا راعى فى انتفاعه به رضا ربه فقد كسب لآخرته نصيبه من الدنيا الذى مكنه الله منه بهذه النعمة فترى الآية تفيدك أمرين الأول ألا تنسى نصيبك من الدنيا ومتعها حسبما حدد الله لك وهذا معنى مغاير للاول ، والثانى ألا تنسى النصيب الاوفر الذى تستفيده من دنياك لآخرتك وهذا كتثبيت للوصية الأولى وأنه لا ينبغى لك أن تضيع على نفسك أن تستفيد الفائدة الصحيحة من دنياك التى وهبت لك ، والنتيجتان صحيحتان عظيمتان يجب أن تحرص عليهما النفوس الرشيدة ، ثم قال (وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) تذكيرا له بان مقابلة الاحسان بالاحسان هو مايجدر بالانسان الكامل ، وهل يخفى على أحد قيمة النفس التى تقابل الاحسان بالإساءة ؟ ثم صورت مخالفة هذه الطريقة المثلى بانها فساد فى الأرض ، أجل : فهى فساد كبير فان النفوس مجبولة على المنافسة فحين يرى الفقير ما فيه الغنى من حظ كبير ينفس عليه ولا شك ولا يطفئ غله الا أن يراه قد تجمل بالاحسان والعطف والمواساة فاما اذا رآه قد منع خيره وحرمه نصيبه الذى جعله الله له فى ماله فان نفسه تتحرك غيظا وغضبا فتتلمس الفرص للنكاية والتنكيل متى قدرت ، ويشعر الغنى بهذه السورة النفسية فيقابلها بمثلها ويتسامى الشر بينهما حتى ينمو ويعظم فيصبح بعضها حربا على بعض وحينئذ يعم الفساد فى الأرض والله لا يحب المفسدين ، وما الذى يوقف توالد

هذه المكروبات الفتاكة بالاخلاق ويقضى على جراثيم الشر حتى لا تودى بالنفوس؟ لا شيء سوى أن يقتصد الغنى فى أمره فيبتغى الآخرة فى نعمة الله عليه ويقابل احسانه اليه باحسانه الى خلقه فتحسم مادة الفساد وتأتلف نفوس العباد

ويقول جل شأنه فى مخاطبة الفقير الذى لم يجد ما يربى فيه القناعة والعفة بابلغ معانيها «وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ» فقد بدأت بالنهى عن مد العينين الى ما وهب للغير فكيف بتعليق القلوب به، وعبرت عنه بانه تمتيع وفيه اشارة الى أنه محدود المدة وذكرت أنه لازواج وأصناف منهم ليس شاملا لجميع الناس ماعداك فقد ترى من شاركك فى الحرمان منه أكثر عدداً ممن شاركهم فى التمتع به وكفى بالكثرة أسوة، ثم عبرت عنه بانه زهرة وما اسرع ذبولها وأنه لهذه الحياة الدنيا والاخرة خير وأبقى وأنه امتحان وفتنة لا مجرد احسان وحظوة فمن يدرى حالهم بعد ذلك فربما كان منهم من قامت عليه الحجة وأهمل شكر النعمة فانقلبت عليه نقمة وربما كان منهم من نجح فى امتحانه وسلم من فتنته فكان بذلك سعيداً حقاً، فالسعادة الحقيقية هى فى ادراك النعيم المقيم وهو لا يخص الغنى ولا الفقير فكل يستطيع احرازه بالتقوى وهو الجدير بان يقصد ورزق ربك خير وأبقى وهو ما تحرزه فى الآخرة من عظيم الثواب، بل اذا رجعت الى ما وهبك فى الدنيا من نعمة الصحة والعافية والطمأنينة وهدوء النفس لوجدت نفسك ممتعاً بحظ من هذه قد يحرم منه من تحسده، بل من رزقك أن يربيك ويكمل وجودك ويهذب نفسك حتى تسعد فى دنياك وآخرتك. فاذا كان الخطاب لحضرة المصطفى عليه الصلاة والسلام فناهيك بهذا الخير العظيم والرزق الجسيم والفضل العميم وهو رزق النبوة والاصطفاء فكلما قلبت النظر فى الآية تجلى لك من نورها ما فيه تبصرة تملأ نفسك ايمانا واقتناعا وهذه هى طريقة التربية الحقة، ولنسق لك نسقا اخر فى تربية هذه القوة على الاصول الصحية، يقول تعالى فى ارشاد العباد الى كيفية تحصيل أرزاقهم (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) فانظر الى هذا القانون العظيم والارشاد الالهى الحكيم فماذا ترى؟ لا تتعجل

فى الفهم فتحسب أن الآية بسبيل كف النفس عن الطلب والدأب وانها لقمع النزعات واضعاف الهمم وتربية الرضا بالدون والقعود عن السعى والعمل ، لا لا ، ما كانت الآية لشيء من هذا وانما هى مفيدة لتربية الهمة و بث روح العزيمة والنهى عن التعلق بالامانى والآمال والقعود عن جلائل الأعمال، أى لا يكن شأنكم التمنى لما فضل الله به بعضكم على بعض بل جدوا واعملوا تستفيدوا وتكسبوا فلكل من الرجال والنساء نصيب مما جدفيه واكتسب لا فرق بين رجل وامرأة فجدوا واكتسبوا تحرزوا ما تريدون فمن جد وجد ومن زرع حصد ولن يضيع على عامل عمله ولايستوى القاعدون والعاملون ومن يرد حرث الدنيا أوتى منها ومن يرد حرث الآخرة أوتى منها والله لايضيع أجر من أحسن عملا ، لافرق بين عمل الدنيا وعمل الآخرة فلكل عمل ثمرته وأثره ، ولكن مع هذا لا ينبغى أن تجعلوا عملكم هو كل شيء حتى تنسوا من بيده مقاليد كل شيء ، بل يجب أن ترجعوا الى الفاعل الأكبر ومن بيده الخير كله ومن لوشاء لجعل ما تحرثونه حطاما وركاما ولو شاء لجعله يانعاً مثمرا ، فاسألوا الله من فضله أن يبارك لكم عملكم ويمنع الجوائح عنكم ويوفقكم الى طرق النجاح فى مقصدكم ان الله كان بكل شيء عليما ، فهو أعلم بمن يستحق المعونة ممن يستحق الخذلان فليكن اللجأ اليه فيما لاتعلمونه ولا تقدرون عليه وما أعظم نفع هذا القانون فى التربية قانون تقبيح الامانى مع القعود عن الاعمال ، فللامانى عند القاعدين مضار كثيرة منها ضعف الهمة وقوة البغضاء والحقد وتنقيص النعمة وتغذية التحاسد وجفوة القلوب بين الناس ، واما الحث على العمل والترغيب فيه فهو مدار العمران ويرقى بنفس المرء الى منزلة العزة والاباء والشرف ويرقى بمصالح الناس الى الاتقان والكمال فيتنافس العالم تنافسا مثمرا ويسعد الجميع بعمل الجميع والله ولى التوفيق فى كل شؤنهم.

على هذا الأسلوب الحكيم تسير التربية فى القرآن الكريم والشرع الحكيم .

(٣) تربية القوة الغضبية

يقول جل شأنه فى تهذيب قوة الغضب المودعة فى النفس وتربيتها على أعدل مثال حتى تكون فضيلة (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى

الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) فانظر الى هذا الاسلوب الحكيم كيف هذب هذه القوة وضبطها على ما يوافق فطر النفوس وصالح المجتمع ، فانه لم يمنع المقاصة بتاتا ولم يسلك فيها مسلك التعطيل لها مع تشرب النفوس لها وتشبعها باحقيتها ، فلم يجر على سنن ما اشتهر عند بعض الناس أنه المثل الأعلى فى العفو والصفح وهو كلمة « من ضربك على خدك الايمن فأدر له خدك الايسر » فانك ترى فى تعطيل المجازاة كلية قهرا للنفوس المتعدى عليها وحرمانا لها مما تراه حقا لازما لها ، فاذا امتثلت النفوس ذلك فانها لا تخلو من التململ ، ثم لا يكون هناك ما يجتث جرثومة التعديات وأما هذا الأسلوب فقد أقر المجازاة التى فطرت النفوس على التطلع لها ولكن رغب فى الصفح والعفو بدرجة كبيرة ، فقد سمت الجزاء سيئة ليشاكل أصل العدوان حيث كان كل منهما فيه الايذاء والايلام ووصفه بانه مثل التعدى يتضمن المنع من الزيادة ويشير الى أنه حقه أن يبتعد عنه اذ كان مشاكلا للتعدى فى الاضرار والايلام وهوما ينبغى أن تكف عنه النفوس الكريمة تفضلا منها لا قهرا وقسرا ، ثم صرح بالترغيب فى العفو بقوله فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، وذكر الاصلاح بعد العفو كذكر الثمرة بعد الغرس وتعظيم الأجر بانه على الله تعظيم لا مزيد عليه ، ثم عاد الى المعنى يقرره بوجه آخر ليبرره فى نظر النفوس الكريمة تبريرا ما وكأنه يشير الى أن النفس من شأنها اذا لم تكن متهيجة بالغضب أن تنفر منه فعبر عنه بانه انتصار بعد الظلم فلماذا نستقبحه ونوجه اليه طريق المؤاخذة ؟ انما حق المؤاخذة أن توجه الى من ظلم الناس وبغى عليهم بغير حق فبث روح الفساد فى الأرض هذا هو الذى تحق عليه المؤاخذة ، وأما هذا فلا مؤاخذة عليه فتجده حتى فى مقام تبريره قد وضعه موضع ما حقه النفرة والاعتراض وغاية أمره أن يلتمس له من الاعذار ما يجعله مقبولا ، ولكن هل بذلك يصير فضيلة يرغب فيها ؟ كلا بل الفضيلة كل الفضيلة فى الصبر والمغفرة والصفح والتفضل فذلك هو الذى ينبغى أن ترغب فيه النفوس وتوجه اليه العزيمة شأن الفضائل كلها ، فقال (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) فالتعبير عنه بالصبر وأنه مغفرة وجعله من عزم الأمور العظيمة ذات الخطر

التى ينبغى أن يوجه اليها القصد وتحفز لها العزائم ثم أكد ذلك بالقسم وغيره من المؤكدات فى قوله ولمن صبر وغفر الى آخر الآية ، فهل بعد هذا من تهذيب وصدق فى الدعوة الى الفضيلة وضمان لنجاح الداعى فيما يدعو اليه ؟ انك قد تحاول اطفاء سورة هائجة فتبدأ باعطاء صاحبها الحق فى أن يغضب وتريه أنه لو تمسك بالانتقام لم يكن عليه ملام ، ولكن الافضل أن ينزل من تلقاء نفسه عن هذا الحق فضلا وتكرما فتجد نفسك قد ملكت عليه زمامه وصار أقرب لطاعتك مما لو بدأته بسلبه الحق فى الغضب وأنه يجب عليه أن يقلع ثم لا يخفى مايترتب على هذا التفضل من ائتلاف القلوب المتنافرة واجتذاب النفوس المتعادية وبذلك يبدو لك حسن موقع قوله واصلح بعد قوله عفا فأين هذا من قهر النفوس على ترك المقاصة بتاتا ؟ وماذا يردع النفوس عن غيها اذاً ؟ وكيف يكون العفو مجلبة للالفة ؟ وهو لم يفعله مختارا وانما فعله قسرا ، ثم قارن مرة أخرى بين هذا التشريع الحكيم وبين ايجاب المقاصة وعدم السماح لذى الحق أن ينزل عن حقه فأيهما أوفق بمصلحة المجتمع وربط القلوب .

أما بعد . فهذا خير ماتساس به الأفراد والجماعات ويهذب النفوس ويصلح حال الأمم وهو مايثبت قواعد العمران ويقيم صرح العدالة ويربط الأمة بعضها ببعض حتى تكون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى وعلى هذا النسق قوله تعالى (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ واتَّقُوا اللهَ واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) فقد سمى المجازاة اعتداء مشاكلة للبدء بالتعدى اشعارا بأنه على شاكلته فى الايذاء وقيده بالمثلية كما فى الآية السابقة وأردفه بالأمر بالتقوى حتى لايتجاوز حده ووعد المتقين بأن الله معهم يؤيدهم وينصرهم ويثيبهم على ما اتقوا ، وكذا قوله تعالى (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) فقوله ان عاقبتم بمثابة قولك لمن تخاطبه ان كان لا بد أن تفعل فليكن كيت وكيت تلمح له بأن الأولى به خلاف هذا ، وقوله

(وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) مرغبة فى العفو مزيد ترغيب بتسميته صبرا وهو فضيله وتعقيب الخير عليه بل جعله خيرا وتأكيد ذلك بالقسم الضمنى ، ثم أردف ذلك بالأمر بالصبر وبيان أنه يستعان عليه بالله وأن التوفيق له منه جل شأنه ثم نهى عن الحزن والأسف على ماصنع من خير وجميل بل نهى عن أن يضيق صدره به وضيق الصدر منزله أقل من الحزن — وقوله بعد ذلك (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) فيه من التشويق مالا يخفى .

وهكذا تجد فى هذا الباب من المرغبات العجب العجاب وخلاصته اعطاء الحق لمن تمسك به وذلك جبر له على ما وصل اليه من الاذى وتخويف لمن يريد التعدى أن يلحقه مثل ما صنع وعون على الصفح لأن النفس تسمح بعد أن تملك وهى مرتاحة بخلاف قهرها عليه فانه يبقى فيها حسرة ثم بيان ما فيه من خير للمظلوم بأنه صاحب فضل وللظالم ان كان حرا بأن يقلع عن ظلمه حياء كما يقول القائل

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ... ومن لك بالحر الذى يحفظ اليدا

وللمجتمع بربط القلوب وتأليف النفوس وتمكين الوحدة بين أفراد الأمة وشيوع الفضل فيها مع عدم الاخلال بقواعد العدالة بينها ، هذا هو هدى الله فأرونى ماذا صنع المحاولون اطفاء نوره

رب ان الهدى هداك وآيا ... تك نور تهدى بها من تشاء

نذكر هذه الآيات تمثيلا لأسلوب القرآن الكريم فى تربية الاخلاق وغرسها فى النفوس واما استقصاء الفضائل الواردة فيه وفى السنة فغاية بعيدة المنال فقد بث فيهما نصا وأشارة مالا يدخل تحت الحصر وقد صدق صلى الله عليه وسلم فى قوله (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتى)

فاتل مثلا فى سورة الاسراء قوله تعالى (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) الى قوله (وَلَا تَمْشِ فِى الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا) وفى سورة لقمان قوله جل شأنه

(وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) إلى قوله (واقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) وغيرها فانك ان تلوت ذلك حق التلاوة وتأملت فى نظمه ستظفر بما لا مزيد عليه نسأل الله أن يعيننا على اجتلاء أنوارها والاهتداء بضوئها ومن يهد الله فماله من مضل ومن يضلل الله فما له من هاد فاللهم إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين ؟

ابراهيم الجبالى

مدرس بقسم التخصص للازهر الشريف

موجز تاريخ مصر والاسلام

سبق فى الجزء الخامس من هذه المجلة أن قرظنا هذا الكتاب القيم الذى هو تأليف حضرتي الاستاذين الفاضلين الشيخ محمود أبى العيون مفتش العلوم الدينية والعربية ومحمد الحسيني رخا افندى مفتش التربية والآداب بالمعاهد الدينية ، وأعلمنا بصدور الجزءين : الأول والثانى منه ؛ وقد ظهر الآن الجزء الرابع من هذا الكتاب وأجل صدور الجزء الثالث إلى الصيف المقبل ، صدر هذا الجزء كسابقيه جيد العبارة متقن الطبع حسن الترتيب مسهبا فى تاريخ مصر الحديث من أول الحملة الفرنسوية الى عهد حضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم أحمد فؤاد الأول وفى وصف ارتقائها ونهضتها فى عهده السعيد ادام الله ملكه

يطلب هذا الجزء من حضرات مؤلفيه وثمنه ٦ قروش ماعدا أجرة البريد ، فنرجو له الرواج والاقبال .

أصول الفقه

الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان

مراعاة العرف

للعادات أثر كبير فى شرع النظم والقوانين ، فلا غنى للمشرع عن مراعاتها قليلا أو كثيراً ، ولها قسط وافر من عناية واضعى القوانين فى القديم والحديث ، فأساس القانون الرومانى عادات كانت تجرى فى مدينة رومة ، وأساس القانون الانكليزى عادات السكسون والنورمان الذين فتحوا بلاد انكلترة .

وكذلك الشريعة الاسلامية لم تقطع النظر عن العرف ، وجعلت رعايته أصلا من أصولها العامة على شروط نذكرها فيما بعد ، ومن القواعد التى تدور عليها أحكامها السمحة « العادة محكمة »

والعرف والعادة ما يغلب على الناس من قول أو فعل أو ترك

ومثال العرف القولى من باب الوقف قول الفقهاء فى حبس يقول صاحبه « هو حبس على ولدى » انه يدخل فيه البنات إذا كان لفظ الولد يطلق على الذكر والأنثى فى عرف بلد الواقف أو لم يكن هناك عرف ، أما إذا كان عرفهم اطلاقه على الذكر فقط فانه يختص بالذكور ولا يدخل فيه الاناث وان كان معنى الولد لغة يعم الصنفين

ويراعى العرف القولى وإن لم يوافق لغة العرب أو ماجاء فى لسان الشارع ، وعلى هذا ينبنى قول بعض أهل العلم فيمن حلف لا يأكل لحما فأكل سمكا : إنه لايحنث حيث إن السمك لا يسمى فى العرف لحما وإن سمى به فى قوله تعالى (وَمِنْ كُلٍّ تأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيا) كما أن من حلف لا يجلس على بساط لا يحنث بجلوسه على الأرض لأنها لا تسمى فى العرف بساطا وإن كان لفظ البساط يتناولها بمقتضى معناه فى لسان العرب كما قال تعالى (وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا)

يعتد بالعرف القولى متى كان عاما لبلد أو قوم ، وتحمل عليه ألفاظ المتكلمين من أهل تلك البلد باطلاق سواء فى ذلك العقود والالتزامات والايمان والنذور ، أما إذا كان العرف القولى خاصا بالمتكلم دون قومه أو أهل بلده حمل لفظه عند المالكية على عرفه الخاص فى الايمان والنذور والطلاق ، أما العقود فانما يرجع فيها الى العرف العام أوالوضع اللغوى إن لم يكن هناك عرف عام .

ومثال العرف الفعلى : الزوجان يختلفان فى المهر بعد البناء فيدعى الزوج أنه دفعه لها ، وتنكر الزوجة ذلك ، فقد قال الامام مالك : إن القول للزوج لأن العرف بالمدينة كان جاريا بدفع المهر قبل الدخول ، وتطرد هذه الفتوى فى كل بلد تجرى فيه العادة بدفع المهر قبل البناء ، ومن هذا القبيل مسألة الحيازة عند المالكية ، فمن حاز عقارا عشر سنين ثم قام شخص يدعى استحقاق ذلك العقار ، ولم يقم عذرا عن سكوته تلك المدة ، بنحو غيبته عن البلد ، أو عدم علمه بحيازة المدعى عليه للعقار ، فانه لا ينتفع بالبينة التى تثبت له أصل الملك ، ذلك لأن العرف جار على أن الرجل لا يشاهد غيره يتصرف فى ملكه هذه المدة الطويلة ويسكت عنه . وكذلك أفتى الامام المازرى فيما إذا جرت عادة قوم بقدر الصداق وعرفها المتعاقدان أن هذه العادة بمنزلة التسمية ويحكم بذلك القدر المتعارف ، ولا يكون النكاح من قبيل نكاح التفويض .

هذا هو الشأن فى العرف الفعلى العام لقوم أو أهل بلد ، أما العرف الفعلى الخاص بفرد فقد حكي شهاب الدين القرافى الاجماع على عدم الاعتداد به فلا تخصص به العمومات ولا تقيد به المطلقات ، وأنكر عليه بعض الفقهاء المالكية حكاية الاجماع وأوردوا مسائل فى المذهب تدل على التخصيص بالعوائد الفعلية وإن كانت خاصة ومما ساقه بعضهم مثالا لهذا الضرب من العرف مسألة الرجل يوكل آخر على شراء ثوب فيشترى له مالا يناسب عادته أو عادة خدمه ، فقد أفتوا بأن ما اشترى غير لازم للموكل بل هو لازم للوكيل

ومثال العرف الجارى بالترك تسامح الناس فى ثمر الغصن الخارج عن حدود البساتين ، فمن وجد شيئاً منه واقعا على الطريق مثلا — ساغ له الانتفاع به دون توقف

على الاذن الصريح من صاحبه لأن أصحاب البساتين يتسامحون فى مثله ولا يتعرضون لمن يلتقطه .

والعرف ثلاثة أقسام :

(أحدها) مايقوم الدليل الخاص على اعتباره كمراعاة الكفاءة فى النكاح ، (وثانيها) ما يقوم الدليل على نفيه كعادة الجاهلية فى التبرج وطوافهم بالبيت عراة ومناصرة الاخ وإن كان ظالما (ثالثها) ما لم يقم الدليل الخاص على اعتباره أو نفيه ، وهذا موضع نظر المجتهدين ، فيذهب كثير منهم الى مراعاته ويجعلونه اصلا من أصول الشريعة يبنون عليه فتاوى وأحكاما ، وأكثر ما تجد هذه الفتاوى فى كتب المالكية والحنفية والحنابلة

وصلة العادة بالشريعة على وجهين (احدهما) أن يغلب على الناس أمر فيقرره الشارع ويجعله حكما يقضى به عند الاختلاف ، ومثال هذا من الشريعة الغراء وضع الدية على العاقلة ومراعاة الكفاءة فى النكاح ، والتحقيق أن الشريعة العادلة لاتجعل نفس العادة قانوناً الا أن تكون العادة معقولة صالحة .

(ثانيهما) ان يغلب على الناس معنى فيراعيه فى تفصيل حكم الواقعة حتى إذا تبدلوا بذلك المعنى عرفا آخر كان على المفتى إعادة النظر فى الواقعة لتقرير حكم يراعى فيه العرف الطارىء ، وهكذا يتجدد النظر فى الواقعة ما تجددت العادات ، ومثال هـذا أن يجرى العرف فى بضاعة بدفع ثمنها نقداً ، فاذا اشترى أحد شيئا من هذه البضاعة ووقع فى حيازته ثم قام البائع يدعى أنه لم يقبض ثمنها وادعى المشترى أنه سلم له الثمن حسب العادة الجارية ، فاصل مراعاة العرف يقضى بأن يكون القول للمشترى مع اليمين متى عجز البائع عن اقامة البينة . فالحكم الذى بنى على العرف فى هذا المثال هو جعل القول للمشترى حيث صدقه العرف حتى يكذبه البائع ببينة .

ومن امثلته أن العادة جارية فى كثير من البلاد على أن الرجل يستودع زوجته المال فاذا سلم أحد الى آخر وديعة فوضعها عند زوجته فضاعت منه لايكون ضامنا لها نظراً الى هذا العرف ، وكأن صاحب المال لعامه بالعرف فى ايداع الرجل المال عند زوجته يعد

راضياً بايداع المال عند الزوجة ، وانما يضمن المودَع إذا تصرف فى الوديعة على وجه لا يرضى عنه صاحبها

هل يراعى العرف الفاسد ؟

اذا جرى عرف الناس ببعض العقود الفاسدة مثلا . فهل يراعى هذا العرف فى بناء الاحكام أو انما تبنى الاحكام على العرف الجارى على وجه صحيح ؟

ذهب كثير من فقهائنا الى عدم مراعاة العرف الفاسد ، وذهب آخرون الى مراعاته ومما ينبنى على هذا أن يجرى عرف قوم ببعض العقود الفاسدة شرعاً ، ويختلف المتعاملان فيدعى أحدهما أن العقد وقع على الوجه الفاسد ، يروم نقض البيع ، ويدعى الآخر أنه وقع على الوجه الصحيح فالقائلون بصحة مراعاة العرف الفاسد يرون العرف هنا شاهداً بصدق مدعى الفساد فينقض البيع الا أن يقيم الآخر البينة على أن المعاملة جرت على وجهها الصحيح ، قال عبد المنعم بن الفرس فى كتاب أحكام القرآن « واذا تنازعا فى بيع أو اجارة وادعى أحدهما الصحة والآخر الفساد ، وكان الفساد الذى ادعاه جاريا بين الناس فالمشهور أن القول قول مدعى الصحة ، ومن أصحاب مالك من يقول القول لمدعى الفساد وتفسخ المعاملة »

والقائلون بمراعاة العرف الفاسد ينظرون الى أن المعنى الذى اقتضى جعل القول لمدعى الصحة فيما إذا جرى العرف على الصحة حاصل فى العرف الفاسد وهو غلبة معنى على الناس يقتضى غلبة الظن بصدق من اقترن هذا المعنى بدعواه .

وبمراعاة العرف فى كثير من الاحكام صح أن تختلف أحكام بعض الوقائع باختلاف المكان والزمان لأن العادة قد تجرى فى موطن دون آخر وتطرأ فى عصر وتنقطع فى عصر ولا يعد اختلاف الاحكام باختلاف العادات اختلافا فى اصل خطاب الشارع ، بل معنى هذا الاختلاف أن العادات اذا اختلفت اقتضت كل عادة حكما يلائمها ، فالواقعة اذا صحبتها عادة ، اقتضت حكما غير الحكم الذى تقتضيه عند ما تقترن بغيرها من العادات ، فاذا جرت عادة قوم باستقباح كشف الرأس فى جماعة كان للقاضى أن يعزر من استحق التعزير الخفيف بكشف رأسه فى ملأ من الناس ، فعمل من استحق التعزير قد اقترن بعادة استقباح

كشف الرأس فكان التعزير بكشف الرأس مجزئا ، وإذا لم يكن كشف الرأس فى عادة قوم مستقبحا ، امتنع أن يكون طريقا كافياً للتعزير ، ولا بد للقاضى من اتخاذ طريق آخر يكون له وقع الألم فى نفس المستحق للتعزير ، فخطاب الشارع الذى تعلق بالواقعة المقتضية للتعزير حال صحبتها لعادة استقباح كشف الرأس غير الخطاب الذى يتعلق بواقعة مثلها تصاحب عادة عدم استقباح ذلك .

ولاختلاف الأحكام باختلاف العرف ترى فقهاء المذاهب لا يأخذون بفتاوى أئمتهم القائمة على رعاية العرف متى تحققوا أن العرف قد تغير وان الواقعة أصبحت تستحق حكماً آخر غير ما قرره الأئمة من قبل ، فلفقهاء المالكية كأبى عبد الله بن عتّاب والقاضى أبى بكر بن العربى وأبى الوليد بن رشد وأبى الأصبغ بن سهل والقاضى بن زَرِب فتاوى عدلوا فيها عن المشهور فى المذهب وبنوها على رعاية العرف وجرى باختيارهم عمل أهل القضاء والفتوى من بعدهم ، قال شهاب الدين القرافى فى قواعده ! إذا جاءك رجل من غير أهل اقليمك يستفتيك لا تجره على عرف بلدك والمقرر فى كتبك ، فهذا هو الحق الواضح ، والجمود على المنقولات أيةً كانت إضلال فى الدين وجهل بمقاصد المسلمين والسلف الماضين .

وكذلك ترى فقهاء الحنفية يخالفون ما نص عليه أبو حنيفة فى مسائل بناها على عرف كان جاريا فى زمنه ، وقالوا فى وجه هذه المخالفة : إن أبا حنيفة لو كان فى زمنهم لما وسعه الا أن يفتى بما أفتوا به ، ولم يعدوا التصرف فى الأحكام القائمة على العرف خروجا عن المذهب وانما هو الأخذ بأصل امامهم الذى يقتضى الرجوع الى العرف فى الاحكام.

يراعى العرف فى القضاء والفتوى وليس للفقيه أن يفتى أو يقضى بما جرى به العرف المخالف لأصل من أصول الشريعة الا أن تدعو الى ما جرى به العرف ضرورة فيكون الحكم مبنياً على مراعاة الضرورة ويدخل فى قبيل الرخصة التى يقررها الفقيه على سبيل الاجتهاد .

فشأن الفقيه أن ينظر فى المعاملات المخالفة لأصل من أصول الشريعة فان وجدها

ناشئة عن ضرورة كان له أن يستثنيها من أصـل المنع ويجعل الضرورة علة استثنائها من ذلك الأصل ، فان كانت ناشئة عن جهالة أو هوى غالب فما له الا أن يفتى بفسادها ويعلم الناس وجه المعاملة الصحيحة ، ولا يصح جـعل ما يجرى به العرف الفاسد أمرا مشروعا ويفتى بصحته دون أن تدعو اليه ضرورة يحسن العارف بمقاصد الشريعة تقديرها ، قال العلامة أبو عبد الله بن شعيب أحد علماء تونس فى القرن الثامن « وغلبة الفساد انما هى من اهمال حملة الشريعة ، ولو أنهم نقضوا عقود الفساد لم يستمر الناس على الفساد » وقال الاستاذ الشيخ ابراهيم الرياحى التونسى فى أحدى فتاويه « والعرف المعتبر هو ما يخصص العام ويقيد المطلق ، وأما عرف يبطل الواجب ويبيح الحرام فلا يقول به أحد من أهل الاسلام »

فاذا أفتى بعض الفقهاء بصحة عقد مخالف لأصل شرعى وظهر من عبارته أنه استند فى إفتائه الى جريان العرف بهذا العقد فاعلم أن العبارة لم تفرغ فى قالب التحقيق أو أنه لم يزن الفتوى بقسطاس الشرع المستقيم .

وقد يذكر بعض الفقهاء العرف فى سياق الاستدلال على جواز أمر ويريدون ما كان جاريا فى عهد النبوة أو بين أهل العلم ، وليس الدليل فى الحقيقة نفس العرف وانما هو أقرار النبي صلى الله عليه وسلم أو الاجماع الذى لا ينعقد الا عن دليل ، ومثال هذا أن الامام مالـكا خص قوله تعالى « وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ » بغـير ذوات الأقدار والشرف ، وقال لا يجب على الشريفة ارضاع ولدها لأن العادة جارية بذلك . ولا يريد الامام أن مجرد جريان العرف يسوغ هذا التخصص وانما أراد جريان العرف مع عدم انـكار أهل العلم من السلف فيرجع الى الاستدلال بالاجماع وقال بعض أهل العلم عدم ارضاع الشريفة لولدها عادة عربية واستمر الأمر فيها بعد الاسلام الى زمن مالك رضى الله عنه ، ومن هذا القبيل اكتفاؤهم فى صحة البيع بالمعاطاة مستندين الى العادة ، وقالوا : ان استمرار هذه العادة يشهد بصحة نقلها خلفاً عن سلف ويغلب على الظن أنها كانت جارية فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] . وقد نبه ابن السبكى على ما قلنا من أن العادة لا تخصص العام بنفسه

---

(١) البحر المحيط للزركشى

فقال فى جمع الجوامع « والأصح أن العادة بترك بعض الأمور تخصيص ان أقرها النبي صلى الله عليه وسلم أو الاجماع »

هذا أصل من الأصول التى يستند اليها المفتى أو القاضى فى تفصيل أحكام الحوادث فتجىء صالحة عادلة وبمثل هذا الأصل يعلم أن الشريعة الاسلامية ملائمة لكل زمان ومكان ، وليست كما يزعم خالى الذهن من تعاليمها أنها ضيقة المجال فلا تفى بأحكام الحوادث ، أو أنها قديمة العهد فلا تحفظ مصالح ما تجدد من الأزمان ؟

« يتبع » محمد الخضر حسين

مدارك المرام فى مسالك الصيام

تأليف الحافظ المحدث قطب الدين القسطلانى فى فضائل الصيام وثمراته وآدابه واحكامه والمفاضلة بينه وبين الصلاة . طبع بالمطبعة المصرية بالأزهر طبعا متقنا على ورق جيد وعنى بضبطه والتعليق عليه حضرة الاديب الفاضل الشيخ رضوان محمد رضوان فنشكره ونحث أهل العلم على اقتنائه

المعاهدات والمحالفات

مؤلف نفيس لحضرة الفاضل الأديب الشيخ حسن خطاب الوكيل جمع فيه مؤلفه المعاهدات والمحالفات على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اعتنى به واخرجه فى طبعة متقنة فنشكر حضرته على هذا العمل النافع . وهو يطلب من المطبعة المصرية بالأزهر .

الفتاوى والأحكام

خيالات الضريح المنسوب الى عبد الله بن سلام

ورد ادارة المجلة ما يأتى :

ما رأيكم فيما يظهر من الخيالات عند ما يطلب الولى أو النبى أو الصحابى فى حجرة مجاورة للضريح المنسوب الى الأمير عبد الله بن سلام الصحابى الجليل بكفر الأمير من أعمال مركز السنبلاوين؟ وهذه الظاهرة خاصة بيوم الجمعة وكان يظن البعض ان هذا ناشىء من مرور بعض الأشخاص خارج الحجرة فى الشمس ولكن سرعان ما ذهب هذا الرأى فى عداد الأوهام اذ اتخذت الاحتياطات خارج الحجرة فكان الأمر كذلك واستمرت تلبية الأولياء للطالبين .

فما رأيكم فى هذا الموضوع وهل هذه تعد كرامة لصاحب المقام أم خصوصية للمكان

الجواب : لقد سمعنا هذا من أفواه الكثيرين ممن زاروا هذا المكان — وليعلم أولا ان سيدى عبد الله بن سلام الصحابى الجليل توفى بالمدينة سنة ثلاث وأربعين للهجرة ولم يدفن بمصر — وكان الناس فى هذا الأمر ما بين جازم بحصوله وانه كرامة وجازم محتار فى تعليله ومتردد فى قبوله وشمل ذلك بعض الخواص الذين يعتد برأيهم وقد جمعتنا المصادفة بأحد أفاضل العلماء الذين يعنون ببحث مايشاهدون ولا يقنعون بتلقف مايسمعون من الناس كيفما اتفق فشرح لنا ما رآه شرحا يزيل كل لبس ويرد الأمر الى المألوف ويجعل الغرابة فى رسوخ هذه الفكرة فى أذهان الناس أكثر مما فى هذه الظاهرة البسيطة

يقول الأستاذ : زرت هذا المكان مراراً وعمدت الى تحرى الأمر فيه واستقصائه لأقتنع وأستطيع الاقناع فوصلت الى أنها خيالات جسمتها الأوهام وروجها خدام ذلك المقام والأمر بسيط فان تلك الحجرة موضوعة على شكل اذا توافر فى أية حجرة حصلت تلك الظاهرة ذلك أنها لها فى جانبها الغربى كوة طولها أقل من متر وعرضها نصف طولها

تقريبا قسمت الى نصفين أعلى وأسفل بخشبة معرضة فى وسطها أفقيا وقسم النصف الأسفل الى قسمين متجاورين بخشبة رأسية تحت الخشبة الأولى ويقابلها الحائط الشرقى لهذه الحجرة وفى طرفه من الجنوب باب وفى الحائط الجنوبى باب آخر للمزار وسقفها معقود بناء ومطلية بالجير الأبيض وبجوار تلك الكوة شارع ممتد من الشمال للجنوب وفى مقابلتها شارع آت من الغرب عمودى على الشارع الأول ، فلما كان ضوء تلك الحجرة ناشئا من ضوء تلك الكوة الواقع على الحائط المقابل ومنبعثا بطريق انتشار الضوء الفرعى الى باقى جوانبها كان ظل من يمشى فى أحد الشارعين الخارجين يظهر ولا بد بطريق الخيال على الحائط المقابل لها ويتحرك بحركته على ذلك الحائط وربما انعكس خياله أيضا على الحوائط الأخرى المستمدة ضوءها منه وهما شارعان يكثر المرور فيهما يوم الجمعة لكثرة المترددين على ذلك المكان ولولوع النفوس بالغرائب وترويجها وحرص خدمة المسجد وأهله على تأييدها والمبالغة فى تفصيلها لذلك شاعت هذه الفكرة وأخذت هذه الشهرة ولقد عمل الأستاذ عدة تجارب اذ وقف أحد أتباعه أمام الكوة ليخبره بمن يراه فى الشارع فكان كلما رأى شخصا آتيا أخبره بانه رجل أو امرأة فيكون مطابقا لما يظهر من الخيالات فى الحجرة، ومما أضحكنى فى هذه التجارب أن قرويا كان مقبلا من الشارع الغربى المقابل للكوة وقد حمل برسيما — ذلك النبات المعروف لعلف الماشية حمله على عربة وركب فوقها واتفق أن نادى أحد من بالحجرة السيد البدوى واذا بهذا قادم فصاحوا السيد حضر على عربة فسأله الأستاذ ماذا عنـــــدك فقال (رجل محمل برسيما على عربة وراكب فوقه) ثم عمد الى تجربة أخرى فأوقف رجالا ممن معه على أفواه الطرق يمنعون المارة وكان الأستاذ مسموع الكلمة لمنزلته ولمن كانوا معه من الوجهاء فلما امتنع المرور قال لهم اطلبوا من شئتم فصاروا يطلبون فانقطعت الاجابة ومكثوا كذلك برهة ضج فيها خدام المسجد وأخذوا يقولون هذا الشيخ ممن ينكرون كرامات الأولياء، يقول الأستاذ فبعد أن وضح الأمر ولم يبق لبس مضينا لسبيلنا مقتنعين بالحقيقة قادرين على اقناع من يصدقنا فيما نرويه مما شاهدناه .

أما مسألة الكرامة فلا ننكرها ولكن لا نرى هذا منها فى شىء فالكرامة أمر

خارق للعادة يظهر على يد من أطاع الله حق طاعته يكرمه الله به وماذا من وجوه الاكرام في تلك الخيالات التي لا طائل تحتها؟ وما قيمة هذا الاكرام الذي يجعل الأنبياء والأولياء والصحابة مسخرين لعبث الناس مستعدين لتلبية طلباتهم ان احضروا لنشهدكم وتفرج علينا بدون أن نستفيد منكم ولا من سيرتكم ثم لا تكون الكرامة مسخرة للتشهيات العبثية التي لا طائل تحتها هذا وان توسع العامة في هذا واستتباع ذلك تأثر عقول بعض الخواص قد يصلح عذرا لقيام فريق من المصلحين يحاربون هذا الباب ليسدوه بتاتا صونا لعقائد الناس من الوثنية ولعقولهم من الخرافات ولكن الكرامة ثابتة والضرر من التوسع فيها الى درجة الاحتراف والعبث والله الهادي الى سواء السبيل ؟

ابراهيم الجبالي

الحديث المتواتر

وحكم ما رواه الأمامان البخاري ومسلم

وورد ادارة المجلة ما يأتي :

أرجو أن تتفضلوا وتجيبوني على أسئلتي الآتية ولكم مزيد الفضل والمثوبة .

(١) ماهي الاحاديث التي حازت درجة التواتر بالاجماع أو ماهو أقرب الى الاجماع ؟

(٢) هل يكفر المسلم إذا أنكر حديثا صحيحا أو متواترا ؟

(٣) هل يمكن القول ان كل ما في الصحيحين : البخاري ومسلم — من الأحاديث الشريفة هي على وجه القطع واليقين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

بيروت　　　　عزت المرادي

ونحن نورد كل سؤال من هذه الاسئلة ونتبعه بما يتيسر من الجواب عنه ومن الله التوفيق .

س (١) — ماهي الاحاديث التي حازت درجة التواتر بالاجماع أو ماهو أقرب الى الاجماع ؟

ج — الحديث المتواتر ما يرويه جمع يحيل العقل نظرا الى العادة تواطؤهم على الكذب

ولابد من تحقيق هذا الشرط فى كل طبقة من ابتداء الرواية الى من أخبروا بقول النبى صلى الله عليه وسلم أو فعله أو حال من أحواله ، واذا كان مايرويه كل واحد من الجمع هو مايرويه الآخرون بعينه سمى تواترا لفظيا ، واذا اختلف مايرويه الجماعة فى اللفظ ولكن أخبارهم تتوارد على معنى مشترك بينها فهو التواتر المعنوى .

وقد نفى بعض أهل العلم أن يكون فى السنة حديث متواتر تواترا لفظيا ، وقال ابن الصلاح : إنه عزيز الوجود وذكر حديث (من كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) وقال . نراه مثالا للتواتر اللفظى فانه نقله من الصحابة العدد الجم وهو فى الصحيحين مروى عن جماعة منهم .[1]

ولم يرتض بعض الحفاظ ما قاله ابن الصلاح وأورد للتواتر اللفظى أحاديث كثيرة ، منها حديث (نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها) وحديث (نزل القرآن على سبعة أحرف) وحديث الشفاعة وحديث الحوض وحديث رؤية الله فى الآخرة .

ومما أوردوه مثالا للتواتر المعنوى حديث رفع اليدين فى الدعاء فقد روى فيه نحو مائة حديث ولكنها فى وقائع مختلفة فكل واقعة منها لم تتواتر إلا أن القدر المشترك فيها وهو الرفع متواتر بالنظر الى مجموع الروايات.

ولا يضر أن لاتكثر فى الشريعة الاحاديث المتواترة تواترا لفظيا لأن التواتر المعنوى يكفى فى الاحتجاج على ما يرجع الى العلم والاعتقاد ، وخبر الأحاد يكفى فى الاستدلال على مايرجع الى الاحكام العملية .

س (٢) ـ هل يكفر المسلم اذا أنكر حديثا صحيحا أو متواترا ؟

ج — لا يكفر منكر حديث الأحاد ولو كان صحيحا ، ومتى كان إنكاره للحديث الصحيح عن هوى فى النفس أو تعصب لرأى فهو فاسق آثم ، وأما الحديث المتواتر فان جرى الخلاف فى تواتره فلايكون منكره خارجا عن حوزة الدين ، وهو فاسق كمنكر خبر الأحاد لهوى فى نفسه أو تعصب لرأيه ، وإذا وجد حديث انعقد الاجماع على تواتره وأصبح حكمه فى جملة المعروف بين خاصة المسلمين وعامتهم كان إنكاره كفرا ، وهكذا

---

(١) حكى النووى فى شرح مسلم انه ورد عن مائتى صحابى منهم العشرة

الحكم فى انكار كل ماأجمع المسلمون على إسناده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو هيئة وتناقلوه جيلا بعد جيل كعدد الصلوات الخمس وركعاتها ومناسك الحج من نحو الطواف والوقوف بعرفة .

س (٣) ـ هل يمكن القول إن كل ما فى الصحيحين ـ البخاري ومسلم ـ من الأحاديث الشريفة هى على وجه القطع واليقين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ !

ج — ذهب ابن الصلاح الى أن ما رواه الشيخان : البخارى ومسلم ، باسناد متصل أو رواه أحدهما كذلك ، مقطوع بصحته لاتفاق الأمة على تلقيهما بالقبول ، والأمة لاتتفق على خطأ ، وأما مايروى فيهما معلقا وهو ماحذف من مبتدأ إسناده واحد فأكثر فلا يبلغ مرتبة القطع عنده ، كما استثنى من المقطوع بصحته ماتكلم فيه من أحاديثهما ، وهى مائتان وعشرون حديثا ، وقد أفرد الحافظ العراقى هذه الأحاديث بكتاب تصدى فيه للجواب عنها ، وتعرض الحافظ ابن حجر فى مقدمة فتح البارى لما طعن فيه من أحاديث الجامع الصحيح للامام البخارى ودفع ماوجه اليها من مآخذ بتفصيل .

ونازع الامام النووى ابن الصلاح فى دعوى أن مارواه الشيخان الاما استثنى مقطوع بصحته وقال إن المحققين والأكثرين يذهبون الى أن صحة ماروياه مظنونة الا أن يكون متواترا ، وأما تلقى الأمة لهما بالقبول فلأن مارروياه يفيد ظنا ، والظن كاف فى تقرير الاحكام العملية وقوله تعالى (إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) محمول على مايرجع الى أصول الدين لأنه يقصد منها العلم واليقين ، أما الأحكام العملية فانما تراد للعمل فيكفى فيها الاستناد الى مايفيد الظن ، على أن الشارع اذا جعل ظن الحكم علامة على تقديره كان الحكم عند وجود الظن معلوما قطعا وكان العامل على هذا الحكم ممتثلا للأمر بلا شبهة .

ومزية الصحيحين على هذا المذهب فى أن ماروى فيهما صحيح لايحتاج الى النظر والبحث بخلاف مايروى فى غيرهما من كتب الحديث فانما يعتمد فى الاستدلال بعد النظر فى سنده ومعرفة رتبته .

والحق أن فى الأحاديث التى لاتبلغ مبلغ التواتر ما يأخذ حكم المتواتر فى إفادة العلم

وهو مايكون رواته من الصدق والضبط فى مرتبة يطمئن بها السامع الى روايتهم اطمئنانا لا يخالجه تردد ، فالعلم يحصل من كثرة رواة الخبر تارة ، ويحصل من تحقق أمانتهم وضبطهم تارة اخرى ، وجمهور مافى البخارى ومسلم من هذا القبيل ، وهذا مايسميه بعض الحفاظ متواترا خاصا نظرا الى أن أهل الحديث قد يحصل لهم العلم برواية رجلين عرفا بالاستقامة والضبط مايحصل لغيرهم من رواية جمع كثير يستحيل تواطؤهم على الكذب ويعتبر فى هذا بقول الامام مالك رضى الله عنه « اذا سمعت الخبر من نافع لا أبالى أن لا أسمعه من غيره » ونحن نعلم أن من أئمة الحديث من يأخذون فى الرواية بما هو الأحوط فلا يكتفون بصدق الراوى وتقواه وورعه حتى يعرف بالضبط لما يحفظ والاتقان لما يروى قال الامام مالك : أدركت بالمدينة أقواما لو استسق بهم القطر لسقوا ، قد سمعوا الحديث كثيرا وماحدثت عن واحد منهم شيأ لأنهم كانوا ألزموا أنفسهم الزهد ، وهذا الشأن (يعنى الحديث) يحتاج الى رجل معه تقى وورع وإتقان وعلم وفهم ، فأما رجل بلا إتقان ولا معرفة فلا ينتفع به ولاهو حجة .

وملخص القول أن مارواه الشيخان متصل الاسناد من طريقين فأكثر وتلقاه نقاد الحديث بالقبول يفيد العلم بصحة نسبته إلى النبى صلى الله عليه وسلم كخبر الآحاد الذى تحتف به قرائن الصدق فلا تبقى لمتلقيه شيأ من التردد فى صحته

محمد الخضر حسين

(استكشاف أثرى جديد)

جاء بمجلة « Kosmos » الألمانية أن بعثة الابحاث الالمانية تحت رياسة الأستاذ الدكتور يوليوس يوردان عثرت حديثا فى العراق على فسيفساء يرجع عهدها الى ٦٠٠٠ سنة ، كما وجدت فى نفس المنطقة جدران من حجر الجير يرجع عهدها الى نفس هذا التاريخ ، ويبلغ سمكها أكثر من مترين وتدل دلالة واضحة على البراعة الممتازة فى فن البناء وقتئذ

العلوم والآداب

الطيارات وكيف تطير (١)

كانت تجارب الطيران الأولى قاصرة على طيران نماذج صغيرة ومبنية على محاكاة اجنحة الطير

ففي سنة ١٧٠٦ أنشأ السيرجورج كايلي طيارة صغيرة ذات محرك أفقي تعتمد في طيرانها على اجنحة مصنوعة من ريش النورس وفي أوائل سنة ١٨٣٠ أنشأ بينود نموذجين حصل على القوة المحركة في الأول من لولب يدور بليّ حبل من المطاط وعمل في الآخر على محاكاة اجنحة الطير. وفي سنة ١٨٤٢ أنشأ سترنجفلو نموذجا حصل على قوة الارتكاز فيه من الأجنحة وعلى القوة المحركة من محرك لولبي ومن ذلك الوقت اصبحت قواعد الطيران الأساسية معترفا بها اكثر من قبل.

كيف تطير الطيارة: لأجنحة الطير وظيفتان فهي تمسك الطير في الهواء وتدفعه إلى الأمام فقوة الامساك هذه مستمدة من الخوافي (٢) وقوة الدفع مستمدة من القوادم (٣) السريعة الحركة.

فاذا تصورت سطحا مستويا ذا شكل مستطيل جانباه الطويلان أفقيان وسطحه مائل إلى اسفل وجعلت هذا السطح يتحرك الى الأمام في اتجاه أفقي على زاوية قائمة من طوله كان ضغط الهواء على السطح الأسفل أكثر من الضغط على السطح الأعلى وتعرض هذا المستوى لقوتين تتنازعانه قوة تدفعه الى أعلى وأخرى تسحبه إلى الوراء تسمى الأولى «قوة الدفع» التي تدفعه إلى أعلى في اتجاه مضاد لثقل المستوى والثانية «قوة السحب» التي تسحبه الى الوراء وتؤدي إلى وقف حركته.

فان وضعت في هذا المستوى آلة تدير محركا لولبيا يتحرك بسرعة كافية زادت قوة الدفع على ثقل المستوى والآلة وارتفع المستوى في الهواء.

---

(١) عن دائرة المعارف البريطانية (٢) اجزاء الاجنحة القريبة من جسم الطير (٣) أطراف الاجنحة

على هذه القواعد أنشأ سترنجفلو نموذجا عرضه فى القصر البلورى [١] بلندن سنة ١٨٦٨ ونال عليه جائزة قدرها مائة جنيه وقد تبين من تجربته أنه من الممكن زيادة القوة الدافعة بصنع سطوح الارتكاز بشكل خاص هو اتخاذها شكلا محدوباً من الأعلى ومقعراً من الأسفل .

كذلك تبين أن نجاح الطيران يتوقف على الاحاطة بأحوال الاتزان فى الهواء وقد تيسر درس شىء كثير منها باستعمال الزلاقات الهوائية التى تعتمد على تيارات الهواء الطبيعية فى طيرانها .

ففى سنة ١٩٠٠ بدأ ويلبر ورايت فاتحة عصر جديد بتجربتهما الزلاقات الهوائية فأدخلا عليها اصلاحين كبيرين الأول وضع الدفة الأفقية التى تسيّر الطيارة فى مستوى أفقى والآخر ثنى الطرف الخلفى للجناحين ليتيسر تغيير قوة الدفع على أحدهما أو كليهما وبذلك يمكن للطيارة المحافظة على اتزانها فى الهواء .

ومن ذلك الوقت أخذ الطيران يتقدم تقدماً كبيراً فنجد الآن بدلا من نماذج سترنجفلو الصغيرة طيارات تزن عشرة أطنان تبلغ بسطة جناحها من ٧٠ إلى ٨٠ قدما وتصل سرعتها إلى مائة ميل فى الساعة . وأخرى كتلك التى أحرزت كأس شنيدر [٢] فى سنة ١٩٢٧ تدار بآلتين أو ثلاث وتبلغ قوتها من ٩٠٠ إلى ١٠٠٠ حصان .

ولنبحث الآن القوى التى تؤثر على الطيارات فى طيرانها :

من الجلى أنه لابد لطيران جسم أثقل من الهواء من قوة تدفعه من أسفل إلى أعلا أو قوة رافعة ويجب أن تكون هذه القوة كافية لموازنة الثقل فى حالة تحرك الجسم فى اتجاه أفقى . غير أن هناك عدة عوامل تقاوم حركة الجسم إلى الأمام أهمها «قوة السحب» التى تسحبه إلى الوراء فان لم تكن هناك قوة تتغلب على هذه المقاومة وقف الجسم ولم يتحرك . لهذا يجب أن يهيأ للطيارة قوة دافعة تتغلب على قوة السحب . ولقد رأيت كيف يتعرض السطح المستوى المائل على اتجاه حركته لقوتين قوة المقاومة وهى «قوة السحب» وقوة أخرى هى « قوة الدفع » وسيتضح لك فيما يلى عمل هاتين القوتين .

---

(١) قصر من الزجاج خارج لندن تقام فيه المعارض والالعاب

(٢) كأس تبرع بها شنيدر تعطى للفائز فى مباريات السرعة للطيارت

عمل المحرك :

لايضاح عمل المحرك عدة نظريات أولها النظرية المعروفة « بنظرية الدفع » التى تعتبر المحرك قرصا يستمد منه الهواء الذى يدور فيه قوة دافعة ، ففى حالةوقوف الطيارة يكون الهواء حولها ساكنا ولكن اذا بدأ المحرك فى الدوران أخذ الهواء الذى حوله يتحرك بسرعة زائدة تكسبه تلك القوة الدافعة .

وأحدث هذه النظريات هى النظرية التى تعتبر المحرك كجناح للطيارة يدور بسرعة كبيرة فى أحد طرفيها ، فاذا تحركت الطيارة إلى الامام على خط مستقيم وبزاوية قائمة على طوله تعرضت لقوة دافعة رأسية على اتجاه حركتها وقوة ساحبة مضادة لهذا الاتجاه وبازديادسرعةدوران المحرك تتغلب القوة الدافعة على القوة الساحبة وترتفع الطيارة فى الهواء.

اتزان الطيارة فى الهواء :

اذا اختل توازن الطيارة لسبب من الاسباب ثم عادت إلى اتزانها عقب زوال هذا السبب قيل انها « تامة الاتزان » ويمكن بلوغ هذه الغاية إذا كانت اجزاء الطيارة متناسبة تناسبا صحيحا ، ولتفهم نظرية الاتزان نورد لك فيما يلى مثلين تعرف بهما ماهيته «الأول» « الذبذب » [1] وهو كالكرة المعلقة من خيط و «الثانى» العصا المتزنة رأسيا على الاصبع تظل كل منهما متزنة اتزانا رأسيا إذا لم يطرأ مايحركهما . فاذا طرأ عليهما مايحركهما اختلف أثر الطارىء فى المثلين :

فاذا تحرك الذبذب جال حول مركز اتزانه وقتاً قصيراً الى أن يسكن كما كان قبلا . وإذا تحركت العصا وقعت على الأرض إلا اذا حركها الأصبع بمهارة وأعادها إلى اتزانها السابق فالذبذب يمثل حالة الاتزان الثابت والعصا حالة الاتزان غير الثابت وتنطبق هذه الاعتبارات على الجسم المتحرك حركةمنتظمة فالطيارة مثلا تتحرك أفقيا بسرعة ثابتة فاذا طرأ على هذه الحركة مايغيرهاتغييرا تافها لسبب من الاسباب كلفحة فجائية من الريح متجهة إلى اسفل مثلا فان مقدم الطيارة يتجه هذا الاتجاه أيضا ، فلو فرض أن قائد الطيارةلم يفعل شيئا لمقاومة هذه الحركة فقد يقع أحد شيئين :

---

(١) الذبذب يطلق على كل شيء يتذبذب

الأول : أن مقدم الطيارة قد يرتفع ثانية من تلقاء نفسه وبعد بضع ذبذبات لأعلى وأسفل تعود الطيـارة سيرتها الأولى فى اتجاه أفقى ، فالطيارة كما ترى منتظمـة كالذبذب فى حركتها ويمكن أن تطير بدون أن تسيطر عليها أداة القيادة ، ذلك اذا كان الطارىء عاديا أما اذا كان شديدا فلا مناص وقتذاك من استعمال الأداة، ويتبين من ذلك أن الطيارة تستمر على الطيران من تلقاء نفسها مادامت الآلة التى تسيرّها تولد من القوة مايكفى لطيرانها أفقيا بسرعة معينة .

والشىء الثانى : أن الطارىء قد يزداد فى شدته فيستمر مقدم الطيارة على الانخفاض وتصبح الطيارة غير منتظمة فى حركتها كالعصا المتزنة على الأصبع كما مر بك وفى هـذه الحالة يترك للقائد إعادتها إلى سيرتها الأولى أو الى الطيران الأفقى المنتظم .

هبوط الطيارة :

تبين لك مما أسلفنا كيف ترتفع الطيارة بقوة الرفع التى يكسبها إياها سرعة دوران المحرك فاذا أريد الهبوط أنقصت تلك السرعـة رويداً رويداً فتنقص القوة الرافعـة تبعا لذلك .

وتهبط الطيارة إلى الأرض حتى اذا مستها درجت عليها إلى أن تقف ؟

سموم الأفاعى ضد الأفاعى السامة[1]

يوجد فى مدينة سان باولو بالبرازيل بناء فخم أقيم لعمل الابحاث واستخراج المصل لعلاج المصابين بلسعة الثعابين السامـة ، وذلك لكثرة هذا النوع من الأفاعى فى هـذه البلاد حتى أصبحت خطرا عاما على السكان ، وقد دلت التجارب والابحاث على أن المصل المستخرج من سموم الأفاعى اذا حقن به الانسان عقب الاصابة مباشرة يبطل عملها السام .

وتهتم حـكومة البرازيل الآن بجمع الثعابين السامة لتربيتها فى هـذا المعهد وأخذ سمومها لاستخراج الأمصال وتوزيعها على الأهالى .

---

(١) مترجمة عن مجلة « Kosmos » الالمانية

الاجسام المتحجرة [١]

— ٢ —

تحجر المملكة الحيوانية

(سبق لنا التكلم عن تحجر المملكة النباتية فى العدد السادس من هذه المجلة)

توجد حفريات الحيوانات «اللافقرية» [٢] بكثرة عديمة النظير من حيث العدد أو النوع بين الحيوانات المتحجرة على العموم بالرغم من رخاوتها وعدم تماسكها ، وربما كان السبب فى ذلك هو اشتمالها على أجزاء صلبة كالأصداف والقشور الخارجية وكبعض أعضاء الارتكاز الداخلية كما أن كثيرا من هذه الحيوانات تعمل ابان حياتها على تكوين المركبات الحجرية العظيمة .

وقد يكون المرجان فى مقدمة هـذه الأحياء التى مع صغر حجمها تتراكم بكميات وافرة جـدا وتكوّن مركبات جـيرية ضخمة فى البحار الدافئة وتنشىء بذلك أجزاءا دائمة فى القشرة الأرضية ، كما توجـد آثارها فى تركيب مناطق جبلية عديدة فى أنحاء المعمورة ، الا أن هذه الصخور العتيقة التكوين قد فقدت كثيرا من المميزات والخواص الحيوانية .

ومثل المرجان حيوانات «لافقرية» أخرى عديدة كثير منها من ذات الخلية الواحدة [٣] يتراكم بعضها فوق بعض مكونا بذلك أحجاما كبيرة ومساحات واسعة تنتشر فى أعماق سحيقة من البحار ، كما أن صدفاتها تكوّن طبقات صخرية عظيمة وتوجـد بكثرة فى

(١) نقلا عن مقال للاستاذ الدكتور « سفن » بمجلة « Kosmos » الالمانية

(٢) تنقسم الحيوانات الى فقرية وهى ما اشتملت على العمود الفقرى ولا فقرية وهى التى تكون بدونه

(٣) « « « أولية وهى ذات الخلية الواحدة وحيوانات عليا وهى عديدة الخلايا

جبال البرانس والألب وفى آسيا الصغرى وبجبال هيمالايا وفى الهند وجاوة وجزر الفيلبين وأفريقة الشمالية ومنها تتكون أحجار الأهرام .

وليست الحيوانات العديدة الخلايا بأقل أثراً فى تكوين الكتل الصخرية من الحيوانات الأولية ذات الخلية الواحدة ، ويتضح لنا مفعولها فى تكوين الأحجار من رواسب الأصداف والمحار بالشواطىء البحرية ومن الجثث الحيوانية الوافرة فى المياه الضحلة ومن قشور القواقع الجيرية وطبقات الطين الخزفى ، فبينما تبلى الأجزاء الرخوة تبقى الأجزاء الصلبة بباطن الطبقات الرملية أو الطينية أو الجيرية [1] وهكذا تُحفظ من تأثير العوامل الخارجية ، وقد تكون البقايا الحيوانية أكثر تعرضا للفناء والاندثار اذا طُمرت فى الرمال فان هذه الطبقات تتحول الى أحجار رملية ذات ثقوب ومسام عديدة تتسرب خلالها الرطوبة والمياه التى بباطن الأرض فتفصل عن هذه الأجسام أجزاءها الجيرية وتحملها معها فلا يبقى منها بطبقات الأحجار الرملية سوى ماتسرب الى جوف الاصداف من الرمال على شكل نواة حجرية يعلوها طابع الصدفة ، وقد توجد هذه النوى المتحجرة فى حجر الأردواز أو الأحجار الجيرية لأن الطبقات الطينية والجيرية ليست دائما بالحصن المنيع الذى يحول دون جميع عوامل الفناء الا أن وجود الاجزاء الصلبة من البقايا الحيوانية بوفرة فى هاتين البطقتين يحملنا على الاعتقاد بأنها هنا أبعد عن هذه العوامل منها فى الطبقة الرملية .

وبالجملة فان الحيوانات « اللافقرية » توجد محفوظة بباطن الأحجار كما توجد متحجرة بذاتها كما أسلفنا .

ومن الجلى أن الأجزاء الصلبة فى الحيوانات « اللافقرية » هى بلا شك أقدر أجزائها على مقاومة العوامل الخارجية خصوصا اذا كانت تحتوى فى تكوينها على مواد معدنية ، فلا تتأثر بما يرتطم بالشواطىء من الأمواج ولا تتفتت بفعل التغيرات الجوية ولا تذهب غذاء للحيوانات الأخرى ، الا أنه قد تتوفر ظروف طبيعية أخرى تحول دون اندثار تلك الأعضاء الرخوة حتى أرقها وأضعفها ، ولا تتوفر هذه الظروف الا فى الطبقات

(١) تتحول الطبقات الرملية والطينية والجيرية بعد تحجرها الى أحجار رملية وأردوازية وجيرية على التوالى

الطينية فى الخلجان الهادئة حيث تغطى أجسام الحيوانات الرخوة تدريجيا بصموغ الأشجار البالية والأعشاب الرقيقة أو الطين المتعفن وما شاكله على أن ترسب هذه الطبقات الطينية رويدا رويدا بدون أى اضطراب أو حركة حتى تنطمر هذه الأجسام تماما ، ثم تأخذ هذه الغلافات فى التصلب بتأثير العوامل الخارجية على أن تعمل هذه عملها ببطىء وفى هدوء وسكون تامين دون أن تتعرض هذه النواحى للتقلصات الجبلية الفجائية أو ضغط الصخور الشديد ، كما يجب أن تخلو هذه المناطق تماما من المحلولات المتلفة مثل المياه الجيرية أو مركبات الكبريت أو أن يكون مفعولها — إذا وجدت — بطيئا جدا غير مصحوب بتغيرات عنيفة أو سريعة ، ولكن هذه الشروط مجتمعة لا تتوافر الا فيما ندر من الظروف والأحوال وقد يكون ذلك فى تكوين الكهرمان أيسر منه فى المناطق العشبية أو الطبقات الطينية فى المياه العذبة لكثرة مابها من الحوامض الجارية فضلا عن أن مصير هذه المناطق الى أن تكون فحما وتمر بأطوار عديدة تعرّض الكثير من البقايا الحيوانية الرخوة الى التلف، ولذا لا توجد هذه الأجزاء بالطبقات الفحمية بكثرة كما يندر وجودها جداً فى الأحجار المماثلة الأخرى مثل الأردواز وذلك لأن هذه الطبقات تمر بأدوار تعوق وقايتها، هذا الى ضغط الصخور الجبلية والتقلصات العنيفة التى تعترى القشرة الأرضية .

وهناك ناحية من المعمورة قد توفرت فيها الأسباب السالفة الذكر فاستكنت فى باطنها أجسام الحيوانات الرخوة مثل بعض أنواع الأسماك الصغيرة ونجوم[1] البحر ، ولو أن الحفريات التى وجدت بهذه المنطقة ـ وهى منطقة الجورا[2] ـ قليلة من حيث العدد والنوع الا أنها حفظت من التلف والاندثار حفظا تاما فيمكن رؤيتها حتى أدق أطرافها المتشعبة بكل وضوح وجلاء ، كما يوجد فى هذه المنطقة بجوار الحيوانات المائية الكثيرة نباتات برية وحشرات وزواحف ربما كانت قد زارت هذه الناحية فى طور بدء تصلبها فعلقت بها ولم تقو على التخلص والفرار .

فنظرة واحدة الى الألواح الحجرية الملساء فى منطقة الجورا تكفى لأن يتخيل المرء

(١) نجم البحر ـ حيوان مائى على شكل نجمة (٢) هى المنطقة الجنوبية الغربية من ألمانية

مجرى الحياة فى هذه البقاع التى مرت عليها قرون عديدة كما تتضح له الأسباب التى بفضلها بقيت هذه الشواهد محفوظة مدى هذه الأجيال الطويلة .

وكما بقيت آثار الحيوانات « اللافقرية » محفوظة بباطن الأرض توجد أيضا بقايا الحيوانات الفقرية — وأغلبها من العظام والأسنان والقرون — متحجرة ، وقد تخللت مسامها كربونات الجير أو الحصى الكبريتية أو المركبات الحديدية أو الحوامض الرملية فزادتها تماسكا والتحاما .

وفى المناطق ذات الجو الجاف لا يحتاج فى أغلب الأحوال إلى عوامل خاصة لوقاية البقايا الحيوانية حيث انها هنا بعيدة عن المياه المفتتة ، كما أن الجراثيم الصغيرة التى تصيب عادة ما يدفن بباطن الأرض قليلة جدا فى المناطق الجافة .

أما فى الأجواء الممطرة الرطبة فأن الأحوال أقل ملائمة لحفظ ووقاية البقايا الحيوانية فيدب الفساد فيما يترك على سطح الأرض فيتعفن بسرعة أما المدفون بباطنها فيبقى محفوظا بفضل وقاية الحوامض القاتلة للجراثيم ولايزول عنه سوى أجزاء العظام القابلة للانحلال والذوبان مثل الأملاح الجيرية ويبقى الهيكل الخارجى لايعتريه تغيير جوهرى كما هو الحال فى المناخ الجاف ، الا أن العظام فى المناطق الجافة تزداد صلابة بتعرضها للهواء .

أما بقايا الحيوانات التى تحملها الحيوانات الأخرى التى على قيد الحياة أو التى تنقلها يد الأنسان فتدفن فى طبقات الغِرْيَن[1] فان نصيبها فى الحفظ وعدم الانحلال أوفر من غيرها حيث انها فى هذه الطبقات تحتجب عن العوامل الجوية فلا يصلها الأكسجين أو تنفد اليها الحوامض الكربونية ، وكثيرا مايعلق بها الجير المحملة به المياه الجيرية فيكسبها حصانة ويزيدها وقاية .

كما أن الطبقات الطينية فى البحار والمحيطات قد تكون عاملا مساعدا فى وقاية أجسام الحيوانات الفقرية وحفظها زمنا طويلا ، وأوضح دليل على ذلك العدد الوافر من الأسماك والحيوانات البحرية الأخرى التى توجد فى الصخور الأردوازية وما شا كلها .

---

(١) هو الطين يحمله السيل فيبقى على ظهر الأرض رطبا أو يابساً

ومن أعجب الحفريات وأكبرها قيمة الطائر المنقرض المعروف باسم «أركيوبتريكس» الذى لقى حتفه مع كثير من الطيور والزواحف المنقرضة فى طين البرك اللزج فبقى شكله الخارجى وهيكله العظمى محفوظا حفظا تاما الى وقتنا هذا ، كما أنه ترك بهذه الطبقات المتحجرة طابعا متقنا وصورة واضحة منه ، حتى أنه يسهل اعادة تركيب نموذج مشابه له كل الشبه .

وقد تكون الحيوانات المائية التى وجدت بباطن بعض طبقات منطقة الجورا أعجب الحفريات التى بقيت مصونة بعيدة على كل عوامل الفناء والاندثار ، فلا يصادف الانسان مجهودا كبيراً فى استخراج هيكلها تاما ، كما يمكنه فصل الجلد عن هـذه الهيا كل والتحقق من مواضع الأعضاء الداخلية فيها ، فان طبيعة تكوين الطبقات الطينية التى حفظت بين جوانبها هذه الحيوانات تلائم هذه العملية كل الملائمة ، ويغلب على الظن أن هذه الحيوانات ماتت فجأة وطمرت بالطين الطرى فى مرقدها الأخير ، كما أن وجود المواد الكبريتية بكثرة فى هذه الطبقات الطينية مما يحملنا على الاعتقاد بأن هذه الحيوانات قد اصطدمت بقرار البحار وهى مسرعة فى السباحة فتبعثر الطين من حـولها فلقيت حتفها هناك بفعل الغازات السامة المتصاعدة وأن هذه المواد السامة التى لازالت توجد بقيعان بعض البحار والمحيطات الى الآن ساعدت فى حفظ أجسام هـذه الأسماك والحيوانات المائية وعدم تفككها .

فمن الأمثلة السابقة وخلافها توصل الانسان الى استنباط صورة واضحة عن شكل وتركيب الحيوانات الفقرية المنقرضة ، هذا الى أنه قد تتوافر أحيانا ظروف خاصة تتمكن فيها العوامل الطبيعية من حفظ جسم الحيوان بجميع أو بأغلب أعضائه الداخلية وذلك اذا ما طمرته المواد الواقية بمجرد موته مباشرة ، كما لو لقى حتفه فى بعض المستنقعات أو دفن فى الطين الرملى كما هى الحال فى بعض أنواع السحالى التى طمرت فى العصور الغابرة بالطين الرملى والموجودة الآن بالطبقات الخزفية بتلك المناطق .

وربمـا كان الجليد أكثر المواد ملائمة وصلاحية لحفظ ووقاية أجسام مثل هـذه

الحيوانات من الاندثار ، فان حيوانات « الماموث »[1] التى لقيت حتفها بين الشقوق الجليدية فى العصر الجليـدى لا زالت لحومها طرية تلتهمها الذئاب والكلاب فى الوقت الحاضر .

ومثل « الماموث » كانت حال بعض فصائل الخرتيت المنقرض الذى وجد حديثا فى احدى نواحى مقاطعة غاليسيا . الا أنه يجدر بنا التفرقة بين هذه الأجسام وتلك التى يرجع عهدها الى العصر « الطباشيرى » والتى حفظت لنا أشكال « الدينوسور » ، التى وجدها الانسان بكثرة فى طبقات الأحجار الرملية بالولايات المتحدة الامريكية ووجدت بها العظام الا أنها كانت متحجرة تماما ، أما الاعصاب والعضلات والجلد فالظاهر أنها جفت بتأثير الشمس قبل أن تدب اليها العفونة وتحل الرمال محلها .

وأخيراً يجدر بنا التنويه الى أن الحيوانات الفقرية تركت آثاراً من وقع أقدامها أو زحفها على كثير من الطبقات الارضية كما ارتسمت أشكال الحيوانات « اللافقرية » على وجه البسيطة وقتئذ .

وكثيراً ما يعثر الانسان على بقايا كانت بلا شك من متعلقات ولوازم الحياة فى هـذه العصور السحيقة ، وأن بعضا من هـذه الآثار البالية كانت آلات أو مساكن ومواقد تركها الماضون من بنى آدم ، وأن هـذه الآثار كآثار باقى الأحياء تبلى وتبقى بتأثير العوامل السالفة ؟

تأثير أشعة رنتجن على الجراثيم[2]

انا وان كنا نعرف تأثير أشعة رنتجن فى الأحياء الراقية فلا زلنا نجهل تأثيرها فى الجراثيم الى عهد قريب ، ولقد اهتم البحاثة الدكتور كلارك الأمريكى بالقيام بأبحاث وتجارب علمية للتحقق من تأثير أشـعة رنتجن فى الجراثيم ، فثبت له أن هذه الأشعة تعمل فيها عمل المطهرات ، ووجد أنها تموت إذا عُرِّضَت للأشعة ٩٠ دقيقة .

---

(١) الماموث هو نوع من الفيلة المنقرضة

(٢) مترجمة عن مجلة « Ksomos » الألمانية

تأسيس معهد أسيوط الديني

وخطاب حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

عنى حضرة صاحب الجلالة مليكنا المعظم احمد فؤاد الأول — أيده الله — بحماية الدين الحنيف وإقامته على دعائم ثابتة فكان من مقاصد رحلته الميمونة تأسيس معهد ديني بأسيوط .

شرف جلالته أسيوط فى يوم السبت ٢٩ رجب سنة ١٣٤٩ هـ (٢١ ديسمبر سنة ١٩٣٠ م) وبعد أن أسس رعاه الله دار الاسعاف الجديدة ودار المدرسة الابتدائية سار ركابه السامى نحو المكان المعد لانشاء المعهد ، وعندما جلس فى صدر السرادق وانتظم الاحتفال برجال العلم والفضل والسياسة ألقى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى شيخ الجامع الأزهر خطابا نوه فيه بما لجلالته من العناية بالاصلاح واعلاء شأن الاسلام ونصه :

مولاى يا صاحب الجلالة :

كان من نعمة الله على البلاد المصرية وعلى العالم الاسلامى تبوء جلالتكم عرش مصر فقد حققتم أمل البلاد وأعلنتم استقلالها وعنيتم بانهاضها فى كل شأن من شؤونها لتستعيد مجدها القديم .

وحققتم أمل العالم الاسلامى فعنيتم بأمر الدين وهو قوام حياة الأمم يحول بينها وبين الفوضى ويوطد فيها أركان السلم والنظام ويحث على الفضيلة ومكارم الأخلاق واهتممتم بأمر معاهد الدين لاسيما الأزهر الشريف الذى هو ميزة مصر الكبرى ومركز التعاليم الاسلامية وقبلة أنظار المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها يقصده الطلاب من سائر الأقطار (ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم)

وقد شملت هذه العناية من جلالتكم كل ناحية من النواحى المتعلقة بذلك فقد تفضلتم فى أول رحلة ملكية بالوجه القبلى وأمرتم بانشاء القسم الثانوى بمعهد أسيوط الذى كان ابتدائياً ثم بانشاء معهد الزقازيق فكان ذلك عطفاً كبيرا من جلالتكم على الوجهين القبلى والبحرى قوبل من سكانهما برفع فروض الشكر والدعاء

ورغبة من جلالتكم فى رفع مستوى التعليم تفضلتم فأصدرتم قانونا للتخصص فى أنواع العلوم الدينية والعربية وفى طرق الوعظ والارشاد وفى القضاء الشرعى ثم تفضلتم فأدخلتم تعديلا على قانون الأزهر يرمى الى ادخال العلوم التى لاغنى عنها فى اعداد رجال الدين للقيام بالواجب العظيم الملقى عليهم . والى التوسع فى العلوم الكونية المعينة على فهم أسرار الدين وتفسير آى الكتاب المبين المتعلقة بالكون وما فيه من آيات وعبر، وقد أسست لذلك بالمعاهد معامل الكيمياء وغيرها .

وأصدرتم كذلك ارادة سنية بطريقة انتخاب أرباب الكفايات للتدريس وبتعديل درجات المدرسين والموظفين وترتيب معاش لهم .

وعناية بالطلاب وصحتهم وتوفير أسباب راحتهم تفضلتم فأمرتم بادخال النور الكهربائى فى الجامع الأزهر وفرش أماكن الدراسة منه بالأبسطة واعداد أماكن أخرى للدراسة فى مصر وباقى المعاهد مجهزة بكل ما تقتضيه قواعد التدريس، كما أمرتم بايجاد عيادات طبية يومية فى كل معهد .

وتشجيعاً على النبوغ قد تفضلتم بتعيين جائزتين ماليتين من الجيب الخاص للأول والثانى من ناجحى شهادة العالمية .

وقد اقتضت ارادة جلالتكم الشروع فى تعميم الوعظ والارشاد فعين خمسون واعظا يقومون الآن بواجبهم فى مكافحة الشرور والدعوة إلى الفضائل فى مختلف القرى والبلدان كما أنشئت لذلك مجلة « نور الاسلام » التى انتشرت فى أرجاء العالم .

وقد قضى عطف جلالتكم وما أمرتم به من وجوه الاصلاح المختلفة أن تتدرج ميزانية المعاهد فى الرقى حتى بلغت فى السنة الحالية مايربو على ثلثمائة الف جنيـه بعد ان كانت فى أول عهد جلالتكم سبعين الفا

ولم تقل عنايتكم بأبنية المعاهد عن العناية بغيرها من وجوه الاصلاح ، فقد تفضلتم فى أول عهد جلالتكم الميمون باكمال الطابق الثانى من معهد طنطا وتنازلتم فشرفتم حفلة افتتاحه فكانت فاتحة خير وبركة .

ثم أمرتم ببناء معهد الزقازيق فتم بحمد الله وهو الآن موضع الاعجاب والتقدير . وأمرتم باصلاح أماكن الدراسة ومساكن الطلاب بمعهد الاسكندرية وباكمال الجامع الأموى باسيوط ليكون محلا للدراسة بصفة مؤقتة .

ثم أمرتم بانشاء أبنية بجوار الأزهر الشريف لتكون أمكنة للكليات والتعليم الابتدائى والثانوى وللمحاضرات الدينية والعلمية ، وقد أدرج للشروع فى ذلك مائة الف جنيه فى ميزانية الدولة .

وها أنتم يامولاى قد أمرتم ببناء معهد لاسيوط يليق بعاصمة الصعيد ينطق بما لجلالتكم من الأيادى البيضاء

وكان من علامات التوفيق واليمن أن يكون تأسيس هذا المعهد عقب تلك النعمة الكبرى وهى اصدار جلالتكم قانون اعادة تنظيم الجامع الأزهر والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية الذى ينص على انشاء كلية لأصول الدين وأخرى للشريعة الغراء وثالثة للغة العربية واقسام للتخصيص وعلى أن يكون خريجو هذه الأقسام أهلا لمناصب القضاء الشرعى والتدريس فى المعاهد ومدارس الحكومة وغيرها وتولى الوعظ والارشاد وينص على انشاء اقسام عامة لمن يريد أن يتوسع فى أحكام الدين أو اللغة العربية فى كل من القاهرة وطنطا والمنيا وسوهاج وقنا ، وذلك كى يعود للأزهر الشريف مجده التالد ويقوم بالمهمة التى يطالبه العالم الاسلامى بها وكى يكون خريجوه اعضاء عاملين فى هذه الحياة فيفيدون ويستفيدون وكى يعم العلم جميع الطبقات وجميع الجهات .

انى يامولاى لعاجز عن تعداد أياديكم البيضاء على مصر وعلى أهل الحنيفية السمحة عاجز عن أداء مايجب لجلالتكم من الشكر على هذا التفضل العظيم والخير العميم وكل ما أقدر عليه ويردده معى الجميع هو الابتهال الى الله سبحانه وتعالى ان يحفظ ذات جلالتكم الكريمة ويبقيكم ذخرا للبلاد والعباد .

والآن يامولاى أرجو ان تتفضلوا فتضعوا بيدكم الكريمة الحجر الأساسى لهذا المعهد السعيد ليكون ذلك يمنا وبركة والله تعالى يؤيدكم بروح من عنده ويكلأ بعين رعايته حضرة صاحب السمو الملكي ولى عهد الدولة المصرية الأمير فاروق انه سميع مجيب ،

ثم تفضل جلالته فأرسى الحجر الأول للمعهد وغادر مكان الاحتفال والألسنة تلهج بشكر أياديه الغراء والدعاء لجلالته بالتأييد وطول البقاء .

(ميل النبات شطر طبقات أرضية خاصة)

أصبح الآن مما لاشك فيه أن جذور النباتات تتجه نحو طبقات أرضية خاصة حيث تجد غذاءها وذلك لاحتواء بعض الترب على معادن خاصة ، وكلما تعمق الانسان فى دراسة هذا الموضوع الخاص بعلمى النبات وطبقات الأرض ازدادت معلوماته عن أنواع النبات التى تشير باتجاه جذورها الى طبقات أرضية خاصة ، وقد عنى الهر فون لندستوف بجمع معلومات كثيرة عن هذه النباتات المعروفة حتى الآن فى كتاب قيم أصدرته مصلحة طبقات الأرض الألمانية ، ومما لاشك فيه أن دراسة هذا الموضوع سيكون لها أثر عملى كبير فى البحث عن المعادن بباطن الأرض ، وقد عرفت حتى الآن أنواع النباتات التى تتجه جذورها نحو الطبقات الأرضية والمعادن الآتية : — الملح والصودا والبوتاسا والرويديوم والليثيوم والجير والخزف والجبس والملح المر وحجر الحية والزنك والنحاس والفضة والذهب والقصدير والمنغنيز والحديد والكبريت والفسفور والزرنيخ والبروم واليود . (مترجمة عن مجلة Kosmos الألمانية)

العدد الثامن — المجلد الاول
شعبان سنة ١٣٤٩

قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .

نور الإسلام

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها مشيخة الأزهر الشريف

أول كل شهر عربي

مدير ادارة المجلة : عبد العزيز محمد بك المستشار بمحكمة الاستئناف ومن أعضاء مجلس الازهر الأعلى { سابقاً

رئيس التحرير : السيد محمد الخضر حسين من علماء الازهر

إدارة المجلة شارع محمد مظلوم باشا رقم ١

« تليفون : بستان ٣٥٠٧ »

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

قيمة الاشتراك السنوى

	قرش
داخل القطر المصرى	٤٠
للعلماء غير المدرسين وطلبة المعاهد والمدارس	٢٠
خارج القطر المصرى	٥٠
لطلبة المعاهد والمدارس	٣٠

يعامل أئمة المساجد والمأذونون ومعلمو المدارس الأولية معاملة الطلاب

وثمن الجزء الواحد ٣ صاغ داخل القطر و ٤ خارجه

بسم الله الرحمن الرحيم

كبر الهمة في العلم

الحديث عن فضل العلم وما يناله طالبه من مجد وكرامة حديث لايكشف عن غامض ولا يطرق السمع بجديد ، فاقصد الى شيء غير هذا هو لفت أنظار نشئنا الى ناحية تجعل المعارف لدينا غزيرة والمباحث محررة ، والآراء مبتكرة ، وهى الوسيلة التى صعدت بعلمائنا الذين خدموا الدين والعلم والمدنية فكانت لهم المكانة التى يصفها التاريخ باجلال واعجاب ، ونعنى بهذه الوسيلة كبر الهمة في العلم .

لكبر الهمة في العلم مظاهر هى أن تقضى الوقت في درس أو مطالعة أو تحرير، وان تقتحم في سبيل ذلك المصاعب وتدافع مايعترضك من العوائق ، وأن تبسط النظر في كل مسألة تصديت لبحثها حتى تنفذ الى لبابها ، وان تضع يدك في كل علم استطعت اليه طريقا،ثم تحط رحلك في علم تكون فيه النجم الذى يهتدى به المدلجون، والغيث الذى ينتجعه الظامئون ، وكبر همتك في العلم يأبى الا أن يكون للعلم مظهر هو العمل به والسير على مايرسمه من الخطط الصالحة في هذه الحياة .

أما صرف الوقت في ابتغاء العلم فان للعمر أجلا اذا جاء لايستأخر ، وللعلم بحرا طافحا ليس له من آخر ، فكل ساعة قابلة لان تضع فيها حجرا يزداد به صرح مجدك ارتفاعا ، ويقطع به قومك في السعادة باعا أو ذراعا ، فان كنت حريصا على أن يكون لك المجد الأسمى ، ولقومك السعادة العظمى ، فدع الراحة جانبا ، واجعل بينك وبين اللهو حاجبا ، واذا رجعنا البصر في تاريخ النوابغ الذين رفعوا للحكمة لواء ، وجدناهم يبخلون بأوقاتهم أن يصرفوا شيئا منها في غير درس أو بحث أو تحرير.

قدم الحافظ ابن أبى حاتم صاحب كتاب «علل الحديث» القاهرة ليتلقى عن شيوخها مالم يكن يعلم فقضى في مصر سبعة أشهر لم يجد هو وأصحابه من الوقت مايهيئون فيه لطعامهم مرقا ، وكانوا بالنهار يطوفون على الشيوخ ، وبالليل ينسخون

ويقابلون . ونقرأ في حياة الفيلسوف أبى على بن سينا أنه لم ينم مدة اشتغاله بالعلم ليلة كاملة ، ولم يشتغل في النهار بسوى المطالعة ، ونجد في التاريخ أن الفيلسوف ابن رشد لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل الا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله .

لم يقض حق العلم ، بل لم يدر ماشرف العلم ذلك الذى يطلبه لينال به رزقا أو ينافس فيه قرينا ، حتى اذا أدرك وظيفة أو آنس من نفسه الفوز على القرين أمسك عنانه ثانيا ، وتنحى عن الطلب جانبا ، وانما ترفع الأوطان رأسها ، وتبرز في مظاهر عزتها ، بهمم أولئك الذين يقبلون على العلم بجد وثبات ، ولا ينقطعون عنه الا أن ينقطعوا عن الحياة .

وأما اقتحام المصاعب في الطلب فان معالى الأمور وعرة المسالك محفوفة بالمكاره والعلم أرفع مقام تطمح اليه الهمم ، وأشرف غاية تتسابق اليها الأمم ، فلا يخلص اليه الطالب دون أن يقاسى شدائد ويحتمل متاعب ، ولا يستهين بالشدائد الا كبير الهمة ماضى العزيمة . كان سعيد بن المسيّب يسير الليالى في طلب الحديث الواحد ، ورحل أبو أيوب الانصارى من المدينة الى عقبة بن نافع وهو في مصر ليروى عنه حديثا ، فقدم مصر ونزل عن راحلته ولم يحل رحلها فسمع منه الحديث وركب راحلته وقفل الى المدينة راجعا، ولم ينتشر العلم في بلاد المغرب أو الاندلس الا برجال رحلوا الى الشرق ولاقوا في رحلاتهم عناء ونصبا ، مثل أسد بن الفرات وأبى الوليد الباجى وأبى بكر بن العربى .

يتجرع كبير الهمة مرارة حين تقف بينه وبين جانب من العلم عقبة ، فاذا وجد مرعى العلم خصبا ، فعناؤه فيما يدعونه راحة ، وانقباضه فيما يسمونه لهوا ، وألمه في ساعة ينقطع فيها عن العلم يساوى ألم المستهتر في الشهوات حين يقضى يومه في غير شهوة . وقد يحسب من لم تصف بصيرته حتى يرى الحكمة في أسنى مظاهرها أن الذى يقول :

سهرى لتنقيح العلوم ألذ لى ... من وصل غانية وطيب عناق

انما هو شاعر لايبالى أن يفضل الشيء على ماهو أكمل في وجه الشبه وأقوى ،

ويبعد في نظره أن يبلغ ابتهـاج النفس عند تحقيق بحث علمى مبلغ ابتهاجها بلقاء الغانيات ، ولكن الذى يقدر الحكمة يرى أن ناظم البيت لم يجد شيئا يحاكى به اللذة التى يجدها عند مايطلق فكره وراء شوارد العلوم فيظفر بها ، فجاء الى هذا الذى اشتهر بين الناس أنه لذيذ بالغ، ووصف لذة الحكمة بانها فوق لذته، فصاحب البيت لم يتجاوز في تصوير ارتياحه لتنقيح العلوم حد الحقيقة .

وأما نفوذ النظر في لباب المسائل فلأن وقوف طالب العلم عند ظواهرها واكتفاءه بالمقدار الذى يقصر به عن حسن بيانها واجادة العمل بها ، لايبعدان به عن منزلة خالى الذهن منها، فانما وضعت العلوم لتهدى الى العمل النافع، ولاشرف لها في نفسها ، وانما شرفها بما يترتب عليها من عمل صالح أو كلم طيب ، فمن يقضى زمنا في طلب علم ثم ينفصل عنه وهو لايستطيع أن يدفع عن أصوله شبها ، أو يضرب له من العمل مثلا ، ذهب وقته ضائعا وبقى اسم الجهل عليه واقعا .

فالفقيه بحق من تعرض الواقعة لم يفصل لها الشارع حكما ولم يتناولها السلف باجتهـاد ، فيرجع الى الأصول الثابتة والقواعد المقررة ويقتبس لهـا حكما موافقا

ولا نكتفى ممن يدرس البلاغة أن يتصور قوانينها ، ويعرف امثلتها الا أن يبصر بها كيف تسرى في كتاب الله سريان الماء في الأزهار الناضرة ، وحتى يستطيع أن يخطب أو يكتب على وفق مادرس من مناهجها الواضحة واساليبها الساحرة

ولا يحق لنا أن نفتخر بفتيان درسوا الطبيعة والكيمياء ، الا أن يعودوا وفي قدرتهم أن يستقلوا بادارة مصانع للدفاع ، ومعامل لمرافق الحياة ، فانا نريد أن نعود كما كنا اساتذة في العلوم نقلية أو عقلية ، نظرية أو مادية .

ومما رمى الافكار في خمول ووقف بها حقبة عن الخوض في عباب العلوم الى أمد بعيد ، هذه المختصرات التى يقضى الطالب في فتح مغلقها وحل عقدها قطعة من حياته جديرة بأن تصرف في اكتساب مسائل هى من صميم العلم ، والملكات تقوى بالبحث في لباب العلم أكثر مما تقوى بالمناقشة في ألفاظ المؤلفين ، وممن نبه على أن

الاختصار عائق عن التحقيق في العلم أحد علماء القرن الثامن العلامة محمد المعروف [1] بالأبلى اذ قال « كل أهل هـذه المائة على حال من قبلهم من حفظ المختصرات ، فاقتصروا على حفظ ماقل لفظه ونزر حظه وافنوا أعمارهم في حل لغوزه وفهم رموزه ، ولم يصلوا الى رد مافيه الى أصوله بالتصحيح ، فضلا عن معرفة الضعيف والصحيح »

فمن أسباب الرسوخ في العلم وطموح الهمم الى التوسع في البحث وعدم الرضا بما دون الذروة قراءة الكتب التى تنسج على طريقة الاستدلال والغوص على أسرار المسائل ، وهى طريقة المتقدمين من علمائنا .

واما بسط النظر في علوم متعددة فلارتباط العلوم بعضها ببعض ، وكلما كان الاطلاع على العلوم أوسع ، كان البحث في المسائل أجود ، والخطأ في تقريرها أقل ، والاحتجاج عليها أسلم ، فلا يجيد دراسة التفسير أو الحديث من لم يكن ضليعا في العربية ، ولا يحكم الاستدلال على العقائد ويدفع مايحوم عليها من شبه الا من كان عارفا بالتفسير والحديث والقوانين المنطقية والمذاهب والآراء الفلسفية ، ولا يقوم على دراسة الفقه أو أصوله من لم يملأ يده من الحديث والتفسير والعلوم العربية

واطلاع الرجل على علوم كثيرة يعرف موضوع بحثها ويقف على جانب عظيم من مبادئها ، لايمنعه من الاقبال على علم يجعل له من الدرس والمطالعة مايرفعه الى مرتبة أئمته الذين يكتبون فيه فيحققون ، ويسألون عن أخفى مسائله فيجيبون والذى يضع يده في علوم شتى يمكنه أن يجارى طوائف العلماء في المباحث المختلفة ، وعلى قدر مايكون للرجل من خبرة بالعلوم ، يبعد عن مواقع الذلة ويزداد في أعين الناس تجلة .

عكف أبو صالح أيوب بن سليمان على كتاب العروض حتى حفظه فسأله بعضهم عن اقباله على هذا العلم بعد الكبر فقال : حضرت قوما يتكلمون فيه فأخذنى ذل في نفسى أن يكون باب من العلم لا أتكلم فيه

---

(١) من أساتذة ابن خلدون

تقضى الحياة الراقية أن يقوم بكل علم طائفة يكونون السند الذى يرجع اليه ، وكذلك كان علماؤنا فيما سلف يقبل كل طائفة منهم على علم يقومون عليه دراية ، ويقتلونه بحثا ، وبهذا اتسعت دائرة المعارف وظهرت المؤلفات الفائقة ، وتراهم قد عرفوا من قبل أن نجاح قصر الطالب على الرسوخ في علم يرجع الى ترك الطالب وما تميل اليه نفسه من العلوم ، ومما نقرأ في ترجمة أبى عبد الله محمد الشريف التلمسانى وكان راسخا في المنقول والمعقول — أنه كان (يترك كل أحد من الطلبة وما يميل اليه من العلوم ، ويرى أن كل ذلك من أبواب السعادة)

ومن لطف مبدع الكون أن جعل النفوس تختلف في استعدادها للعلوم والفنون والصنائع لينتظم شأن الحياة وتتوافر وسائل السعادة ، وربما نشأ أفراد في مهدواحد واختلف ميلهم الى العلوم فبرز كل في العلم الذى وافق رغبته ووجه اليه همته ، كأبناء الأثير الثلاثة على [١] الملقب بعز الدين امام في التاريخ ، ومحمد [٢] الملقب بمجد الدين نحرير في الحديث والأدب ، ونصر الله [٣] الملقب بضياء الدين بارع في الأدب وتحرير الرسائل . وكثير من علمائنا كانوا يدرسون علوما مختلفة يبلغون في بعضها الذروة ويكتفون في بعضها بالمقدرة على تدريسها أوتحقيق مباحثها عند الحاجة فهذا أبو اسحاق الشاطبي تقرأ له كتاب الموافقات فتحس أنك تتلق الشريعة من امام أحكم أصولها خبرة ، وأشرب مقاصدها دراية ، ثم تقرأ شرحه على الخلاصة في النحو فتشعر بأنك بين يدى رجل هو من أغزر النحاة علما وأوسعهم نظرا وأقواهم في الاستدلال حجة ، والقاضى اسماعيل من فقهاء المالكية البالغين درجة الاجتهاد في الفقه قد سمت منزلته في العربية حتى تحاكم اليه علمان من أعلامها في مسألة وهما المبرد وثعلب .

وكبير الهمة في العلم يريد أن يكون النفع بعلمه أشمل ، ومما يدرك به هذا الغرض احترامه لآراء أهل العلم ، ولا نعنى باحترامها أخذها بالقبول والتسليم على

---

(١) صاحب كتاب الكامل المعروف بتاريخ ابن الاثير (٢) صاحب كتاب النهاية فى غريب الحديث وجامع الاصول فى أحاديث الرسول (٣) صاحب كتاب المثل السائر

أى حال ، وانما نريد نقدها بتثبت ، وعرضها على قانون البحث ، ثم الفصل فيها من غير تطاول عليهـا ولا انحراف عن سبيل الأدب في تفنيـدها ، والفطر السليمة والنفوس الزاكية لاتجد من الاقبال على حديث من يستخفه الغرور بما عنده مثل ماتجد من الاقبال على حديث من أحسن الدرس أدبه وهذب الأدب منطقه .

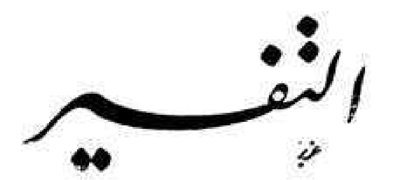
واذا كان الاستاذ كمدرسة يتخرج في مجالس درسه خلق كثير فحقيق عليه أن يكون المثال الذى يشهد فيه الطلاب كيف تناقش آراء العلماء مع صيانة اللسان من هجر القول الذى هو أثر الاعجاب بالنفس ، والاعجاب بالنفس أثر ضعف لم تتناوله التربية بتهذيب .

كبير الهمة يستبين خطأ في رأى عالم أو عبارة كاتب فيكتفى بعرض ما استبان من خطأ على طلاب العلم ليفقهوه ، ويأبى له أدبه أن ينزل الى سقط الكلام أو يخف الى التبجح بماعنده . وقد حدثنا التاريخ عن رجال كانوا أذكياء ولكنهم ابتلوا بشىء من هذا الخلق المكروه فكان عوجا في سيرهم ولطخا في صحفهم ، ولو تحاموه لكان ذكرهم أعلى ، ومقامهم في النفوس أسمى ، ومنزلتهم عند الله أرقى .

وخلاصة المقال تذكير النبهـاء من نشئنا بأن يقبلوا على العلم بهمم كبيرة : صيانة الوقت من أن ينفق في غير فائدة ، وعزم يبلى الجديدان وهو صارم صقيل ، وحرص لايشفى غليله الا أن يغترف من موارد العلوم باكواب طافحة ، وغوص في البحث لاتحول بينه وبين نفائس العلوم وعورة المسلك ولاطول مسافة الطريق ، وألسنة مهذبة لاتقع في لغو أو مهاترة .

ذلك عنوان كبر الهمة في العلم، وذلك مايجعل أوطاننا منبت عبقرية فائقة ومطلع حياة علمية رائعة ، وما نبتت العبقرية في وطن نباتا حسنا ، الا كانت أرضه كرامة وسماؤه عزة وجوانبه حصانة ومنعة .

محمد الخضر حسين



تفسير قصة شعيب عليه السلام

— ٨ —

بسم الله الرحمن الرحيم

حدثناك فيما سبق أن رسول الله شعيبا عليه السلام شرع يبين لقومه الأمور التى يجب عليهم أن يَرَوْها لِيَصِلوُا بعد رؤيتها والتدبر فيها الى العلم الصحيح واذ ذاك تتجلّى لهم حقيقةُ رسولهم الكريم ورسالتِه الالهية ويعلمون أنهم قد ارتكبوا بما زعموه اثما عظيما .

كذلك بينا لك أمراً من تلك الأمور التى لَفَتَهُم اليها ، وهو البينة من ربه عز وجل ، وسنشرع الآن فى بقيتها بتوفيق الله تعالى فنقول :

الأمر الثانى : هو ما ذكره عليه السلام فى قوله (وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً) . الرزق هو النصيب الذى يناله الانسان من وسائل المعيشة فى هذه الحياة وهو نوعان ، رزقٌ قبيح وهو المحرم الذى يناله الانسان من طريق محرّم غيرِ مشروع ورزقٌ حسن وهو الحلال الذى يناله من الطريق الحلال المأذون فيه .

ثم انه عليه السلام أعلمهم بقوله (وَرَزَقَنِى) أن الله تعالى قد تفضل عليه بالرزق كما أعلمهم أيضاً بقوله (مِنْهُ) أن هذا الرزق انما هو من الله تعالى وحده لم يُجْرِهِ على يد أحد من الخلق حتى يكون لغير ربه عز وجل فضل عليه أو مِنَّة كما فى عطايا الأمراء وهِبَات الأغنياء وأنّ هذا الرزق أيضاً رزق حسن حميد .

ثم أن اطلاق حُسْن هذا الرزق يعمّ حسنَه فى الكمّيّة والمقدار فكان لذلك رزقا

كثيراً واسعاً ، كذلك يعمُّ حُسْنَه فى الكيفية والصفة حتى صار رزقا لا قبح فيه ولا تَبِعَة ولا شائبةَ شبهةٍ .

فقد ظهرلك أن قوله عليه السلام لقومه (وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً) قد تضمن عِدَّة نِعَم عظمى هى أنه مرزوق لا محروم وأن الفضلَ والمِنَّةَ عليه فى هذا الرزق انما هما لله لا لأحد من العباد وأنّ هذا الرزق جليل القدر جميل العاقبة لا تَبِعَةَ فيه ولا عتابَ عليه .

فهو عليه السلام قد أُسْبِغَتْ عليه هـذه النعم الجزيلة مع أَنه اذا كال أو وزن أَوْفَى المكيالَ والميزانَ بالقسط ولم يَكْسِبْ إثمـا من الآثام التى كَسَبوها على أنفسهم شراهةً وطمعا وأكلا لأموال الناس بالباطل .

أفلم يكن من الواجب على أهـل مدين حينئذ أن يَرَوْا ماعليه رسولُهم فى شأن رزقه هذا فيعلَمُوا صدقَه فيما دعاهم اليه وأَنه انما بلَّغهم عن ربهم فيؤمنون به ويسلكون طريقته ويتبعون سنته وينتهون عن التطفيف والبخس وسائر ما اجترحوه من السيئات فى جنب الله تعالى وجنب عباده وحينئذ يرزقهم الله رزقا حسناً ويحييهم حياة طيبة مِثْلَ رسولهم ؟

اذا علمت أن رزقه عليه السلام كان رزقاً حلالا رغدا محموداً علمت أيضاً أن قوله (وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً) ينظر الى معنى قوله فى آية أخرى (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ اجْرٍ إِنْ اجْرِىَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) لأن الله تعالى قد تفضل عليه وكَفَلَ له رزقه وأجرَه الحسنَ كما تفضل بذلك أيضاً على سائر رسله لِتَعْلَمَ كلُّ أمة انرسولَها لم يَدْعُها الى مادعاها اليه مُسْتَجْدِيا أو محتالا أو متكسِّباً بدعوى الرسالة .

ولما كان الحديث فى شىء مذكِّرا بنظير ذلك الشىء ساغ لنا أن ننبه المسلمين على أن كل من تزَيَّا بزِىِّ الصلاح وتردَّى برداء التقوى ثم جعل ذلك وسيلة يخدع بها الناس ويغرُّهم فى دينهم وحِبالةً يتصيَّد بها أموالَهم ويسلُب ما فى أيديهم كل أولئك طوائفُ جهّالٌ قد اتخذوا دينَ الله هُزُواًوانحرفوا بأَتْباعِهم عن صراط الله المستقيم واستحلوا أكل أموال الناس بالباطل واحَلوا أنفسَهم واتباعَهم دارَ البَوار فضلوا وأَضلُّوا (وَلَيَحْمِلُنَّ

أَثْقَالَهُمْ وأَثْقَالاً مع أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ . أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ).

الأمر الثالث : هو قوله عليه السلام (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ) قد عرفتَ مما تقدم الأشياء التى نهاهم عنها فاما المخالفة الى الشيء فهى أن يقصد الأنسانُ الشيء ويتوجهَ اليه ليفعله هو بعد أن ينهى غيرَه ويصرفَه عنه ليستقلَّ هو بفعله ويستأثرَ وحده بمنفعته المزعومة . فهو عليه السلام يبين لهم بهذه المقالة أنه مايريد بنهيه اياهم عما نهاهم عنه أن ينصرفَ اليه وينفردَ بفعله بعد أن يتركوه ليختصَّ بمزاياه وفوائده التى توهموها ، والدليل على أنه مايريد ذلك أن الله جل ثناؤه قد رزقه من لدُنه رزقا حسناً لا يستطيعون الى إنكاره سبيلا ، فحاشاه بعد ذلك أن يخالفهم الى ما نهاهم عنه فانك لا تجد عاقلاً مّا قد رزقه الله رزقاً حسناً حلالا طيباً كفافاً ثم يعمِدُ الى الاستزادة من طريق محرم ذميم . فاذا كان ذلك لا يقع من عاقل مّا فما ظنُّك برسول كريم على بينة من ربه وقد رزقه من لدُنه رزقا حسناً وهو رسول الله شعيب عليه السلام .

الأمر الرابع : هو قوله عليه السلام (إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الْإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ) بعد أن نفى عليه السلام عن نفسه تلك الارادة القبيحة وهى مخالفتهم الى ما نهاهم عنه أثبتَ الارادَةَ الحَسَنَةَ وشرحها لهم شرحا اذا عقلوه علموا أنها ارادة صالحة وأن ثمراتها الطيبةَ انما هى عائدة عليهم وهم المنتفعون بها .

يقول لهم عليه السلام : ما أريد بنهيي لكم عن السيئات ولا بأمرى لكم بالحسنات الا اصلاحَ أحوالكم الدنيويةِ والأخروية وتقويمَ ما اعوجَّ من شؤونكم فى معاملة ربكم ومعاملة عباده ثم أعلمهم أن هذا الاصلاحَ الذى يريده لهم انما هو الاصلاح الكامل الشامل لجميع منافعهم لا الاصلاحُ فى الجملة أيّاً كان وهذا هو قوله (مَا اسْتَطَعْتُ) أى ما دمتُ مستطيعاً له فلا أُضيع وقتا أتمكن فيه من الاصلاح ولا آلُو جُهْداً فى بذل نصيحتى ووعظى اياكم .

لعلك قد فطنتَ الى أن هذه المقالة الرابعة وهى (إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الْإِصْلاَحَ مَا

اسْتَطَعْتُ) كما شرَحْتُ ما أراده من النهى كذلك شرَحْتُ ما أراده من الأمر فان الاصلاح يترتب على أمره ونهيه معا فالارادة هنا شاملة لهما أما فى المقالة الثالثة فهى خاصة بارادة النهى بدليل قوله عليه السلام (إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ)

الأمر الخامس : هو قوله عليه السلام (وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ) توفيقُ الله جل ثناؤه للعبد هو أنه يرشده الى طريق الحق والصواب ثم يُمِدُّه بمعونته ويَحُوطُه بحفظه فى اثناء سيره فى ذلك الطريق الى أن يبلغ نهايته ونظيرُه أَنْ ترشدَ غيرك الى طريق السلامة ثم تسيرَ معه فيه حتى يصل الى غايته .

أخبر عليه السلام قومَه أَنه مايريد الا اصلاحَهم جُهْدَ استطاعتِه ثم أخبرهم بعد هذا أن توفيقه لما أراد وتسديدَه للصواب فى جميع شؤونه التى منها اصلاحُهم واصابتَه الحقَّ الذى يرضاه الله سبحانه انما هو بالله القدير وبحسن تأييده ومعونته وحياطته فاذا ما وفقه الله تعالى لذلك استطاع أن يصلحهم ويقيمهم على الصراط السوى فهو عليه السلام يُعلِّمُهم أن الأمور جميعَها فى جملتها وتفصيلها راجعةٌ الى الله وحده لاشريك له فيها ولا مزاحم كما قال عز سلطانه (أَلاَ إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ) .

أخبرهم بهذا ليعلِّمهم أن العبد مفتقر كل الافتقار الى ربه لايملك لنفسه نفعاً ولاضراً الا بمعونته سبحانه وليبينَ لهم أن أصلاحهم مستند فى الواقع وراجع الى الله الذى بيده مَلَكوتُ كلِّ شيء وما شعيبٌ عليه السلام الا مَظْهَرٌ من مَظاهر أفعال الله تعالى ووسيلةٌ من الوسائل التى قضتْ بها حكمتُه البالغةُ .

الأمر السادس : هوقوله عليه السلام (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) قد مضى لنا القولُ فى معنى التوكل فى العدد الأول فارجع اليه اذا شئت .

أخبرهم عليه السلام أنه يَعْلَمُ ان توفيقه لما أراد انما هو فيض يُفيضُه الله تعالى عليه ثم أخبرهم هنا بأنه عامل بذلك العلم ولهذا التجأ اليه سبحانه واتخذه وكيلا فيما يأتى ويَذَرُ ومن ذلك اصلاحُه لهم بقدر استطاعته قاصراً توكلَه على ربه جلت قدرته مُعْرِضا عن الاستظهار والانتصار بغيره من الخلق لأنهم (لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً وَلاَ يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلاَ حَيَاةً وَلاَ نُشُوراً)

الأمر السابع : هو قوله عليه السلام (وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) الانابة الى الله تعالى التى هى وصف المؤمنين الأخيار هى أن يَرجعَ العبدُ رجوعا بالفعل لا باللسان فى وقت أمْنِهِ وسلامتِهِ مختارا الى الله سبحانه يقول لهم : انى أَرْجِعُ بالفعل فى كل شؤونى الى ربى جل ذكرُه مختاراً طائعا اذا كنتُ فى نعمة وخير منه وفاءً بحق فضله علىَّ وشكراً له على نعمته فأذْكرُه وأعرفُه فى وقت يُسْرى ورَخائى . ليَذكرَنى ويعرفَنى وقت عسرى وبلائى . وفى هذا نَعْىٌ على أولئك السفهاء الكاذبين الذين اذا كانوا فى نعمة ويسر وصحة وأمْنٍ نَسُوا اللهَ وكانوا من الغافلين ، واذا نزلتْ بهم كارثة من فقر أو عسر أو مرض أو خوف تذكروا ربَّهم وجَأَرُوا ضارعين اليه ثم اذا كَشَفَ عنهم ضُرَّهم مَرُّوا كأنهم لم يَدْعُوا ربَّهم الى ضُرٍّ مَسَّهم .

وفى القرآن الكريم كثير من الآيات فى شأن أولئك الغافلين عن ربهم الكافرين بنعمه عليهم فمنها قوله تعالى (وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا . بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) ومنها (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ . وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ) .

واجمالُ ماسبق أنه عليه السلام شرح لهم ما أراده من نهيه وأمْرِه لهم وهو إصلاحُ شؤونهم وتقويمُ أمورهم وأنه مايريد مخالفتهم الى مانهاهم عنه ايثارا لنفسه عليهم كذلك شرح لهم بقوله (وَمَا تَوْفِيقِى إِلَّا بِاللهِ) الآيةَ التوحيدَ الخالصَ الذى يجب على العباد جميعاً أن يَدِينُوا به لربهم الذى خلقهم ثم رزقهم ثم يُميتُهم ثم يُحييهم ثم اليه يُرْجَعون . هذا ولا يخفى عليك ما اشتمل عليه كلامه عليه السلام من محاسنة قومه ومجاملته لهم فى فى محاوراته معهم ورفقِهِ بهم فى تليين قسوة قلوبهم واستنزالهم عما أصَرُّوا عليه من معاندته وجمودِهم على بغيهم وطغيانهم مع الاخلاص وبذل الجهد الى غير ذلك مما لا يستطيع الاتيانَ بمثله الا رسولٌ كريمٌ عَلَّمه الله من لَدُنْه علما وأَدَّبه تأديبَ النبيين والمرسلين .

هكذا عاملهم عليه السلام ولكنه ما آنَسَ منهم الا نفورا منه واعراضا عنه وتكذيبا

له لهذا انتقل بهم سالكا سبيل التخويف والتحذير فقال (وَيَاقَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِى أَنْ يُصِيبَكُم مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ) .

صدَّر عليه السلام تحذيرَه بتذكيرهم بما بينه وبينهم من صلة القومية والقرابة التى توجب عليه الاخلاصَ فى نصحهم وبذل الطاقةِ فى اصلاحهم ثم شرع يُقِيمُ وجوهَهم ويَلفِتُ من نفوسهم الى ما جرى على الأمم الخالية عسى أن يزدجروا ويتَّعظوا بهم فلا يَحِيقُ بهم مثلُ ما حاق بتلك الأمم من العذاب الذى استأصلهم حتى جعلهم أثرا بعد عَيْنٍ وصاروا حصيدا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا بالأمس .

يقول عليه السلام : ياقوم لا يكن شقاقُكم لى ومعاداتكُم اياى سبباً فى أن يجُرَّ عليكم جريرةَ الكفر ويُوقِعَكُم فى جريرة التكذيب بدينه وبرسوله فيصيبكم من العذاب والتنكيل بكم مثلُ ما أصاب قوم نوح عليه السلام من الغرَق وفيهم يقول الله تعالى (فَكَذَّبُوهُ[1] فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِى الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِأَيَاتِنَا . إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ[2]) .

أو مثل ما أصاب قومَ هود عليه السلام من الريح الصَّرْصَرِ[3] العَاتِية[4] كما قال سبحانه (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً[5] فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى[6] كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ[7] نَخْلٍ خَاوِيَةٍ[8] فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ) .

أو مثلُ ما أصاب قومَ صالح عليه السلام من الصيحة والرجفة[9] كما حكاه تعالى فى شأنهم (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ[10] كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا[11] فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْداً[12] لِثَمُودَ) (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) .

---

(١) اى سيدنا نوحا عليه السلام (٢) عمياً عن الحق (٣) شديد الصوت (٤) القوية الشديدة عليهم مع قوتهم وشدتهم (٥) متتابعات متواليات (٦) مطروحين هالكين (٧) أصول (٨) ساقطة فارغة (٩) ارتجاج أرضهم وزلزالها (١٠) هامدين خامدين موتى لا حراك بهم (١١) كأنهم لم يكونوا مقيمين فيها (١٢) هلاكا وفناء

ثم انه بعد أن حذرهم ما أصاب تلك الأمم الثلاث ختم تحذيره بما أصاب قوم لوط عليه السلام فقال (وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ) أى إنْ لم تعتبروا ياقوم بتلك الأمم الثلاث ولم تتعظوا بما صبَّه الله عز شأنه عليهم من أنواع العقاب والتدمير وزعمتم أن أعمالهم وزمانهم ومكانهم بعيدة منكم لا تكفيكم فى الاعتبار والاتعاظ بهم فاعتبروا بهذه الأمة قوم لوط عليه السلام فانهم شعْبٌ[1] من الشعوب المهلكة وفريق قريب منكم ليس ببعيد .

قَرُبَ منكم زمانُهم فلا تستطيعون ان تَدَّعُوا نسيانَ ما حلَّ بهم من مصائب كفرهم كما قَرُبَتْ أيضا منكم ديارُهم فسيروا فيها لترى أبصارُكم (اذا عَمِيَتْ بصائركم) جزاء المكذبين وكذلك قرُبَتْ أعمالُهم من أعمالكم فانكم واياهم معًا قد فتنتم[2] أنفسَكم وتربَّصتم[3] وارتبتم[4] وغرَّتكم الأمانىُّ[5] وجادلتم بالباطل فى الحق بعد ما تبين وحاربتم الله ربكم بارتكاب المعاصى وكذبتم الرسل الصادقين المخلصين فكما أنكم جميعا سواسيةٌ فى هذه الجرائم والمخازى كذلك تكونون سواسيةً فى الجزاء على شرور أعمالكم بالاهلاك والإسحات من الأرض بالعذاب الأليم فى الدنيا ولَعَذَابُ الآخرةِ أَخْزَى وأشدُّ وأَبقى .

وجملة المعنى أن أعمالهم جميعاً قد اتحد جنسها وهو الكفر وارتكاب المآثم وأن تخالفت[6] فى بعض الأنواع .

حسن منصور

وكيل دار العلوم العليا سابقاً

---

(١) اشارة الى وجه افراد لفظ (بعيد) دون أن يقول (بعيدين) (٢) حرقتموها عن الايمان (٣) ترقبتم الشر للمؤمنين (٤) شككتم فى دين الله وفيمن جاء به (٥) ماتمنيتموه من هزيمة الحق وانتصار الباطل

(٦) ولهذا التخالف فى الأنواع عبر بما يفيد القرب لا الاتحاد بالنسبة الى الاعمال .



الاسلام دين الفطرة

— ٨ —

(عود لبعض ما تقدم)

لقد عرضنا لموضوع جم المنافع موفور الثمار غزير الفائدة لانكاد ننتهى من طرف من أطرافه حتى يبدو لنا طرف آخر ولا يلحقنا توهم أننا ربما اسأمنا بما كتبنا حتى نرى من جمهور القارئين ولله الحمد من طلب المزيد مايبعث فينا روح النشاط للزيادة من فوائده والاحاطة بما نستطيع من شوارده وما ظنك ببحر مدده الفيض الالهى وهدى أصله النور الربانى وهل نغترف الا من فيض الكتاب الحكيم الذى مافرط الله فيه من شيء . (وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ)

وموضوعنا اليوم تتميم لبعض ماسبق واستيفاء على قدر الطاقة لما فات

ولنجعل ذلك في بابين «الاول» استدراك لبعض أحكام في المعاملات خوطبنا بشأن استيفائها وعلمنا بتطلع رغبات كثيرة لاستجلاء غوامضها و«الثانى» لتكميل موضوعات في الاخلاق عنيت الشريعة الغراء أيما عناية بالتنويه بقدرها وشددت في الحث عليها وأوصت بالاستمساك بها .

فاما «الأول» فنعرض فيه لشيء من جنس ماعرضنا له في باب المعاملات وهو تلك الانواع التى درج الناس على استحسانها وتوهموا فيها مصلحة تحتمها أو على الاقل تبررها وهل يعتبر الشارع تلك المصلحة فيبنى عليها الحكم الذى بناه الناس أو يهملها ولا يعتد بها فيكون ذلك الحكم هدرا أو ملغى لايعتد به .

ثمن ذلك أوراق الحظ و (اليانصيب) (اللوتريه) وحاصل أمرها تعريض سلعة قيمة أو مقدار من المال يكون حصة واحدة أو حصصا متساوية أو متفاوتة . تعريض ذلك لصاحب الحظ الذى يصادفه ممن يبتاع ورقة من أوراق كثيرة جدا يكون آخذوها قد خسروا مادفعوه فيها مهما قل ولم يصادفهم الحظ فياخذوا تلك الورقة السعيدة : يعرض بيت يساوى الف جنيه مثلا لياخذه صاحب الحظ الذى تتاح له تلك الورقة بجنيه وفي سبيلها يطبع عشرة آلاف ورقة يحدد لكل ورقة جنيه فيخسر تسعة آلاف وتسعمائة وتسعة وتسعون شخصا كل منهم يخسر جنيها ويستفيد صاحب البيت مضاعفة ثمن بيته عشرة أضعاف ويستفيد صاحب الورقة السعيدة بجنيه ماقيمته الف جنيه وهو مايبعث الطمع في قلوب الباقين ، وهل في القمار غير هذا ؟ وهل خرب بيوت المقامرين غير ذلك الطمع الاشعبي ؟ يدخل المقامر وهو ممتلىء الجيب مالا والنفس آمالا وربما كان ماله من الضرورى لحياته وحياة ذويه أو من أمانات في عهدته يقضي التصرف في دانق منها على مستقبله وشرفه وحريته ومركزه فتجيء تلك الآمال الواهية الواهنة فتلعب برأسه على ضعفها لعب القوى الجبار - استغفر الله فليس شأن القوى اللعب بل أقوى اللعب لعب الضعفاء كلعب النساء والاطفال — فما هى الا عشية لم يلحقها ضحاها حتى يجد جيبه فرغ من المال وراسه فرغ من العقل ونفسه فرغت من الامل . ولكن ما أسرع مايغذيه الحرص على استعادة مافقد فيتمناه تمنيا شديدا لايزال يقوى في نفسه حتى يخيل اليه أنه على حبل ذراعه بل في متناول يده وليس بينه وبينه الأن يقف على المائدة الخضراء مائدة الجوع والعرى فيمد يده ليأخذ ما أخذه زميله منه بل أكثر بل أضعافه ولم لا وزميله لايمتاز عنه بشيء من انتباه أو تيقظ فيقع ماوقع في المرة الاولى وهكذا دواليك حتى يحيط به اليأس ولا يجد المخلص للنفس الا بازهاق النفس .

مالنا ولهذا ان هذا الكلام في المقامرة والموضوع كان في أوراق النصيب ؟ على رسلك أيها القارىء ، وهل أوراق النصيب غير المقامرة ؟ انها هى ، غاية الامر أنها مقامرة سنوات مكشوفة والميسر مقامرة ساعات مخبوءة فالفرق بينهما كالفرق بين

سم ساعة وسم سنة ، ان مشترى ورقة النصيب يشتريها لانه سيكسب أضعاف قيمتها وان فشل في واحدة أو عشرة أو مائة فان واحدة ستعود عليه بالف لامحالة هكذا يظن أو هكذا يتخيل ثم يجعل ماتخيله حقيقة واقعة ولا يزال هذا ديدنه يذهب ماله دراهم معدودات متتالية وتذهب نفسه حسرات متواليات حتى يأتيه أمر الله بالدمار أو بالممات والواقف أمام مائدة الميسر يسكب ماله دفعا غزيرة طامعا فيأرباح وفيرة واذا به لاغزير الا دموعه ولا وفير الا همومه ، فهما من واد واحد وان اختلفت الاسماء والمظاهر . ويعجبنى تصوير مائدة الميسر بمائدة في وسطها خرق يتدحرج عليها المال يمنة ويسرة وكلما تحرك سقط منهجزء في الخرق وهو مايأخذه مدير نادى الميسر والحركة لاتنقطع وسقوط المال فيها لاينقطع الا باستيعاب الاجزاء الساقطة للمال الموضوع فلا فرق في الخسارة بين الغالب والمغلوب فكل غالب سيعود اليها بكل ماكسب فيعرض لذلك السقوط حتى يكون الكل قد ذهب .

ولعلك تقول اذا كان الامر على ماوصفت فلماذا أباحت القوانين الوضعية أمر اليانصيب في حين أنها حظرت الميسر ؟ . وأقول لك ليس من غرضى في هذا المقام التكلم عن القوانين الوضعية وانما انظر الى الاحكام الشرعية ومع ذلك فان القوانين لم تبحها باطلاق وانما رخصت لبعض الجهات التى تراها خيرية أو لمشروعات نافعة تقوم ببعض مصالح عامة وتحتاج الى المساعدة ، رخصت لها أن ترتكب هذا الامر المحظور باصله لتصل الى مساعدات من الجمهور الذى قصر عن ادراك قيم المصالح العامة ووجوب النهوض بها ومساعدتها فهى تكاد تشبه الانتقام من تلك النفوس الجامدة على الاموال بابتزازها منها بتصوير أنه اعطاء لها وكل من عرف مايدور بخلد المقبلين على مشترى تلك الاوراق لايخالجه شك في أنهم انما يشترونها طمعا في مصادفة السعادة منغير طريقها المأمون ونحن لانرى فيهذه النية مهماكانت حسنة مايسوغ التغرير بالعدد العديد من البسطاء المعوزين فياليت لا ولا ، وان الترغيب في صنع الجميل وفعل الخير وتصويره بصورته الحقيقية وبيان مايعود من نفعه على المجتمع الذى نحن منه وانه سينالنا من فوائده بطريق غير مباشر أضعاف مانبذله في سبيله

ليغنى عن سلوك هذه الطرق المعوجة ويجعل فعل الخير قرين نية الخير فلا يعقبه الاسف ولا الخسران على مافات ولا يسوقه الطمع الكاذب ولا ينحصر في البله البسطاء ولا ينتفع فرد أو أفراد بلاحق على كاهل أفراد لايحصون يصيبهم الضرر والخسارة بلا ذنب جنوه سوى قصر عقولهم، اين النفع الحاصل من هذه الطرق الملتوية المعوجة من النفع الحاصل بغرس تلك البذرة المباركة المستفادة من الحديث الشريف «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» أو «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى» تالله ماحظر الدين على الناس بابا من أبواب النفع الا وعوضهم ماهو خير منه مما لم يحتو على شروره واضراره ولكن الناس ينظرون الى كل حكم على حياله ويغفلون النظر الى الدين في جملته ولقد صدق جل وعلا في خطابه لنبيه الكريم بقوله (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)

ولقد يشبه هذا من بعض الوجوه أنواع من اللهو والخلاعات ترتكب علنا وتسوغها القوانين الوضعية وتستر قبحها بتسميتها بغير أسمائها كبعض أنواع (الفنون الجميلة) نحن لانعادى الجمال ولا ننفر منه والدين لاينفر من الجمال حسيا كان أو معنويا ولكن لانظلم الجمال فنضعه برقعا لاشنع المساوىء والقبائح ونغرى به نفوسا ملكها الاستهتار حتى لاتستطيع منه الفرار فحسبها ماركب في أصل خلقتها من تسلط حب الملاذ الدنيئة عليها (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ) بل يجب تهذيبها بما يعدل هذه الصفات الحيوانية فيها لا أن تلهب نارها ويذكى سعيرها، ليس من الجمال في شيء مايكون فيه انتهاك الحرمات وابتذال المروآت وهتك أعراض الفتيات المصونات، ستقول لى «المصونات» واقول لك واى الفتيات لايرضيك أن يكن مصونات؟ تذكر ماسبق من أن المؤمنين كالجسد الواحد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى وان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وتذكر قوله تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) وقل لى بربك واصدقنى في جوابك أيرضيك أن

أن أختك تقف أمام جمهور النظارة ذلك الموقف المخزى المخجل الذى تشاهده في مظاهر الفنون الجميلة ؟ ستمتعض منى في هذا السؤال اذ ذكرت كلمة الاخت مضافة اليك مما يثير غضبك وانا اتحمل منك هذا الغضب الذى انتظره واشكر لك هذه العاطفة عاطفة الغيرة الشريفة واحتج بها عليك بمقتضى قوله جل شأنه (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)فهى أختك غضبت أو رضيت ولكنك تغفل عن الرابطة التى تربطك بها حتى لو لم تشاركها في الدين لكان لها بك رابطة الانسانية التى تستوجب شفقتك عليها وانك لاترضى لها الا ماترضاه لنفسك والا فانك اذا زينت لها مالا ترضاه لنفسك كنت مغررا غاشا خداعا ولا تغالط نفسك ، وقل لها قولا صريحا انى أخدعك واعبث بعقلك وازين لك مالا أرضاه لامى ولا لاختى ولا لبنتى ، بل انك اذا ذكرت تلك الكلمات أو مرت بسمعك شعرت بتقزز وتحركت نخوتك فاذا كررت على سمعك هاج غضبك وثارت ثائرتك ، انك أيها الداعية لترويج الفنون الجميلة على ذلك النحو الممقوت المرغب لذوات العقول القاصرة فى خوض حمأتها والارتكاس في قذارتها بين أمرين اما أن تقول لهن لستن منى ولست منكن فلا أغار عليكن ولا تتحرك نخوتى لكن ولستن اخواتى ولست باخ لكن وانما انتن فرائس اقضى منها لباناتى على أى وجه كان ، وحينئذ تكون صادق الحديث غير مسموع النصيحة فليست منك نصيحة وانما هى دعوة للشر والضر واما أن تقول لابل نحن أمة واحدة مرتبطة بأمتن الروابط وانى أغار على الفرد من أمتى كما أغار على الفرد من أسرتى فما الامة الا أسرة كبيرة وبقدر شعورها بمتانة رابطتها تكون قوتها ومتانة تركيبها وعلى ذلك أرضى لكن ما أرضاه لنفسى ، فاسمح لى أن أقول لك انك ماصدقتنا الحديث ، والا فأى عظيم أو حقير ممن يدعو الى ترويج تلك المخازى القبيحة باسم الفنون الجميلة رضى أو يرضى أن يكون من أسرته بل ممن يتصل به ولو اتصالا واهيا من تقف ذلك الموقف المخزى المخجل ، ألا فلنعلم كلنا ولنعترف أن كل واحد من أولئك الدعاة اذا عرضت عليه خادم اليستخدمها في منزله ويخلطها باسرته

ثم نمى له عنها أنها شخصت في ساحة الملهى نفر من استخدامها مهما كانت مهارتها في الخدمة وامانتها في المال و كفايتها في العمل اللهم الا ان كان له غرض آخر يخضع له ويرضى بهذا توصلا لذاك ، وان الحجة له في الرفض كلمة حقيرة تجرى على لسانه ولو لم يفكر طويلا فيقول لك مالنا ولهذه نخلطها بنسائنا وبناتنا فتعدى أخلاقهن بالعدوى الذميمة هذا هو الجواب لا أكثر ولا أقل والمشاهدات شاهد صدق . فلا تقولوا لنا اننا نخدم الامة بترقية وجدانها وتهذيب عواطفها وترقيق احساسها ومداركها وهلم جرا من تلك الكلمات المعسولة فما هى الا غطاء رقيق من الشهد على مادة من السم الزعاف الا فاعلموا أن مثلنا في تلك الدعاية التى تذيب الاخلاق والكرامة رويدا رويدا كمثل من يشوى لحوم أبنائه وبناته على نار لينـة ليتلذذ بالتهامها ويشفى مابه من شره وقرم ممقوت .

لقد أشرت في طى حديثى الى التمثيل بفن التمثيل وذكرت كلمة الشخوص في ساحـة الملهى ولم أسمح لقلمى أن يفصل ماتحتويه هـذه الكلمـة مما يعرفه من شاهده أو سمع به ، ولكن ما القول في أمر بلغ من الشناعة والقبح مايعد هذا بجانبه مقبولا مبرورا ؟ هل سمعت أن في بلدك هذا مدارس تسمى باسم مدارس الفنون الجميلة يتخذ فيهـا للدراسة نماذج من فتيـات عاريات تمام العرى لاشيء مطلقا يستر شيئا من جسدهن مطلقا، شابات سويات، جميلات بمقدار مايرضى الفنون الجميلة يقفن أو يجلسن عاريات مكشوفات على أوضاع مختلفة بمقدار مايرضى الفنون الجميلة تمتلىء بهن أنظار شبان في مقتبل الشباب في دور التربية والتهذيب يصورون أعضاءهن من ظهر لبطن وما خفى فهو أفحش بل ماخفى شيء ، اللهم ان هـذا منكر لايرضيك. وانى أمسك القلم واطبق الفم ولاأريد أن أزيد فاللهم اليك المشتكى فوعزتك وجلالك انى لاتمنى أن يكون ما أُبلغته من هذا مبالغة تجاوزت الحقيقة والله عليم بما في الصدور. اعلم ان الجمال حقا هو ماتستريح اليه النفوس الكريمة ولاتنفر منه الطباع السليمة وان الاثم ماحاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه غيرك .

دعنا من هذا وخض بنا في حديث غيره وابتعد بنا عنه قليلا لعل أعصابنا تهدأ ودوح عن نفسنا بذكر شيء نستريح له فكفى كفى هذا الآن فما كنا نحسب أن كلمة الجمال تستعمل هذا الاستعمال وقد قيل ان الله جميل يحب الجمال .

لقد قلنا في صدر هذه الكلمة ان موضوعنا اليوم تتميم لبعض ماسبق واستيفاء على قدر الطاقة لما فات وانا نجعل ذلك في بابين الاول استدراك لبعض أحكام في المعاملات والثانى لتكميل موضوعات في الاخلاق واذ اجتزأنا الآن بما سبق في باب المعاملات فلتروح النفوس باجتلاء محاسن من الاخلاق الجميلة التى عنيت الشريعة الغراء بالتنويه بها وشددت في الحث عليها .

وليكن كلامنا في ثلاثة أخلاق منها ، الصبر،والصدق،والامانة،وانما عنينا بهذه الثلاثة لما لها من عظيم الاثر وكبير الخطر في تربية الفرد والامة وفي شؤون الدنيا والدين ولقد نظمنا هذه الثلاثة في عقد واحد لما بينهما من متانة الاتصال وشدة الارتباط فالصدق في القول فرع من الامانة المطلقة ولا يستقيم كلاهما الا لنفس اعتصمت بالصبر على ماتكره من الآلام والصبر عما يفوته عليها الصدق من اللذائذ التى تجسمها الاوهام فالصبر لاخويه هذين كالاساس الذى يبنى عليه وكالشرط الذى لابد منه .

الصبر : لقد ذكر الصبر في القرآن الكريم بكثرة قلما اتفقت لغيره من الفضائل لما علمت من أنه أصل لجلها ان لم يكن لكلها وذكر مقترنا بأشرف الاعمال والخلال كالصلاة في قوله جل شأنه (وَاسْتَعِينُوا بالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ) وكالحق فى قوله عز وجل (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ)وبيان أنه موهبة من الله فى قوله تعالى (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إلاَّ باللهِ) وتأييد الله لصاحبه بالمعونة فى قوله عز من قائل (إنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) وكذلك شأنه فى السنة جعل قرين النصر فى حديث « واعلم أن النصر مع الصبر» الى غير ذلك مما يفوت الحصر فما هو الصبر وما أقسامه وما منمياته في النفس

التى رزقت حظا منه وما الذى يغرسه في نفس حرمت حظها منه ثم ماهى آثاره في الدين والدنيا ؟ هذا هو ما نريد أن نتحدث اليك عنه فى الجزء التالى ان شاء الله

ابراهيم الجبالى
مدرس بقسم التخصص بالأزهر

***

تأثير المضغ فى الانتفاع بالاغذية

أجريت ثلاث تجارب مختلفة فى معهد الأبحاث الطبية الملحق بجامعة «هلسنجفورس» للتحقق من تأثير المضغ على الانتفاع بالأغذية ، فأخذ لذلك غذاء مركب من البطاطس والقمح والشعير واللحم والفاصوليا والدهن ، وجُرِّب فى مضغه ثلاث طرق للتثبت من مقدار ما يمتصه الجسم ويستفيد منه إذا مضغ قليلا ثم إذا مضغ عاديا ثم اذا مضغ كثيراً ، فوجد أن المضغ العادى لا يختلف فى التأثير للانتفاع بالغذاء اختلافاً كثيرا عن المضغ القليل أو الكثير ، ويرجع ذلك إلى أن الغذاء يجهز عادة على حالة يمكن معها للعصير الهضمى أن يؤثر فيه التأثير الكافى ، هذا فضلا عن أن أجهزة الهضم الأخرى فى جسم الانسان يتمم أحدها عمل الآخر ، فاذا لم يكمل الانسان مضغ الغذاء على الوجه اللازم فتسوّى أجهزة الهضم الأخرى هذا النقص، على أن ذلك لا ينبغى أن يحرض على التساهل فى عملية المضغ لأن هذه التجارب أجريت على أصحاء البنية ، وهناك حالات أخرى قد تسبب أمراضاً كثيرة إذا كان الهضم بواسطة الامعاء مختلا مثلا .

(مترجمة عن مجلة Kosmos الألمانية)

الفتاوى والأحكام

دفع شبهة فى حديث

ورد إدارة المجلة من حضرة الفاضل صاحب التوقيع ما يأتى بعد الديباجة :

س :— جاء فى كتاب السيرة النبوية لمؤلفه السيد احمد زين المشهور «بدحلان» فى باب معجزاته (صلى الله عليه وسلم) ان من معجزاته صلى الله عليه وسلم اجابة دعائه لمن دعا لهم أو عليهم إلى أن قال فى صفحة ٢٣٠ وقد دعا على صبى قطع عليه صلاته أى مر بينه و بين سترته أن يقطع الله أثره فأقعد ، قال ابن مهران : رأيت مقعدا بتبوك يسمى يزيد بن بهران فسألته «أى عن سبب اقعاده» فقال مررت بين يدى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وهو يصلى فقال : أللهم اقطع أثره: فما مشيت بعد ، انتهى . فكيف يتفق هذا ياسيدى مع قوله « صلى الله عليه وسلم » رفع القلم عن ثلاث وعدّ منهم الصبى حتى يبلغ وكيف يليق هذا بمكارم أخلاقه عليه أفضل الصلاة والسلام ؟ .

بنى مزار محمود أحمد عبد المجيد

ج :— الحديث ضعيف على ماصرح به الشهاب الخفاجى فى شرح الشفاء بل مال الحافظ الذهبى الى أنه موضوع واذاً ينهار الاشكال من أساسه على أن العلماء أجابوا عنه على فرض صحته بأجوبة عديدة فقال البرهان الحلبى ، ان الأحكام كانت متعلقة بالصبيان فى أول الأمر كما هى متعلقة بالبالغين فكان شرطها العقل والتمييز لا البلوغ ثم نسخ ذلك بعد أحد على ماقاله السبكى وبعد الهجرة على ما قاله غيره على أننا نرى أن الصبيان يؤدبون فى بعض المسائل وقد جاء فى الحديث (واضربوهم عليها « أى الصلاة » لعشر) وأجاب بعضهم أن ذلك من باب خطاب الوضع الذى لايشترط فيه البلوغ كاتلاف الأموال الذى يوجب القيمة فى مال الصبي فلعل هناك من التأديبات ما يشبهه، وبعض آخر بان النبى صلى الله عليه وسلم أطلعه الله على ما فى نفس الصبى من خبث وما فى استعداده

من شر يؤذى به الناس فكان خيرا له وللناس أن يكون مقعدا كما أطلع الله الخضر على ما سيكون من الغلام الذى قتله لو بقى واذ كر أن السيوطى حقق أن الأنبياء قد يحكمون بالباطن الذى أطلعهم الله عليه ولا بدْع فى ذلك بعد معرفة القضاء السابق والاذن من الله تعالى وكثيرا ما يخالف الباطن الظاهر وان كنامقيدين بالظواهر لأنه لايمكننا تخطيها ولا معرفة ما وراءها فلايجوزلنا فتح هذا الباب لئلا نضل فيه ضلالا بعيدا ونقول من وجه آخر ان عدم المؤاخذة الذى ورد فى حديث رفع القلم عن الصبى انما هو فى الآخرة لا فى الدنيا والعالم ههنا عالم أسباب ومسببات بحيث تجرى أحكامه على كل من برز الى هذا الوجود لا فرق بين صغير وكبير ولهذا نرى الآلام والبلايا تعترى الصبيان كما تعترى البالغين ، ويجوز أن يكون قد دعا عليه النبى صلى الله عليه وسلم فى حال تأثره الشديد بقطع مناجاته تأديبا له على فعلته الشنعاء حتى إذ عرف ذلك كان زاجرا له أن يعود إلى مثلها وما كان من قصده صلى الله عليه وسلم قطع أثره حقيقة وإنما هو جار على ماهو العادة من جعل الجزاء من جنس العمل والدعاء بذلك عند مقتضيه فوافق وقت إجابة سبق بها القضاء الالهى ، ويصح أن لا يكون عالما تمام العلم أنه صبى أو لم يتنبه لذلك صلى الله عليه وسلم كما يجوز أن يكون ذلك المقعد قد أراد أن يعتذر لنفسه عند السامع فيما فعل من قطع الصلاة فذ كر أنه كان صبيا ولعله كان بالغا أو يشبه البالغين ويصح أن يجاب عن الاشكال بأنه اريد بالصبى فى الحديث ما يراد بالغلام والغلام كما فى القاموس يطلق على الكبير وفى حديث المعراج أن موسى عليه السلام قال فى حق النبى صلى الله عليه وسلم هذا غلام بعث بعدى يدخل من أمته الجنة أ كثر مما يدخل من أمتى وقد رأينا أن نقف السائل على ما قيل أوما يمكن أن يقال وله الرأى فيما يرجح أو يضعف وفيما يقبل أو يرد فليس من غرضنا مناقشة الأجوبة ولا الموازنة بينها ولاداعى للاسترسال فى ذلك بعد ماعرفت أن الحديث ضعيف أو موضوع .

حكم القراءة للأموات

وجاءنا من حضرة الفاضل صاحب التوقيع ما يأتى :

س :— هل ينتفع الميت بقراءة الفاتحة وما حكم الصدقة والدعاء له

المنصورة ابراهيم أحمد على

ج :— الصدقة يصل ثوابها إلى الميت قطعا وكذلك الدعاء ولا نعلم فى ذلك خلافا لأن الاحاديث الصحيحة مصرحة بهما فى مثل قوله صلى الله عليه وسلم (اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) وقد ضم العلماء إلى هذه الثلاثة أشياء أخرى . وعن ابن عباس رضى الله عنهما « أن رجلا قال يارسول الله أن أمى توفيت أينفعها أن أتصدق عنها ، قال نعم . قال إن لى مخرافا فانا اشهدك أن قد تصدقت به عنها » أخرجه البخارى وابوداود والترمذى والنسائى (المخراف الحديقة) وعن سعد بن عبادة رضى الله عنه « قلت يارسول الله ان امى ماتت فاى الصدقة أفضل ؟ قال الماء : فحفر بئرا وقال هذه لام سعد » أخرجه أبو داود والنسائى . ولا يعنينا هنا إلا القراءة فنقول ان ثواب القراءة يصل الى الميت على الصحيح الذى هو مذهب الجمهور وقال بعض العلماء انها لا تصل تمسكا بقوله تعالى « وَأَن لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ » وليس فى ذلك متمسك لمن تمسك به فقد أجاب عنه العلماء بان هذا فى حق الكافر لا المؤمن وبأنه بيان للعدل فيجوز أن يعطيه الله جزاء ما سعى وما لم يسع من باب الفضل والفضل لا حجر عليه ويدل على ذلك القرآن نفسه فقد قال تعالى « وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ » وقالت الملائكة فى دعائهم للمؤمنين « رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِى وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ » وقد صرحت السنة بوصول ثواب أعمال الغير للأموات فقد اخرج مسلم عن بريدة (أن امرأة قالت يارسول الله انه كان على أمى صوم أفيجزى أن أصوم عنها قال نعم قالت فان أمى لم تحج قط أفيجزى أن أحج عنها قال نعم) الى غير

ذلك من الاحاديث الصحيحة وفى بعضها. «أرأيت لو كان على أمك دين أ كنت تقضينه» قالت نعم قال« فدين الله أحق بالقضا » ففتح لنا صلى الله عليه وسلم باب القياس فى المسألة بين عبادة وعبادة وقد أفاض فى ذلك العلامة ابن القيم فى كتاب الروح ، على أنه وردفى ذلك أحاديث تصرح بوصول القراءة الى الأموات وقدعمل بها المسلمون خلفا عن سلف فكان اجماعا عمليا من الأمة التى لا تجتمع على ضلالة ، فمن ذلك ما أخرجه أبو دواد من قوله صلى الله عليه وسلم «اقرءوا على موتاكم يس » على ما يتبادر منه ومن ذلك قوله عليه السلام « من دخل القبور فقرأ « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » احدى عشرة مرة ثم وهب أجرها للأموات أعطى من الأجر بعدد الأموات » أخرجه الدار قطنى « واخرج الطبرانى والبهيقى فى الشعب عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا مات احدكم فلا تحبسوه وأسرعوا به الى قبره وليقرأ عند رأسه فاتحة الكتاب » ولفظ البهيقى « فاتحة البقرة » « وعند رجليه بخاتمة سورة البقرة » الى غير ذلك من الاحاديث التى يعمل بها فى مثل هذا الموضوع ، ولتعلم ان العلماء قدنصوا على أن الحديث الضعيف إذا تلقته الأمة بالقبول وجرى العمل عليه كان له حكم الصحيح على ان فى أصل المسأله أحاديث صحيحة كما أسلفنا وقد استدل بعض العلماء على انتفاع الميت بالقراءة عند القبر بحديث العسيب الذى شقّه النبي صلى الله عليه وسلم اثنتين ثم وضعه على القبرين وقال « لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا » فاذا خفف عنهما بتسبيح الجريد فكيف بقراءة المؤمن القرآن .

والخلاصة أن جمهور العلماء يقولون بالوصول وأما بعض العلماء فقدعرفت استدلالهم وما قيل فيه وقد تركنا أجوبة كثيرة عن الآية التى استدلوا بها ويكفى ما ذكرناه فى الموضوع فلنقتصر عليه كى تتفرغ لغيره من الموضوعات فان بقيت شبهة لدى السائل عدنا اليه مرة أخرى

***

حكم التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم

وورد على الادارة من حضرة الفاضل صاحب الامضاء ما يأتى بعد الديباجة :

س :— نرجو من فضيلتكم التكرم بازاحة الستار عن موضوع اهتزت له الآراء وتطاحنت من أجله الجماعات رغبة فى تمكين عرى العقيدة التى اقلقت بال الكثير وهذا الموضوع هو التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى فقد تكلم فى هذا الموضوع الكثير وذهبوا فيه مذاهب شتى حتى أن بعضهم يقول انه اشراك . . . الخ

المنتزه　　　　　　　　محمود على احمد

ج :— ان التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم جائز ونافع وكان ينبغى ألا يكون فيه شبهة وقد ورد ذلك فى الاحاديث الصحيحة كما ستقف عليه عند ما نفيض القول فيه بعد ولكن « نغيث » أولئك الملهوفين « الذين توسلوا الينا » بكلمة موجزة تأتى على الموضوع اجمالا ونرجىء القول فى التفصيل وبيان الأدلة إلى عدد آخر فنقول : ان تلك الطائفة ارتكبت شططا وكفرت المسلمين لأوهى الأسباب غلطا ، والتكفير أمر كبير لا يصح لمسلم يشفق على دينه أن يقدم عليه خصوصا للمستدلين أو المتأولين وانى لا أدرى كيف يكفرون من يقول : ان الله خالق كل شىء ، وبيده ملكوت كل شىء ، واليه يرجع الأمر كله ، والمتوسل ناطق بهذا فى توسله فان المتوسل الى الله بأحد أصفيائه قائل إنه لا فاعل إلا الله ولم ينسب الى من توسل به فعلا ولا خلقا ، وإنما أثبت له القربة والمنزلة عند الله تعالى ، وهى ثابتة لا شك فيها وبها يشفع صلى الله عليه وسلم للخلائق يوم القيامة ، وبهذا الاعتقاد الراسخ الذى يكاد يكون فطريا فى النفوس كلها ذهبت الخلائق يوم القيامة إلى الأنبياء والمرسلين ليشفعوا لهم عند الله تعالى ، على أن المؤمن قد خرج من تلك الوساوس بمقتضى إيمانه بأن الله ليس له شريك وأن لا اله الا هو حتى أننا لو رأيناه أسند شيئا لغير الله عز وجل علمنا بمقتضى ايمانه أنه من الاسناد المجازى لا الحقيقى وقد قررنا ذلك فى نحو قوله « أنبت الربيع البقل » وفرقنا بين صدوره من المؤمن وصدوره

من الكافر فالمستغيث لا يعتقد أن المستغاث به من الخلق مستقل فى أمر من الأمور غير مستمد من الله تعالى أو راجع اليه ، وذلك شيء مفروغ منه ، ولا فرق فى ذلك بين الأحياء والأموات ، فان الله خالق كل شيء ولا تأثير عندنا لشيء فى شيء بنفسه ، فهذا هو ما عليه جماعة أهل الحق . وقد قال تعالى « فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ » وقال تعالى « وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِى الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ » وقال تعالى « فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ » الخ ما فى الكتاب والسنة ، وهو كثير فى لسان الشرع ومعروف فى بديهة الفطر ، واعجب العجب انهم لا يتحاشون الاسناد الى الجمادات ولا يتمعضون منه فيقولون أروانى الماء وأشبعنى الخبز ونفعنى الدواء فاذا سمعوا مثل ذلك الاسناد الى النبي صلى الله عليه وسلم قامت قيامتهم وتبجح سفهاؤهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا واننا نسألهم « وهم أكثر الناس تراميا على الناس » هل تعتقدون ان من تسألونه فى قضاء حاجاتكم خالق مع الله مستقل فاذا اعتقدتم ذلك كنتم أولى بالاشراك ، وان قلتم اننا نذهب اليه ونسند له الفعل والاعطاء والمنع على سبيل المجاز والتسبب فان الله جعله من الأسباب التى يجرى عندها الخير ويخلقه قلنا لكم اننا كذلك فلا فرق بيننا وبينكم وان فرقتم بين الأحياء والأموات قلنا لا فرق فان الفاعل فى كل ذلك هو الله تعالى لا الحى ولا الميت ، واذا كان المتوسل فى الحقيقة انما توسل بمنزلة المتوسل به عند الله تعالى والفاعل هو الله عز وجل لم يكن هناك معنى للتفرقة بين الحى والميت فان منزلته ميتا كمنزلته حيا ، على أن تلك التفرقة لا ينبغى صدورها من مؤمن فضلا عن عالم فانا لأرواح بعد موتها باقية مدركة فاهمة على نحو ما كانت عليه فى حياتها أو أشد ، ولذلك يتساءلون عن الأحياء ، ويفرحون ويحزنون بما يكون منهم ويدعون لهم إلى آخر ما جاء فى السنة ، وقد دعا آدم عليه السلام وغيره لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ، وقد شرع لنا أن نخاطبهم خطاب الحاضر المشاهد فى قولنا « السلام عليكم دار قوم مؤمنين » ونخاطب النبى صلى الله عليه وسلم فى كل صلاة بقولنا « السلام عليك أيها النبى » وتعرض أعمالنا عليه صلى الله عليه وسلم فان وجد خيرا حمد الله وان وجد شرا استغفر لنا ، بل تعرض أعمالنا على آبائنا وأهلينا كما جاء فى السنة ، وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم موسى عليه السلام يصلى فى قبره ورآه فى السماء السادسة وراجعه صلى الله عليه وسلم فى أمر الصلاة

وذكر له حال أمته وقد بلّغنا صلى الله عليه وسلم السلام عن ابراهيم عليه السلام وقد اجتمعت الأنبياء فى بيت المقدس ليلة المعراج وخطبوا وقالوا وفعلوا وسمع بعض الصحابة ذلك الميت الذى ضرب خباءه على قبره يقرأ سورة الملك الخ ماجاء فى السنة الغراء وقد أثبت ابن تيمية وهو مرجعهم الوحيد ومؤسس مذهبهم كرامات الأولياء فى كتبه وكذلك ابن القيم وهو من أئمتهم أثبت فى كتاب الروح أن الروح القوية كروح أبى بكر رضى الله عنه ربما هزمت جيشا إلى آخر ماقال وكذلك الشوكانى وهو من أئمتهم أيضا أثبت جواز التوسل به صلى الله عليه وسلم بل بغيره من الأولياء والعلماء ورد على من قال بقصر الجواز عليه صلى الله عليه وسلم « كالعز بن عبد السلام » فان المدرك فيه واحد وهو مزية المتوسل به وقربه ومنزلته عند الله تعالى وان كان الشوكانى متناقضا وغالطا فى التطبيق فى أشياء كثيرة ، على أن الشوكانى عالم كبير لايتخبط تخبط هؤلاء ، ولا يجهل جهلهم وقد أثبت التبرك بالآثار فى شرح « نيل الأوطار »

وعلى كل حال فلا يتم مذهبهم إلا إذا أثبتوا أن من نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو توسل به قد جعله إلها مع الله ، فان قالوا ان ذلك من لوازم النداء والاستغاثة قلنا لهم انكم اذاً أول المشركين وأكبر الضالين ، فانكم أكثر الناس استغاثة بالمخلوق ، وقد قلنا ذلك الزاما ليجعلوا الايمان قرينة على مايصدر من المؤمن وليس يتم لهم مذهب أيضا إلا اذا قالوا : ان الأرواح قد فنيت بالموت وكذبوا الكتاب والسنة التى أثبتت الحياة للأرواح كلها « حتى أرواح الكفار كما فى حديث القليب وغيره ، أو قالوا : انها باقية لكن ضاعت منزلتها عند الله تعالى ولا تستطيع أن تدعوا الله تعالى فى أمر من الأمور ، أو سلبت منها قوتها وجميع مواهبها فلا يمكنها أن تعمل شيئا وكذبوا بذلك صرائح ماجاء عن النبى صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح اتباعا لوساوسهم ، فاذا قالوا ذلك وخالفوا المعقول والمنقول كانوا أجهل الجاهلين وأضل الضالين ، ولسنا نطيل معهم القول فى هذه العجالة بأكثر من هذا وانا والله نحب أن يكون المؤمنون اخوة كالبنيان يشد بعضه بعضا قائلين «رَبَّنَا اغفرْ لنَا وَلإِخوَانِنَا الذينَ سَبَقونَا بِالْإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِى قُلوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ» اسأل الله أن يزيل الشحناء والبغضاء التى

تحلق الدين من قلوب المسلمين وأن يرشد اخوانا المخالفين إلى مافيه الخير والهدى وألا يجعلهم فتنة للناس بمنه وكرمه .

***

حكم شرب الدخان فى المساجد

وجاءنا من حضرة السائل مانصه :

س:—افيدنا على صفحات مجلة نور الاسلام عن حكم شرب الدخان فى المساجد زادكم الله علما والسلام عليكم ورحمة الله

العلاقه شرقية محمد حسن عمران

ج:—صرح علماء المالكيه بأن أكل البصل والثوم ونحوهما فى المسجد حرام وكذا دخول آكلهما حتى جعلوا من أسباب التخلف عن صلاة الجمعة أن يأكل شيئا من ذلك ولا يجد مايزيله ، وسر ذلك عندهم هو تأذى الناس المجتمعين للجمعة ، وكذلك الملائكة الذين يحضرون مشاهد الخير مع المؤمنين فان ثبت أن للدخان رائحة كريهة يتضرر منها الناس والملائكة على نحو ماذكرنا كان شربه فى المسجد حراما كأكل البصل والثوم ، ونرى من الاخلاص للدين والعلم أن نقول : ان مثل هذه المسألة محل اجتهاد يصح أن تختلف فيها الأنظار وإذا رجحنا فيها شيئا فاننا نكتب عن رأينا وعن رأى فريق من علمائنا والخير كله فى التوسط والاعتدال والشر كله فى الافراط والتفريط وكثيرا مانلاحظ فى المسائل مايترتب عليها ، وما عسى أن تجر اليه ولنقتصر اليوم على هذا وموعدنا فى بقية المسائل العدد المقبل ان شاء الله ؟

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

السُّنَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

— ٢ —

نعيد[١] هنا ذكر الحديث الشريف ليكون بمرأى من القارىء تذكرة له وتيسيرا عليه .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنتُ خلفَ النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال : يا غلامُ ، إحفظِ الله يحفظْك ، إحفظِ اللهَ تجدْه تجاهك ، واذا سألتَ فاسأل اللهَ ، واذا استعنتَ فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ، جفَّتِ الاقلامُ وطُويت الصحفُ .

الشرح

هذا حديث جليل القدر جمُّ الفوائد والمنافع الدنيوية والأخروية ، قد عَلِمَه السلفُ من الأمة الاسلامية وفقِهوا ما فيه من الوصايا والتعاليم وعملوا بها وحَرَصوا على الاعتصام بها والاستقامة على سَنَنِها حتى صلحوا أن يكونوا خلفاء عن صاحب هذا الحديث صلى الله عليه وسلم فأَصْلَحوا بذلك أنفسَهم ونشروا دين الله تعالى وعلَّموا الناس وثقَّفوا عقولَهم وزكَّوا أرواحهم وارشدوهم الى ما تستقيم به أمورهم فى الحياتين الدنيا والأخرى .

هكذا عَمِلَ سلفُنا بهذا الحديث الشريف فأفلحوا وسادوا وعَلَتْ كلمتُهم الصادقة . ونَفَذتْ أحكامهم العادلة ثم خَلَفَ من بعدهم خَلْفٌ انحرفوا عن سَنَن وصايا هذا الحديث

(١) تتمة شرح حديث ابن عباس المتقدم فى العدد السابع .

فانحرفت بهم حياتهم وضعفوا بعد قوتهم وافتقروا بعد ثروتهم وذلوا بعد عزتهم وآل أمرهم الى ما نرى ونسمع و (لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً)

قد قدمنا لك الكلام فيما تضمنه هذا الحديث الشريف من وجوب تربية الاطفال التربيةَ الدينيةَ الصالحةَ ومن تحتُّم العناية بتنشئتهم التنشئة الحسنة فى دينهم ودنياهم وأفضنا لك فى القول فى المضار التى تنتج باهمال هذه التربية وأن الحياة التى فيها المسلمون الآن أصدق شاهد على صحة مانقول ولله عاقبة الأمور .

اشتمل هذا الحديث الشريف على سبع وصايا وتعاليمَ اسلامية .

الوصية الأولى : قولُه صلى الله عليه وسلم (إحْفَظِ اللهَ يَحفظْك) أمَرَه صلى الله عليه وسلم أن يحفظَ الله تعالى شأنُه ، ومعنى أن العبد يحفظ الله سبحانه واضح بيِّن لاخفاء فيه ، ألاَ ترى أنه عليه الصلاة والسلام أمر ابن عباس به وهو غلام صغير فلم يَخْفَ عليه المعنى ، بل فهِمَ المرادَ من حفظه لله تعالى .

على أن ذلك المعنى المراد مع وضوحه قد جاء مصرّحا به فى القرآن الكريم فى بيان أوصاف المؤمنين الذين اشترى الله الغنى الحميد منهم أنفسَهم وأموالَهم بأن لهم الجنة اذ قال (وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ) فكأنه قال له احفظ : يا غلام حدود الله **يحفظك** كما قال سبحانه فى آية أخرى (وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ)

ثم ان حدود الله تعالى هى تكاليفه وأحكامه التى عَرَفها المسلمون وجاءت مفصلةً فى الشريعة السمْحة . وهى نوعان « الأول » أحكام تتعلق بأعمال القلوب وحفظُها ورعايتها أعظم وآكدُ من حفظ ورعاية الاعمال التى ليست بقلبية « الثانى » أحكام متعلقة بأعمال الجوارح والاعضاء الظاهرة وهى الأعمال التى عليها مصالح الدين وهى العبادات من الصلاة وغيرها ومصالحُ الدنيا أيضاً وهى المعاملات الجالبة للمنافع والدافعة للمضار دينية كانت تلك المنافع والمضار أو دنيوية فى الأنفس والأعراض والأموال أولا .

أمر النبى صلى الله عليه وسلم ابنَ عباس أن يحفظَ حدودَ الله عز وجل ولكنه فى الحقيقة أمر للأمة بأسْرها فانه ما من أحد الا وهو مأمور بهذا الحفظ لأنه حق وجب لله العلى الكبير بمقتضى الهيتّه على العبد بمقتضى عبوديته لله رب العالمين .

فهل يرى المسلمون الآن انهم حَفظوا حدودَ الله حتى يستحقوا أن يتفضل الله تعالى عليهم بالحفظ فى الحياة الدنيا والآخرة ؟ هل عملوا بها ورعَوْها حقَّ رعايتها وصانوها عن الاهمال والضياع ؟ هل دافعوا عنها وناضلوا من يَعيبونها ويدبّرون لها التدبيرَ السيء ويَكيدون لها كيدا ؟ هل شعَرَ المسلمون أن أناسا ادَّعَوا الاسلامَ وتستَّروا به ثم أخذوا يطعنون فى حدود الله العزيز الحكيم ويشوهونها ليُخرجوا المسلمين من نور دينهم الى ظلمات مفترياتهم وشكوكهم وأباطيلهم ؟

اذا لم يكن المسلمون قد استيقظوا من سُباتهم ولم يُعنَوْا بما يَكيده لهم أعداء دينهم وقالوا : (ان للدين ربًّا يَحْميه دون أن نتجشم قولا أو فعلا نصدّ به أولئك الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون) اذا قالوا ذلك فانهم يكونون كبنى اسراءيل اذ قالوا لرسولهم سيدنا موسى عليه السلام (إذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فقَاتِلاَ إِنَّا هَهُنا قَاعِدُونَ) . بل كانوا أجهلَ منهم وأسوأ حالا ومآلا .

ان الذين يظنون أن الله تعالى هو الذى يتولى وحده نصرَ الدين والذودَ عنه من غير أن يدافع عنه المؤمنون به ويُعِدُّوا لنُصرته وصد أعدائه عنه ما استطاعوا من قوة و بذل أرواح وأموال ويتفقهوا فيه ويعملوا به ليكونوا على بينة منه وقدوةً حَسَنَةً يُؤتَسَى بها . هؤلاء يكونون قد ظنوا ظن السَّوْء واخطأوا خطأ مبيناً .

ألم يعلموا أن النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه قد لاقَوْا من أعدائهم مالاقَوْا من الأذى بالقول والفعل وصدّ الناس عن سبيل الله ثم قام صلوات الله وسلامه عليه هو والذين آمنوا معه بالمناضلة عن دين الله القوى المتين مؤتمِرين بما أمرهم الله به من إعداد العُدةِ لإعزاز دينه ورد كيد أعدائه عنه مخلصين فى ذلك واثقين بانجاز ما وعدهم الله سبحانه به من تأييده لهم برُوح من عنده وتثبيت أقدامهم أمام أعدائهم وقد فعل ، كل ذلك منه عز وجل ليعظمَ لهم أجورَهم وليمتحنَ بعضَهم ببعض وليتبينَ المؤمنون حقا من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبُهم كما قال جل ذكره (يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ) وكما قال : (وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لاَنْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ) .

هذا هو الذى فرضه الله تعالى على المؤمنين بدينه فرضاً لا هَوادَةَ فيه لا يقبل منهم بعده عذراً ولا يستطيعون معه صَرْفاً [١] وَلاَ نَصْراً [٢] وهذا هو الذى قام به الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون لهم باحسان حتى ثبتت قواعد الاسلام وعمَّ هَدْيُه أقطارَ الأرض مشارقَها ومغاربَها ومزَّقَ الحقُّ الباطلَ وأشياعه كل مُمزَّقٍ . و (ظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ) .

قال الله عز وجل فى شأن الذين نصروا دينَه واثقين بصدق وعده (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِى سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) وقال فى شأن الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم الخاذلين للاسلام المخذِّلين عنه (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ [٣] بِمَقْعَدِهِمْ [٤] خِلاَفَ [٥] رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا [٦] لاَ تَنْفِرُوا [٧] فِى الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) .

قدَّمْنا لك أن حدود الله تعالى تتعلق باعمال القلوب كما تتعلق باعمال الجوارح الظاهرة فنقول الآن :

لو حفظ المسلمون حدود الله تعالى فى أعمال قلوبهم لطهرت أرواحهم ولزَكت نفوسهم ولشُفيتْ صدُورهم من العقائد الباطلة ولكان ذلك تثقيفا لما اعوجّ من العقول وتوسيعا لما ضاق من المدارك ونَزْعاً لما فى الصدور من الغل والحقد ولكان مكرِّها اليهم الالحادَ والفسوقَ والعصيانَ والغشَّ والخيانة ونقضَ العهود والمواثيق ومُحبِّبًا اليهم الأيمانَ الصادقَ ومُزيِّنًا له فى قلوبهم ومرغبًا لهم فى المسارعة الى الخير والتنافس فى البرّ ومُوَاساة المحتاجين والمُعْوزين وفى المسابقة الى ما يرضاه الله ورسوله مع الاخلاص فى كل ذلك ليتقربوا به الى الله زُلْفَى عسى أن يُصْلِح بالَهم ويُدخلَهم الجنة عَرَّفَها لهم .

ولو حفظوها كذلك فى أعمال جوارحهم لكفُّوا ألسنتهم عن الكذب وقول

---

(١) دفعا وردا للعذاب (٢) من أنفسهم ولا من غيرهم (٣) الذين تخلفوا عن الخروج الى غزوة تبوك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) بقعودهم (٥) بعد (٦) قال بعضهم لبعض (٧) لا تخرجو الجهاد .

الزور والسِّباب والغيبة والنميمة والنَّبْز[1] بالالقاب وتمزيق الأعراض وسائر أنواع الهُجْرِ والفُحْش فى القول ، ولأقلعوا عن السرقة والزنى والقتل والتعدى وكيد المكايد وتدبير السوء واتلاف بعضهم أموال بعض بحرق الزروع ونزعها من مغارسها وتسميم الماشية وغير ذلك مما هو منتشر فى البلاد وآل به أمرهم بعد ذلك الى التخاصم والتنازع حتى غصَّت بهم المحاكمُ وسئمهم القضاء .

كذلك لحفظ أصحاب الأموال أموالهم من انفاقها رئاء الناس فى المباهاة والمفاخرة كما يفعلون فى الأعراس والمآتم وولائم رمضان وغيره . ومن انفاقها أيضاً فى أصناف الفسوق والفجور التى زعموها عُنوانَ المدنيّة والرقىّ والمعرفة وعابوا من تركى عنها ورمَوْه بانه جامد صُلْبٌ مغرور بالقديم عدو لكل جديد . كانفاقهم أموالهم فى ملاعب الميسر وصيد الحمام ورهان السباق .

وكذلك يكونون قد حفظوا عقولهم وأبدانهم وأنسابهم وأعراضهم وأقدار أُسَرِهِمْ فلم يضيعوا أموالهم بانفاقها فى الخمور وغيرها من هذه السموم المهلكات المفسدات للعقول الفاتكات بالاجسام بل السائقات الى القبور أو بانفاقها فى شهوات الحيوان بالتزوج بمن لايليق بمثله أن يتزوج بها لانحطاط فى قدرها أو لفساد فى أخلاقها أو لتباين فى العادات والاصطلاحات حتى ادى ذلك الى الشقاق والقتل والخصام والترافع الى القضاء كما سمعنا وشاهدنا ذلك كثيراً فى التزوج بالأجنبيات وغيرهن .

كذلك كانوا يحفظون أسماعَهم عن الفاحش من الكلام والاكاذيب والمفتَرَيات التى تُفْتَرَى على الناس وعلى الله وعلى شرائعه الآلهية ، ولحفظوا أبصارهم عن المحرمات التى أنكرها دين الله تعالى والعقلاء من الناس ، ومن ذلك ما يتهافت الناس رجالا ونساء وشبانا على سماعه ورؤيته فى المجامع المعروفة التى ينفقون فيها أموالهم بسخاء حتى صارت مقابرَ يدفنون فيها أموالهم التى جعلها الله لهم قياما ولحياتهم عمادا ، ولحفظوها أيضاً عن سماع وقراءة ما يكتب فى نهش الأعراض واتهام الابرياء وقذف الطيبين والطيبات وعن

---

(١) التسمية بالاسماء القبيحة . كالاعرج والغبى

قراءة وسماع مايكتب ويقال لتشكيك الناس فى دينهم وأفساد أخلاقهم واذاعة كل ذلك بين الناس . كبيرهم وصغيرهم ذكورهم واناثهم .

لو حفظ المسلمون حدود الله تعالى لحفظهم ولوفاهم وعده الذى وعدهم فى قوله (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) .

ولكنهم لم يحفظوها كما أُمروا فلم يحفظهم ونسوا الله فنسيهم ووكلهم الى أنفسهم فضاعوا وحقّ عليهم قولهُ سبحانه (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَىْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ) وقوله (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) حقًا (إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)

حسن منصور
وكيل دار العلوم العليا سابقاً

أنواع اللعاب

جاء بمجلة (Kosmos) الألمانية أن الأستاذ الدكتور «هوجولير» قام بأبحاث وتجارب علمية أثبت بها أن لُعاب الانسان يختلف حسب أجناس بنى آدم المختلفة وتمكن من التحقق من وجود أربعة أنواع مختلفة ، إذا مزج أحدها بأحد أنواع الدم المعروفة ولم يكن بينهما قرابة فى الجنس الآدمى فتتكون أشكال كرية ، هـذا فضلا عن أن الابحاث التى أجراها الأستاذ «لير» تحمل على الاعتقاد بأن العصارات الجثمانية الأخرى — أى ماعدا الدم واللعاب — تختلف فى تكوينها من حيث قرابتها وتبعيتها إلى جنس خاص من بنى آدم ، ولا زالت الأبحاث جارية للتحقق من ذلك واثباته ؟

كتاب يلحد فى آيات الله

قرر الأسلام للمرأة حقوقا رفعت شأنها وجعلتها عضوا عاملا فى دائرة الصيانة وعلى وجه يحفظ بينها و بين زوجها وأقاربها المودة الصادقة والعاطفة الفياضة بكل خير، وما زالت المرأة المسلمة تعيش مع الرجل القائم على آداب الاسلام مغتبطة هانئة، شأنها النظر فى تربية الولد وتدبير المنزل، وشأن الرجل معاشرتها بالمعروف، والقيام بحاجاتها ومسايرة رغباتها مادامت محفوفة بسياج الطهر والحياء، وما زال المصلحون يدعون الى رعاية حقوقها المنبه عليها بقوله تعالى (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) حتى ظهر نفر تخيلوا أن الرقى كله فى مظهر المرأة الأوربية فقاموا ينادون لأن تتبع المرأة المسلمة المرأة الأوربية شبرا بشبر وذراعا بذراع .

نقول هذا بمناسبة الحديث عن كتاب ظهر فى تونس منسوبا الى بعض من لبست نفوسهم من التجافى عن الدين ما لبسته نفوس هؤلاء الذين يزعمون انهم أنصار المرأة ويقولون — والجهل ضارب فى أدمغتهم - إن الاسلام ظلم المرأة، ويذكرون تعدد الزوجات، وجعل الطلاق فى يد الرجل، وجعل نصيبها من الأرث نصف نصيب الرجل ونحو هذه الاحكام مما قرره الاسلام وعرفت العقول السليمة حكمتها وموافقتها لما تقتضيه نظم الحياة الراقية، باطل من القول لغط به نفر من غير المسلمين فى الشرق فوقع فى أذان أحداث فى تونس ولم يجد لديهم من متانة العقيدة وقوة البصيرة مايدفع عنهم خبثه، فأساغوه ورددوا صوته محاكاة لأولئك النفر، والمحاكاة فى الباطل أدل على قصر النظر من ابتكاره، ولكن المستعدين للتقليد فما تشق به الأمة لا يفقهون

ظهر هذا الكتاب منسوبا لأحد من يحملون شهادة « التطوع »[1] بجامع الزيتونة وقد سلك صاحبه طريقة مخادعة الغافلين من المسلمين بتأويل نصوص الشريعة وتحريف كلمها عن مواضعه، ولم يتعظ هذا الكاتب بمن ذهب فى الكيد للدين هذا المذهب

---

(١) شهادة يأخذها الطالب بعد ان يقضى فى الطلب نحو سبع سنين، ولعلها تساوى الشهادة الأهلية فى الازهر الشريف، وسميت (تطوعا) لانها تخول صاحبها ان يدرس فى الجامع متطوعا

فخاب سعيه ولم يزد على ان كشف للناس سريرة مغبرة كانوا يظنونها نقية ، بل أحيا شعورا دينيا كان فى بعض النفوس خاملا ، إذ دل المسلمين على أن من وراء هـذه الأقلام ضمائر لاترجو لله وقارا ، وأيديا تعمل لتقويض بناء الشريعة ليلا ونهارا

ظهر هذا الكتاب فقابلته الأمة التونسية بالانكار ، وقامت الصحف هنالك بواجبها فنقدته من الوجهتين : الدينية والاجتماعية ، وكتب بعض العلماء مقالات فى بيان مافيه من جهالة وغواية ، وألفت النظارة العلمية بجامع الزيتونة لجنة من العلماء الذين درسوا أصول الشريعة على بصيرة ، وعرفوا باستنارة الفكر وتمييز الجديد النافع مما هو جديد آثم ، فدرست اللجنة الكتاب ووضعت تقريرا فيما احتواه من منكرات وضلالات .

لقى الكتاب مايستحق من التفنيد وسعى النظارة العلمية لتجريد صاحبه من الشهادة التى يحملها ، ولكنه لم يعدم ان يجد أفرادا يموهون باطاه ويروّجون زائفه ، فأقاموا لصاحبه حفلة تكريم وعجلوا الى بث دعاية له فى مصر ولفقوا مقالات حملوا فيها على العلماء وأرباب الصحف الذين نقدوا الكتاب بعقل وفضحوا مافيه من تضليل ، ثم بعثوا بتلك المقالات إلى صحف لاترعى للحقائق ذمة ، فنشرتها لهم ولم يكن لها من الأثر سوى ارتياح غير المسلمين لأن يرمى الدين الحنيف من معهد أسس ليكون حصنا للدين مانعا

وفى هذه المقالات اغتباط اولئك النفر بأن بعض الفرنسيين كانوا فى جانب صاحب الكتاب يدافعون عنـه وينقدون سلوك الصحافة التونسية فى الرد عليه ، ولم لايكون الفرنسيون فى جانبه وهو يضرب الاسلام فى الصميم ، ويأتى لهدمه من باب لايستطيع الفرنسيون أن يأتوه وهم فرنسيون ؟؟

وفى هذه المقالاة رمى المستنيرين كالمحامين والاطباء فى تونس بأنهم خذلوا صاحب الكتاب لغايات شخصية ، ونحن نرى فى مصر محامين وأطبـاء يؤمنون بالقرآن أبلغ الايمان ويرون ان مامنحه الاسلام المرأة من الحقوق هو عين الصواب ، وما عداه جهل بعواقب الامور ، ولم لايكون المحامون والاطبـاء فى تونس قد جمعوا الى علم الحقوق والطب هداية وتوفيقا . ؟

وزعم كاتب تلك المقالات ان النظارة العلمية عقدت لجنة من بعض أعضائها ومن

بعض المدرسين ، وقرروا — فيما بلغهم — ان المدرك التشريعى الذى يراه مؤلف الكتاب لا ينافى الاسلام إلا أن المؤلف لم يبلغ رتبة الاجتهاد

وقد اطلعنا فى الصحف التونسية على مايخالف هذا الزعم، قالت جريدة « الزهرة » الغراء (بلغنا أن اللجنة التى الفتها النظارة العلمية للنظر فى كتاب « امرأتنا فى الشريعة والمجتمع » قد أتمت أعمالها وأنهت تقريراً فى ذلك للوزارة الكبرى ، وكان جميع أعضاء اللجنة على وفاق تام مجمعين على ان الكتاب المذكور يحوى فى عدة نواح منه أوجها كثيرة من الضلال والتضليل ، وبهذه الصفة يعتبر مروقا من الدين وخروجا على إجماع الأئمة من علماء الاسلام ومحاربة لحضرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم)

ونقلت جريدة « الوزير » الغراء محادثات فى شأن الكتاب جرت بين رئيس تحريرها وفضيلة شيخ[1] الاسلام بتونس الشيخ « احمد بيرم » وبعض أعضاء اللجنة ، ومما قاله شيخ الاسلام فى حق الكتاب : إنه (يخالف الشريعة الاسلامية فى كثير من المواقف كمسألة تعدد الزوجات ومسألة الميراث ومسألة الحجاب) وقال رئيس الافتاء المالكى الشيخ « محمد الطاهر بن عاشور » : إنه (يشتمل على مخالفات كثيرة لاحكام الشريعة الاسلامية تعد ضلالات ، وقد بنت اللجنة رأيها الذى يحوم حول هذا) وقال المفتى المالكى الشيخ « أبو الحسن النجار » :(إنه يخالف النصوص الشرعية لافروعها فقط بل فى أصولها وما علم من الدين بالضرورة) وقال المفتى المالكى الشيخ « عبد العزيز جعيط » (وفى رأيى الخاص أن كثيرا مما تضمنه الكتاب يوجب المروق من الدين)

هذه أراء شيخ الاسلام بتونس وبعض أعضاء اللجنة المكلفة بفحص الكتاب ، وهى صريحة فى أنهم يرون أن فى محتوياته ماهو ضلالة ومروق من الدين ، وليس من المعقول أن يقول عالم مسلم فى الحكم على مثل ذلك الكتاب : إن المدرك التشريعى الذى يراه مؤلفه لاينافى الاسلام ، فقد وصلت الى إدارة هذه المجلة نسخة من هذا الكتاب فقرأناه فإذاهو يعتسف طرقا ملتوية ويرمى بأقوال منكرة ويتشبث باراء منبوذة، ولو قصر صاحبه البحث على تعليم المرأة وتربيتها وإنكار مايفعله بعض الرجال من الاستخفاف

---

(١) هو لقب رئيس الافتاء الحنفى

بحقوقها والمبالغة فى حجابها ، لقلنا كتاب يدعو الى ناحية من نواحى حياتنا الاجتماعية وكان حظه منا شكراً وتقريظا ، ولو ذهب صاحبه فى البحث مذهب من لا يعرف الشريعة فقرر آراءه الخاصة دون أن يتعرض للقرآن الكريم ، لقلنا نسى تعاليم الاسلام وكانت خطة العلماء معه أن يذكروه بأن آراءه فى واد ، والدين فى واد ، وكان له الخيار بعد هذه التذكرة أن يتشبث بهذه الآراء المنحدرة من عقول داجية ، أو يرجع الى شريعة نزل بها الروح الأمين على خاتم النبيين لتكون هداية للعالمين ، ولكن هذا الكاتب لم يتحر فيما كتب الطريقة الصالحة ولم يتق الله فى شريعته الغراء فأقبل على القرآن يحرف آياته عن مواضعها ، ويضاهى الذين يخادعون الله فى تأويلها ، ولا حاجة بنا الى تتبع خطيئات الكتاب بعد ان تصدى طائفة من علماء تونس ونبهائها الى نقضه وبيان مايحمله من أباطيل ، وحسبنا أن نسوق الى القراء أمثلة يعرفون بها كيف قام ذلك الكاتب يردد صوت هؤلاء المخالفين الذين يحاربون الاسلام فى غير استحياء

قال ذلك الكاتب « يجب ان نعتبر الفرق الكبير بين ماأتى به الاسلام وجاء من أجله وبين ما وجده من الأحوال العارضة للبشرية والنفسيات الراسخة فى الجاهلية قبله دون أن تكون غرضا من أغراضه » وجعل الكاتب فى القسم الأول عقيدة التوحيد ومكارم الأخلاق ، وجعل فى القسم الثانى تعدد الزوجات ونحوه ،وقال عن هذا القسم « لا يمكن اعتباره حتى كجزء من الاسلام » .

جاء الاسلام لبيان العقائد الصحيحة ومكارم الأخلاق ، وجاء لتقرير أحكام العبادات والمعاملات ، فالجميع جاء من أجله الاسلام وإن اختلفت مراتب الأحكام شدة ورفقا وما يترتب عليها من المصالح قوة وضعفا ، وزعمُ أن الاسلام جاء من أجل العقائد والأخلاق وأن فى أحكام المعاملات مالم يأت الدين من أجله ولا يعد كجزء منه ، إنكار لجانب عظيم من الشريعة ، وطرح أحكام المعاملات وإباحة الحكم فيها بغير ما أنزل الله باعتقاد أنه أحفظ للمصلحة انسلاخ من الدين بلا شبهة ، وتعدد الزوجات من قبيل ما أنزل الله حكم باحته قال تعالى (فَانْكِحُوا مَاطَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) فمن قضى بمنع قضاء عاما معتقداً أن المصلحة فى هذا المنع فقدقضى بغيرماأنزل الله وأصبح مصداق

قوله تعالى (وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)

اختلق الكاتب هذا الرأى ليبنى عليه طرح كل حكم فى الاسلام لايوافق ذوقه أو هواه بزعم أن الاسلام لم يجىء من أجله وأنه لا يعد كجزء منه وإن جاء به نص صريح فى الكتاب أو السنة المتواترة ، وهذارأى لايرتاح اليه إلا من يسره كثرةسوادالمنسلخين من الدين . اذ لامعول يفعل فى هدم الشريعة فعله لو أنه وجد فى الناس غفلة وجهالة .

وقال الكاتب « إن الاسلام لم يقرر نزول ميراث المرأة عن الرجل كأصل من أصوله التى لاتتخطاها »

هذا مما بناه الكاتب على زعمه أن من أحكام الاسلام مالم يجىء الاسلام من أجله ، يقول الله تعالى (يُوصِيكُمُ اللهُ فِى أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ) الى قوله تعالى (وَصِيَّةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ)

فالله تعالى يوصى بأن تعطى الانثى نصف ما يعطى الذكر ويجعل هذه الوصية حداً من حدوده ويتوعد على تعديها بالنار والعذاب المهين ، وذلك الكاتب يريد من المسلمين أن يهملوا وصية ربهم ويتعدوا حدوده ويجعلوا ميراث الأنثى مساويا لميراث الذكر على الرغم من الحكم الواضحة فيما أوصى الله به من إعطاء الذكر مثل حظ الأنثيين ، وستقوم المجلة بنصيبها من بحث هذه الحكم إن شاء الله تعالى فى غيرهذا المقام .

وقال الكاتب « لقد حكم الاسلام فى آيات القرآن بتمييز الرجل عن المرأة فى مواضع صريحة وليس هذا بمانع أن يقبل بمبدأ المساواة الاجتماعية بينهما عند توافر أسبابها بتطور الزمن مادام يرمى فى جوهره إلى العدالة التامة وروح الحق الأعلى »

الاسلام يرمى الى العدالة التامة ، وقد قرر أصلا هو أن تكون المرأة فى عفاف ، فمن العدالة التامة أن ينهى عن اختلاطها بالرجل إلا أن يكون محرما ، وقرر على الرجل القيام بحاجاتها وحاجات مايرزقان من ولد ، فمن العدالة التامة أن يكون حظ الرجل من الميراث

أ كثر من حظها، وهل فى الأزمنة طور يقتضى بطبيعته سقوط العفاف من حساب الفضيلة؟ وهل فى الأزمنة طور يقتضى بطبيعته وضع نفقة الرجل وولده على عاتق المرأة؟ يكون هذا الطور عند ما يخلق الرجل والمرأة خلقا آخر، وذلك ما لا يقصد الكاتب الحديث عنه.

ومن جرأة الكاتب قوله « ليس لى أن أقول تعدد الزوجات فى الاسلام لأنى لم أر للاسلام أثراً فيه وإنما هى سيئة من سيئات الجاهلية الأولى »

يقول الله تعالى (فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ) ويجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النكاح بين اثنين أو ثلاث أو اربع، والرسول عليه الصلاة والسلام يشهد ذلك ويقرهم عليه، واستمر العمل على تعدد الزوجات جاريا فى الأمة جيلا بعد جيل، حتى أتى هذا الكاتب فرأى أن ينفيه من الاسلام على الرغم من أنه منصوص فى كتاب الله والعمل به جار منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يظن بمسلم الجهل بأن تعدد الزوجات مما أباحه الاسلام، ولكن الكاتب أراد تقبيحه وهو ممن يزعم أنه يتكلم بلسان الشريعة فقدم جحوده لأن يكون من الاسلام حتى يتيسر له أن يصفه بأنه سيئة من سيئات الجاهلية.

يجىء الكاتب الى الحديث الصحيح ويحاول رده بزعم أنه تكلم فى سنده وليس لهذا الزعم وجه سوى أن الحديث لا يوافق الرأى الذى أحب تقليده، كما قال « وروى بعض أهل الحديث أنه عليه السلام قال ما معناه (النساء ناقصات عقل ودين) ورغما مما قيل فى سند هذا الحديث الى النبى فانه على فرض صحته لا يدرى أكان يحدثنا به عن أصل تكوين المرأة فى جوهرها ـ ولا دليل على ذلك من لفظ الحديث ـ أو هو يعبر عن حالتها فى تلك العصور يعتذر عن بعض هفواتها لسائليه أو سامعيه »

كلامه هذه يدل على أنه متهجم على الشريعة بهوى أكمه وأنه لا يتكلم فى الدين بعد البحث ولو قليلا، والحديث الذى أشار اليه الكاتب مروى فى صحيحى البخارى ومسلم، ولفظه فى البخارى (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل منكن « قلن وما نقصان ديننا وعقلنا يارسول الله» قال: «أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل»

قلن بلى ، قال « فذلك نقصان عقلها أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم » قلن بلى ، قال « فذلك نقصان دينها »

فالحديث فى الصحيح وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم ماذا أراد منه ، والوجه الذى ذكره فى نقصان دين المرأة يرجع الى أمر لازم لها من جهة الأنوثة وهو الحيض ، فان كان للعصور طور ينقطع فيه الحيض عن النساء جملة حتى يؤدين الصلاة والصيام فى أوقاتها المحدودة ، لم يكنّ حينئذ ناقصات دين .

والوجه الذى ذكره عليه الصلاة والسلام فى نقصان عقلها أعنى عدم مساواة شهادتها لشهادة الرجل مبنى على مايغلب على النساء من النسيان ، والأحكام العامة تبنى على الغالب .

ولعل الكاتب ينكر أن النسيان يعرض للنساء أكثر من الرجال وإن دل عليه قوله تعالى (أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى) فننبئه أن بعض علماء أوربة قرروا أن فى ذاكرة المرأة ضعفا وأنها لاتستحضر الماضى كما يستحضره الرجل .

فهذا الدكتور أوتو فينجر Otto Weininger الطبيب الفيلسوف النمساوى شهد فى كتابه المسمى « الجنس والأخلاق (١) » Geschlecht und Charakter فى صحيفة ٩٤ — ١١٦ بأن المرأة ضعيفة الذاكرة فقال « إن التذكر هو التغلب على مامضى من الزمن واستحضاره فى الذهن ، ولا يمكن المرأة ـ لأسباب عضوية و نفسية ـ السيطرة على هذه الموهبة لأن حياتها متقطعة لاتذكر منها إلا اليسير ، بخلاف الرجل فانه يمكنه تتبع سلسلة حياته حلقة فحلقة ، ولا يغيب عنه جوهرها فى أى وقت من الأوقات » بل قرر فى هذا الكتاب ضعف قوتها العاقلة فقال فى صحيفة ٧٦ — ٨٤ « لا يمكن للمرأة التفرقة بين الشعور والتفكير (أى بين حياتها الوجدانية والعقلية) ولكن الرجل يمكنه فصلها عن بعضهما فصلا تاما » وقال فى ص٨٥ — ٩٣ « إن النبوغ إحدى ميزات الرجل ولا يمكن أن تصل اليه المرأة مهما بلغت مواهبها »

ومن جرأة الكاتب على مقام الرسالة الأعظم قوله « ان تعدد أزواج النبى صلى الله

---

(١) ظهر هذا الكتاب فى اللسان الالمانى فى مايو سنة ١٩٠٣ وأعيد طبعه ٢٧ مرة ونقل الى نحو عشر لغات من اللغات الاوربية

عليه وسلم ليس تشريعا لأمته كترغيب لها فيه ، وإنما كان ذلك قبل التحديد، والنبى إنسان كالبشر غير سالم من تأثير عوارض البشرية عليه فيما لم ينزل به وحى سماوى »

معنى هذا أن تعدد زوجاته عليه الصلاة والسلام لا يستند الى وحى ، وأن هذا من قبيل ما لا يليق فعله اذ جعله من سيئات الجاهلية ، أما أن تعدد زوجاته لم يكن بوحى وأنه عليه الصلاة والسلام مدفوع اليه بعوارض بشرية فزعم باطل ، فان الله تعالى يقول فى حق زينب رضى الله عنها (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا) وقد تزوجها عليه الصلاة والسلام وفى عصمته عائشة وسودة وحفصة رضى الله عنهن ، وورد فى آيات كثيرة ذكر أمهات المؤمنين على وجه يدل على أن الله راض عن هذا التعدد ، قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ) وقوله تعالى (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ) وإذا ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم قد يفعل الشىء عن اجتهاد فيجىء على خلاف الاولى فيأتى الوحى منبها لما هو الأولى فمسألة تعدد زوجاته ليست من هذا القبيل فى شىء ، فقد نزل الوحى صريحا فى إباحته ورضا الله عنه ، ولتعدد زوجاته عليه الصلاة والسلام حكم دينية اجتماعية تسمو عن عقول هؤلاء الذين لا يفهمون للزواج حاجة غير قضاء الشهوة ، ومن هذه الحكم تلقى أحكام الشريعة وإبلاغها للناس كما قال تعالى (وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا) وسنعود الى هذا البحث فى مقال آخر ان شاء الله

ودعا الكاتب الى السفور مفتونا بحال المرأة الأوربية وزين لقراء كتابه أن يجمعوا بين نسائهم وفتياتهم وأصدقائهم للمحادثة ، ولم يكتف بقول بعض أهل العلم : ان الزينة الظاهرة المأذون فى إبدائها بقوله تعالى (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) هى الوجه والكفان ، فقال : إن ما ظهر من الزينة وقع فى القرآن مبهما اعتبارا منها لأعراف الناس فى ذلك بتطور الزمان ، والناظرون فى الشريعة باخلاص يرون أن القرآن إذا انهى عن

إبداء الزينة فإنما يريد قطع وسائل الفجور ، فليس لأحد أن يجعل هذا من قبيل مايراعى فيه العرف حتى إذا جرى عرف قوم بكشف المرأة لصدرها أو ساقها قضى فيه بالاباحة على زعم أن القرآن أبهم ماأباح إبداءه من الزينة ليؤخذ فيه باعراف الناس ، والرجوع فى مثل هذا الى العرف يفتح طرقا من الشر إنما جاء القرآن ليسدها .

ونحن ممن يدعو الى تعليم البنات وتهذيبهن ، وإكرام الزوجات ورعاية حقوقهن ، والرفق بالنساء لضعفهن ، ولكننا ننكر هذا الذى يدعو اليه الكاتب من الاغضاء عنهن الى حد الاختلاط برجال ليسوا بمحارم لهن ، فان ذلك مما نهت عنه الشريعة ، وأرتنا المشاهدة رأى العين أنه أقرب الوسائل الى تلويث الأعراض ونكد العيش ، وهو الى ابتذال المرأة أقرب منه الى كرامتها ، والى عنائها أقرب منه الى راحة بالها ، فالكاتب يعبث بحقوق المرأة المسلمة من وراء العبث باحكام الشريعة ، ويعمل لأن يفسد عليها دنياها قبل أن يفسد عليها آخرتها.

وقرأنا للكاتب بعدهذا جملا كثيرة يطعن بها فى علماء الاسلام ويقذفهم فيها بأنهم لم يفهموا مقاصد الشريعة ، ذلك لأنهم لم يمنعوا تعدد الزوجات ، ولم ينزعوا حق الطلاق من يد الرجل ، ولم يجعلوا ميراث الأنثى مساويا لميراث الذكر ، ولم يأذنوا للناس فى أن يضعوا حبل الفتاة على غاربها تجتمع مع من تشاء ، الى نحو هذا من الشهوات التى لو طاشت اليها آراؤهم لانطفأت حكمة الله واندرست معالم الهداية ، فلا قرآن يتلى ، ولا سنة تروى ، وعلى الدين الحق يومئذ للسلام .

وكان من رأينا صرف القلم عن ذكر هذا الكتاب اكتفاء بما تناولته به أقلام أهل العلم فى تونس من الرد المحكم ، ولكن الدعاية التى قام بها شركاء صاحب الكتاب فى مصر دعتنا الى أن نذكره ونرى القراء مُثُلاً من باطله ليحذروا فتنته ويعلموا أن فى الشرق نفوسا تقضى باسم الشريعة مآرب قوم يبتغون فساد مابقى فينا من عقيدة سليمة وأدب يغبط عليه ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

كلمة وجيزة

نرى أن تلك الكلمة الوجيزة التى نثبتها هنا غير خارجة عن دائرة مانحن فيه من البحث عن حال الدراسة تعليما وتعلما وانا لنذكرها غير واقفين أنفسنا موقف الواعظين الناصحين لأخواننا وان كان ذلك لاضرر فيه ولكنها تبصرة وذكرى والذكرى تنفع المؤمنين .

جدير بنا أن نرفع صوت الدعوة الى العلماء والمعلمين جهرة ونلفت نظرهم — وهم أحق من يلفت نظره وأولى الناس باجابة الداعى الى الحق — الى أنهم ورثة الانبياء وهم يعلمون أن الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين لم يورثوا أحدا دينارا ولادرهما وانما يورثون العلماء الربانيين الدعوة الى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة

فيجب على العلماء والمعلمين جميعا أن يقوموا بما يجب لله تعالى على كل عباده كما يجب عليهم أن يرشدوا الخلق الى مالهم وما عليهم من حقوق لازمة ولاريب أن أول حلقة من سلسلة وظيفة العلماء أن يبدءوا أولا بتطهير النفس من أدران النقص ودنس العيوب وبذل مايستطاع في تنقية بذور الحقد والغل والحسد من الصدور حتى اذا ماصفت سرائرهم واطمأنت قلوبهم واشرقت بنور الاخلاص لله نفوسهم وجدوا ميادين العمل واسعة الارجاء أمامهم للدعوة الى الله جل شأنه ولارشاد الخلق وسوقهم الى ساحة منفعتهم في معاشهم ومعادهم لايبتغون بعملهم هذا الا وجه الله تعالى ولا يريدون من أحد جزاء ولا شكورا .

وانا لعلى يقين لاتخالطه ريبة ولا يحوم حوله شك أن العلماء والمعلمين متى صدقت فى الدعوة الى سبيل ربنا عزيمتهم واتفقت كلمتهم واجتمعت قلوبهم وأنابوا الى الله تعالى لاتأخذهم في الحق لومة لائم أمكنهم أن يقودوا الناس بزمام الطاعة الى مواطن العز والكرامة والشرف وعلو الهمة ويحملوهم على أن يخلعوا أردية الرذائل ويتدثروا حلل الفضائل وينفخوا فيهم روح الاخلاق الكريمة والسجايا

العظيمة وينتشلوهم من وهدة هذا الحضيض الاسفل الذى أوشك الناس أن يترددوا في بؤره ويسقطوا في حفره حتى كاد الفساد يجتاحهم جميعا فلا يبقى ولا يذر .

وليعلم العلماء والمعلمون أن من أقدس الواجبات عليهم أن يدعوا الناس الى عمارة الدنيا مع الدعوة الى العمل للآخرة فان ديننا الحنيف السمح ليس دين رهبنة ولا استكانة ولا جمود بل هو دين جد وسعى وعمل وقد تكفلت دائرته التى لايدرك مداها بسعادتى المعاش والمعاد ولسنا في حاجة الى تنبيه العلماء والمعلمين الى أنه يدخل في باب الدعوة الى عمارة الدنيا أن يرسموا للناس خطة السير في طريق الاستقامة والانصاف ويقفوهم بكل ما أوتوا من فصاحة لسان وسعة بيان وقوة برهان عند حدود الشرع الشريف ومتى وقف كل واحد عند حده لايتجاوز دائرة اختصاصه ووصلت آحاد الأمة الى هذه الحالة أصبحوا اخوانا متحابين متعاونين على البر والتقوى متباعدين عن الاثم والعدوان وانقطعت جراثيم الجرائم وذهبت أعراض الفساد ادراج الرياح

ومن هذا يعلم أن العلماء والمعلمين عماد الملك ودعائم النظام وحفظة الأمن العام ومن شك في هذا فقد أخطأ ولم يفهم طبيعة الدين الاسلامى هذه كلمتنا للعلماء والمعلمين خاصة .

ويحسن بل يجب أن ننبه الجمهور على أمر خطير لايجوز اغفاله وهو أن الناس قد أصبحوا الآن انما يطلبون العلم على أنه وسيلة للرزق وطريق يوصل الى فتح أبواب المعيشة فحسب، وهم على هذا الاعتبار وتلك القاعدة يضعون بأيديهم أمامهم وخلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم عقبة بل عقبات تحول بينهم وبين العلم اذ بمجرد أن يضع الطالب قدمه في ساحة طلب العلم وقبل أن تكتحل عينه بشيء من نوره تراه قد انتبذ مكانا وشرع يفكر في شأن نفسه وأخذ الوهم يصور له ظلام مستقبله وضياع مجهوده ومرارة حياته فتتسرب عوامل اليأس الى قلبه ويملأ الهم قرارة نفسه وتنحل عرا عزيمته فيجتهد في الفرار من تلك الحالة ويطير بأجنحة الخلاص ، وكم قضت تلك

الأوهام على آمال كثيرة من نبهاء الطلبة واذكيائهم ، ومن نازعته نفسه الأبية
ونزعت به همته العالية الى مغالبة هذه الخطرات والبقاء في طلب العلم تراه

كريشة في مهب الريح طائرة لاتستقر على حال من القلق

ولو أن أولئك الذين سلطوا على أنفسهم قاصفا من ريح الوهم حتى أغرقهم في بحار اليأس علموا أن الغرض الاسمى من التشرف بطلب العلم والمثابرة على تحصيله وبذل النفس والنفيس في اقتنائه انما هو تهذيب النفوس وتثقيفها وتصفيتها من شوائب الجهل وتخليصها من معرته وتكمل الانسان في ذاته وما يترتب على ذلك من ثمرات تربو على الحصر وحسنات تفوت العد لطاروا الى تحصيله باجنحة الرغبة وعضوا عليه بالنواجذ وغاصوا فى بحار فضائله يتناولونه عبا لا ارتشافا ، ولو أنهم مع هذا قصدوا به وجه الله تعالى جل شأنه لساق الله اليهم الدنيا مرغمة وبعث النعم تترى والشواهد على ذلك تكاد تكون محسوسة ملموسة .

وعندنا أن ذلك الخلق السيء (يأس الطلبة بما يصوره لهم الوهم) يمكن ازالته بأن يتعهد العالم المعلم الطالب من أول نشأته بما يجتث من صدره جذور تلك الوساوس والأوهام ويغرس في نفسه حب العلم لذاته مبينا له أنه طريق سعادة وفلاح في الدنيا والآخرة لمن أحسن السلوك فيه وليس على العالم المعلم من حرج في أن يزود طالب العلم بما يفتح أمامه باب الرجاء والأمل فان ذلك مما يشرح صدر الطالب ويعينه ويحمله على الاجتهاد والمضى في عمله

هذه كلمتنا بالنسبة لطلاب العلم ونرجو أن تكون موفقة مقبولة بتوفيق الله تعالى والله تعالى يهدينا جميعا الصراط المستقيم .

محمد سليمان السرتى

شيخ معهد أسيوط

العلوم والآداب

أثر الاسلام فى الحضارة

من كتاب مختصر التاريخ لـ Wells «Out Lines of History»

جاء على الدنيا زمن كانت الحضارة فيه إسلاميه عربية ، غير أن بعض الأوربيين فى القرن العشرين انتقص فضل العرب وجحد يدهم على الانسانية ، وانا نسوق ترجمة هذه الكلمة على صفحات « نور الاسلام » كشهادة من كاتب كبير انجليزى مشهور أجرى الله الحق على لسانه قال :

« وقد ظهر فى العالم الاسلامى عدد من الجامعات الكبرى فى مراكز عدة فى البصرة ، والكوفة ، وبغداد ، والقاهرة ، وقرطبة ، وقد تفرعت هذه الجامعات من مدارس دينية أنشئت فى المساجد أولا ، وقد أرسلت تلك الجامعات أشعتها الذهبية الى ما وراء العالم الاسلامى وجذبت أنوارها المتلألئة الطلاب الوافدين اليها من الشرق والغرب ، وكان فى قرطبة على الخصوص عدد لايستهان به من الطلبة المسيحيين ، وكان أثر الفلسفة العربية — الذى فاض من أسبانية على جامعات باريس واكسفورد وشمالى ايطالية ، وعلى الأفكار فى غرب أوروبة — كان هذا الأثر عظيما حقا .

وكان اسم « ابن رشد » فى قرطبة (١١٢٦—١١٩٨م) اعظم من بلغ الذروة فى تأثير الفلسفة العربية على الفكر الاوروبى .

وهنا اسم آخر عظيم وهو « ابن سينا » أمير الأطباء (٩٨٠ — ١٠٣٧ م) وقدولد فى الطرف الآخر من العالم العربى : فى بخارى : ، وساح فى خراسان .

وقد انتعشت صناعة نسخ الكتب وأزهرت فى الاسكندرية ، ودمشق ، والقاهرة ، وبغداد ، وفى حوالى ٩٧٠ ميلادية كان فى قرطبة وحدها سبع وعشرون مدرسة مجانية مفتحة الأبواب لتعليم الفقراء .

اما فى علوم الرياضة — كما جاء فى كتاب تاريخ أوروبا العام تأليف ثاتشر وشول (Thatcher & Schwill) — فقد بنى العرب على الأساس الذى شيده علماء اليونان فيها وكان « الصفر » مجهولا حتى القرن الثانى عشر حيث اخترعه عالم رياضى عربى اسمه « محمد بن موسى » الذى كان أول من وضع نظام الكسور العشرية ، والذى رتب الأرقام حسب قيمتها ، ولم يضف العرب الى نظريات « اقليدس » فى الهندسة شيئا إلا أن « الجبر » من صنع أيديهم ، ونشروا حساب المثلثات واخترعوا الظل والجيب ، وفى الطبيعة أوجدوا رقاص الساعة وانتجت قرائحهم علم « الضوء »

وضربوا فى علم الفلك بسهم صائب فأسسوا المراصد ، وصنعوا كثيرا من الآلات الفلكية التى مازالت تستعمل للآن وحسبوا زاوية الخسوف وتتابع الاعتدالين ، ومما لا مرية فيه أن معرفتهم بعلم الفلك كانت واسعة .

وأما فى الطب فقد بزوا اليونان وسبقوهم فى هذا الميدان ؛ فدرسوا علم وظائف الأعضاء وفن تدبير الصحة وكانوا يركبون الدواء كما نعمل الآن ، ومازالت طرق علاجهم للمرضى تستعمل فى هذا العصر وعرف جراحوهم استخدام المخدرات ، وقاموا بعمليات كثيرة جراحية ، من أصعب العمليات المعروفة وأدقها .

وفى الوقت الذى حرمت فيه الكنيسة على الاوروبيين الاحتراف بمهنة الطب لاعتقاد رجال الدين ان الشفاء يتم بتعاويذ دينية كانوا يقومون بها فى ذلك العصر المظلم كان عند العرب علم حقيقى فى الطب.

وبدءوا بدءا حسنا فى علم الكيمياء ، فاكتشفوا مواد جديدة كثيرة ، ومركبات عديدة كالكحول والبوتاسيوم ونترات الفضة وحامض الكبريتيك والنتريك وغيرها .

وفاقوا العالم فى المصنوعات من حيث التنويع ، وجمال التنسيق ، ودقة الصنع ،وقد اشتغلوا فى كل المعادن ، فى الذهب والفضة والنحاس والبرنز والصلب ، ولم يفقهم أحد فى صناعة المنسوجات الى الآن ، وكان الزجاج والخزف اللذان صنعوهما من أجود الأصناف

وعلموا أسرار الصباغة ، وصنعوا الورق ، وأجروا عمليات كثيرة لدبغ الجلود وكان عملهم ذائع الصيت فى أوربة كلها وصنعوا الصبغات والروائح والأشربة ، والسكر

من القصب ، وزرعوا أنواعا بديعة من الكروم ، وفلحوا أرضهم بطريقة علمية وكان نظام الرى عندهم بديعا ، وعرفوا فضل زراعة الأزهار ، ونوعوا محصولاتهم تبعا لنوع التربة و بزوا غيرهم فى علم التلقيح فقد عرفوا كيف يحدثون أنواعا جديدة من الفواكه والأزهار ونقلوا من الشرق الى الغرب كثيرا من الأشجار والنبات ، وصنفوا فى الزراعة كتباً علمية .

***

ونحن لايسعنا إلا الثناء على هذا الكاتب المجيد والمؤرخ العادل النزيه فهكذا تخدم الحقائق وبمثل هذا يجب أن يدون التاريخ ؟

شحاته محمد الجوينى
ناظر مدرسة اتياى البارود الابتدائية

***

الضوء والعمل

كثيراً ما يشعر الانسان بقابلية ورغبة شديدة فى العمل فيقوم بمجهود كبير ويأتى بنتيجة أحسن وذلك لملاءمة ضوء خاص لتأدية الأعمال العقلية والجثمانية ، وقد تزول القابلية والرغبة أو تقل فيضعف المجهود ويعقم الانتاج لعدم ملاءمة بعض الأضواء للعمل ، وقد أثبت الأستاذ الدكتور روفر أن المقدرة على العمل والاسراع والدقة فيه لاتتأثر تأثيراً محسوسا فى الأضاءة الطبيعية ، وأما إذا أحدثنا تغييراً وتحويرا فى لون الضوء فأن الضوء الأصفر هو أصلحها وأكثرها مساعدة لتأدية الأعمال ويليه الأخضر ثم الأحمر فالأزرق ، وتتفق هذه النتيجة التى وصل اليها الدكتور روفر مع أبحاث وملاحظات « كورف » و « بيترس » حيث أثبتا أن حدة النظر تصل غايتها القصوى فى الضوء الأصفر وتضعف فى الضوء الأزرق ، ولذلك يمكن اعتبار الضوء الأصفر أفضل أنواع الانارة لزيادة قدرة الأنسان على العمل وأصلحها لوفرة الانتاج .

(مترجمة عن مجلة Kosmos الألمانية)

الامثلية فى التربية النفسية [1]

« لا يزول الشر ولا ينقطع البلاء عن دولة لم تحكمها
فلاسفتها أو لم تحب ملوكها الحقيقة الصادقة »

أفلاطون [2]

يريد أفلاطون بالفلسفة التفانى فى حب الحقيقة الصادقة ، فهو بذلك يفرض فى الفيلسوف حالة قلبية ووجدانية خاصة تستلزم الحاسة المطلقة بالحقيقة الصادقة والشجاعة فى الصدق مع اغفال كل وجهات النظر الذاتية ، وكذلك كان يرى « بسمارك » [3] أن الكفاءة والمقدرة السياسية تحتم الوفاء والاخلاص والأمانة .

يفرض أفلاطون فى الفيلسوف وضوح الرأى وحدّة الفكر ، يفرض فيه المقدرة على الوصول الى جوهر الأشياء دون أن تضلّه مصادفات وعوارض الحدثان ، يريد فيه خلوص الرغبة وقوة الارادة ، الرغبة والارادة فيما يتطلبه التاريخ من كل فرد ومن كل أمة ألقت بزمام قيادتها وسياستها اليه فى أى وقت من الأوقات ، فكل أمة لها مكانها وزمنها وعليها واجبها فى تاريخ الانسانية ، فسياسة الفيلسوف فى إدارة أمور الدولة يجب أن تكون سياسة الغايات والبواعث الخالصة ، سياسة النظر البعيد الثاقب والتمشى مع تسلسل المناسبات التاريخية العالمية .

وقد يستوجب تعريف ماهية السائس الفيلسوف على هذا الوجه التعيين والتحديد ، فلم يقصد بالفلسفة هنا الا فلسفة الكمال النفسانى بمسحتها الاخلاقية وعقيدتها الراسخة بسلطان الفكر ، أو بعبارة أخرى فلسفة أنصار مثل الكمال الأعلى من فلاسفة الأغريق

---

(١) نقلا عن مقال للاستاذ الدكتور « بفانكوخه » فى مجلة (Der Tuermer) الالمانية

(٢) هو أحد كبار فلاسفة الاغريق (٤٢٨ — ٣٤٨ ق ٠ م)

(٣) هو الامير أوتوفون بسمارك وزير ألمانية الاول وكبير ساستها (١٨١٥ — ١٨٩٨ م)

والألمان من أفلاطون وارسطوطاليس [١] الى كانت [٢] وفيشته [٣] وهيجل [٤]

ويتفق فيشته فى الرأى مع أفلاطون فى أن الفلسفة ليست وظيفة القريحة المفكرة فحسب ، بل هى حالة الانسان بأجمعه، بوجدانه وبإرادته .

ولقد صرّح فيشته بذلك فى قوله « ان فسلفة المرء تتوقف على ماهيه ونوع المرء نفسه » فالفيلسوف هو كل امرىء أصبح بكل ذاته — أى بتفكيره وشعوره وارادته — فى حالة متحدة ملتئمة إزاء المسائل والواجبات الدنيوية أو ما يعبر عنه أحيانا بالشخصية الفردية ، وليست التقوى فى الواقع سوى وجهة وحالة خاصة من التفكير والشعور والارادة إزاء الشئون الدنيوية والدينية العليا ، وهنا تتلائم الديانة مع الفلسفة فكلاهما عائد على الانسان بأكمله .

يجدر بنا الآن أن ننتقل الى جوهر الموضوع وهو مسألة التربية والتعليم ، وهنا نتسائل فى صلاحية أساس بناء التعليم والتهذيب الحاضر وملائمته لاعداد شعب يصلح من الوجهة الفلسفية لسياسة شئون الدولة والمسئولية عنها .

قد سبق لنا الايضاح بأن الفيلسوف هو كل امرىء مفكر أصبح بتفكيره وشعوره وارادته فى حالة ملتئمة متحدة لا تتأثر حالته الروحية والنفسية بعوارض الحدثان ، فلم يقصد بالفلسفة أى فرع من علم خاص وانما قصد بها ما هو أكثر من ذلك ، قصد بها الحكمة ، وقد أطلق عليها « فيشته » الانسانية بكل معانى الكلمة ، ويرى أنها الغرض الذى تطمح اليه التربية الصحيحة ، ويوصى بتعهدها بالانماء والرقى ما استطعنا الى ذلك سبيلا ، فالفطن اللبيب والحكيم العاقل والفاضل الصالح هو من يعرف أن ذلك هو ما تنشده الانسانية فى هذه الحياة الدنيا وسر الوجود واليه تنتهى مساعى البشر .

فاذا شعرنا يوما بالافتقار الى الفيلسوف فانما يجب أن نلتمسه فى الانسان الكامل ، فان الفلسفة ليست علما خاصا من العلوم النظامية وانما هى علم الانسانية الجامعة ،

---

(١) هو احد كبار علماء وفلاسفة الاغريق ويطلق عليه العرب المعلم الاول (٣٨٤ — ٣٢٢ ق.م)

(٢) هو امانويل كانت أحد كبار فلاسفة الالمان (١٧٢٤ ١٨٠٤ م)

(٣) هو يوهان جو تليب فيشته أحد كبار فلاسفة الالمان (١٧٦٢ — ١٨١٤ م)

(٤) هو جورج فلهلم فريدريش هيجل أحد كبار فلاسفة الالمان (١٧٧٠ — ١٨٣١ م)

هى الحكمة التى تتعالى على جميع العلوم الخاصة وهى وحدها التى تورث هذه العلوم القدر والجلال ، هى الشيء الذى يجب أن يزود به الناشيء ، هى التعالى والاستقلال عن الزمان والمكان .

وليس كل استاذ فى الرياضة والعلوم الاجتماعية أو الفلسفية بفيلسوف بمعنى أنه انسان كامل ، فان هذه العلوم حتى الفلسفية منها قد انحطت وأنزل من قدرها الى أن أصبحت علوما نظامية ولم تزد فى الوقت الحاضر على التعليم الخاص من ناحية واحدة لا تهىء المرء لأن يكون انسانا كاملا وعضواً عاملا للانسانية من جميع النواحى .

وربما ارتقى العامل البسيط وسمى الى ذروة الحكمة الى أن أصبح نجما متألقا فى سماء الانسانية فلا يخلو مرشد فى الفلسفة من اسمه مثل بويمه [1] وسبينوزا [2] كما أن سياسة بسمارك لم تكن صناعة خاصة أو علما نظاميا بل هى نتيجة فيض انسانية كاملة .

فطن فيشته الى جوهر البلاء ومكمن الشر فى التربية والتعليم منذ نيف ومائة وعشرين عاما ورأى أن بناء الانسانية يتهدم لانقسامه الى اخصائيين متنافرين وتشتته فى أفراد مفككين غير متصلين فجاء فى رسائله [3] ما معناه : « ان كل فرد يهتم باعداد نفسه للعمل الذى اختاره ، فيجهز الطفل منذ نعومة أظفاره لطريق خاص فى الحياة ويُعْتَنى كل الاعتناء فى تربيته تربية صالحة تؤهله لعمله المستقبل ويُهمل كل ما ليس له به علاقة أو ما يمكن الاستغناء عنه ، وقد يترك الفتى الذى يعد نفسه لأن يكون يوما عالما جميع العلوم أو اللغات التى تعني بالثقافة العامة أو العلم لذاته ويخصص حياته فى دراسة ما سواها من العلوم واللغات التى يحتاجها فى مستقبل حياته لمجرد كسب قوته ، فيشب وهو يستهجن طرق الحياة الأخرى بقدر بعد بعضها عن بعض ، فيوجه الطبيب كل عنايته الى معرفة الدواء والقانونى الى تشريع بلاده، والتاجر الى فروع متجره ،وهكذا يعمل كل فى واجبه ، وقد يكون ذلك سببا فى وجود مزايا خاصة للمجموع وللفرد على حد سواء ، الا

---

(١) هو يعقوب بويمه أحد علماء الالمان الروحانيين وكان من قبل صانع أحذية (١٥٧٥ — ١٦٢٤)

(٢) هو بنديكتوس دي سبينوزا أحد الفلاسفة الهولنديين وكان من قبل عاملا فى مصنع زجاج المنظار (١٦٣٢ — ١٦٧٧)

(٣) هى « رسائل فيشته الى كونستانت » وظهرت حديثا باسم « فلسفة الماسونية »

أن هـذه التربية التخصصية تعد علاجا ناقصاً ومعرفة جزئية لا تتسع الا لناحية واحدة وتؤول عادة الى الحذلقه والتظاهر بالعلم والمعرفة ، فقد يعتقد كل منهم أن التربية الصحيحة التى تنشدها الانسانية انما هى الخاصة بعمله ووظيفته فى الحياة ، وهكذا يرفع العالم المتحذلق من قدر علومه ويحط من قدر ما سواها فيبذل كل وسعه فى أن يفصح عن دقائق علومه فى خطاباته وأحاديثه الى الجماعة ويجتهد فى حمل الأفكار على الاتجاه الى مورد ثقافته ، ويفعل مثل هـذا التاجر المتحذلق باحتقاره العالم وتبجيله للمادة وحدها ، ويحتقر الفارس هذا وذاك ولا يمجد سوى القوة والنشاط الجثمانى ، وهكذا يجتهد كل منهم فى التأثير على جميع طبقات الناس لتربيتهم تربية جزئية تسبب التعصب والجمود »

وهكذا تتهدم صروح الانسانية الصحيحة بمعاول الاخصائين، وهذا فيه مافيه من فساد وتلف للهيئة الاجتماعية والدولة على حد سواء ، فينحصر تفكير وشعور وارادة الناس فى الذات والمنفعة الخاصة مهملين ما فيه المصلحة العامة الاجتماعية ويفقد المجموع مرتبته العليا وسيطرته ويفضى الأمر الى العقم وعدم الـكفاءة السياسية فى تدبير شئون الدولة على الوجه الأكمل الصحيح ، بل وتفقد كلمة السياسة معناها الشريف وتأخذ معنى وشكلا آخر خاليا من كل رونق وجمال .

لذلك يحذو « فيشته » حذو أفلاطون بمطالبته بتربية روح الانسانية الـكاملة لتجهيز الفلاسفة ، فذكر فى خطاباته الى الشعب الألمانى أن المشكلة السياسية ما هى الا مسألة تربية شعبية وحمل على شيوع التخصيص فى التعليم وذكر أنه منشأ كل شر وسبب البلية وذلك لامتياز الاخصائين بسلطان واسع فى تدبير شئون الدولة وكل منهم يسعى فى توجيه كل العناية الى تدريس فروع صناعته بالمدارس فتمتلأ عقول النشىء بمواد العلوم وتتغلب المادية فى تفكيرهم وشعورهم وارادتهم ، على أن الغرض الحقيقى من المدارس هو جعلها معاهد للتمرين العقلى وأن الغرض من تدريس القواعد والرياضة هو التضامن فى لين ومرونة التفكير والشعور والارادة وتحريرها من جور العوارض والأحداث ، فلا يجب اغفال أن قدر الحياة فوق قدر الغذاء ، فينبغى اختبار الطالب فى مقدرته العلمية دون أن تضل الانسانية فى تفكيره وشعوره أو ارادته بين فيض المواد البائدة .

ان ادخالنا مواد جديدة فى التعليم للاصلاح كان سببا فى زيادة البلاء حتى ولو كانت هـذه المواد للتربية الوطنية ، إذ أن الطالب يستظهر مواد الدستور دون أن تنمو فيه الملكة السياسية الحقيقة التى ينشدها أفلاطون وفيشته .

ان الطريقة المثلى والعلاج الناجع انما هو فى انقاص العلوم خصوصاً العلوم الطبيعة وتقليلها فى مناهج التعليم العالى على وجه الخصوص .

ان عدم معرفة الطالب لكيفية تركيب الآلة اللاسلكية أو بناء القاطرة ليس بجالب عليه شرا مستطيرا ، ولكن عدم معرفته لأثر كانت وفيشته وهيجل الفلسفى وأن يتم دراسته ، ودراسته العالية دون أن يتغذى بروح المفكرين والفلاسفة والشعراء النابهين هـذا مما لا يحمد عقباه ، ان دراسة الدساتير وما شاكلها من الأمور اللازمة الضرورية ولكنهما فتئت رداءا وأما الروح فهى وحدها باعثة الحياة .

فاذا أردنا السعادة والشفاء من هـذا المرض الاجتماعى فعلينا بالأمثلية فى التربية النفسية .



اكتشاف جديد لمكافحة حمى الملاريا

جاء بمجلة (Kosmos) الألمانية أنه اتضح أخيراً أن نوعا من السمك الصغير واسمه جامبوسيا ويطلق عليه أحيانا سمك البعوض يفتك ببويضات وديدان جميع أنواع البعوض ، وهذا النوع من الأسماك لايزيد طوله عن ٨ سم ولونه أخضر فاتح يقطن سواحل المكسيك الشرقية وجنوب الولايات المتحدة الأمريكية ، ونقل بعض منه إلى جزائر « هوابى » بالمحيط الهادى وفرموزاو مانالبا وجاوه والصين ، وأخيراً أرسلت منه كمية أيضاً إلى بعض الجهات فى ايطاليا الموبوءة بحمى الملاريا مثل منطقة مصب نهر التيبر ففتك بما لا يقل عن ٨٠ إلى ٩٠ فى المائة من ديدان وبويضات بعوض الملاريا ، وتجرى الآن تجارب للاستفادة منه فى تطهير الجهات الموبوءة بهذه الحمى فى شبه جزيرة البلقان .

مبادىء عامة[1]

— ٢ —

فى الاقتصاد السياسى

الحالة الاقتصادية

٢ — تعريف الأقتصاد السياسى

التعريف : يعنى الاقتصاد السياسى بدرس العلاقات الاقتصادية التى أسلفنا الكلام عنها وكذا بدراسة أنواع النشاط الاقتصادية والاعمال التى يقوم بها الناس ويتبادلونها .

ويمكن أن نقول في تعريف الاقتصاد السياسى ان موضوعه هو النشاط الذى تقوم بههيئة من الناس تربطها صلاتاجتماعية والذى تؤديه بالتضامن لسدحاجياتها المادية وزيادة هنائها ورخائها . أو بعبارة أخرى : ان موضوع الاقتصاد السياسى هو «الحياة الاقتصادية»

تعاريف أخرى : قد وضع العلماء تعاريف أخرى للاقتصاد السياسى وكان خطأ بعض تلك التعاريف أن جعلت الاموال والثروات الموضوع المهم لدراسة الاقتصاد السياسى . فقد وضع الاستاذ ج . ب . سي (J. B. Say) في سنة ١٨٠٣ مؤلفا اسماه : «رسالة في الاقتصاد السياسى —أو— شرح موجز للطريقة التى تتكون بها الثروات وكيف توزع وتستهلك» . أما روسى (Rossi) فقد عرف الاقتصاد بأوجز من ذلك حيث قال انه « علم الثروات » ومن هذا التعريف استعمل الاقتصاديون لفظ (Chrématistique) ومعناه كل ماله علاقة بانتاج الثروات وكذا لفظ (Ploutologie) بمعني « درس فى الثروات » أو « علم الثروات » كما لو كان

---

(١) مترجم عن الفرنسية من كتاب « موجز في الاقتصاد السياسى للاستاذ ب ريبود (P. REBOUD)

الاقتصاد السياسى على زعم بعضهم علما يختص قبل كل شيء بدراسة الاشياء المادية أوكما لو كان الناس قد خلقوا من أجل الاموال لا العكس أى لا كما لو كانت الأموال خلقت من أجل الناس ، فالثروات بالمعنى الذى يقصده سي (Say) لا توجد ولا تعتبر كثروات الا بعلاقتها وبنسبتها للناس ، فهى تستخدم كوسائل لسد حاجياتهم ، وعلى هذا الاساس يعنى الاقتصاديون بدراستها، والافق المأرب الاسمى هو أن ينتج المرء أكبر كمية ممكنة من البضائع بأقل مايمكن من النفقات دون العناية بالانسان نفسه أكثر من العناية بآلة من الآلات وبدون الاهتمام بالظروف التى يؤدى فيها الانسان عمله ولا بالحصة التى تؤول الى كل عامل عند توزيع الاموال

العلاقات الأخرى التى بين الناس : لم يرتبط الناس بعضهم ببعض بروابط اقتصادية فحسب بل هم مرتبطون كذلك بروابط اللغة التى تسهل بقية العلاقات الأخرى وبروابط أدبية ودينية وقانونية وسياسية ، وكل رابطة من تلك الروابط هى موضوع علم قائم بذاته ، واذا كان الاقتصاد السياسى علما من العلوم — وهذا ماسندرسه فيما بعد — فهو فرع من مجموع العلوم الاجتماعية التى تبحث كلها فى دراسة الانسان بصفته كائنا حيا يعيش فى هيئة اجتماعية لكنها تعتبره من وجهات مختلفة ، الا أنه توجد حتما بين تلك العلوم والاقتصاد السياسى نقط اتصال عديدة بسبب وحدة الموضوع وهوالانسان الاجتماعى المدنى بالطبع ولا سيما بين الاقتصاد السياسى والقانون وعلم الاخلاق . فهذه العلوم الثلاثة تبحث فى ثلاثة أوضاع مختلفة من نشاط الانسان والتى مواضيعها هى على التوالى : (١) «سد حاجيات الانسان» (٢) «استعمال حقوقه» (٣) «اداء واجبه» .

الاقتصاد السياسى والقانون وعلم الاخلاق :

١ — توجد صلات وثيقة بين القانون والاقتصاد السياسى ، فنشاط الناس الاقتصادى يحدث داخل دائرة القانون المكونة من قواعد يجب على الناس مراعاتها مثل القواعد الخاصة بالملكية ونظام المواريث والعقود المدنية والتجارية والالتزامات التى تنشأ عنها

لكن المشرع عند مايضع تلك القواعد يخضع لحد ما لحكم بعض الظروف والشروط الاقتصادية الخاصة بهيئة من الهيئات الاجتماعية ، فكثير من تلك القواعد ماهو وليد حقا للضرورة الاقتصادية .

وكذلك القواعد القانونية فانه ينشأ كذلك عقب نشرها نتائج من شأنها أن تحدث تعديلا في الحالة الاقتصادية لهيئة من الهيئات الاجتماعية كما هو الحال مثلا في القوانين الخاصة بالوراثة التى لها تأثير عميق على توزيع ثروة الامة ، ويقال أحيانا — ولا سيما فى المانية — ان الاقتصاد هو «مضمون الحياة الاجتماعية الخاص وان القانون هو شكلها»

٢— أما من حيث الروابط التى بين علم الاخلاق والاقتصاد السياسى — تلك الروابط التى يؤيدها البعض تارة وينكرونها تارة أخرى — فانه لابد من التمييز بينها، فعلم الاخلاق يعرف عادة بأنه «علم الخير» ويشتمل على قواعد السلوك التى تعد في زمن معين من الازمان ولدى أمة معينة من الأمم كقواعد اضطرارية يجب على الاغلبية العظمى من أفرادها اتباعها بحيث ان كل مخالفة لتلك القواعد تحدث استياء عاما عند أعضاء الهيئة الاجتماعية . وهو (علم الاخلاق) مكون من مجموعة من الآراء عن الخير والعدل التى يرجع وجودها الى وجدان كل فرد من الافراد ويكون مجموعها الوجدان العام لشعب من الشعوب .

أما الاقتصاد السياسى البحت الذى موضوعه مقصور على البحث عن القوانين الاقتصادية — وسيأتى الكلام عليه بتفصيل — فانه ليس علما يدعو الى مكارم الاخلاق كما أنه لايتنافى مع علم الاخلاق لكنه لاهذا ولا ذاك وموقفه من علم الاخلاق موقف حياد لاموقف تعارض ولا موقف اتفاق كعلم الطبيعة والكيمياء فهو يقرر الوقائع ويفسرها ويبحث مثلا في استنباط القوانين الاقتصادية التى هى المسيطرة على تحديد أثمان الاشياء سواء أكان ذلك في أحوال حرية التجارة أم في أحوال احتكار البضائع ولكنه لايشير باتباع أى عمل ولا يرسم أية خطة يجب اقتفاؤها ولا يعنى بأى واجب من الواجبات بينما علم الاخلاق يعين للناس الواجبات التى يتحتم عليهم

اتباعها ويتضمن فكرة الوجوب لاداء أمر من الأمور أو اجتناب عمل من الاعمال خشية تقريع الرأى العام وسخط الجمهور .

واما الاقتصاد السياسى التطبيق فهو على خلاف ذلك ، وعلى الاخص الاقتصاد الاجتماعى (وسيأتى الكلام عنهما بتوسع) فهو يبحث في تحقيق قسط أعظم من السعادة لبنى الانسان وتقرير قواعد السلوك لتحسين حالة أصحاب الأجور من العمال وحالة العجزة والمرضى والمعوزين وعلى العموم حالة صغار الناس والضعفاء

واما الاقتصاد الاجتماعى الذى يتضمن فكرة : «أن هناك ضرورة الى وجود نظام مدبر ومطابق لفكرة تستمد روحها من العدل والانصاف» فهو مأخوذ تماما من علم الاخلاق فقد تضمن القوانين لتنظيم العمل والمنشئات المخصصة لتسهيل وتحسين وسائل المعيشة من حيث التغذية والمسكن والصحة العمومية والتربية الاجتماعية والاقلال من نسبة الاخطار المختلفة بفضل صناديق التوفير والتأمين وجمعيات التعاون ولجعل العمال أكثر استقلالا . كل ذلك مستمد من اعتبارات أساسها علم الاخلاق . ولقد قيل بحق : «ان كل نظام اقتصادى يجب أن يكون من الوجهة الاجتماعية مؤسسا على العدل» أى حول فكرة مبنية على الفضيلة ، فالاقتصاد الاجتماعى يعمل على تطبيق مبدأ الفيلسوف الالمانى «قانت» القائل : «اعمل دائما كأنك تعتبر شخصية غيرك كغاية لا كوسيلة»

لاشك أن للشروط الاقتصادية تأثيرا على حياة الشعب الاجتماعية أى على جميع مظاهر نشاطه الأخرى (مثل المظاهر القانونية والخلقية والدينية والسياسية) الا أن بعض المؤلفين قد بالغوا كثيرا في مقدار ذلك التأثير اذ نسبوا اليه دورا راجحا جدا فادعوا ان كل المنشئات وكل معتقدات الناس يرجع أصلها وتفسيرها الى التكوين الاقتصادى للهيئة الاجتماعية . وسنعود لهذا الموضوع فيما بعد عند الكلام على نظرية التاريخ المادية

من أين جاء اسم الاقتصاد السياسى : — ان أول من استعمل لفظ «اقتصاد

سياسى » هــو انطوان مونكريتيان (Antoine Monchrétien) الذى ألف فى فرنسة عام ١٦١٥ رسالة في الاقتصاد السياسى كانت متداولة في فرنسة وخارجها في غضون القرن الثامن عشر عند ما اقبل الناس كثيرا على دراسة الاقتصاد السياسى الا ان هذا اللفظ لم يصادفه حسن الاختيار لأن معناه يدل من الوجهة اللغوية على «ادارة شئون المدينة» مما يحمل على الظن بأن الاقتصاد هو فن الحصول على ايرادات للمدينة أو للدولة ويلتبس ذلك مع مانسميه «باسم علم المالية» ولقد استعملت الفاظ غيره فى فرنسة وخلافها من البلدان الا أنها لم تصادف نجاحا للتغلب على شيوع استعمال لفظ الاقتصاد السياسى رغما عما به من العيوب والقصور عن تأدية المعنى المراد .

(يتبع)

العثور على نباتات سامة جديدة

أرسل معهد « سمثصون » بواشنجطون بعثة من العلماء البحاثين إلى منابع نهر الأمازون بأمريكا الجنوبية لبحث ودراسة النباتات الغريبة فى هذه البقاع ، وقد عادت هذه البعثة قريباً واستحضرت معها ما يقرب من ثلاث آلاف نوع مختلف من النباتات بينها الكثير من النباتات السامة ، يشبه بعضها فى التركيب عنقود العنب ويطلق عليها الهنود اسم « كابى » ولا تأثير لها بتاتاً لو أكلت طازجة أما لو أكلها الأنسان بعد جفافها فيكون لها تأثير مغيب كالأفيون ، ومن هذه النباتات السامة أيضاً مايستعمله أهالى هذه البقاع بأمريكا الجنوبية فى صيد الأسماك . فهى تحتوى فى الساق مادة بيضاء تشبه اللبن إذا ألقيت فى مياه الأنهار أصابت الأسماك بإغماء فتطفو على سطح الماء دون أن تصيب لحومها بتأثير سيء .

(مترجمة عن مجلة Umshau الألمانية)

الرؤية عن بعد

يرجع اختراع الآلات «الرائية» الى سنة ١٨٨٤ التى اخترع فيها نيبكاو أول آلة «رائية» ومن ثم أخذت تتطور بتطور المسرة و « اللاسلكى » الى أن قام جنكز بأمريكة وبيرد ببريطانية سنة ١٩٢٥ بعدة تجارب كان نصيبها النجاح وتلتهما شركة المسرات والمراقم الكهربائية (التلغرافات) الأمريكية بأول تجربة عام سنة ١٩٢٧ حيث نجحت في ارسال عدة صور من مدينة واشنجطن الى مدينة نيويورك ، وفى سنة ١٩٢٨ أعلن بيرد امكان نقل الصور عرض المحيط الأطلانطيق ولم يكن هذا النقل قاصرا على الصور العادية فحسب بل شمل الصور الملونة أيضا .

ومن ذلك الوقت أخذ هذا الاختراع فى التقدم السريع الا أنه لم يزل الى يومنا هذا في دور الاصلاح والتحسين .

نظرية الرؤية عن بعد :

تتضمن نظرية الرؤية عن بعد تحويل الضوء الى اشارات كهربائية ثم ارسال هذه الاشارات الى مكان بعيد ثم احالتها الى ضوء من جديد ، فاذا أمكن القيام بهذه العمليات الثلاث بسرعة ودقة كافيتين تيسر نقل صور كاملة سواء كانت ثابتة أو متحركة .

وقد يكون من السهل القيام بهذه العمليات لو أن كل مايراد ارساله هو اشارة ضوئية واحدة ولكن لابد لنقل صورة كاملة من ارسال عدد كبير من الاشارات في برهة وجيزة .

فاذا علمت أن كل صورة تتكون من عدد كبير جدا من المساحات والاجزاء ينبعث من كل منها ضياء يختلف عن المنبعث من الأخرى وأن طبقة العين الشبكية ذات الأشكال المخروطية والطولية تقوم بتحليل الصورة التى تقع عليها العين الى أجزاء صغيرة تنقلها شعيبات عصب النظر العديدة الى الذهن — تبين لك كيف يمكن نظريا نقل الصور بتعريضها لعدد كبير من القوارير الكهربائية الحساسة وتوصيل كل منها بمجرى كهربائي يقوم بارسال الاشارات الكهربائية الى مكان بعيد .

غير أن هذه الطريقة المتشعبة ليست ميسورة في العمل فقد استعانوا في التجارب التى نجحت بطريقة تعرف «بطريقة الامعان» وهى الطريقة التى يمكن بها نقل الصورة بجذافيرها نقطة نقطة بارسال الاشارات المناسبة لدرجة الضوء المنبعث من كل نقطة من حيث القوة والضعف وهى مستعملة في ارسال الصور الثابتة التى يستغرق ارسالها بضع دقائق ولكن الأمر يختلف في حالة الصور المتحركة حيث يجب أن لايستغرق نقلها أكثر من جزء صغير من الثانية (نحو ١/١٥ منها) حتى تبدو كاملة وحتى يمكن أن تتغير أشكالها بسرعة كافية تبعا لحركة الشيء المرئى بدون أن يعرو الصورة أدنى اضطراب .

جهاز الامعان :

هناك عدة طرق لرؤية الصور بسرعة منها طريقة المرايا المتذبذبة وطريقة الاقراص الدائرة ، وقد وجدوا بالتجربة أن الطريقة الأخيرة هى الطريقة المثلى وهى تشتمل على قرص مستو مستدير به ثقوب صغيرة تتخذ فى مجموعها شكلا «حلزونيا» فاذا أدير هذا القرص فان كل ثقب يمر بدوره أمام منطقة الرؤية وبذلك يمكن رؤية الصورة كلها عند تمام كل دورة . وقد وجدوا أن أفضل طريقة لاستعمال هذا القرص هى أن تلقى صورة المنظر المراد نقله خلال عدسة على ثغرة في القرص مصنوعة بشكل وحجم خاص بحيث يمكن تعريض ثقب واحد فقط للصورة المراد نقلها ، فبادارة القرص من ١٥ الى ٢٠ دورة في الثانية تظهر الصورة التى تنفذ من الثقوب تامة ثابتة ولو أنها في الواقع مكونة من اشارات ضوئية يأتى بعضها أثر البعض .

تحويل الضوء الى اشارات كهربائية :

يستعمل للحصول على تيارات كهربائية من الضوء الذى ينفذ خلال ثقوب قرص الامعان مادة تتأثر بالضوء يجب أن تكون سريعة التأثر وأن ينبعث منها تيارات ذات قوة خاصة يمكن ارسالها بوسائل الارسال العادية كاسلاك المسرة مثلا .

ولهذا الغرض استعملوا في التجارب الأولى مادة السلنيم [١] غير أنه ظهر أنه بطيء التأثر فاستعانوا في التجارب الحديثة بالقارورة الكهربائية وهذه مكونة من أنبوبة زجاجية على جدرانها الداخلية طبقة من معدن قلوى كالبوتاسيوم ويمكن تفريغ الأنبوبة من الهواء أو ملؤها بغاز عديم الحركة كالأرجون [٢] فبسبب وقوع الضوء على هذا السطح انبعاث الذرات الكهربائية السالبة (الالكترونات) ويتولد بذلك تيار كهربائى لايكون تأثيره وقتيا فحسب بل معادلا لقوة الضوء أيضا .

ومن الضرورى قبل الارسال مضاعفة التيارات الكهربائية الناتجة بواسطة مضعفات مفرغة ويرجع نجاح الرؤية عن بعد فى الواقع الى التحسين الذى تناول هذه المضعفات .

ألارسال :— اذا عرضت الصورة المراد ارسالها لجهاز امعان به خمسون ثقبا فتحليل الصورة يعادل تقسيمها الى ٥٠فى٥٠ أو٢٥٠٠ جزء فيجب لتكون صورة متسقة لا انقطاع فيها أن تمر هذه الصورة بتمامها بجهاز الامعان نحو عشرين مرة فى الثانية الواحدة وهذا معناه ارسال اشارات كهربائية تعادل ٢٥٠٠ في ٢٠ أو ٥٠٫٠٠٠ جزء في الثانية وهو مايساوى كهربائيا ٢٥٫٠٠٠ دورة في الثانية تقريبا ، فاذا علمت أن ارسال الكلام بالمسرة يستلزم من الاشارات الكهربائية مايساوى ٢٠٠٠ دورة في الثانية تقريبا وباللاسلكى يستلزم مايساوى ٥٠٠٠ دورة في الثانية اتضح لك مايستلزمه ارسال صورة عادية من الوسائل الفائقة والمجهود الفنى العظيم .

ويتم ارسال اشارات الرؤية عن بعد بطريق سلكى أو لاسلكى ففى الأول ترسل الاشارات في الاسلاك بالطريق المعتاد وفي الثانى ترسل الاشارات بواسطة آلة مرسلة ذات قوة مناسبة .

تلقى الصور :— ان أسهل طريقة توصلوا اليها لاعادة تركيب الصور المرسلة هى طريقة القرص ذى الثقوب المتخذة شكلا « حلزونيا » كالقرص الذى فى الطرف الناقل

(١) السلنيم مادة معدنية تختلف مقاومتها للتيار الكهربائى الواقع عليها باختلاف درجة الضوء .

(٢) الارجون أحد الغازات الموجودة بالجو اكتشفه رايليه وارمسى سنة ١٨٩٤

فاذا أريد تلق صورة ما يوضع ازاء هـذا القرص منبع للضوء يمكن رؤيته خلاله ويتبع القرص بدقة كل تغيير فى قوة الاشارات الواردة من حيث الضياء والاقتام وقد وجدوا أن أفضل منبع للضوء هو مصباح غاز النيون[1] المتوهج الذى ينير منطقة الرؤية انارة تامة

فاذا مادار القرص بسرعة وراقبه الناظر رأى نقطا ساطعة من الضوء قوتها تعادل قوة الاشارات الواردة وهذه تعادل بدورها التيار الكهربائى الصادر من طرف الارسال أو بمعنى آخر تعادل قوة ضياء أجزاء الصورة المراد ارسالها .

ويرى الناظر ـ بامعان النظر ـ منطقة مضاءة اضاءة تامة تختلف اجزاؤها عتمة وسطوعا فاذا كان قرص التلقى دائرا بنفس السرعة التى يدور بها قرص الارسال ويتبعه فى تغيره بدقة كانت الصورة فى الطرف المتلقى مماثلة للصورة الأصلية فى طرف الارسال .

ولمسألة اتفاق السرعتين هذه أهمية كبرى في نجاح نقل الصور حيث يجب لنقل منظر نقلا دقيقا أن تكون سرعتا القرصين متطابقتين بدرجة فائقة فان مجرد تغير سرعة أحدهما عن الآخر ولو تغيرا تافها يؤدى الى اهتزاز الصورة المتلقاه وتشوهها فتخرج كدرة غير واضحة.



(١) غاز النيون هو غاز أو خليط من غازات اكتشفه السير وليم رامسى .

الجلد سياج لجسم الانسان

جلد الانسان هو أول مايقع عليه نظرنا واليه يرجع غالبا حكمنا على المرء من الوجهة الصحية لأول وهلة ، ولذا كانت العناية بالجلد على أصول علمية صحيحة من أول الواجبات التي ينبغي الاهتمام بها وتعهدها دائما بالاصلاح والوقاية ، فكلنا نعرف أي أثر يتركه منظر المرء الخارجي في أنفسنا اذا كان هذا المظهر غير معتنى به ، وكثيرا ما تقدر أعمار الناس بمجرد النظر الى جلد وجوههم وأيديهم

فلا عجب اذن اذا دعونا الى العناية بالجلد في هذا العصر ، عصر التقدم والمعرفة وتطبيق العلم على العمل .

فاذا قلنا ان جلد الانسان هو السياج الذى وهبنا اياه سبحانه وتعالى ليقينا شر تأثيرات العوامل الخارجية وليتمم علينا صورتنا الجميلة فاننا بذلك لم ندع غير الحقيقة ولم نذكر غير الواقع الصحيح .

وليس الجلد سياجا يحول دون التأثيرات الخارجية فحسب ، بل هو بطبيعته العضوية يحمينا من التأثيرات الكيمائية والجرثومية الداخلية ، فهو بذلك مرآة تفصح في غالب الأحوال عن حالة المرء الصحية ، هذا الى أنه كثيرا مايشف عن الحالة النفسية والوجدانية .

ومن الحقائق الغريبة والتي لم يهتم بهـا العلم من قبل أن الأمراض الجسمية التي تعتري جلد الانسان لاتصيب الأعضاء الداخلية بعطب أو أذى ، كما أن الأمراض التي تصيب الأطفال مثل الحصبة والحمى القرمزية تخف وطأتها اذا كانت مصحوبة بطفح جلدى .

فكل هذه الأمور جعلت الاعتقاد سائدا بين عامة النـاس بأن الأمراض لايخشى وقعها اذا ظهر طفحها على الجلد .

والجلد يوصل أشعـة الضوء الى الأعضاء الداخلية ويخفف من تأثيرها عليهـا

---

(١) نقلا عن مقال للدكتور «أوتوكار بشلوس» بمجلة (Woche) الالمانية

وبدونه نصبح ضحية لتأثيرات أشعة الشمس فوق البنفسجية ذات الأمواج القصيرة [1] القاسية ولعرضت أعضاؤنا الداخلية الى التهلكة ولكن الطبقة الجلدية تقف في طريقها وتفسد قوة صدماتها ثم تترك الاشعة ذات الأمواج الطويلة تنفد لتنشيط تكوين المادة الملونة في خلايا الجلد .

وهذه المادة الملونة هى من أهم ماينتجه الجلد من المواد الواقية وهى في المناطق الحارة غزيرة و كثيرة حتى أنها ترى حالكة السواد في بعض الأحيان وذلك لشدة أشعة الشمس في هذه الجهات ، ولا يقتصر اثبات أثر هذا الخضاب على ذلك فحسب بل ان له في أمراض مختلفة أثرا عظيما .

ولقد اتضح أخيرا أن التدرن الرئوى (السل) يكون أخف وطأة وأبطأ سريانا وأقل خطرا اذا أصيب بهذو البشرة السمراء، كما أنه لوحظ أن المصابين بهذا المرض الخطر كثيرا مايتغير لون بشرتهم فتأخذ لونا قاتما ، ويغلب على الظن أن لذلك علاقة بعملية الدفاع ضد شدة هذا المرض .

ولا يخفى أنه بزيادة حصانة الجلد ندفع عن أجسامنا أمراضا كثيرة ، وعلى هذه القاعدة بنيت عملية التطعيم .

ولقد يكون من الصواب أن نذكر شيئا عن خواص الجلد الحيوية الأخرى بعدأن أشرنا فيما سلف الى خواصه فيما يتعلق بالدفاع عن باقى الأعضاء الداخلية في الجسم .

يتنفس الانسان بواسطة الجلد بقدر ١/١٠٠ مما يحتاجه في عملية التنفس ، ولو أخذت هذه النسبة مجردة لظهرت ضئيلة ، الا أن أهمية هذا الجزء الصغير في التنفس يتضح لنا جليا اذا علمنا أن الانسان يموت اختناقا اذا احترق ثلث جلده ، وقد تظهر أهمية التنفس بواسطة الجلد في أجلى مظاهرها في الحيوانات ذات الدم البارد كالضفادع مثلا التى تحتاج الى الجلد في التنفس بما يقرب من ثلثى مقداره ، ويمكن للانسان أن يربط الرئة فيمنعها عن أداء وظيفة التنفس دون أن يعرض حياة هذا

---

(١) أشعة الشمس اذاحللت بالمدسة فانها تتراوح بين ماتحت الأشعة الحمراء ذات الامواج الطويلة نسبيا والذبذبات البطيئة الى مافوق الأشعة البنفسجية ذات الامواج القصيرة والذبذبات الكبيرة

الحيوان الى خطر ، ولكنه اذا غمرها في الزيت ومنع الجلد بذلك عن أداء وظيفة التنفس فانها تموت مختنقة في الحال .

ولزيادة التثبت من أداء الجلد لهـذا العمل يجدر بنا ذكر بعض الارقام التى تدل دلالة واضحة على أن الجلد هو من أكثر أعضاء جسم الانسان نشاطا ، ففى درجات الحرارة العادية يفرز الانسان من خلال الجـلد ٢٨ جرام ماء فى كل ساعة ومن ٨ الى ١٠ جرامات «حامض الكربونيك» في كل ٢٤ ساعة ، وتتضاعف هذا الكميات بارتفاع درجة الحرارة أو زيادة العمل والحركة ، ويحتوى عرق الانسان على ٦٦ في المائة من ملح الطعام ، وينتج الجلد يوميا ١/٢ جرام من مادة الشعر ، على أن الانسان يفرز بواسطة الجلد زيادة عما ذكر مواد أخرى مختلفة كثيرة كالحامض البولى .

هذا : الى أن الجلد يمتص مواد أخرى خارجية ويوصلها الى باقى الأعضاء ، فبواسطته يدخل ١/١٠٠ من الأكسجين الذى يحتاجه جسم الانسان ، كما أن كثيرا من الأدوية تصل الى دورة الجسم اذا دلك بها الجلد ، وقد لوحظ انخفاض كميه السكر في الدم اذا دلك الجسم «بالانسولين»[١]

وللجلد تأثير كبير على جميع الافرازات الداخلية ، كما يتضح اختـلال هذه الافرازات على الجـلد ، فاجهاد الغـدة الدرقية[٢] ينتج عنه تقشف الجـلد فيجف ويتشقق، وخمولها يسبب انتفاخه فيصبح اسفنجيا ، ويرجع ذلك الى اختلال المجموعة العصبية النباتية فى الحالة الاولى واختلال الدورة الجيرية فى الحالة الثانية ، ومن هذا يتضح لنا طريق علاج ووقاية الجلد .

كان قياصرة الرومان قديما يغتسلون بماء الحلبية [٣] لما يحتويه من مواد دهنية وجيرية ، فالمواد الجيرية تساعد على حصانة الأوعية الدموية وتخفيض قابلية الجلد

---

(١) الانسولين هـو دواء مرض السكر ويعطى عادة بواسطة الحقن تحت الجلد

(٢) الغدة الدرقية هى غدة في أعلا الترقوة ولها افرازات داخلية حيوية هامة وسميت درقية لانها على شكل درقة

(٣) الحلبية نبات طبي معروف عاميا باسم «بوفوروبيا»

للالتهابات وتنبيه المجموعة العصبية كما أن المواد الدهنية تساعد على زيادة سيلان الدم كما أثبت ذلك العلم حديثا حيث ان الدم لايتجمد بسرعة في الأواني الشحمية ، وتساعد الخضروات الأملاح الجيرية في عملها ، وعلى ذلك يمكننا أن نعتبر أن أحسن طريق لعلاج ووقاية الجلد هو الاكثار من الأغذية الغنية بأملاحها الجيرية والاكثار من شرب اللبن واستعمال المساحيق ذات الأملاح الجيرية والمراهم الدهنية دون أن يؤدى ذلك الى سد مسام الجلد .

وبما أن الجلد يمتص مواد أخرى تحل المواد الدهنية فينبغى تدليكه من آن لآخر بالكحول النقى كما ينبغى تجنب الاكثار من أكل اللحوم حتى لايكثر افراز الحامض البولى الذى يتلف رونق الجلد .

تأثير درجة الحرارة على النباتات

لكل نوع من النباتات درجة حرارة خاصة ينمو فيها نمواً حسنا مضطردا ، ولهذ السبب يرجع عقم كثير من أنواع النباتات إذا نقلت من مكانها إلى ناحية أخرى قد لاتكون درجة حرارتها كافية لنموها الطبيعى، ودرجة الحرارة المرتفعة ضارة بالنبات ضرر درجة البرودة المنخفضة ، فالحرارة الشديدة قد تسبب موت النبات ، إلا أن هناك أنواعا تتحمل أشد درجات الحرارة ارتفاعا وبعضها يستلزم ارتفاع الحرارة لنموه ، كما أن كثيراً من النبات مايدفع عن نفسه البرد القارص بواسطة قشور البرعم وشعيراته الرديئة التوصيل للحرارة ، كما يتوسل لذلك فى بعض الأحيان بتقليل عصيره أو تغيير تركيب هذا العصير تغييراً كيمائيا وعلى الأخص فى الغصون ، إلا أن هناك نباتات تحتمل درجة حرارة منخفضة جداً مثل أشجار الصنوبر التى تنبت فى سيبيريا وألاسكا وكندا ومثل نباتات القطب التى تعيش فى درجات حرارة واطئة جداً .

(مترجمة عن مجلة Kosmos الالمانية)

الغواصات وكيف تغوص [1]

يبتدىء تاريخ الغواصات من سنة ١٦٢٠ حين أنشأ كورنيليوس فان دربل وهو رجل هولاندى كان فى خدمة جايمس الأول ملك انجلترة غواصة سيرها اثنا عشر مجذفاً على عمق يتراوح بين اثنى عشر وخمسة عشر قدماً لبضع ساعات بنهر التيمس وجاء بعد فان دربل كثيرون فى القرنين السابع عشر والثامن عشر وضع بعضهم تصميمات وأنشأ البعض الآخر غواصات ولكن لم تستعمل الغواصات فى الأغراض الحربية حتى سنة ١٧٧٦ . ففى تلك السنة حاولت الغواصة الأمريكية «ترتل» (السلحفاة) إغراق السفينة الحربية الانجليزية « إيجل » (النسر) التى كانت راسية على مسافة من نيويورك بوضع عمارة من ملح البارود فى أسفلها بواسطة مثقاب لولبى ولكنها أخفقت فى سعيها حيث لم يقو المثقاب على خرق صفائح السفينة النحاسية وعادت الغواصة أدراجها .

وفى ليلة ١٧ فبراير سنة ١٨٦٤ إبان الحرب الأمريكية الأهلية غرقت السفينة «هوساتونيك» التى كانت تحاصر مدينة شارلستون [2] بنساف بحرى أرسلته عليها غواصة فكان ذلك أول مرة فى التاريخ أغرقت فيها غواصة سفيناً حربيا .

وكثرت بعد ذلك التجارب فى فرنسة والولايات المتحدة وكان التقدم فيها بطيئاً إلا أنه كان مؤكدا، وأخيرا قررت السلطات البحرية فى البلدين أن الغواصات قد بلغت درجة من التقدم تبرر إدماجها ضمن قواتها البحرية .

فأنشأت فرنسة الغواصة « جيمنوت » (ثعبان البحر) فى سنة ١٨٨٦ وأنزلت إلى البحر سنة ١٨٨٨، وأنشأت الولايات المتحدة عدة غواصات أنزلت أولها سنة ١٨٧٥ وحذت حذوهما ألمانية حيث أنزلت غواصتين سنة ١٨٩٠ وأنزلت إيطالية أول غواصة لها سنة ١٨٩٢ وتلتها بريطانية بخمس غواصات سنة ١٩٠٠ .

كيف تغوص الغواصات :

تغوص الغواصة بامتلاء عدة خزانات تسمى « خزانات الثقل [3] الرئيسية » بالمياه

---

(١) عن دائرة المعارف البريطانية (٢) ميناء على المحيط الأطلانطيق بالولايات المتحدة (٣) الصابره

امتلاء تاما وعدة خزانات أخرى صغيرة امتلاء جزئيا . فاذا ماشت هذه الخزانات أخذت الغواصة فى الهبوط وإذا أفرغت طفت الغواصة على سطح الماء . وأهم هذه الخزانات هى « خزانات الثقل الرئيسية » التى إذا امتلأت امتلاء تاما استحال على الغواصة أن تطفو على سطح الماء ، ولكل خزان صمام فى أسفله لدخول المياه وخروجها ومنفذ فى أعلاه لخروج الهواء وانبوبة يدخل منها الهواء المضغوط إلى الخزان لدفع المياه ، فعندما تكون الغواصة طافية على سطح الماء يفتح الصمام الأسفل ويقفل المنفذ الأعلى فيمنع ضغط الهواء ازدياد المياه بالخزان ، وعندما تغوص الغواصة تفتح منافذ الهواء بخزانات الثقل الرئيسية كلها فتغمر المياه الخزانات ويخرج الهواء من هذه المنافذ حتى تمتلأ الخزانات فتقفل المنافذ .

وقد غاصت الغواصة « نارفال » (الحوت) فى تجربتها الأولى فى خمس وعشرين دقيقة ونقصت هذه المدة إلى اثنتى عشرة دقيقة بعد تدريب البحارة ، وأظهرت الحرب الكبرى أن الوقت الذى تغوص فيه الغوصة عامل جوهرى فى تجنب طلقات الدافع أو المصادمة فزادوا عدد الصمامات والمنافذ حتى لتستطيع الغواصة أن تغوص الآن فى دقيقة أو دقيقتين على الأكثر ، فعندما تهبط تحت سطح الماء تكون صمامات الامتلاء مفتوحة كما أسلفنا ومنافذ الهواء محكمة القفل وتطفو على سطح الماء بادخال الهواء المضغوط إلى الخزان فيدفع المياه إلى أسفل ومن ثم إلى البحر .

ويهيمن ضباط المراقبة على هذه الصمامات والمنافذ فاذا التقت الغواصة وهى على سطح الماء بمركب حربى للعدو كانت خزانات ثقلها الرئيسية ممتلئة بالماء امتلاء جزئيا لتضمن سرعة غوصها ، فان كانت ممتلئة إلى النصف قيل انها « طافية نصف طفو » وإن كانت ممتلئة إلى الثلاث أرباع قيل انها « طافية ربع طفو » وإن كانت شاغرة قيل انها « طافية طفوا تاما » .

وتكون الغواصة فى حالة « الثقل التام » أو فى حالة الاستعداد للغوص إذا غاصت مباشرة على أثر امتلاء الخزانات الرئيسية ويجب أن تكون دائما على هذه الحال فى وقت الحرب والمناورات .

وعلى الضباط المنوط بهم قيادتها أن يكونوا على تمام الأهبة بالمحافظة على هذه الحالة

الخاصة وأن لا تغمض لهم عين فى مراقبه نقص الثقل وازدياده بادخال المياه وإخراجها من الخزانات ، ولهذا الغرض أنشأوا ما يسمى « بخزانات التعويض » أو « خزانات الثقل الاضافية » فى كلا جانبى الغواصة وطرفيها ، ولهذه الخزانات صمامات امتلاء ومنافذ هواء وأنابيب لإدخال الهواء ومقاييس تبين مقدار الماء بها فى أى وقت .

وزيت الحريق المستعمل فى تسيير الغواصات هو المادة الأساسية التى تحتاج لتعويض ماينفذ منها حيث يخزن هذا الزيت فى خزانات تملأ ملأً تاما تكون متقابلة الوضع طولا وعرضا، فاذا احتاجوا إلى زيت من أحد الخزانات أدخلوا ماء البحر إلى قاع الخزان فيندفع الزيت إلى غرفة آلات تسيير الغواصة من أنبوب فى أعلاه ، ويمنع الفرق بين كثافتى مياه البحر وزيت الحريق امتزاجهما ، ولكنه يؤدى إلى زيادة فى الثقل العام كلما استهلكت الآلات الزيت .

فمثلا إذا كان ثقل زيت الحريق النوعى هو ٩ و٠ وأفرغ خزان سعته ٥٠٠ قدم مكعب منه وملىء هذا الخزان بمياه البحر فان الثقل يزداد ٣٩٠٠ رطلا [١] . وهذا الوزن من الماء يجب تفريغه من خزانات التعويض أو « خزانات الثقل الاضافية » .

وهناك مواد أخرى كالشحم والذخائر والقنابل والمأكولات والماء العذب ألخ يجب الاستعاضة عن ثقلها كلما استهلكت باضافة ثقل يساويها من ماء البحر فترى من ذلك ما لعملية التعويض من الأهمية الكبرى ولذا توكل مسؤوليتها إلى ضابط خبير يعهد اليه بمراقبة مايطرأ على مخازن المواد المستهلكة ومقدار الماء فى جميع الخزانات من ضروب التغيير فيتيسر له بمراجعة الأثقال فى كل فترة أن يبقى الغواصة غائصة تحت سطح الماء .

---

(١) الماء أثقل من الزيت

العلم يحمينا من سطو اللصوص

(مترجمة عن مجلة « العلم والحياة » الفرنسية (La Saence et La Vie)

التقدم العلمى سلاح ذو حدين اذ أنه وان كان يتيح لنا اصلاح شئوننا المعاشية فانه كذلك وسيلة في يد النفوس الشريرة للهدم والتخريب ولذلك نرى اللصوص فى العصر الحالى مجهزين بآلات كاملة الدقة واستعداد مثل « بورياء » الصائغ [1] التى هى نموذج لأشد الآلات تأثيرا للسطو على خزانات النقود الحديدية لكن العلم النافع لم يشأ أن يقر بالعجز والانهزام أمام تلك الآلة لأن الخزانة الحديدية أصبحت الآن بفضل التقدم العلمى كأنها حصن صغير منيع يصعب السطو عليها بواسطة شعلة البورية «الصاهرة» بل وأكثر من ذلك فقد أكملت الوسائل لحماية الخزانة باعداد ارصاد حقيقية لها تؤذن بوجود اللصوص قبل السطو عليها ، وهى عبارة عن آلات اخطار كهربائية حديثة سريعة التأثر من أقل اهتزاز ومن أخفت صوت عند اقتراب أى جسم أجنبي منها كجسم الانسان وهى تخطر في الحال الحارس بوجود اللصوص بمجرد دخولهم المكان الموجودة به الخزانة .

ولأيهما يكون الفوز للقنبلة أم للمدرعة ؟

نشاهد كل يوم العراك القائم بين تحسين وسائل الهجوم وبين طرق الدفاع العلمية ، وهذا العراك الذى يظهر لنا بأجلى معانيه فيما هو خاص بالدفاع عن الوطن يجرى كذلك في ظل المعامل العلمية من الوجهة الاجتماعية لمقاومة اللصوص ، أو ليس الامر خاصا بالدفاع عن المال وهو الركن الاساسى للحياة الاجتماعية ، قد بلغت الخزانة من التحصين مبلغا يدعو للدهشة والاعجاب بحيث تستطيع أن تقاوم كل محاولات اللصوص المستمرة الذين بلغت طرق سطوهم درجة مزعجة

انها اذن لحرب تدور رحاها بين الخير والشر وتتطور وتتسع أمام أعيننا . ولكن ـ لحسن الحظ ـ سنرى قريبا أننا مجهزون بأسلحة قوية فيما اذا أردنا أن

---

(١) عبارة عن غاية ينفخ فيها الصائغ لاصهار المعادن واذابتها بواسطة غاز الاوكسيجين والاستلين .

نستفيد من تقدم الصناعات الذى حصل في خلال السنين الاخيرة .

آلات الاخطار : أرصاد الدفاع

هذا ولما كانت هناك حرب بين الخير والشر فلا عجب أن يكون هنالك نظام للدفاع يسير على منوال الخطط الحربية للدفاع ضد غارة اللصوص، وما هو اذن عمل وحدة من وحدات الجيش ؟ انها تضع أمامها الارصاد المكلفة باعطاء اشارة الاخطار لتحاشى أية مفاجأة أو أى هجوم على غرة ، وعمل هذه الارصاد ينحصر فقط في التنبيه حتى يكون لدى قسم الدفاع الوقت الكافي لأخذ الأهبة والاستعداد .

والغرض من الخزائن الحديدية هو أن تكون حصنا منيعا لحماية الاشياء القيمة التى نحرزها — من السرقة والتحطيم ، وسنرى هنا أننا إذا أحسنا اختيارها سنجدها قائمة بحماية الاشياء المودعة بها خير قيام، ولكن أليس من المفيد أن نجهزها بارصاد نائية بوضع آلات بعيدة عنها من شأنها أن تعطى اشارة الاخطار في حال اقتراب العدو كما هو الحال في أعظم المنشئات الحربية الهائلة المجهزة بمراكز للحراسة والانصات؟

لقد أجيب على هذا التساؤل بالايجاب منذ زمن بعيد باستعمال الاجراس اذ يعرف جميع الناس أن ليس هناك أسهل من ايصال القفل بتيار كهربائى يجعل الناقوس يدق دقات الاخطار .

وقد استعمل كثيرا هذا الجهاز منذ زمن طويل على أبواب المخازن التجارية والنوافذ وواجهات الحوانيت وغيرها

ولكن مما يؤسف له أن نظام هذا الجهاز العتيق قد يختل ويقف عن العمل بسبب تلف الاسلاك من طول الاستعمال أو تعطيل التيار ، وفضلا على ذلك فان اللصوص لم يعتادوا أن يدخلوا دائما البيوت من أبوابها .

الارصاد الحديثة : لقد توصلنا الآن بفضل التقدم العلمى الى صنع آلات أكثر ضمانا اذ قد انشىء ثلاثة نماذج من الارصاد يمكن أن تكون موضع الثقة التامة وهى الآلات السريعة الارتجاف والآلات ذات القوة الكهربائية الكامنة والآلات

ذات الاشعة الحمراء المنحرفة :

(١) الآلات السريعة الارتجاف :— هى عبارة عن آلات ارصاد حقيقية دقيقة جدا وهى من طراز مرصد الزلازل ومجهزة بآلات لتعظيم الصوت تذيع في دائرة معينة أقل الاختلاجات واخفت الاصوات .

فاذا وضعت تلك الآلات المعظمة للصوت والسهلة التركيب في مخزن تجارى أو في الغرفة الموجودة بها الخزانة الحديدية فانها حتما تؤذن بصوت الاخطار عند حدوث أية حركة أو وقوع أية محادثة مهما كانت بصوت خافت أو عند قيام اللصوص بنقب جزء من الجدار ، فعند مايقابل أولئك (اللصوص) بذلك الزئير المزعج الذى تحدثه الآلة فانهم لا يفكرون الا فى سبيل النجاة والتعلق باذيال الفرار .

وهذا المرصد يتيح لنا أيضا تسجيل عدد الاصوات غيرالعادية بواسطة خطوط بيانية ترسمها آلة التسجيل وبدرس هذه الخطوط تنكشف لنا الأعمال الأولية التى يقوم بها « ناقبو الجدران » عند اقترابهم ، ويمكن تتبع حركة تقدمهم فيتيسر بذلك اتخاذ كل الاجراءات اللازمة في الوقت المناسب ، غير أن ذلك المرصد يبقى جامدا لايتحرك بالاهتزازات التى تسببها حركة المركبات في الشارع .

(٢) الآلات ذات القوة الكهربائية الكامنة :— لايوجد الآن انسان يجهل تأثير القوة الكهربائية التى تنبعث من جسم الانسان عند اقترابه من كتلة من المعدن فان العمل في ادارة محطات المخاطبات اللاسلكية والصفير الذى ينشأ عند ربط مراكز المخاطبات ببعضها قد أتاحا للناس معرفة تلك الظاهرة ، تلك القوة الكهربائية الكامنة في جسم الانسان ، والخزانة الحديدية المرتفعة عن الارض بعض الارتفاع ان هى الا كتلة من المعدن يمكن تغيير أو تعديل قوتها الكهربائية عند اقتراب جسم أو يد أو آلة منها مهما اتخذ اللص من الحيطة بابتعاده من الارض ، وعلى هذا الاساس أمكن صنع مخطار (آلة للاخطار) شديد الاحساس جـدا سمى باسم « أفرتـكس » (Avertex) وقد أمكننا أن نرى كيفية استعماله في معرض المخاطبات اللاسلكية

الذى أقيم في باريس واطلق عليه «اسم المدينة المسحورة» وهذه الآلة التى هى في غاية من السهولة والبساطة ومزودة فقط بشىء من شعاع النور ومهيأة لتكون أداة اتصال بين الخزانة الحديدية وصاحبها لاسيما اذا كانت تلك الخزانة في حد ذاتها غير كافية من حيث مناعتها من سطو اللصوص ، ولكن لاننسى أن « حملة العتلة » (اللصوص.) أو بالأحرى فرسان (البورياء) يعرفون جيدا ولأول وهلة أن يفرقوا بين الخزانة التى يسهل السطو عليها بمجرد رؤية شكلها الخارجى وبين التى تفشل أمامها محاولاتهم لسرقتها .

وانه بفضل مخطار «الفرتكس» لم يعد من الممكن الاقتراب من الخزانة دون أن يحدث ذلك صوتا ينم عن وجود اللصوص أو دون أن يشعر الحارس أو أصحاب الخزانة .

(٣) الآلات ذات الاشعة الحمراء المنحرفة : — سنقتصر هنا على مبلغ ماهذه الآلات الحديثة من الاثر في حماية الخزانات الحديدية .

قد رأينا أن دائرة عمل الطريقتين السابقتين محدودة وضيقة الا أنه بفضل الأشعة الحمراء المنحرفة يمكن ايجاد حواجز حقيقية غير منظورة لحراسة قاعات شاسعة بأكملها لأن هذه الاشعة التى تبعثها آلات خاصة لارسال الضوء الى مدى بعيد وتعكسها مرايا محكمة الوضع ومختفية عن الانظار تصل في نهاية الأمر الى خلية كهربائية شديدة الحس ، فاذا ماصادف الأشعة أى عائق في أية نقطة أثناء سيرها فلا تصل بذلك للخلية فان هذه تحرك آلة الاخطار في الأماكن المخصصة لها وبالشكل المرغوب (مثل اضاءة مصابيح أو تحريك أجراس ذات صوت مزعج) .

وبنفس هذه الطريقة يمكن نصب حاجز غير منظور حول الخيام المنعزلة النائية وداخل أو خارج خزانات المصارف وفي مخازن الجواهر وغيرها .

هذا وقد شاهدنا في معرض المخاطبات اللاسلكية الأخير بباريس كيف أن حجرة زجاجية بمحل الجواهر كانت محصنة تمام التحصين بواسطة حاجز من الأشعة

الحمراء المنحرفة كما رأينا التطورات التى حدثت لسفينة صغيرة بدون محرك تسيرها الأشعة الحمراء المنحرفة التى لاترى .

وفضلا عن ذلك فان تلك الآلات الحديثة التى تقوم وحدها برقابة دائمة تحفظ توازنها باستمرار وتخطر صاحبهـا بمجرد أن يقف تأثير رقابتها لسبب من الاسباب .

التسمم بغاز الفحم

جاء بمجلة "Umschau" الألمانية أن الاختناق بغاز الفحم راجع إلى أن اختلاط هذا الغاز بهواء التنفس يجعل من المادة الملونة فى الدم — الهموجلوبين — مادة أخرى لاتستطيع حمل الاكسجين إلى انسجة الجسم، وتوصل الدكتور كوزا بمدينة برسبورج إلى علاج التسمم بهـذا الغاز بواسطة الأشعة فوق البنفسجية التى تؤثر فى المادة الجديدة المكونة من غاز الفحم والهموجلوبين تأثيراً يفصل عنها الغاز فتعود طليقة حرة وتقوم بوظيفتها الأصلية .

***

الشعور بالتغيرات الجوية

كثيراً مايشعر المصابون بالالتهابات القديمة أو بآثار العمليات الجراحية أو بكسر فى العظام بالتغيرات الجوية قبل حلولها بفترة غير قصيرة ، ولقد أدت أبحاث الاستاذ الدكتور (لاسلو) إلى أن ذلك يرجع إلى أن الأنسجة السليمة لها خاصة غريبة وهى امتصاص الرطوبة الجوية ، فتمدد بتأثير رطوبة الهواء المحيط وتنكمش فى الجو الجاف ، فاذا كان الجلد مصابا بالالتهابات المزمنة أو به آثار من عملية جراحية فان هذه الأمكنة تعوق التمدد والانكماش ويؤدى ذلك إلى اختـلال تعادل امتصاص الرطوبة فينشأ عنه الألم الذى يسميه البعض انذاراً بالتقلبات الجوية .

(مترجمة عن مجلة Kosmos الألمانية)

فقيد الاسلام والشرق

مولانا محمد على

ولد هذا الزعيم الاسلامى فى إمارة « رامفور » من بلاد الهند، وقضى زهرة شبابه فى تلقى العلم بجامعة « عليكره » الاسلامية : فكان من نوابغ طلاب العلم بهذه الجامعة ، وسافر بعد الى أوربة والتحق بجامعة « اكسفورد » فقضى هنالك اربع سنين ، ثم عاد إلى الهند وتولى منصبا اداريا فى إمارة « برودة » ثم تخلى عنه وأنشأ صحيفتين كانتا تصدران بعاصمة الهند « كلكتا » إحداهما باللغة الهندية الأوردية ، وثانيتهما باللسان الانكليزى ، وانتقل بعد هذا إلى عاصمة « دهلى » واستمر على إصدار الصحيفتين ، وفى أثناء الحرب الكبرى ظهر بعاطفة سياسية اسلامية أودع عقبها السجن إلى أن وضعت الحرب أوزارها فخرج إلى الجهاد فى حقوق الهند خاصة والعالم الاسلامى عامة ، وكان من المؤسسين لجمعية اسلامية سياسية فى الهند ثم جمعية الخلافة وكان من العاملين فى جمعية وطنية كبرى فى عاصمة « دهلى »

ومنذ عهد قريب سافر إلى لندن عضوا فى مؤتمر الهند المسمى « مؤتمر المائدة المستديرة » فأدركته المنية فى أواسط شعبان سنة ١٣٤٩ ﻫ أفاض الله عليه وابل رحمته ، وعند ما وصل نعيه إلى القدس الشريف بعث فضيلة رئيس المجلس الاسلامى الأعلى برقية إلى أخى الفقيد مولانا شوكت على يرجو منه الموافقة على نقل جثة الفقيد لتدفن بجوار المسجد الأقصى فقبل هذا الرجاء وتقرر دفنه حول المسجد الأقصى حيث دفن كثير من أبطال الاسلام .

وقد سافر رئيس تحرير هذه المجلة الى بورسعيد عند وصول جثة الفقيد لتعزية أخيه مولانا شوكت على، وبعث حضرة صاحب العزة مدير هذه المجله الى فضيلة رئيس المجلس الاسلامى الأعلى رسالة فى تعزية آل الفقيد والاعتذار عن عدم التمكن من الحضور لتشييع الجنازة يوم الدفن .

وكان الفقيد رحمه الله تعالى بارعا فى الخطابة قوى العارضة معروفا بصرامة العزم والاقدام والصراحة فى الحق ، ومن مبادئه الدعوة الى الجامعة الاسلامية ، وكان يقول « أنا مسلم أولا وثانيا وثالثا » ويقول « إن الاسلام رابطة عقدها الله تعالى بيننا ، وأما الوطنيات فانها رابطة دعانا اليها الشيطان »

نسأل الله تعالى أن يجازيه عن جهاده خيرا ويقيض للاسلام زعماء يجاهدون فى سبيله بايمان وشجاعة وإخلاص

« هدية نفيسة »

أهدى حضرة صاحب العزة مدير هذه المجلة كتابين من معرباته القيمة وهما كتاب « الف باالكهرباء » تأليف المستر (دبليو اتش ميدو كروفت) وكتاب « الف باالتجارب الكهربائية » تأليف « دبليو .ج . كلارك » وهما معربان بعبارة واضحة وأسلوب سهل يجمل مافى الكتابين من فوائد قريب التناول . كما أهدى مجموعة كتب نافعة من مؤلفات المرحوم والده الاستاذ الفاضل الشيخ محمد الجنبيهى وهى : كتاب « الرزايا العصرية . لشبان الأمة المصرية » وكتاب « كرم الربوبية وشرف العبودية » وكتاب « بلايابوزا العصرية » وكتاب « تباكى المترامى على أعتاب المحبين » والجزء الأول من « رسالة الحبيب ودلالة الطبيب » فنشكر حضرته على هذه الهدية القيمة . وهذه الكتب تباع فى المكتبة التجارية بشارع محمد على لصاحبها حضرة الفاضل مصطفى محمد وفى المكتبة السلفية بجوار محكمة الاستئناف وفى جمعية الهداية الاسلامية بالحامية الجديدة وفى مكتبة محمد افندى صبيح بجوار الأزهر الشريف

دعوة نصارى العرب الى الدخول فى الاسلام

هى مجموعة مقالات محرره بقلم المسيحى العربى الاستاذ خليل اسكندر قبرصى كانت قد نشرت فى مجلة (الفتح) الغراء ما خلا المقالة الأخيرة فانها نشرت فى صحيفة (الجامعة العربية) الغراء ، دعا الاستاذ فى هذه المقالات إخوانه المسيحيين من العرب الى الدخول فى الاسلام مبينا فيها محاسن الاسلام وما يناله نصارى العرب من الحياة الفاضلة إذا هم دخلوا فى حظيرته جميعا ، وقد طبعت هذه المجموعة بالمطبعة السلفية فنحث القراء على اقتنائها

قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم

نور الإسلام

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها مشيخة الأزهر الشريف

تظهر غرة كل شهر عربي

العدد ٩	رمضان سنة ١٣٤٩	المجلد الاول

مدير إدارة المجلة

عبد العزيز محمد بك

المستشار بمحكمة الاستئناف
ومن أعضاء مجلس الأزهر الأعلى } سابقا

رئيس التحرير

السيد

محمد الخضر حسين

من علماء الازهر

الادارة

شارع مظلوم باشا رقم ١

تليفون : بستان ٣٥٠٧

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

الاشتراك

	قرش
داخل القطر المصرى	٤٠
للعلماء غير المدرسين وطلبة المعاهد والمدارس	٢٠
خارج القطر المصرى	٥٠
لطلبة المعاهد والمدارس...	٣٠

يعامل أئمة المساجد والمأذونون ومعلمو المدارس الأولية والعمال معاملة الطلاب

وثمن الجزء الواحد ٣ قروش صاغ داخل القطر و ٤ خارجه

مطبعة المعاهد الدينية الاسلامية

١٣٤٩ هـ — ١٩٣١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الدهاء والاستقامة

خصلتان يبلغ بهما الرجل أن يكون عظيما ، وحق لمن استولى على الأمد الأقصى منهما أن يكون زعيما : هما بعد النظر فى استكشاف غوامض الأمور ، وذلك مانسميه الدهاء أو الكياسة ، والسير فى سبيل الرشد بقلب سليم ، وذلك ما نسميه الاستقامة أو التقوى ؛ ولا نقصد فى هـذا المقام الى الحديث عن بعد النظر فى إدراك العويص من مباحث العلوم ، وإنما نقصد الى الحديث عن الدهاء من ناحية تقدير وسائل النفع والضرر ، أو من حيث شعور صاحبه بما يحمل له من ضغن أو ينصب له من كيد .

يقارن الدهاء الاستقامة فيصرف فى تدبير الوسائل التى تكفى شراً مقبلا أو تجلب خيرا متعسرا ، ويقارن زيغ العقيدة أو لؤم الطبيعة فيندفع بصاحبه فى شعاب الباطل ، ويكون نصيبه من الافساد فى الأرض فوق نصيب الغباوة إذ يزيد عليها أن يبتكر للشر فنونا غير معروفة ، ويلبس الباطل ثوب الحق ، ويخرج المفسدة فى لون المصلحة ؛ فاذا لم تجد الحقائق أو المصالح دهاء يمحق دهاء المبطلين أو المفسدين ، عمى على العامة أمرها وظهرت الضلالة والسفاهة مكانها .

ولكثرة ما يصاحب الدهاء من المكر والنزوع الى الشر توهم بعض العامة أنه لا يجتمع مع سلامة الضمير والحرص على فعل الخير ، فتراهم يعدون غفلة الرجل عما ينطوى عليه الحديث من مغامز ، وما يراد به من مكايد ، أثرَ صلاحه وطيبِ سريرته ، وكاد بعض الكاتبين على حديث « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » يحوم حول هذا الوهم إذ حمل الحديث على عدم الانخداع فى الدين بأن يصـدق الكاذب الذى ظهر له كذبه مرة ثانية

ثم قال : (وأما الانخداع فى أمور الدنيا بناء على قلة التفاته اليها وعدم اهتمامه بها فهو ممدوح مطلوب) ، والحق أن الغفلة عن نواحى الشر دينية أو دنيوية لا تدخل فى سلك الكمال ولا تستدعى مدحا ، وإنما الكمال فى اليقظة والكياسة ، والقصد من الحديث الشريف تحذير المؤمن من أن يكون مغفلا وإرشاده الى استعمال الفطنة فى شؤونه دينية أو دنيوية ، واذا كان الحديث مسوقا للاخبار عن حال المؤمن فانما يريد المؤمن الكامل وهو الذى يستنير بالحكمة ويعتبر بالحوادث فتصفو بصيرته ويهتدى الى غوامض الأمور ، حتى يكون حذرا مما سيقع ، واذا أخذته الغفلة مرة فنكب من ناحية كانت نكبته من هذه الناحية هى الأولى وهى الآخرة ، ويوافق هذا قول عمر بن الخطاب : « لست بخب والخب لا يخدعنى » ؛ وأما المؤمن الذى يكون حظه من الحكمة والاعتبار بخسا ، فقد يلدغ من الجحر الواحد مرتين أو مرارا .

ولا يعارض هذا حديث « المؤمن غرّ كريم والفاجر خب لئيم » فقد تكلم الحفاظ فى سنده حتى ذهب بعضهم الى أنه ، موضوع ، وهو بقطع النظر عن سنده قد وقع لفظ الغرّ فيه مقابلا للفظ الخب الذى هو الجُربُز أى الخدّاع ، فيكون المراد من الغرارة غفلته عن الشر ؛ فان كريم الأخلاق طيّب السريرة لا يبحث عن الشر بحث من يريد التوغل فى طرقه والخوض فى غماره ، وهو مع كونه لا يبحث عن هذه الطرق بحث المولع بها يأخذ بسنة الاحتراس فلا ينخدع لخب يزخرف له القول مداهنة أو ينصب فى طريقه حبالة ، فغفلة الرجل عن وسائل الشر لانصرافه الى الخير بشراشره لا تنقص من كياسته فى تدبير وسائل الخير أو الاحتراز عما يهيء له أو لقومه من الشر ، فلا يصح أن يكون الايمان الذى هو أساس استنارة الفكر سبب الانخداع لتمويه مبطل أو مخاتلة ذى مأرب .

نجد فى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يرشدنا الى أن السياسة الاسلامية لا ينهض بها المستقيم إلا أن يكون أريبا ، ولا الأريب إلا أن يكون مستقيما .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما كان محفوفاً به من رعاية الله وتأييده لم يترك أمر السياسة الحربية أو المدنية دون أن يجريه على سنة التدبير والاحتراس من أمور يتبعها فى العادة عواقب سيئة ؛ فمما نقرؤه فى سيرته الزاهرة أنه اذا قصد السفر لحرب قوم أخذ يسأل عن ناحية قوم آخرين حتى يظن السامع أنه ينوى السفر الى الناحية التى يسأل عنها ، ونقرأ فيها أنه كتب لأمير سرية كتاباً وقال له : (لا تقرأه حتى تبلغ مكان كذا وكذا) فلما بلغ ذلك المكان قرأه على الناس وفيه ذكر الناحية التى أمرهم بالتوجه اليها ؛ ومن مثل هذا أخذ يحيى بن اكثم قوله فى حديث مع المأمون : « لا يستقيم كتمان شىء إلا باذاعة غيره » .

ومن بديع سياسته عليه الصلاة والسلام صلح الحديبية ، فقد خفى على بعض كبار الصحابة حكمته فلم يرتح له ، ولكنه أتى بخير كثير إذ كان توطئة لفتح مكة دون أن تراق فيه دماء طاهرة أو تقصم فيه ظهور انحنت بعد الفتح راكعة لله ، وخرج منها رجال جاهدوا فى الحق بحماسة وإخلاص ، وكان صلوات الله عليه مع ما يجده فى الناس من حسن الطاعة والتسليم ، قد يستحسن الأمر ويدعه حذرا من أن يلاقيه بعضهم بانكار ؛ فانظروا الى ما جاء فى الصحيح من أنه عليه الصلاة والسلام استحسن نقض البيت وبناءه على أساس ابراهيم ، وإنما تركه مخافة أن تنكره قلوب من كانوا حديثى عهد بالجاهلية من قريش ، وإنما يراعى عليه الصلاة والسلام إنكار الناس فيما لم ينزل به وحى ولم تقتض حاله أن يكون شرعا نافذا .

واذا قال ابن خلدون فى الحديث عن العرب (انهم أبعد الأمم عن السياسة) فانما يريد العرب قبل أن يستضيئوا بحكمة الاسلام ، أما بعد أن نزل القرآن وشاهدوا سيرة أحكم الخليقة صلوات الله عليه فقد كان نصيبهم من البراعة فى السياسة فوق كل نصيب .

نقرأ فى تاريخ فتح الفرس أن سعد بن أبى وقاص أرسل المغيرة بن شعبة الى رستم

القائد الفارسى ، فأقبل حتى جلس معه على سريره ، فوثب اليه أتباع رستم وأنزلوه من السرير ، فقال المغيرة : (إنا معشر العرب لا يستعبد بعضنا بعضاً ، فظننت أنكم تتواسون كما نتواسى ، وكان أحسن من الذى صنعتم أن تخبرونى أن بعضكم أرباب بعض ، اليوم علمت أنكم مغلوبون ، وأن ملكا لا يقوم على هذه السيرة ، ولا على هذه العقول) ؛ قصد المغيرة بما صنع وما قال تعليم القوم المساواة التى جاء بها الاسلام ليألفوه ، وإشعارهم بأنهم يعيشون تحت راية تلك الدولة عيش المستعبدين ، ليجنى من وراء هذا سقوط مكانتها من أنفسهم فلا يدافعوا عنها من صميم أفئدتهم .

لا يستغنى رؤساء الشعوب عن الدهاء فى السياسة ، وأشدهم حاجة الى تدابيره الغامضة رئيس قبض على زمام طوائف اختلفت أهواؤهم سبلا ، وتفرقت أراؤهم مذاهب ؛ فاذا رأينا السياسة فى عهد أبى بكر وعمر رضى الله عنهما تسير على مناهج من العدل واضحة فلأن الرئيس عادل ومعظم الأمة على سبيل من الهداية لا تختلف ، وما استقام الأمر لمعاوية مع ما خالط الأمة يومئذ من التفرق فى الآراء إلا لأنه كان يسلك فى السياسة مسالك خفية ، ويركب لها من الطرق الوعرة ما لم يركبه الخلفاء من قبله ، ومعاوية هو الذى يقول : « لو أن بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت » فقيل له : وكيف ذلك ؟ فقال : « كنت اذا مدوها أرخيتها واذا أرخوها مددتها » .

ومن أساليب الدهاة فى إضعاف الجماعة التى تناوىء سلطانهم أن يغروا بين كبرائها العداوة ، فتنفصم رابطتهم وتشتد الخصومة فيما بينهم ، وهو مسلك قد يضطر اليه المصلحون فى تفريق الجماعة التى تتحالف على ما لا خير منه ؛ ومن هذا القبيل ما فعله نعيم بن مسعود رضى الله عنه حين تحالفت قريش وغطفان وبنو قريظة على حرب النبى صلى الله عليه وسلم فى واقعة الأحزاب ، إذ ألقى بينهم ما تقطع به حبل اجتماعهم على الباطل فانصرفوا خائبين .

وقد يعمل الطامع فى الأمة الغافلة على هذا المسلك حذرا من أن يتنبه شعورها، فتجمع أمرها وتوجه اليه قوتها ؛ فمن واجب الأمة التى يربطها دين أو مصالح وطنية أن تؤكد أواصر الأخاء بينها، وتجعل المصلحة العامة نصب أعينها ، وتوجه ماتستطيع من قوة الى من يريد القضاء على دينها ، أو الاستئثار بمنافع بلادها ؛ لما تحفز الملك «الاذفونش» للهجوم على بلاد الأندلس ، عقد كبراؤها مؤتمراً للنظر فى دفاعه وقرروا الاستنجاد بسلطان مراكش «يوسف بن تاشفين» ، ولما أبدى بعضهم التخوف من أن ينقذ هذا السلطان البلاد من « الاذفونش » ثم يضع عليها يده قال له المعتمد بن عباد : (لأن يرعى أبناؤنا الجمال خير من أن يرعوا الخنازير) .

ومن أساليب الدهاة فى القديم أن يسوسوا الجماعة الناشزة بأيدى رجال منهم ، قال عباد بن زياد يصف زياداً لعبد الملك بن مروان : (قدم العراق وهى جمرة تشتعل فسل أحقادهم وداوى أدواءهم وضبط أهل العراق بأهل العراق) وهو أسلوب بعيد الشأو ظاهر الأثر قد يأخذ به ذو السياسة الرشيدة لزيادة تأليف القوم وتأكيد الاخلاص فى نفوسهم ؛ دلت السيرة النبوية على هذا الضرب من السياسة ؛ ومن شواهده ترتيبه عليه الصلاة والسلام الجيش يوم فتح مكة إذ نظمه على حسب القبائل ، وجعل على رأس كل قبيلة واحدا من سراتها ، وعلامة كون السياسة رشيدة أن يوضع أمر القوم فى يد من ينصح لهم ، ويرعى مصالحهم ويعمل لسعادتهم .

ومما يتخذه الدهاة فى وسائل أخذ القوم الى جانبهم بذل شىء من المال الى ذوى النفوذ من رجالهم ، وهذا أحد الوسائل التى استطاع بها معاوية رضى الله عنه أن يقف تجاه علىّ كرم الله وجهه ، ويأخذ منه شطر الخلافة على ما كان لعلىّ من المكانة الراجحة فى العلم والبيان ، والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبذل النفس فى الجهاد، وبلوغه فى تقوى القلب أبعد غاية .

وهذه الوسيلة قررها الاسلام فى سياسة الدعوة اليه فأذن فى صرف جانب من الزكاة لأناس قالوا : أسلمنا ، تأليفاً لقلوبهم ، واستدعاء لاطمئنان عقيدتهم ، كما قال تعالى فى آية مصارف الزكاة (وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ) .

لا يعتمد رئيس القوم على القوة يستطيع أن يخمد بها كل فتنة ويرى أنه فى غير حاجة الى أن ينظر فى منابت الفتن بدهاء ، فللدهاء مواضع يظهر فيها فضله على القوة : منها دفع الخطر الذى يتراءى شبحه من بعيد بحيث لا يشعر به إلا البصير بما وراء الخير من شرور ، فقد يكون استعمال القوة فى الشر المتوارى موضع إنكار أو مثار فتنة ، أما الدهاء فيرده والنفوس مطمئنة والفتن نائمة .

ويحتاج الحاكم الى الدهاء فى استبانة الحقوق حيث ترفع اليه الدعاوى مجردة من كل بينة ، وفى مثل هذه الدعاوى يظهر مبلغ ذكاء القاضى كما يظهر فضله فى نقد البينات وتمييز زائفها من صحيحها ؛ ومن دهاء المنصور بن أبى عامر : أن أحد التجار قدم قرطبة ومعه كيس فيه ياقوت نفيس فتجرد ليسبح فى البحر وترك الكيس على ثيابه وكان أحمر فاختطفته حدأة فى مخالبها وتغلغلت به فى البساتين ، فأبلغ أمره الى ابن أبى عامر فجعل يستدعى أصحاب البساتين ويسأل العاملين فيها عمن ظهر عليه تغيير حال من بؤس الى سعة حتى ذكر له شخص ظهر عليه من اليسر ما لم يعرف به من قبل ، فاستدعاه وفاجأه بقوله : أحضر الكيس الأحمر ، فتملكه الرعب وجاء به وقد نقص منه ما عفا له عنه صاحبه .

يحتاج الولاة الى الدهاء فى سياسة الجماعات واستبانة الحقوق ، ويحتاج اليه العلماء فى الدعوة الى الخير ، فقد تكون مواجهة الرجل بالأمر بالمعروف أو النهى عن المنكر لا تأتى بفائدة ، فيعدل الداعى الى طريق يكون له الأثر المقصود من الدعوة وهو السمع والامتثال . . . عزم المعتصم على قتل محمد بن الجهم البرمكى لجولان يده فى مال الدولة

فرأى القاضى أحمد بن دواد هذا التصميم وعرف أن الموعظة أو الشفاعة لا تحول دون هذا القتل، فسلك لانقاذ محمد بن الجهم طريقاً آخر هو أن قال للمعتصم : وكيف تأخذ ماله اذا قتلته ؟ قال : ومن يحول بينى وبينه ؛ قال : يأبى الله تعالى ذلك ويأباه رسوله صلى الله عليه وسلم ويأباه عدل أمير المؤمنين، فان المال للوارث اذا قتلته حتى تقيم البينة على مافعله، وأمره باستخراج ما اختانه وهو حى أقرب عليك، فرجع المعتصم عن عزمه وخلص محمد بن الجهم من القتل .

وينتفع الرجل من دهائه عند لقاء الطبقات المختلفة، يزن عقول من يلاقونه، ويحس ما تكن صدورهم وتنزع اليه نفوسهم، فيصاحب الناس ويشهد مجالسهم وهو على بصيرة مما وراء ألسنتهم من عقول وسرائر وعواطف، فيتيسر له أن يسايرهم إلا أن ينحرفوا عن الرشد، ويتحامى ما يؤلمهم إلا أن يتألموا من صوت الحق، ومراعاة عقول الناس وطباعهم ونزعاتهم فيما لا يقعد حقاً ولا يقيم باطلا مظهر من مظاهر الانسانية المهذبة، ومتى كان الدهاء — أعنى جودة النظر فى سياسة الأمور وتقدير وسائل الخير — عائداً الى الالمعية وهى فى أصلها موهبة إلهية فان التدبر فى سير أعاظم الرجال والنظرَ فى مجارى الحوادث باعتبار مما تقوى بهما خصلة الدهاء ؛ فمن حق الملتى اليهم بتربية النشء من أوليائهم ومعلميهم أن يصرفوا العناية الى تغذيتهم بالحديث عن دهاة الرجال وتنبيههم لما دبروه من وسائل يبتغون بها إصلاحا أو شرفا، ومن حقهم أن يلاحظوا الحوادث التى تظهر من ناحية عرفت بالدهاء فيكشفوا غطاءها، ويقفوهم على بطائنها، ذلك لأننا نريد أن نعد للمستقبل ناشئة تستقيم على هدى الله، وتخوض لجج الحياة بكياسة تبصر بها مواقع الشر والخير فتسعى الى أن يكون الشر بعيداً منها والخير طوع أيديها ؛ وعلى قدر ما يكون فى دعاة الشعب وقادته من دهاء وتقوى، يبعد فى سبيل الشرف شأوه، وتثبت فى مواقف الجهاد قدمه، ويرقى فى السماء ذكره ؛ والذكر الذى تحوطه التقوى ويحرسه الدهاء لا يخفت صوته إن شاء الله ؟

محمد الخضر حسين



بسم الله الرحمن الرحيم

قصة سيدنا شعيب عليه السلام

٨

سلك سيدنا شعيب عليه السلام بقومه أولا نهاية التلطف فى النصيحة ، ورفق بهم غاية الرفق فى المحاورة واستنزالهم عما هم فيه ، ولكنهم لم يَرْعَوُوا بل ظلوا فى طغيانهم يعمهون ، فلما لم ينجع فيهم ذلك الرفق اتخذ الى هدايتهم ونجاتهم من عقاب المنتقم سبيلا آخر لعلهم يهتدون ، فوعظهم الموعظة الحسنة وأيقظهم الى أن عاقبة ما هم فيه هى عاقبة من سبقهم من الأمم ، وإذ ذاك يحال بينهم وبين مايشتهون (كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ) .

قام عليه السلام بكل هذا خير قيام ، ثم بيَّن لهم أنهم بعد ارتكابهم ما ارتكبوا من الكفر والخبائث ، لا يزال عليه السلام راجيا لهم الهداية ، وأن الطريقَ الذى يصلون منه الى عفو الله ورحمته لا يزال مسلوكا ، وهذا هو قوله : (وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ) .

أمرهم بالاستغفار أوَّلا وذلك يكون بتركهم ما هم فيه من الكفر والفسوق ، وبتطهير قلوبهم من الأباطيل والعقائد الفاسدة والرذائل التى وَرِثوها عن أسلافهم ، ثم يتوبون بعد أن يتطهروا من كل ذلك الى الله سبحانه ، ويُنيبون اليه ، ويتقربون بصالح الأعمال الباطنة

والظاهرة التى لَقَّنَهم إياها رسولُهم عليه السلام ، وقد سبق لنا الكلام فى التوبة فى العدد الثانى ؛ فارجع اليه متى أردت .

ثم أثبت لهم بقوله : (إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ) أنهم اذا استغفروا ربهم استغفارا بالعمل لا باللسان ، ثم تابوا اليه التوبة النَّصوح الخالصةَ واتّقَوْه حَقَّ تُقَاتِهِ ، فانه يغفر لهم ما أسلفوه ويقبل توبتهم ويرضى عنهم ، فانه جل ثناؤه رحيم بالغ الاحسان والتفضل ، ودود عظيم التودد والمعاملة الحسنى مع من يؤمن به ويطيعه فيما أَمَرَ ونَهَى .

هذا ثم انظر ماذا كان جوابَ قومِهِ له عليه السلام بعد هذا النصح والانذار والاعذار : (قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ) .

أنظر كيف تناهى القوم فى القِحَةِ وقَطْعِ ما بينهم وبينه من صلة القرابة ، إذ يخاطبهم بقوله لهم (يَا قَوْمِ) ، وهم يخاطبونه بقولهم له (يَا شُعَيْبُ) ، ولو تكلفوا الأدب معه ظاهرا لقالوا (يا أخانا) ، وقد أرشد الله تعالى الى هذه الصلة صلةِ الأخوة التى توجب عليهم التأدبَ معه والايمانَ به عليه السلام فى قوله : (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا) ، ولكنهم عادَوْه واستهانوا به و (قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مما تَقُولُ) الآيةَ .

الفقه فَهْمُ غرض المتكلم من كلامه وذلك لا يكون إلا بالاستماع الى المتكلم والانصاتِ وسلامةِ النفس من عداوتها وكراهتها لمراد المتكلم ؛ فأما اذا لم يستمع اليه أولم ينصت له أو مَرِضت النفس ببغضها الحقّ ؛ فان المخاطب لا يَفْقَه حينئذ غرض المتكلم ، بل لا يعرفه أصلا كما فى غير المستمع وغير المنصت ، أو لا يعرفه المعرفةَ التى تَحْفِزُه وتدفعه الى القبول والاذعان كما فى مرض النفوس .

فمراد القوم أنهم يقولون لرسولهم عليه السلام : ما نفهم مرادك ، وإنما قالوا هذه المقالة الخاطئة بعد ما سمعوا منه دلائل الحق المبين على أحسن وجه وأبلغه ، وبعد أن

ضاقت عليهم الحيل وأعيتهم العلل، فلم يجدوا الى محاورته سبيلا سوى الصدود عن منهاج الحق والسلوك فى سبيل الغى والضلال، كما هو ديدن المُفْحَم المحجوج، يقابل البينات بالسب والإبراق والإرعاد، فجعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ وأنواع العلوم والمعارف من قبيل ما لا يفهم معناه ولا يدرك فحواه[1].

والحقيقة أنهم فَقِهوا كل ما قاله لهم عليه السلام، غاية الأمر أنهم خَشُوا أن يَعيبهم العقلاء بالمكابرة الصريحة الفاضحة اذ قالوا: (ما نفقه ما تقول)، فلهذا ادَّعَوْا أنهم لم يفقهوا كثيرا من قوله عليه السلام.

استكبر أهل مدين عن الايمان بالحق، وأخذتهم العزة بالاثم، وكَبُرَ عليهم أن يقول لهم رسولهم ما قال، وأن يكون هو الذى يتولى إصلاحهم، وأن يحذرهم وينذرهم أن يصيبهم ما أصاب الأممَ السالفةَ من العذاب المحيط.

لذلك أخذوا يزدادون فى الاستطالة عليه وفى تهديده ووعيده، وذلك قولهم له عليه السلام: (وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا)، أى أننا نعلم أنك فيما بيننا ضعيف لا تقدر أن توصل إلينا منفعة كاصلاح أحوالنا كما زعمت، كذلك لا تقوى على أن تدفع عنا ضررا ما، بل لا قِبَلَ لك بنا اذا أردنا أن نَبْطِشَ بك جزاءً لك على دعواك فسادَ أحوالنا، وأنك قادر على إصلاحها، ومكافأةً لك على انذارنا وتهديدنا بما أصاب مَنْ قَبْلَنَا من الأمم الماضية. ولهذا أردفوا ذلك الاستخفاف به عليه السلام بأبشع منه وهو قولهم له: (وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ).

الرهط هو العِصابة من الناس دون العشرة، والرجْم أن يَرْمِيَ غيرَه بالرَّجم أى الحجارة، والعزة هى الحالة التى تقى الانسان أن يُغْلَبَ أو يُزْدَرَى، فالعزيز هو المكرَّم، الموقَّر الذى يَقْهَرُ ولا يُقْهَرُ.

(١) أبو السعود

فمرادهم أنهم لم يُبْقُوا عليه صلى الله عليه وسلم إلا لوجود رهطه بينهم وبقائه على دينهم وهَجْرِه لسيدنا شعيب ومخالفته وتكذيبه إياه، فاحتراما له ورعايةً لجانبه ووفاء بيقائه معهم فيما هم فيه كفّوا عنه عليه السلام أيديَهم أن تقتله بالرجم الذى هو شَرُّ قِتْلَةٍ .

هـذا مرادهم كافأهم الله : وقد فعل، وليس مرادهم أن رهطه عليـه السلام قادر على أن يمنعهم ويحول بقوّته بينهم وبين رسولهم، فان أهل مدين ألوف مؤلفة، ورهطه عليه السلام شرذمة دون العشرة لا يُؤْبَهُ لها وليس لها معهم حول ولا طول .

لم يكتفوا بهذا بل انهم بالغوا فى الاستهانة به بقولهم له : (وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ) أى لست أنت نفسُك بمكرّم ولا محترم ولا مُراعى الجانب حتى نمتنع من رجمك، وإنما كففنا عنك المحافظة على حرمة رهطك الذين ثبتوا على ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا، فكأنهم قالوا : (وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا) .

إن أهل مدين ليسوا بِدْعًا من الأمم التى سبقتهم، فانه ما من أمة إلا أساءت الى رسولها بما استطاعت من التهديد والايذاء وغير ذلك؛ كما حكى عز وجل عن قوم سيدنا نوح : (قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ)؛ وعن قوم سيدنا لوط : (قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ)؛ وقال تعالى فى جميع الأمم : (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) .

أليس بعجيب أن رسولَ الله شعيبا عليه السلام يُذَكِّرُ قومَه ويحذّرهم أن يفعلوا كما فعل مَنْ قَبْلَهم فيصيبهم مثلُ ما أصابهم وهم بمَرْأًى ومَسْمَع منهم، ثم أنهم بعد هذا لا يقيمون لقوله وزنا، ولا يتوبون الى الله ويستغفرونه، ولا يتعظون، ولاهم يذكرون، مع علمهم بسوء عاقبة المكذبين ؟ .

بلى إن ذلك لعجيب : فان كل أمة قد قلدت الأمةَ التى قبلها واتّبعتْ خُطُواتِها

حتى اذا عجزت عن مقارعة الحجة بالحجة ، ومناضلة الدليل بالدليل ، توعدت نبيها وأهانته وربما قتلته ، ونسيت أو تناست ماعوقب به الأمم السابقة .

فمن الأمم المتأخرة فرعونُ وقومُه مع رسولهم سيدنا موسى عليه السلام ، حينما دعاهم الى عبادة رب العالمين : (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ . قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ . قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ . قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ . قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ . قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ . قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ) .

ومنها ماقصه الله تعالى فى معاملة أهل مكة لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ يقول : (وَإِذْ يَمْكُرُ [1] بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ [2] أَوْ يَقْتُلُوكَ [3] أَوْ يُخْرِجُوكَ [4] وَيَمْكُرُونَ [5] وَيَمْكُرُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ [6]) .

هذا ومن البين أن أهل مدين إنما أرادوا أن ينفوا عن رسولهم عليه السلام القوةَ والعزةَ الالهيتين ، اللتين ثبتتا له بمقتضى كونه على بينة من ربه مؤيدا من لدنه سبحانه ؛ وكونه يطلب منه التوفيق فى كل شؤونه ومتوكلا عليه فى جميع أموره ومنيبا إليه فى كل مايأتى ويذر .

نفوا كل ذلك عنه ولم يعتدوا به ، وذلك نهاية الاستهانة به عليه السلام ؛ ولا ريب

---

(١) المكر هو التدبير الخفى النافع للمكور له الضار للممكور به فاذا اسند للذين كفروا كان نافعا لهم ضارا للنبي صلى الله عليه وسلم . واذا أسند الى الله سبحانه كان نافعا للنبي عليه الصلاة والسلام ضارا للكافرين . وبهذا يتضح لك أن وصف الله تعالى بالمكر لاينافى تنزهه سبحانه عما لا يليق به . ثم أن مكرهم كان حينما اجتمعوا للمشاورة فى شان النبي صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة . (٢) يوثقوك ويحبسوك . (٣) أى كلهم معا قتلة رجل واحد . (٤) من مكة . (٥) يدبرون لك الشر ويدبر الله ماهو شر لهم وخير لك فاوحى اليك مادبروه وامرك بالخروج . (٦) لانه يدبر الشر لمستحقه والخير لمستحقه عدلا وفضلا .

أنهم اذا استهانوا برسولهم هذا، وقد علموا أنه لايَسْتَعِزُّ إلا بالله تعالى، ولايستمد القوة والعزة إلامنه سبحانه؛ فقد استهانوا بالله العزيز الذى له الكبرياء فى السموات والأرض، وهو العزيز الحكيم.

ولهـذا أجابهم عليه السلام بما حكاه الله تعالى عنه: (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ واتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ).

قد اشتمل جوابه لهم عليه السلام على إنكارين لأمرين قبيحين من أمورهم، وثانيهما أقبح من أولهما: الأول ترجيحهم جانبَ الرهط على جانب الله عزوجل؛ والثانى هو اتخاذهم اللهَ العلىَّ الكبيرَ شيئا منبوذا وراء الظهر.

فأنكر عليهم الأمر الأول بقوله: (أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ)، وهم وإن لم يذكروا أن رهطه أعز عليهم من الله قد ارتكبوا إثما عظيما شاهدا عليهم بهذه الأعزية، وهو تفضيلهم جانب الرهط على جانب الله العزيز؛ ثم أنكر عليهم الأمر الثانى بقوله: (وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) أى لم تقدروا الله تعالى حقَّ قدرِهِ ولم تجعلوا له حظا من العزة، بل جعلتموه متروكا منسيا لم تبالوا به، لأنكم لم تعتدوا برسوله الصادق الذى لايأتى شيئا ولا يدعه إلا بأمره ووحيه عز وجل، فهذه منه عليه السلام إجابة بليغة لهم لو فقهوها، لأنها تضمنت إنكارين لشيئين ذميمين مما اجترحوه على الله ورسوله.

قد سلك عليه السلام فى إنكاره عليهم وتأنيبهم سبيل الترقى فى التقريع والتوبيخ كما قدمناه لك لعلهم يتوبون أو يذكرون، ولكنها (لَاتَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ).

ثم انه عليه سلام الله نصحهم ووعظهم فى لين وحزم، ورجاء وإطماع، وتحذير وتخويف، فقال: (إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) لايَعْزُبُ عن علمه سبحانه شئ من أعمالكم، فاذا كانت شرا جازاكم عليها جزاءَ الأشرار، وإن كانت خيرا لوآمنتم بى أثابكم

ثوابَ الأخيار ، ولكن (مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلاَهَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعمَهُونَ) .

لم يُفِدْهم وعظُه عليه السلام إلا نفورا واستكبارا ، ولم يزدهم أسلوبُه الحكيم في النصح إلا إنكارا وإصرارا ؛ فلما رأى ثباتَهم على كفرهم ، ومبالغتَهم في الازدراء به ، وعزيمتهم على إنفاذ ماهددوه به من الرجم لولا عزة رهطه عليهم ؛ كرر وعظه لهم مهددا لهم بسوء العاقبة ووخامة المآل فقال : (وَيَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ، سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ) .

المكانة هي غاية التمكن من الشيء ، يقول لهم عليه السلام : قد ادعيتم أنكم أقوياء قادرون على رجمي والبطش بي ، وزعمتم أنني ضعيف فيما بينكم ، ليس لي ظهير أستظهر به ، ولا نصير أستنصره عليكم ، فاثبتوا على ما أنتم فيه من التكذيب والكفر ، ودوموا على المشاقة والاستخفاف والوعيد وسائر ما أنتم عليه من أنواع الفسوق والفجور ، ثم اعملوا على غاية تمكنكم ، وابذلوا نهايةَ اجتهادكم في معاداتي ومضارتي والايقاع بي كيفما شئتم ، وفي تدبير ماتسوله لكم أنفسكم ، ثم أَخرِجوا ذلك كله من القوة الى الفعل (إِنِّي عَامِلٌ) كذلك على مكانتي كما تعملون ، حسبما يؤيدني الله ويوفقني بأنواع التأييد والتوفيق .

ثم قفَّى عليه السلام ذلك التهديدَ بذكر العاقبة وأنها عاقبة سُوءى ؛ فبيّن لهم أنهم سوف يعلمون حتما مَنْ سيصيبُه العذابُ المُخْزِي المُهِين ؛ وهذا في مقابلة تهديدهم له بالرجم كما ستعرفه .

وصف عليه السلام لهم العذاب بأنه مُخزٍ مُذِلٌّ لمن سيقع به ، تعريضا بما كانوا قد هددوه به من الرجم ؛ فان الرجم مع كونه من أشد العذاب وآلمه فيه خزي شديد ومهانة عظيمة ، لأنه لايعاقب بالرجم إلا في جناية فاحشة وذلك نهاية الخزي والاذلال .

كذلك بين لهم أنهم سوف يعلمون حتما مَنْ هو الكاذب المفتري في دعواه ، وهذا

فى مقابلة تكذيبهم له عليه السلام ، وفى ذلك تعريض بكذبهم فى ادعائهم القوة والقدرة على رجمه ، وفى نسبته الى الضعف والهوان ، وفى ادعائهم أيضا أنهم إنما أَبْقَوْا عليه ولم يَرْجُمُوه لرعاية جانب رهطه العزيز المكرّم عليهم .

ولما كان عليه السلام على ثقة مما وعده الله تعالى به من النجاة والنصر عليهم ، ومما أوعدهم به من العذاب المحيط اذا عكفوا على باطلهم ؛ ختم وعظه وترغيبه وترهيبه إياهم بقوله : (وَارْتَقِبُوا إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ (١)) . أى انتظروا مآل ما بلغتكم من رسالات ربى إنى منتظر كذلك مثلكم ، فستعلمون (مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا) ، و (سَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى) ؟

حسن منصور
وكيل دار العلوم العليا سابقا

آثار برج بابل

تمكن الأستاذ « إكارد أونجر » أخيرا من حل رموز أثرية مكتوبة باللغة الأشورية استطاع بواسطتها من معرفة المقاييس المختلفة لبرج بابل الذى لم يعرف عنه حتى الآن سوى طول قاعدته المربعة البالغة ٩٠ مترا ، وأصبح الآن من الأمور الثابتة أن هذا البرج العظيم كان مكونا من سبع طبقات ومشيدا على قمته معبد كان يستعمل أحيانا لرصد النجوم أيضا ، وكانت قاعدة البرج على شكل هضبة جبلية ذات لون أحمر قاتم ، وأما المعبد فكان لونه أزرق ؛ وقدّر ارتفاع البرج بما يقرب من ٩٠ مترا .

[مترجمة عن مجلة « Umschau » الألمانية]

(١) فقوله ومن هو كاذب معطوف على من يأتيه . لكن لا على أنه قسيمه ومقابل له بل لأنهم لما وعدوه بالرجم وكذبوه قال لهم سوف تعلمون من المعذب ومن الكاذب .

فضيلة الصبر

وعدنا فى الكلمة الماضية أن نطالعك بكلمة عن فضيلة الصبر نبين فيها حقيقته وأقسامه وفوائده وآثاره وما يعين عليه وينميه فى النفوس .

ولقد ترى فى أسلوبنا هنا شيئا من المغايرة لما سبق ؛ فاذا رأيت ذلك فاصبر ، وما صبرك إلا بالله ؛ واذا لحظت أن فى الكلام دقة فى التعبير أو توسعاً فى التقسيم أو ميلا الى عبارات المؤلفين التى تتطلب إجهاد فكر وإطالة إمعان ، فاصبر إن الله مع الصابرين ؛ وقد قال عز وجل : (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا) .

وقبل أن ندخل فى بيان حقيقة الصبر يجب أن تنظر الى منزلة الانسان فى الترتيب بين منزلة الملائكة والبهائم ، فقد خلق الملائكة مجبولين على طاعة الله تعالى والتقرب اليه (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) ، ولم يودع فى خلقهم ما يصرفهم عن هذا من شهوة تدعوهم الى نقص ، أو غضب يثور بهم الى شر ، فهم كرام بررة خيرون بأصل الخلقة لا يتصور منهم مخالفة ولا معصية ، وخلقت البهائم مسخرة لشهواتها لا تتحرك إلا لجلب لذائذها العاجلة أو دفع مؤذياتها الحاضرة .

وأما الانسان فقد خلق جامعا الخصلتين المتعارضتين ففيه شبه من كلا النوعين ؛ خلق فى أول أمره وبدء طفولته لا يعرف إلا شهوة غذائه ؛ فاذا ما كبر ونما نبت فيه شهوات أخر كشهوة الزينة واللهو ، ثم يبدو حب العلو فى نفسه وينشأ من كل ذلك قوة الغضب اذا فاته شىء مما يشتهيه ويتبعها الحركة وقوة النفس والمغالبة على إحرازه ؛ فاذ ما شب وترعرع نبت فيه غرائز أخرى وصحبها التميز والعقل وحب النافع ولو مؤلما ، وكراهية الضار ولو لذيذا ولكنه لا يعدو النظر الى العاجلة ؛ فاذ ما اكتمل عقله وآن أوان تكليفه

صح أن يفكر فى الآجلة، وأن ينظر بكلتا عينيه الى كلتا حياتيه : حياته الدنيا، وحياته الآخرة؛ وهنا يجد نفسه بين قوتين متعارضتين تتجاذبانه الى جهتين متضادتين؛ الأولى منهما القوة البهيمية تدعوه الى اللذات وانتهاز فرصها قبل الفوات، توهمه أن فى فوات الفرصة غصة، والثانية تنبهه الى ما هيئ له من نعيم مقيم وما أعد له من مكان عظيم؛ وكل منهما لها خطرها ولها أثرها ولها مددها ولها نفعها أو ضررها؛ فأما الأولى فقد نشأت مع النفس وتمكنت بمرور الزمن وقوة الالف واستحكام العادة ثم بحضور ثمرها وللحاضر معنى من القوة لا يناله الغائب، وللثانية أهميتها وعظم هولها وخطر شأنها وعدم القدرة على تحمل نتيجة مخالفتها ومواجهة هولها وانها لمعركة حامية وموقعة دامية ميدانها قلب الانسان وجيشاها جند الرحمن وجند الشيطان؛ وسعادة المرء وشقاوته بين كفتى الميزان فاما نال أعظم الربح، وإما باء بأعظم الخسران، فهو إما فى مصاف الملائكة، وإما ملحق بالبهائم أو بحزب الشيطان؛ فالصبر هو ثبات جند الفضيلة أمام جند الرذيلة، هو تقوية جند الله حتى تقهر جنود الهوى فتنتصر النفس على الشيطان عدوها وتفوز بأقصى أمانيها، وبذلك ترى الصبر داخلا فى كل عمل من أعمال الانسان النافعة، فقلما تجد عملا نافعا إلا وله صوارف متنوعة، أما الكسل عنه أو استصعاب طريقه أو الانصراف عنه لما هو حاضر اللذة، وكذلك الأعمال التى هى من باب الكف والترك وهى الانتهاء عن المعاصى، تجد النفس دائما تنازعك بطموحها الى الحركة المشتهاة لها.

وإن شئت فقل الصبر هو ضبط النفس وقمعها عما تهوى وحبسها عما تكرهه حبا فى إحراز خيرها الآجل ونعيمها المقيم وسعادتها الدائمة.

ولما كان الايمان المعتد به شرعا هو ما يجمع بين تصديق القلب اليقينى وبين العمل بمقتضى تصديقه، وعرفنا أن عمدة كل الاعمال هو الصبر عليها والصبر عن الصوارف عنها كان الصبر بهذا الاعتبار كما ورد « نصف الايمان »؛ وسيجىء لهذا تتمة توضيح.

مقومات الصبر : يعتمد الصبر على دعامتين تقومانه وتكونان حقيقته ، وهما قوة اليقين وقوة الارادة ، وذلك أن الأعمال النافعة دائما تجد ميولا فى النفس مضادة لها تصرفها عنها وتلك الميول غرائز سابقة فى النشأة على وجود الفضيلة فى النفس ، فاذاهمت النفس بعمل مما يجدر بها أن تعمله ويطلبه داعى الدين ، هبت تلك الميول فى وجهها هبوب العاصفة تصرفها عنه وتطالبها بأن تستوفى متعها وتنعمها بما يحيط بها ، وألا تفوت على نفسها فرحها فتقع النفس فى الحيرة بين هاتين الداعيتين : داعية الهوى يقويها الف النفس له واعتبارها إياه ويغذيه أنه عاجل وقد طبعت النفوس على حب العاجلة ، وداعية الفضيلة يقويها عظم شأنها ودوام نعيمها ، وهنا تنشب المعركة بين الداعيتين وتتصارع القوتان فتحتاج داعية الفضيلة الى مدد يقويها حتى تظفر بخصمها وتتغلب عليه وتقهره ، وذاك المدد هو قوة اليقين وقوة الارادة ، فأما اليقين فيتقوى بتكرار التذكر لعقيدته التى لا يشك فيها أى بمعاودة استحضار إيمانه المرة بعد المرة ، حتى لا تبتعد عقيدته طويلا عن خاطره واليه الاشارة بقوله جل شأنه: (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) وانك لتشاهد الرجلين كل منهما يجزم بأن عمله وكده سينتج له نتيجة عظيمة هو حريص عليها وراغب فيها أتم رغبة ، ولكن أحدهما دائما يتذكر حرصه على نتيجته المرجوة ، فلا تكاد تبرح باله ولا تزايل خاطره ، والثانى لاهٍ عنها غافل حتى تذكره بها فيقول لك حقاً إن هذا لازم ولكننا انصرفنا عنه ، وقد تجد فى تذكيرك له ألماً ومضايقة لأنك أشعرته بالحرمان الذى سيلحقه من إهماله ولا يجد عذراً يقنع به نفسه ويريح ضميره من الوخزات التى تلحقه ساعة الذكرى ، فقد يعمد الى التلهى عن ذلك التذكير فراراً من ألم التأنيب الذى يحسه من نفسه ، وتارة يجمع قواه ويحفز همته ويحمل نفسه وهى كارهة ، كارهة لأنها ألفت البطالة وخلدت الى الراحة والكسل أو استملحت مذاق تلك الملاذ والملاهى ، فاذا ما عاودتها الذكرى قويت نوع قوة على الداعية المضادة ، فاذا ما تكرر التذكر وطال أمده كانت قوته بلا ريب أعظم من قوته حين يكون لمحات

أو خطرات سريعة الزوال . وقد حمل بعضهم معنى زيادة الايمان ونقصه على هذا ، أي على زيادة الاستحضار ونقصه ودوام ملاحظة المعنى الذى يؤمن به أو سرعة انصرافه عنه فيقوى هذا الاستحضار حتى يكون اليقين فيه كالشهود والمعاينة ، وبه فسروا ما ورد فى شأن أبى بكر الصديق رضى الله عنه من أنه لو وزن إيمانه بإيمان هذه الأمة لرجح بها ، وهذا هو السر فى طلب إدامة الذكر ؛ فالمقصود إدامة التفكير والذكر القلبي وإنما جعل الذكر اللسانى وسيلة له لأن النفس غالباً تتذكر معنى ما تنطق به بل ما تسمعه أيضا ؛ وأما الارادة فتقوى بالمران والتعود بأن يتتبع المرء خواطره المتنافرة ويتعهدها بيقظة تحملها على تغليب مرضاة الله على مرضاة الهوى فاذا ماظفر مرة عاود الثانية فاذا ما تكرر له هذا سهل عليه أن يقود نفسه كالمطية التى تراض على السير الخاص فتجمح فى أول أمرها فلا يزال يحملها على ما تكره حتى يصير ذلك عادتها ، وكالشخص الذى يتعود المصارعة مرة بعد أخرى فيكتسب بمرانه قوة لم تكن له قبل المران ، فهكذا تجد النفس فى أول تدريبها جامحة عن السير الذى يراد منها فتحمل عليه قسراً فتتعاصى مرة بعد مرة حتى يسلس قيادها وتلين شكيمتها ، فاذا ما كررت ذلك عليها أصبح هذا المسلك ديدنها والتحق بغرائزها ووجدت فيه غبطتها ومسرتها وأصبح ما كنت تسميه قسراً وصبراً رضا وطمأنينة فهذا طريق علاج النفس حتى تتحلى بفضيلة الصبر ، وكما أنه لا يكفى فى سلامة البدن من الآفات مجرد معرفة أنواع الأدوية والعلاج بل ينبغى أن تراعى الوقاية من المرض قبل حلوله وذلك أفضل من التعرض له استناداً على العلاج الميسور ، كذلك لا يكفى فى سلامة النفس من آفات الأخلاق المرذولة معرفة أدويتها وأنواع علاجها بل ينبغى استعمال الوقاية والعناية بها وتقديمها على اللجأ الى العلاج بعد حلول المرض النفسانى .

وعلى هذا ينبغى الابتعاد عما يثير فى النفس دواعى الشر حتى يكفى شر المرض ومؤونة العلاج ، وهذا يأتى فى العوارض الاختيارية وهي التى تكون مبادؤها من ميول الانسان واختياره وذلك كارسال النظر الى المشتهيات المحظورة والاسترسال الى التفكير فى اللذائذ

المنهية مما يجعل النفس متطلعة لها فتنقاد اليها متى سنحت فرصتها وكالاستسلام لثوران النفس عند غضبها أو الاشتغال بالمماراة والمجادلة بغير الطريقة المثلى ، فانه مما يعرض النفس لزلات قد تندفع فيها بلا تبصر ولا ترو فلا تفطن لنفسها إلا وقد تردت فيما تكره فتعود على نفسها بالندم واللائمة إن كانت من النفس اللوامة أو تستمرىء ذلك المرعى الوبيل إن كانت من فريق المخذولين وفى ذلك دمارها وهلاكها ؛ فقطع تلك الأسباب من أساسها أسهل وأضمن للسلامة من علاجها بعد تورطها فيها ولذلك جعل الشارع الحكيم للمحرمات سياجاً واسعاً يبتعد بالنفوس عن حماها ، وجاء فى الحديث : « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ، ومن وقع فى الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب [1] » .

منزلة الصبر من الفضائل : إن نسبة الصبر للاخلاق الفاضلة كنسبة الأصل الى الفروع أو كمنزلة الماء من الأحياء ، تلك المنزلة المذكورة فى قوله تعالى : (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) فلا تكاد تجد المرء فى حال من أحوال حياته غنياً عن التذرع بفضيلة الصبر ليتحلى بالخلق الذى تستدعيه حاله ؛ فالغنى فى حاجة الى الصبر ليضبط نفسه عن البطر والطغيان المشار اليه فى قوله تعالى : (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَىٰ) ، ولا تظن أن الصبر على هذه الحال حال الغنى وما على شاكلته من التمتع بالصحة والجاه والولد وأنواع النعم من الهنات الهينات ، فالنفس شغوفة بالاسترسال فى ملاذها والاستزادة منها والطعام يقوى شهوه النهم ؛ وقد جاء قوله جل شأنه : (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) ، فالانسان بحاجة الى أن ينظر اليها بعين أنها نعمة أوجبت عليه حقاً يقوم به وليس من حقها عليه أن ينهمك فى ملاذها

(١) صحيح البخارى

ويغفل عن شكرها ويستوجب لنفسه على الناس حقاً لا يلزمهم من أجلها ، فهو بين فتنة الانهماك فيها وفتنة التقصير فى الشكر عليها وفتنة زعمه أنه وقد أنعم الله عليه بها يجب على الناس أن يعطوه من التوقير والتعظيم والتمييز من أجلها مالا يملكه عليهم ، أفلا تراه يغضب إن خوطب خطاب المساواة ممن لم يساوه فيها ؟ وهل هذا إلا جنوح للعظمة الممقوتة وادعاء ما ليس له ؟ فهو بحاجة الى ضبط نفسه عن هذه الأحوال وذلك من أبواب الصبر ؛ والفقير أو المحروم من بعض متع الحياة بحاجة الى ضبط النفس وحبسها عن التذمر والضجر والجزع مما حل به ، وأن يرى فى نفسه أنه عبد قد منحه سيده الذى خلقه نعماً لو قاس بها ما حرم منه لم يكن شيئاً مذكورا فضلا منه لا وجوبا عليه (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) ، فهل تأمل هذا الفقير نعمة وجوده وإمتاعه بحواسه وصحته وقواه ؟ بل هل التفت الى قوة تدبير غذائه ومراتب جهاز هضمه مما يتم على أكمل وجه لا شعور له به ؟ وهل دفع ثمن ذلك ؟ وهل راعى المريض أنه قد سلم من الأمراض الأخرى التى عوفى منها ؟ ومامن بلاء إلا والمرء معرض لما هو أشد منه وأكبر ؛ واستعرض بعد ذلك الأخلاق تفصيلا واستخرج منزلة الصبر منها فانك تجد العفة صبراً عما يشتهى والشجاعة صبراً حين البأس والصدق صبراً عما يطمع فى إحرازه لو كذب وكتمان السر صبراً عن الافشاء المحبوب بسبب أن يذكر للغير ما يتطلع لمعرفته ؛ وتجد فى الامانة صبراً على منازعة النفس أن تفوز بما اؤتمنت عليه ، وهل الحلم إلا الصبر على الأذى ؟ وهكذا دواليك تجد الصبر من الأخلاق كالماء من الأحياء .

ثم استعرض الطاعات تجد الصلاة بحاجة الى الصبر على أداء تلك الأركان والتغلب على الشواغل التى تصرف عنها ، بل تحتاج الى الصبر على استحضار أسرار الصلاة والخشوع وحضور القلب وهو أعظم من صبر الجوارح . والصوم ما هو ؟ أليس هو الصبر عن المشتهيات وكف النفس عما تميل اليه بطبعها ؟ ولشدة الاتصال

بين الصوم والصبر ورد فى شأنهما جزاء متناسب ؛ فقال عز وجل فى شأن الصبر : (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) . وقال عليه الصلاة والسلام فى شأن الصوم : « كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فانه لى وأنا أجزى به والحسنة بعشرة أمثالها » فقد جعل جزاء كل من الصبر والصوم خارجا عن التقدير موكولا الى فضل العليم الخبير فهو أعلم بمقدار مايعانيه الصائم والصبور من مكافحة الميل ومعاصاة الهوى وقوة الجلد فى اكتساب مرضاة الله وذلك أمر يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال وهو أعلم بذلك من صاحب هذه الأحوال نفسه . والزكاة بحاجة الى ضبط النفس وكفها عن البخل ومنعها من الاستئثار بما ليس لها من حق الفقير الذى وقع تحت يدها ؛ وهل يخفى عليك المشاق التى يتعرض لها الحاجّ والمتاعب التى تعترضه فى طريقه فضلا عن بذل المال المحبوب فى سبيل طاعة الله ، ولعلك قائل وما علاقة الصبر بالايمان ؟ وأقول لك قد روى « الصبر نصف الايمان » ، وقد فسر ذلك بتفسيرين : أحدهما أن الايمان المعتدبه شرعا هو المعنى الجامع لليقين والعمل على مقتضاه ، وقد رأيت العمل كله بحاجة الى الصبر ؛ والثانى أن الايمان إنما يكون إيمانا اذا أثمر ثمره فى نفس المؤمن ، وذلك أن يكون شاكرا على السراء صابرا على الضراء والمرء فى حياته لا يخلو عنهما ؛ فالصبر صبران : صبر على ما تكره ، وصبر عما تحب ؛ ولعل الثانى أشق من الأول ، فالمكاره فى الغالب محدودة الأمد ، وأما المحاب فهى محيطة بالنفس تطالبها أن تستوفيها فهى محتاجة إلى مصابرة أطول ويقين أثبت وإيمان حاضر فى كل لحظة .

آثار الصبر : وأما آثاره وثماره فحسبك فى تقديرها إجمالا ما رأيت من دخوله فى كل الطاعات واحتياج المرء اليه فى جميع الحالات ، وواضح كل الوضوح ، إن الانتهاء عن المحظورات بحاجة الى الصبر عنها كاحتياج امتثال الطاعات الى الصبر عليها ، ويزيدك معرفة لقدره نظرك الى الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الواردة فى شأنه ؛ وانظر

الى قوله جل شأنه بعد أن أمر عباده بالذكر والشكر ونهاهم عن الكفر: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ).

فأنت ترى فى تعقيب الأمر بالذكر والشكر والنهى عن الكفر بالأمر بالاستعانة بالصبر والصلاة، أن الصبر قوام الطاعات ومعين عليها، وأن اقترانه فى الآية الكريمة بالصلاة التى هى عماد الدين لآية جلية فى ذلك، وهل يمارى أحد فى تلك المنزلة الرفيعة التى منحها الله للصابرين وأنه معهم، وأى شرف وفوز أعظم من هذه المنزلة الرفيعة؛ وإنك لتلمح فى قوله جل شأنه: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)، واقتصاره على الصبر ولم يضف اليه الصلاة مع اقترانها به فى الأول، تلمح من ذلك ما قدمناه من دخول الصبر فى أنواع العبادات، فالمصلى صابر فى صلاته فالله معه؛ ثم إنه جل شأنه قد بين عقب ذلك حقائق يعين فهمها على الصبر، ويقوى النفوس على الطمأنينة وتفتح، أمام الذهن مغالق خفية، متى عرفت على وجهها سهل الاذعان للصبر عليها بل الاطمئنان اليها؛ فقال جل من قائل: (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ)، فنهاهم عن أن يصفوا الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله بالموت والقتل غاية المصائب وبين أنهم أحياء حياة لانشعر بها، وحسبنا أن أخبرنا بها ربنا؛ ثم بين حكمة تعريفه عباده المصائب وأن هذا ابتلاء منه لعباده ليتميز الخبيث من الطيب، وليتبين عدل الله لعباد الله؛ فقال تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ) فعدد أنواعا من المصائب تصيب العباد وجعلها مثلا منه كما قال عز وجل:

(أَلَمَ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءامَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ)؛ ثم أردف هذا الابتلاء بتبشير الصابرين الذين بين صفتهم وعلامتهم بأنهم الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا بلسانهم قولا يطابقه اعتقادهم ويقينهم: إنا لله وإنا اليه راجعون؛ إنا لله عبيدا يملكنا ولا نملك عليه شيئا أنعم علينا بفضله بدون أن نستوجب ذلك، فهو المنشئ لنا والخالق، وهو الواهب لهذه النعم بلا ملجئ ولا قاهر، فله ما أعطى، وله ما أخذ، وإنا اليه راجعون فيجزى كل امرء بما عمل؛ فان لم يكن الصبر اعترافا بأنه هو مالك كل شئ فليكن أملا فى الفوز بما وعد به الصابرين يوم يرجعون اليه، وما أجمل السياق الذى ذكرت به البشرى حيث قررها على وجه الثبات والتمكين فى قوله: (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)؛ فقد عرف فى أسلوب اللغة العربية أن التعبير عن شئ بصيغة اسم الاشارة بدل الضمير بعد سبق التحدث عنه باثبات صفات تناسب السياق، نكتته أن الحكم الذى تثبته قد نشأ عن تلك الصفات واستحق بسببها، فكأنه هنا يقول إن الصابرين بما صبروا وبما قالوا واعتقدوا من أنهم ملك لله وراجعون اليه يستحقون من الله الصلوات والرحمة، يستحقون الثناء العظيم، يستحقون العطف والاحسان، صلوات ورحمة تشملهم وتعمهم وتغدق بهم وتعلو عليهم، ثم وصفهم كذلك بأنهم هم المهتدون للحق والصواب باعترافهم بعبوديتهم لله ورجوعهم اليه، المهتدون للفوز بما يشتهون وإدراك مايرجون، فهذا هو قوله: (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)؛ وقد قال عمر رضى الله عنه فى ذلك نعم العدلان ونعمت العلاوة جعلنا الله منهم وحشرنا فى زمرتهم ؟

ابراهيم الجبالى
مدرس بقسم التخصص بالأزهر



٣

بسم الله الرحمن الرحيم

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كنت خلفَ النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال: ياغلامُ إحفظِ اللهَ يحفظْك، إحفظِ اللهَ تجدْه تجُاهَك، وإذا سألتَ فاسأل اللهَ، واذا استعنتَ فاستعن بالله؛ واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، جفَّتِ الأقلامُ وطُويتِ الصحفُ.

قد حدثناك فى العدد الثامن بطرف يسير مما حوته الوصية الأولى؛ وهى قوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنهما: إحفظ الله يحفظك.

فأما الوصية الثانية — فهى قوله عليه الصلاة والسلام له: إحفظ الله تجده تجاهك؛ أمره فى الوصية الأولى أن يحفظ الله وبين له فيها العاقبة الطيبة لها؛ ثم علَّمه فى الوصية الثانية أنه اذا حفظ الله تعالى وجده تجاهه، أى أمامه كما فى رواية الامام أحمد المتقدمة.

إن قول النبي عليه الصلاة والسلام: تجدْه تجاهك، قد اشتمل على أمرين عظيمين لاينالهما إلا من حفظ الله تعالى وأدّى مأموراته وهَجَر منهياته: أولهما أن من حفظ الله سبحانه لاتتوجه نفسه فى شأن من شؤونه إلا الى الله عز وجل، فاذا نزل به أمر أو احتاج الى مايُصلحُ به أحوالَه مثلا، فان نفسه لاتفزع إلا الى سيدها الأجل

الذى له الخلق والأمر ؛ وثانيهما قُرْبُ الله سبحانه وتعالى من هذا العبد الذى حَفِظ حدودَه ، وسرعةُ أغاثته له على حَسَبِ ما تقتضيه مشيئته جل وعلا .

وهذا كما قال سبحانه للرسولين الكريمين موسى وهارون عليهما السلام ، حينما خافا فرعون مصر أَنْ يَفْرُطَ[1] عليهما أو أن يَطْغَى : (لَاتَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَى) ، وهما كسائر النبيين والمرسلين من سادات المؤمنين الذين حفظوا الله تعالت أسماؤه حق الحفظ ؛ فلهذا كافأهما على حفظهما له ، فكان قريبا منهما بمعونته وعلمه وحراسته أن يفرط عليهما هذا الجاهل الظالم أو أن يطغى .

الوصية الثالثة — هى قوله عليه الصلاة والسلام : وإذا سألتَ فاسأل الله ؛ بعد أن علَّمه أن الله عز وجل معه بعلمه وهدايته كان المحتم أنه اذا أراد أن يسأل شيئا مّا ، فانما يسأل من يَجِدُه تجاهه وهو الله القريب الغنى الوهاب ؛ ثم إن سؤال العبد لربه سبحانه له وسيلتان : إحداهما وسيلة اللسان يدعو ويتضرع مترجما عن القلب الحاضر الخاشع المستشعر بعجزه وافتقاره الى المولى الغنى القدير ؛ وثانيتها وسيلة العمل ، فالأعمال التى من شأن التاجر أو الصانع أو طالب العلم أن يعملها ، يجب عليه أن يكون ذاكراً لِله تعالى وقت قيامه بها ، متوجها إليه سبحانه حينما يعانيها ويقاسى ما صادفه فيها ، رجاء أن يسدّدَه ويوفقَه لينال من عامه ونَصَبِه عاقبةً محمودةً .

الوصية الرابعة — هى قوله صلوات الله وسلامه عليه : واذا استعنتَ فاستعِنْ بالله قد اشتملت هذه الوصية النبوية أولا على تعليمين عظيمين : أولهما تذكير الانسان بأنه عاجز محدود القدرة لا يتيسر له أن ينال رغائبَه وحده ، وفى هذا تعليم وتهذيب عظيم لما فيه من تعريف الانسان قدر نفسه ، ورحم الله امرأً عَرفَ قدرَ نفسه فلم يتعدَّ طَوْرَه ؛ وثانيهما تعليم الانسان أن قدرة المولى تبارك وتعالى ليس لها حد تقف

(١) يعجل بعقوبتهما أو يزيد عليهما بالجرأة على الله رب العالمين .

دونه، ولايغالبها مقدور، ولا يفْلِت منها هارب، فكان الله تعالى لذلك هو العزيز القهار الغالب على أمره، وما من ممكن إلا وهو سبحانه آخذ بناصيته، وما من شيء فى السموات والأرض إلا وقد نفذ فيه أمره وحكمه، كما قال عز سلطانه : (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ)، وقال : (أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ[1] مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ).

فاذا عجزتْ قدرةُ مخلوق عن شيء ولم تصل يدها الى أن تتناوله ولم تستطع الى الاحتيال على الوصول اليه سبيلا، وجب على ذلك المخلوق العاجز أن يستعين بالقادر الذى لايعجزه مقدور ما فى الأرض ولا فى السماء وهو الله تعالى واهب القدر .

وبعدُ فان ماقررناه لك فى هاتين الوصيتين الثالثة والرابعة لاينافى الأخذَ بالأسباب التى أَذِنَ اللهُ تعالى بها، فانها من جملة حدوده التى أمر بالمحافظة عليها، فالأخذ بها هو من جملة حفظ العبد لحدود الله سبحانه .

اذا تمهد لك هذا فاعلم الآن أن ماتتوجه النفس الى معاناته وممارسته، تارة يكون مما لايمكن أن تتناوله قدرةُ مخلوق ما، وتارة يكون مما يمكن أن تتناوله قدرةُ مخلوق دون مخلوق آخر، وتارة يكون مما يمكن أن تتناوله قدرة المخلوقين فى العادة المألوفة، فهذه أحوال ثلاث . والواجب على الانسان اذا توجهت نفسه الى شيء منها، أن يرجع فيها جميعها الى الله القريب المجيب بالسؤال والاستعانة، رجاء أنْ يسدّده ويوفقه لمعرفة الأسباب الصحيحة، ويهديه الى الصراط القويم الذى يتصل منه الى مايبتغيه، وأن يمده ويعينه بالوسائل التى جهلها أو عجز عنها ولا يقدر عليها إلا الله العليم القدير، وأن يحفظه من الزلل والخطأ فيها، وأن يحوطه بدوام رعايته وهدايته حذرا من الانحراف عن جادتها القويمة .

---

(١) استسلم وانقاد .

فقد ظهر لك من هذا أن العبد اذا تعلقت نفسه بمزاولة أمر يدخل تحت قدرته أو أمر تعجز عنه قدرته، هو فى حاجة قاهرة الى ربه القادر، فهو فى كلتا الحالتين (قدرته وعجزه) يجب عليه طوعا وكرها أن يفزع الى الله تعالى سائلا له بلسان مقاله وحاله أن يديم له ما وهبه له من هذه القدرة، وأن يُمِدَّه برُوحٍ من عنده فيما لم تصل اليه قدرته، والعبد فى كل من هاتين الحالتين بعد أن أفرَغَ جهدَه وأخذ بالأسباب الصحيحة المشروعة يكون من المتوكلين على الله الذين فعلوا ما استطاعوا، ثم فوضوا الى ربهم الأمر فيما لم يستطيعوا، وسألوه واستعانوه فيما استطاعوا وفيما عجزوا، فاكرمهم الله وأحبهم (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ).

وإجمال ما سبق أن العبد بازاء الأمر الذى يحاوله، سواء أكان تحت قدرته أم كان فوقها، يجب عليه أن يسأل الله تعالى قولا وفعلا ويستعينه فى الحصول عليه؛ فان كان ذلك الأمر فى مقدور العبد، فسؤاله واستعانته بالله أن يَضْرَعَ اليه ليُديمَ له الهدايةَ والاستقامةَ على سَنَنِ الصواب؛ وإن كان غير مقدور له استوهبه أن يتولى سبحانه ماعجز هو عنه ويُمِدَّه بما لم تصل اليه قدرته الانسانية المحدودة؛ فهو فى كلتا الحالتين فقير كل الفقر الى مولاه القادر الغنى الكريم، متوكل عليه منيب إليه فيما يأتى ويذر.

هاك بعض أمثلة لذلك: طالبَ العلم، يزاول مسائل الفن الذى يعانيه بما وهبه الله من نعمة العقل، وتراه فى أثناء هذه المزاولة سائلا مستعينا بالله أن يديم هذه النعمة عليه، وذلك هو قوله تعالى: (فَإِذَا عَزَمْتَ[1] فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ).

لكن قد تعترض طالبَ العلم هذا مسألةٌ غامضةٌ يَخْفَى عليه وجهُ الصواب فيها وكلما حاول الوصولَ اليها زاد إباؤها وأشكلتْ عليه حتى تُعجِزَه، حينئذ لايكون له ملجأ

(١) صممت على الفعل بعد أخذ الأهبة وتمام العدة.

من عصيانها عليه إلا الله القادر العليم ؛ فاذا سأله حق السؤال واستعانه بقلب سليم حاضر ، رُجِيَ له أن الله يمكنه مما عجز عنه ويعلمه من لدنه ماجهل ؛ كما قال سبحانه : (وَاتَّقُوا (٢) اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ . وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) .

قد علمت مما سبق أن العبد اذا أراد الشيء أعدَّ له عُدَّته ، واستكمل ما استطاع من وسائله ؛ كما علمت أن العدة التي يُعِدُّها والوسائل التي يستكملها ، هي العدة والوسائل التي أذِنَ الله بها وبَيَّنَها في الكون وفي الأنفس وشرعها لعباده وعلَّمهم إياها على لسان رسله عليهم الصلاة والسلام .

« يتبع »

محمد منصور
وكيل دار العلوم العليا سابقاً

الطُّرف والمُلح

بُعِثَ الى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بحُلَلٍ ، فقسمها فأصاب كلُّ رجل ثوب ؛ فصعِد المنبر وعليه حُلَّة ، والحلة ثوبان ؛ فقال : أيها الناس ألاَ تسمعون ، فقال سلمان : لا نسمع ؛ قال : ولِمَ يا أبا عبد الله ؟ قال : لأنك قسمت علينا ثوبا ثوبا وعليك حلة ؛ قال : لا تَعْجَلْ يا أبا عبد الله ، ثم نادى يا عبد الله ، فلم يجبه أحد ؛ فقال : ياعبد الله بنَ عمر ، قال : لَبَّيْكَ يا أمير المؤمنين ، قال : نَشَدْتُك بالله . الثوبُ الذي ائتزرْتُ به هو ثوبُك ؟ قال : اللهم نَعَمْ ؛ فقال سلمان رضي الله عنه : أما الآن فقل نسمع .

---

(٢) اتخذوا لأنفسكم وقاية من غضب الله وعذابه بامالكم سننه الكونية وأحكامه الشرعية فاذا اتقيتموه يقيكم ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون .

الفتاوى والأحكام

المعراج

ورد إدارة المجلة من حضرة صاحب التوقيع ما يأتى : —

س : هل كان المعراج للرسول عليه الصلاة والسلام بالروح والجسد الشريف أو بالروح فقط ، واذا كان الأول فما الدليل على ذلك ؟ «مصطفى محمد خضير»

ج : المعراج كان بالروح والجسد جميعا فان الله يقول : (سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ) ، وقد كان المعراج والاسراء فى ليلة واحدة ، والعبد إنما هو الروح والجسد جميعا والذى يصح أن يجعل آية من الآيات ويمتن به ذلك الامتنان إنما هو الاسراء بالروح والجسد ، وأما رؤيا ذلك فى المنام فبعيد عن أن يكون من الآيات أو المعجزات ولا معنى لأن يتعلق به الفتنة ، فان من الجائز أن يقع ذلك للعامة فضلا عن الخاصه ، ولهذا نقول : إن من الأدلة أيضا قوله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ) على ما يقول جمهور المفسرين فانها لو كانت رؤيا منامية لم يفتتن بها أحد ، وأى افتتان ، فى أن يرى الانسان فى منامه أنه ذهب الى الشام أو الى الهند وأنه رأى كذا وكذا ، ولو كان الأمر على ما يزعم الزاعمون أنها منامية ما كان لانكار قريش إياها معنى ولا لسؤالهم رسول الله عن المسجد الأقصى وصفته ، بل عن عير لهم كانت فى طريق الشام للتجارة معنى معقول ، ولم يكن لافتتان بعضهم ورجوعه عن الايمان سر مفهوم ؛ فانى اذا قلت لك رأيت فى منامى أنى ذهبت الى الحج ورأيت هناك ما يراه النائم فى منامه لم يكن من الآيات فى شىء ولا من الاستبعاد والانكار فى كثير ولا قليل ، فاذن لا يمكن أن تكون مناقشة قريش للنبى صلى الله عليه وسلم ولا رجوع من

رجع منهم عن إيمانه إلا اذا كانت دعواه عليه السلام أنه ذهب الى بيت المقدس بجسده لا بروحه فقط ثم عاد الى مكة قبل طلوع الفجر ، ولذلك كانوا يقولون له : نحن نضرب أكباد الابل الى الشام شهرا وأنت تزعم أنك ذهبت الى بيت المقدس ورجعت الى مكة فى ليلة واحدة ثم أصبحت بين أظهرنا ؛ أما التمسك بأن الرؤيا بالألف لا تكون إلا منامية فهو تمسك واهٍ ، فانها قد تكون لما فى اليقظة أيضا كالرؤية بالتاء كما حققه العلماء ، على أن جعلها فتنة للناس كاف فى بيان المراد منها وإلا فلا معنى لجعلها فتنة على ما شرحنا ؛ وكذلك قوله تعالى فى سورة النجم : (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ) الى قوله : (مَازَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ) ، فان مثل ذلك لا يقال فيما يكون مناما لدى من عنده أدنى ذوق سليم . . . هذا ومن اطلع على أحاديث الاسراء والمعراج لم يشك فى أن ذلك كان يقظة لا مناما ؛ وأما الكلام على ذلك من حيث إمكانه وعدم مصادمته لشىء من النواميس الطبيعية التي يستندون اليها ويتبجحون بها ، فسنفرد له مقالا خاصا إن شاء الله تعالى ؛ وكثير من الناس من لا يفرق بين الاستبعاد المبنى على عدم الإلف والعادة ، وبين الاستحالة العقلية ؛ لكونهم لم يرتاضوا بالمنطق وصناعة البرهان ، ولم يزاولوا من العلم إلا ما ضرره أقرب من نفعه ، وخطأه أدنى من صوابه ؛ وسنفيض القول فى ذلك بعد فى عدد آخر إن شاء الله ، ويكفى ذلك الآن ؛ ولنتفرغ لغيره .

***

وورد من حضرة صاحب الامضاء مايلى :ـــ

س : أرجو شرح النقط الآتية على صفحات المجلة . . بالقرية التى أنا موظف بها ، رجل متفقه تأتم به الناس فى هذه البلدة وما جاورها ، يفسر ألفاظ القرآن الكريم بظاهرها وهو يحرم : (١) التوسل بالأنبياء والأولياء الى الله تعالى . (٢) يحرم قراءة القرآن للموتى والعتائق (الصمدية) . (٣) والمهم الذى دعانى الى الاستفهام قوله :

(إن الله سبحانه وتعالى فى السماء فقط) ، ويستدل بقوله تعالى : (ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِى السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ) ، وقوله أيضا سبحانه: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى).

محمد سليمان الشيخ
مدرس بمدرسة بلتاج الاوليه

ج : التوسل بالأنبياء والأولياء جائز لا شك فيه لدى من استنارت بصيرته وصفت قريحته ، وقد ذكرنا شيئا من ذلك فى العدد الثامن من المجلة ، وسنفيض القول فيه بعد .

أما قراءة القرآن فقد صححنا وصول ثوابها الى الميت ، وذكرنا فى ذلك ما فيه مقنع وكفاية لمن أنصف ولم يتعسف ، فراجعه فى العدد الثامن من نور الاسلام ؛ وقد جاء فى قراءة الصمدية أحاديث يعمل بها فى مثل هذا الموضوع . أخرج الطبرانى فى الكبير مرفوعا : من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة كتب الله له براءة من النار ؛ وأخرج البزار فى مسنده مرفوعا : من قرأ قل هو أحد مائة مرة أعتقه الله من النار ؛ وقد علمت أن الصحيح وصول ثواب القراءة الى الميت ، فلا بأس إذن من إهداء ثوابها الى الأموات كما يفعل الناس ؛ وليعلم القارىء الكريم أن العلماء من المحدثين والفقهاء قالوا : يجوز بل يستحب العمل فى الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ، وقد علمت أن الصحيح لدى العلماء هو وصول ثواب القراءة وغيرها كالصدقة والدعاء .

أما دعواه أن الله فى السماء فقط فهى من أدل الأدلة على جهله بالمعقول والمنقول ؛ فان الذى يحتاج الى مكان يكون فيه لا يكون إلها ، فان الاله هو الذى يحتاج اليه كل شىء (حتى المكان) ولا يحتاج هو الى شىء وأين كان قبل المكان ، أليس المكان محدثا بعد إن لم يكن ومحتاجا الى من يخرجه من العدم الى الوجود ، ثم هو محتاج بعد ذلك الى من يحفظه بعد وجوده (إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولَا) إن المكان يستمد وجوده وحفظه من غيره ، كالممكن سواء بسواء ، وأحكام الأجسام الذاتية لا تختلف

ولا تتباين ؛ وقد قام البرهان العقلى على أن الله تعالى مخالف لمخلوقاته ، ولو ماثلها لكان حادثا مثلها ؛ ومن المعلوم أنه لو احتاج الى مكان لكان جسما مفتقرا الى مايقله ؛ ولكان مركبا من أجزاء ومحتاجا الى أجزائه والى من يركب تلك الأجزاء ويضع كلا منها فى مكانه الذى هو فيه والى من يخصصه بطوله وعرضه وسمكه ؛ فانه كان يجوز عقلا أن يزيد عن ذلك المقدار أو ينقص عنه وكان يجوز أن تكون أجزاؤه فى غير أماكنها الخاصة بها ؛ فاذن لا بد له من مخصص يخصصه بذلك كله ، والمفتقر الى غيره محال أن يكون إلها ؛ ثم نقول من وجه آخر أن هذا الجسم لا بد أن يكون أقل من العرش أو زائدا عليه أو مساويا له ، ونقول لابد أن يكون قابلا للانحلال ، لأن كل مركب يقبل الانحلال الى أجزائه ؛ ولو فرضنا أنه فى غاية الصلابة والمتانة لكان هناك من الآلات القوية التى وجدت أو التى يجوز أن توجد مايمكن أن يزيل كيانه ويعدم شخصه ويرجعه الى أجزائه الأولى .

ثم نقول أيضا كونه فى السماء يقتضى كون السماء ظرفا له ، فيكون أصغر من السماء والسماء أصغر من العرش بكثير ؛ فيلزم أن يكون الله تعالى شيئا حقيرا بالنسبة الى العرش — تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا — قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولاَ) ، فهو الممسك لها وليست ممسكة له .

أفلا يكون ذلك كله قرينة على صرف بعض الآيات عن ظاهرها وجعلها كناية عن شىء آخر يليق بعظمة الله تعالى وجلاله ، مع أن صرف اللفظ عن ظاهره والذهاب به مذهب المجاز أو الكناية يكفى فيه أية قرينة من القرائن التى يستبعد معها إرادة المعنى الحقيقى - ولو من طريق العادة - فما بالك بالبراهين العقلية التى تزول منها الجبال ، وليت شعرى ! أيجعله على عرشه بمقتضى قوله تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) ؛ أم فى سمائه بمقتضى قوله تعالى : (ءَأَمِنتُم مَّن فِى السَّمَاءِ) وأية سماء هى ، أم فى أرضه بمقتضى قوله تعالى : (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) أم فى بيوتنا

ومجالسنا بمقتضى قوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ ﴾ ، أم تحت الأرض بمقتضى مارواه الترمذى من قوله صلى الله عليه وسلم : « لودلى أحدكم بحبل فى بئر لوقع على الله » أو كما ورد ؛ نعوذ بالله من قصور الفهم وتسلط الوهم ؛ وماذا يصنع فى حديث النزول الى سماء الدنيا كل ليلة وقت السحر اذا أخذ بظاهر قوله تعالى : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ﴾ ولعله يقول إنه فى غير سماء الدنيا إلى آخر مايمليه الخيال أو يقتضيه الخبال ؛ وما أدرى لماذا يتمسك بهذه ولا يتمسك بقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ، واذا كانت الروح من أمر الله ولسنا نعرفها وهى أقرب الأشياء الينا ، ولا ينبغى أن نخوض فيها مع هذا الجهل ؛ وقد تباينت آراء العلماء فيها قديما وحديثا ، حتى ذهب الفلاسفة وكثير من أهل السنة كالغزالى والحليمى وغيرهما الى أنها من الجواهر المجردة التى لاتحتاج الى حيز ولا مكان ، فكيف بمن هو رب الملائكة والروح ؛ ولكن هناك نفوس غليظة لايمكنها أن تعرف إلا الأجسام وأحكام الأجسام ، وليس فى استطاعتها أن تدرك ماليس جسما ولا جسمانيا ولو كلفنا الدودة الصغيرة أن تعرف حقيقة الانسان وأحواله لكان ذلك تكليفا بالمحال ؛ وما بيننا وبين الله تعالى أبعد مما بين الانسان وتلك الدودة الحقيرة بما لايستطاع تقديره فانها تشترك معنا فى جنس الحيوان ؛ وقد قلنا إن العوالم أنفسها تختلف أحكامها اختلافا لايحيط به العد ، فمن الغلط البين أن تحكم بأحكام عالم على عالم آخر ؛ فما بالك بمن تعالى عن سمات المخلوقات ، وتنزه عن أن يدخل تحت نوع أو جنس ، كيف يتطلع العقل الضئيل والبصر الكليل والعلم القليل ، أن يعرف ذاته أو يحيط بما له من صفات وأحكام ؛ ولئن أبى بعض الناس أن يعبدوا إلها لايعرفون كنهه ، ولا يقفون على حقيقة صفاته ، فانى والله آبى كل الاباء أن أعبد إلها يصل عقلى الى كنهه المحدود ، وصفاته التى تشبه صفاتى ، وأصرح بمسمع من الخافقين إنى لا أعبد إلها يمكن أن أدركه بعقلى أو ألمسه بيدى أو أمسه برجلى أو أمزقه بمدفعى الخ الخ ... ولماذا لا يقلد أولئك المتفيهقون

(المدعون لاتباع مذهب السلف الذى يجهلونه ولا يعرفونه) أئمة الهدى وجماهير العلماء، إن لم يسهل عليهم فهم الأدلة العقلية والبراهين المنطقية وهؤلاء الهداة، والله خير ممن قلدوهم وأكبر وأكثر، فلينظروا لأنفسهم وليحتاطوا لدينهم؛ وقد قلنا ذلك نصيحة لله ورسوله والمسلمين، والدين النصيحة، وما اشتددنا إلا لله، وفى سبيل الله ما نلاقى من أولئك الجامدين الذين نحب لهم ما نحب لأنفسنا كما أمرنا الله ورسوله؛ وقد كان الامام الشافعى رضى الله عنه يقول: «آمنت بما جاء عن الله على مراد الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله» أسأل الله أن يقينا شر الفتنة وأن يجعلنا من أهل البصيرة فى الدين الذين يؤمنون بالمحكم ويردون اليه المتشابه لا من الذين يتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله؛ على أن العلماء قد بينوا المراد من تلك الآيات، فقالوا المراد أن فى السماء سلطانه وأمره وقدرته، والمقصود من ذكر السماء تفخيم سلطانه وتعظيم قدرته؛ وقد قال تعالى: (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ) ومحال أن يكون فى السموات وفى الأرض؛ فالقصد أنه متصرف فى السموات والأرض تصرف المتمكن فيهما، فما توجبه الظرفية لمن هى له من إتقان العمل وإحكام التدبير وسهولة التصرف وعدم غيبة شىء عنه ثابت له تعالى بأتم معانيه فى السموات والأرض، فلا يتصور فى حقه تعالى بعد ولا قرب ولا غيبة وحضور على نحو ما نعرفه، فان ذلك لا يتصور إلا بالجسمانيات؛ وأما هو فالأشياء كلها سواء بالنسبة إليه، فلوازم القرب والحضور ثابتة له، كما أن لوازم البعد والغيبة منتفية عنه، فليس قربه من جنس قربنا ولا معيته كمعيتنا، وكما أن ذاته ليست من جنس ذواتنا وصفاته ليست من جنس صفاتنا، فكذلك يجب التباين بين قربنا وقربه، كما وجب التباين بين ذاتنا وذاته: فالخلاصة أن المراد من كونه فى السموات والأرض نفاذ أمره وقدرته وجريان مشيئته، كذلك قوله تعالى: (ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ)، والمراد مزيد التخويف والتهويل فهو من وادى قوله تعالى: (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ) ففى الآية مجاز بالحذف أو مجاز فى الاسناد، والقرينة على

ذلك هى أكبر قرينة رآها الرائون واستند اليها المستعملون ، وهى الاستحالة العقلية التى قام عليها البرهان القاطع والدليل الساطع ؛ أما قوله تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَىٰ) فهو كناية عن تمام الملك وعظمة السلطان ، كما تقول لمن تم له الأمر أنه جلس على عرش المملكة لا تريد حقيقة الجلوس وإنما تجعله كناية عن استتباب الأمر وتمام الملك ؛ وهناك أجوبة كثيرة أعرضنا عنها مخافة التطويل والاملال ؛ وبعد هذا كله فلست أفهم قوله أن الله فى السماء فقط مع ذكر قوله تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ) ؛ فاستلفت نظرك الى ذلك .

وليعلم أولئك الجاهلون ، أن مذهب السلف التنزيه وعدم الخوض فى بيان المعنى فالفرق بينهم وبين الخلف أن الخلف يعينون المعنى المراد ، فيفسرون اليد فى مثل قوله تعالى : (يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) بالقدرة ، أو يقولون إنه من الكنايات التى تراد لوازمها لا حقائقها ، أما السلف فلا يخوضون فى شىء من ذلك ولا يبينون المعنى المراد على التعيين ؛ ولكن يجب على القارىء أن يعلم أنهم ينزهون الله عزوجل عما تقتضيه تلك الظواهر أو يتبادر من تلك الآيات ؛ أما هؤلاء الذين زعموا أنهم مقلدون لهم فمشبهون لا منزهون ، فأين هم من السلف ؟

أيها المدعى سليمى سفاها لست منها ولا قلامة ظفر

ولنقتصر على هذا والله يتولى هدى الجميع ؟

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

شركات التأمين على الحياة

على أثر صدور العدد السادس من هذه المجلة وفيه كلمتنا عن شركات التأمين ، وأن عملها مما لا ينطبق على قواعد الدين الاسلامى ولا تبيحه الشريعة الغراء ؛ أخبرنا بعض إخواننا أن إحدى هذه الشركات كانت قد استصدرت فتوى من المرحوم الشيخ محمد عبده عليه رحمة الله بحل هذا العمل ، فهالنا الأمر وأكبرنا أن يصدر ذلك منه ؛ وطلبنا من مخبرنا أن يوافينا بنسخة من هذه الفتوى ، إذ قال لنا إن الشركة طبعتها فى كراسة صغيرة ضمن إعلاناتها وتوزعها على الجمهور دعاية الى الاقبال عليها ، فلما أحضرها واطلعنا عليها أخذ منا العجب مأخذه لتفنن أولئك الأقوام فى التلبيس وإعطاء أعمالهم صورة بعيدة عن حقيقتها ليحتالوا على تطبيقها على قواعد الشرع بل ليوهموا الناس أنها مطابقة لعمل الدين بشهادة رجال الدين ، كما لبسوا عليهم وأوهموهم أن فى ذلك مصلحتهم الدنيوية ، والله يعلم متقلبهم ومثواهم ؛ فما كان لها بالمعاملة التى أباحها الدين صلة ولا شبه صلة ، وان الفتوى المذكورة منطبقة على السؤال الذى قدم بشأنها ، وقديما قالوا الفتوى على قدر السؤال ؛ أما تطبيق نص السؤال على حال السائل الحقيقية فهى من عمل القاضى لا من عمل المفتى ، لذلك كان واجبا على القاضى أن يتحرى عن الوقائع التى تقدم اليه ويطالب أصحاب الدعاوى باثبات أن حالهم الحقيقية منطبقة على الدعوى التى يشرحونها بين يديه ؛ وأما المفتى فلا يكلف إلا تبيان حكم الواقعة المسئول عنها ، سواء انطبقت على حال السائل فى الواقع أم لم تنطبق ؛ وسنذكر لك نص السؤال والجواب ، ثم نبين ما فى السؤال من التلبيس المتعمد قصد طمس الحقيقة وإظهار العمل فى غير صورته الصحيحة ، ونبين أن الجواب صحيح بالنسبة الى السؤال وإن كان السؤال لا ينطبق على حال تلك الشركات .

فالسؤال هكذا : رجل يريد أن يتعاقد مع جماعة على أن يدفع لهم مالا من ماله الخاص على أقساط متساوية ليعملوا فيه بالتجارة ، واشترط معهم أنه اذا قام بما ذكر وانتهى آن الاتفاق المعين بانتهاء الأقساط المعينة وكانوا قد عملوا فى ذلك المال وكان حيا ، فيأخذ ما يكون له من المال مع ما يخصه من الأرباح ؛ واذا مات فى أثناء تلك المدة فيكون لورثته أو لمن له حق الولاية فى ماله ؛ أن يأخذوا المبلغ تعلق مورثهم مع الأرباح ؛ فهل مثل هذا التعاقد الذى يكون مفيدا لأربابه بما ينتجه لهم من الربح جائز شرعا ؟ ...

والجواب : أنه لو صدر مثل هذا التعاقد بين ذلك الرجل وهؤلاء الجماعة على الصفة المذكورة كان ذلك جائزا شرعا ، ويجوز لذلك الرجل بعد انتهاء الأقساط والعمل فى المال وحصول الربح ، أن يأخذ لو كان حيا ما يكون له من المال مع ما خصه فى الربح ؛ وكذا يجوز لمن يوجد بعد موته من ورثته أو من له ولاية التصرف فى ماله بعد موته أن يأخذ ما يكون له من المال مع ما انتجه من الربح .

فتراهم قد أتوا من شروطهم بما ليس منشأ الفساد شرعا مهملين الشروط التى أوجبت فساد تلك العقود وذلك ليلبسوا على الناس أمرهم ولتتم لهم الدعاية على المتمسكين بدينهم والمعرضين عنه ؛ فلا يقول واحد هل أخسر الدين وهو سبيل الفوز بالسعادة الأبدية بدنيا فانية ليست إلا أياما وتنتهى ، فأكون ممن باع آخرته بدنياه ؟ فهم يقولون للناس تغريرا وتضليلا لا بل أنت تربح دنياك بما لا يضر آخرتك ولا تخسر من أجله دينك ، وها هى ذى فتوى عالم من العلماء ، أجل لا ينكر أحد أن إعطاء رجل ماله مقسطا لجماعة ليعملوا به فى التجارة حتى اذا انتهى الأجل المتفق عليه أخذ ماله وما خصه من الربح ؛ واذا مات أخذ ورثته ماله وحصته من الربح كذلك ، ولكن مامعنى (ماله) الذى يأخذه الورثة ؟ إن الذى يفهم من نوع السؤال أنه المال الذى دفعه للجماعة وهم يريدون المال الذى اتفقوا على أن يأخذه المؤمن على حياته بالغا ما بلغ متى دفع أول قسط ، فاذا اتفقوا على

ألف جنيه ودفع منها عشرة ثم مات عقبها استحق الألف جنيه كاملة لا ألف قرش ، فهل ذكروا هذا فى السؤال ليتبين الحرام من الحلال ؟ واذا أخل بالشروط وتوقف عن الدفع بلامبرر ضاعت عليه الأقساط التى دفعها و(لغت البوليسة) ، ولا يقول الشرع إن من دفع قسطا من مبلغ متفق عليه وعجز عن تتميم الأقساط ضاع عليه ما دفع ، فهل ذكروا هذا فى السؤال ليتبين الحرام من الحلال ؟ ويقولون أنهم يعملون بماله فى التجارة ثم يأخذ ماله وربحه ، وقد يفهم من هـذا أنه يأخذ ربحه فى التجارة اذا ربحت كما يتحمل قسطه فى الخسارة اذا خسرت التجارة فيكون من باب القراض الجائز شرعا ، ولكنهم ليسوا كذلك بل يتفقون على مقدار يدفعونه لا يتفاوت قدره كثلاثة فى المائة مثلا سواء أربحت التجارة قليلا أو كثيرا أم لم تربح ، بل ولو خسرت ، فهل ذكر هذا فى السؤال ليتبين الحرام من الحلال ؟ إن مثلهم فى هذا كمثل من يعرض مريضا بالباطن سليم العينين على طبيب العيون ليأخذ منه شهادة على سلامة عينيه ليثبت بها سلامة مريضه من جميع الأمراض ؛ إن الشارع الحكيم ناط المعاملة بالعدالة الواضحة الجلية التى لا لبس فيها ولا غرر ولا مقامرة ، أما تلك الأبواب التى تفيد طرفا ولا تفيد الطرف الآخر فليست مما يقره الشارع الحكيم ولا مما ينطبق على صريح العدالة ، ولا تقولن إن الطرفين قد تراضيا وهما أصحاب الشأن فى أموالهما فان المتقامرين كذلك قد تراضيا ، ولكن كم جرّ عليهما هذا التراضى من وبال وخسران وشقاق وخصام وعداء وخراب بيوت وضياع قوت ، فالعدالة هى الأصل المحكم ولاضرر ولاضرار .

نحن لا نعرض لهم من ناحية القانون فليس هذا من شأننا ، وإنما ننكر عليهم لبسهم وتغريرهم بالناس ، وإيهامهم أن ذلك جائز فى دينهم ليحلوا ما حرم الله ، فهذا ما لا يسع مسلما السكوت عليه ، والآن قد تبين الرشد من الغى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر والله الهادى الى سواء السبيل ؟

ابراهيم الجبالى
مدرس بقسم التخصص بالازهر

ظاهرة مرئيـة

فى أيام عيد الأضحى من السـنة الماضية ١٣٤٨ هـ قام الكاثوليك الفرنسـيون من رهبان وغيرهم بحملة عنيفة مناوئة للدين الاسلامى ، هى ذلك المؤتمر الأفخارستى الذى أقاموه فى قرطاجنة [١] ، وما هو إلا من مظاهر العمل لتنصير المسلمين الذى استبان فى غاية الجلاء أنه من أول مايرمى اليه الفرنسيون بقوة وعدم مبالاة .

وقد ورد إدارة المجلة من مكتب الأخبار التونسية كتاب عنوانه « ظاهرة مرئية فى سياسة الاستعمار الفرنسى » فقرأناه فاذا هويحتوى بيان تاريخ هذه الحملة وتصريحات من بعض القسس ومحررى الصحف الافرنسية ؛ والى القراء شئ من هذه التصريحات :

قال أسقف قرطاجنة على ما نشر فى مجـلة « الحياة الكاثوليكية » : إن مؤتمر قرطاجنة سيكون حمـلة صليبية جديدة ملؤها الكرم المسيحى ؛ وقالت جريدة تونس الاشتراكية « هل علم اليهود وغيرهم أن هـذا المؤتمر إن هو إلا حرب ضد الأديان الأخرى ، ووسيلة للتصريح والاعلان بانتصار العقيدة الكاثوليكية وسيادتها على سائر العقائد » ، ويضاف الى هذا قول أسقف الجزائر على ماجاء فى مجلة الحياة الكاثوليكية « ربما مع مرور الزمان تحصل لنا سعادة تمديننا للأهالى بتصييرهم مسيحيين » ولم يكن ذلك المؤتمر دينيـا بحتا بل أعطاه رجال السياسة الفرنسيون صبغة رسميـة ، فقد كتبت جريدة الزهرة فى ٥ ذى الحجة ١٣٤٨ مانصـه : « فى هذا اليوم عنـد الساعة الثالثة بعد الزوال يصل الكردينال (ليبيسى) مرسى العاصمة (تونس) ومعه حاشـيته المؤلفة من بعض كبار رؤساء الدين الفرنسيين ، ومن بينهم الكردينال (فردبينى) وسيتوجه جناب المعتمدالسفير م. بونزون لتحيتهم بمرسى البحيرة ، ويرافقهم ممثل البابا الى الكنيسة ،

---

(١) بلدة فى ضواحى مدينة تونس لا تزال بها آثار رومانية وقد أقيم على أطلالها مبان حديثة .

وستؤدى لهم جنود الحامية التحية العسكرية بالرصيف فى كامل الطريق الموصلة للكنيسة ، وبعد ذلك يزور جناب المقيم العام ، وهذا يرد له الزيارة بعد برهة قليلة ، وفى يوم الاثنين الساعة العاشرة يقدم جناب المقيم العام ممثل البابا الكردينال الى سمو الأمير المعظم بقصر المرسى » .

ولم يقتصر رجال السياسة الفرنسيون فى تونس على الاشتراك فى المؤتمر الكاثوليكى بمثل هذه المظاهر الرسمية ، بل أدرجوا فى مصاريف الدولة التونسية مليونين من الفرنكات إعانة لاقامة هذا المؤتمر ، ولما أراد أعضاء « المجلس الكبير » التونسيون المناقشة فى هذا التبرع ، أجيبوا بمنع المناقشة فى الموضوع بعلة أن هذه الاعانة مقررة من طرف وزارة الخارجية .

وفى يوم السبت ٤ ذى الحجة ١٣٤٨ وهو اليوم الذى تقرر أن تنزل فيه أول طائفة من الرهبان الوافدين الى المؤتمر أصبحت مدينة تونس مضربة عن العمل ، وخرج طوائف من المسلمين فى مظاهرات منتظمة الصفوف ، وتجولوا فى الحارات الأوربية الى أن وصلوا أمام الكنيسة وأمام دار المعتمد الفرنسى ، وهتفوا هناك بحياة الاسلام والوطن باللغتين ، العربية والافرنسية ، حتى هاجمهم البوليس يقصد تفريقهم بقوة ، ورفعت بعد هذا احتجاجات على انعقاد هذا المؤتمر من طوائف وبلاد فى المملكة التونسية مختلفة .

فعقدُ هذا المؤتمر الكاثوليكى فى تونس وما أخذ من مظاهر وما حفه به رجال الاستعمار من الرعاية ، ثم ما يعمل له الفرنسيون بالمغرب الأقصى من تنصير البربر ، كل هذه الوقائع شواهد على أن المستعمرين يضعون أيديهم فى أيدى رجال الكنيسة ليحولوا شمال أفريقية من الاسلام الى النصرانية .

هذا أمر واقع ، وقد قابلته الصحف والجمعيات والأحزاب بالانكار والاحتجاج ؛

ولم تقم أمارة على أن غضب العالم الاسلامى لتدخّل القوة الفرنسية فى شؤون المسلمين الدينية كان له أثر فى صرف فرنسا عن هـذه الخطة الممقوتة ؛ وليس فى يد أهل العـلم والغيرة على الدين الحنيف اليوم سوى أن ينذروا الناس عاقبة الانحدار فى هذه الهاوية ، ويتخذوا الوسائل التى تحمى البلاد من الغواية وتجعل سعى المحاربين الاسلام خائبا .

استكشاف أدوات ذهبية وفضية قيمة

فى مدينة بومباى الأثرية

عثر الأستاذ « ماجورى » عند استئناف أعمال التنقيب فى مدينة بومباى الأثرية بطرقة أبو ندانزا بالمسكن رقم ٤ الذى لم يعبره البحاثون اهتماما كبيرا حتى الآن على نفائس عظيمة القيمة التاريخية والمادية من الذهب والفضة .

فوجد بداخل صندوق محترق أدوات مائدة من الفضة وعدد كبير من الحلى الذهبية مرصعة بالجواهر .

أما أدوات المائدة فتكفى لأربعة أشخاص ويغلب على الظن أنها كانت لأحد البطارقة الأغنياء ، ومزينة بنقوش تمثل أعمال « هرقل » الذى يقال أنه المؤسس لمدينة بومباى .

أما الحلى فهو عبارة عن سوارين للمعصم وثلاث حلقات للأذن وثلاث عشرة خاتم ذهبي وعدة قلادات بعضها مرصع بالأحجار الكريمة ، كما وجدت بعض قطع من العملة الذهبية والفضية يرجع عهدها للعصر الجمهورى وعهد القياصرة .

ونقلت هذه الآثار مع العاديات الأخرى التى وجدت بنفس المسكن مثل تمثال « أبولو » وصورة تعزى « لفرجيل » الى متحف مدينة نابولى بايطالية .

[مترجمة عن مجلة « Umschau » الألمانية]

نموذج من نقد الشعر

لحسن البيان أثر كبير فى تهذيب النفوس وتقويم العقول وتربية العواطف الشريفة ؛ ومن أنفس فنون البيان فن الشعر ، ولجودة الشعر ورقيه فى معارج البلاغة أسباب معدودة ؛ ومن هذه الأسباب أخذه بالنقد ، ووزنه عند ما يعرضه صاحبه بميزان العلوم الأدبية والذوق السليم ؛ واذا نظرت الى العصور أو البلاد التى أدرك فيها الشعر منزلة سامية ، رأيت أدباءها كيف كانوا ينقدون ماتصنعه قرائح الشعراء نقد الصيارفة للدرهم أو الدينار ، فيجزون كل شعر بما يستحق من قبول وإطراء ، أو إنكار وازدراء ؛ وأذكر على وجه المثل العهد الذى ظهر فيه أبو تمام والبحترى وأضرابهما ، فان وطيس النقد كان يومئذ حاميا ؛ ومن شواهد هذا أن عبد الله بن طاهر والى خراسان الذى ألف له أبو تمام ديوان الحماسة ، كان لا يجيز شاعرا إلا أن ينظر فى قصيدته أبو العميثل وأبو سعيد الضرير ويشهدان لها بالاجادة ، بل كنا نرى كثيرا من الأمراء والخلفاء فى أزمنة رقى الشعر ينقدون ماينشد بحضرتهم من الشعر فيميزون رديئه من جيده ، وستسمعون فى هذا النموذج أمثلة من انتقادهم الدال على سلامة الذوق والالمام بفنون البيان .

فنقد الشعر من أسباب إبداع الشعر ، وإبداعه من وسائل تثقيف الأخلاق وإيقاظ الهمم وعرض الحكمة فى ثوب فاخر أنيق ؛ واذا كانت جمعية الهداية الاسلامية قد أنشئت لنصرة الفضيلة وإعلاء شأن اللغة العربية ، فجدير بها أن تعنى بالوسائل التى يبلغ بها الشعر مكانته العليا ، وهذا مابعثنى على أن ألقى كلمة أعرض فيها نموذجا من النواحى التى يلحظها الأدباء عند نقد الشعر ؛ وإذا فاتنى شىء منها فلتفلته عن الذاكرة ، أو لأنه بقى فيما لا أعلم ، « وفوق كل ذى علم عليم » .

---

(١) محاضرة ألقيت بجمعية الهداية الاسلامية .

تمهيد :

نقد الشعر ، فن من فنون الأدب قديم ، تجد له فى عهد الجاهلية وصدر الاسلام آثاراً وشواهد كثيرة ؛ أما تخصيصه بالتأليف فانا نعلم أن عبد الله بن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ ، قد ألف فى نقد شعر أبى تمام ، ومحمد بن طباطبا العلوى المتوفى سنة ٣٢٢ هـ ألف كتاب عيار الشعر ، وقدامة بن جعفر المتوفى حوالى سنة ٣٣٠ هـ ألف كتاب نقد الشعر ، وكتابا ناقش فيه ابن المعتز فى نقد شعر أبى تمام ؛ وجاء على أثر هؤلاء محمد بن عمران المرزبانى وألف فى مآخذ العلماء على الشعراء كتابه المسمى « بالموشح » فأخرجه للناس كتابا حافلا .

وقد أسرف فريق فى النقد ، حتى عابوا ما ليس فى الحقيقة بعيب ؛ ومن هؤلاء الأصمعى فانه كان مغرى بالأخذ على الشعراء ، وعاب عليهم أشياء وجه الجواب عنها واضح مقبول ؛ ووقف تجاه هؤلاء آخرون يحرصون على أن يكون ما قيل من الشعر بريئا من العيب ، ويتعسفون فى دفع مايرمى به بعض الشعر من خلل فى اللفظ أو المعنى ؛ وعلى هذين الفريقين يصدق قول أبى العباس المبرد « من طلب عيبا وجده ، ومن طلب مخرجا لم يفته » .

وممن عنى بالدفاع عن الأشعار المعيبة أبو عبد الله محمد بن جعفر القيروانى التميمى النحوى المتوفى سنة ٤١٢ هـ ومن مؤلفاته كتاب « ضرائر الشعر[1] » ، تكلم فيه عما يجوز للشاعر دون الناثر ، وأوشك أن يأتى لكل ماعيب به الشعر من ناحية مخالفة قوانين اللغة ، ويجعله من الرخص الشعرية .

والواقع أن فى الشعر مآخذ ينظر فيها الى ما هو أحسن فى النظم وأظهر فى الغرض ، ومن هذا عيب بلال بن بردة لقول ذى الرمة من قصيدة أنشدها بين يديه :

رأيت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعى بلالا

---

(١) توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب الملكية المصرية .

يقال : إن ذا الرمة لما أنشد بلال بن بردة هذا البيت ، قال بلال: ياغلام مر لصيدح بقت وعلف فإنما هي انتجعتنا ؛ ومن الظاهر أن ذا الرمة إنما أراد من انتجاع صيدح التي هي ناقته انتجاع نفسه، ومثاله في القرآن قوله تعالى : (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا)، وإنما المراد أهل القرية وأهل العير ، وإذا ذكر العربي انتجاع الناقة للممدوح وعنى به انتجاع نفسه فلأن الراحلة لا تنتجع مكانا إلا حيث ينتجعه صاحبها ومثل هذا المجاز لايخفى على بلال بن بردة ، ولكن الأوفق بمقام الاستعطاف وإظهار الحاجة أن ينسب الشاعر الانتجاع لنفسه .

ومن المآخذ ما يورده صاحبه على غير تثبت فلا يقع موقع السداد ، قال ابن عبد ربه : « وأكثر ما أدرك على الشعراء له مجاز وتوجيه حسن ، ولكن أصحاب اللغة لا ينصفونهم ، وربما غلطوا عليهم وتأولوا غير معانيهم التي ذهبوا اليها ، ومن هذا ما أخذ على الحسن ابن هانئ في قوله :

وما لبكر بن وائل عصم إلا لحمقائها وكاذبها

وقال الناقد : أراد بحمقائها هبنقة القيسي ؛ ولا يقال للرجل حمقاء ، وإنما أراد ابن هانئ دغة العجلية ، وعجل في بكر، ودغة هذه يضرب المثل في الحمق» . وفي الشعر مواضع هجنة لايغني التكلف للجواب عنها شيئا ؛ ومن هذه المواضع ما لا يكاد يخفى على أحد ، كثير من سقطات أبي تمام ، وأبي الطيب المتنبي ؛ ومنها ما لا يدركه إلا الذوق السليم والألمعية الصافية ؛ ومن شواهد هذا قول المتنبي :

عجبا له حفظ العنان بأنمل ما حفظها الأشياء من عاداتها

ووجه العيب فيه أنه يريد أن ينفي عن أنامل الممدوح الحفظ جملة ، ويدعي أنه لا يكون منها حفظ البتة ، وإضافة الحفظ الى ضميرها في قوله : « ماحفظها الأشياء » يقتضي إثبات حفظ لها ووجوده منها ؛ وقد ساق عبد القاهر في دلائل الاعجاز هذا

البيت وقال : مضى دهر ونحن نقرؤه فلا ننكر منه شيئا ، ولا يقع لنا فيه أنه أخطأ ، ثم بان بآخرة أنه قد أخطأ ، وبيّن الخطأ بالوجه المقرر آنفا .

وجوه النقد :

يتوجه النقد الى ناحية اللفظ تارة ، والى ناحية المعنى تارة أخرى ؛ ولكل واحدة من الناحيتين فنون هى ما نقصد الى الحديث عن شىء من تفاصيلها ، وعرض نموذج من أمثلتها .

النقد اللفظى :

الألفاظ بمنزلة الظروف تنقل المعانى من نفس الى أخرى ، فيحسن أن تكون على قدر المعنى الذى قصد الى نقله ؛ فان كانت أقل منه وصل المعنى الى ذهن المخاطب ناقصا ، وإن كانت أكثر منه حملت لسانك ما لاحاجة الى حمله ، وألقيت فى سمع مخاطبك ما لا طعم له ولا رائحة .

والألفاظ للمعانى بمنزلة الثوب للبدن ، ومن الأثواب ما يقى من الحر والبرد ، ولكن العين تمجه لرداءة مادته ، أو ضعف نسجه ، أو قبح منظره ؛ وكذلك الألفاظ قد تفصل على قدر المعنى ، ولكن الذوق يمجها لتنافر حروفها ، أو تجافى كلماتها ، أو تخاذل نظمها ، أو انحرافها عن هيأة وضعها .

ونقد اللفظ إما أن يعود الى المفرد ، وإما أن يعود الى التركيب ومما يعود الى المفرد استعماله فى غير معنى صحيح كما عابوا قول المتنبي :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بُد

فان الصداقة المخالة وهى إصفاء المودة ، والانسان لا يضطر الى أن يصادق عدوه أو يمحض له المودة ، وإنما يضطره الحال الى مداراته ، وذلك ما يعنيه الشاعر ، ومقتضى هذا المعنى أن يقول : « ما من مداراته بد » .

ومن عيوب المفرد مخالفته لقانون الصرف ، كما قال أبو عبد الله الحجاج :

خرقت صفوفهم باقب[١] نهد مراح الصوت متعوب العنان

فانه يقال تَعِب ومُتْعَبٌ ، ولا يقال متعوب ، لأن تعب فعل لازم فلا يجيء منه متعوب بمعنى متعب .

ويعاب بعض مفردات البيت لمخالفته للهيئة التى بناها عليه الواضع ، ومن أمثلته قول ابن زمرك فى بعض قصائده :

يابن الخلائف من بنى نصر ومن حاطوا ذمار الملة السمحاء[٢]

وقوله : سمتهم الملة السمحاء تكرمة

إذ لم يرد فى السماحة صيغة فعلاء ، فلا يقال سمحاء ، وإنما يقال ملة سمحة ، أى ليس فيها حرج ولا ضيق ، وقد عاب بعضهم قول أبى نواس :

واذا نزعت عن الغواية فليكن لله ذاك النزع لا للناس

وقال : إن نزع بمعنى انتهى إنما جاء مصدره على فعول ، فيقال نزع عن الأمر نزوعا اذا انتهى عنه ، ولكنا نجد فى كتب اللغة أن النزع يأتى مصدرا لنزع بمعنى انتهى[٣] .

وعابوا على المتنبى قوله :

ليس التعلل بالآمال من أدبى ولا القنوع بضنك العيش من شيمى

وقالوا إن القنوع مصدر قنع بمعنى سأل ، أما الرضا بالقسم الذى هو مراد الشاعر ، إنما يقال فيه قنع قناعة ، ويقال : إن أبا الطيب غير البيت الى قوله : « ولا القناعة بالاقلال من شيمى » ، والواقع أن من أهل اللغة من روى أن العرب قد يستعملون القنوع فى الرضا ، قال ابن السكيت : ومن العرب من يستعمل القنوع فى معنى الرضا وهو لغة قليلة حكاها ابن جنى وأنشد :

---

(١) اقب من القبب وهو دقة الخصر وضمور البطن . والنهد الفرس الحسن الجميل . (٢) نفح الطيب ج ٤ ص ٢٩٩ . (٣) فى اللسان : نزع عن الأمر ينزع نزوعا كف وانتهى وربما قالوا نزعا .

أرضى بهذا منكم ليس غيره ويقنعنا ما ليس فيه قنوع

ومما يعود العيب فيه الى المفرد لفظ عربي يستعمله العامة فى غير معناه فيجرى الشاعر فيه على استعمال العامة ، ومن هذا قول ابن أبى حجة :

فى الخد نار وفى أجفانها شرك لوقعة القلب كل منهما صالى

فاستعمل كلمة صالى بمعنى صابر مترقب ، وهي لغة العامة من أهل الشام وحماه ، قال بعض الأدباء : لم أفهم ما أراد ابن أبي حجة حتى سألت عنه بعض عوام حماه ففسره لى .

وقد تعاب الكلمة فى الشعر من جهة تجافى الذوق عنها وثقل وقعها على اللسان ، كلفظ ابتشاك فى قول المتنبي :

وما أرضى لمقلته بحلم اذا انتبهت توهمه ابتشاكا

والابتشاك الكذب ، ومن ذا يسمع هذه الكلمة ولا يتبرأ منها ذوقه كما يتبرأ من معناها قلبه ولبه .

وقد يأتى الشاعر فى البيت بكلمة لها معنيان : أحدهما لائق بالمقام وهو المراد ، وثانيهما يصير به معنى الكلام منبوذاً مستقبحاً وليس بمقصود للشاعر ، فيعاب الشعر من جهة هذه الكلمة المحتملة لمعنى مستهجن ، وقد وقع أبو تمام فى هذا العيب حين قال :

أعطيت لى دية القتيل وليس لى عقل ولا حق عليك قديم

فقوله : « وليس لى عقل » يوهم أنه ينفى عن نفسه العقل الذى هو القوة المدركة وانما أراد الشاعر الدية ، ولو قال : وليس لى عليك عقل لارتفع اللبس وزال القبح .

النقد العائد الى التركيب :

من النقد العائد الى التركيب وروده على خلاف ما يقتضيه علم النحو ، وضربوا المثل لهذا بقول الفرزدق :

وعض زمان يابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتا أو مُجلّف

المُسْحَت المُهلَكَ، والمجلف الذى بقيت منه بقية ؛ فالنظم يقتضى نصب مجلف عطفاً على المنصوب قبله وهو « مسحتا » ولكن الشاعر أتى به مرفوعا ، وليس لرفعه وجه ظاهر ، وأراد بعض النحاة أن يخلصه من وصمة الخطأ فى الاعراب فجعله خبرا لمبدأ محذوف ، والمعنى « أوهو مجلف » ؛ واذا نفع هذا الوجه الشعر وخلصه من عيب اللحن ، فانه لا يمنع الناقد من أن يجعله دون منزلة الشعر الذى يستقر معناه فى الاذهان لأول ما يقع لفظه على الاسماع .

ومن مآخذ المركب خروجه عن قانون علم البلاغة ، فيجيء غير مطابق لمقتضى المقام ؛ ومن أمثلة هذا العيب أن عبد الرحمن بن حسان سأل بعض الولاة حاجة فلم يقضها ، ثم بعث إليه شفيعاً فقضاها له فقال :

ذُممت فلم تُحمد وأدركت حاجة ... تولى سواكم أجرها واصطناعها

أبى لك كسب الحمد رأى مقصر ... ونفس أضاق الله بالخير باعها

اذا هى حثته على الخير مرة ... عصاها وإن همت بشرٍ أطاعها

وموضع العيب فى رأى علماء البلاغة هذا البيت الثالث ، فقد جاء على خلاف ما يقررونه من أنّ « اذا » تستعمل فيما يكثر وقوعه ، « وإن » تستعمل فيما لا يقع إلا نادراً ، ومقام الهجاء يقتضى أن نفس ذلك الوالى تحثه على الخير قليلا ، وأنها تهم بالشر كثيراً ، وهذا يقتضى أن يأتى فى جانب الحث على الخير بـ «إن» ، وفى جانب الشر بـ «إذا» ، ولكن الشاعر جرى على عكس القاعدة فقال :

اذا هى حثته على الخير مرة ... عصاها وإن همت بشر أطاعها

قال الزمخشرى : ولالجهل بمواقع «إن» و«اذا» يزيغ كثير من الخاصة عن الصواب فيغلطون ، ألا يرى الى عبد الرحمن بن حسان كيف أخطأ بهما الموقع ، ثم أورد الأبيات وقال : « لو عكس لأصاب » .

ومن مآخذ التركيب عدم اتساق كلماته ، فلا تقع كل كلمة منه موقعها اللائق بها ، وينتج عن هذا أن الذهن يقف فى فهم البيت فلا يصل الى المراد منه إلا بعد ترديد النظر وإمعانه ، ومن أمثلة هذا قول البحترى :

فتى لم يمل بالنفس منه عن العلى الى غيرها شىء سواه مميلها

واذا استطاع بعض أنصار البحترى أن يخلص البيت من اللحن بوسيلة التأويل فانه لا يستطيع أن يحميه مما يعيبه بالتعسف والتعقيد .

ومن معايب التركيب أن ينبو عنه الذوق السليم ، ويكون وقعه على اللسان ثقيلا، ووقع فى هذا العيب قول كشاجم :

حدائق كف كل ريح حل بها خيط كل قطر

قال ابن الأثير : هذا البيت يحتاج الناطق به الى بركان يضعه فى شدقه حتى يديره له .

النقد المعنوى :

مثل الشاعر فى صنع المعانى مثل صانع الصور المحسوسة ، واذا كنت لا تشهد لصانع الصور بالاصابة إلا أن يعرض عليك الصورة مطابقة لحالتها الواقعة ، فكذلك الشاعر لا تعده مصيباً فى تصوير المعنى إلا أن يعرضه عليك سالماً من النقص ، غير مثقل بزيادة ما لا فائدة منه ، حسن الوضع متلائم الأجزاء ، واقعاً من المقام الذى أورده فيه موقع المناسب المقبول ، ومن هنا كان لنقد معانى الشعر وجوه مختلفة .

يدخل العيب على المعنى من جهة الجمع بين أشياء غير متناسبة ، وكثيرا مايقع فى هذا العيب من يقصد الى النوع المسمى بالمطابقة ، ومما ذهب بعض النقاد الى أن الشاعر جمع فيه بين شيئين غير متناسبين بيت المتنبى :

أزورهم وسواد الليل يشفع لى وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

فقد روى أن المعتمد بن عباد تباحث مرة مع جلسائه فى هذا البيت وقال : ما قصر فى مقابلة كل لفظة بضدها إلا أن فيه نقداً خفياً وهو أن الليل إنما يطابق بالنهار ولا

يطابق بالصبح الذى هو جزء من النهار ، ومراد المعتمد القدح فى المطابقة بين الليل والصبح وإن كان لذكر الصبح وجه هو أن المحب ينصرف من الزيارة عند المحبوب انفجار الصبح خيفة الرقباء .

ويعاب الشعر بوقوعه فى عكس الغرض كقول أبى تمام :

إن البشاشة والندى خير لهم   من عفة جمست عليك جموسا
لو أن أسباب العفاف بلا تقى   نفعت لقد نفعت اذاً إبليسا

ساق الجرجانى هذين البيتين وقال : ليت شعرى لو أراد هجوه ، وقصد الغض منه ، هل كان يزيد على أن يذم عفته ويصفها بالجموس والجمود ، وهما من صفات البُرَّد والثقال ، ثم يختم الأمر بأن يضرب له إبليس مثلا ويقيمه بازائه كفؤا :

ويعاب الشعر بقصوره عن بلوغ الغرض ، حيث يقصد الشاعر الى ضرب من المدح مثلا ، ويصوغ له معنى يظنه وافياً بالغرض فلا يبلغ أن يكون مدحا ، وقد وقع فى هذا العيب كثير عزة حين قال :

فما روضة بالحزن طاهرة الثرى   يمج الندى جثجاثها [1] وعرارها
بأطيب من أردان عزة موهناً [2]   وقد أوقدت بالمجمر [3] اللدن نارها

أراد مدح عزة بطيب الرائحة فلم يبلغ ما أراد ، فان كل من يتجمر بالمجمر اللدن تطيب رائحته ، وقد أشار الى هذا القصور بعض من سمعه ينشد البيت فقال له : لو فعل هذا بأمة زنجية لطاب ريحها ، ألا قلت كما قال امرؤ القيس :

ألم تر أنى كلما جئت طارقاً   وجدت بها طيباً ولم تتطيب

ومن هذا الضرب قول الفرزدق — فى رأى بعض الناقدين — :

فمن يأمن الحجاج والطير تتقى   عقوبته إلا ضعيف العزائم

---

(١) الجثجاث نبات سهلى ربيعى . (٢) الموهن نحو من نصف الليل وقيل هو بعد ساعة منه .
(٣) المجمر : العود يتطيب به .

قال ناقدو البيت : إن الطير يخشى كل أحد حتى أقصر الناس يداً كالصبيان ونحوهم ، فليس فى اتقاء الطير للحجاج كبير مدح للحجاج ، ويقال إن الحجاج قال للفرزدق : ما عملت شيئاً ، إن الطير تنفر من الصبي والخشبة .

ومن الظاهر أن الفرزدق قصد الى مدح الحجاج بقوة السلطان وطول اليد بحيث لا ينجو من سطوته مجرم ولو كان الحيوان الذى شأنه أن يكون فى منعة ، كالطير يذهب فى الجو صاعداً فلا تناله يد حتى ينزل فى مأمن من كل ذى قوة ، فاتقاء الطير للحجاج كناية عن سعة سطانه وأنه لا يخلص منه مجرم ولو شق عنان السماء هرباً .

ويدخل فى هذا الباب قول الجعدى :

فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد فلا يبقى من المال باقياً
أشم طويل الساعدين شمردل[1] اذا لم يرح فى المجد أصبح غادياً

أنشد هذا الشعر فى مجلس هارون الرشيد فأ نكر منه قوله : « اذا لم يرح للمجد» ، وقال لِمَ لَمْ يروحه فى المجد كما أغداه ؛ ألا قال :

« اذا راح للمعروف أصبح غادياً »

ومن معايب الشعر بعده عن الواقع الى حد أن يدفعه العقل لأول نظرة ، دون أن يعرض على السامع صورة بديعة من صنع الخيال ؛ قال أبو بردة الثقفى : أدركت الناس وهم يزعمون أن أكذب بيت قالته العرب قول أعشى ميمون :

لو أسندت ميتاً الى نحرها عاش ولم ينقل الى قابر

وقال محمد بن يزيد النحوى : أحسن الشعر ما قارب فيه القائل اذا شبه ، وعدل فيه عن الافراط . كما قال القائل :

ويمنعها من أن تطير زمامها

---

(١) الشمردل : القوى الجلد .

أما اذا جاء الافراط فى صورة بديعة الصنعة فليس به من بأس ، ذلك لأن براعة التخييل تشفع فى تجاوزه حد المعقول ؛ ومثل هذا قول المتنبي يصف الجياد :

عقدت سنابكها[1] عليها عثيرا لو تبتغى عنقاً عليه لأمكنا

ومنها سوء تصرف الخيال فيصوغ صورة ينقصها شئ من التناسب ، ويظهر هذا فى نحو التشبيه والاستعارة ؛ ومن أمثلة هذا العيب قول الشاعر :

وخال على خديك يبدو كأنه سنى البدر فى دعجاء باد دجونها

فان مقتضى هذا التشبيه أن يكون الخال وهو أسود قد وقع مشبهاً بسنى البدر ، وأن يكون الخد وهو أبيض قد وقع فى مقابلة الظلماء ، فهذه المحاكاة لا يحصل منها ما يريده الشاعر من إظهار الموصوف فى صورة رائعة الجمال .

ومما لحقه العيب من ناحية التخييل قول أبى القاسم بن فرناس يمدح أحد أمراء الأندلس :

رأيت أمير المؤمنين محمداً وفى وجهه بذر المحبه يثمر

فانه جعل وجه الممدوح موضعاً للبذر ، ووصف ما يبذر بعد بالأثمار ، وهذا ما لا يسيغه الذوق السليم ؛ ويقال : إن الشاعر لما أنشد هذا البيت قال له مؤمن بن سعيد : قبحاً لما ارتكبته ، جعلت وجه الخليفة محرثاً يثمر فيه البذر ! فخجل الشاعر وما كان جوابه إلا أن شتم الناقد .

وقد يقصد الشاعر فى التخييل الى المدح فتجئ الصورة الخيالية وهى الى الهجاء أقرب منها الى المديح ، ويتمثل هذا العيب قول الشاعر يمدح أحد الأمراء بالشجاعة :

يهتز من تحت السلاح كأنه ريحانة لعبت بها ريح الصبا

ولو قيل هذا البيت فى جبان فر من وجه أعدائه فأدركوه حتى وقع تحت سيوفهم ،

---

(١) حوافرها . العثير الغبار .

لكان وصفاً مطابقاً ؛ ويقال : إن الممدوح لما سمع هذا البيت ثار غضبه ، وهم بعقوبة الشاعر لولا أنه أنشد بعده :

في كل منبت شعرة من جسمه أسد يمد الى الفريسة مخلبا

وقد ينظر في الصور الخيالية من لم يصف ذوقه فينحو في نقدها نحو المعاني العلمية ؛ ووقع مثل هذا لأحد الكاتبين في البيان إذ ناقش الشاعر في قوله :

كالطيف يأبى دخول الجفن منفتحاً وليس يدخله إلا اذ انطبقا

وقال : إن الطيف لا يدخل الجفن وإنما هو شيء يخيل الى النفس ، وهذا مدفوع بأن الصور الخيالية ليست بموضع لمثل هذه المناقشة الفلسفية ، والشاعر يعلم أن الطيف لا يدخل الجفن ولا يخرج منه ، ولكن يخيل الى النفس على وجه يشبه المرئي رأى البصيرة ، فكان بمنزلة ما يدركه البصر من الصور المحسوسة في صحة التعبير فيه بدخول الجفن كما صح أن يعبر عن امتناع تخييله حال انفتاح الجفن بإباية الدخول فيه .

وقد يجيء العيب من ناحية الخلل الذي ينشأ من حذف بعض الكلمات ، كما جاء في قول الشاعر :

وأنى لظلام لأشعث بائس عرانا ومقرور برى ماله الدهر
وجار قريب الدار أو ذي جناية بعيد محل الدار ليس له وفر

فالشاعر يريد أنه ظلام للناقة بنحر فصيلها للأشعث البائس أو المقرور الذي برى الدهر ماله ، ولكن ألفاظه لا تدل على ما أراد ، قال الجرجاني بعد أن أورد البيتين : هل يشك من أنشدهما أن الشاعر وصف نفسه بأقبح الصفة ، وأضاف اليها أشنع الظلم ؛ وإنما أراد أني أظلم الناقة فأنحر فصيلها لأجل هذا الأشعث أو الجار ، ولو قال « وإني لنحار » لاتضح المعنى ، وإنما يتضح المعنى نظرا الى أن النحر الذي هو إصابة النحر معروف في تذكية الابل فهو مصروف الى هذا المعنى .

ومما يؤخذ على الشاعر فى الرثاء والتعزية أن يتوسل بالحط من شأن الميت الى تخفيف مصابه على من يعز عليه فقده، كما قال البحترى يعزى أبا نهشل الطوسى على وفاة ابنته :

أتبكى من لا ينازل بالسيـــف مشيحا [1] ولا يهز اللواء
والفتى من رأى القبور لما طا ف به من بناته أكفاء
قد ولدن الأعداء قدما وورثـــن التلاد الأقاصى البعداء

ثم قال :

ولعمرى ما العجز عندى إلا أن تبيت الرجال تبكى النساء

فقد خرج البحترى من مقام تعزية أبى نهشل بوفاة ابنتـه الى هجوها والحط من شأنها، وليس هذا طريق تسلية الآباء عن بناتهم وتخفيف حزنهم عليهن ، والتحدث بنقائص الميت أو بسلب خصال الكمال عنـه ، مما لا ترتاح له نفس قريب أو صـديق يأسف لفراقه .

ومن وجوه النقد أن يقصد الشاعر الى تحسين شىء قد يعده بعض الناس شائنا فيصرّح فى الشعر بعيب الناس له ، والأفضل أن يبين وجه حسنه حتى يتلقاه السامع من حيث لا يشعر بأنه مظنة لأن يعاب ؛ وأسوق مثلا على هـذا أن المعز بن باديس استخلى محمد بن شرف وابن رشيق وقال لهما : أريد أن تصنعا شيئا تمتحان به الشِّعرَ الرقيق الذى يكون على سوق بعض النساء ، فانى أستحسنه ، وقد عاب بعض الضرائر بعضا به ، وكلهن قارئات كاتبات فأحب أن أرِيَهُنَّ هذا ، وأدعى أنه قديم لأحتج به على من عابه ، فكان الذى قال ابن رشيق :

يعيبون بلقيسية أن رأوا لهـا كما قد رأى من تلك من نصب الصرحا
وقد زادها الترغيب ملحا كمثل ما يزيد خدود الغيـــد تزغيبها ملحا

فانتقد المعز على ابن رشيق قوله : (يعيبون بلقيسية) ، وقال له : « أوجدت لخصمها حجة بأن بعض الناس قد عابه » .

---

(١) المشيح : الجد .

وقد يجيء العيب فى الشعر من عدم رعاية الشاعر للغرض الذى يتحدث عنه ، كما قال أبو نواس فى مطلع قصيدة يهنئ فيها الفضل بن يحيى البرمكى ببناء دار :

أربع البلى إن الخشوع لباد عليك وإنى لم أخنك ودادى

يقال : أن الفضل عند ما سمعها تطير ونكس رأسه ، وأخذ الناس ينظر بعضهم الى بعض ، يعجبون لأبى نواس إذ كبا فى هذه الحلبة جواده ، ولم يسعده عند الحاجة ذكاؤه .

ومن الزلل الذى يقع فيه الشاعر أن يسيئ الأدب مع الخالق أو الرسول أو من يجب احترامه فى نظر الدين ؛ وللسيوطى رسالة تسمى (تنزيه الأنبياء عن تشبيه الأغبياء)، أورد فيها نبذة من هذه الأشعار الرقيعة وقال : إنما أكثرت الشواهد مع استثقالنا لحكايتها ، للتعريف بأمثلتها .

ومن هذا النحو الأشعار التى تحمل المجون والفحش من القول ، وتزين لقرائها الخنا والخلاعة ؛ وإنما ينحدر فى هذه الحمأة من لم يتربوا فى مهد الأدب الرفيع ، ولم تستقبلهم الفضيلة يوم يخرجون من بطون أمهاتهم .

وإن تعجبوا لطائفة من فسقة الشعراء يقتبسوا آيات من كتاب الله ويقصدون بها معانى قبيحة منكرة ، فاعجبوا لفئة أخرى يوردون فى بعض مؤلفاتهم من هذه الأشعار ما يتصبب له الجبين من الحياء عرقا .

هذا نموذج من وجوه نقد الشعر ، وأكثرها يجرى فى غير الشعر أيضا ، كمخالفة قانون الصرف والنحو ؛ ومنها ما له مزيد اختصاص بالشعر ، كالنقد العائد الى تصرفات الخيال أو صناعه النظم ، وهذا الوجه من النقد لا يحكم علمه إلا من كان بصيرا بهذه الصناعة ، فضعف النسج مثلا ، ونبو الكلمة عن موقعها فى النظم ، وطيش الخيال عن

غرض الاجادة فى تصوير المعنى ، لا يدركه أينما كان إلا شاعر واسع المدى ، أو ألمعى قضى دهرا فى تدبر أشعار البلغاء .

واذا حاضرنا فى نقد الشعر بعد هذا ، فانما نوجه العناية الى الوجوه التى لها مزيد اختصاص بالشعر ، ولا نعبأ بما يدركه النحوى أو العروضى أو اللغوى على البداهة ، فانه سهل المأخذ ، وفى دراسة العلوم العربية الكفاية .

محمد الخضر حسين

استخراج غذاء المواشى من الاخشاب البالية

جاء بمجلة « Kosmos » الألمانية أن الأستاذين « فلستتر » و « زشمايستر » نجحا بعد تجارب كبيرة فى اختراع طريقة فنية يمكن بواسطتها تحويل الأخشاب عديمة القيمة الى غذاء للمواشى .

يؤخذ ذلك الخشب ويجزأ الى قطع صغيرة ثم يوضع فى أوعية كبيرة مع « حمض الهيدروكلوريك » أى حامض الملح المركز ، فتنفصل مادة الخلايا الخشبية وتتحول الى مادة سكرية ويتكون حامض الخل الذى يمكن الانتفاع به بعد تنقيته فى الأغراض المختلفة .

أما « حامض الهيدروكلوريك » المستعمل فى العملية فيمكن استعادته كاملا وذلك بالتقطير بواسطة الزيت الساخن والهواء الحار .

أما المادة السكرية المكتسبة فهى التى تستعمل علفا للمواشى وهى ذات قيمة غذائية كبيرة فضلا عن أنها تعد غذاء شهيا للمواشى .

وقد دلت التجربة على أنه يمكن استخراج ٦٦ كيلوجراما من هذه المادة السكرية و ٣٠ كيلوجراما من المادة المسماه « ليجنين » التى تضغط فى شكل قوالب وتستعمل وقودا للتدفئة و ٤ كيلو جرامات من حامض الخل وذلك من ١٠٠ كيلوجرام من الخشب .

هذا إلى أنه يمكن تحويل المادة السكرية المكتسبة إلى مواد أخرى .

أثر الثقافة الاسلامية
في تطور النهضة الفكرية

لمحة من التاريخ
— ١ —

إذا حدّثت فصدّقك التاريخ الصحيح ، ارتفعت درجة حديثك الى رتبة الحقائق الصادقة البينة ، وكان مشمولا بالقبول ممن ولاك أو خالفك فى الرأى أو فى العقيدة ، وكنت فى هذا الحديث « صادقاً » منصفاً تقول الحق وتهدى السبيل ؛ إذ التاريخ شاهد صدق وحكم عدل ، لا يبقى فى كتابه مسطوراً تحت عنوان « الحق » إلا ما كان ثابتاً ثبوتاً يرتاح إليه العقل النيّر ، وتؤمن به الفِطَر السليمة ، وتطمئن الى الحديث عنه القلوب الطاهرة ؛ أفلست تراه يدأب على كشف القناع عن وجه كثير من الأساطير كانت نازلة منزل اليقين عند كثير من الأمم ، فيجعلها تبدو كما هى خيالات لا تلبث إذا شع عليها قبس من نور البرهان أن تذهب بدداً ؟؟ . أو لست تراه يحفظ فى ثنايا سطوره حقائق لم تصل العقول الى غورها ، فبقيت ثابتة رغم ما عصف عليها من عواصف الفكر وتقلبات الزمن ؟؟ وذا هو العلم يكشف عنها الستار فتبدوا ناصعة جلية .

فاذا تحدثنا عن الثقافة الاسلامية وأثرها فى النهضة العلمية وتطور الفكر الانسانى ؛ فانما نعتمد على رواية التاريخ الصحيح ، ليستبين للناظر هذا الأثر الذى أنكره بعض من جفوا الاسلام ، وتجاهله شباب المسلمين أو جهلوه ، فراحوا يترسمون خطى قوم استخف بهم الغرور واستحوذ عليهم ما ألموا به من بعض تعاليم الغرب ، إلمامة لم تصادف من قلوبهم عقيدة راسخة ، ولم تلق فى أفئدتهم يقيناً قويا ، ولم تجد من نفوسهم إيمانا بالله تعالى وكتبه ورسله واليوم الآخر ؛ فضربوا فى مهاوى الشك والاستهتار بالعقائد

والآداب والأخلاق والعلم النافع ، فكانوا من الأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

الثقافـــة :

ثقافة كل أمة ما تستمسك به من دين وأدب وأخلاق وعادات ، وتعاليم حكمية أو سياسية أو اجتماعية ، تأخذها عن فلاسفتها وعلمائها وذوى الرأى فيها ؛ فاليونان ثقافة تجدها في تعاليم « سقراط[1] » و « أفلاطون » و « أرسطوطاليس » و « فيثاغورس » وغيرهم من حكماء هذه الأمة ، وللمصريين الأولين ثقافة تنبؤك عنها هذه الهيا كل والمنابر الهرمية ، وللأشوريين والبابليين ثقافة تحدثك بها الاستكشافات الأثرية ، وللهند ثقافة تقرؤها في طقوس « برهما[2] » و « بوذا » الدينية ، وللصين ثقافة تراها في تعاليم حكيمهم « كونفشيوس[3] » ومن أخذ عنه ، وللفرس ثقافة تحويها كتب « زرادشت[4] » و « ماني[5] » ، وللرومان ثقافة أبعدها أثرا في الحياة علم الحقوق والتشريع الوضعي على أساس ألواحهم المعروفة ، وللسريانيين والكلدانيين ثقافة عرفت في تاريخ حكمائهم وآثارهم ، وللعبرانيين ثقافة أساسها التوراة وما يتصل بها من شرح أو تأليف ، وللعرب قبل الاسلام ثقافة تظهر فيما نقل عنهم من علم التطبيب وسير النجوم ومعرفة

---

(١) فيلسوف يوناني كان ينهج في بحثه طريقة المحاورة . وأفلاطون أجل تلاميذه . وأرسطوطاليس أفضل تلاميذ أفلاطون . أما فيثاغورس فهو فيلسوف عظيم كان يعيش في القرن الخامس قبل الميلاد وهو الذى استخرج بذكائه علم الألحان وتاليف النغم ومن حكمته اقتبس سقراط . (٢) إليه تنسب الديانة الهندية القديمة المعروفة . وفي بعض الكتب أنه اسم من أسماء الله تعالى باللغة السنسكريتية وكتابه المقدس عند اتباعه يسمى (الفيدا) . وبوذا لقب لمؤسس الديانة البوذية ومعناه بلغتهم العالم الكامل . (٣) عالم صيني وفيلسوف قديم . (٤) حكيم الفرس ومؤسس ديانتهم القديمة . قال الشهرستاني : وكان أبوه من (أذربيجان) وأمه من (الري) . وفي زمنه خلاف كثير والأرجح عند رجال التاريخ أنه كان يعيش في القرن السادس قبل الميلاد . وله كتاب مقدس عند الفرس يسمى (أبستاق) وهو عبارة عن مجموع عدة كتب تنقسم الى ثلاثة أقسام . الأول : في العقائد والعبادات . والثاني : في المعاملات . والثالث : في الفلسفة والعلوم . (٥) ماني بن فاتك الذى ظهر في زمان شابور بن أزدشير وقتله بهرام بن هرمز بن شابور ومذهبه خليط من النصرانية والمجوسية .

الأنساب وقصّ الأثر وقصص السير وغيرها مما اقتضته حياتهم البدوية ، ومما أصابه (المناذرة — والغساسنة) من حضارة الفرس والرومان بمقتضى الجوار .

هذه كلها أمم يحدثنا التاريخ عن ثقافاتها وثقافات غيرها ، وأنها كانت حينا من الدهر تتنازع قيادة الفكر ، وتستبق الفضل فى الحضارة ، وتدعو الى استنارة العقول ؛ ومهما يكن من أمر إصابتها لهدف الحقيقة فيما تثقفت به أو عدم توفيقها ، فانا نتساءل أين هى هذه الثقافات ، وأين هو أثرها فى نهضة العلم وتطور الفكر ؟؟ .

البقاء أمارة الحياة ، واستمراره دليل قوتها ؛ فلا بقاء فى هذا العالم إلا لموجود يحمل بين جنبيه قوة معنوية ، وروحا قوية ، تدافع أعاصير الحياة وغيَر الزمن ؛ فلو أن هذه الثقافات الغابرة كانت بهذه المثابة من القوة والحياة ، إذن لبقيت واستمرت مع تطور الحياة ، ولكنها كانت قليلة الحظ من هذه القوة فذهبت مع الذاهبين كأن لم تغن بالأمس ! .

الثقافة الاسلامية :

الثقافة الأسلامية موضوع بعيد الغور واسع الأرجاء متعدد النواحى ، ليس فى استطاعة أحد كائنا من كان أن يحصرها فى شأن من شؤون الحياة ؛ فهى كما عُنيت بالشؤون الدينية التهذيبية والأدبية والعلمية ، وإقامتها على دعائم ثابتة وأصول قوية ، كذلك عُنيت بالنواحى المدنية التعميرية والاجتماعية النظامية ، فأسستها على أركان من العدل والعمل الصالح المثمر والجهد المستقيم .

والذى أحاول التحديث عنه هو ما يقصه علينا التاريخ من أثر هذه الثقافة الاسلامية ، فى تغذية الفكر الانسانى ، ومسايرة التطور العلمى ؛ فأجلو صفحة من الحقيقة أضعها أمام نظر إخوانى من شباب المسلمين تبصرة وذكرى ، عساها أن تحرك فيهم العزة والشمم ، وتدفعهم الى النظر فى تاريخ أسلافهم الأكرمين ، فيعلموا أنهم فيما يدرسون من سِيَر غير سِيَر أبطال الاسلام وحكمائه وعلمائه مخدوعون أُريدوا على البعد عن هذا الخير ، فكانوا أسلس قيادا فى أيدى الزائغين منهم فى أيدى الناصحين الراشدين .

سطع « نور الاسلام » على وجه المعمورة فلم يُلف من ثقافات الأمم الغابرة شيئا مذكورا، إلا أمشاجا من حكمة اليونان، وآداب الرومان، وتعاليم المسيحية على ما أصابها من تحريف . لجأت الى مدرسة الاسكندرية على أثر حملة عنيفة حملها الملك (غوستنيان) على الفلاسفة والحكماء انتصارا منه لآراء الكنيسة الغربية التي كان من قواعدها يومئذ اضطهاد العلم والعلماء، والقسوة على الحكمة والحكماء، ففر من وجه العسف الروماني جم غفير من الفلاسفه، أمّ بعضهم الاسكندرية، وأرغمتهم طبيعة الحوادث على ولوج معمعة النزاع الكنيسي؛ فاستعملوا النظريات الفلسفية للدفاع عن آراء فريق من المسيحيين، حتى امتزجت نظرياتهم بهذه الآراء وكان منهما مذهب (الأفلاطونية الجديدة) وهو مذهب كنيسي أكثر منه فلسفي؛ وهكذا أخذ أثر الثقافة القديمة يتضاءل أمام جور المتعسفين من حكام الرومان، وقتلهم العلماء والحكماء بغير حق؛ والفرس والرومان هما الدولتان اللتان بقيتا تتذوقان طعم الحياة الى ذلك الحين .

قام بناء الاسلام الشامخ في أقل من ربع قرن، أكمل الله فيه على خير أمة أخرجت للناس دينها، وأنزل على نبيها الكريم صلوات الله وسلامه عليه في يوم الحج الأكبر قوله تعالى : (أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً) إيذانا منه جل شأنه بأن هذا الخير ليس بعده من لدن السماء خير من استمسك بعروته الوثقى رشد واهتدى، ومن تفلّت عنه ضل وغوى، فكان ذلك حافزا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على استظهار القرآن الكريم — وهو المنبع الفياض بأسرار الكون — واستنباط ماحوى من حِكَمٍ وأحكام، مسترشدين بسنة النبي عليه الصلاة والسلام بأذهان سيالة وقلوب واعية؛ فنبغ فيهم العلماء والحكماء، وظهر من بينهم القواد والأبطال، ونهد في صفوفهم الساسة الذادة، وأشرف على حياتهم أئمة قادة، فكانوا — وهم نيف ومائة ألف — شمس الدنيا وريحانة الحياة الفاضلة .

للثقافة الاسلامية مرحلتان :

المرحلة الاولى

تبتدىء المرحلة الأولى للثقافة الاسلامية من مَشْرَق « نور الاسلام » ، وتنتهى بقيام الدولة العباسية ؛ وفى هذه المرحلة تتجلى عظمة الاسلام ، وتبدو ثقافة تستمد نورها من مشكاة الذكر الحكيم .

امتازت هذه المرحلة بشىء يعده الباحثون من أعظم ما سجل التاريخ . ذلك أنه فى زمن لا يتجاوز عشرين عاما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أساسا قويا للدولة الاسلامية من الأمة العربية ، التى كانت متفرقة شيعا وأحزابا ؛ فوحد أفخاذها وجمع شمل قبائلها تحت راية القرآن الخفاقة ، حتى كانت منهم أمة حملت علم الثقافة وضربت فى الأرض تؤدى الأمانة ، وتبلغ العالم أجمع رسالة الرسول الأعظم خاتم النبيين ، ففتح الله عليها من الممالك والأقطار فى قليل من الزمن ما على مثله تحطمت سيوف الأكاسرة والقياصرة ، ولا ننس هنا أن نذكر السر فى هذا النصر المبين ، وتقارن بين معاملة المسلمين للأمم المغلوبة على أمرها من الرفق والرحمة والحرية التامة ، وبين ما لطخ به التاريخ وجه المسيحية القاسية أيام (دواوين التفتيش) وفظائعها التى تقشعر منها الجلود ، وأيام الحروب الصليبية من القسوة المرة والفظاعة الوحشية ؛ وهذا مما يعترف به المنصفون من علمائهم ومؤرخيهم . قال الكونت « هنرى دى كسترى » فى كتابه (الاسلام ـ سوانح وخواطر) : (إن أتباع محمد « صلى الله عليه وسلم » هم وحدهم الذين استطاعوا الجمع بين الرفق فى معاملة مغلوبيهم والرغبة فى انتشار دينهم ، وهذه الرغبة هى التى دفعت العرب الى الفتوحات العظيمة فنشر القرآن رايته خلف جيوشه المظفرة ولم يخلفوا فى طريقهم أثرا للجور) . وقال فيلسوف فرنسة « غوستاف لوبون » (من ينظر الى أخبار معاملة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) لأهل بيت المقدس

يعلم علم اليقين أن العرب كانوا يبالغون فى حسن معاملة مغلوبيهم ، وهذا يباين تمام المباينة معاملة الصليبيين للمسلمين فى بيت المقدس أيام الحروب الصليبية) .

وقد تجلت فى هذا العصر العبقرية الحربية : وهى ضرب من ضروب الثقافة عند الأمم الحية ، فأنجبت جيوش المسلمين — وهى مدارسهم العسكرية — أبطالا فخاما وقوادا باسلين ، وحسبك فى الحديث عنهم فخر الاسلام وسيف الله أبو سليمان خالد بن الوليد ، وبطل القادسية سعد بن أبى وقاص ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح ، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد ، وفاتح مصر عمرو بن العاصى وغيرهم من أجلاء الصحابة رضى الله عنهم ، وقد قارن هذه النهضة الحربية نهضة أدبية — والأدب مقياس حضارة الأمة وميزان رقيها — نبغ من المسلمين الخطباء المصاقع والشعراء المبدعون والكتاب المجيدون ، وكان هذا العصر للغة العربية ميدان فضلها ومظهر أسرارها وثوب جدتها ، وهذه نهضة أحدثها القرآن العظيم ؛ لأن العرب لم يأتهم الله من الفضائل على كثرتها فيهم أفضل من الفصاحة اللسانية والقوة الخطابية ، فكان أسمى شىء اعتزوا به وتسابقوا للمفاضلة فى حلبته إنما هو الحياة اللغوية ، وللمفاخرة فيها والتفنن فى أساليبها أقاموا مدارس (عكاظ وذى المجاز) وسواهما ، فما جاءهم القرآن الكريم بأسلوبه الفخم ولفظه الجذل وإعجاز تراكيبه حتى شعروا أنهم أمام كتاب لا عهد لهم بأسلوبه ولا طاقة لهم ببلاغته على عظم ما وصلوا اليه فى هذا المضمار ، وأدركوا أن القرآن أتى ببلاغة تسمو على متناول ألسنتهم فقنعوا بالاقتباس منه ، وفطنوا الى موضع العبرة فيه والاستفادة من علو انسجامه وفصاحة نظمه ، والاغتراف من منهله العذب ومعينه الذى لا ينضب ؛ فاتجهت اللغة العربية اتجاها جديدا ودخلت فى دور التأليف والتدوين ووضعت فى قواعد علومها الكتب والدواوين ، وتذاكر الناس النحو والصرف وعلوم البلاغة والأدب ، فأينما توجهت وفى أى بلد إسلامى حللت شعرت أنك فى جامعة أدبية علمية زاهرة .

وظهر فى فجر هـذه المرحلة نوع من الثقافة الاجتماعية لم يشهد التاريخ بمثله لأمة من الأمم ، نعنى به ذلك النظام الذى ابتدعه الاسلام ورمى من ورائه الى بث روح المساواة والوحدة العالمية التى جاء بها القرآن الحكيم ، فقال تعالى : (يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ) ؛ وغرسها النبي صلى الله عليه وسلم فى نفوس الأمة حتى كانت الوصية بها فى آخر مواقفه العامة فى خطبة الوداع ، حيث يقول : (أيها الناس كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى) ؛ وكانت أولى خطوات الصديق رضى الله عنه فى أول خطبة خطب بها المسلمين بعد ارتقائه أريكة الخلافة إذ يقول : (أيها الناس إنى وليت أمركم ولست بخيركم) ؛ وكان مظهراً أسمى لها حياة الفاروق ثانى الخلفاء وأول الأمراء عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى نفخ فى الأمة الاسلامية أفراداً وجماعات روح الاعتداد بالنفس ، بقوله فى إحدى خطبه وهو أمير المؤمنين : (من رأى منكم فىّ اعوجاجاً فليقومه) ، فقام إليه رجل وقال : (والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا) فحمد الله الفاروق على أن جعل فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم من يقوّم اعوجاج أميرها لو رآه ؛ وهل ذكر التاريخ فى جميع عصوره أن المرأة أوتيت قسطا من العلم والحرية تقف بهما فى وجه الخليفة تحاججه وهو يخطب فى تخفيف مهور النساء ، حتى يقول على مرأى ومسمع من عامة المسلمين (أخطأ رجل وأصابت امرأة) ؟ ؟ لعمر الحق إن هذا ضرب من التربية النفسية — لم يقصص التاريخ أن أمة تعاطته فى حياتها — نشأهم عليه القرآن العظيم تنشئة سادوا بها الأرض وقادوا الممالك ؛ ولم يحدثنا التاريخ من مبدأ الخليقة الى عصرنا هـذا الذى يتشدق فيه المتثقفون لقشور الغرب بما سموه (الديموقراطية) أن سيداً مطاعاً وأميراً معظما وخليفة إذا قال فعل ، ملك شرق الأرض وغربها بجيوشه المظفرة كسيدنا عمر بن الخطاب يخطب رعيته بهذا القول الذى يبعث فيها حياة العزة والكرامة ، ويجعل لكل فرد منها مهما صغر مقامه حق الملاحظة على الخليفة وحق نقد أعماله وتصرفاته . هذا هو

الكمال الاجتماعى الذى يجب أن تتربى به الأمم التى تريد بحق أن تتبوأ مكانتها تحت السماء .

ومن مفاخر الاسلام فى عصره الأول هذه التربية الفاضلة التى تربت عليها المرأة المسلمة فكانت المثل الأعلى فى الكمال النسائى ، يجد منها الزوج شريكة فى الحياة صالحة ، ويجد فيها الأولاد أماً رؤماً ، تغذيهم بالعلم وتثقفهم بالأدب ، يحيط بها سرادق العفاف ويزينها الحياء . يطالعنا التاريخ بالحالة السوءى التى كانت عليها المرأة قبل الاسلام فى جميع الأمم ؛ فلما جاء الاسلام أفسح للمرأة مكانتها فى الحياة وفتح لها باب العلم على مصراعيه ، وأشركها مع الرجل فى خطاب التكاليف بما يتفق مع تركيبها الجثمانى ، بل صرح القرآن الكريم بأنها هى والرجل سواسية فى الحقوق والواجبات فقال : (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) ، وهذه الدرجة هى درجة القوامة بالانفاق والحماية المذكورة فى آية أخرى : (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) وهذا إرفاق بها ورحمة ؛ وقد فهم المسلمون تقدير القرآن لمقام المرأة فكانوا يعاملونها بمنتهى الرقة والعطف ما دامت حافظة للغيب بما حفظ الله قائمة على حدود الدين والفضيلة ؛ حتى أن ابن عباس رضى الله عنهما كان يقول : (إنى أحب أن أتزين لامرأتى كما أحب أن تتزين لى) ، فهل رأيت إخلاصاً للمرأة واحتراماً لها مثل هذا الصنيع ؟ ؟

شعرت المرأة المسلمة بوجودها فى الحياة وقدرت إنسانيتها ، وشاركت الرجل فى العلوم والآداب ، حتى نبغ من النساء المسلمات كثيرات كن مرجعاً للعلماء والأدباء . أما أم المؤمنين (الحميراء) السيدة عائشة رضى الله عنها فهذه واحدة الدنيا علماً وفضلا ، فما أشكل على المسلمين شئ من القرآن والحديث وأدب العرب وسير الماضين إلا وجدوا عندها به علما . وأما ذات النطاقين السيدة أسماء أختها فما قامت النساء على مثلها يقيناً وحزماً وصرامة فى الحق ، فهل سمعت عن امرأة يدخل عليها ولدها وقرة عينها ليتعرف

صبرها على فقـده إذ يقول لها : (يا أمه خذلنى الناس حتى أهلى وولدى ولم يبق معى إلا من لا دفع عنده إلا صبر ساعة من النهار ، وقد أعطانى القوم ما أردت من الدنيا فما رأيك ؟؟) ، فتقول له أخرج الى القتال إن كنت تعتقد أنك على الحق ، والله لضربة بسيف فى عز أحب إلىّ من ضربة بسوط فى ذل ، فيقول لها : أخشى أن يمثلوا بى بعد قتلى ، فتقول له : يا بنى إن الشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ ؟؟. تلك هى أسماء بنت أبى بكر الصديق وابنها عبد الله بن الزبير ، وهل سمعت بامرأة ينعى اليها أولادها خرجوا ليجاهدوا فى سبيل الله فتقول : الحمد لله الذى شرفنى بشهادتهم فى سبيل الله ؟؟ تلك هى الخنساء شاعرة العرب وأديبة المسلمات ، هذه مُثُل من نفوس رباها الاسلام ، فهل علم المجددون أنهم عن الصراط السوى نا كبون ؟؟.

وأجل ما لهذه المرحلة من المحامد أن الثقافة الاسلامية فيها كانت كذلك فحسب ، وبعبارة أدق أنها كانت إسلامية المنشأ عربية التفكير والتربية ، فلم يكن للمسلمين عهدئذ مورد يستقون منه ثقافتهم غير القرآن الحكيم وما علمهم النبى صلى الله عليه وسلم من الحكمة ، ولم يكن قادة الفكر يومئذ غير العرب أو المستعربين الذين درجوا فى أحضان تعاليم الاسلام ولم يرتضعوا لسواه ثديا ولم يأخذوا عن غيره أدبا ، فهو أصدق العصور للتعبير عن الثقافة الاسلامية ، وهو الدليل الناهض على أن للاسلام ثقافة مبتكرة مستقلة تستمد نورها من وحى القرآن الكريم والسنة المطهرة ، دون أن يكون لأية أمة من أمم الأرض على المسلمين يد فيها ، إذ لم يكن قد فتح على المسلمين باب النقل والترجمة عن علوم الغابرين ، فكان للمسلمين فقه إسلامى أوسع ما عرف فى علوم التشريع والاجتهاد ، وأصحه نظراً وأصدقه مخرجا ، وها هى مؤلفاتهم شاهد ناطق على صفاء أذهانهم واستنارة أفكارهم ، فهل قرأت فى « مدونة » مالك بن أنس رضى الله عنه ، وعرفت كيف كان نظر أئمة المسلمين فى المسائل وتخريج أحكامها بما ينطبق على مصلحة المجتمع ونظام الحياة ؟؟ وهل نظرت فى كتاب « الخراج » لأبى يوسف صاحب أبى حنيفة رحمه الله ، وعلمت الى أى حد وصل المسلمون الأولون من سعة العلم

وقوة الادراك ؟ ؟ وهل اطلعت على كتاب « الأم » للشافعى رحمة الله عليه ، فتطمئن الى الايمان بعظمة علماء الاسلام ، ويظهر لك سخف مايزعمه خصوم الاسلام من أن الفقه الاسلامى أخذ شيئا من مبادىء الفقه الرومانى . لندع فقهاء الشام والعراق ومصر ، وننظر الى فقهاء الحجاز فى القرنين الأولين ، فمن أى طريق وصل الفقه الرومانى الى المدينة المنورة فأخذ عنه الامام مالك وأصحابه هذا التشريع البديع ؟ ومن أى السبل انتهى هذا الفقه الى فقهاء مكة المكرمة فاستفادوا منه كما يزعم الزاعمون ؟ ؟ اللهم إن هذه فرية ما فيها مرية ، وأقاويل يذيعها الذين نفسوا على الاسلام فضائله ومزاياه .

« يتبع » صادق ابراهيم عرجون

التاريخ الهجرى

ترد إدارة المجلة رسائل يقتصر فيها أصحابها على التاريخ الافرنجى ، وكان حقا على المسلمين ولا سيما أهل العلم أن يحافظوا على التاريخ الهجرى الذى هو شعار ما يكتبه المسلمون منذ عهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا ندرى ما هو الداعى الى تقليد الأمم الغربية فيما يؤرخون به رسائلهم ووقائعهم ، وفى التاريخ الهجرى تذكار مبدأ عظمتنا وظهور دين الله على الدين كله ، واذا اقتضى الحال ذكر التاريخ الافرنجى فى رسالة أو تدوين واقعة ، فلا مقتضى للاقتصار عليه وطرح التاريخ الهجرى فى حال ، واذا كان غيرنا من الأمم يتمسكون بما اعتادوه فى التاريخ ، فلماذا لا نتمسك بما اعتاد أسلافنا من التاريخ الهجرى حتى فى مراسلة الأجانب أو الشركات الأجنبية ، ومن بواعث الأسف أن يجرى فى مجالسنا الحديث عن بعض الوقائع فلا نسمع عند التعرض لتاريخها إلا الشهر أو السنة الافرنجية ، فالاحتفاظ بكرامتنا والاعتزاز بما يشير اليه مبدأ تاريخنا ينصحان لنا بأن نستعمل فى مراسلاتنا وتدوين وقائعنا التاريخ الهجرى ، ونذكر بعده التاريخ الافرنجى أو غيره حيث تدعوا اليه الحاجة .

وقد كتب بعض الأفاضل الى المجلة رسالة فى التنبيه على ذلك فنشكره على غيرته .

العلوم والآداب

التجول

وأثره فى التربية الوطنية [1]

كانت حكومات الأمم القديمة تعتبر المدارس العالية كمعاهد لاعداد موظفين مأجورين ، أو لتهيئة جنود أقوياء لأغراض الدولة المالية أو الحربية ؛ ولو أن هذا الغرض من المدارس لم يكن هو الوحيد الذى ترمى اليه التربية والتعليم على وجه العموم، إلا أنه كان حين ذاك أهم أغراض المدارس والمعاهد ، وقد يرجع السبب فى ذلك الى الاعتقاد السائد بأن خدمة الوطن محصورة فى الانضمام الى الجيش أو العمل فى المصالح الحكومية العامة .

وقد تكون الأحوال الماضية فى تلك العصور هى وحدها المسئولة عن انتشار مثل هذا الرأى ، وأما الآن — وقدحطمت مناطق النفوذ الواسعة التى كانت تخلع على الموظفين المركز الرفيع والسلطان الكبير وأصبحت هيئة الحكومة عبارة عن آلة إدارية لتحقيق رغبات الشعب وتنفيذ مطالبه الحيوية والعمرانية — فان الفرد أصبح بما له من حقوق وعليه من واجبات عضوا مستقلا هاما فى حياة المجتمع ، وله أثر ظاهر فى منفعته أو مضرته ، بصرف النظر عن نوع وظيفته أو مرتبته فى الحياة العامة ، ولا يقيده فى ذلك سوى مؤهلاته الشخصية ومعلوماته وتربيته الصالحة ومتانة أخلاقه وكمالها . فالحياة العامة تتطلب اليوم أكثر من ذى قبل أن يكون كل فرد ملما بالعلوم، واسع الاطلاع، متمشيا مع مطالب الزمان والمكان لرفعة شأن وطنه ومواطنيه، وأن يربى النشء على ما فيه نفع المجتمع ، وقد يكون ذلك من الأهمية بمكان عظيم فى الوقت الحاضر العصيب الذى فيه فصل الخطاب .

---

(١) نقلا عن مقال للاستاذ «جرارد جينا» من مجلة « Woche » الالمانية .

فيجب على القائمين بالتربية العالية الحديثة أن يهتموا قبل كل شىء بالعناية بمطالب الزمن الحاضر الضرورية حتى تثمر ثمرا صالحا يرجى خيره .

وهنا قد يتساءل البعض عما اذا كان قد أتيح للتربية ذلك حتى الآن بواسطة الأساليب أو المناهج الموضوعة ، وعما اذا كان يمكن تحصيل ما هو أكثر من ذلك خيراً وأعم نفعا ، وعن أحسن الطرق المؤدية لمثل هذه النتائج ؟ .

فلو أننا اكتفينا بمجرد تلقين المعلومات العامة وتاريخ الأمم وتقويم البلدان أو النظم القومية ، لكانت المناهج الموضوعة للتعليم والأساليب المتبعة فى التربية كفيلة بتحقيق الأغراض .

ولكن الغرض الحقيقى من التربية والتعليم لا يقف عند حد تلقين العلوم أو سرد الحوادث التاريخية أو بيان أصول النظم القومية أو حفظ موادها ، وإنما هناك ما هو أكثر من ذلك فائدة وأجل قدرا ، وهو أن يشترك الناشىء فعلا بواسطة حواسه ووجدانه فى البحث والتعرف على جواهر الأشياء الداعية لكل ما يذكر له من علوم وفنون ، فان مواد الدستور والأنظمة القومية لا توصلنا الى إدراك القوى المستأصلة فى المشاعر الشعبية التى تقوم عليها الحياة الوطنية ، ولا يمكن إدراك هذه المشاعر بالتعليم أو التلقين وإنما بالتجربة والممارسة ؛ فانه لا بد للانسان أن يحتك بأخيه ويكثر من مخالطته ويطيل من معاشرته حتى يتصل بطرق تفكيره ويفهم ميوله وأغراضه ويشاركه فى مشاعره ونواحى حياته ، وعلى هذا الأساس يجب أن يشيد بناء التربية الوطنية ، فان الوصول اليها يكون عن طريق التجربة والممارسة أنجح مما لو توصلنا اليها بطريق التلقين والتعليم فحسب .

وقد يكون تأسيس الجمعيات المختلفة الأغراض بين الناشئين من نواحى البلاد المتعددة ممهدا لسبيل التفاهم الوطنى والتعاون القومى ، إلا أن ذلك ليس كافيا للوصول

الى الغرض الجوهرى من التربية الوطنية، إذ ينقصه زيارة نواحى البلاد المختلفة والتجول فى ربوعها وبين أهلها والتعرف على طرق معايشهم، حتى تتم تربية الروح الوطنية والتى بدونها لا تقوم حياة قومية مشتركة يتعاون فيها الجميع لصالح المجتمع على حد سواء.

إن التربية الوطنية الحديثة ترمى الى إرسال الناشئين الى الأصقاع المختلفة والنواحى النائية من الأوطان، حتى تنموا فيهم روح التفاهم على الحياة التعاونية الاجتماعية.

وللوصول الى هذه الغاية ينصح العلماء والقائمون بأمر التربية الوطنية الحديثة، أن يوضع نظام خاص لتبادل الناشئين بين العائلات يراعى فيه مركز العائلة الاجتماعى وأعمار الطلبة ثم واجباتهم المدرسية، حتى لا تختل بذلك طرق معيشتهم أو حياتهم الأدبية وواجباتهم المدرسية على قدر الامكان، وذلك لمدد تختلف بحسب الحاجة الماسة الى ذلك، إما أثناء الدراسة بأن يلحقوا بالمدارس الأخرى، وإما أن يكتفى بذلك أثناء العطلات المدرسية.

وعلى هذا المنوال فقط تتسع دائرة التربية الوطنية لدراسة الأنظمة القومية الحقيقية، ولادراك القوى المسيرة للشعور الوطنى والتى عليها تبنى حياة الشعوب.

وإن لمثل هذا التبادل الواسع النطاق بين آلاف العائلات من جميع أنحاء البلاد النائية أكبر أثر فى تربية وثقافة الناشئين على أساس متين يضمن غرس الروح القومية بين رجال المستقبل، كما يكفل سهولة التفاهم وتوحيد الفكر ومشاركة الشعور بين أهالى الأصقاع المتبادلة على بعد شقتها واختلاف حياتها الاجتماعية والأدبية، ويكون أكبر عون للاتحاد والائتلاف القومى.

كما أنه يجب مراعاة أن يكون تبادل الناشئين بين الأصقاع التى تختلف فى الحياة من الوجهة الاقتصادية حتى يتم لهم إدراك حاجات ورغبات أهالى هذه النواحى، وليتبين

لهم طرق معيشتهم المختلفة ، فان الزمن الحاضر بما جلبه من مستحدثات ومبتكرات ، وما حتمه من اختلاف وتباين فى طرق المعيشة جعل البون شاسعا بين حياة البلاد الزراعية والبلاد الصناعية ، وبين المراكز التجارية والمالية الى غير ذلك من أوجه المعيشة الاقتصادية .

ينبغى أن يتاح للطالب فى بدء نشأته فرصة التأمل والدراسة العلمية بل الاقامة فى جميع هذه الجهات المختلفة من وطنه ، حتى يتمكن من إدراك أغراضها والالمام بشئونها اذا ألقى اليه زمام قيادتها وهو رجل ، ولا يتم له إدراك ذلك إلا بطريق التجربة والممارسة دون الحفظ والتلقين بين جدران قاعات المكاتب والمدارس .

وليس بالأمر العسير أن يترك الطالب فى وقت ما من أوقات دراسته لتمرن فى جهة من وطنه تختلف حياتها وطرق معيشتها عن البلد الذى نشأ وتربى فيه ، ليصرف جزءا من حياته فى احتراف الأعمال البدنية التى يشتغل بها كثير من مواطنيه ثم ليدرس تاريخ هذه الحرف والصناعات فى مواطنها حتى يدرك مستلزمات الحياة فيها ، وبذا يكون ملما بعامه واسع الاطلاع ، فينشأ وهو قادر على التمشى مع روح الزمان والمكان لرفعة شأن وطنه ومواطنيه .

فاذا لم يتفق تنفيذ هذا النظام مع مناهج التدريس المقررة بمعنى أنه لا يمكن الوصول الى الغرض العلمى البحت مع مثل هذا الانقطاع الطويل عن الدراسة ، فليكن ذلك نوعا من التضحية الواجبة لادراك ثقافة حقيقية راسخة الأساس واسعة المعارف ثابتة التجربة ، هذا الى أنه يمكن تخفيف وطأة هذه التضحية حتى تكاد تصبح عديمة الأثر بجانب المنافع الأكيدة المنتظرة ، وذلك بتقسيم وتوزيع العمل والزمن بطريقة حكيمة عادلة تضمن الانتفاع الكلى بمدتى الدراسة والعطلة .

وعلى كل حال يمكننا الجزم بأن فى ذلك أكبر عامل لتقوية الارادة وتربية النشء تربية استقلالية قويمة .

نور الاسلام

عرف المسلمون الأولون منافع هذا النوع من التربية الفاضلة وأدركوا ما للتجول فى الممالك والأقطار والطواف فى البلاد المختلفة من فوائد أدبية واجتماعية وسياسية عظيمة الأثر فى تكوين حياة الشعوب والأمم فأخذوا منه بأكبر نصيب ، وكان دأبهم فى فتوحاتهم درس أحوال الأمم العلمية وتعرف نظمهم الاجتماعية وتقدير ما عندهم من أدب وأخلاق وعادات ، وعلى أساس هذا البحث كانت تقوم علاقات المسلمين مع بقية الأمم ؛ والمطلع على سِيَر علماء الاسلام ، يعلم أثر هذه التربية فى نفوسهم ، وتعاليم الاسلام ترشد الى السير فى الأرض للتعلم والاعتبار ، وكثير من علماء المسلمين قد جابوا الأرض للعلم ودرسوا أخبار الأمم فأخذ غربيهم عن شرقيهم وقاصيهم عن دانيهم وتعرفوا أحوال الناس ووطؤا لهم علما يستقيم مع تطور حياتهم ، وكانت الحكومات الاسلامية حريصة على معاونة طلاب العلم والعلماء فى رحلاتهم لعلمها بالأثر الطيب الذى يكون لهذه الرحلات المباركة . ومن فوائد التجول العظيمة التعارف بين الأمم لنشر راية السلام يرشد الى ذلك قول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) .

فان رأينا اليوم فريقا من علماء الغرب يقترحون على أممهم الأخذ بأسباب هذه التربية ، ورأينا المسلمين قد ضعفت همة القادرين منهم عن التجول والأسفار فانقطعت الصلة بين شعوبهم ، فذلك أثر من آثار يقظة الغرب وبقية من سِنَةٍ أخذت المسلمين فأنستهم تاريخ أسلافهم الأمجاد ، فهل يتنبه المسلمون ويعودون سيرتهم الأولى آخذين بأسباب النهوض والتقدم ؟ ؟ وهل للحكومات الاسلامية أن تعمل على بث هذه التربية فى نفوس الناشئة ، لتتسع دائرة ثقافتهم ويكوّنون تكوينا صالحا لتحميلهم عبء قيادة الأمة فى المستقبل ؟ . نسأل الله الهداية والتوفيق .

مبادىء عامة[1]
فى الاقتصاد السياسى
الحياة الاقتصادية — (٢) أغراض النشاط الاقتصادى

٣

التقسيم : إن الأغراض التى تحدد أعمال الناس الاقتصادية يمكن أن تنقسم الى نوعين : الأغراض الذاتية ، والأغراض غير الذاتية .

فأهم الأغراض الذاتيـة هى غريزة المحافظة على الجنس والرغبة فى الحصول على منفعة اقتصادية شخصية ، وميل المرء الى إرضاء كبريائه وحبـه للظهور (ولم يفت الحكومات هذا الغرض فوضعت مبـدء الوسامات الفخرية وأوشـحة الشرف) ، والحاجة الى تنمية النشاط الجثمانى والقوة المفـكرة .

وأما الأغراض غير الذاتية فيمكننا أن نذكر منها :

أولا — الأغراض المجـردة من الأثرة وهى التى تدفعنا الى القيام بقسط من أعمـالنا فى سبيل سعادة وهناء بنى جنسنا ؛ مثل عاطفة المحبة التى نشعر بها نحو الأهل وذوى القربى ، وعاطفتى الاحسان وحب الخير للناس .

ثانيا — الأغراض التى تأتى من الناحية الخلقية أو الدينية أو العلمية ، وهى التى تسوقنا الى العمل طبقا لمبادىء علم الأخلاق ، أو وفقا لمعتقداتنا الدينية ، أو حسب ماتمليه علينا الرغبة فى السعى لتقدم العلوم أو الفنون ، دون أن تكون هذه الرغبة مشوبة بفكرة الحصول على ربح مادى أو منفعة شخصية .

مبدأ السعادة الشخصية : إن أقوى غرض ذاتى بعد غريزة المحافظة على الجنس

---

(١) مترجمة عن الفرنسية من كتاب « موجز فى الاقتصاد السياسى » للاستاذ (ريبوه — REBOUD) .

هو الحصول على منفعة اقتصادية شخصية ، فالاقتصاديون من أصحاب المذهب العلمى عزوا لهذا الغرض أكبر تأثير على نشاط الناس الاقتصادى ، إذ نراهم — لكى يسهلوا المسائل التى يدرسونها — قد بنوا نظرياتهم وأحكامهم على فرض أن لذلك الغرض وهو غرض الحصول على منفعة اقتصادية قوة مسيطرة وسلطانا قاهرا ، فتخيلوا لذلك وجود إنسان وهمى وأطلقوا عليه اسم «الانسان الاقتصادى» الذى عرف تماما مصلحته الشخصية ، فجعلها الغرض الفذ لأعماله دون الاهتمام بالأغراض المجردة من الأثرة والخالية من المنفعة الذاتية مراعيا فى ذلك مبدأ « الحصول على أعظم ترضية مع بذل أقل مجهود » ، ويطلق أحيانا على هذا المبدأ اسم « مبدأ الملذات » ؛ ولكن أصحاب المذاهب الحديثة وإن كانوا قد جعلوا « الانسان الاقتصادى » غرضا لدرسهم وبحثهم ، فذلك لا لأنهم ينكرون الأغراض الخالية من الأثرة والمجردة من المنفعة الذاتية ، وإنما يخيل اليهم أنه من المستحيل أن يجدوا فيها أية أهمية عند البحث فى القوانين الاقتصادية .

وفضلا عن ذلك لا بد لنا من الاعتراف بأن المنفعة الذاتية هى المسيطرة على العالم فى زمننا هذا ، ومن هذه الوجهة نرى أن معظم الناس لا يفكرون إلا فى تنمية ثروتهم المادّية ، ولا يسعون إلا الى الحصول على ما يزيد فى راحتهم الشخصية ، حتى أن بعضهم يبذلون جهودهم لبلوغ هذا الغرض بوسائل يأباها الشرف ولا يقرها القانون .

أما أصحاب مذهب الشيوعية أو مذهب الاشتراكية المتطرفة ، فيرون أنه من السهل جدا تغيير طبيعة الانسان وإنشاء هيئة اجتماعية مكونة من أناس يقدمون المصلحة العامة على مصالحهم الشخصية[1] .

لكن تعليم الناس الانقياد بباعث المصلحة العامة وتدريبهم على الخضوع للأغراض المجردة عن الأثرة وحب المنفعة الذاتيـة ؛ إن ذلك العمل لعمل طويل وشاق لأن

---

(١) ذلك هو ادعاء أصحاب هذا المذهب « المترجم » .

ما يبعثه أى مبدأ مادىّ فى نفوس الناس من فكرة التضحية والقيام بالواجب والتضامن الذى يتطلبه نظام اقتصادى كالنظام الاشتراكى، لأقل بكثير مما تبعثه فى نفوسهم دعوة دينية. هذا أمر واقع قد دلتنا عليه التجارب ويقره بدون تحيز كل من تخصص فى دراسة المسائل الاجتماعية وبدون الحاجة الى تقديم أى برهان جديد.

علم الاقتصاد — الصلات التى بين الظواهر الاقتصادية

صلة السببية: يميل عقل الانسان الى البحث عن أسباب الظواهر؛ كبحثه عن سبب قيمة الأشياء وعن أسباب زيادة ثمن الحاجات المعيشية، وعن أسباب الأمراض وغيرها؛ ويشعر المرء بنوع من رضاء النفس وراحة الضمير عند ما يتوفق — اذا كان هذا ممكنا — الى معرفة الصلة التى تربط ظاهرتين تكون إحداهما سببا للأخرى، والثانية نتيجة للأولى؛ ولكن لا يجب أن يفوتنا أن الصلة بين سبب والنتيجة هى الصلة الوحيدة الممكنة بين ظاهرتين مرتبطين لا سيما بين الظواهر الاقتصادية.

توقف الأسباب على النتائج والعكس: إن ارتباط ظاهرتين بصلة السببية يجعل إحداهما متوقفة على الأخرى، أى أن كلتا الظاهرتين (السبب والنتيجة) معلقة على وجود الأخرى بمعنى أنها فى حالة خضوع متبادل من جانب كل منهما للأخرى، بحيث أنه يصبح من غير الممكن أن يعرف أيتهما هى السبب وأيتهما هى النتيجة؛ إذ أن تأثير الأسباب على النتائج وتأثير النتائج على الأسباب متبادل وبنسبة واحدة، ويمثل ذلك بنصفى قوس قنطرة، فان كلا النصفين يمنع الآخر من الانهيار، أو كما هو الحال مع كوكبين يجذب كل منهما الآخر نحوه.

ولنأت على مثل بسيط من المسائل الاقتصادية: إن ارتفاع أو هبوط ثمن الأشياء متوقف على كمية البضائع التى يرغب القادرون على شرائها فى الحصول عليها، أى أن الثمن

معلق على الطلب ، فالثمن قابل للزيادة أو النقصان عند ما ينقص الطلب أو يزيد بنسبة عكسية ، أى أنه اذا ارتفع الثمن قل الطلب واذا هبط الثمن ازداد الطلب ؛ فمثلا اذا كان ثمن رطل الشهد درهم أقبل كل الناس على شرائه ، واذا بلغ ثمن حزمة من الفجل دينارا لما اشترى الفجل غير كبار الموسرين ، وإن هاتين الظاهرتين المتغيرتين — ثمن البضاعة والكمية المطلوبة منها — متوقفة إحداهما على الأخرى وتتغير كل منهما بتغير الثانية ، (وهما يتغيران كذلك بتغير كثير من الظواهر الأخرى) وإن الصلة بينهما كالصلة التى بين معادلتين من معادلات الجبر .

وإن هذه الفكرة فكرة تعلق ثمن الأشياء على الكمية المطلوبة منها لذات أهمية كبرى لاسيما عند البحث فى تفسير التغيرات التى تحدث فى ثمن البيع وثمن ما تكلفه البضائع على الصانع وأجرة العامل ومقدار الربح ونسبة الفائدة والدخل ، كل هذه ظواهر متوقف بعضها على بعض .

الأسس التى يبنى عليها تفسير الظواهر : لكى نصل الى تفسير الظواهر الاقتصادية تفسيرا منطقيا بحيث يتاح لنا ألا نقع فى أخطاء فادحة عند تكييفنا الأشياء وإدراك كنهها اذا أردنا ذلك لا بد لنا — كما هو الحال عند تفسير الظواهر غير الاقتصادية — من أن نضع موضع النظر القواعد التالية :

(١) عند ما تكون الظاهرة «ا» (غلاء المعيشة مثلا) نتيجة لعدة أسباب «ب» و«ج» و «د» (مثل : غلاء المعيشة ، وقلة المحصول عن الحاجة ، وارتفاع أجور المساكن والعمال ، وإصدار أوراق مالية أكثر من الحاجة اليها) يجب علينا لكى نعلق الظاهرة «ا» على أحد الأسباب المذكورة ونجعلها نتيجة له وحده ، أن نتأكد تمام التأكد من أنه ليس للأسباب الأخرى أى تأثير عليها ، وأنه لابد لنا قبل البت فى ذلك من استعراض جميع الأسباب التى يمكن أن تنتج الظاهرة المذكورة .

(٢) عند ما تقع عدة ظواهر «ا» و «ب» و «ج» فى وقت واحد أو على التتابع ، (مثل قلة المحصول — وهبوط ثمن البيع وغيرهما) لا يجب أن نتسرع فى الحكم بأن إحدى تلك الظواهر نتيجة لواحدة منها أو لبقيتها إذ من الممكن أن يكون بينها ارتباط متبادل دون أن يكون بينها الصلة التى تربط السبب بالنتيجة . « يتبع »

كتاب الدين الاسلامى

مؤلف نفيس اشـترك فى وضعه ثلاثة من الأفاضل حسبهم من التنويه بقـدرهم ما لهم من المكانة الرفيعة بين الطبقة المثقفة الفاضلة : وهم الأساتذة الأجلاء الشيخ حسن منصور وكيل دار العلوم العليا سابقا ، والشيخ مصطفى عنانى المفتش الأول للعـلوم العربية بالأزهر والمعاهد الدينيـة ، والشيخ عبد الوهاب خير الدين المدرس بمدرسة دار العلوم . وموضوع الكتاب ، أبحاث فى الدين على منهج وزارة المعارف ، وهو فى جزأين : الأول يشتمل على بيان حقيقة الدين الاسلامى وخصائصه ومزاياه ، وأثره فى تهذيب النفوس وفى حياة الفرد والمجموع ، وعلى كيفية نزول القرآن الكريم وتدوينه ، ونبذة من تاريخ المصاحف وطرق كتابتها ، وبيان ما اشتمل عليه القـرآن الحـكيم من الأحوال الشخصية والشئون العمرانية ... الخ . والجزء الثانى يحتـوى مباحث فى الرسالة والرسل والمعجزات ، وبعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وسيرته وسنته ومنزلتها من الدين ، والاجتهاد وأطواره وأشهر المذاهب والفرق الاسلامية والشـورى والحرية ، والمسـاواة فى الاسـلام ، وتنبيها على بعض البـدع الشائعة بين الناس ... الخ . وفى كل جزء كثير من الآيات القـرآنية ، والأحاديث النبوية مفسرة ومشروحة شرحا موجزا لطيفا ، وهاك نموذجا لأبحاث الكتاب وأسلوبه .

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

« يتبين لك من موجز سيرة هذا النبى الكريم ، أن مدة رسالته ثلاثة وعشرون سنة

قضى منها بمكة ثلاث عشر سنة يدعوا قريشا الى الايمان فلا يستجيب له إلا قليل منهم مع نفر من غيرهم ، وتحمّل فى ذلك من صنوف الايذاء وضروب الاضطهاد ما لا يطاق احتماله إلا بتثبيت من الله تعالى . وقضى بالمدينة عشر سنين وهو الزمن الذى قويت فيه الدعوة وانتشر الاسلام بين قبائل العرب ودخل الناس فى دين الله أفواجا حتى عم الجزيرة وتحولت فيه تلك الأمة الأمية الجاهلة الوثنية المتنافرة المتخاذلة ، أمة متعلمة موحدة متآلفة متناصرة » .

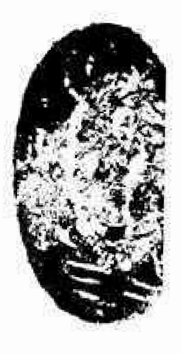
« إصلاح عجيب مدهش فى سرعته ، مدهش فى إحكامه ، إصلاح يمثل سعادة الروح ومطالب الجسد على حد التوسط والاعتدال » .

« لم يعهد التاريخ انقلابا سريعا تاما شاملا فى الاعتقادات والأخلاق والعادات وشئون الاجتماع كهذا الانقلاب فى أى أمة على يد أى مصلح أو رسول من الرسل قبل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولن يكون بعده . »

الحرية فى الاسلام

«الحرية خلوص الانسان من ضيق الحجر وتمتعه بكل حق إنسانى سوغه العقل ، وقضى به الشرع ، وهى حق طَبْعى للناس اذا حرموه فقد سلبوا إرادتهم وفقدوا إنسانيتهم ، لهذا قررها الاسلام ورفع من شأنها ومنع من العبث بها وجعل الانسان حر النفس ، حر العقل » .

وعلى هذا النحو تجد موضوعات الكتاب القيمة مصوغة فى عبارات سهلة ممتعة فنحث القراء على اقتنائه والاستفادة بما حواه من المباحث الدينية والعلمية .



تنبيه : وقع خطأ مطبعى فى العدد الثامن ص ٥٩٨ س ٦ حيث جاءت الآية الكريمة (ولهن مثل الذى عليهن وللرجال عليهن درجة) والصواب (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) .

قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم •

نور الإسلام

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها مشيخة الأزهر الشريف

تظهر غرة كل شهر عربي

العدد ١٠	شوال سنة ١٣٤٩	المجلد الاول

مدير إدارة المجلة



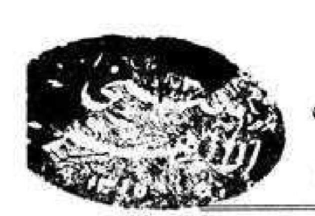
المستشار بمحكمة الاستئناف
ومن أعضاء مجلس الازهر الأعلى { سابقا

رئيس التحرير

السيد

محمد الخضر حسين

من علماء الازهر



الادارة

شارع محمد مظلوم باشا رقم ١

تليفون : بستان ٣٥٠٧

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

الاشتراك

	ص
داخل القطر المصرى	٤٠
للعلماء غير المدرسين وطلبة المعاهد والمدارس	٢٠
خارج القطر المصرى	٥٠
لطلبة المعاهد والمدارس	٣٠

يعامل أئمة المساجد والمأذونون ومعلمو المدارس الأولية والعمال معاملة الطلاب

وثمن الجزء الواحد ٣ ص صاغ داخل القطر و ٤ ص خارجه

مطبعة المعاهد الدينية الاسلامية

١٣٤٩ هـ — ١٩٣١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مكانة الأزهر

وأثره في حفظ الدين ورقي الشرق

ليس من غرض هـذا المقال أن نحدثك عن حال الأزهر من حيث هو حجر وطين وأرض فوقها سماء ؛ وإنما نقصد الى أن نضع نصب عينك صورة موجزة من حياته العلمية ومكانته الدينية ، لنريك أنه الحصن الذى لا يتصدع ، ومطلع النور الذى لا يتقلص ، ومبعث القوة التى لا تغلب ، حتى تكون على ثقة من أنه الكفيل باعلاء كلمة الاسلام ورفع لواء المدنية النقية من كل قذى .

فى يوم السبت الثانى والعشرين من جماد الاولى سنة ٣٥٩ هـ . شرع القائد الفاطمى أبو الحسن جوهر بن عبد الله « الصقلى » فى بناء مسجد بالمدينة التى أنشأها ، حيث ضرب خيام جيشه وسماها «المنصورة» ، ثم سماها المعز بعد «القاهرة المعزية» وتم بناء هذا المسجد فى نحو ثلاثين شهرا ، ذاك المسجد هو الأزهر الشريف .

وفى صفر عام ٣٦٥ هـ . جلس قاضى مصر أبو الحسن على بن النعمان بن محمد بن حيون بهذا الجامع ، وأملى مختصر أبيه المؤلف فى الفقه على مذهب الشيعة .

وفى سنة ٣٧٨ هـ . تولى الوزارة يعقوب بن كلس للخليفة نزار بن المعز ، وكان هذا الوزير من رجال العلم ؛ فانتخبت الدولة خمسة وثلاثين عالما ، وعينتهم للتدريس بهذا الجامع ، وأنشأت لهم منازل حول الأزهر وكانوا يحضرون يوم الجمعة ، ويدرسون بعد الصلاة الفقه والعقائد وفنون الأدب .

ولما قضى صلاح الدين الأيوبى على الدولة الفاطمية ، وكان قاضى القضاة بدولته صدر الدين عبد الملك بن درباس شافعى المذهب ، أمر بأن لا تقام الجمعة فى مساجد متعددة وقصر الخطبة على جامع الحاكم ، إذ كان أوسع جامع بالقاهرة ، وبقى الأزهر عاطلا من صلاة الجمعة الى أن جاءت دولة الملك الظاهر بيبرس ؛ فعنى أحد أمرائها هو عزالدين أيدمر الحلى بعمارة الأزهر ، فأصلح ما اختل من مبانيه ، وأعاد اليه صلاة الجمعة فى ١٨ ربيع الأول سنة ٦٦٥ ه . وأقام لذلك حفلة حضرها رجال الدولة وأعيان الأمة .

وما زال الأمراء والسلاطين والكرام من ذوى اليسار يبسطون أيديهم بالانفاق على الأزهر ، ويقفون عليه الأوقاف بسخاء ؛ وكثير منهم يعملون لترقية شأنه من حيث هو جامعة دينية علمية حتى ، أصبح منذ عهد بعيد معهدا عامرا بدراسة العلوم الشرعية والعربية ومجالس الوعظ .

ولحضرة صاحب الجلالة ملكنا المعظم فؤاد الأول — أيده الله — اليد الطولى فى إنهاض الأزهر من خموله ، و إحياء كثير مما ذبل من علومه ، وتجديد مابلى من نظمه ، حتى أحرز فى عهده المبارك مكانة طالما حاولت بعض الأيدى الأثيمة صرفه عنها أو القضاء عليه قبل أن يتبوأها .

وما فتىء هذا الجامع المورد الذى يؤمه طلاب العلم من كل ناحية حتى أنشئت له شعب فى القطر المصرى هى معهد اسكندرية ، ومعهد طنطا ، ومعهد أسيوط ، ومعهد الزقازيق ، ومعهد دمياط ، ومعهد دسوق .

وكان فى إنشاء هذه المعاهد تيسير على طلاب العلم من سكان هذه البلاد ، حتى لايحتملوا كلفة المقام فى القاهرة إلا حيث يتأهلون لدراسة الكتب العالية فى نفس الأزهر الشريف ؛ وفى هذه المعاهد مظاهر تجعل الشعور الدينى ساريا فى الأمة ، والأمم صور قائمة وأرواحها الشعور بأن لها دينا حقا وشريعة عادلة .

أقسام التعليم:

فى الأزهر قسم ابتدائى ومدته أربع سنوات، وثانوى ومدته خمس سنوات، ومواد هذين القسمين تدرس فى أماكن خاصة بها خارج الجامع الأزهر؛ وبعد هذين القسمين قسم عال، ومدته أربع سنوات ودروسه الآن تلقى فى نفس الجامع الأزهر؛ وبعد القسم العالى قسم التخصص، ومدته ثلاث سنوات.

أنشىء هذا القسم فى ١٣ محرم سنة ١٣٤٢ هـ — ٢٦ أغسطس سنة ١٩٢٣ م ليخرج رجالا لهم مزيد اختصاص فى بعض العلوم الدينية أو العربية وما يتصل بها، وهو ضرب من ضروب الاصلاح التى يعمل لها الرؤساء الناصحون؛ وفى هذا القسم نحو خمسين مدرسا، وبه نحو ٢٠٠ طالب علم ما عدا المتطوعين، وترجع العلوم التى يقصد الطلاب الى التخصص بها الى تسع مجموعات: (١) التفسير والحديث (٢) الكلام والمنطق. (٣) الأصول والفقه الحنفى. (٤) الأصول والفقه المالكى. (٥) الأصول والفقه الشافعى. (٦) النحو والصرف. (٧) البلاغة [1]. (٨) الوعظ والارشاد. (٩) التاريخ والأخلاق.

واذا كان الأزهر قد أخرج قبل إنشاء هذا القسم رجالا لهم رسوخ فى بعض العلوم أكثر من رسوخهم فى غيرها؛ فسيكون الرسوخ بعد هذا على طريق منظم بحيث لا تبقى ناحية من نواحى العلوم التى تدرس فى هذه الجامعة إلا وقد قام عليها طائفة خاضوا عبابها، وتوغلوا فى أحشائها، وأصبحت كلمتهم القول الفصل فى تقرير مسائلها؛ وليس ببعيد على الأذكياء المجدين من طلاب هذا القسم أن تكبر هممهم، ويخلص فى سبيل العلم قصدهم، حتى نرى فيهم رجالا يبهرون النفوس علما، ولا تشهد منهم العيون إلا استقامة ورشدا.

العلوم التى تدرس بالأزهر:

يدرس فى الأزهر التفسير، والقراآت، والحديث، والسيرة النبوية، وعلم الكلام، والفقة وأصوله، والنحو، والصرف، والبلاغة، والانشاء، وآداب اللغة، والعروض:

---

(١) المعانى والبيان والبديع وآداب اللغة والانشاء.

والقوافى ، والوضع ، والمنطق ، وعلم النفس ، والتاريخ ، والأخلاق ، والفلسفة ، والحساب ، والهندسة ، والطبيعة ، والكيمياء ، والجغرافيا .

وربما أشار بعض الكاتبين فى إصلاح الأزهر بقصر التعليم فيه على العلوم الدينية والعربية ، وهو رأى لا يستقيم مع ما يقتضيه حال العصر من أن يكون العالم الدينى على جانب من العلوم الكونية والاجتماعية ؛ وبهذا يكون الأزهر كفيلا باخراج نشء يمثلون القاضى العادل ، والمدرس النحرير ، والمصلح الخطير ، والمرشد الحكيم ، والكاتب البارع ، والمدير لبعض الشؤن العامة فى حزم ونظام .

الأروقة :

بالأزهر أروقة معدة لسكن طلاب العلم ، والرواق يحتوى على غرف ومرافق ؛ ومن هذه الأروقة ما هو خاص بالقطر المصرى ، كرواق الصعائدة ، ورواق البحاروة ، ورواق الشراقوة ، ورواق الحنفيـة ، ورواق الطيبرسية ، ورواق السنارية ؛ ومنها ما هو خاص ببعض الأقطار الاسلامية من غير مصر ، كرواق الحرمين ، ورواق الشوام ، ورواق المغاربه ، ورواق الهنود ، ورواق الأتراك ، ورواق الأفغان ، ورواق اليمن ، ورواق الأكراد ، ورواق جاوة ، ورواق الدكارنه البرناوية .

وفى هذه الأروقة وما وقف عليها من كتب وجرايات معونة للمنتسبين إليها على طلب العلم ، واذا وجد فى نبهاء الطلاب بها حرص على الخير أمكنهم أن يعقدوا فيما بينهم صلة التعارف والتعاطف التى أرشد اليها الدين بقوله تعالى : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » فيعملوا فوق ما يستفيدونه من علم وأدب عملا صالحا هو تأكيد الرابطة بين الشعوب الاسلامية المتفرقة .

وبهذه الأروقة صار الأزهر ملتقى أمم إسلامية متباعدة الأقطار ؛ ومتى اشتدت عناية أولى الشأن بأمورهم ، فنظروا إليهم بعطف ورعاية ، وراقبوا سيرهم فى التعليم ،

وأخذوهم بالنظم الحازمة ، وجدت فيهم أوطانهم — اذا انقلبوا إليها — القدوة الصالحة ، وكانوا ألسنة تلهج بفضل الأزهر ، وتجيد الأزهر يرجع نخره الى سكان وادى النيل قاطبة .

فتوجيه طلاب العلم بهذه الأروقة — ولا سيما النبهاء منهم — وحملهم فى التعليم على النظم الصالحة ، حق من حقوق العالم الاسلامى على الأزهر الشريف ، ومفخرة يزداد بها ذكر الأزهر رفعة ، وبمثله تبقى القاهرة عاصمة الشرق الأدبية ، ومبعث الهداية الاسلامية .

مشيخة الأزهر :

ما زال الأمراء ينظرون فى شئون الأزهر بأنفسهم حتى اتسعت دائرته ، واقتضى حاله أن يسند النظر الى أحد الكبار من شيوخه ، وأول من عرف بولايته شيخا للأزهر الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخرشى المالكى المتوفى سنة ١١٠١ هـ . وتولاها بعده الشيخ ابراهيم بن محمد البرماوى [١] الشافعى المتوفى سنة ١١٠٦ وتولاها بعده الشيخ محمد النشرتى [٢] المالكى المتوفى سنة ١١٢٠ هـ . وتولاها بعده الشيخ عبد الباقى القلينى [٣] المالكى ، وتولاها بعده الشيخ محمد شنن الجداوى المالكى المتوفى سنة ١١٣٣ هـ . وتولاها بعده الشيخ ابراهيم بن موسى الفيومى المالكى المتوفى سنة ١١٣٧ هـ . وتولاها بعده الشيخ عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوى الشافعى المتوفى سنة ١١٧١ هـ . وتولاها بعده الشيخ محمد بن سالم الحفنى [٤] الشافعى المتوفى سنة ١١٨١ هـ . وتولاها بعده الشيخ عبد الرؤف السجينى [٥] المتوفى سنة ١١٨٢ هـ . وتولاها بعده الشيخ أحمد بن عبد المنعم الدمنهورى [٦] المتوفى سنة ١١٩٠ هـ . وتولاها بعده الشيخ أحمد العروسى [٧] الشافعى

---

(١) نسبة الى « برمه » بلد بمديرية الغربية . (٢) نسبة الى « نشرت » بلد بمديرية الغربية . (٣) نسبة الى « قلين » بلد بمديرية الغربية . ولم نقف على تاريخ وفاته . (٤) نسبة الى « حفنا » بلدة بالشرقية . وهو صاحب حاشية الجامع الصغير . (٥) نسبة الى « سجين » قرية بمديرية الغربية . (٦) تفقه على مذهب الامام الشافعى ثم « درس بقية المذاهب » وكان يكتب فى توقيعه : الشافعى الحنفى المالكى الحنبلى . ومن مؤلفاته شرح الجوهر المكنون . (٧) نسبة الى « منية عروس » بلدة باقليم المنوفية تابع مركز أشمون .

المتوفى سنة ١٢٠٨ هـ . وتولاها بعده الشيخ عبد الله بن حجازى بن ابراهيم الشرقاوى الشافعى المتوفى سنة ١٢٢٧ هـ . وتولاها بعده الشيخ محمد الشنوانى [١] الشافعى المتوفى سنة ١٢٣٣ هـ . وتولاها بعده الشيخ محمد بن أحمد العروسى الشافعى المتوفى سنة ١٢٤٥ هـ . وتولاها بعده الشيخ أحمد بن على بن عبد الله الدمهوجى [٢] الشافعى المتوفى سنة ١٢٤٦ هـ . وتولاها بعده الشيخ حسن بن محمد العطار [٣] الشافعى المتوفى سنة ١٢٥٤ هـ . وتولاها بعده الشيخ حسن القويسنى [٤] الشافعى المتوفى سنة ١٢٥٤ هـ . وتولاها بعده الشيخ أحمد بن عبد الجواد الشهير بالصائم السفطى [٥] الشافعى المتوفى سنة ١٢٦٣ هـ . وتولاها بعده الشيخ ابراهيم البيجورى [٦] الشافعى المتوفى سنة ١٢٧٧ هـ . وتولاها بعده الشيخ مصطفى بن أحمد العروسى الشافعى ، وعزل عنها سنة ١٢٨٧ هـ . وتقلدها الشيخ محمد المهدى العباسى الحنفى ، وعزل عنها فى المحرم سنة ١٢٩٩ هـ . وخلفه فيها الشيخ محمد ابن محمد بن حسن الانبابى [٧] الشافعى الى شهر ذى القعدة من تلك السنة ، ثم أعيد اليها الشيخ المهدى حتى استقال سنة ١٣٠٤ هـ . وأعيد اليها الشيخ الأنبابى الى أن استقال سنة ١٣١٢ هـ . وتقلدها بعده الشيخ حسونه [٨] بن عبد الله النواوى الحنفى حتى استقال سنة ١٣١٧ هـ . وتولاها بعده الشيخ عبد الرحمن القطب النواوى الحنفى ، وتوفى بعد ولايتها بنحو شهر فجأة ، وخلفه فيها الشيخ سليم البشرى المالكى حتى استقال سنة ١٣٢٠ هـ . وتولاها بعده السيد على بن محمد الببلاوى المالكى واستقال سنة ١٣٢٣ هـ . وتقلدها بعده الشيخ عبد الرحمن الشربينى الشافعى واستقال سنة ١٣٢٧ هـ . وأعيد اليها

---

(١) نسبة الى « شنوان » بلدة باقليم المنوفية . وهو مؤلف حاشية مختصر ابن أبى جمره . (٢) نسبة الى « دمهوج » قرية بالقرب من « بنها العسل » . (٣) هو صاحب حواشى شرح الخبيصى على التهذيب . وحواشى شرح الجلال المحلى لجمع الجوامع . (٤) نسبة الى « قويسنا » وله شرح على السلم . (٥) نسبة الى « سفط العرفاء » قرية بمديرية المنيا . (٦) نسبة الى « البيجور » قرية بمديرية المنوفية . (٧) نسبة الى « امبابه » قرية بضواحى القاهرة . (٨) مما يحفظه التاريخ لهذا الاستاذ أن بطرس باشا غالى حين كان وزيراً للحقانيـة أراد أن يدخل فى المحكمة الشرعية عضوين من المستشارين بمحكمة الاستئناف . فضعف القاضى التركى أمام هذه الارادة أما الشيخ حسونه فوقف فى وجهها موقف من يرى مقامه العلمى فوق كل منصب حتى قال لبطرس باشا عند ما أخذ يدافع عن رأيه فى شىء من الشدة « أسكت يابطرس لكم دينكم ولى دين » فدفع عن المحاكم الشرعية أمراً ربما انقلبت بعده الى صبغة غير صبغتها .

الشيخ حسونه النواوى واستقال سنة ١٣٢٧ هـ . فأعيد اليها الشيخ سليم البشرى الى أن توفى سنة ١٣٣٥ هـ . وتولاها بعده الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى الوراقى [1] المتوفى فى ١٥ محرم سنة ١٣٤٦ هـ . وتولاها بعده حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى فى ٢ ذى الحجة من تلك السنة ، واستقال فى ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٤٨ هـ . وتولاها بعده حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى ، وهو شيخ الجامع الأزهر لهذا العهد .

واجبات شيخ الجامع الأزهر :

ينظر شيخ الجامع الأزهر فى شئون المدرسين وطلاب العلم ونظم التعليم ، وبما أن الجامع الأزهر أكبر معهد دينى فى العالم الاسلامى كان لرئيسه حق النظر فى حالة الأمة من حيث موافقتها لروح الدين أو بعدها عنه ، وعليه أن يوجه نصيحته الى أى قطر إسلامى متى انحرف جماعة من المسلمين عن السبيل، أو فتنهم ذويد طائشة عن دينهم الحنيف ، واذا كانت أحوال الشعوب الاسلامية قبل هذا غير معروفة لشيوخ الأزهر بتفصيل ، أو كانت كلمة الأزهر لا تصل الى من فى أقصى الشرق والغرب إلا بعد أمد طويل ، فان وسائل الاطلاع على أحوال الجماعات الاسلامية فى هذا العصر متيسرة ، والطرق التى تصل منها نصيحة رياسة الأزهر الى جماعات المسلمين على بعد أوطانهم غير متعسرة ، وقد أصبحت الرسائل بتمهيد وسائل المواصلات ترد هذه الرياسة من البلاد القاصية فى أيام معدودة ، ولا شك فى أن انتظام المواصلات يجعل ارتباط الأزهر بالأقطار الاسلامية فى هذا العصر أشد من ارتباطه بها فى العصور السالفة .

وأذكر على وجه المثل أن مسلمى الصين — وهم عشرات من الملايين — لا تعرف لهم صلة بالأزهر ، وقد بلغهم صوته فى هذا العهد فقاموا يسعون الى تأكيد الرابطة

---

(١) نسبة الى « وراق الحضر » بلدة بالجيزة .

بينهم و بينه لينالوا مثل ما نالته الشعوب الأخرى من علم وهداية ؛ وجاء فى رسالة لهم الى رياسة الأزهر أنهم عقدوا العزم على إرسال طائفة منهم الى الأزهر ، ليتفقهوا فى الدين ويقوموا بالدعوة والارشاد فى بلادهم اذا رجعوا اليها ، وتلقت الرياسة هذه الرسالة بارتياح .

المدرسون :

فى سنة ١٢٩٣ هـ كان عدد المدرسين ٣٦١ ، وفى هذا العهد سنة ١٣٤٩ هـ يبلغون زهاء ٧١٣ مدرسا : مدرسو العلوم الدينية والعربية ٥٠٥ ، ومدرسو العلوم الحديثة والخط والاملاء ٢٠٨ ؛ وكثير من مدرسى العلوم الحديثة أزهريون تخرجوا من الأزهر بعد أن صارت تدرس فيه هذه العلوم .

والمدرسون فى الأزهر أحرار فى نقدهم وآرائهم ؛ فللمدرس أن ينقد آراء أهل العلم من قبله ما شاء ، فان وجده أهل العلم على صحة تقبلوا رأيه بقبول حسن ، وإن وجدوه فى خطأ ، نبهوا على وجه خطئه بالتى هى أصوب ؛ واذا أبدى بعض المدرسين أو الكاتبين رأيا حاول به هدم أساس من أسس الشريعة أو نقض أصل من أصول الدين ، فلقى بعد تفنيد رأيه بالحجة شيئا من الانكار ، فذلك لأنه نادى على نفسه بقلة العلم أو مرض القلب ؛ وليس من مصلحة طلاب العلم أن يجلسوا الى من يبادرهم بآراء فى أصول الدين يخرج بها عما أجمع عليه أئمة الاسلام جيلا بعد جيل ، فلا يرمى التدريس فى الأزهر بعدم الحرية فى النقد إلا من فاته أن يعرف حال المحققين من علمائه ، أو من أراد من كلمة الحرية معنى غير المعنى الذى يعقله العالمون .

طلاب العلم :

يقص علينا التاريخ أن طلاب العلم بالأزهر كانوا فى سنة ٨١٨ هـ سبعمائة وخمسين شخصا ، وكانوا فى سنة ١٢٩٣ هـ عشرة آلاف وسبعمائة وثمانين طالبا ؛ أما عددهم اليوم

فيقدر بنحو ٩٤٦١ : فى الأقسام الابتدائية ٥١٠٦ ، وفى الثانوية ٢١٨٢ ، وفى القسم العالى ١٠٣٣ ، وفى القسم الموقت ٤٩٠ ، هذا عدد الطلاب المصريين ، ويضاف اليهم نحو ٦٥٠ من المنتسبين الى أقطار إسلامية مختلفة .

وبهذا العدد الكبير من الطلاب المصريين الذين يردون الأزهر فى أول السنة ويعودون الى بلادهم فى آخرها ، بقى احترام الدين وطاعة أوامره فى نفوس الأمة المصرية راسخا ، ولولا هذه الروح التى يبعثها الأزهر فى كل ناحية لوجدت دعاية الفسوق عن الدين الحنيف المجال واسعا .

ولا أحرص من طلاب العلم بالأزهر على فهم مقاصد المؤلفين ، فلا تجدهم يقنعون بفهم مسائل العلم فى نفسها حتى ينقدوا عبارة الكاتب ويعرضوها على قواعد الوضع والنحو ، ليعرفوا وجه دلالتها ، ويميزوا حقيقتها من مجازها ، ويتبينوا ما فيها من حذف أو تقديم أو تأخير ؛ والنجباء منهم لايقفون عند هذا الحد ، بل يتجاوزونه الى المناقشة فيما يدخل فى موضوع العلم ؛ ومن أجل هذه الطريقة ترى النابغة المكب على العلم فى الأزهريين أقدر على حل المشكلات وأسرع الى تطبيق كلام المؤلف على مايراد منه .

يكتب بعض من يتلقى عادات الغربيين بتقليد ، ويزين فيما يكتب قبول الفتيات للتعلم بالأزهر الشريف ، يكتبون ولا يخجلون أن يقولوا فى الاستدلال على هذا الرأى « إن إيجاد البنت مع الولد فى التعليم يساعده على تلمس الكمال والأدب ، ويثير فيه حب النجاح والتفوق » .

والحقيقه أن فى خصال الشرف مايسمى صيانة وعفافا ، واختلاط الفتيان بالفتيات مما لايبقى للصيانة والعفاف عينا ولا أثراً ، ومن نازع فى هذه الحقيقة فانما ينكر الشمس وهى طالعة فى سماء صاحية ، وخير لمن يرائى فى الناس فيزعم أن اختلاط الفتيان والفتيات لايأتى بشر ، أن يرفع صوته بطرح العفاف من حساب الشرف والفضيلة ،

حتى اذا أقنع الناس بأن العفاف شيء لا يقيم له علم الأخلاق وزنا، بلغ مأربه ولم تجد دعوته الى الجمع بين الفتيان والفتيات فى معاهد التعليم عقبة .

الأزهر أساس النهضة الشرقية :

اذا كان الأزهر قد تجرد للبحث العلمى حينا من الدهر ، وغفل عن الأمراض التى تصيب المسلمين فى دينهم ومدنيتهم فقد تنبه اليوم من غفلته ، وادكر ماضيه ، وأحس رفعة مكانته ، ووثق بأن فى مستطاعه مداواة هـذه الأمراض ، والنهوض بالشرق الى ذروة السعادة ، فهو سائر فى سبيله واضعا يده فى يد كل مجاهد أمين .

فى الأزهر علم وأدب ؛ وفيه الارشاد الى أصول العزة والمنعة ، كتأكيد رابطة الاخاء ، وتربية الغيرة على الحقوق والمصالح ، لأنه يدرس فيه القرآن ، ولم يغادر القرآن كبيرة ولا صغيرة من نواحى السعادة والعظمة إلا دل عليها بأبلغ بيان .

كيف يكون حال من يتفقه فى مثل قوله تعالى : (كَيفَ وَإنْ يَظهَرُوا عَلَيكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إلاً وَلا ذِمَّةً) أفلا يشب على التخوف من أن يستولى على قومه من يجحد دينهم ولا يحترم شريعتهم ؛ ومن مقتضى هذا التخوف البحث عن طرق النجاة من أولئك الذين شأنهم اضطهاد الأمم المستضعفة ، والبحث عن طرق النجاة يذهب بالفكر مذاهب بعيدة المدى ، والفكر الذى يسوقه الاخلاص وترافقه الحكمة يبلغ بتأييد الله غايته وإن بعد ما بينه وبينها ، ووقفت العقبات دونها .

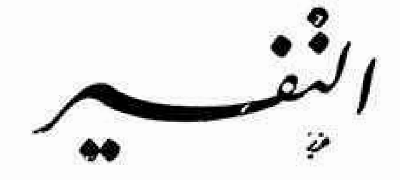
وكيف يكون حال من يتفقه فى قوله تعالى : (أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإنَّ الْعِزَّةَ لِلهِ جَمِيعاً) أفلا يزدرى كل عزة ينالها من أشياع الباطل ، واثقا بأن عزة الله فوق كل عزة ؛ ومقتضى هذا أن لا يبيعهم عينا يبصرون بها أو أذنا يسمعون بها أو يداً يبطشون بها ، بل يأبى له أدبه المتين أن يلقى اليهم السلم وهو يستطيع أن يكف بأسهم ، أو يخفف فى الأقل من طغيانهم .

وكيف يكون حال من يتفقه فى قوله تعالى : (إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً) . أفلا يشب على خصلة الاقدام والتفانى فى مواقف الدفاع عن الحق ، حتى اذا لقى نصبا أومسه أذى تذكر أن خصمه يلاقى مثل ما يلاقيه هو من العناء والألم ، واستمر فى جهاده عالما أن أولى الفريقين بالصبر والثبات من حسن فى الله ظنه ، ورجح بالتوكل عليه وزنه .

وكيف يكون حال من يتفقه فى قوله تعالى : (إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) . أفلا يصب نظراته الصائبة فى أحوال أمته باحثا عن علل وهنها وخمولها ليعمل على تغيير ما بها من الأحوال التى أخلدت بها الى الاستكانة ، وقعدت بها عن مغالبة خصومها راضية بحياة لا أمن فيها ولا كرامة .

والكتاب الكريم والحديث النبوى عامران بأمثال هذه الحكم التى لم تخالط نفوسا زاكية إلا فزعت لأن ترسمها فى حياة الأفراد والجماعات خططا ؛ فحق على أولى الشأن أن ينظروا الى النشء الأزهريين نظرهم الى رجال خلقوا لأن يجاهدوا فى سبيل الاصلاح بما استطاعوا من حكمة وقوة ؛ فالأزهر جاهد وسيجاهد فى ظهور الحق على الباطل وإعلاء الفضيلة على الرذيلة ، وإنما ينهض الشرق نهضته الطاهرة المطمئنة اذا سار تحت إشراف الهداية الدينية ، وكان ولاة أموره ممن يرجون لله وقارا ؟

محمد الخضر حسين



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً) .

معنى الآية من يتق الله فيما يأتى ويذر يجعل له مخرجا، أى مخلصا من هموم الدنيا وغمومها وشدائد الآخرة وأهوالها، ويرزقه من حيث لايحتسب، أى من وجه لايخطر بباله ولا يكون فى حسابه . ومن يتوكل على الله فهو حسبه، أى كافيه فى جميع أموره . إن الله بالغ أمره ممضيه ومنفذه فلا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب . قد جعل الله لكل شىء قدرا، أى تقديرا وتوقيتا أو مقدارا، وهو بيان لما يوجب التوكل عليه والتفويض إليه؛ فان الانسان اذا علم أن كل شىء من الرزق وغيره لا يكون إلا بتقديره تعالى لم يكن منه إلا التسليم للقدر والتوكل عليه عز وجل — هذا هو إجمال التفسير ثم نقول بتوسع :

كل من يتق الله يكون بمنجاة من كل شر، فان الله مع المتقين، ومن كان الله معه فلا خوف عليه فى الدنيا ولا فى الآخرة، فقد أصبح من الذين تولاهم الله تعالى بفضله وهو يتولى الصالحين، بل من أولياء الله الذين قال الله فيهم : (أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) . ثم بينهم بقوله : (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) .

ثم ذكر أنهم مكفولون بعنايته مشمولون برعايته فى الدارين ، فقال : (لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) . ثم أكد ذلك بقوله : (لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) . وستقول الملائكة لأولئك المتقين : (الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) . (نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) ومن كان فى ولاية الملائكة فى الدنيا والآخرة كيف يلحقه شر أو يعتريه كرب ؛ وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فى تفسير هذه الآية : ومن يتق الله يجعل له مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة . أخرجه أبو يعلى وأبو نعيم والديلمى ، وأخرج الامام أحمد والحاكم وصححه ، وابن مردوية ، وأبو نعيم فى المعرفة ، والبيهقى عن أبى ذر قال : جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو هذه الآية : (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) .

فجعل يرددها حتى نعست ، ثم قال يا أبا ذر : لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم ؛ والتقوى هى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، واذا تدبرت أحوال الناس وجدت كل شدة ومحنة وهم وغم إنما جاءهم من تخطى الحدود التى أمرهم الله ألا يعتدوها ، والانحراف عن صراط الله المستقيم الذى بينه الرسول صلى الله عليه وسلم اتباعا للهوى وانقيادا للشهوات ؛ وقد قال تعالى : (وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) وقال (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) وأمرنا أن نطلب منه فى كل صلاة بل فى كل ركعة أن يهدينا الصراط المستقيم صراط من أنعم عليهم ، وعرفنا أن المنحرف عن ذلك الصراط مغضوب عليه إن كان يعرفه ، وهو من الضالين إن كان لا يعرفه ؛ وجدير بمن ينحرف عن الصراط المستقيم أن يلقى كل خبال ووبال فى الدنيا والآخرة ، فليس هناك إلا سبيل الله وسبيل الشيطان (وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ

فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا . يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً) وما أرسلت الأنبياء إلا لتخلصنا من حبائل الشيطان وشباك النفوس الأمارة بالسوء التى توقعنا فى كل شر وتبعدنا عن كل خير ؛ ولو بحثت عن مصائب العالم كلها لوجدتها مسببة عن تورط الأفراد أو الجماعات فيما تصبوا اليه النفوس من الشهوات ويزينه الشيطان من الآفات ، وقد بين الله ذلك حيث يقول : (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ) ويقول : (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ). ويقول : (إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا) .

وقال العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه : لا ينزل بلاء إلا بذنب ، ولا يرتفع إلا بتوبة ؛ وقال بعض السلف وأظنه سفيان الثورى إنى اذا عصيت الله وجدت أثر ذلك فى خلق حمارى وزوجتى . « ولعل هذه معاملة خاصة يؤدب الله بها بعض من يعتنى بهم من عباده حتى لايخافوا غيره ولا يعولوا على شىء سواه» ؛ ثم نرجع الى حديثنا فنقول : لا عاصم من نزوات النفوس التى لا تعرف الاعتدال ، وإنما تعرف الافراط أوالتفريط ، ولا حافظ من نزغات الشيطان الذى يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير إلا تقوى الله فى السر والعلانية ، فاذا اتقيت الله تعالى حفظك من مسايرة الأهواء ومتابعة الشهوات ؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم : «احفظ الله يحفظك» ؛ وإن نابتك نائبة ، وألمت بك ملمة — على ما هو سنة الله فى هذا العالم — جعل لك فرجا ومخرجا والأمر كله بيده ومتى تعرفت له فى الرخاء عرفك فى الشدة ؛ وقد قال بعض العارفين : اذا أردت أن تعرف قدرك عند الله فاعرف قدره عندك ، فعلى قدره عندك يكون قدرك عنده ، وعلى قدر ذكرك له يكون ذكره لك (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) ، وعلى قدر عنايتك بطاعته تكون عنايته برحمتك . هذا ومما وعد الله المتقين جزاء على تقواهم أيضا أنه

يرزقهم من حيث لا يحتسبون ، أى من حيث لا يدرون ولا يعرفون ؛ وهو القادر الذى يصرف الأمور على ما يريد ، ويسخر الجن والانس والملائكة فيما يشاء ، فيكونون أعوانا أو مسخرين فى خدمتك ؛ ولا بدع فى ذلك ، فالأرض أرضه والسماء سماؤه والملك ملكه : (فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) .

وقد قيل لبعض الصالحين المنقطعين الى الله تعالى إننا لا نراك تشتغل بشىء فمن أين ترزق ؟؟ أمن السماء يأتيك رزقك ؟ فقال إن كانت الأرض ليست له رزقنى من السماء ، ومن ذلك ما يحكى أن رجلا من أهل هذا المقام كان منقطعا لله فى مسجد من المساجد ولا يعرف له سبب ظاهر ؛ فقال له إمام المسجد يوما : من أين تأكل ؟ فقال له : انتظر حتى أعيد ما صليت وراءك .

« بيان أن الشريعة جاءت بتعاطى الأسباب الدنيوية »

وليس معنى ذلك كله أننا لا نتعاطى الأسباب الدنيوية ، فان ذلك يخالف القرآن نفسه فى مثل قوله : (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ) ؛ وقوله : (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ) الى غير ذلك من الآيات الكثيرة وينافى ما كان عليه صلى الله عليه وسلم فى سنته العملية ، وما ورد عنه من سنته القولية فى مثل قوله : « إعقلها وتوكل » ، ومن رمى الشريعة بأنها شريعة التواكل والتكاسل فقد جنى على الشريعة جناية كبرى ، فان دين الاسلام دين العمل لا دين الكسل ، ودين الرقى والتقدم فى كل شأن من شئون الحياتين الجسمية والروحية لا دين الجمود والتأخر ، ويكفيه أنه حرم على ذويه أن يكونوا عالة على غيرهم فى أصغر الأشياء وأحقرها ، وأوجب عليهم أن يكونوا بالذروة العليا من العزة القعساء والاستقلال التام ، حتى يكونوا أرفع الأمم على الاطلاق وأعزها على الاطلاق (وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) ، (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) . (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

وَلَكِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) . ولو كان الاسلام على ما ظنوا لما ارتقى أهله فى الصدر الأول على جميع سكان المعمورة ، ولما وضع رجلا بالهند ورجلا بمراكش أو نقول بالأندلس ، وتغلغل فى أحشاء أوربة حتى وصل الى « بردوا » من أرض فرنسة فى أقل من قرن مما عجب له العالم ودهش له التاريخ . ولعلنا نفيض القول فى ذلك بعد . ولكن اذا سرت معى على الانصاف ، وكانت وجهتك تحقيق الحق ، ولم تكن محبوسا فى سجن العادات ، ولا مقيدا بقيود الظواهر ، وكنت ممن يعلم أن العلم لا آخر له ، وأن قوانين الله فى هذا العالم ليست محصورة فيما تعقل ولا مقصورة على ما تتخيل ؛ اذا وافقتنى على ذلك وغلب عليك الايمان والايقان ، أمكننى أن أقول لك إن شئون الله كبيرة وقوانينه كثيرة ، وعلمه لا يحيط به محيط وقدرته لا تصل اليها الأوهام ، سبحانك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ؛ فلتعلم أن لله قوانين جسمانية وقوانين روحانية ، وأن القوانين الجسمانية التى بنيت على الأسباب الظاهرة والمسببات المعتادة ، هى التى خوطب بها السواد الأعظم ، لأنه لا يكاد يعرف غيرها ولا يستطيع أن يقوم بشىء سواها ، لكونه يحتاج الى استعداد خاص أو عمل شاق أو شرط مجهول ، وعالمنا هذا هو عالم الأسباب والمسببات ، وهو مظهر الحكمة الالهية ؛ وللقدرة الربانية بعد ذلك شئون أخرى وتصرفات لا تحصرها تلك الحدود المعروفة ولا تحكم عليها تلك النواميس المقررة (أو نقول التى وصلنا اليها) والشريعة جاءت بكلا الأمرين وأشارت الى كل من القانونين الجسمانى والروحانى ، فجاءت بالأسباب الظاهرة وحثت عليها بل أوجبتها فى قانونها العام الذى لا يعلو على استعداد أكثر الناس ، وحظرت عليهم ترك تلك الأسباب لأنهم من أهلها ولا يصلحون إلا لها ، ولكن حاطتهم بما يدفع سمومها ويحفظ من الشرك فيها ؛ فقالت لهم كونوا فى الأسباب ولا تغفلوا عن مسببها واعلموا أن زمامها بيده ، فان شاء أنجحها ، وإن شاء لم ينجحها ، وإن شاء أرشدك ، وإن شاء أضلك ، وإن شاء سهل لك من الأسباب الخفية ما يقرب اليك الغاية ، وهيأ لك من الوسائل التى

لا تقدر عليها ما يحقق لك البغية ، فليكن شعارك الاستعانة بالله والالتجاء الى الله ، وهجيراك فى كل حال لا حول ولا قوة إلا بالله . عرفنا الدين ذلك كله كى نكون متوكلين فى الأسباب فتكون قلوبنا معه لا مع الأسباب ؛ وأما من ظن أن التوكل ينافى التسبب فقد غلط غلطا كبيرا ، فان الله يقول : (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ) فجعل التوكل بعد العزم ؛ ويقول عليه السلام : « إعقلها وتوكل » فنحن مأمورون بالتوكل فى كل أحوالنا وجميع أعمالنا ، والتوكل عمل الباطن والتسبب عمل الظاهر ، ولا منافاة بين عمل الباطن وعمل الظاهر ، والتوكل لازم من لوازم الايمان ؛ كما قال تعالى : (وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) . فكيف يفارقه فى حال من الأحوال . ولنعد صدر الموضوع فنقول :

هذا الفريق جعله الدين فى الأسباب الظاهرة وأمره بها بعد أن أدخله فى حصن التوحيد وسلحه بسلاح المعرفة .

« بيان أن الشريعة جاءت بالقوانين الروحية » .

ولكن من نظر فى الشريعة وجدها لم تقتصر على ذلك بل جاءت بقانون آخر من قوانين الله تعالى وأشارت الى ذويه فقالت يقول الله تعالى : « أنا عند ظن عبدى بى » ويقول تعالى : (وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) . ويقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذى : « لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا » ولا داعى للعدول عما يتبادر منه ، ويلحق بهذا قوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) . وقوله : (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَيٰةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم) . ومما يتحقق به أيضا قوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث الصحيح : « رب أشعث أغبر لو أقسم على

الله لأبره» ويمت الى ذلك بشىء من المناسبة قوله تعالى فى الحديث القدسى «فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به» ومن كان الله سمعه و بصره لم يكن رجلا عاديا ولا الأمور بالنسبة اليه على نحو ما يعرفه الناس ومن هذا الوادى على قرب أو بعد قوله صلى الله عليه وسلم: «إن من أمتى محدثين وان منهم لعمر» وقد ورد بغير هذا اللفظ .

والخلاصة فى هذا المقام أن هناك قوما انقطعوا الى الله تعالى بظاهرهم وباطنهم فلم يبق فيهم متسع لغيره فهؤلاء لهم من الله تعالى عناية خاصة ومعاملة لا يقاس عليها، فأمرهم غير جار على تلك القوانين العامة بل لهم قانون يختص بهم ولا يتعداهم الى من ليس فى درجتهم من اليقين ولا منزلتهم من الثقة بالله . . هؤلاء تنخرق لهم العادات فيأتيهم رزقهم عفوا من غير أن يشتغلوا بالأسباب المعروفه أو يكدحوا كدح العامة، بل يتولى الله ذلك عنهم فيرزقهم من حيث لا يحتسبون؛ وقد قلنا إن الأمور كلها بيد الله يصرفها كيف شاء، والخلق كلهم عبيده يسخرهم فيما يشاء، والسموات والأرض تحت حكمه يفعل فيهما ما يريد، ولله فى خلقه قوانين لا يعرفها كثير من الناس؛ فمن ظن أنه لا يرزق إلا بالأسباب كما هو حال العامة لم يرزق إلا بالأسباب، وهؤلاء هم الذين أمروا بأن ينتشروا فى الأرض ويبتغوا من فضل الله وأن يمشوا فى مناكبها ويأكلوا من رزقه؛ ومن سقطت الأسباب من نظره وغلب عليه الركون الى الله والثقة بالله، كان من الفريق الثانى الذى يرزقه الله من حيث لا يحتسب لأنه بلغ من اليقين ما تنفعل به الأشياء . ولنقل بتوسع — وما أجدر هذا المقام بالتوسع — إن لله قوانين كثيرة والناس يجهلونها تمام الجهل؛ أما المسلمون فقد جهلوا اليوم قوانين الله الدينية والدنيوية والروحانية والجثمانية؛ وأما الأوربيون فقد جهلوا قوانينه الروحية والدينية وإن كانوا أعلم الخلق بقوانينه الدنيوية، لأن القوانين الروحية لا تؤخذ إلا

عن الأنبياء والمرسلين فى مثل قوله تعالى : (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) وقوله : (ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ) . ولعل قائلا يقول : نرى كثيرا من الناس يدعون فلا يستجاب لهم ، ونرى من المشاهدات أن الذى لا يأخذ فى الأسباب ولا يتعاطاها لا يصل الى المسببات ؛ فهل فيما يقول النبى صلى الله عليه وسلم خلف ؟؟ وهل فيما يقول الله تعالى ريب ؟؟ كلا أمر الله لا ينخرم ، ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم لا يتخلف ؛ ولكن هذه الأسباب الروحانية غير المعروفة مشروطة بشروط لم نحققها تمام التحقيق ولو حققناها بشروطها لترتبت عليها غاياتها ؛ فضعيف اليقين لا يمكن أن يرزق إلا بالأسباب ولا يصل الى شىء إلا بوسائله المعروفة وربما عمل أسبابا كثيرة فشتتها الله له ففشلت ولم تنجح ؛ فالأوروبى مثلا ومن على شاكلته اذا قال إن الذى لا يعمل كذا لا يحصل له كذا ويعد حديث التوكل والتقوى من الخرافات معذور فيما يقول لأن الأسباب الروحانية كما قررنا مشروطة بشروط وهم لا يعرفونها ، وزادهم رسوخا فيما يعتقدون أنهم نظروا فى أهل الأسباب فوجدوهم متفاوتين على حسب تفاوتهم فى إتقانها والتفنن فيها ، فكل من كان أعظم إتقانا للأسباب وأشد تعلقا بها كان أقرب الى تحصيل نتائجها ، وكل من كان أعظم تفريطا فى الأسباب كان بعيداً عن تحصيل الغايات منها « والامداد على قدر الاستعداد » فأولئك هم أرباب الأسباب حقيقة ولو تركوها لماتوا « أنا عند ظن عبدى بى إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً » ، ثم نظروا من جهة أخرى فوجدوا أهل البطالة من هذا الفريق الذى يجب عليه تعاطى الأسباب ولا عيش له إلا بها ، نظروا اليهم فوجدوهم من أسوأ الناس حالا وأنكدهم عيشاً ، ولم يعلموا أن هناك قوماً آخرين ليسوا من هؤلاء ولكن لهم شرط صعب المركب ، وهو أنه لابد أن يبلغوا من اليقين كما قلنا الى درجة يسقط معها فى نظرهم كل شىء إلا الله تعالى ، فهؤلاء بمقتضى ذلك اليقين التام يجوز أن تنخرق لهم الأسباب فيسخر الله لهم الخلائق ويسهل لهم الأمور من حيث لايحتسبون ولا يدبرون ، فان الأسباب لا تحكم على الله

تعالى، بل هو الحاكم عليها وإنما هى ناموس من نواميسه عز وجل ومظهر من مظاهر قدرته وإبداعه الحكيم وتصرفه الواسع، فالله تعالى يفعل فى الأسباب والنتائج مايشاء.

فالمسألة بالنسبة للخاصة هى أنه يجوز أن يخرق لهم العادات وبالنسبة له تعالى هى أنه يفعل مايشاء؛ وقد قيل لبعضهم إن بعض الأولياء مشى على الماء فقال لو ازداد يقينا لمشى على الهواء، وسر هذا هي مسألة اليقين الصحيح وقوته. وكان بعض الصالحين يقول كانت تختلف أحوالى فجئت مرة الى الماء فحدثتنى نفسى أن أسير عليه فقلت فى نفسى أيمكننى أن أسير على الماء أم لا؟ فوضعت رجلى فكدت أغرق، والسبب فى ذلك واضح لأن الشك داخل نفسه ومتى داخله الشك زال اليقين؛ وان القارئ الكريم ليعرف من معجزات الأنبياء ماهو أكثر من هذا وأعظم، وهذه القوانين لايصدقها المادى ولا يقول بها، ويعجب كيف ينبنى على هذه الاعتقادات الغايات العجيبة ولا يمكن أن يفهمها، لأنها كما قلنا لاتتلقى إلا عن الأنبياء؛ وهؤلاء الخاصة أرباب هذا المقام لهم حكم خاص لايخاطب به العامة لأنهم لايعرفونه أو لايقدرون عليه وإن كان ثابتاً فى نفس الأمر تابعاً لناموس آخر مجهول لدى السواد الأعظم، ولا داعى لأن نتوسع أكثر من هذا.

« تكميل يقتضيه المقام »

ذكر كثير من المفسرين فى سبب نزول الآية، أن عوف بن مالك أسر المشركون إبنا، له فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال أسر ابنى وشكا إليه الفاقة؛ فقال له: إتق الله واصبر وأكثر من قول « لا حول ولا قوة إلا بالله ». فعاد الى بيته وقال لامرأته: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى وإياك أن نستكثر من قول «لاحول ولا قوة إلا بالله»، فقالت « نعم ما أمرنا به »، فجعلا يقولان ذلك فبينا هو فى بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه سرح من الغنم غفل عنه العدو فاستاقه؛ فنزلت هذه الآية.

هذا : ولهم عبارات فى تفسير التقوى ، فقال بعضهم : هى ألا يراك حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك ؛ وقال آخر هي التبرى من الحول والقوة . وقال غيره : هى التنزه عن كل مايشغل السر عن الحق حتى قال قائلهم :

ولو خطرت لى فى سواك إرادة على خاطرى سهواً حكمت بردتى

وهذه المرتبه أو ما يقرب منها هى التى قال فيها القائل :

خل الذنوب كبيرها وصغيرها فهو التقى

واصنع كماش فوق أر ض الشوك يحذر ما يرى

لاتحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

وقد قال صلى الله عليه وسلم . « لايبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذارا مما به بأس » أخرجه الترمذى ، ولعل هذه المرتبة هى التى تراد من الآية وإلا فالتقوى من الوقاية وهى مراتب باعتبار مايتقى من المضار فهى متفاوتة تفاوت الأضرار التى تتقيها ؛ ولذلك تراهم فى بعض المقامات يقسمونها الى درجات ثلاث : التوقى عن الشرك وهى لعامة المؤمنين ، والتوقى عن الكبائر (ومنها الاصرار على الصغائر) وهو لصلحاء المؤمنين ، والدرجة الثالثة وهى المرتبة العليا وهى ما سبق الكلام فيها ، وقد أشار اليها حديث الترمذى الذى ذكرناه ، ولعل هـذه المرتبة هى التى ينبغى أن تفسر بها الآية الشريفة كما قلنا ، ولنقف هنا فقد طال بنا الكلام .

أسأل الله أن يجعلنا من أهل البصر فى الدين ، وأن يرزقنا التوكل عليه والالتجاء إليه بمنه وكرمه ؟

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء بالأزهر

تفسير

قصة سيدنا شعيب عليه السلام

٩

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى فى كتابه العزيز : (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ . كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ) .

أرسل الله ذو الفضل العظيم رسولَه الحكيمَ خطيبَ الأنبياء سيدَنا شعيبا عليه السلام ، وجعله على بينة منه ورزقه من لَدُنْه رزقا حسنا ، فجاء قومه مبلِّغا لما أُمِرَه به ربُّهُ لايريد منهم جزاء ولا شكورا ، بل لايريد إلا إصلاحَهم ما استطاع اليه سبيلا ، محتسباً أجرَه على الله الذى لا يُضيع أجرَ مَنْ أَحسنَ عملا ، مستمدا منه تعالى التوفيق والسَّدادَ لما كلَّفه إياه ، متوكلا عليه فى جميع أموره ماقدرَ عليها وما عَجزَ عنها ، منيبا إليه فى كل شؤونه راجعا اليه فيها بالفعل لا بالقول وقت أَمْنِه وسلامته ، كما هو شأن عباده المصطفَيْنَ الأخيارِ .

جاءهم عليه السلام فأَنارَ لهم المَحَجَّةَ وأقام وجوهَهم لها ، ونصب لهم الدلائل على صحة دعوته ، وبين لهم حسنَ عاقبتها اذا استقاموا عليها ، وحذرهم سوءَ مصيرهم إذا هم أعرضوا عنها وتنكَّبوها ؛ كل ذلك مع الجِدِّ والمثابرة على الوعظ ، والاخلاص فى النصح وبذل الوُسع فى التعليم والبيان ، واللين والرفق والتبشير تارة ، والحزم والتهديد والتخويف تارة أخرى .

لكن القوم قد أَبَوْا إلا أنْ يتّبعوا خُطُواتِ مَنْ قبلَهم من الأمم التي عتتْ عن أمرِ ربها ورسله، بعد أن علموا أن ربها قد حاسبها حسابا شديدا وعذبها عذابا نكرا فذاقت وَبَالَ أمرِها وكان عاقبةُ أمرِها خُسْراً .

لهذا كان من المحتم فى سنة الله التى قد خلت فى عباده أن تكون عاقبةُ أهل مدين كعاقبة تلك الأمم السالفة التى كانوا على آثارها مقتدين ، و (حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ) . وهـذا كما قال عزّ سلطانه : (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا) الآياتِ .

أى لما نزل بأهل مدين عذابُنا الذى قضينا به عليهم جزاء لهم على عصيانهم، وقد أنبأهم به رسولنا شعيب عليه السلام وأمرهم بانتظار وقته فى قوله لهم : (سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ) . لما وقع ذلك (نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا) .

فأما رحمته سبحانه التى بسببها نجّى شعيبا عليه السلام، فهى إنعامه عليه بنعمة الإيمان الأكمل إيمانِ الأنبياء والمرسلين ، وباصطفائه سبحانه له ليكون فى زُمرة مَنْ خَصَّهم بالنبوة والرسالة هُداةً للناس مبشرين ومنذرين ؛ وأما رحمته تعالى بالذين آمنوا من قومه فهى تفضله عليهم بالتوفيق حتى فَقِهُوا عنه عليه السلام كلّ ما قاله لا بعضَه فلم يقولوا له كما قال قومهم : (يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ) . بل استجابوا له استجابةَ (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ . أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ . وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا [1] الْأَلْبَابِ) .

إن تنجية الله عز وجل لسيدنا شعيب والذين آمنوا معه سنّةٌ له سبحانه، كتبها على نفسه لرسله والمؤمنين بهم (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ

(١) كذا رسم المصحف الامام .

تَبْدِيلاً) . وقد أخبرنا سبحانه بأن سنته هى نصر الحق وأهله على الباطل، وأشياعه فى آيات كثيرة من القرآن المجيد ؛ فمنها قوله تعالى : (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ [1]) . وقوله : (ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ [2] الْمُؤْمِنِينَ) وقوله : (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) وقوله : (حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ [3] الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا [4] جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) .

إن المتدبر فى الآيات التى نحن بصدد تفسيرها كالآيات التى تلوناها يتضح له غاية الوضوح أن العقاب الذى يصبه الله الحكمُ العدلُ على الأمم إنما يكون بعد أن يَبْلُغَ الرسلُ فى الوعظ والهداية والانذار والإعذار الغايةَ ، كما أنه كذلك لا يكون إلا بعد أن تصل الأمم فى العناد والاستكبار والتمرد وصنوف الفسوق والجحود النهايةَ .

ألم تر ما قصه الله تعالى فى شأن قوم نوح عليه السلام : (قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلاً وَنَهَاراً . فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِى إِلَّا فِرَاراً . وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِى ءَاذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً . ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً . ثُمَّ إِنِّى أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً . فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً) الآيات .

هكذا كان شأنه عليه السلام معهم وشأنهم معه ، يرجو لهم أن يستمعوا له ويستجيبوا ، وتحدثه نفسه أنهم عسى أن يهتدوا ويؤمنوا ، ثم هم يقابلون رجاءه وحديث نفسه بالاستنكاف والاعراض والتكذيب ، وهكذا دَوَالَيْكَ [5] ، أَمَلٌ منه ورجاء ،

---

(١) جمع شاهد كصاحب وأصحاب . أو شهيد كشريف وأشراف . أى يشهدون يوم القيامة أن الرسل قد بلغوا وان أممهم قد كذبوا . (٢) بحذف الياء تبعا للنطق فى رسم المصحف الامام . (٣) كذا رسم المصحف الامام . أى صاروا فى يأس من إيمان أقوامهم . (٤) أى حدثتهم أنفسهم بأنها ترجو إيمان أقوامهم لكنه لم يتحقق بعد . وسيأتى بسط الكلام فى ذلك . (٥) أى تداولا وتكراراً واستمراراً .

وكفر منهم وإباء ، حتى يئس من إيمانهم وانقطع حبل الرجاء من اهتدائهم ؛ فكان من المصلحة العاجلة العامة للحق وأهله أن يدعو الله ليطهر الأرض من رجسهم وطغيانهم وانتشار الفساد وتأصله فيها ببقائهم . وهذا هو ما قصه الله تعالى عن نوح عليه السلام فى قوله : (فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ [1] . فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ [2]) وقوله : (وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً [3] . إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً) .

قد علمت مما بسطناه لك فى قصص سيدنا شعيب ، وكذا مما ذكرناه لك الآن فى قصص سيدنا نوح ، أنهما معا عليهما السلام كانا يرجوان لقومهما الخير والهداية ؛ ولكنهما ليس فى قدرتهما أن يهديا مَنْ أَحبَّا ، فان ذلك إنما هو الى الله القدير الذى يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم . أما الرسل عليهم الصلاة والسلام فانه ما من رسول منهم إلا وقد كانت تحدثه نفسه الطيبة الزكية لعظم شغفها بهداية العباد أن قومه عسى أن يستمعوا له ويؤمنوا به ويذعنوا لدعوته الصادقة المؤيدة بالدلائل والبينات ، ولهذا صبروا وصابروا وثابروا على مواصلة التبليغ والتعليم والنصح والوعظ ، حتى إذا صاروا فى يأس من قبول دعوتهم وإيمان قومهم وأدركوا أن ما كانت تحدثهم به أنفسهم من الرجاء والأمل فى اهتداء أقوامهم لم يتحقق ، جاءهم نصر الله الذى كتبه لهم ووعدهم إياه فنجاهم والمؤمنين بهم ، و (حَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) .

كان من تلك الرسل وهؤلاء الأمم سيدُنا شعيب عليه السلام وأمتُه ، بلّغهم رسالاتِ ربه ونصح لهم ولكنهم كانوا عنها عَمِينَ [4] ، فحقت عليهم كلمة ربهم ؛ كما قال

(١) زجره قومه وانتهروه ليكف عن تبليغهم . (٢) فانتقم لى يا الله . (٣) أحداً من قومى الكافرين . (٤) جمع عم أى أعمى عن الهدى .

سبحانه : (وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ . كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا . أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ) .

ثم إن الأخذ هو تناول الشيء وحيازته ، وهو يحصل بكيفيات مختلفة ؛ فمنها أن يكون على وجه القوة والتغلب والقهر ، ولهذا حسن جداً ذكر النوم بعد السِّنَة في تنزيه الله سبحانه عن صفات المخلوقين في قوله : (لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ) على معنى أنه لا تتغلب عليه سبحانه الغَفْوَةُ التي هي مبدأ النوم ، بل ولا النوم الذي هو الموت الأصغر .

هذا المعنى الذي ذكرناه للأخذ هو المراد في الآية هنا ؛ فعلى هذا يكون أخذ الصيحة لهم عبارة عن أنها تناولتهم تناولا أليما وقسرتهم قسراً لم تقم لهم بعده قائمة ، كما قال عز وجل : (فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا) .

عبر الله سبحانه عن أهل مدين بقوله : (وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ) ولم يقل : (وأخذتهم الصيحة) مع أن سياق القصة صالح له ، ولكن بلاغة القرآن العظيم قد اقتضت التعبير عنهم بهذا اللقب الشنيع لحكمتين جليلتين : الأولى وصفهم بهذا الوصف الذميم وصف الظلم وأنهم قوم سجلوا على أنفسهم الحُمْقَ والسَّفَهَ بوضعهم الشيء في غير موضعه ، فأحلوا الباطل محل الحق ، والضلال محل الهدى ، والغي محل الرشد ؛ ولا ريب أن هذا أقبح ما يكسبه الانسانُ على نفسه بسوء اختياره وفحش تصرفه . والثانية بيان أن ما حاق بهم من التعذيب والتدمير حتى صاروا أحاديث لمن بعدهم ، إنما هو أثر لازم لما ظَلَمُوا به أنفسهم من الفجور والفساد في الأرض وفنون الكفر والمعاصي ، وبهذا استحقوا أن يكونوا في زمرة من قال الله جل ثناؤه فيهم : (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ . وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) .

ثم اعلم أن أهل مدين وأصحاب [١] الأيكة هما معا أمة [٢] واحدة هي أمة شعيب عليه السلام ، أضافها الله تعالى مرة الى قبيلتها مدين لأنها من ذريتها ، ومرة الى الأيكة لأنهم كانوا يعبدونها [٣] أو يقطنون [٤] في مكانها ؛ فاذا أضافها الى مدين كان من المستحسن أن يوصف شعيب عليه السلام بأنه أخوهم لأنه كما سبق من قبيلة مدين ، أما اذا أضافها الى الأيكة فانه لا يحسن أن يوصف عليه السلام بأنه أخوهم ؛ ووجه [٥] ذلك أن الأيكة إن كانت معبودا لهم فانه يتنزه سيدنا شعيب عليه السلام أن يوصف بأخوة هؤلاء الجهلة الوثنيين الذين يعبدون ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنهم شيئا ؛ وإن كانت [٦] مكانا في بادية بلادهم فكذلك لا يجوز وصفه بأخوته لهم ، لأنه من المعلوم أن الله جل ذكره إنما يصطفي رسله الكرام من عِلْيَةِ [٧] القوم ومن أزكاهم نسبا وأطهرهم حسبا وأعلاهم منزلة وأجلهم قدراً ومكانة وأحسنهم خلقا وأكملهم فضلا . ولا مراء أن هذه الفضائل لن تكون لأهل البوادي الرحّل أهل المدر والوبر والجفاء والغلظة ، بل هم كما قال الله تعالى فيهم : (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) . [٨]

اذا تمهد لك أنهما أمة واحدة فاعلم أن العقاب الذي استحقه أهل مدين بسوء أعمالهم قد سماه الله تعالى بثلاثة أسماء : الأول الصيحة كما في الآيات التي نفسرها ، والصيحة هي الصرخة بأقصى طاقة الصارخ ، فهي الصوت الشديد المنكر تَهْلَع منه القلوب وتَفزَع له النفوس . والثاني الرجفة كما في سورة الأعراف والعنكبوت ، والرجفة هي شدة اضطراب الشيء وزلزلته وعنف حركته ذهابا ومجيئا . والثالث الظلة

(١) واحدة الأيك وهو الشجر الملتف بعضه على بعض . ويطلق أيضا على المكان الذي ينبت فيه ذلك الشجر من أرض البادية . وكان يسكنه بعض أهل مدين . (٢) قاله الحافظ ابن كثير في تاريخه والامام ابن جرير في تفسيره . (٣) قاله الحافظ ابن كثير في تاريخه . (٤) قاله غيره . (٥) مأخوذ من كلام الحافظ ابن كثير في التاريخ . (٦) لم أر هذا التوجيه لغيري ولعله صواب إن شاء الله تعالى . (٧) وجوههم وأشرافهم . (٨) بهذا تعلم ضعف قول من قال أن أهل مدين وأصحاب الايكة أمتان مستدلا بذكر الأخوة مع الأولى دون الثانية .

كما فى سورة الشعراء ، والظلة السحاب ، وأكثر ما تستعمل فى السحاب الذى يُكرَه ولا تُحمَدُ عاقبتُه .

ثم إن لكل اسم من هذه الأسماء الثلاثة حكمةً بلاغيةً فائقةً اقتضت التعبير به عن العقاب الذى نزل بأهل مدين ، فأما حكمة التعبير بالصيحة فهى أن الله عز وجل قص علينا فى سورة هود هذه أنهم قالوا لنبى الله شعيب عليه السلام على سبيل التهكم والاستهزاء والتنقص : (أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِى أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) .

فناسب أن يذكر الصيحة التى هى كالزجر عن تعاطى هذا الكلام القبيح الذى واجهوا به هذا الرسول الكريم الفصيح ، فجاءتهم صيحة أسكتتهم مع رجفة اسكنتهم .

وأما حكمة التسمية بالرجفة فهى أنهم أرجفوا بنبى الله وأصحابه وتوعدوهم بالاخراج من قريتهم أو ليعودُنَّ فى ملتهم راجعين ، فقال تعالى : (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ) . فقابل الارجاف بالرجفة والاخافة بالخيفة ، وهذا مناسب لهذا السياق ، ومتعلق بما تقدمه من السباق .

وأما حكمة التسمية بالظلة فهى أن الله عز شأنه قد أجابهم الى ما طلبوا وأسعفهم بما فيه رغبوا ، فانهم قالوا لرسولهم الأرجح عقلا والأصدق قولا : (إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ . وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَٰذِبِينَ . فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا [1] مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ . قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ) . فقال الله تعالى وهو السميع لما قالوا العليم بما فعلوا واقترحوا : (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ . إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) .

ثم إنه سبحانه أخبرنا بما آل إليه أمر القوم بعد أن أخذتهم الصيحة فقال :

---

(١) جمع كسفة . ومرادهم بها قطعة من السحاب تمطرهم العذاب استهزاء وتهكما برسولهم الجليل .

(فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) الإصباح هو الوجود والصيرورة فى وقت الصباح ، كما أن الإمساءَ والإظهارَ والإشراقَ كذلك فى أوقات المساء والظهر والشروق . والدار لها معان ، فتطلق على المنزل المشتمل على حُجَرٍ مبنية ، وتطلق على البلد المشتمل على المنازل ، وتطلق على الجهة والناحية والمَقَرّ من الأرض . والجثومُ هو التصاق الطائر مثلا بالأرض وملازمته لمكانه لا يَبرَحُه ولا يفارقه .

والمعنى أن الله المنتقم العدل أرسل عليهم الصيحة فسلبتهم قواهم وخطفت أرواحهم وصعقتهم فخرّوا حصيداً خامدين ، وصاروا فى ديارهم وقت الصباح لاصقين بها لا ينفكون عنها ولا يبرحون (فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ) . (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) .

كان وقت الصباح هو الوقت الذى أخذت فيه الصيحة أهلَ مدين ، وهو أحد الأوقات التى اذا أراد الله بقوم سوءا أنزله عليهم فيها ؛ فمنها وقت الصباح كما عرفت وهو وقت الشروق أيضا ، ومنه قوله تعالى فى شأن لوط عليه السلام : (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ) (وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ [1]) (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ) . وفى شأن أهل [2] الحجر (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ) . ومن تلك الأوقات أيضا وقت الليل ووقت القيلولة (وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ [3]) . ومنها وقت الضحى (أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ . أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ) . ومنها وقت اشتغالهم بأمور دنياهم وانهماكهم فى لذائذهم وشهواتهم وهم آمنون ، وعما سيحيق بهم غافلون (أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ . أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ [4] فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ . أَوْ

---

(١) دائم متصل بعذاب الآخرة . (٢) هم ثمود قوم صالح عليه السلام . (٣) نائمون وقت القيلولة أى وقت الاستراحة بالظهيرة . (٤) أسفارهم وترددهم فى مزاولة أعمالهم .

يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ [1] فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) (وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ . وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ) .

إن الحكمة الالهية البالغة فى معاقبة الأمم الفاسقة فى هذه الأوقات واضحة لا تخفى على أولى الألباب فان هذه الأوقاتَ منها ما هو أوقات سكون واطمئنان وراحة وتمتع باللذائذ الفاتنة الفانية كوقت البيات والقيلولة ، ومنها ماهو وقت التسابق والتزاحم والتنافس فى اقتناء حطام الحياة الدنيا والتكاثر فى أموالها وأولادها والتفاخر بين الناس أيُّهم أكثرُ مالا وأعزُّ نفرا .

ومن البداهة أن مداهمة المصائب للقوم وهم فى غَمْرة ساهون ، وأنَّ أخذ العذاب لهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ومن فوقهم ومن تحتهم وهم فى خوضهم يلعبون متقلبين فى أوقات الربح والكسب والفرَح والمرَح والرفاهيَة والتنعم والطُّمأنينة والأمن كل ذلك أبشع وأشنع ، وآلَمُ وأَوْجَعُ ، وأدهى وأمر . (ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ) .

قدمنا لك أن لفظ (الدار) له عدة معان ، فكن على ذكْرٍ منها ؛ ثم نقول : قد جرت سنة الله تبارك اسمه فى القرآن الكريم أنه اذا عبر فى عقاب الأمم بالصيحة جمع لفظ الدار فقال : (وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) . واذا عبر بالرجفة أفردها فقال : (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ) . وهذا أسلوب من أساليب البلاغة العليا التى استأثر بها القرآن العظيم ، سبق بها كلَّ سابقٍ ، ولن يَلْحَقَ أثرَه فيها لاحقٌ ، ولا غرْوَ فللقرآن المجيد المَثَلُ الأعلى : (تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) .

---

(١) خوف أن ينزل بهم عذاب مماثل للعذاب الذى نزل بالامم من قبلهم أى أنهم خائفون من ذلك ولكنهم لا يرعوون عن عصيانهم .

أما السر فى الجمع اذا عبر بالصيحة فهو أن الصيحة نزلت بالقوم أنفسهم فجدَّلَتْ أجسامهم على الأرض تجديلا ، وجرَّعتْهم فى مواضعهم فلزموها لا أنفاس لهم ولا حَرَاك ، فكانوا هم فريسةَ الصيحة وموطنَ إهلاكها ومَهبطَ تدميرها ؛ أما ديارهم التى هى منازلهم وبيوتهم التى يسكنونها فانها لا تزال قائمة شاخصة على حالها وعددها وصفاتها قبل الصيحة ، لكن الصيحة لم تكن هى كلَّ العذاب الذى حكم الله تعالى به عليهم بل هى بعض منه ، وبعضه الآخر هو الرجفة التى تدكُّ الأرضَ دكاً ، وتنشقُّ منها الأرض وتخرُّ الجبالُ هداً ، فهى التى تجعل الديار (بمعنى المنازل) أثراً بعد عين ، بل تمحقها محْقاً وتصيرها قاعا صفصفا ، فلا يبقى بعد تدمير المنازل إلا الأرض التى كانت تقوم عليها وهى موضع واحد هو مَحَلَّة القوم ومَقَرُّ بيوتهم .

فجملة القول أن الصيحة اذا عبر بها لوحظ أن تأثيرها فى القوم أنفسهم لا فى ديارهم أى منازلهم فلذلك جمعت لأنها باقية على حالها ؛ أما الرجفة فان الديار (بمعنى المنازل) لا تكون باقية معها ، وإنما الباقى هو الدار (بمعنى الأرض والمقر الذى فيه أبنية القوم). وهو شىء واحد لا تعدد فيه كالبيوت ؛ فلهذا أفرد لفظ الدار ولم يجمع .[1]

ثم إن الله عز وجل بين بعد ذلك شدة وقع هذا العذاب بأهل مدين وعظم محقه لهم فقال : (كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا) أى أن من رأى أرض مدين بعد أن أخذتهم الصيحة يظن أنهم لم يكونوا مقيمين بها عائشين مترددين فيها مزاولين أعمالهم ممارسين شؤونهم متمتعين مترفهين بما كانوا فيه من الخير والنعمة .

ثم ختم الله سبحانه قصصهم بالدعاء عليهم فقال : (أَلَا بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ) . صَدَّر الدعاء عليهم بكلمة (أَلَا) تنبيها واسترعاء ، للأسماع ليعلم الناس خَطَرَ ما سيلقى عليهم من الكلام وجلال قدره ، والبُعْد هنا كالبَعَدِ هو الهلاك والدمار ، دعا عليهم

(١) لم أر هذا التوجيه لأحد . فلعله يكون صوابا بتوفيق الله تعالى .

بالهلاك مع كونه جلت حكمته قد أهلكهم أىَّ إهلاك ودمرهم أيما تدمير، تسجيلا عليهم وتأكيداً بأنهم مستحقون لما حلّ بهم من هذا الهلاك مستوجبون لما حاق بهم من ذلك العقاب والفناء، فبُعْداً لهم وسُحْقاً غير محزون ولا مأسوف عليهم؛ كما حكى الله تعالى ذلك عن رسولهم بعد هلاكهم فى قوله سبحانه: (فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ[١] عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ).

ثم إنه عز شأنه شبه هلاكهم المدعو به عليهم بهلاك ثمود، لأنه[٢] سبحانه لم يعذب أمتين بعذاب واحد إلا قوم شعيب وقوم صالح عليهما السلام.

عذب كلا منهما بالصيحة والرجفة، فذكر الصيحة فى سورة هود عليه السلام. وذكر الرجفة فى سورة الأعراف.

وخلاصة القصة أن الله جلّت نعمتُه وعظمت نقمتُه تفضل فأرسل الى أهل مدين رسولا منهم مؤيداً بالآيات البينات فبلّغهم ما أُمِرَ به، وبشرهم وأنذرهم ورغبهم ورهبهم فاستكبروا وكذبوا وتوعدوا وتهددوا، فحاق بهم سيئاتُ ما عملوا، ونجّى الله تعالى رسوله والذين آمنوا معه.

وتلك هى سنة الله العزيز الحكيم التى كتبها على نفسه إذ يقول: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا[٣] لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ. إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ. وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَٰلِبُونَ. فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ. وَأَبْصِرْهُمْ[٤] فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ. أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ. فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ. وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ. وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ. سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلَٰمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ).

---

(١) أحزن. (٢) قاله ابن عباس رضى الله عنهما. (٣) هى قوله تعالى هذا إنهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون. وقوله: (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى). (٤) وجه أبصارهم وحولها ماسيقع بهم من العذاب فانه قريب.

قد كمل ما وفقنا الله تعالى له من تفسير قصص سيدنا شعيب عليه السلام مع قومه، فالحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين، وعلى آله وصحابته والتابعين.

حسن منصور
وكيل دار العلوم العليا سابقا

الطرف والملح

[كل ماينشر تحت هذا العنوان فهو فى مختارات فضيلة الاستاذ الشيخ حسن منصور]

وصى بعض العلماء فقال :

لا يحملنك ماترى من إقبال النعمة على الجاهل على الرغبة فى الجهل، ولا ادبارُها عن العالم على الرغبة عن العلم؛ فان إقبالها على الجاهل اتفاق، وإقبالها على العالم استحقاق (١) وليس مستحِقُ النعمة ومستوجِبُها كحاملها بدون استحقاق.

***

من وصية لبعض الحكماء. قال :

أطلب فى الحياة العلم والمال تحز الرياسة على الناس، لأنهم بين خاص وعام؛ فالخاصة تفضلك بالعلم، والعامة تفضلك بالمال، والتمس الرفعةَ بالتواضع والشرفَ بالدين.

(١) حق ثابت له لأنه أهل وجدير به وان حرم منه لمانع ما قد يزول .



٤

بسم الله الرحمن الرحيم

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنتُ خَلْفَ النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال : ياغلام احفَظ الله يحفظْك ، احفَظِ الله تجدْه تُجاهَك ، واذا سألتَ فاسأل الله ، واذا استعنتَ فاستعن بالله ، واعلمْ أَن الأمةَ لو اجتمعتْ على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، جفَّتِ الأقلامُ وطُوِيَتْ الصُحفُ .

الشرح :

قدمنا لك أن هذا الحديث الشريف قد اشتمل على سبع وصايا وصّى بها النبي صلى الله عليه وسلم ابنَ عباس رضى الله عنهما ، وقد مضى لنا القول فى شرح أربع منها ؛ وإجمالُ ما تضمنتْه أَن الله جل وعلا قد حَدَّ لعباده حدوداً اذا حفِظوها حفِظهم وهو خيرٌ حافظًا ، وحرسهم بعين رعايته وعنايته ، وأَنهم اذا سألوا شيئا وجب عليهم أن يخصوه سبحانه وحده بالسؤال فى أقوالهم وأعمالهم ، وأنهم إذا استعانوا وجَّهوا وجوههم له سبحانه وحده .

ثم إنه صلوات الله وسلامه عليه ، قَفَّى على هذه الوصايا الأربع بوصيتين أُخريين : هما ثمرة طيبة وعاقبة حميدة لها ، تزيد ابنَ عباس رضى الله عنهما ومن اقتفى أثره إيمانا على

إعانه بها وترغيبه أيضًا ترغيب فى الحرص على العمل بها، وتملأ نفسَه المطمئنةَ حسنَ اعتماد وتوكل، ووثوق بوعد الله الذى لا يُخلفُ وعدَه . هاتان الوصيتان هما أنَّ مَصْدَرَ النفع والضُّرّ فى الحقيقة إنما هو الله عز وجل، وهما اللتان تضمنهما الاسمان الجليلان (الضارّ النافع) من أسمائه تعالى الحسنى .

لا جدال فى أن ابن عباس رضى الله عنهما قد عَلِمَ السببَ فيما تضمنته الوصيتان المذكورتان ، وَفِقِه تمامَ الفقه منْشأَ كونِ النفع والضر إنما هو بيد الله وحده؛ وذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام قد علَّمه فى الوصايا الأربع الأولى أنّ حفظَ الله تعالى وكلاءَتَه له، وأنّ قُرْبَه سبحانه منه كأنه تجاهَه ، وأن استجابتَه له إذا سأله بقوله أو عمله، وأنّ إعانتَه وإسعافَه له اذا استعانه؛ كلَّ ذلك معاملةٌ حَسَنَةٌ نافعة مختصة بالله تعالى لا يقدر عليها سواه ، فيعاملِ بها ابنَ عباس اذا عَمِل بما علَّمه الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ثم إنه بضدها تتميز الأشياء، فيكون الضُّرُّ بدلا من النفع، والشّر عوضا عن الخير ، إنْ فرّط فى هذه الوصايا مُفرِّط ، أو أَعرض عنها مُعْرِض؛ فكما أن عاقبة النفع الطيبةَ مختصة بالله تعالى لأنها ثمرة طاعة أمره ، كذلك عاقبةُ الضّرِّ المكروهةُ مختصة به لأنها نتيجة عصيان أوامره والوقوع فى منهياته .

وبعد فانا نقول لك الآن كما قلنا من قبل : لو حفظ المسلمون حدودَ ما أنزل الله على رسوله فحَرَصوا عليها جهدهم واستقاموا على صراطها المستقيم ، ولو سألوه حق السؤال كما شرعه لهم فأقاموا وجوههم اليه بألسنتهم مُترجمةً عن نفوس ضارعة وقلوب حاضرة خاشعة ، وبأعمالهم المؤسسة على أُسسٍ ثابتة وقواعد صحيحة ، ولو استعانوه جل وعلا كما يجب أن يستعان ، فتوسلوا فيما يجلب إليهم النفع ويدفع عنهم الضر بالوسائل الصحيحة المشروعة، معتمدين مع ذلك فى كل شؤونهم على إعانته لهم؛ لو فعل المسلمون كل ذلك لحِفظهم الله تعالى مما يضرهم، ولَقَرُبَتْ منهم رحمتُه ومعونتُه ، ولاستجاب لهم

ما سألوه، ولأعانهم فيما استعانوه؛ أما اذا فعلوا ضد ذلك فان العاقبة تكون ضد العاقبة، والمآل يكون عكس المآل (جَزَاءً وِفَاقًا). (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ).

فمن هذا يتبين لك أن وصول المنافع الى العبد إنما سببه الوسائل التى قضى الله أنّ العبد اذا قام بها فاز بالنفع، وأنّ حصول المضار له إنما منشأه تفريطه فيها وسلوكه سبيلا غير سبيلها؛ وعلى ذلك يكون مَصْدَرُ كلِّ نفع وضَر إنما هو الله الواحد الذى لا يُشْرِكُ فى حكمه أحدا، فهو جل وعلا الذى كتب لعباده النفع والضر والخير والشر والسعادة والشقاء.

كذلك يتبين لك أن الأمة لو اجتمعت على أن تنفعَ فلانا أو تضرّه، فانها لن تستطيع أن تنفعه أو تضره إلا بشىء قد كتبه الله العليم الحكيم فى علمه أزلا؛ أما تلك الأمة التى اجتمعت على أن تنفع أو تضر، فإنما هى مَظْهَرٌ من مَظاهر أَقْضِيةِ الله تعالى وأحكامِه الأزلية، ووسيلةٌ من الوسائل التى أَجْرَى على طِبْقِها شؤونَه فى خلقه وتصرفاتِه فيهم: (فَسُبْحَانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).

بعد ذلك ختم صلى الله عليه وسلم وصاياه الجليلة لابن عباس رضى الله عنهما بهذه الوصية السابعة، وهى قوله: (جَفَّتِ الْأَقْلَامُ وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ). لما عبّر صلوات الله وسلامه عليه فى الوصيتين السابقتين بالكتابة، قضت البلاغة النبوية التى أُعطِىَ صاحِبُها صلى الله عليه وسلم جوامعَ الكَلِمِ، أن يعبّر فى هذه الوصية بالأقلام وجَفافها والصحفِ وطيِّها، وهذا كناية عن أن أقضية الله تعالى الأزليةَ وأحكامَه التى حكم بها فى علمه القديم، أقضية مسجلة وأحكام ثابتة لا يعتريها تغيير ولا يَمَسُّها تحويل؛ كما قال سبحانه: (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).

ثم نقول: إن من جملة كلمات الله تعالى التى تمت صدقا وعدلا ولا تبديل لها، ما جاء فى قوله عز وجل: (يَمْحُوا[1] اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ). فاعلم أولا

(١) هكذا رسم المصحف الامام.

أن محو الشيء هو إذهابه وإزالته ، وأن الله تعالى لا يشاء الشيء إلا لحكمة بالغة يجيء ذلك الشيء على مقتضاها ، ثم إن تلك الحكمة قد تظهر للعبد وقد تخفى عليه ، فهو سبحانه منزه كل التنزيه أن يفعل شيئا مّا عبثا كما قال : (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ . فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) وأنّ الكتاب هو القضاء الالهى المخصوص ، والحكم المعين الذى حكم الله الحكيم به أزلا ، وأنّ أمّ ذلك الكتاب أى أصله هي علمه القديم المحيط الذى لا يتبدل ولا يتغير وعلى طبقه كانت كلمات الله ، أى كتُبُه التى كتبها على خلقه وأحكامُه التى حكم بها عليهم .

هذا العلم المذكور قد استحال شرعا وعقلا أن يلحقه تبديل مّا بوجه من الوجوه . أما استحالة تبديله شرعا فبصريح مثل قوله سبحانه : (أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ) . وقوله : (وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ) . فلو تبدل علمه تعالى لكان سبب ذلك التبديل ظهورَ أمرٍ جديد كان خافيا عليه سبحانه من قبل ، مع أنه يقول : (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) . ويقول : (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) . والمثل الأعلى ألا يعزب عن علمه سبحانه شيء من أمور الدنيا والآخرة ؛ وأما استحالته عقلا فان تبديله نقض له ، وهو مستلزم للجهل وعدم الاحاطة بكل الأشياء وجميع الوجوه والصفات والأحوال التى تلحق الممكنات والمحدثات ؛ وقد أطبقت العقول السليمة على وجوب تنزيه الله الملك الحق وتقديسه ، وعلى أنه له خاصة المَثَلُ الأعلى ، وعلى أنه قد أحاط بكل شيء علما .

اذا كان الشرع والعقل كلاهما قد أجمعا على استحالة تبديل علم الله جل ذكره ، فقد وجب إجماعهما بالضرورة على استحالة تبديل كلماته ، وأقضيته التى قضاها أزلا على طبق علمه الأزلى المحيط الذى لا تبديل له .

ثم إننا بعد هذا نُقفّي على ما قررناه لك بكلمة تستبين بها معنى قولِ النبي صلى الله عليه وسلم : (جَفَّتِ الْأَقْلَامُ وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ) . ومعنى قول الله جل ثناؤه :

(يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) . فنقول : قد علمتَ مما سبق أن الله عز وجل قد علم كل الأشياء أزلا لم يعزُبْ عن علمه شيء مّا منها ، وعلى مقتضى هـذا العلم المحيط الثابت كَتَبَ كلماتِه الأزليةَ وحَكَمَ أحكامَه القديمةَ ، فلا تبديل فى علمه ولا تحويل فى كلماته .

هاك أمثلةً تُجلى لك هذا . مثال أول : عَلِمَ الله تقدّس اسمه أزلا أن فلانا سيسوء اختيارُه فى وقت كذا بعـد أن يخلق ، فيعصِي ويَضِلُّ ، فإن عَلِمَ أنه سيبقَى على هذا العصيان طولَ حياته حقَّتْ عليه كلمـةُ الله ، وكَتَبَه عنده شقيا دائما لا تبديل لذلك ولا محو ؛ وإن عَلِمَ أنه سيحسُن اختيارُه بعـد أن ساء ، كَتَبَه عنده أزلا شقيا مدة إساءته ، وسعيدا مدة إحسانه .

فهذا الكتاب أى تلك الكلمة القديمة بطرفيها وهى ذلك الحكم الأزلى بشقيه لا تبديل ولا محو يلحقه ؛ ثم اذا خُلِقَ فلان هـذا وجاء الوقت المعين الذى يسوء فيه اختيارُه فعصَى ربَّه ، كان شقيا شقاء مؤقتا سبقتْ به كلمةُ الله أزلا وفقا للعلم الأزلى ؛ ثم اذا انقضى زمن إساءة الاختيار وأتى زمن حسنه ، محا الله بكرمه عنه ذلك الشقاء المؤقت الذى كان قد كتبه أزلا ، وبَدَّلَ منه السعادة التى كان قد كتبها أيضا أزلا طبقا لعلمه الأزلى ؛ أى أن الله تعالى قد شاء مَحْوَ الشقاء الذى كان قد كتبه أزلا كتابةً مؤقتةً بمـدةِ سوءِ الاختيار ، وأثبت بدلا منه السعادةَ التى كتبها له أزلا متى حَسُنَ اختيارُه واستقام .

فقد ظهر لك من هذا أَن كلمة الله وكتابَه وقضاءَه وحكمَه ، كناياتٌ عَـبَّرَ الله تعالى بها عن شؤونه وتصرفاته أزلا فى خلقه ، وكلُّها قد شاء الله ثباتَها ولم يَشَأْ محوَها ، لأنها مبنية على العلم الالهى الذى لا يقبل شيئا من التغيير والمحو ؛ أما ما شاء الله محوَها وقتاً مّا وإثباتَ غيرِها وقتاً آخرَ ، فهى الأحوال والشؤون التى هى صفات هذا الكون وما فيه

بعد وجوده ، فيمحو منها مايشاء محوه ويثبت عوضا عنه مايشاء إثباته ؛ وكل ذلك مظاهر حادثة وصور طارئة جديدة نعلم بها ماسبق أزلا من كلماته وأحكامه الأزلية الثابتة ، وجميعها على وفق كلمته الأزلية وعلى حسب ماتقتضيه الحكمة الالهية العليا ؛ فان كلمات الله العلى الحكيم كلها لاصلاح الكون والعباد فى الحياتين الأولى والثانية ؛ ومن الواضح أن ذلك الاصلاح يختلف باختلاف الأحوال المتغيرة بتغير الأوقات ، كما يختلف علاج المرضى حسب اختلاف أحوالهم اختلافاً تابعاً لاختلاف أوقات مرضهم .

مثال ثان : علم الله تعالى أزلا أن فلانا اذا وجد فى الدنيا فى وقت معين ، رضى لنفسه أن يبقى جاهلا بالعلم الفلانى مدة عمره ، أومدةً محدودةً ؛ ففى الحالة الأولى يكتب الله سبحانه عنده أزلا أن ذلك العبد يبقى جاهلا أبداً ، وفى الحالة الثانية يكتبه عنده جاهلا مدة رضاه لنفسه بالجهل ، وعالماً متى كره لها الجهل وأحبَّ العلمَ وتعلمَ ، ثم بعد وجوده فى الدنيا وتعلمه يشاء اللهُ تعالى محوَ الجهل عنه ويشاء إثباتَ العلم له ، لأنه سبحانه حكيم وحكمته تقضى بالصلاح والمنافع وترتيب الآثار على مؤثراتها والمسببات على أسبابها التى أعدها لها وذرأها فى الخلق والأكوان .

مثال ثالث : علم الله تعالى أزلا أن عبداً من عباده سيفرطُ تبعا لاختياره السيِّء بعد وجوده فى الدنيا دائما أو فى وقت مخصوص ، فيهمل فى الأخذ بالأسباب التى سنها الله تعالى لاصلاح هذه الحياة ؛ فهو سبحانه يكتب عنده أزلا بناء على هذا العلم القديم الثابت أنّ هذا العبد محروم دائما بعد وجوده فى الحالة الأولى أو وقتا معينا فى الحالة الثانية من كل المنافع التى هى نتائج الأسباب التى أهملها ؛ ثم اذا وجد فى الدنيا وأخذ بالأسباب كما أُمرَ محا الله بفضله عنه حرمانه وأثبتَ له الخيرَ والمنافعَ بمشيئته لذلك كما تقتضيه حكمتُه البالغةُ .

على ما ذكرناه فى هذه الأمثلة يقاس جميع ما فى هذا العالم من المخلوقات موادّها وأجرامها وأعراضها وأحوالها ، مثل معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام ، كمعجزة

الناقة لسيدنا صالح ، ومعجزة العصا لسيدنا موسى ، ومعجزة إبراء الأكمه مثلا لسيدنا عيسى ، ومعجزة القرآن الكريم مثلا لنبينا عليهم صلوات الله وسلامه ، وكالهدى والضلال ، والحق والباطل ، والرفعة والضَّعة ، والصحة والمرض ، والغنى والفقر ، الى غير ذلك مما لا يُحصَى .

قدمنا لك أن جميع ما يصدر عن العباد من الأقوال والأفعال خيرِ ها وشرِّها ، إنما هى مَظَاهِرُ وصُوَرٌ لما كتبه الله تعالى عليهم أزلا بناء على علمه المحيط الثابت بأنهم سيكسبونها لأنفسهم أو عليها حَسَبَ اتخاذهم سبيلَ الغى والضلال ؛ وذلك كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا خُلِقَ لَهُ أو لِمَا يُسِّرَ لَهُ » .[1] وكما قال عز وجل : (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ . فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ . وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ . وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ . إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ . وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ) .

قد عرفت مما أسلفناه لك أن الله عز وجل قد يكتب على العبد الشقاء دائما اذا علم أزلا أن ذلك العبد سيرضىَ الشقاء لنفسه دائما بسوء اختياره وفساد رأيه ، وأنه قد يكتبه عليه الى أمد معلوم اذا علم أزلا أنه سيختاره ثم يُقْلِعُ عنه ويتبدلُ به الرشدَ والهدى ؛ كما علمت أيضا أن أمَّ الكتاب هى علم الله القديمُ الذى لا يتبدّل ولا يتغير . فاعلم الآن أنَّ مَنْ دعا الله تعالى أَنْ يَمْحُوَ عنه الشقاءَ أو الطردَ أو الحرمانَ أو ضيقَ الرزق الذى كتبه عليه فى أم الكتاب كما يذكرون ذلك فيما يسمونه دعاء ليلة النصف من شعبان ، فإنْ كان قصدُ الداعى أَن الله تعالى يمحو عنه ما كتبه عليه دائما بناء على أنه سبحانه علم أزلا أن هذا لن يختار لنفسه إلا الشقاء الدائم مثلا فان هذا الدعاء يكون مُحَرَّما مردوداً على هذا الداعى الكاذب فى دعائه الجاهلِ بربه المستهتَرِ به المنافقِ الذى

(١) رواه البخارى فى كتاب القدر عن عمران بن حصين .

يَلُوكُ هذا الدعاء الباطلَ بلسانه وقلبُه يشهد عليه إِنَّهُ لَمِنَ الكاذبين . وإِنْ كان قصدهُ أَن الله عز وجل يمن عليه بالتوفيق لسلوك سبيل الهداية والطاعة ليفوز بما عسى أن يكون اللهُ قد كتبه له من السعادة والرضا عنه ، فان هذا الدعاء منه يكون مأذونا به بل مندوبا اليه ، لأ نه لم يقتض محالا على الله سبحانه ولا خروجا عما يجب على العبد فى حقه سبحانه من الأدب ؟

حسن منصور
وكيل دار العلوم العليا سابقاً

الطُرف والمُلح

كان للأعمش صديق متصرف فى عمل السلطان فبقى عليه مال فحبس فيه فزاره الأعمش متغمما له[1] . فلما دخل عليه رأى بين يديه سَلَّةً[2] فيها فالوذج وهو يتغذى منها فقال : والله ما لازمتَ الوثاق إلا لاسرافك فى الانفاق ، فلو قنِعتْ نفسُك وعفَّتْ يدُك لم يكن مَضِيق السجن مقعدَك .

***

قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن الشجاعة والجبن غرائز فى الرجال . تجد الرجل يقاتل عمن لايبالىِ أَلاَّ يؤوب الى أهله ، وتجد الرجل يفر عن أبيه وأمه ، وتجد الرجل يقاتل ابتغاء وجه الله فذلك هو الشهيد .

---

(١) مظهراً له الغم من سجنه . (٢) وعاء .

الفتاوى والأحكام

كرامات الأولياء

ورد إدارة المجلة من حضرة صاحب التوقيع ما يأتى :ـــ

س : هل لنا أن نعتقد أن المدفونين فى الأضرحة أولياء (وأن نصدق ما نسمع من الملأ عن الآيات التى أظهروها فى حياتهم من مدة ٦٠٠ سنة أو أكثر أو أقل) . (وأرجوا أن ترسموا لنا حدا يبين لنا الولى وغيره) . وهل للأولياء شفاعة عند الله بمعنى أنهم يقومون بدور رجاء ؟ وهل يقبل الله رجاءهم على أنه قال تبارك وتعالى : (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) ؟ .

مصطفى صبرى الشنوانى

وجاءنا مثله أيضا من حضرة الشيخ أحمد سلطان حسين رئيس مدرسة أبو غدير الأولية فى ضمن أسئلة أخرى نرجئها لعدد آخر .

ج : الولى هو العارف بالله وصفاته المواظب على الطاعات المجتنب المعاصى المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات وإن كانت من المباحات ، هكذا عرفوه ، ولا داعى للاطالة فيه ويكفينا قول الله تعالى فى بيان الأولياء (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) .

أو نقول هم الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، أو نقول هم الذين أشار اليهم قوله تعالى : (وَلَـٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِرِ وَالْمَلَـٰئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَـٰكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِى الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّـٰبِرِينَ فِى الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ) .

أما الكرامات فهى جائزة لاشك فيها وقد تواترت فى المعنى — وإن كانت التفاصيل آحادا — كرامات الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الصالحين وهى ثابتة بالكتاب العزيز والسنة الصحيحة كما ستقف عليه ولا ينكرها إلا أهل البدع وليس إنكارهم إياها بعجيب منهم، فانهم كما قال بعض العلماء لم يشاهدوا ذلك من أنفسهم ولم يسمعوا به من رؤسائهم مع اجتهادهم فى العبادات غير عالمين أن المسألة مسألة قلوب لا أبدان وصفاء أرواح لا تعب أشباح، وقوة يقين وتمكين لا شدة مجاهدات وكثرة عبادات « إن الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم » . أخرجه مسلم وقد ثبت حديث « إن بدلاء أمتى لم يدخلوا الجنة بكثير صيام ولا صلاة ولكن بسلامة الصدور وسخاوة الأنفس » . وقد جاء فى الحديث المتفق عليه « إنه سيكون فى الأمة أقوام يحقر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاتهم وصيامهم فى جنب صلاتهم وصيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » . نقول إن الكرامات منح إلهية يعطيها الله من يشاء ويمنعها من يشاء، ولا فرق بين المطايا الحسية والعطايا المعنوية ولا بين الأرزاق الجسمانية التى قال الله فيها : (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) . ولا بين المواهب الروحية التى قال فيها : (يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ) . فسبحان من قسم الحظوظ فى البابين ومنح ما شاء من شاء من الفريقين فكما أن الناس متفاوتون فى الصحة الجسمية هم أيضا متفاوتون فى الصحة الروحية، ولذلك تفاوتوا فى الآخرة كما تفاوتوا فى الدنيا أو أشد (انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا) .

ولنقرب لك الأمر تمام التقريب حتى يكون على طرف الثمام فقد كثر فيه القيل والقال جمودا على الرأى وتعصبا للهوى فنقول : إن الفاعل هو الله لا الولى ولا النبى ولكنه يكرم من يشاء بما شاء وهو على كل شىء قدير، فأى مانع من أن يخرق الله

العادة إكراما لبعض عباده الصالحين حيا كان أو ميتا فيرزقه رغيفا فى مفازة أو شربة ماء فى صحراء أو يكرم زائريه ومحبيه، مثل ما فعل بسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ضل الطريق فتعرض له الأسد فقال له أنا سفينة مولى رسول الله فبصبص له وسار بجانبه يهديه الطريق.

ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد فى آجامها تجم

الى آخر ماورد عن الصحابة وغيرهم وستسمع شيئا منه، وأى قيمة لذلك بجانب ما أعطاهم الله من شرف معرفته ومحبته والقرب منه حتى قال فى الحديث القدسى الذى رواه البخارى: «من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب». الى أن قال: «ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به» الخ. فانظر الى قوله من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب والى قوله كنت سمعه وبصره، فالى أى حد تكون منزلة ذلك الولى عند الله تعالى حتى يحارب من يعاديه، وكيف يكون بصره الذى استضاء بنور معرفته عز وجل والى ماذا يصل سمعه الذى له ذلك الشرف الأعلى، ولا غرو فمعاملة الله تعالى تأتى بالعجائب والغرائب وهو الرحيم الودود رزقنا الله الأدب معه والتوكل عليه وانظر الى قوله تعالى: (وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) وقوله فى الحديث القدسى: «من تقرب إلىّ شبراً تقربت اليه ذراعا». الى آخر الحديث وقوله عز وجل فى الحديث القدسى أيضا: «مرضت فلم تعدنى فيقول العبد كيف أعودك وأنت رب العالمين؛ فيقول مرض عبدى فلان فلم تعده ولو عدته لوجدتنى عنده» الى آخر الحديث. وقد قال صلى الله عليه وسلم: «رب أشعث أغبر لايؤبه له لو أقسم على الله لأبره» ولم يفرق بين شىء وشىء، وانى ألفت نظرك الى تلك المنزلة السامية التى كادت تخرجه من ذل العبودية وجعلته يقسم على الله قسما يستتبع الاجابة.

وهذا يشبه قوله تعالى: (لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ). فهل بعد ذلك التنزل الالهى والعطف الربانى الذى سمعته يستبعد أن يخرق لهم العادات أو يمن عليهم بما شاء

من الكرامات فلا بدع أن يكون دعاؤهم أقرب الى الاجابة من دعائك لأن منزلتهم عنده أعظم من منزلتك ، أما قوله : (وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) . الذى اشتبه على السائل فهو وصفه لا وصفنا فانه يعلم مخلوقاته كلها على السواء لا تفاوت بينها فى علمه وإحاطته ، ولكن هناك تفاوت كبير بين منازل عباده قربا وبعدا بحسب انقيادهم له وإقبالهم عليه ومحبتهم إياه أو انصرافهم عنه و إقبالهم على غيره « ولست فى حاجة أن أعرفك أن القرب معنوى والبعد كذلك فان الله متعال عن قرب المسافات وبعدها » .

ومن ذا يستطيع أن يقول إن للفاسق من القرب وحسن المعاملة من الله ما للصالح المطيع (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) . ولنذكر لك شيئا مما جاء فى القرآن والسنة مما يفيد الوقوع فضلا عن الامكان فنقول :

(١) قصة أصحاب الكهف وبقاؤهم فى النوم أحياء سالمين عن الآفات مدة ثلثمائة سنة وتسع سنين وأنه تعالى كان يعصمهم من حر الشمس كما قال : (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ) . الى أن قال : (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ) الى أن قال : (وَلَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا) .

(٢) قصة مريم وحملها بعيسى عليه السلام من غير أب على ما قصه الله علينا فى الآيات العديدة .

(٣) إثمار الجذع اليابس الذى أمرها الله بهزه وعرفها أنها ستجد منه ما لم يكن لها فى حسبان

(٤) ما قص الله علينا من أن زكريا عليه السلام كان كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله .

(٥) ما قص الله علينا من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار على يد الخضر الذى علمه الله من لدنه علما على ما هو مبين بالتفصيل فى سورة الكهف، وهى ثلاث كرامات ولكن نسامحك فى أن تعدها واحدة « وليس الخضر نبيا على الصحيح ».

(٦) قصة آصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام على ما قاله جمهور المفسرين فى قوله تعالى : (قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) . فجاء بعرش بلقيس من اليمن قبل ارتداد الطرف .

وأما السنة الصحيحة فقد جاء فيها شىء كثير من هذا .

أولا — قصة جريج العابد .

ثانيا — قصة الغلام الذى تكلم فى المهد .

ثالثا — قصة عباد بن بشر وأسيد بن حضير .

رابعا — قصة أبى بكر مع أضيافه .

خامسا — كرامة خبيب بمكة .

سادسا — كرامة عمر بن الخطاب وهو على منبر المدينة فهذه ستة براهين من كتب السنة الصحيحة ومثلها من القرآن العزيز، وماذا يقول القائلون بعد الكتاب والسنة ولنذكر لك ما أشرنا اليه .

أخرج البخارى ومسلم فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة : عيسى بن مريم عليه السلام، وصبى فى زمن جريج الناسك، وصبى آخر؛ أما عيسى فقد عرفتموه وأما جريج فكان رجلا عابدا ببنى اسرائيل وكانت له أم فكان يوما يصلى اذ اشتاقت اليه أمه، فقالت يا جريج : فقال يا رب الصلاة خير أم أمى ثم صلى، فدعته ثانيا فقال مثل ذلك حتى قال ثلاث مرات وكان يصلى ويدعها، فاشتد ذلك على أمه فقالت : اللهم لا تمته حتى تريه المومسات؛ وكانت زانية

هناك فقالت لهم أنا أفتن جريجا حتى يزنى فأتته فلم تقدر على شيء وكان هناك راع يأوى بالليل إلى أصل صومعته فلما أعياها راودت الراعى عن نفسها فأتاها فولدت ثم قالت: هذا ولدى من جريج فأتاه بنوا اسرائيل وكسروا صومعته فصلى ودعا ثم نخس الغلام قال أبو هريرة: كانى انظر الى النبى صلى الله عليه وسلم حين قال بيده ياغلام من أبوك؟ فقال: الراعى؛ فندم القوم على ما كان منهم واعتذروا اليه وقالوا نبنى صومعتك من ذهب أو فضة فأبى عليهم وبناها كما كانت؛ وأما الصبى الآخر فان امرأة كان معها صبي لها ترضعه إذ مر بها شاب جميل ذو شارة حسنة فقالت: اللهم اجعل ابنى مثل هذا فقال الصبي: اللهم لا تجعلنى مثله، ثم مرت بها امرأة ذكروا أنها سرقت وزنت فقالت: اللهم لا تجعل ابنى مثل هذه، فقال الصبي: اللهم اجعلنى مثلها فقالت له أمه فى ذلك، فقال: إن الشاب كان جبارا من الجبابرة فكرهت أن أكون مثله وإن هذه قيل إنها زنت ولم تزن وقيل إنها سرقت ولم تسرق وهى تقول حسبي الله » وأخرج الحاكم وصححه والبيهقى وأبو نعيم وابن سعد وهو فى البخارى من غير تسمية الرجلين « أن أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضى الله عنهما كانا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة حتى ذهب من الليل ساعة وهى ليلة شديدة الظلمة خرجا وبيد كل واحد منهما عصا فأضاءت لهما عصا أحدهما فمشيا فى ضوئها حتى اذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما فى ضوء عصاه حتى بلغ أهله ». وأخرج البخارى « أن خبيبا كان أسيرا عند بنى الحارث بمكة » فى قصة طويلة ومنها « أن بنت الحارث كانت تقول ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب فقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وإنه لموثق فى الحديد وما كان إلا رزقا رزقه الله». وأخرج البخارى أيضا (أن أبا بكر كان عنده أضياف فقدم لهم الطعام فكلما أكلوا منه ربا من أسفله حتى إذا شبعوا قال لامرأته يا أخت بنى فراس ما هذا قالت وقرة عينى لهى تعنى القصعة أكثر منها قبل أن يأكلوا) الى آخر القصة؛ وقد صح أن عمر بن الخطاب كان له جيش (بنهاوند) من بلاد العجم وكان سارية رضى الله عنه أميرا عليهم وكان للعدو كمين فى أصل الجبل

لا يعلم به جيش المسلمين فنادى عمر وهو على المنبر يخطب الناس يوم الجمعة « يا سارية الجبل الجبل » فسمعوا صوته بنهاوند ونجاهم الله تعالى ببركته ، وفى ذلك كرامتان : الكشف عن حالة الجيش وحال العدو ، ووصول صوته من المدينة الى نهاوند . وأخرج الترمذى أن بعض الصحابة ضرب خباءه على قبر ولم يكن يعلم أنه قبر فسمع من داخل القبر رجلا يقرأ سورة تبارك (الملك) فجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال هى المانعة هى المنجية تنجى من عذاب القبر الى غير ذلك وهو كثير وقبل الختام لابد أن نقول انه لا فرق عندنا بين الحى والميت حيث إن الله هو الفاعل لا الحى ولا الميت ولا فرق فى فعله تعالى بين أن يتولاه هو إكراما لوليه من غير أن يكون للولى دخل فيه أو علم به وبين ان يجريه على يديه أو يقوى روحه حتى تفعل ما لا يستطيع غيرها كما يقوى بعض الأجسام فيكون له من الأثر ما ليس لغيره ، ولا فرق فى التحقيق بين أن يفعل لك أو يفعل بك فانه الفاعل على كل حال على أن الأرواح بينهما من التفاوت ما لا يعلمه إلا الله تعالى ؛ فلا يصح أن تقاس الروح الضعيفة على الروح القوية ولا الروح الحرة على الروح النذله ولكل مرتبة من مراتب الأرواح خصائص تناسب تلك المرتبة وللأرواح من القوانين ما يباين قوانين الأجسام ، ولذلك ترى الحاسد يؤثر فى المحسود من بعد مع أن القوانين المادية تقضى بعدم التأثير إلا اذا حصلت مجاورة أو مماسة ، ثم نقول إن الأرواح اذا صفت صح أن تطلع على الغيب لأنها من عالم الملكوت .

فأى بُعد بعد هذا فيما ينسب للكاملين من أولياء الله المقربين الذين أرواحهم أكمل الأرواح وأقواها ولهم من عناية الله وفيضه ما ليس لغيرهم ؟؟

وقبل إلقاء القلم لابد أن نقول إن كثيراً من الناس كاذبون فى دعوى الولاية مفترون على الله فيها ولكن هذا لا يضر الموضوع شيئا فكل طائفة فيها الصادق والكاذب سنة الله ولن تجد لسنته تبديلا وقد عرفناك الولى بصفاته الجميلة ونعوته الجليلة ، أما التطبيق فنكله اليك ونلقى تبعته عليك ويكفى هذا اليوم وربما عدنا للموضوع مرة أخرى إذا أراد الله ؟

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

الشـــفاعة

وورد اليها ايضا السؤال الآتى لصاحب التوقيع : —

س : اطلعت على موضوع الشفاعة فرأيت للمعتزلة أدلة بصريح القرآن وهم يرون عدم الشفاعة ، ولأهل السنة أدلة دونها فى القوة وهم يقولون بالشفاعة ؛ وأرجو اتساعا فى الموضوع لأعرف ما يجب أن أدين الله عليه ؟

اسماعيل موسى بدر
طالب بمعهد اسكندرية

ج : لقد كثر الكلام فى الشفاعة قديما وحديثا واتسعت دائرة الخلاف بين الطوائف لحرص كل على التمسك بما قال وغلوه فى التشنيع على خصمه والتشهير به ، وما زالت عوامل الخلاف تعمل عملها فى كل جيل ، وكأن أناسا يحلو لهم أمر الجدل وحب الانتصار وقهر الخصم والتشنيع ، فيساعدون على خلق الخلاف وتوسيع شقته ؛ وقد كان الأمر أيما لو لم يكن ذلك فى شئون الدين الذى ما بعث الله به النبى صلى الله عليه وسلم إلا لتمكين الروابط وشد الأواصر وتوثيق الألفة وتوحيد الكلمة .

ونرى أن نقدم لك مقدمة فى بيان المعنى المتعارف بين الناس للشفاعة وبيان المعنى المقصود منها شرعا ، حتى تعرف سبب الخلاف ومنشأ شبهة المنكرين ، ويتجلى لك أنها بالمعنى المشروح ليست مما ينبغى أن يختلف فيه اثنان وبالله التوفيق .

المعنى المتعارف بين الناس فى الشفاعة هو أن إنسانا يسيء الى عظيم مثلا ، فيتوعده بالانتقام منه ويصر على إيذائه البتة ويصمم على ذلك عاقدا نيته ويشعر المسيء بأنه لا قبل له به ، فيقصد الى أحد المقربين الى ذلك العظيم وذوى الوجاهة والمنزلة المقبولة، فيستشفع به

اليه ليحمله على العدول عما أصر عليه، فيجيء الشفيع لذلك العظيم وما يزال به حتى يغير رأيه ويعدل عن تصميمه ويحل عزمه على الايذاء والانتقام؛ أو أن يطمع أحد الضعفاء فى معروف لدى ذلك العظيم ويعتقد أنه ليس على باله شيء من أمره أو أنه ينوى حرمانه من معروفه، فيستشفع اليه بوجيه لديه يحمله على أن يشمله بمعروفه وإحسانه، وهلم جرا من مواضع الشفاعة؛ وحاصلها أن المشفوع لديه كان مصمما على أمر خلاف ما شفع عنده فيه فيجيء الشفيع ويحمله على تغيير نيته وإرادته؛ والشفاعة بهذا المعنى مستحيلة بالنسبة لله عز وجل فانه لا يقع أمر فى الكون إلا وهو عالم به من الأزل وقد أراده كذلك، كما جاء فى حديث: « واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك جفت الأقلام وطويت الصحف ».

ولكن الشفاعة قد وردت فى الكتاب الكريم فى غير ما آية كقوله تعالى: (مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ). وكقوله تعالى: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ) وكقوله: (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ). فان الاستغفار للمؤمنين طلب مغفرة ذنوبهم وذلك شفاعة، وكقوله: (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ) فانه يدل بمفهومه على أن لغير الظالمين شفيعا مقبول الشفاعة، وكذلك وردت فى السنة فى أحاديث إن لم تكن أفرادها متواترة؛ فالمعنى المشترك بينها متواتر فهى من باب المتواتر بالمعنى كحديث: « ادخرت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى ». وكحديث: « إن الخلائق تلجأ الى الأنبياء يوم القيامة يستشفعون بهم عند ربهم فكل يقول نفسى حتى ينتهوا الى سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، فيقول أمتى أمتى، ويسجد تحت العرش؛ فيقال له: ارفع رأسك واشفع تشفع ». بل الشفاعة مما قال به طوائف المليين حتى المعتزلة وإن خصوها بأنها تكون لزيادة الثواب لا لرفع العقاب بناء على أصلهم الذى

زعموه أنه لا عفو إلا عن الصغائر اذا اجتنبت الكبائر وعن الكبائر اذا حصلت التوبة، وليس كلامنا الآن فى جواز العفو أو عدم جوازه، وإنما كلامنا فى إثبات الشفاعة فى الجملة وقد علمت أنهم قائلون به .

واذا كانت الشفاعة بهذه المثابة واردة فى الكتاب والسنة متواترة وأجمعت عليها الأمة ، وكان معناها المتعارف بين الناس مستحيلا بالنسبة الى الله تعالى، فانه يؤدى الى جواز تغيير الارادة الأزلية، والى أنه تعالى لم يعلم من الأزل ما سيحصل فيما لا يزال، أو يؤدى الى القول بالبداء، أى أن الأمر أنف وأن الله تعالى يبتدى تدبير الأشياء أولا فأولا ويستأنف علمها من جديد بعد أن لم يكن عالما بها، وكل ذلك محال على الله كما عرفت ، اذا كان الأمر كذلك وكان الدليلان القطعيان لا يتعارضان وجب أن تفسر الشفاعة بمعنى يصح نسبته الى الله تعالى ويجوز حمل النصوص الواردة عليه .

ذلك أن آيات الوعيد الواردة فى القرآن المجيد والسنة الشريفة تعتبر كقانون عام أرشد الله اليه عباده وأعلمهم به ، ليرجعوا اليه فى أحكامهم وأعمالهم فيرتدعوا عن منهياته ويمتثلوا أوامره ، وبذلك صار العباد يعلمون أن من اقترف الذنب استحق عليه العقوبة المقدرة له ، يستوى فى علم ذلك الملك والانس والجن ولكن الله الرؤوف الرحيم العليم الحكيم قد يعلم من بعض المذنبين ما لا يعلم غيره مما يستحق به أن يستثنى من تلك العقوبة وهو الفاعل المختار لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ، فيجعل من باب الحكمة وازدواج المصلحة أن يجعل مظهر تنفيذ إرادته الأزلية فى إعفاء من أراد من العقوبة المستحقة ، يجعل مظهر ذلك عن طريق شفاعة بعض أصفيائه حتى يكون فى ذلك تكريم للشفيع وتنويه بشأنه عند الناس ليحببه اليهم فيتبعوا طريقته ، وليدعوا الناس الى الاكثار من الاقتداء به فى أفعاله حتى يكونوا أيضا شفعاء عند الله ، وهذه حكمة جزيلة جليلة ؛ ومرجع الأمر كله الادارة الأزلية والعلم القديم الذى أحاط بما كان وبما سيكون ،

ستقول لى : « اذا كان الأمر كذلك فما فائدة الشفاعة ؟ فان من أراد الله خلاصه من العقوبة سيخلص منها شفع له أو لم يشفع ، ومن أراد عقابه فسيعاقب شفع له أولم يشفع ».
وأقول لك وما فائدة سؤالك هذا ؟ اذا كان الله أراد أن تعلم الجواب فستعلمه سألت أو لم تسأل ، وإن لم يكن أراد أن تعلم جوابه فلست بعالم به سألت أو لم تسأل ، ثم ما فائدة اغتذائك لدفع الجوع وشربك للرى ودفعك الصائل عليك وفرارك من النار والوحوش وهلم جرا ، هذه أشياء إن أراد الله أن تحرز ثمراتها وتحصل نتائجها حصلت على أى حال أخذت فى أسبابها أو لم تأخذ ، وإن لم يرد فليست بحاصلة ألبتة ؛ ومثل ذلك الصلاة فى الثواب والدعاء فى الاجابة وهلم جرا من أسباب شرعية أو عادية هى كلها متشابهة فى أن الله تعالى قد اقتضت حكمته أن يربط المسببات بالأسباب ، وأن يحكم نظام العالم إحكاما يجعله سلسلة واحدة آخذا بعضها بحجز بعض وهو محيط بكل شىء وخالق كل شىء وقادر على كل شىء ، يقدر أن يخلق المسبب بلا سببه ويفك عنه الارتباط الذى اختاره له ؛ فلو شاء لجعل من النار ريا ، ومن الماء احراقا ، فهو مالك الملك كله واليه يرجع كل شىء .

بهذا تعرف أن لنا مقامين لا يجوز أن يخلط أحدهما بالآخر : الأول ماسنه الله من قانون ونظام فى هذا العمل وربطه به وأرشدنا اليه ، إما بما وهبنا من عقل وإما بما هدانا اليه من شرع ، وهذا ما يجب علينا أن نترسمه فى أعمالنا ونسير عليه فى أحكامنا . والثانى مقام هيمنته على العالم ونفاذ تصرفه فيه وكمال اختياره وإن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وهذا نؤمن به إجمالا وتفصيلا كليا ، ولكننا لسنا مطالبين بتعرف ما شاءه وما لم يشأه قبل أن يبرزه لنا فى عالم الوجود .

وبعد فاذا تفهمت ما قررناه لك فى أمر الشفاعة وأنها كسائر الأسباب العادية التى تؤدى الى مسبباتها ، وأن السببية أما أن تعرف من العقل والتجارب والتأمل فى أسرار

الـكون، وأما أن تعرف من طريق الشرع والنقل كالطاعات وثوابها والمعاصى وعقابها، وأن كل ذلك لا يؤثر على إطلاق تصرف الفاعل المختار فى ملـكه وملـكوته ؛ أقول اذا تفهمت هذا سهل عليك حل الشبه التى تأتى من هذا القبيل كأمر التوسل الذى شرحه فضـيلة الأستاذ المربى المحقق الشيخ الدجوى فى إحدى مقالاته بهذه المجلة ، ومسألة الدعاء والاجابة التى كثيراً ما تلوكها الألسنة والله الموفق للصواب .

وورد سؤال من حضرة الأستاذ ابراهيم الشناوى المدرس بمدرسـة ديرب نجم الأميرية عن حكم من أنزل فى رمضان بتأثير المزاح والملاعبة دون جماع ثم أمسك بقية يومه . والجواب أنه يفطر ويلزمه القضاء دون الكفارة .

***

وورد السؤال عن حالة تحصل كثيرا فى بلاد الريف عند ما تشيع جنازة رجل مشهور بالصـلاح والتقوى ، فترى النعش يسرع تارة ويبطىء أخرى ، أو يجرى حينا ويقف حيناً ، أو يجثو حاملوه به ، أو يأخذ يمينا وشمالا وهكذا ؟ حميده محمد الوكيل
ناظرة مدرسة بنات كفر المصيلحة

والجواب أن هذه أمور لا أصل لها فى الدين، وإنما هى فى الغالب من عبث الحاملين للنعش ، وقد يكون من عبث واحد منهم، فيدفع الخشبة بقوة تضطر شركاءه فى الحمل الى السرعة أو يقف بها بقوة كذلك فيعطلهم عن السير ، يقصـد بذلك تقرير كرامة الميت وحمل الناس على الاعتقاد بولايته ، وليس مثل هذه الأعمال من باب الكرامات ولا لها صلة بها ، وإنما هى ناشئة عن أغراض للحاملين أو من عبث بعض الجهال فى مقام يجب فيه الاتعاظ والادكار ، وفى ظننا أنه ما حمل بعض المفكرين على التنديد بكرامات الأولياء والوصول الى حد يقرب من إنكارها بالكليه إلا مثل هذه الأعمال السفيهة المنافية للأدب الواجب فى كل حال وبالأخص فى حال يصدق فيها الكذوب ؛ نسأل الله التوفيق والهداية .

وورد سؤال من صاحب الامضاء عن الدعاء وهل ينفع الداعى ؟ وهل يوجد فى القرآن الكريم أو الحديث النبوى الشريف ما يدل على ذلك ؟ وأضاف السائل الى سؤاله مثالا حمله ما لا سبيل لنا الى علمه ، فقال مثلا : اذا كنت مسافراً وتهت فى صحراء لا خلاص لى فيها وقد قدر لى عدم الخلاص منها ، فهل مع استمرار الدعاء والتضرع يتغير ما قد يكون كتب لى من سوء وأخلص بالنجاة ؟

عبد العزيز توفيق عبد السلام
طالب بمدرسة الاقباط بالخرطوم

والجواب أن الدعاء ينفع الداعى وقد قال تعالى : (ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ) . ومثله مثل العبادة التى أمر الله بها ورتب عليها ثوابها ، بل مثله مثل الأسباب العادية التى هدانا الله الى استعمالها لتحصل مسبباتها والتى جرت عادة الله بترتيبها عليها وإجابة الدعاء فى تفريج الهم والتخليص من الضيق الذى لا يجد صاحبُه مخلصا قد وردت فى السنة الشريفة الصحيحة ، فقد روى الشيخان «أن ثلاثة نفر انطلقوا فآووا الى غار، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم باب الغار، فقالوا: لا ينجيكم إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم ، فذكر أحدهم أنه كان له أبوان شيخان كبيران وكان يرعى عليهما ولا يغبق قبلهما أهلا ولا مالا ـ والغبوق شرب المساء ـ فنأى به طلب الشجر يوما فجاءهما باللبن عند ما ناما فكره أن يوقظهما وكره أن يسقى أحداً قبلهما فما زال ينتظر استيقاظهما والقدح على يده والصبية يتضاغون ـ أى يضجون ويصيحون من الجوع ـ حتى برق الفجر وقال اللهم ان كنت تعلم انى فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة حتى رأو الضوء ؛ وذكر الثانى أنه كانت له ابنة عم هى أحب الناس اليه فأرادها على نفسها فامتنعت حتى ألمت بها سنة فجاءته فأعطاها مائة وعشرين ديناراً على أن تخلى بينه وبين نفسها ففعلت فلما قدر عليها قالت له اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فتحرج من الوقوع

عليها وخاف مقام ربه وترك لها الذهب ثم قال اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا مانحن فيه فانفرجت الصخرة ولكنهم لا يستطيعون الخروج ؛ وذكر الثالث أنه استأجر أجراء فأعطاهم أجرهم إلا واحداً ترك أجره وذهب فثمره له حتى كثرت منه الأموال فجاءه بعد حين يطلب أجره فقال له كل ما ترى من هذه الابل والبقر والغنم والرقيق فهو أجرك فظنه يستهزئ به فقال إنى أصدقك فاستاق الجميع وذهب به ثم قال اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون .

فترى من هذه القصة كيف استحكم الضيق والكرب وكيف انفرج بالدعاء ، أما قول السائل فى سؤاله (وقد قدر لى فيها عدم الخلاص منها) فان كان يريد ما فى علم الله فهذا أمر لا اطلاع لأحد عليه وقد استأثر الله به ولم يطالب منا البحث عنه ، وإنما كلفنا بأن نقوم بما أمرنا به وننظر ما وعدنا الله به . وأما الكلمة التى يلوكها الكثير من الناس وهى إن قدرت لى السلامة نلتها دعوت أو لم أدع وإن قدر على العطب لحقنى دعوت أو لم أدع ، فهى كلمة واهية لو صحت لصحت فى كل شيء وفى كل سبب شرعى أو عادى فانها تجرى فى العبادات وفى العادات كما ذكرنا ذلك فى جواب سؤال الشفاعة ، فتقول إن قدرت لى النجاة من النار نجوت سواء أطعت الله أم عصيته ، وإن قدر على العذاب ذقته سواء أكنت من الطائعين أم من العاصين ؛ ويقول من تدعوه لتناول طعامه الذى يمسك حياته ؛ أو للاحتراز من الهلاك المحقق كتغريق نفسه أو تحريقها ؛ سيقول لك إن قدر لى طول العمر فى علم الله أدركته ، وإن قدر على الموت أدركنى وهكذا . وجوابه ما أجاب به المصطفى صلى الله عليه وسلم من سأله وقد قال «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة ، فقالوا أفلا نتكل على كتابنا أو ففيم العمل ، فقال صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له» أما من كان من أهل السعادة

فسيصير الى عمل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فسيصير الى عمل الشقاء، ثم قرأ: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ) الآية.

والحاصل أن الله جلت قدرته هو الخالق لجميع الكائنات، وقد علم من الأزل ما كان وما سيكون الى يوم القيامة؛ ومع علمه بذلك وخلقه لكل شىء فقد أحكم نظام كونه فربط أشياء بعضها ببعض لحكمة أرادها، فرتب أشياء على أشياء؛ ولو شاء لجعل الأمر فرطا لا نظام له ولا ارتباط، وجعل من الأشياء ما يخلقه عقب توجه نفوسنا وتعلق قدرتنا التى منحنا إياها، فلما ربطها بتوجه نفوسنا وتعلق قدرنا صح أن تنسب تلك الأفعال إلينا وتكون اختيارية لنا ويترتب عليها ثوابنا وعقابنا أو مدحنا وذمنا أو مؤاخذتنا على الضار وشكرنا على النافع، ويكفى فى هذا اطراد هذا الربط فلا توجد تلك الأفعال بغير اختيارنا ولا تتخلف عن تعلق قدرتنا وإرادتنا حتى أن ما تخلف منها أو وجد عن غير طريقها شعرنا شعوراً ضرورياً بخروجه عن دائرة الأفعال الاختيارية، فتبحث النفس عن انتسابه اليها ضاراً كان أو نافعاً، محمودا كان أو مذموماً. ذلك أمر مستقر فى فطر الناس وسجايا النفوس ومدارك أبسط العقول حتى الصبيان؛ فترى الطفل الساذج تهم بمؤاخذته وضربه لكسره آنية فيقول لك: (انكسرت غصباً عنى) أليس معنى هذا أنه يشعر شعوراً لا يعتريه شك أن له أفعالا اضطرارية وأفعالا اختيارية وأنه مؤاخذ بالثانية دون الأولى، وقد يقول لك: (تبت لا أعود بعدها) ومعنى ذلك فى نظره أنه يستحق العقوبة ولكنه يلتمس منك الصفح منحة ويؤكد لك ألا يعود، فانه يشعر بأنك تضربه كيلا يعود لا استردادا للمفقود؛ ثم دع هذين واستمع الى الكلمة التى يقولها مجرم يحاول التخلص وهو واثق بأنه مغالط واهى الحجة لا يستحق الرحمة ولا يرجوها وإنما يطمع فيها أوهى الطمع حيث يقول لك (أمر الله مقدر على) فانها كلمة تلفظها شفتاه وأنت تقرأ ما فى نفسه واذا هو (كلا إنها كلمة هو قائلها) نعم هو عالم بما فى نفسه ويكاد يقصه عليك بلسانه ولا حاجة بك أن تسمعه من لسانه فكل جوارحه تحدثك بأنه ما فعل

ذلك إجابة لما فى علم الله ؛ فما كان الله ولا علمه له على بال وقت اقترافه جريمته ، ولو ذكر الله خاليا لفاضت عيناه « ولا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » أى أنه لا يلاحظ معنى إيمانه ولا يذكر علم ربه وقدرته وإلا لأقلع حياء إن لم يقلع خوفاً ، فعلم الله قد اختص به ولا دخل لنا فيه ولا شعور لنا بما علمه ولا بما أراده وقت تحصيل الأعمال ، وإنما نعمل إجابة لداعى نفوسنا ولا نعلم أن هذا أمر أراده الله إلا بعد حصوله بالفعل ، فكيف تكون العلة فى ارتكابنا له أنه أمر أراده الله وهل تتأخر العلة عن معلولها .

نعم هو أمر أراده الله ولكنه أراد أن تفعله إجابة لداعى نفسك لا أنك تقصد به تحقيق ما فى علم الله الذى لا اطلاع لك عليه ، فلما أجبته لداعية نفسك استحققت أثره وثمرته حتى فى نظر نفسك إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وما ربك بظلام للعبيد .

وقد يرى أننا أطلنا القول فى جواب هذا السؤال واستطردنا منه الى مسائل أخرى ، والذى أوجب هذا هو ما نراه من حكم هذه الشبهة على كثير من الأفكار وترددها على ألسنة عدد عديد من عامة وخاصة ثم اتصال هذه المسائل بعضها ببعض ، فأردنا أن يكون كشف النقاب عنها دفعة واحدة عسى الله أن يهدى بهذا البيان ويشرح له صدور قوم مؤمنين .

وأما الدعاء فهو أمر تنساق له النفوس وترجو منه الخير بفطرتها خصوصا عند الشدائد كما قال تعالى : (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ) ؟

ابراهيم الجبالى
مدرس بقسم التخصص بالازهر

صنع الصور واقتناؤها

وورد إدارة المجلة الأسئلة الآتية :ــ

س : ما حكم الشرع الشريف فى التصوير الفوتوغرافى ، وهل الصور الفوتوغرافية تمنع دخول الملائكة فى المحل الذى توجد فيه ؟

وما حكم الشرع الشريف فى إقامة تماثيل العظماء ، هل يجوزها أو يحرمها ؟

عبد المجيد رضوان
تاجر بوادى حلفا

س : هل يحرم التصوير الشمسى (الفوتوغرافى) ؟ واذا كان ؛ هل الحرمة مطلقة أم هناك تفصيل ؟

محمد على حسن طرباس
بالقسم العالى بالازهر الشريف

س : هل يجوز حمل الصور والتماثيل ، والنظر اليها ؛ واقتناؤها فى المكاتب والبيوت ؟ واذا كان ذلك حراما فما حكمة التحريم ؟

وهل هناك فرق فى التحريم بين التصوير الشمسى والرسم باليد (النصفى والكامل) وصنع التماثيل (النصفية والكاملة) ؟

وهل تصوير ما فيه روح وما لا روح فيه سواء ، وما رأى « نور الاسلام » فى إقامة تماثيل لعظماء الرجال بالميادين الفسيحة والمتنزهات الكبيرة ؟

صالح محمد حسين عماشة
مأذون الشرع الشريف بميت عزب دقهلية

س : هل يجوز التصوير الشمسى ؟

محمد عادل الأزهرى

الجواب : — يذكر فريق من أهل العلم حكم الصور وما جرى فيها من خلاف ؛ غير فارقين بين صنعها واقتنائها ، ويرى فريق منهم أن فى الصور التى يحرم صنعها ما لا يحرم اقتناؤه ؛ وطريقة هذا الفريق تدعونا الى أن نبحث عن صنع الصور ثم نبحث عن اتخاذها واقتنائها والله ولى التوفيق .

التصوير :

ورد فى التصوير أحاديث صحيحة ، منها حديث : « إن أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة المصورون [١] » . وحديث : « أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق [١] الله » . ولما كان ظاهر هذين الحديثين يجعل المصور فى أشد العذاب الذى هو جزاء الكافرين ، وأصول الشريعة تقتضى أن عقوبة فعل المحرم لا تبلغ أشد العذاب . حمل بعض أهل العلم الحديث الأول على من يصور ما يعبد من دون الله ، وحملوا الحديث الثانى على من يصور قاصدا أن يضاهى خلق الله ، ومن يصنع الصور قاصدا لأن تعبد من دون الله ، أو يصنعها قاصدا التشبه فى فعله بخلق الله فقد جاء بما لا يفعله إلا جاحد فيستحق أن يكون من أشد الناس عذابا يوم القيامة .

ومقتضى فهم الحديثين على هذا الوجه يخرج من وعيدهما من يصور ما لا يعبد ومن يصور غير قاصد المضاهاة بخلق الله .

ووردت أحاديث فى وعيد المصورين بالعذاب دون أن تجعلهم فى أشد مراتبه كحديث : « إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم أحيوا ما خلقتم [١] » . وحديث : « من صور صورة كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ [١] » .

جاءت هذه الأحاديث وهى تدل بظاهرها على حرمة التصوير بوجه عام ، ولكن العلماء اختلفوا فى حكم تصوير الحيوان والانسان على حسب اختلاف أنظارهم فى فهم

---

(١) صحيح الامام البخارى

هـذه الأحاديث والتفقه فى علة النهى واختيار طريق الجمع بين ما يظهر فى بعضها من تعارض، فذهب فريق الى المنع من صنعها باطلاق، وقالوا: تصوير الحيوان حرام بكل حال، وسواء كان فى ثوب أو بساط أو دينار أو درهم أو فلس أو إناء أو حائط، وسواء فى هذا كله ما له ظل وما لا ظل له.

واستثنى بعض أهل العلم من منع تصوير ما له ظل الصور التى تصنع للعب البنات لما ورد فيها من الرخصة. ذكر هذا القرطبى فى تفسيره؛ ونقل الماوردى فى الأحكام السلطانية أن أبا سعيد الاصطخرى من أصحاب الامام الشافعى تقلد حسبة بغداد فى أيام المقتدر، وأقر سوق اللُّعب ولم يمنع منها، وقال: قد كانت عائشة رضى الله عنها تلعب بالبنات بمشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينكره عليها [1]، ثم قال: وليس ما ذكره من اللُّعب ببعيد من الاجتهاد.

وأجاز بعض أهل العلم كأصبغ بن الفرج المالكى صنع الصور مما لا يبقى طويلا كالعجين، ومن هذا ما يصنع فى شكل الحيوان من الحلوى؛ قال القرطبى فى تفسير قوله تعالى: (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل): قد استثنى من هذا الباب لُعب البنات وما يصنع من الحلوى أو العجين، ووجه نظر هؤلاء أن صورة ما يعظم ويعبد من دون الله ليس من شأنها أن تصنع مما لا يبقى زمنا طويلا.

وقيد آخرون منع الصور المجسمة بتام الأعضاء الظاهرة، أما اذا كانت الصورة ناقصة عضواً لو قطع من الحيوان فقد معه الحياة كالرأس والبطن، فصنعها غير محرم عند هؤلاء؛ ووجه هذا القيد أن الحديث يقول فى وعيد المصورين: « ويقال لهم أحيوا ما خلقتم». ومقتضاه أن تكون الصورة تامة الأعضاء التى لا حياة لها بدونها ولا ينقصها إلا نفخ الروح الذى يكون به الأحياء.

---

(١) فى صحيح الامام البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت كنت ألعب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لى صواحب يلعبن معى.

ورأى بعض الفقهاء — فيما حكاه أبو محمد الجوينى — جواز نسج الصور فى الثوب وأفتى آخرون بأباحة التصوير على الأرض ونحوها ؛ وقال الخطابى : الذى يصور أشكال الحيوان (أى يصنع صورتها دون أن يكون لها ظل) أرجو أن لا يكون داخلا فى هذا الوعيد . ومما يصح أن يكون مستندا لهؤلاء أن النبى صلى الله عليه وسلم لما أخبر أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة قال : « إلا رقما فى ثوب » . وهذا الاستثناء وإن ورد فى سياق النهى عن اتخاذ الصور فهو يؤذن بأن رقم الصور فى الثوب غير داخل فيما حرم من التصوير .

وذهب بعض الناس فى الشذوذ الى مكان بعيد فأجازوا تصوير ما له ظل باطلاق ، حكى هذا القول بعض المفسرين عند قوله تعالى : (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل) . قال ابن عطية : وذلك خطأ ، ولا أعلم من أئمة العلم من يجوزه ولا حجة لهم فى هذه الآية على جواز تصوير ما له ظل ، ولو سلمنا أن هذه التماثيل التى كانت تعمل لسليمان عليه السلام من قبيل الصور ذات الأجسام التامة الأعضاء ، فان الآية حديث عما يعمله الجن لسليمان عليه السلام ، وشرع من قبلنا ليس شرعا لنا عند كثير من أهل العلم حتى يقوم الدليل على مشروعيته .

ومن يذهب الى أن شرع من قبلنا شرع لنا ، يضع لذلك شرطا هو أن لا يرد فى الكتاب أو السنة ما يخالفه ؛ وقد ورد فى السنة الصحيحة أحاديث صريحة فى تحريم الصور وليس وراء الصور ذوات الأجسام ما يصح أن يكون مناط التحريم فى هذه الأحاديث .

ويبقى النظر بعد هذا فى أخذ الصور بالآلة المصورة (الفوتوغرافية) هل يجرى فى حكمه على ما يرقم فى الثوب أو يرسم على الأرض أو الورق من أشكال الحيوان فيكون من مواضع الخلاف السابق ؛ حراما عند قوم ،جائزا أو مكروها عند آخرين ؟ ؟ أو أن

لأخذ الصورة بالآلة المصورة نظرا آخر يستدعى من الحكم غير ما يستدعيه التصوير باليد مباشرة فيكون جائزا ولو عند من يقول بحرمة تصوير أشكال الحيوان .

من الواضح أن المصور بنحو الرقم أو النقش ، والمصور بالآلة المصورة يفترقان فى وسيلة حصول الصورة ؛ فالأول يمسك القلم أو الريشة بيده ويأخذ فى صنع الصورة جزءا فجزءا حتى يستوفى أجزاءها ويخرجها فى شكل ذى روح ، فهو صانع الصورة بيده ، وهذا ما يمكن أن يقترن بعلة مضاهاة الخالق أعنى العلة الواردة فى الحديث

أما حصول الصورة باستعمال الآلة المصورة فطريقه أن صاحب الآلة يضع رق التصوير فى مزيج من أملاح الفضة و (يودور) الفضة ومادة أخرى لزجة ، بمقدار مناسب ، ثم يعرض رق التصوير (الفلم) للضوء فتنطبع فيه صورة ما يراد أخذ صورته بوسيلة دخول الضوء من عدسة الآلة ووقوعه على الرق (الفلم) ويعالج بعد هذا بمحلول (هيبو سلفات السوده) فتظهر الصورة بعد أن كانت خافية ، وبعد ظهورها تعالج بحمض خاص لتصير ثابتة ، غير أن أجزاء الجسم المستنيرة تظهر فى الصورة سوداء ، وأجزاؤه القاتمة تظهر بيضاء ، وهذه هى الصورة المسماه عندهم بالصورة السالبة ؛ والذى يصنعه المصور بعد هذا حتى تخرج الصورة موافقة لما فى الواقع ، هو أن يلصق الصورة السالبة بورقة من الورق الحساس ويعرضها للضوء فتنطبع الصورة فى الورقة عائدا كل لون منها الى أصله من بياض أو سواد ، وتلك هى المسماه عندهم الصورة الموجبة .

فهذه الوسيلة لأخذ الصورة لم تكن معروفة لعهد الوحى فى تصوير ما ليس له ظل فمن يذهب الى إباحة رقم الصور فى الثوب يجيز التصوير بهذه الآلة من غير تردد إذ لا تزيد على الرقم فى الثوب والنقش على الورق بشئ يقتضى منعها .

ومن منع من تصوير ما ليس له ظل ، قد يرى أن المنع مقصور على التصوير بالطريقة المعروفة لعهد الوحى لأن التصوير إيجاد الصورة ، وهذا المعنى ظاهر فيمن صنع

أجزاء الصور بيده ، أما الصور الحادثة بالآلة المصورة فرجعها الى ما أوجده الخالق تعالى فى تلك المواد من خواص ، ثم دخول الضوء من العدسة ، وانطباع الصورة على الرق (الفلم) أو الزجاجة ، ثم انطباعها على الورق الحساس ؛ فليس من البعيد أن يكون لهذا الفرق أثر فى أن يكون الجواز فى التصوير الشمسى أظهر منه فى رقم أشكال الحيوان باليد مباشرة ، وهذا ما أفتى به حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية سابقا .

علة تحريم التصوير :

بعث النبى صلى الله عليه وسلم والناس ينصبون تماثيل يسمونها آلهة ويعبدونها من دون الله بزعم أنها تقربهم الى الله زلفى ، فجاء الاسلام منكرا لصنيعهم هذا أشد الانكار ، ومعبرا عن سفه عقولهم بأبلغ بيان ؛ ومن المناهج التى تسلكها الشريعة الحكيمة لظهور الرشد على الغى ، أن تجيء الى ما شأنه أن يكون وسيلة الى ضلالة ولا منفعة فيه البته ، أو تكون منفعته أقل من إثم ما يتوسل به اليه من ضلال ، فتمنع من إتيانه ، وهذه الطريقة تقتضى النهى عن التصوير الذى هو أحد الوسائل الى عبادة غير الواحد الخلاق ؛ وقد قرر بعض العلماء المنع من التصوير هذه العلة وهى كونه ذريعة للغلو فى تعظيم غير الله ؛ قال القاضى أبو بكر بن العربى « والذى أوجب النهى عن التصوير فى شرعنا — والله أعلم — ما كانت العرب عليه من عبادة الأوثان والأصنام ، فكانوا يصورون ويعبدون ، فقطع الله الذريعة وحمى الباب » .

واذا قيل : إن علة المنع من التصوير — فيما يظهر فى الأحاديث — هي التشبه بخلق الله ، يؤخذ هذا من قوله صلى الله عليه وسلم : « إن أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله » . فقد نبه على أن علة عذابهم الأشد تشبههم بخلق الله الى صنعهم شيئا يتشبهون فيه بالخالق ، ودل على هذا الوجه أيضا حديث : « ويقال لهم أحيوا

ما خلقتم » . فقوله : (أحيوا ما خلقتم) مشعر بأن علة الانكار هي التشبه بالخالق .

اذا قيل هذا قلنا : هذه العلة المشار اليها فى الحديث لا تمنع من أن يكون للمنع من التصوير علة أخرى هى كونه وسيلة لعبادة ما ليس بإله ، فيكون للمنع من التصوير علتان : إحداهما تجعله مفسدة فى نفسه وهى التشبه بمبدع الخليقة ، والأخرى كونه وسيلة الى ما فيه أكبر مفسدة أعنى الغلو فى تعظيم غير الله ؛ قال القاضى أبو بكر ابن العربى بعد — أن ذكر علة سد الذريعة الى عبادة الأصنام — : فان قيل : فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من صور صورة عذبه الله بها حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ » وفى رواية (يتشبهون بخلق الله) فعلل بغير ما زعمتم ، قلنا نهى عن الصورة وذكر علة التشبه بخلق الله ، وفيها زيادة على هذا عبادتها من دون الله ، فنبه على أن نفس عملها معصية ، فما ظنك بعبادتها .

وهذا النظر يقتضى أن النهى عن التصوير قائم على هاتين العلتين ؛ ولو كانت العلة سد الذريعة وحده ، لكان لأنظار الفقهاء فى حال انقطاع الناس عن اتخاذ الصور آلهة مجال ، ولكن علة المضاهاة بخلق الله تجعل المنع باقيا ، حيث لم تقيد المضاهاة فى الحديث بالقصد اليها ، وقد عرفت أن العلماء الذين يذهبون الى إباحة صنع بعض الصور ، مثل ما ليس له ظل ، أو كان مجسما غير تام الأعضاء أو ما دعت اليه مصلحة التدريب على إدارة المنزل ، يستندون فيما أفتوا به الى أحاديث تجعل النهى مقصورا على غير ما أفتوا بإباحته .

هل يجوز التصوير لمصالح تقتضيه ؟ :

نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن التصوير صرفا للناس عن حال التشبه بالخالق ، وأذن بلعب البنات لمصلحة التمرين على إدارة المنزل ، فدل على أن مصلحة هذا التمرين ترجح على مفسدة التصوير ، فهل للفقهاء اذا عرفوا فى تصوير شىء من الأشياء مصلحة جلية ، أن يفتوا بإباحته على قدر ما تدعو اليه الحاجة ؟

لم نجد فى كتب الفقه ما يشعر بصحة هذا التصرف إلا كلمة قالها الماوردى فى الأحكام السلطانية عند الحديث عن لعب البنات، ونصه : «وأما اللعب فليس يقصد بها المعاصى وإنما يقصد بها إلف البنات لتربية الأولاد، وفيها وجه من وجوه التدبير تقارنه معصية بتصوير ذوات الأرواح ومشابهة الأصنام؛ فللتمكين منها وجه، وللمنع منها وجه، وبحسب ما تقتضيه شواهد الأحوال يكون إنكاره وإقراره» .

واذا أراد الماوردى من شواهد الأحوال، الأحوال التى نص فيها الشارع على منع التصوير أو إباحته، لم يبق بأيدينا نص من الفقهاء فى إباحة التصوير عند ما يكون له — فيما يظهر — فائدة .

ومن المواضع التى ينتفع فيها بالتصوير لهذا العهد أن يوجد قتيل فى خلاء ولا يعرف من أى قبيل هو، فتؤخذ صورته لتعرض فى الصحف لعل أهله يطلعون عليها، ويترتب على درايتهم بقتله نحو الارث وتنفيذ الوصايا، وفى حضور أهله معونة على تحقيق البحث فى الجناية .

ويشبه هذا أن يوجد صبى ضائعا فتؤخذ صورته لتعرض فى الصحف؛ حتى اذا رآها وليه جاء فتسلمه؛ ومن هذا القبيل وضع صورة من مرد على الجنايات، فى الصحف أو فى المجتمعات العامة ليحذره الناس فيسلموا من أذيته، ويضاهى هذا رسم أشكال الحيوان فى كتب علم الحيوان؛ إذ يتوقف عليه الرسوخ فى ذلك العلم .

فهذه الأحوال ونحوها مما يظهر فيه وجه الانتفاع بالتصوير، يصح أن يؤخذ فيها بمذهب من يبيح تصوير ما ليس له ظل، مرفوعا كان أو ممتهنا، ناقص بعض الأعضاء أو تامها .

اتخاذ الصور :

الصور على نوعين : (١) ما ليس له ظل كالمرقوم فى ثوب أو المرسوم فى ورق .

(٢) وما له ظل وهو ما كان ذا جسم قائم بنفسه ، أما ما ليس له ظل ففيه أربعة مذاهب :

(أحدها) المنع من اتخاذه باطلاق وقوفا مع ظاهر الأحاديث الواردة فى الوعيد أو النهى غير مصحوبة بقيد .

(ثانيها) منع ما تكون فيه الصورة متصلة الهيأة تامة الشكل ، وإباحة اتخاذ ما كان غير تام الشكل وما تفرقت أجزاؤه بعد أن كانت ملتئمة ، وهذا ما اختاره القاضى أبو بكر بن العربى ورجحه ابن عبد البر ، وهذا المذهب نشأ بالجمع بين حديثين فى ظاهرهما تعارض ، وهما حديث هتك النبى صلى الله عليه وسلم للستر الذى كان فيه تماثيل ، وجعل عائشة رضى الله عنها منه وسادتين ؛ وحديث قيامه عليه الصلاة والسلام بباب الحجرة إذ رأى نمرقة فيها تصاوير حتى قال منكرا ذلك : (ما هذه النمرقة) ؟ فقالت له عائشة : لتجلس عليها وتوسدها ، فلم يقر ذلك ، بل قال : « إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم » . فالحديث الأول يدل على أن الصورة المنسوجة فى نحو الوسادة جائزة ، والحديث الثانى يدل على أنها ممنوعة ومتى قلنا : إن الصورة فى الحديث الأول — عندما جعل الستر وسادة — لم تبق تامة الشكل بل تفرقت أجزاؤها ، فكانت جائزة ، والصورة فى الحديث الثانى كانت تامة الهيأة فأنكرها عليه الصلاة والسلام ، زالت شبهة التعارض بين الحديثين .

(ثالثها) منع ما يكون معلقا أو مرفوعا ، وإباحة ما يكون مفروشا أو ممتهنا بالاستعمال كالصور المرقومة فى وسائد أو زرابى ، وهذا هو الذى رواه المزنى عن الامام الشافعى ورجحه النووى وقال : هو مذهب الجمهور من الصحابة والتابعين ، والفرق بين المعلق والمفروش أن ما يوطأ ممتهن ومبتذل ، والمرفوع يشبه مانصب من الأصنام ، والصور الممتهنة يرجح الامام النووى جواز استعمالها ، ويجزم مع هذا بحرمة صنعها

(رابعها) الجواز باطلاق ، وهو ما نقله ابن أبى شيبة عن القاسم بن محمد أحد فقهاء المدينة السبعة ، ولفظه : (عن أبى عون قال : دخلت على القاسم وهو بأعلى مكة فى بيته فرأيت فى بيته حجلة فيها تصاوير القندس [1] والعنقاء) .

وهذا المذهب يستند الى حديث بسر بن سعيد عن زيد بن خالد عن أبى طلحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه الصورة » . قال بسر : ثم اشتكى زيد فعدناه فاذا على بابه ستر فيه صورة ، فقلت لعبيد الله ربيب ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : ألم يخبرنا زيد عن الصور يوم الأول ؟ فقال عبيد الله : ألم تسمعه حين قال : (إلا رقما فى ثوب) ؟ وفى كتاب الموطأ : (أن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود دخل على أبى طلحة الأنصارى يعوده ، فوجد عنده سهل بن حنيف ، فدعا أبو طلحة إنسانا فنزع نمطا من تحته ؛ فقال سهل بن حنيف لم تنزعه ؟ قال : لأن فيه تصاوير ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد علمت ، فقال سهل : ألم يقل رسول الله عليه وسلم (إلا رقما فى ثوب) ؟ قال : بلى ولكنه أطيب لنفسى . وعلى هذا المذهب جرى المتأخرون من فقهاء المالكية غير أنهم عبروا بالكراهة وخلاف الأولى ؛ قال الشيخ خليل فى كتاب التوضيح : التمثال إن كان لغير حيوان جاز ، وإن كان لحيوان ويقيم (أى يبقى طويلا) فهو حرام باجماع ، وكذا إن لم يقم خلافا لأصبغ ، وما ليس له ظل إن كان غير ممتهن فهو مكروه ، وإن كان ممتهنا فتركه أولى.

ومن أهل العلم من يرى أن النهى عن اتخاذ الصور قد جاء فى أول الاسلام عاما ليقطع الوسيلة الى عبادة الاصنام ، وبعد أن تقرر هذا الحكم وعرف الناس شدة مقت الشارع للتغالى فى تعظيم غير الله الى حد العبادة ، أذن فى اتخاذ ما كان رقما فى ثوب ، فيكون حديث (إلا رقما فى ثوب) مرخصا فى بعض ماحرم فى أول الأمر من التصاوير

---

(١) كلب الماء .

وأماما له ظل قائم وكان تام الأعضاء مصنوعا ممايبقى زمناطويلا ولم تدع اليه مصلحة التدريب على تدبير المنزل فيحرم اتخاذه بلا خلاف ، والرأى الشاذ الذى حكاه بعض المفسرين فى جواز صنعه، ومقتضاه جواز اقتنائه، لايستند الى أصل معقول أو وجه يتلقاه النظر بالقبول

فان كان ناقص بعض الأعضاء الظاهرة كالرأس أوالبطن فذلك مايفتى المتأخرون من فقهاء المالكية بإباحته ، وإن كان مصنوعا مما لايبقى زمنا طويلا فهو مايقول أصبغ بجواز اتخاده ، وإن دعت اليه حاجة التدريب على إدارة شؤون المنزل فهو جائز عند بعض الفقهاء؛ مستندا الى ما قدمناه لك من حديث عائشة رضى الله عنها فى اتخاذها صور بنات تلعب بهن على مرأى من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير إنكار .

وبهذا التفصيل يعلم حكم إقامة تماثيل للعظماء ؟

محمد الخضر حسين

كتاب المبسوط

أهدى حضرة الفاضل الحاج محمد افندى الساسى المغربى لمكتبة « نور الاسلام » نسخة من كتاب المبسوط ، وهو كتاب جليل ومرجع عظيم من مراجع الفقه الحنفى للامام شمس الدين أبى بكر محمد بن أبى سهل السرخسى؛ أملاه وهو فى الحبس بأوزجند ، وقد شرح به مختصر الحاكم الشهيد أبى الفضل المروزى المأخوذ من تصنيف الامام محمد ابن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة رحمهما الله وقد اكتفى السرخسى بذكر ما هو المعتمد فى كل باب بعبارة سهلة محكمة .

والكتاب ثلاثون جزءا وقد طبعه حضرة المهدى سنة ١٣٤٢هـ طبعة متقنة على ورق جيد ، فنشكره على هديته ونحث أهل العلم على اقتنائه ، وهو يطلب من مكتبة ملتزم طبعه ومهديه فى سوق الفحامين .

أثر الثقافة الاسلامية

فى تطور النهضة الفكرية

لمحة من التاريخ

— ٢ —

تحدثنا فى المقال الأول عن أنواع من الثقافة الاسلامية — فى مرحلتها الأولى — أفاضها القرآن الكريم على أبناء الاسلام فدفعتهم الى باحات العلوم والمعارف دفعا غيّر وجه التاريخ وأثمر عقولا تنقضى الأجيال تلو الأجيال ولا تجود الدنيا بمثلهم، وذلك سر الفرق بين تعاليم الوحى الالهى — الذى نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم عند بلوغ الانسانية حد النضوج الفكرى واستعدادها لقبول تشريع سماوى خاتم يفى بحاجاتها الروحية والمدنية على ممر الأزمان — وبين تعاليم يستقل العقل البشرى بوضعها، فلا تعدو مهما ارتقت فى البحث والتمحيص دائرة الفرض والتخمين على ما فى العقول من تفاوت بالضعف والقوة واختلاف فى التفكير.

والآن نأخذ فى الحديث عن نوع آخر من الثقافة الاسلامية — فى مرحلتها الثانية — حتى يشهد المثقفون من إخوتنا أن الثقافة الاسلامية لم تقف عند حد النهوض بالأمة الاسلامية فى عصورها الزاهرة، بل كان لها أعظم الأثر فى اتجاه الفكر الحديث، ويعلموا أن هذه الشريعة المطهرة تمتلك ثروة خالدة من الثقافة الفكرية والنهضة العلمية، لا نعلم شريعة من الشرائع جاءت بمثل حظها منها، ولذا كانت المعجزة العلمية — وهى القرآن الحكيم — أفضل معجزات نبينا صلوات الله وسلامه عليه على كثرتها ووضوحها، ولعل هذا مما يدخل فى ثنايا قول النبى صلى الله عليه وسلم فيما

رواه الصحيحان : (ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتى من الآيات ما آمن على مثله البشر ؛ وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلىّ فأرجو أن أكون أكثر تابعا يوم القيامة) . ولئن كان فريق من الناس يحاول ستر محاسن الشريعة الاسلامية — وماهو ببالغه — فانما ذلك لسوء طوية وتباعد عن تفهم أسرار الكمال فى هذا الدين القيم الذى قال عنه الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام : (إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه) .

المرحلة الثانية

ظهور الفلسفة وأطوارها :

كان فتح مدرسة « دار الحكمة » التى أسسها أبو جعفر المنصور فى مدينة بغداد عاصمة الملك الجديدة لدرس الفلسفة بدءا للمرحلة الثانية للثقافة الاسلامية ، فقد دعا اليها العلماء والفلاسفة والأطباء من سائر الأقطار ومختلف الملل ، ووطأ للعلماء أسباب البحث العلمى ، وهيأ للفلاسفة وسائل الترجمة والنقل عن علوم الأوائل ؛ فتقدم فلاسفة جنديسابور ، وحوران ، وأنطاكية ، من اليعاقبة والنساطرة والسريان والعبريين ، وعربوا ما استطاعوا من حكمة الهند وفلسفة اليونان وعلوم الفرس مما جعل « دار السلام » الزاهية محط رحال العلماء والفلاسفة ؛ واذا حدثنا التاريخ عن المكانة الرفيعة التى نالها آل « بختيشوع »[1] أو عن المنزلة التى حظى بها أبناء « ماسويه »[2] وسواهم من فلاسفة النصارى وأطباء اليهود الذين خدموا الملوك والخلفاء وتبوؤا لديهم مقاما

---

(١) أشهرهم (بختيشوع بن جورجيس) وأبوه وابنه (جبرائيل) وحفيده (بختيشوع بن جبرائيل) وهو اجلهم منزلة حتى أنه كان يبارى الخلفاء فى مظهره وكلهم خدموا الخلفاء العباسيين

(٢) ماسويه كان لايقرأ ولا يكتب وإنما عرف الأمراض وعلاجها بالدربة والمباشرة وابنه (ميخائيل) كان طبيباً ماهراً خدم المأمون مدة من حياته : وأما أخوه (يوحنا بن ماسويه) وكان أحذق منه وأرسخ قدما وأعظم مكانة عند الامراء . ولاه (الرشيد) ترجمة الكتب القديمة الطبية وكان ملوك الهاشميين لايتناولون شيئا من أطعمتهم إلا بحضرته.

لم يحلم به العلماء والفلاسفة فى غير كنف المسلمين ، فانما ذلك أثر التربية النفسية الفاضلة والسماحة الاسلامية التى استقاها المسلمون من تعاليم القرآن الحكيم وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، فأين هذا الاجلال والتعظيم بله التسامح السامى مما سود وجه صحيفة المدنية الغربية فى واقعة « سان برتلمى » [1] ، تلك الواقعة التى ذهب ضحيتها زمرة من علمائهم ومفكريهم ؟؟ فهل يذكرون مصرع « غاليليه » و « باتريزى » و « كامبانيلا » وغيرهم كيف كان ؟؟ وبأى جزاء جازتهم أممهم على أبحاثهم العلمية ؟؟ إنهم قدموا إلى النيران أحياء لأنهم فكروا وحرروا العلم من رق الكنيسة وطقوسها .

أجل : هو الاسلام الناهض يقود أهله الى حظيرة تقديس العلم والعلماء ، أو لست تراه قد صعد بأمته الى أوج العزة فأجاسها على عرش العظمة التى دانت لها الممالك طرا يوم أن كانوا بهديه مهتدين ، ثم ذا هو تركهم فى أيدى الأمم نهبا مقسما وغنما بلا غرم لأنهم نبذوا تعاليمه وراءهم ظهريا واستنوا سننا ما أنزل الله بها من سلطان ؟؟

اذا حاول الباحث أن يتعرف حقيقة الثقافة الاسلامية فى العهد العباسى وما تلاه وجد أمامه (نوعين) من الثقافة مختلفى المظهر والمصدر .

(النوع الأول) ثقافة قامت على الأصول الاسلامية خلية من الشوائب والريب تتصل بالثقافة فى مرحلتها الأولى اتصالا وثيقا ، أو هى الحلقة الوصلية بين الثقافتين ، وهذا النوع حمل لواءه قوم فقهوا دين الله وغاصوا على أسراره بفهم مستقيم وعقل رصين ، فلم يجدوا فى أحكام الدين ما يصدهم عن سبيل النظر فى علوم الغابرين ، بل رأوا أن القرآن الحكيم أعظم شأن الحكمة وأعلا قدرها فقال تعالى : (يُؤْتِ

---

(١) فى أول القرن السادس عشر ظهر المذهب «البروتستانتى» فى المانية وما زال يمد أطرافه حتى وصل الى فرنسة . فلم ترتح الملكة (كاترين) الى انتشاره فى بلادها . فعزمت والكنيسة الكاثوليكية من ورائها تؤيدها على إبادة معتنقيه . فتربصت حتى كان يوم ٢٤ أغسطس سنة ١٥٧٢م وهو يوم عيد عندهم وفيه هجم الكاثوليك على البروستانتيين وفتكوا بهم فى مذبحة دامت ثلاثة أيام .

الحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) . والحكمة كما يقول العلامة العينى فى شرح البخارى : معرفة الأشياء على ما هى عليه ، أو هى كما يقول إمام الأئمة مالك بن أنس رضى الله عنه : معرفة الدين والفقه فيه ، ومالك رحمه الله وهو إمام المسلمين لا يعنى بمعرفة الدين والفقه فيه معنى يقصر دون شموله كافة العلوم ، وعن النخعى : هى معرفة الأشياء وفهمها ، وهذه العلوم الفلسفية التى كانت عند الأمم الماضية وترجمت الى اللسان العربى المبين فى العصر العباسى إن هى إلا معارف لا تخلو عن نفع ولا يحرم الباحث فى غضونها من بادرة ينتهزها أو شاردة يلتقطها أو فائدة يستفيدها ، فهذا السبب سوغ المخلصين من علماء الاسلام أن يلجوا مداخل الفلسفة سيما وأن هذه العلوم احتوت طرقا جدلية استمسك بها طوائف اعوج بهم سبيل النظر فانتهضوا لمحاججة علماء الاسلام ومجادلتهم فى الدين ؛ فكان لا بد لهم من معرفة حقائقها ليدفعوا الباطل بسلاحه حتى يكون أمكن فى الالزام .

على هذا النحو أقبلوا على درس علوم الأوائل وفلسفتهم ، يزنون المعانى بقسطاس العقل الرجيح الذى أحاطه الدين بسياج من العصمة عن الزلل فى العقيدة أو الزيغ فى الايمان بعد أن كانت فى بطون الكتب المكدسة فى أجواف المكاتب لا تجد عقولا ذكية حرة التفكير طليقة من أغلال الكنائس والبيع ، حتى جاءها العقل العربى بـ « نور الاسلام » فأزاح عنها غياهب ظلمات الأحقاب ، ورفع عن أسرارها النقاب ، وأضاف إليها ما كمل نقصها وبين ما فيها من زائف العقول التى لم تعتصم بوحى السماء ولم تستنر بنور «الهداية الاسلامية» ، وقد أنجبت هذه النهضة المباركة أعلاما لم يشهد التاريخ مثل عظمتهم الفكرية ؛ فهذا إمام الجماعة «أبو الحسن الأشعرى» ما أطفأ جذوة الاعتزال غير حجته الدامغة ، وهذا شيخ السنة القاضى « أبو بكر بن الباقلانى» المالكى كان سيفا من سيوف الحق ، وهذا صاحبه « ابن فورك » جعله الله لسانا من ألسنة الحكمة والجدل ، واذا ذكر الباقلانى وابن فورك فلا يذهب عن الفكر الأستاذ الفاضل «أبو اسحق الاسفراييني » فهو ثالثهم فى رفع راية الدفاع عن عقيدة الجماعة .

وفى ثلاثتهم يقول الوزير الصاحب بن عباد : « ابن الباقلانى بحر مغرق ، وابن فورك صِلّ مطرق ، والاسفرايينى نار تحرق » ، وفى الحق إن الله جاء بهم فى زمن لو لم يكونوا فيه لعظمت الفتنة على المسلمين ، فقد قرب الخلفاء فى زمنهم زعماء الطوائف المبتدعة ورفعوا أمكنتهم حتى هاب العلماء المناظرة معهم فلم يكن أقدر على ولوج هذه المعمعة على ما فيها من أخطار غير أبى بكر وصاحبيه ، ثم جاء بعد هؤلاء إمام الحرمين أبو المعالى « عبد الملك الجوينى » وسيف الدين « الآمدى » و « فخر الدين الرازى » ومن نهج نهجهم القويم من الذين درسوا الفلسفة ليذودوا عن حوض الدين ويردوا تلبيس الملبسين ، كانت أفكارهم وما تزال عنوان عبقرية فذة وعقلية عديمة المثال .

(النوع الثانى) ثقافة قامت على درس الحكمة باعتبارها علوما فلسفية يرجع الحكم فيها الى قانون العقل ، وزعماء هذه النهضة أوتوا من الذكاء وقوة النفس والصبر على عناء البحث والتأييد من أمراء عصرهم ما هيأ لهم سبيل الغوص فى محيط الفلسفة بشجاعة نادرة وعقول لا تعرف الحذر ، بل انساقوا إليها انسياق الواله الدؤوب ، وإن تكن هذه النهضة الفلسفية بدأت من عهد أبى جعفر المنصور إلا أنها لم تبلغ قبل عصر المأمون الشأو الذى بلغته فيه .

ارتقى المأمون أريكة الخلافة العباسية مؤيدا من لدن خؤولته الفارسية ، والفرس يومئذ كانوا قد استولوا على كثير من مرافق الدولة ومناصبها الخطيرة ومرجل الضغينة يغلى فى أفئدتهم على العرب الذين قوضوا كسرويتهم وهدموا بيوت نارهم وأحلوا بينهم السلام والاسلام ، وهذه الضغينة كامنة كالشرر يتطاير كلما رن زناد الفتنة فى الدين لأنه منشأ الجامعة الاسلامية ومصدر الدولة العربية ، وقد أدرك هذا الضرب من عدوان الأعاجم السرى الخليفة « الرشيد » فأوقع بالبرامكة فى قسوة الملوك اذا لمحوا مغمزا فى جسم الدولة أو معولا يهوى الى بناء الدين ، غير أن هذا الدواء أتى بعد أن ضرب الداء الى القلب فلم يكن مستأصلا وإنما كان مسكنا فحسب ، ولذا كان على أيدى الأعاجم انقضاء الدولة العباسية .

فى حياة المأمون العلميــة ظاهرتان لا يسـتطيع الباحث أن يمر على تاريخ الثقافة فى عصره دون أن يستوقفاه لما لهما من الأثر الواضح فى تلوين الحياة العلمية الاسلامية بلون تميزت به عن الثقافة الاسلامية فى عصورها الأولى من فجر الاسلام الى آخر عهد أبيه « الرشيد » .

الظاهرة الاولى : أخـذه بمذهب الشيعة أخذا جريئا ، فان التاريخ يحدثنا عن موقف الحذر ، بل موقف الهجوم الذى وقفه العباسيون فى أول عهدهم بالخلافة والملك إزاء أبناء عمومتهم من العلويين ، ويحدثنا عن تربص هؤلاء وتطلعهم الى الامارة التى كانوا يرون أنها حق لهم مغصوب ، فما إن تبوأ المأمون عرش الخلافة حتى بدد سحب البغضاء بين أبناء العصبية الهاشمية وقرب الطالبيين إليه وأدناهم من مجالسه الخاصة وأغدق عليهم واسع هباته وعطاياه ، ولم يقف نزوع المأمون لهذا المذهب الى هـذا المدى ، بل يذكر المؤرخون أنه عقد العزم على البيعة من بعده الى سيد من غطارفة هؤلاء السادة ، فلما أحس آل بيته منه ذلك ائتمروا فيما بينهم على ألا يسلموا فى ملك استولوا عليه ببذل الأرواح ، وكان هذا سببا لنقض ما وثقه فى نفسه ، أما دفاعه العلمى عن هذا المذهب ففى كتب التاريخ والأدب منه الكفاية ، والذى يستوقف النظر أن دعاة هذا المذهب الذين مثلوا دوره فى عصــور التاريخ الاسلامى وحملوا لواءه من بدء نشأته إنما هم زعماء الأعاجم الذين دخلوا فى حظيرة الدين بعـد الفتح الاسلامى ، ومهما يكن مبلغ هذا المذهب — الذى كان له أظهر الآثار فى الانقلابات الاسـلامية من عقيدة المأمون فانه ظاهرة انفرد بها عن آبائه من الخلفاء قبله .

الظاهرة الثانية : انحيازه بكليته للفلسـفة انحيازا دفعه الى حمايتها بقوة الحكم ورهبة السلطان وتأييدها تأييدا أفسح المجال أمام الذين أحبوا الفلسفة من أعماق قلوبهم فأولوها كل عنايتهم وانكبوا على درسها درسا عميقا ، وقد كانوا خليطا من المسلمين وغيرهم ، درسوا الفلسفة ليكونوا فلاسفة يحتكمون الى العقل والمنطق ، ومنهم

من حاول مزج الفلسفة بقواعد الدين مزجا لا يستقيم مع التفكير الموزون ، ومن ثَمَّ تفرعت أكثر الفرق التى سلكت فى الدين سبيلا ملتوية ضلت بها منهج الحق .

يشيد بعض الناس بالثقافة فى العصر العباسى ويعتبرونها المثل الأعلى للثقافة الاسلامية ، وما نلومهم بل نحمد لهم إشادتهم لو أنهم يذكرون ذلك اعترافا بفضل الاسلام الذى أطلق العقول من عقالها وتقديرا لعظمة العقل العربى الناضج وتقريراً للحقيقة فى غير إزراء بتعاليم الاسلام وغمط لتاريخ سلفنا الصالح ، ولكن الذى يؤسفنا من هؤلاء الشادين أنهم يجعلون نقل علوم الفرس وترجمة فلسفة اليونان والهند هما مفخرة العابسيين وهما مصدر الثقافة الاسلامية ، فاذا ماذكرنا ماجاء به الاسلام من تعاليم سامية أهابت بالعقل الانسانى فأيقظته من رقدته ونبهته من خموله — فنشر بين الملأ هذه العلوم التى لولا الروح العلمى الذى سرى فى الأمة الاسلامية سريان الماء فى شجر البادية ماشهد التاريخ قيامة هذه الثقافات من رمسها — رأيتهم ينغضون إليك رؤوسهم منكرين ساخرين ، أولئك قوم جهلوا الاسلام فحاربوه ، وإن يكن منهم من اتسم بسمة الاسلام أو تسمى باسم المسلمين فذلك إنما جاءهم بالوراثة لا بالعقيده والفطرة .

ومهما يكن من أمر هذه النهضة فانها أنجبت رجالا أفذاذا فى تاريخ الفلسفة لا تزال أراؤهم عاملا قويا فى تطور النهضة الفكرية قديما وحديثاً ، فهذا أبو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصباح الكندى العربى الصميم — جده الأشعث بن قيس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم — يقول عنه الوزير جمال الدين القفطى : (المشتهر فى الملة الاسلامية بالتبحر فى فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية متخصص بأحكام النجوم وإحكام سائر العلوم فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها) . وهذا محمد أبو نصر الفارابى يقول عنه القفطى أيضا : (فيلسوف المسلمين غير مدافع قرأ العلم الحِكْمى وبرز فيه على أقرانه وأربى عليهم فى التحقيق وشرح الكتب المنطقية وأظهر غامضها وكشف سرها وقرب متناولها) . وهذا شيخ الفلاسفة وأمير الأطباء الرئيس أبو على بن سينا نحا فى الفلاسفة نحوا استقلاليا بديعاً ، فاسمع إليه يحدثك عن منهجه فى البحث فى آخر إشاراته إذ يقول :

(إياك وأن يكون تكيسك وتبرزك عن العامة أن تنبرى منكراً لكل شيء فذلك طيش وعجز ، وليس الخرق فى تكذيبك ما لم تستبن لك بعد جليته دون الخرق فى تصديقك مالم تقم بين يديك بينته ، بل عليك بالاعتصام بحبل التوقف ، وإن أزعجك استنكار مايوعاه سمعك ما لم تتبرهن استحالته لك، فالصواب، أن تسرح أمثال ذلك الى بقعة الامكان ما لم يذدك عنه قائم البرهان) .

بيد أن انتصار الفلاسفة الاسلاميين للفلسفة انتصاراً كليا أفضى الى التعقيد فى مسائل من الالهيات انبهض لتحقيقها ورد مزاعم المتفلسفة فى شأنها كثير من المحققين والمجلى فى حلبة هذا المضمار حجة الاسلام أبو حامد الغزالى ، فانه رحمه الله تعالى درس الفلسفة فكان فيلسوفاً متبحراً ودرس الشريعة فكان إماما حاذقاً وكتابه « تهافت الفلاسفة » من الطراز الأول فى تحليل شبه المتفلسفة وتحقيق الحجج للدفاع عن العقيدة الاسلامية ، وقد خلع أبو حامد رضى الله عنه على الفلسفة رداءا نسيج وحده فلم ير النظر فيها إلا للخواص الذين امتازوا بجودة الذهن وسمو التفكير ، ولذا قال فى كتابه « القسطاس المستقيم » : (المدعو الى الله تعالى بالحكمة قوم ، وبالموعظة قوم ، وبالمجادلة قوم ، فان الحكمة إن غذى بها أهل الموعظة أضرت بهم كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير . . . . الخ) . وهو لايرى التسليم بما ينحط عن رتبة اليقين ولا يرى اليقين إلا ثمرة المعرفة والنظر فيقول فى كتاب « ميزان العمل » بعد أن وصف آراء الحكيم . (ولو لم يكن فى هذه الألفاظ إلا مايشكك فى اعتقادك الموروث لكفى بذلك نفعاً فانَّ من لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقى فى العمى والحيرة) . فهل سمع المجددون من معلمى العصر نداء الاسلام فى صوت الغزالى ؟ (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ) .

هذا الأخذ والرد وذلك المد والجزر فى محيط الفلسفة طوح بسفينتها الى أيد لم تحسن سياستها وعدلت بها عن النهج المستقيم تحت طى الخفاء فأسسوا جماعات سرية كان من أهمها وأبعدها شأوا فى هذا الميدان جماعة (إخوان الصفا وخلان الوفا)

وهم قوم اجتمعوا وزعموا أنهم يوفقون بين أحكام الدين والفلسفة فألفوا كتابا يشمل خمسين رسالة كل واحدة منها فى نوع من الفلسفة ورسالة فوق الخمسين جامعة لمضمون الرسالات كلها على سبيل الايجاز والاختصار ، وقالوا : (إنهم رأوا أن الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وأنه متى اتفقت الفلسفة اليونانية والشريعة « العربية » فقد حصل الكمال) . وقد نشروا هذه الرسائل وكتموا أسماءهم فتلقاها علماء الاسلام الأجلاء المحققون بالبحث والتمحيص والنظر الممعن ونبهوا على ما فيها من مغامز ومزالق وهى فى جملتها كما يقول الوزير القفطى : (مقالات مشوقات غير مستقصاة ولا ظاهرة الأدلة والاحتجاج) . وممن حذر من الوقوع فى شركها وصرح بضلال مصنفيها الامام الراسخ أبو بكر بن العربى الفقيه فى كتابه « العواصم والقواصم » . وأبو سليمان السجستانى من علماء القرن الرابع وكانت له دراية بالفلسفة فان تلميذه أبا حيان التوحيدى عرض عليه رسائلهم فنظر فيها وتبحرها ثم قال : (هؤلاء قوم تعبوا وما أغنوا ونصبوا وما أجدوا وحاموا وما وردوا .. ونسجوا فهلهلوا ظنوا ما لا يكون ولا يمكن ولا يستطاع ... على أن وراء هذه الطوائف جماعة أيضا لهم مأخذ من هذه الأغراض) . وهذا أبو حيان نفسه يقول فى وصفها : (وهي مبثوثة فى كل فن بلا إشباع ولا كفاية وفيها خرافات وكنايات وتلفيقات وتزليقات) .

النهضة الأندلسية :

بهذا الاتجاه من أنصار الفلسفة وهذا الجهاد من علماء الاسلام انطفأ مصباحها من المشرق وتسلمت قيادتها الدولة العربية الأندلسية فى المغرب ، وهذا برهان على أن مجد الفلسفة المستقيمة قرين الفطرة العربية ، فحيثما كان مجد العقلية العربية فى أَوْجِهِ كان بهاء الفلسفة والحكمة بالغا حد الكمال .

هذه الدولة الفتية الناهضة القوية ازدهرت فى أيامها الصنائع والفنون وزهت

فى عصرها العلوم والمعارف وبلغت فى عواصمها الحضارة مبلغا يفوق الوصف والتقدير، وكان نصيب الفلسفة فيها أوفر .

وقد نبت فى أحضان هذه الدولة الزاهرة فيلسوف طبق ذكره الآفاق، وطأطأ فلاسفة الغرب لعظمته الأعناق، ذلك هو القاضى أبو الوليد حكيم الاسلام غير منازع وفيلسوف الشرق غير مدافع أستاذ المشرقين والمغربين مالك ناصية الحكمة والقابض على زمام الفلسفة الامام الفقيه (محمد بن أحمد بن رشد) الحفيد الذى شهد بعظمته فلاسفة أوربة قال الأستاذ (هورتن) المستشرق الألمانى فى كتابه : «استعداد الاسلام لقبول الثقافة الروحية » : (ابن رشد الفيلسوف الطائر الصيت فى القرون الوسطى كان إيمانه بالله عظيما وكان معتصما بالقرآن حتى بكل كلمة فى القرآن ومع ذلك لم يمنعه دينه والقرآن الذى يعتصم به من مطالعة الفلسفة اليونانية والأخذ من آثار أرسطوطاليس والبناء عليها).

صلة الثقافة الاسلامية بالثقافة الأوربية :

حسبنا الآن أن نشير الى هذه الصلة بما يقوله المنصفون من علماء الغرب قال العلامة (همبولد) : (إن العرب خلقهم الله ليكونوا واسطة بين العلوم وأسباب التمدن وبين الأمم لأن لهم بمقتضى طبيعتهم حركة تخصهم أثرت فى الدنيا تأثيرا لا يشتبه بغيره، فانهم كانوا يحملون معهم التمدين خيثما حلوا حل معهم فيبثون فى الناس دينهم وعلومهم ولغتهم وتهذيباتهم) ، يوم أن كانت أوربة كما يقول (دروى) العالم الفرنسى : (لا ترى الضوء إلا من سم الخياط) . وقال (همبولد) أيضا : (ثبت عندنا بما صنعه العرب واخترعوه رجحان عقولهم الغريب فى ذلك الوقت الذى وصل صيته الى أوربة النصرانية وهذا حجة على أنهم أساتذتنا ومعلمونا) ويقول الاستاذ (جوستاف لوبون) : (إن العرب أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر واستقامة الدين) . (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) . م؟

صادق ابراهيم عرجون

